من أبا الى تسلهاى

الأستاذ عبدالمحمود أبوشامة

هذا الكتاب

من أبا الى تسلهاي: سرد لمعارك الإمام المهدي ضد الانجليز والاتراك والمصريين، بدقة تزيل عنها أثر وبر قرن من الزمان..

معها أيضاً استعمال غردون للجدري، إحضار ولسلي للتايفويد، قتل الناصحين لركاب الباخرة "عباس" وحرب الانجليز للنساء السودانيات في التاماي الجديدة.

وقال الدكتور الحبر يوسف نور الدائم في تقديمه لهذا الكتاب:

لقد اهتم الأستاذ عبد المحمود لهذا الموضوع ونصب له واحتفل ومضى فيه بعزيمة ماضية وتصميم متحفز وقلب ذكي يمده صبر على البحث العلمي المستبصر والتحقيق الموضوعي المستنير. ولقد أدهشني حقاً بتتبعه للمعلومات وحشده للأمثلة، واحتفاله بالشواهد مما يدل على شغف بالموضوع وكلف.



صمم الغلاف / د. ابراهيم عبد الرحمن حسن

مِنْ أَ با إلى تَسْلْهَايْ

عبد المحمود أبو شامة

١٢ اغسطس ١٩٨٦

مِنْ أَبَا إِلَى تَسَلْهَاي

تأليف الأستاذ

عبد المحمود أبو شامة

شكر وعرفان

عندما بدأت في هذا البحث لم أمتلك من مقوماته غير قلم بلاستيك رخيص ، وورق لم ادفع ثمناً عليه، وعزيمة اعلامي ولدت بها .

وعليه فكل ما هو مكتوب هنا يرجع الفضل فيه لغيرى ، ومن غير المعقول أن أقحم القارئ في تصفح اسماء جيش نبيل من ناكرى انفسهم ، مقدمى المعرفة لغيرهم .

إن بطاقات اثبات الشخصية التى حصلت عليها ابان عملى الاعلامى في بريطانيا وهولندا قد فتحت لى مغاليق مكتبات عديدة في بريطانيا ، لا تقدم كل ما يريده الباحث الا بعد التحقق من مقاصده ، وتعاطفها مع المصلحة القومية لبلادهم .

اهم المراكز : مكتبة وزارة الحربية البريطانية ، مكتب الوثائق البريطاني ، قسم المخطوطات بالمتحف البريطاني ، مكتبة جامعة درام ـ حيث وضع وينقيت كثيراً من الوثائق السودانية ـ ، مكتبة الجمهور « بهوف » ، مؤسسة الخدمات الملكية المتحدة حيث خطابات ولسلى الى زوجته .

مكتبات جامعات لندن واكسفورد وكيمبردج وردينق ، كانت اكثر تعاوناً .

الجامعات الهولندية ، وخصوصاً ليدن وامستردام المحلية واترخت ، على قلة ما تملك في هذا المجال ، الا انها قدمت لى كل ما ملكت ، حتى الذى لم اطلبه .

في دار الوثائق المركزية بالخرطوم قضيت عاماً توجه باعث تراثنا ـ دكتور محمد ابراهيم ابوسليم ـ بتقديم سفره العظيم لى (اعتقد انه سيسمى الاعمال الكاملة للمهدى) ، لكى آخذ منه ما احتاج اليه قبل نشره. وعندها وقفت مشدوهاً بين كرم الرجل ، وروعة ما جمع واحصى وحقق وكتب .

في مكتبة السودان بجامعة الخرطوم قضيت عاماً ونصفاً ، قدم لى خلال تلك الفترة السيد عبد المجيد الصديق والسيد عيسى حسب الله ، كل ما بالمكتبة مما يدخل في نطاق

بحثي . الرجلان تميزا بصبر قل أن يوجد له مثيل بين مسئولي المكتبات .
مكتبة المجلس البريطاني بامدرمان بها مجموعة كتب قليلة عن موضوع البحث ، ولكن روعة القائمين بادارتها ، جعلت القراءة بها متعة . امينها السيد عبد الغني عبد الله المفتاح جمع الكفاءة وعمق الثقافة وحسن الخلق .

مكتبة كلية القادة والاركان بقوات الشعب المسلحة في امدرمان لم تكن سخية بدررها فقط ، وانما كنت محاطاً بكرم قائد الكلية العقيد اركان حرب محمد بانقا احمد (بالمعاش الان) .

المكتبات الخاصة التي شرفني اصحابها بزيارتها ، لا يمكن ان انسى منها مكتبة السيد علي يعقوب الحلو الغنية بوثائق ذات صلة ببحثي . ولا اريد هنا انأتحدث عن كرم بيته ، فهو امر لن يستطيع هذا البيت أن يفعل غيره وان اراد .

في مجال الاستفادة من علم الاخرين الشخصي فاني سأذكر شخصاً واحداً من عشرات ، هو السيد إبراهيم محمد عمر – ضابط مجلس شعبي جزيرة شرى ، الذي علمني الكثير في تفاصيل جغرافية منطقته .
ولكي لا اطيل في سرد اصحاب الحق الأول في كل ما هو موجود بهذا الكتاب ، اجد نفسي لا تنفك عن شكر السيدة « انا ماريا رادا ماكر » التي قضت الشهور الطوال تنقل الخرائط والصور من مصادرها الرئيسية .

الم اقل إن الذى شاركت به في هذا العمل ، هو قلم بلاستيك رخيص ، وورق لم ادفع عليه ثمناً ؟

١٢ اغسطس ١٩٨٦ — عبد المحمود أبو شامة

* مقـــدمة *

كتب تاريخنا عدو امتلك عدة النشر ، والقارىء النهم ، واللغة الواسعة الانتشار . ولسوء حظ السودان ، فان الانجليز قد فاقوا العالم فى ثلاثة مناحى لا جدال عليهـــا ... صنع الشكلاته ، وقلى السمك ، وتزوير التاريخ . !!

عندما بدأ الانجليز إستعمال تخصصهم ضدنا ، كنا نملك مطبعة حجر واحدة ، وذاكرة صدئه ، وقارئاً نبت اهتماماته لم يطل على الشمس إلا بعد قرن كامل .

إن جيل ابنائنا ، سيتجه نحو قراءة تاريخه ، اراد الكاتب او لم يرد ، فتاريخنا اهم اشراقة فى كل ما امتلكنا وما سنمتلك .

اننا الشعب الذى عندما افاق من كبوة القرون الوسطى ، كان الاول فى افريقيا المتطلع الى الحرية والوحدة ، بافضل مقاتل حطه الله على هـــذا الكواكب .. شجاعة وعزيمة وعقلا .

عندما عطل الاميرموسى أبو حجل طابور النهر ليوم كامـــل ، كان يقود مائة واربعين مقاتلا يحملون بنادق ، ثلثاها لا يصلح للعمل ، وزادهم كان طبقين مـــن (القراصة) تناولوها باضافة الملح والماء . اما الجيش الذى اوقفوه ، فقد كان ستة الاف جندى وتابع ، يُحملون هم وامداداتهم ، على باخرتين وتسعمائة زورق والاف الجمال ومئات الخيول . زادهم بلع ٩٨٠ ٩٩٩ ١ كيلوجراماً من اللحم المعلب والسكر والبن والشاى والكاكاو والبصل والملح والفلفل والبقسماط وخمر البورت والكنياك والشمبانيا ، ورغم ذلك اخروهم ، وقتلوا قائدهم وخيرة ضباطه .

بطل غزو الصين العظيم– غردون – عندما هاجمه امير الامراء عبد الرحمن النجومى اجتاح قلاعه فى خمس دقائق ، وحطم جيشه نهائياً فى خمس واربعين دقيقة ، وقتل البطل البريطانى فى ساعة تقريباً .

اما الحديث عن اميرامراء الشرق عثمان دقنه ، فيحتاج الى مئات الكتب لسبر غوره . محطم اول مربع بريطاني في التاماى الثانيه (التمنيب الانجليزيه) كان ، ودون خيط من شك، سيد القيادة العسكرية العالمية لثلاثة ارباع القرن التاسع عشر .

عندما هرب الجنرال قراهام من امير الامراء امام خور القعوب كان الجنرال يملك من الاسلحة مدافع القاردنر ، والبالونات ، والمارتيني هنرى ، وثـلاثة عشر الف مقاتل ، و٩٨٧ مساعدا و٣٣ عربة مياه نظيفة ، و٦٢٨ جملا ، و١١٥ بغلا ، يحملون ٩٠٠ ٢٢٢ رطلا من الاغذية .

اما ثلاثة الاف عثمان دقنه ، فقد كان بعضهم يحمل تمرات ، وبقيتهم تحمـــل ذرة وضعوها في ماء من آبار التاماى كثيرة الجير والملح .

هرب قراهام وقواته من وجه امير الامراء ، وذهبوا لمحاربة النساء في التاماى الجديده.

إن كتابة تاريخنا بأيدى سودانيه ، قد بدأت فعلا . وهناك حقيقة يجب الا تغيب عنا ، إن بريطانيا عندما زورت التاريخ ، كانت ترمى الى رفع روح جيشها ، الذى بهزيمة واحدة يصبح جيش ورق ، كما حدث في الشبكات والمتمة ، بعد ما اصابه في ابى طليح . ان رفع الروح المعنويه للجيش البريطـاني ، كان امرا حيويا لقوة كانت فرنسا والمانيا وروسيا تنتظر لحظة ضعفها .

تحرى الصدق في كل كلمة نكتبها عـن تـاريخنا ، سـيكون ، امرا مصيريا بالنسبة لامة مثلنا تشق مستقبلها بتلمس ماضيها ، لتعرف قدراتها البشريه ، ونقاط قوتها ومكامن ضعفها . وفي هذا المجال فاني اضع هذا الكتاب كجهد مقل . آملا ان ينبرى من هم اثرى منى علما وعقلا وقلماً لنبش رؤوس خيوط اوردتها ، وكتابة مالم اورده .

١٢ اغسطس ١٩٨٦

عبـد المحمــود أبوشـامة

الى مطبعة سيد المقاتلين

قيض الله لى إبان جميع مراحل عملى في هذا البحث الذى دام أكثر من ربع قرن يسرا . فما كدت أصل الى مرحلة الطباعة حتى وجدت مالم يكن وارداً بذهني على الاطلاق .

كنت افكر في الطباعة الانجليزية أو البيروتية أو المالطية .
الأولى دخلت مجال طباعة الكتب العربية منذ عقود ، والثانية عرفت بقلة تكلفتها والثالثة دخلت منافسة .

عندما جلست عاجماً لأعواد هذه المطابع ، اصر صديق على أخذى الى المطبعة العسكرية. وفي الحقيقة ذهلت لما رأيت.. القدرة الإدارية العالية، والتنظيم العسكرى السوداني المعروف ، والاصرار على الامثل والاجود والافضل . وضوح الحرف وعدم الخطأ ، وإتقان الاخراج لم يصبح شرطاً اسوقه ، وانما كان مبدأ لطباعتهم .
حقيقة أخرى : إن اكبر الكوارث هى ضياع الاصول او ضياع حقوق النشر في المطابع ، اما عندما رأيت المطبعة العسكرية فقد وجدت

أن ضياع جناح بعوضة غير وارد .

ان سيد المقاتلين على ظهر هذا الكوكب قد اقتحم بحق مجال الطباعة ، وحلق في سمائها بجناحين حديد .

الى ورثة مطبعة الحجر ـ التى اخذوها اغتصاباً . شكرى وتقديرى .

المؤلف

١٧ نوفمبر ١٩٨٧

[* تقـــديم *]

بسم الله ، الحمـــد لله ، والصلاة والســـلام على رسول الله ثم أمّا بعـــد فهـــذه كلمات موجـــزات أقـــدم بهـــا كتاب أخي الكريم ، وصديقي الـــودود الأســـتاذ عبد المحمـــود أبو شـــامة عبد المحمـــود ... يتناول الكتاب فترة مضيئة من تاريـــخ الســـودان وذلك يـــوم أن وحّد الإمام محمد أحمد المهدى السودانيـــين تحـــت راية الجهـــاد في سبيل الله ، ونفخ فيهم من روحه المتوهّجـــة فإذا بجـــذوة الإيمان الكامنة في صدورهم تشتعل مغيّرة وجـــه الحياة وأوضاعها .

لقـــد اهتمّ الأستاذ عبد المحمـــود لهـــذا الموضوع ونصـــب له واحتفل ومضى فيه بعزيمة ماضية ، وتصميم متحفّز ، وقلـــب ذكـــيّ يمـــدّه صبر على البحـــث العلميّ المســـتبصر ، والتحقيق الموضـــوعيّ المســـتنير . ولقد أدهشـــني حقّاً بتتبعه للمعلومـــات ، وحـــشده للأمثلة ، واحتفاله بالشواهـــد ممـــا يدلّ على شـــغف بالموضوع وكلف . والموضوع المدروس يســـتحقّ ما بـــذل فيه من جهـــد ، ومـــا صرف فيه من وقـــت ، وما أنفق فيه من مـــال . وذلك أنّ الأمّـــة التى لا تحرص على تاريخها وما فيه من دروس وعـــبر ، وأمثلة ورموز أمّـــة محكوم عليها بالإعدام . ولأبـــد للإنسان من وقفة على ماضيه ليصل به حاضره مستشرفاً آفـــاق المســـتقبل وآماده وإلاّ أصبح مبتوتاً لا أرضاً قطـــع ولا ظهراً أبقى قد فقـــد زاده ومتاعـــه ، وعقله وذاكرته . يهتز لكـــلّ خطْرة ، ويضطرب لكلّ موقـــف ، ويندهـــش لكل وافـــدٍ وقد فُغر فـــوه وانشلّ فكره .

لقد صوّر الأستاذ عبد المحمود أبوشامة بقلمه المتدفّق ، وأســـلوبه المنســـكب وعلمه الدّفـــاع الحـــوادث التاريخية تصويراً عبقرياً معجباً فيه تجتمع الجمـــوع ، وتحتشـــد الصفوف ، وتتحرّك الشخوص فإذا أنت أمـــام مشـــهد إنساني ناطـــق . إنّه لا يـــسرد قصّة ميتة صامتة كلاّ ! إنه يسكب عليها من فيضه الروحيّ المتدافـــع فإذا هي حيّة متكلّمة .

لقد ذكّرني وصفه لوقعة أبي طليح يوم أن اخترق المربع الانجليزى وأظهر أنصار الله ما شئت من ألوان البطولة ، وضروب التضحية ، وفنون المهارة العسكرية ، ودروس الفروسية ذكرني بما كان عليه سلفنا الصالح من معرفة بفنّ الموت الذى تعلّموه على يَدَىْ الرّسول الكريم صلواتِ الله وسلامه عليه . وما أحرانا – ولا سيما الشباب منّا – أن نقف عند هذا الكتاب القيّم نطالعه في أناة وروّية ونفاذ .

منه نحصّل علماً ، ونستمد زادا

وتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم *** إنّ التشبه بالكرام فلاح .

ولا أشكّ – أخي القارىء – إنّك إن ظفرت بهذا الكتاب فلقد ظفرت بكنز ثمين وما أنت بتاركه حتى تلتهمه التهاماً ، وتزدرده ازدراداً وذلك لما تجد فيه من برد المعرفة ، ومتعة الفنّ ، وسلاسة الأسلوب ، وجمال الأداء . وها أضع القلم لئلا أجعل بينك وبين الكتاب حجاباً فإلى كتاب محفود ، وعلم محشود .

د . الحبر يوسف نور الدائم

جامعة الخرطوم – كلية الآداب ..



سرد تفصيلي وتحليل ل:

معركة ابا .

معارك قدير .

الهجوم على الابيض .

معركة شيكان .

حصار الخرطوم .

احداث الهبه .

استعمال غردون للحرب البيلوجية ضد المحاصرين .

تحرير الخرطوم .

حملة النيل.

معركة ابى طليح .

معركة الشبكات.

معركة المتمة.

باخرتان تصلان الخرطوم ومعركة ود الحبشي .

طابور الصحراء الانجليزى يستعمل الحرب البيلوجيه ضد الثوار .

مناوشات كربكان .

معركة الساحل الثانيه مع بيكر .

معركة الساحل الثالثه مع قراهام .

معركة التاماى الثانيه وكسر المربع الانجليزى.

معركة تفرك.

وصول الانجليز الى تسلهاى ومعركة التاماى الجديدة ضد النساء، وغيرها .

الإمام محمد عبده

المهدى



محمد احمد المهدی

مـن هـو محمـد أحمـد المهـدى

هو محمد أحمد بن عبد الله بن فحـل بن عبد الولى بن حـاج شريف بن على ابن حسب النبى بن صبير بن نصر بن عبد الكريم بن حسين بن عـون بن نجـم الدين ابن عثمان بن موسى بن أبى العباس بن يونس بن عثمان بن يعقوب بن عبد القادر بن الحسن العسكرى بن علوان بن عبد الباقى بن فخـره بن يعقوب بن الحسن السبط بن الإمام عـلى بن أبـى طالب كـرم الله وجهـه .

مـن ناحيـة أمـه فهـو ابن زينـب بنـت نصر وينتهى نسـبها بالعباس ابن عبد المطلب .

ذكـر الإمام المهـدى فى أكثر من موضع ، منها منشور الدعـوة وإنذاره الى يوسف الشلالى بأنه من نسل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأبـوه حسنى مـن أبيه وأمـه ، وأمـه كذلك من ناحية أمها ، وأبوها عباسى وله نسبه الى الحسين .

جـذوره

يقول الدكتور عبد الودود شلبى (وقد هاجـرت أسرة المهـدى من الجزيرة العربية فيمن هاجر من العلويين فراراً من المظالم والآلام التى كان يصبها على رؤوسهم الحجاج بن يوسف الثقفى فى عهد الخليفة الأمـوى عبد الملك بن مروان وفى عهـد ابنه الوليد . وقد اتخذت هـذه الأسرة وادى النيل مهاجراً لها . وأقامت فى الفسطاط ما طابت لها الإقامة . وبهـا مات أحـد رجـالها المعروفـين – نجـم الدين بن عثمـان – ودفن عند باب الوزيـر بالقاهـرة ، ولـه هناك مقام يزار . ثم شدت الأسرة رحالها وواصلت رحلتها جنـوباً . وقد طاب لبعض أفرادها المقام فى كشتمه بين أسوان والدر ، وظـل باقى الأسرة وعلى رأسهم السيد نصر الدين بن عبد الكريم بين ظعـن واقامة وحـل وترحـال ، حتى انتهى بهم المطاف الى إقليم دنقله بالسودان

فألقوا عصا تسيارهم هناك وقد سموا المكان الذى نزلوا فيه بالخناق على اسم آخر قرية سكنوها بأعلى الصعيد فى مصر) (١)

عائلته فى دنقلا

فى دنقلا استثمرت هذه العائلة ثلاث جزر هى (ضرار – ولبب – وأب تركى) وهى الجزر التى تسمى بجزر الأشراف .

خرج من عائلة الأشراف شيوخ عرفوا بالتقوى والصلاح ، أخرهم قبل الإمام المهدى السيد حاج شريف الذى عمر طويلا ، وأنجب ستة ذكور أكبرهم هو السيد محمد – جد المهدى .

السيد محمد الذى أشرف على قباب أجداده الصالحين التى تعرف الآن بقباب الأشراف ، ولد ولدا أسماه عبد الله عمل بصناعة المراكب النيلية .

فى السابع والعشرين من رجب ١٢٦٠ هـ – الثانى عشر من أغسطس ١٨٤٤ م ولد عبد الله ولداً أسماه محمد أحمد .

الهجرة الى الجنوب

قبل أن يصل محمد أحمد سن السابعة هاجر مع عائلته جنوباً . يقول السيد على المهدى فى كتاب (جهاد فى سبيل الله) الذى أعده عبد الله محمد حسن (تعاقد والده مع الحكومة لصنع مراكب ، فأتى الى مكان أشجار أكثر . هاجرت العائلة الى شندى وبقى بمنزل ود تنير ، ومنها الى قرية السيال ناير – وهى قرية الفكى الريح السنهورى بالجميعاب . اتهمت العائلة بإيواء الهاربين من دنقلا . فروا من الخراج ومن ظلم الكاشف ود نميرى وتسخيره الناس لبناء قصره المشهور بدنقلا ، ولسبب هذا الإتهام أخذ على العائلة تعهد مالى قدره ألف جنيه تدفعها إذا أوت أحد الهاربين .

---

١ – الاصول الفكرية لحركة المهدى السودانى ودعوته ص ١٧

ذهبت العائلة الى حلة كرابيج ليبتعدوا عن طريق المارة ، ومنها رحلت الى النوفلاب حيث توفى السيد عبد الله ودفن بها وفى المكان المشهور بإسمه . وبعد وفاة السيد عبد الله رحل أبناؤه الى كررى حيث أقاموا بها طويلا) .

توفيت الوالدة بالخرطوم ودفنت بها في المكان الذى كان مقابر المسلمين حينها وأصبح الآن مجمع المستشفيات بالخرطوم . بعد ست سنوات من موت والده .

بقى أبناء هذه العائلة بكررى يواصلون تلقى العلم ويعملون بصناعة المراكب . عند موت الوالد كان عبد الله في بطن أمه ، وعند مولده وجد أن اخوته الذين سبقوه الى الحياة هم محمد ومحمد أحمد وحامد والأخت نور الشام . عبد الله بالطبع قد أسمى على إسم والده المتوفى .

الدراســـة

ذهب اليافع محمد أحمد لدراسة القرآن فى خلوة الشيخ الهاشمى – شرق كررى – وبقى بها سبع سنوات حفظ فيها القرآن وجوده . عندما عاد لم يقبل بنصيحة اخوته بالعمل فى صناعة المراكب ، وإنما ذهب للدراسة بالخرطوم على يد الشيخ شرف الدين عبد الصادق ثم الفكى محجوب الحبشى ، ومعتوق أحمد شجر الخيرى تلميذ الفكى الأمين ود أم حقين . ثم درس على يدى الفكى محمود المبارك ببرى . من هناك اتجه الى الشيخ الصويلحى بمسجد ود عيسى بالجزيرة .

من الجزيرة اتجه الى الشيخ محمد الخير بالغبش بالقرب من بربر حيث أقام مدة طويلة فى رحاب شيخ تقى ورع .

عندما عرف الشيخ أن طالبه لا يأكل من مال الحكومة الذى تصرفه على الحلاوى لأنه مال جمع بشكل غير شرعى ، أطعمه من ريع ساقيته التى أصر الطالب على المساعدة فى زراعتها . الأموال التى كان يرسل بها اخوته اليه كان يتصدق بها . وكان يصيد السمك إذا بلغ به الجوع مبلغه ولا يستعمل الطعم فى

أدوات صيــده لأن الطعم غش . كان يقضى ليله يصلى حتى إذا أصبح الصباح هرع الى شيخه ينهل من علمـــه .

إن نفس الشاب التواقة الى التصوف حملته لكى يتلقاه عــلى يــد أحـــد عمالقة التصوف بالسودان وهــو الشيخ محمــد شريف نور الدايم حفيــد الشيخ الطيب صاحب الطريقة السمانية . ذهــب الشاب الى منطقة السروراب عــام ١٨٦١ م حيث وجــد ضالته ــ دار دراسة تجــاور كهفاً فى جبــل أم مــرح اتخــذ منه خــلوة يعبــد فيها الله طــوال ليلــه .

شئ مهم شكل جميع سلوكيات هــذا الشيخ الشاب الى أن انتقل الى جــوار ربه . كان يقتدى بكل مــا استطاع استيعابه من سلوك الرسول صلى الله عليه وسلم . كان يحتطب ويحمل مــواد البناء لأن الرسول كان يفعــل ذلك . إن الفــرد ليكــاد يسمع نبضات عقله . فكل مــا فعــل محمـــد بن عبد الله لا يستطيع رفضه حتى ولــو دق عنقه والعكس بالعكس صحيح .

قضى ســبع ســنوات مـــع شيخه الذى لم يــر مــن هـــو أكثر منه أدباً وخلقاً وديناً وخشــوعاً لله وسلوكاً وإنكاراً للذات الفانية . رضــاء الشيخ عنه قــاده الى نيــل الأستاذية ، وودع كــل منهما صاحبه .

اشتغل محمــــد أحمـــد ، العالم الجليل ، حطاباً ولكن امرأة وقفت لتشترى منه حطباً كثيراً أعلمته أنهــا تريده لتقطير الخمور . صعق للأمر وترك تجارة الحطب .

شارك قريباً له فى تجــارة ذرة ، ولكن تأخر صديقه فى البيع حتى يرتفع السعر جعله يرفض هــذا الأسلوب ويفض الشراكة ويبيع مــا يخصه فــوراً ويترك العمل بهــا . . . إنهــا فتنة .

تزوج بنت عمه بالخرطــوم ، وفى عام ١٨٧١ م بلــغ جزيرة أبــا فوجد غارا بقى فيه يعبــد الله ويفكــر فى خلق الله كمــا فعــل صاحبه فى غار حــراء . ثم رأى

أن يعلم ما علمه إياه الله لغيره . وعندما فعل طار صيته الى ربوع السودان الأربعة . دماثة خلقه وأدبه الجم مع الصغير والكبير ، مع التلميذ والعالم ، وتواضعه الذى لا حدود له ومساعداته للآخرين ، كلها ساعدته فى حب الناس له . اجتمع عليه هناك أبناء الجزيرة وعرب البادية من دغيم وكنانة . ومن مريديه هناك الشيخ على ود حلو وموسى ود حلو وغيرهما . ومن نافلة القول ان نزاعاً نشب بين الشيخ الشاب وشيخه محمد شريف بعد رحيله من السروراب . فقد قيل إن محمد شريف ذهب الى (القادربة) على النيل الأبيض ولكن شيخ (أبا) دعاه الى منطقته لأنها فى حاجة أكثر لأمثاله . قدم محمد شريف الى العراديب فى عام ١٨٧٢ م وهى بين الكوة وأبا وبعد بقاء ست سنوات وجد الشيخ أن طلبته يذهبون الى طالبه شيخ أبا . وأن سمعة شيخ الجزيرة أكبر من أن يعمل شيخ آخر فى تلك المنطقة ، فشعر بالغيرة .

وقيل فى رواية أخرى إن النزاع نشب بسبب ختان الشيخ محمد شريف لأطفاله حيث حدث رقص وغناء أنكره الشيخ الشاب ، كما أنكر تقبيل النساء ليد معلمه .

وقيل إن النزاع بسبب ما أسر به الشاب لشيخه بأنه المهدى ودعاه لكى يكون مساعداً له . فأبلغ فى النهاية الحكمدار بدعوة المهدى .

أبناء الشيخ محمد شريف وصفوا جميع هذه الأقاويل بأنها لم تحدث . ومهما قيل فإن بعض الحقائق بقيت لا جدال عليها .

الأولى : أن الإمام المهدى بعد وصوله الى شات زاحفاً من الأبيض نحو الخرطوم ، استقبل هناك معلمه محمد شريف فى احتفال ضخم ذبحت فيه الجزر وأبقاه فى صحبته عزيزاً كريماً الى أن رحل المهدى الى جوار ربه . ولكن هذا لا يقف حجة لما حدث أو ما لم يحدث ، فالإمام المهدى لم يكن الشخص الذى يرد شيخه الذى بايعه كشرط من شروط الإلزام فى الطريقة السمانية .

إن الطريقة السمانية مبناها يقوم على ستة أشياء — التوبة — العزلة — الزهد —

التقـوى ـ القناعة ـ والتسليم ـ وأركانها سـتة : العلم والحلم والصبر والرضاء والإخلاص والأخلاق الحسنة فى الصبر على الأمـر المقضى . وأحكامها ستة ، وهى المعرفة واليقـين والسخاء والصـدق والشكر والتفكير فى مصنوعات الله . وواجباتها ستة وهى ذكـر رب العالمين وتـرك الهـوى والدنيا واتباع الدين والإحسـان الى المخلوقات وفعل الخيرات وربطها (١) .

رغـم رفض المهـدية للطرق الصوفية إلا أن هـذه المبادئ لا تتنافى مـع خـلق الرسـول . أما شرط الإلـزام بهـا فهـو شرط للبقاء بهـا . حتى إذا تركها المريد لم يعـد الإلـزام قائمـاً .

الثانية : إن الشيخ محمد شريف قـد كتب قصيدة فى عام ١٨٨٢ م ـ أبان أمر الحكمدار عبد القـادر باشـا للشيوخ بمهاجمة الدعـوة المهدية ، يرفض فيها دعـوة الإمـام المهـدى . وهى التى يقول فيها :

قد جـاءنى فى عـام (زع) لموضـع
على جبل السلطان فى شاطىء البحر
يروم السراط المسـتقيم عـلى يـدى
فبايعته ، عهد عـلى النهى والأمر
فقـام على نهـج الهـداية مخلصـا
وقد لازم الاذكار فى السر والجهر

ثم رفض الشيخ فى قصيدته الدعـوة المهدية ، ولكنه عندما جـاء إلى صـلاح طالبه ذكر عنه ما يمكن ان يقال بانه ابقى أبيات شعر تحكى تصرف المهدى الدينى :

كم صام ، كم صلى وكم قام كم تلا
من الله مـازالت مدامعـه تجـرى
وكـم بضوء الليل كـبر للضحـى
وكم ختم القرآن فى سـنة الوتر .

---

١ ـ ازاهير الرياض الشيخ عبد المحمود نور الدايم ص ٧٧ .

الثالثة : إن محمد أحمد المهدى ذهب الى شيخ الحلاويين وجدد عليه العهد فى نفس الطريقة السمانية .

تعلق الشيخ الجديد بمريده ورأى أنه مستحق للمبايعة فبايعه . وتعلق الشاب الشيخ براعيه الذى بلغ التسعين وهو يحدثه عن أوان قدوم المهدى . ولم يلبث أن توفى الشيخ المسن ، فأسرع محمد أحمد مع ثمانمائة من طلاب علمه الذين يحصون بالآلاف وبنى قبة لصاحبه وختن أنجاله . هناك التقى برجل من غرب السودان هده الترحال لمقابلته ، ذلك هو عبد الله محمد ود تور شين التعايشى الذى أصبح خليفته فيما بعد .

الدعوة سراً

فى ٢٨ رجب ١٢٩٨ هـ (١٨٨١ م) بجزيرة أبا قال محمد أحمد لأصحابه بعد أن أقسموا على القرآن الا يفشوا هذا السر ، بأنه سمع هواتف تدعوه (يا المهدى) وأحياناً (المهدى) . وقال إنه اعتبر الأمر وسوسة شيطان ، ولكنه بعد إتمام قبة الشيخ القرشى عام ١٢٩٧ هـ (١٨٨٠ م) رأى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره بأنه المهدى المنتظر فوثق فيما كان يسمع وأخذ منذ ذلك التاريخ فى مكاتبة بيوت الدين سراً .

المهدى والحكومة

ذهب محمد أحمد المهدى الى كردفان ، وبعد رجوعه منها الى الجزيرة كتب جهراً الى بيوت الدين . يقول كتاب (جهاد في سبيل الله) إن الشيخ محمد شريف نور الدائم ، بعد علمه ، أبلغ الحكومة . جمع محمد رؤوف باشا العلماء مستشيراً . قال بعض الشيوخ إن البلاغ كيدى ، وقال آخرون أن هذه الدعوة قد صدرت من الشيخ محمد أحمد وهو فى حالة غيبوبة أو جذب رحمانى . استقر الرأى على ارسال من يختبر حقيقة الامر .

محمد ابو السعود سفير الحكمدار الى المهدى

أرسل الحكمدار محمد أبا السعود لإستطلاع الأمر . أخذ أبو السعود معه وفداً من الشيوخ هم : الحاج محمد فضل الله الأرباوى , أمين ادريسى ، صالح فريجون . وعند مروره بالفاشاشوية ضم اليه مكاوى يعقوب من أقارب والدة المهدى ، ومحمداً أبا شوك المحسى من تلاميذ المهدى . وكان فى رفقة أبى السعود خمسة وعشرون جنديا لحراسته وليستعين بهم فى القبض على المهدى إن قرر ذلك .

أيضاً أرسل أبو السعود الى مامور وقاضى الكوة الشيخ سليمان شاذلى للذهاب الى أبا والوقوف على حال الشيخ وهل معه قوات تناصره ؟

ذهب القاضى والمأمور ولم يجدا قوات ولكن لم يستطيعا مقابلة المهدى لأنه كان معتكفاً .

فى يوم ١١ رمضان ١٢٩٨ هـ ـ ٧ أغسطس ١٨٨١ م وصل أبو السعود الى الجزيرة أبا وقابل المأمور والقاضى وطلب مقابلة الشيخ محمد أحمد ، وقد تم الإجتماع .

فى ذلك الإجتماع كان أبو السعود مسلحاً بآية من القرآن حفظها على مدى رحلة الوابور من الخرطوم الى أبا . إنه ليس عالماً وإنما عمله السابق كان بتجارة الرقيق. وكان قد قبض عليه بتهمة القتل ولكن غردون أخرجه من السجن وأخذه معه الى الإستوائية ، ولكنه هناك اتهمه بالسرقة وطرده .

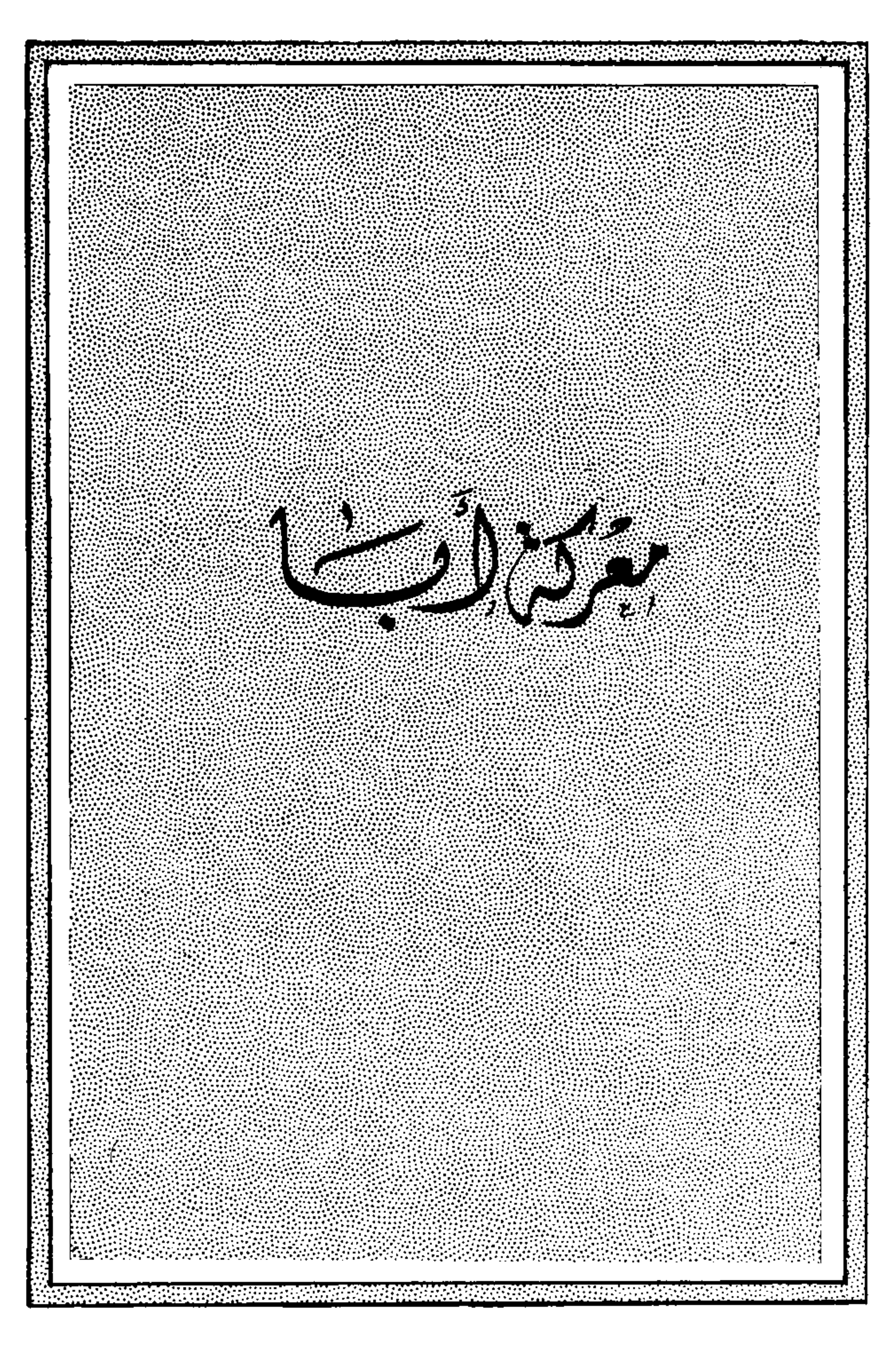
عندما جاء وقت قراءة الآية قال للشيخ محمد أحمد : إن الله يقول (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) . أجابه المهدى بحدة قائلا : (وأنا ولى الأمر فى هذا الأوان على سائر الأنس والجان) وكان قابضاً على قائم سيفه ، فبهت أبو السعود وتغير حاله وظن ألا نجاة له فبال

عـلى نفسـه لما إعـتراه مـن رعب . (١)

خـرج المهـدى من خلوته مساء الأحـد الذى سافر فيه أبـو السعود عائـداً الى الخرطوم ، وصلى العشاء مع رجـال الجزيرة . فى صباح الإثنين أرسل لحضور دغيم وكنـانة والعمـارنة وذهب الى الكـوة ومعه السيد محمد أحمـد شيخ ادريس لإرســال برقية للحكمدار معلناً مهديته .



١ – جهاد فى سبيل الله ص ١٠


معركة أبا

(أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير)
قرآن كريم – الحج – آية ٣٩

فرغ الرجل من صلاة التراويح في مساء الجمعة السادس عشر من رمضان ١٢٩٨ هـ – ١٢ أغسطس ١٨٨١ م – والتفت الى خمسة رجال كانوا ينتظرونه على عجل . هؤلاء الرجال من صناع المراكب بالفاشاشويه هم : مصطفى سليمان ، عبد الرحمن حامد ، عثمان صالح بخيت ، عثمان حاج شرفي ومحمد حاج شرفي .

تقدم الرجال نحوه وحادثوه فترة ، ثم نهض ودعا من صلى معه الى تقسيم أنفسهم . لم ينتظر التقسيم وإنما هرع الى داخل المسجد وخرج بعد فترة قصيرة يحمل خمس رايات كتب عليها (لا اله الا الله محمد رسول الله) وكانت كل واحدة تحمل اسم ولى ، وهم الشيخ الجيلاني ولى الله ، الشيخ الرفاعي ، الشيخ ابراهيم الدسوقي والشيخ أحمد البدوي . أما الخامسة فلم يكن بها اسم فكتب عليها (محمد المهدى خليفة رسول الله) وكتب في أعلى كل راية (يا الله يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام) . (١)

تم التقسيم لتلك المجموعة التي أتموها باطفال خلوة المسجد لكي يصل العدد ٣١٣ رجلا . ثم وضع على كل عشرة منهم مقدماً . أهم المقدمين كانوا : عمر اللحوى ، عمر السرورابى (٢) ، الشيخ عيسى العباسابى ، الشيخ محمد الضواها ، الشيخ ادريس الشاعر ، الشيخ عبد القادر مدرع ، الشيخ عبد الله العبيسابى ، الشيخ على محمد سعيد الدويحى ، السيد أبا هداية مزمل عم المهدى ، السيد محمد عبد الله أخ المهدى ، عبد الرحمن حاج على ، عبد الرحمن محمود ، الشيخ ضوء الدين زلفى ، الشيخ موسى الحلو ، عبد الله أبا سوار ، محمد بلال ،

---

١ – جهاد في سبيل الله ص ١٤ .
٢ – عمر عبد المحمود السروراني .

الشيخ آدم الإعيسر ، محمـد المدنى ابن عمه ، أمين من أقـارب الأعيسر ، وبابكـر عامـر . (١)

هـذا الرجـل الذى شكل فى تلك اللحظات أول قـوة ضاربة فى تاريخ السودان الحديث ، مربوع القامة ولم يصل الأربعين . إنه حاد النظر ، مثقف الشفتين ، مستدير الحاجبين ، واسع الجبين ، واسع الصدر والمنكبين ، ضخم العظـام ، جيـد البـدن لا يشكو من طـول ولا قصر ، ما نظر الى أحـد الا وسبقته ابتسامة بيضـاء فلجاء ناصعة اليه . يمشى على الأرض هـوناً ومنخفض الصوت واضحه .

أبو السـعود وجيش الحكمـدارية

نزلت فى تلك اللحظـات قـوة تتكون من ٦٥٠/٨٥٠ جنـدياً تحمـل بنادق الرمنقتون الشهيرة . وكانت قـد وصلت القـوة هـذه راكبة النهر بمساعدة أبى قرجة والشيخ فضلو مـن قرية أم غنيم كمـا كان معهم أيضاً زيادة عبد الله ومحمد أبو شوك كأدلاء وهما مـن قرية الفشاشوية .

نزلت القـوة جنـوب الجزيرة الهادئة ناوية ضرب جماعة شيخها والقبض عليه حيـاً أو ميتـاً ، وفى ذلك خـير كثـير لقـائدها أبى السعود العقاد الذى إذا نجـح فى مهمته نال ترقية من الحكمدار ورضواناً من خديو مصر ، وحقـق إنتقاماً أقضه منذ أن كـان مـع شيخ الجزيرة وتبـول فى ملابسه .

هناك شىء أهم من كـل هـذا فأبو السعود ــ حسب رأى غـردون أكـبر لص عرفه (٢) . فعندما كان غـردون يعمل حاكماً بالإستوائية وجـد أبا السعود فى سجن الخرطوم متهماً بالقتل . أخرجه من السجن وعينه مساعدا له . حجة غـردون هى أن محـاربة النخاسـين اللصوص افضلها التى يقـوم بهـا لص . إن أبا السعود كان مـن أكـبر النخاسـين المصريين فى تاريخ البـلاد . أعجب غـردون بعمله وبتقاريره التى

١ ــ اوراق السيد على المهدى ــ دار الوثائق المركزية ــ الخرطوم .

٢ ــ غردون الخرطوم ــ تيرن بول ص ٥٠

كان يراسله بهـا مـن الاماكن التى يرسله إليها . استمر هذا الى أن ضبطه يملأ جيوبه من أمـوال غـير شرعية بسرقة سـن الفيل الذى يصادره مـن التجار تنفيذاً لقـرار الحكومة بأحتكار تجـارة سـن الفيـل .

إن ابا السعود بعـد معركة الجـزيرة سوف يستطيع سرقة كـل شىء بهـا .

كان يقـود المجموعة الغازية الصاغ إبراهيم أفنـدى فى المقدمة .

المعركـــة

رأى الصاغ الرايات يحركها نسيم الجـزيرة فى تلك الليلة التى تكسرت سماؤها مطـراً . أسرع الصاغ الى قائـده فى المؤخرة يخـبره بهـا . رد القائـد أبو السعود عليه ... دعك منها أنهـا رايات قبورهم . تقدم الصاغ بقوته خطوات فرأى الرايات مرة ثانية غـير مستقرة . إن واحـدة منها تحركت – كانت تلك راية محمد عبد الله تحركت لتواجـه ميمنة الجيش الغازى – فجرى الصاغ الى قائـده قائلا ، إن رايات القبور تتحرك ... رد عليه .. حسناً اضرب .

أصيب الصاغ بدوار ظهر فى تعثره عند رجوعه الى مركـز قيادته ، فقد سقط مرتـين فلعن الطين الذى يسير عليه .

عـاد الى مركـز قيادته وأراد إختبار رد الفعـل . صرخ بأعلى صوته (الله أكبر عليكم يا عرب يا بقارة يا عصاه ، نصر الله العزيز عليكم) . انفعل يوسف العشا من جيش الجـزيرة ورد عليه دون تصريح مـن قائـده وأيضاً بأعـلى صوته : (نحن لسنا بعصاة وإنما أنتم العاصون ، الله أكبر عليكم أنتم ونصر الله العزيز عليكم ، فالخرطوم بعيـده عليكم اليـوم) – . البقية كانوا سـكوتاً تمـاماً .

الصوت مـن رجـل واحـد . . . فالعـدد آحـاد . . . أمـر جميع قـواته التى بركت بضرب الرمنقتون . . . إنه لن يبق بالجزيرة دياراً . مئات مـن الطلقات بدأت

تشق الهـواء الرقيق المشبع بذرات الماء العلق بـه . العـرق يتقطر من جسده وأجساد جنوده رغم إعتدال الهواء . إن عددهم كمـا ظهر لـه قليل وسيهزمهم هزيمة نكراء . تدر عليه الترقيات .

أفـراد جيش الجزيرة قـرأوا ما أوصاهم به شيخهم سراً ثلاث مـرات وهـو (اللهم ربنا وربهم ، نواصينا ونواصيهم بيدك وإنمـا تقتلهم أنت) وترجل الشيخ من الفرس الوحيـد الذى كان هناك .

كـبر الأنصار الثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا وطفلا تكبيرة . كمـا قال السيد على المهدى الذى جمع أقوال من حضروا المعركة ، هـزت الأرض وهجموا عليهم حملة رجـل واحـد فهرب الجنـود حتى دخـلوا محـل السيد طـه (على النهر) فأرسل المهـدى يأمـر الأنصار بالرجوع وكان الوقت ما يزال ليـلا .

على طـول الوقت الذى أخـذه الجنود جرياً استمتع الأنصار بضرب قفاهم مدة سبع دقائق كاملة . سيوفهم جـزت الرؤوس جـزاً ، وأطاحت بهامات ملئت بروث سنى الحكم التركى المصرى النتن الذى زكم أنوف التاريخ .

إنتهت الدقائق السبع الحاسمة وبناء على أمـر الشيخ عاد الأنصار ما عـدا مجموعة صغـيرة من حملة السلاح النارى على رأسهم محمد عبد القادر وعبد الرحمن محمـود تابعـوا أحادهم الذين لم يتمكنوا من الوصول الى الوابور الذى كان يقف بالقرب من مكان عمـل السيد طه لصناعة المراكب .

أمـر الشيخ بجمع أسلحة الجيش المباد وأسراهم التسعة . صلى المهـدى بقومه صلاة الصبح خـوفاً على دفعتين ثم ضربت النقارة فتجمعوا حـولها . ودخـل الشيخ خلوته ليغسل جـرحاً أصابه فى منكبه . ومن بعيد كانت حـور الجزيرة أبا كقناديل شيخهن يضئن الليـل ، يزغـردن ليملأن أسماع الرجـال حول النقارة . على الشاطئ القائـد الهـارب يلقى بدانات مدفعه على الجـزيرة وهو بعيـد بعيـد فى منتصف النهر الساخر .

خطـــة المعـــركة

إن الزمن الذى كان متاحاً للإمـام المهـــدى لكى يشكل فيه خطته كان محـدوداً ورغم ذلك كانت الخطة فعـالة وناجحة . شكل أبو السعود قـوته فى شكل مربعين وشكل الأنصار قوتهم فى أربعة محـاور قامت بهجوم واحد . المحـاور الإربعة غطت واجهة المربعـين وكانت تتكون مـن قـوات دغيم فى الناحية الجنوبية ، الى يمينهـا قـوات مهله ود محمد والى يسارها الحسنات وفى أقصى اليسار أهل الإمـام المهـدى وبعض أهـل أواسط السودان الذين أقاموا معه فى الجزيرة أبـا .

الحصـــاد

إن أرض المعركة قـد ساعدت كثيراً على العـدد الضخم الذى لقى حتفه من قـوات الحكومة . فالأرض الطينية فى الجزيرة كانت عبارة عن ميـدان وحل كبير بسبب الأمطـار الغـزيرة التى ضربت الجزيـرة فى النهار الفائت فمنع الطين إسراع القوات فى الهرب الى الباخرة . إن العدد الذى إستطاع أن يصل الى تلك الباخرة كان يعـد عـلى أصـابع اليـد .

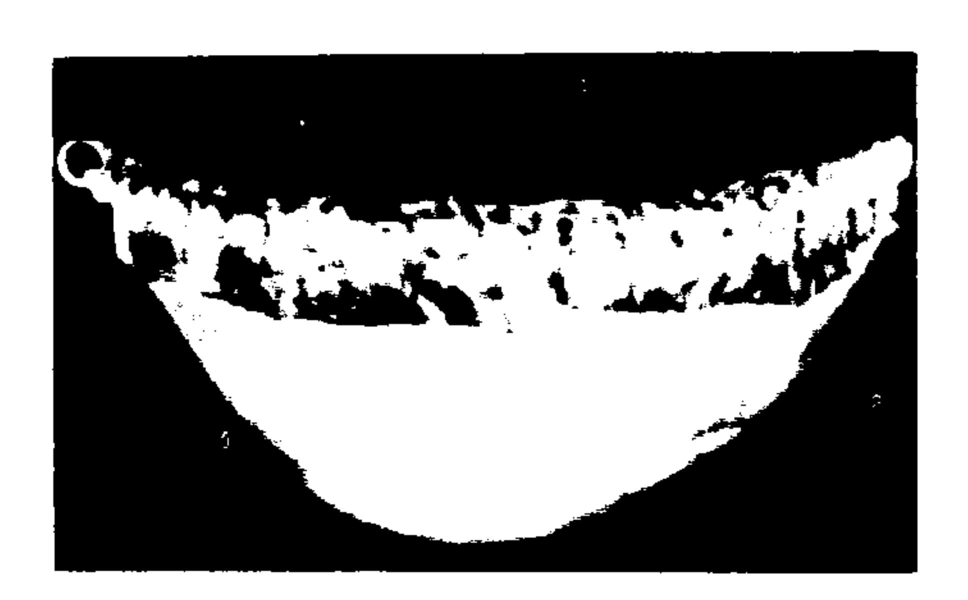
أما شهداء السودان الحـديث الأوائل فقد بلغ عـددهم أثنى عشر شهيداً دفنوا فى غـار المسجد الذى كان يتعبد فيه الإمـام المهـدى . فبعـد الصلاة عليهم دفنـوا بملابسهم التى استشهدوا بهـا .

قائمـــة الشـــهداء الســـابقين

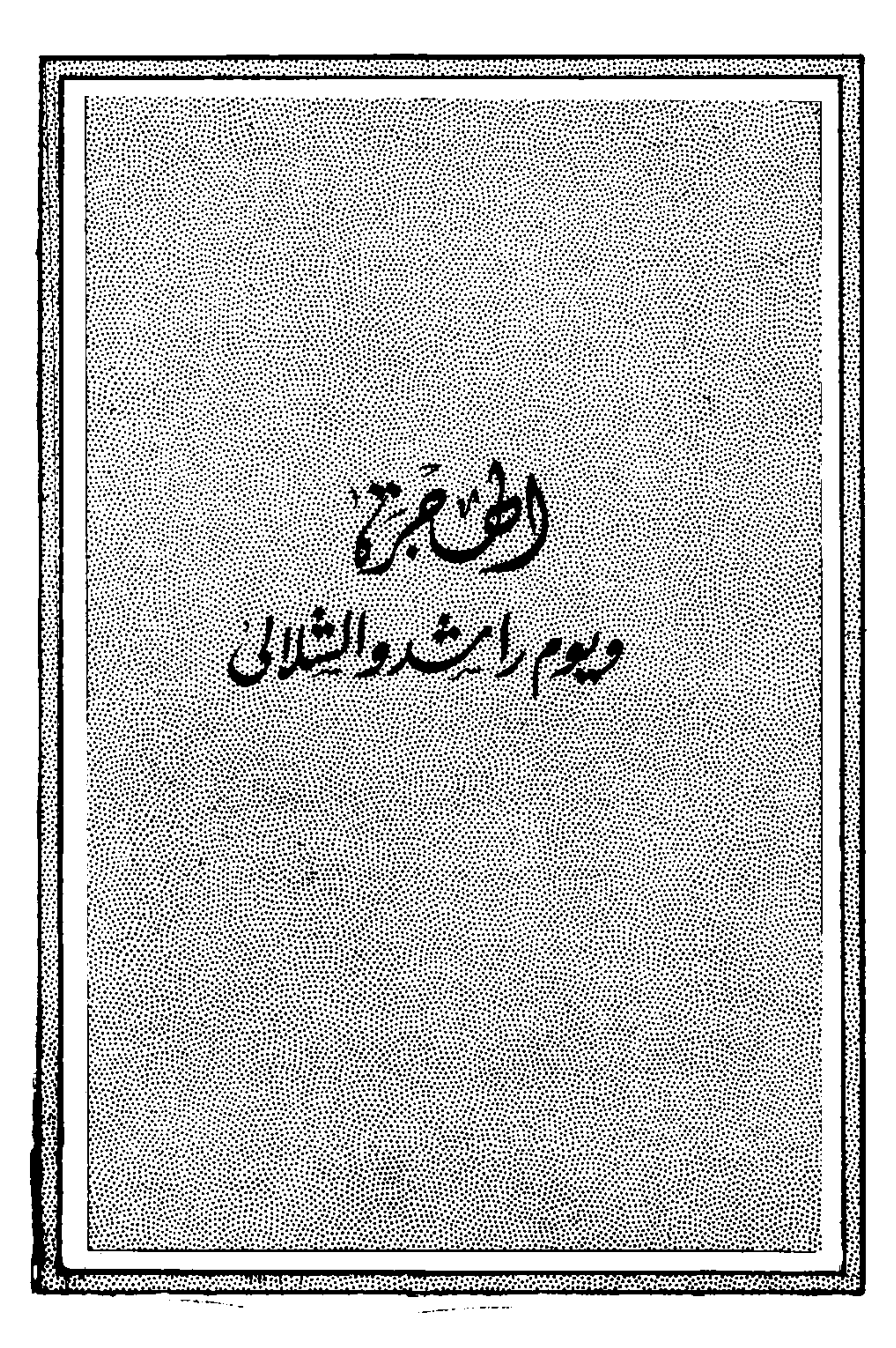
مـن قبيلة كنـانة استشهد :

محمـد الضـواها
عـلى نافـع
محمـد ود عـلى
عـلى عبـد الله

علـــى شـــاع الدين
البشـــير محمـــد
أيضاً جرح ثلاثه وماتوا من جراحهم بعيداً عن ميدان المعركة وهم :
ابراهيـــم عـــلى
بلـــه محمـــد
آدم البغـــدادى
من الساكنين مع الإمام المهـــدى واستشهدوا فى أرض المعركة :
الحـــاج جمـــت
عيسى بابكـــر
من قبيلة العمارنه جرح واحد واستشهد بعد عدة أيام وهـــو :
محمـــد ود بلـــه . (١)



١ — سعادة المستهدى بسيرة الامام المهدى ص ١٣٢ .


الهجرة
ويوم راشد والشلالى

(وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق وأجعل لى من لدنك سلطاناً نصيرا) قرآن كريم – الإسراء – آية ٨٠

عندما أشرقت الشمس المتثاقلة على حقول الجزيرة أبا الخضراء كان الإمام المهدى قد أخبر قومه بالهجرة الى جبل قدير . اجتمعوا نساء ورجالا وأطفالا أمام مكان معروف بتلك الجزيرة النيلية يدعى (مهد النمر) . مكثوا هناك ثلاثة أيام الى أن تكاملت كنانة التى كانت ترعى أبقارها . الحسنات جاءت مع ود مدرع . ودغيم أتت بعائلاتها .

فى يوم الإثنين الخامس عشر من أغسطس ١٨٨١ م – ١٩ رمضان ١٢٩٨هـ – تحركت المجموعة الى دار هجرتها عابرة النهر عند مشرع الطويلة بالجزيرة أبا . واصلوا سيرهم الى طليح بنهان فاغسل ومظلول وجماسى وأم دقن والمقارين ، وقوز المبيل ، وأم لفحة ، وأم شمال . وأم قدور . وقردوت الجلت . ودردمي بيوت وأب صباغة وأم قفرى وأم شبيل بدار الأحامدة حيث لقى ترحيباً وإجلالا . وفى ساقه الأخيرة وصل الى الغوال فجبل فيو . إرتحل مرة أخرى الى منهل أب رجلين بجهات أم طلحة بأرض تقلى حيث أتته الوفود مؤيدة . وقد وصله هناك يعقوب بن محمد (أخ عبد الله محمد . الخليفة فيما بعد) . ومعه جماعة من أقاربه . بعد أن بايع من أتوا اليه تقدم الى نهر الزمزمية بتقلى ثم الى جبل الكمر .

أرسل الإمام المهدى بعض طلائعه – القرشى أحمد الكنانى . محمد ود أحمد ومحمد علوان من دغيم لمعرفة أخبار حاكم كردفان محمد سعيد (جراب الفول) الذى ذهب الى الجزيرة أبا فلم يجد المهدى فأحرق منازلها وتابع خط سير المهاجرين عله يظفر بهم . ولكن ما كاد يصل الى أبى شديرة ويسمع بالقوة الفعلية التى تجمعت لدى المهدى حتى توقف .

عندما سمع الإمام المهدى بما حدث للجزيرة وتعقب محمد سعيد له إتجه نحوه ولكن عندما عرف حاكم كردفان أن المهدى متوجه للقائه وأنه وصل الى أم وتد ، هرب راجعاً الى الأبيض حيث أحسن استحكامها .

رجع المهدى مرة أخرى الى جبل الكمر ثم جبل كسرن بنفس المنطقة . من هناك كاتب الشيوخ ودعاهم الى ثورته . كاتب على حمد الكنانى والمختار الزبير الكنانى وأخيراً الملك ناصر ملك جبل قدير . أيد اثنان دعوته من الثلاثة ووقف المختار الزبير الكنانى مناوئاً له بجبل الجرادة . أعاد مكاتبته ولكنه فى النهاية قاتله يوم ٢٤ أكتوبر ١٨٨١ م وقضى عليه . من هناك توجه الى قدير حيث وصلها يوم الإثنين الأول من نوفمبر ١٨٨١ م - ٧ ذى الحجة ١٢٩٨ هـ .



يــــوم راشـــــد

(من المـــؤمنين رجـال صـــدقوا ما عاهـــدوا الله عليه فمنهم مـــن قضى نحبه ومنهم من ينتظر ومـا بدلوا تبديلا) قرآن كريم ـ الأحزاب ـ الآية ٢٣

جزيرة أبـا من الناحية الإدارية كانت تابعة الى مديرية فشودة حينها . راشد أيمن باشا ، مديــر المديرية ، حـز فى نفسه أن يثور رجـــل فى حـــدوه ملكه ثم يتوجه الى جبل قدير مبتعداً عـن سلطانه . استأذن المدير حكمدار السودان فى السير اليه فى جبال تقلى والقضاء عليه . ولكن الحكمدار رؤوف باشا لم يسمح له ، فقد كان يفكر فى قـوة أخرى تتقدم لضرب المهدى هناك . راشد أيمـن لم يعجبه القـرار وانتهزها فرصة للقضاء على المهـــدى سريعاً ممـا يكسبه قوة قد تجعل الخديـــو فى مصر يعينه حكمداراً بدل هذا الحكمدار الذى حدثت هـــذه الثورة فى عهـــده وفشل فى شلها فى مهـدها . تقدم المدير بسير سريع حتى وصل جبل فنقر فجمع من فيه وهددهم بأن خـــبر قـدومه لـو بعث به أحد الى المهدى ليعودن ويقضى عليهم جميعاً .

مـن هنـاك أرسل هـــذا التركى الشجاع المقـــدام رســـولا الى جبــل كـــاز وجـــاز (الكردفانى ص ١٥١) يحمل نفس التهديد .

ســـمراء الجبـــل (رابحـــة الكنـــانية)

امـــرأة كانت فى ثلاثينيات عمـرها سمراء كجبال تقـلى التى تمشى عليها ، نحيلة متوسطة الطـول ـ لـو حكمنا بســـلالتها ـ دقيقة الاعضاء ، طويلة العنـــق ، نقشت على شفتها السفلى وشماً أخضر به زرقة ، وفى يـدها اليسرى سـوار من العـاج العالى الحافتين وفى وسطه رسم أسود . شعرها قـد فتل فى جدائل رقيقة سقيت بالدهن المشبع بروائح الصندل والمحلب والقرنفل . أخرجت حـــذاءها المتعدد الطبقات الجلدية العالى ، البرتقالى السيور ، ولبست نعلا من جلد السبت ذى الطبقة الواحـدة يربط بسيرين على الساق . ثم لفت رداءها عـلى وسطها حتى قدميها . بقى صـــدرها ، لفت عليه قطعة دمـــور أسمر

فغطى نصفه الأيسر . لم تهتم كثيراً فذراعها الأيمن والأيسر به عدة تمائم علقت بسيور حمراء داكنة .

خرجت هذه السمراء فى تلك االليلة البارده ، ليلة الخميس الخامس عشر من محرم ١٢٩٩ هـ - الثامن والعشرين من ديسمبر ١٨٨١ م تريد قطع مسافة طويلة مشياً أو جرياً . خرجت دون أن يشعر بها أحد ، حاول كلب صيد أن يتبعها فأخذت قصبة من الارض وانتهرته ، وظلت هذه القصبة فى يدها ساعات لم ترجعها إلى أرضها التى اخذتها منها .

الليل موحش صامت كتلك الحجارة السوداء الداكنة والتلال الصخرية المبعثرة ، أصوات الحيونات المتوحشة ترددها تلك الجبال العالية .... ولكن لا هذا ولا غيره يخيف اعرابية فى السودان رضعت من وحشة هذه الأرض وجسارة أوتادها .

فى الثلث الأخير من تلك الليلة كانت تقف بأنفاسها المتقطعة أمام المهدى فى معسكره بجبل الملك ناصر المسمى بجبل قدير . وجدت المهدى قائما يصلى . عندما إنتهى من صلاته قالت السيدة اسمى رابحة بنت مرعى الكنانى ، أتيت من بيتى فى جبل كاز جرياً عندما قدم رسول من الترك يقول إن قدوم جيشهم اليك يجب أن يبقى سراً ، وقد توعدوا كل من يفشى سره اليك .

أرسل المهدى على عويضة الكنانى وعلى محمد الدغيمى وعبد الله الرزيقى لإستطلاع الجيش ومكانه وقوته . أرسلهم بعد وصول رابحة فوراً . ولكن تأخير رجوعهم جعله يرسل فى مساء الجمعة السادس عشر من محرم ١٢٩٩ هـ - ٢٩ ديسمبر ١٨٨١ م - ابراهيم الضاوى للإستطلاع ، فتمكن من الوصول الى مكان راشد أيمن بك وتقدير قوته . عند عودته التقى بجنديين من طلائع راشد فقتل منهما واحداً وهرب الثانى . وضع الجندى القتيل فى الطريق لكى يراه الجيش القادم نكاية به . ثم واصل رحلته حاملا أسلاب من قتل وبندقيته والمعلومات المطلوبة الى المهدى . خرج الإمام المهدى برجاله الى خارج القرية ورتب جيشه بأن جعل قبيلة دغيم فى الجانب

الجنوبى ثم قوات اخيه محمد فى القلب ومن الجانب الشمالى قبيلة كنانة ومن معهم .

المعــــركة

عند بداية ظهور ضوء الفجر - السبت التاسع والعشرين من ديسمبر ١٨٨١ م ، وصلت طلائع المهــدى التى أرسلها أولا . فى تلك اللحظات كانت قوات راشــد لازالت داخل غابــة (مراج) الضيقة الطريق .

قــوات راشــد كانت تتكون من سبعمائة جندى نظامى مسلحين بالبنادق والف رجــل من الشلك مــده بهــم رث الشلك .

تحركت القــوات الثائرة لكى تواجه مخــرج الغابة لكى تنقض على عــدوها هناك قبل أن يشكل مربعاً واسع المواجهة تصبح نيرانه خطــيرة على قوات الثورة التى كانت تقــل عــن ثمانمائة رجــل .

خرجت صفوف راشــد الأمامية من الغابة لتجــد نفسها مواجهة بقــوة قتالية شرســة قبل أن يتمكنوا من إعــداد قوتهم فى تشكيل قتالى فعال . لم يجــد راشــد أمامه غــير أن يأمــر مقدمة قواته بإطلاق النار على الثوار . انهال رصاص المقدمة على قــوات الثــورة . قــرأ المهــدى وأنصاره دعــاء الحــرب ثلاث مــرات ثم هتفوا . . . الله أكــبر . . . وفى ثوان كانوا ملتحمين بهــم يحــزون الرؤوس ويكيلون لهم المــوت خــير كيل .

فى دقائق هــربت بعض مجموعاتهم فأوكل الإمام المهــدى فرسانه بمعالجتهم . تبعت الخيــل الهــاربين لتنجــز مالا يستطيع المشاة انجــازه . فالهــارب مــن المــوت يسابق الريــح .

المعركة أمام مدخل الغابة لم تدم بعد ذلك أكــثر من دقائق قليلة .

الحصـــاد

عنـدما إنتهت المعركة الدامية كان قتـلى راشـد الفـاً وخمسمائة قتيل وجـريح ومائــة وعشرة أسير .

بـين القتـلى القائـد وجميع الضباط والمـانى يدعـى (بيرقهوف) أتى معهم كخبير عسـكرى . وكان قـد وصـل أصـلا الى مديرية فشودة كمفتش فى الحـملة ضـد الرقيق . (١)

إن الذين تمكنـوا من الفـرار كانـوا أقـل من المائـة .

شهداء الأنصـــار ثلاثون بينهم محمد الحاج شرفى ومحمد البكيل .

جبـل فنقـر

عندما مـر راشـد بك بجيشه على أهـل جبل فنقـر استقبلوه بالحفاوة ومـدوه بالأبقار وتقدم بعض منهم معه حاملين حرابهـم ودروعهم طمعاً فى النهب وتقرباً من الحكومة ومنعا لقـوة أكبر منهم من إحتلال المنطقة .

رأى الإمـام المهـدى قتلاهم بين الأمـوات فقرر تأمين المنطقة المحيطة بالسير اليهم وقتالهم .

ونظراً لأنـه لم يكن عالمـاً بالقوة التى تقف وراءهم فقـد سار بكل جيشه مسيرة يومين . تلقـاه أهـل الجبل بقيادة ملكهم « تفـرا » فى حـالة إستعداد للحرب . أرسل إنذاره اليهم فطلبوا الأمــان ، فأمنهم وعفا عنهم فأطاعوه الى حين .

---

١ - عشر سنوات اسرا فى معسكر المهدى ص ٩

يـــوم الشـــلالى

(كم مـن فئـة قليلة غلبت فئـة كثـيرة بأذن الله والله مـع الصابرين)
قرآن كريم – البقرة – اية ٢٤٩

حكمدار السودان رؤوف باشـا كتب تقريراً عن الموقف فى السودان لحكومته ورأى أن القـوات المصرية فى السودان لا تستطيع إخماد الثورة المشتعلة فى السودان . مصر التى كان جيشها مشغولا بثورته الداخلية لم يكن فى موضع يمكنه من المساعدة فى إخمـاد الثـورة السودانية . وفى الحقيقة فإن الجيش المصرى بكامله ، كما أظهـرت معاركه فيما بعد مـع الإنجـليز وكـما أظهرت معارك الإنجـليز مـع الثورة السودانية لم يكن قادراً على مواجهة الإمـام المهـدى وإن أراد وسمحت لـه الظروف بذلك .

الذى فعلته مصر بخصوص تقـرير رؤوف باشـا كـان بسيطاً . إستدعت مصر الحكمدار فى مارس ١٨٨٢ م ، وعينت بدلا منه قائـداً سورى الأصل هو عبد القادر حلمى . كانت لعبد القادر حلمى خبرة بالشئون العسكرية بالسودان (١) . بين رحيـل الأول وقـدوم الثانى آلت الأمور فى السودان الى ضابط المانى كان يعمل في خدمة الحكومة المصرية هو جقـلر باشا ، سمحت لـه الحكومة المصرية بحرية التصرف .

جيش الشـلالى

إختار جقلر باشا قوة من حاميات الخرطوم وسنار والأبيض وعين عليها يوسف باشا الشلالى وهـو سودانى من الكنوز ولد فى الخرطوم وأبرز عبقريه عسكرية فى حـربه ضد سليمان الزبير حـين حـربه لـه مـع جمى باشا . وقـد رقى الى رتبة لواء فى عام ١٨٧٩ .

قاد يوسف باشا هـذا الجيش الذى يتكون من ١٣ بلوكاً من العساكر النظامية ،

١ – هولت ص ٦٥ طبعة دار الفكر (المهدية فى السودان) .

والف وخمسمائة رجل من الباشبوزق والخطرية (١) . تكامل هـذا الجيش الضخم فى الجبلين التابعة لمديريـة فشودة .

وصف اسماعيل عبد القادر الكردفانى فى كتابه هـــذا الجيش بأنه (٢) (جيش جرار كثير العــدد ، قــوى المــدد ، شديد البأس ، عظيم المراس ، وفيه من الألآت الحــربية والإستعدادات العسكرية والأمــوال والذخائر وأنـواع الأزواد والملبوسـات والحبوب وغير ذلك ما يكل عنه الوصف ، ويقف دون غايته الطرف) .

إن أسباب منعة هـذا الجيش ترجع الى العقل الألمـاني الذى أعـده .

إن جقـلر لم يبطن جيوبه بأموال إعـداد هذا الجيش بل زوده بكل إحتياجاته ، ووصل فى دقـة إعـداده بتزويـدهم بالإضــافة إلى فـرق الموسيقى العسكرية بألآت العود والكمان والدفوف والمزامير والطبول والخمور .

تحـــرك الشـــلالى

كان الملك آدم أم دبالو يرفـع إلى المهــدى أخبـار جيش الشـلالى أولا بأول ، وقـد أرسل اليه الإمـام المهـدى عثمان زلفى ومحمـد حـاج شرفى وأحمد ناكلـوه والفكى على للإقامة معه وموافاة الإمــام بالاخبار . وعندما وصل الجيش إلى فشودة عـين طـلائع تبقى مع الملك تيفـرا ملك جبل فنقـر ، وكانت مكونة من ادريس محمد الجعـلى عم عبد الرحمن صغير – واللحــوى من جهينة والدود مـولى نقراوى وهــو رزيقاتي وإبراهيم الضاوى وأحمـد الطليعة ومنضلاوى المنسوب إلى نـواى ضيف الله الحازمى .

قبض الشــلالى على أربعة منهم هم : ادريس محمد ، واللحــوى ، والـدود ، ومنضلاوى . وتمكن ابراهيم الضـاوى وأحمد الطليعة من الإفـلات. حاول الشـلالى

---

١ – شقير ص ٦٥٨ .

٢ – · سعادة المستهدى بسيرة الامام المهدى ص ١٥٨ .

إستقاء معلومات عن قـوة المهـدى مـن أسراه فلم يستطيع ، حـاول التقليل مـن شـأن المهـدى أمـام أسراه وجنوده فردوا عليه بأن المهـدى سيقضى عليه فى لمـح البصر . عذبهـم وقتلهم ولكن تأثير صـبرهم وقـوة جأشهم أصابت جيشه بالخـور وحطت من روحـه المعنوية .

عندما كتب الشلالى إلى الإمام المهـدى بأنه قتل طلائعه بتاريخ ٢٢ مايو ١٨٨٢ رد عليه المهـدى بقـوله (وقـد أوذى قبلهم أصحاب الرسول عليه أفضل الصـلاة والسلام بالسجن والضرب والقتل وجميع أنـواع ألاذى كبـلال وحبيب ، فليس لهم إلا الثواب ولابـد أن يجـازيكم الله على ما صنعتم بهـم) (١) .

تحرك جيش الشلالى من (شـق الحجر) متخذاً طريقاً اخر غير الطريق المعهود إلى قدير بقصد تضليل الأنصار وضرب، أهل جبل الجراده وترك جبال تقلى خلفهم . لفـترة قصيرة إعتقد بعض الأنصار أن جيش الشلالى قـد هرب فسالت الدموع على اللحى فقـد ضـاع أجر الجهـاد فى شـأن الله .

نـزل الجيش التركى بالقرب من جبل الجـراده وأرسل مجموعـة للإغـارة على أهل الجبل ، فتبادلوا النيران وقتل من الأتراك إثنان وهرب الباقـون إلى معسكرهم . عند ذلك أمـر الإمـام المهـدى بإرسال مائتى فارس بقيادة محمد مزمل المشهور بأبى هـداية وهـو من أقـارب المهـدى ، ونـواى ضيف الله شيخ الحوازمة وعبد الرحمن محمود لمنـع غـارات الشلالى على أهـل الجبل . صدر هذا الأمـر للقـوة يوم الأحـد العاشر من رجب ١٢٩٩ هـ - ٢٨ مايو ١٨٨٢ م .

اسـتعداد الانصـار

بعد صلاة المغـرب فى ذلك اليوم العاشر من رجب ١٢٩٩ هـ ، الثامن والعشرين مـن مايو ١٨٨٢ م دخل الإمـام المهـدى إلى غرفته وخـرج بعد وقت قصير يحمل

---

١ - منشورات المهدية - دكتور ابوسليم ص ٣١٢

سيفاً ويكـبر . إستدعى أصحاب الرايات . فخـرجت إليه أولا راية قبيلة المناصير فأمـرها بالتوجـه إلى العـدو . وتوالت جميع الرايات ومجموعة الفرسان السـابقة الذكر . فى النهاية أمر قريبه وأحـد أهـل البسالة والإقـدام الأمير محمود عبد القادر بالبقـاء لحراسة المعسكر . ولكن إذا لم يحضر الأتراك حتى الصباح فعليه هـو وأهـل رايته باللحاق بالمهـدى مـدداً . فعـل الإمـام المهـدى ذلك لأنـه كان يتوقـع أن يرسل الشلالى مجموعة من جنوده لمهاجمة معسكر الثوار بعد خروج الرجال منه .

المعـــركة

عندما بدأت خيـوط فجر الإثنين تنسج على منوال الليل خيوطها البيضاء وقف الإمـام المهـدى على المصلاه التى أم عليها قومـه لصلاة الصباح . ورتب جيشه فى شكل محور واحـد حـاد المقدمة . فى رأس المحور السيد حامد أخ الإمام المهدى . ثم نصحهم بالتقـدم إلى معسكر الشلالى وإذا ظهر لهم قرأوا دعـاء الحرب ثلاثاً وهجموا عليه دون إبدال لشكل المحور . تقـدموا فى ذلك الصباح فى همة ونشاط إلى أن بان لهم المعسكر على بعد قريب منهم فقـرأوا الدعـاء وانطلقوا كسهم فـارق يـد راميه بوثبات تكـاد لا تلامس الأرض يهللون ويكبرون بأصوات تصم الأذان .

جيش الشلالى الذى كان عالماً بجميع تحركات الثـوار بدأ فى إطـلاق النار من مدافعه وبنادقه التى فى المقدمة . إطلاق النار زاد من سرعة السبق نحو زريبته . ومـا كادت المقدمة الحـادة تخترق الزريبة حتى نسى كـل انصـارى أنه يمشى عـلى شـوك الزريبـة .

أصيب حـامد بطلق نارى فى ركبته اليمنى . أمسك سـاقه بيده اليسرى والسيف بيده اليمنى وجعل يحجل بساق واحـدة ويقاتل . رياح الجنوب التى كانت تهب بعنف يسرت إندفاعهم إلى داخل الزريبة . ولكن عدم الشعور بـوطأة الشوك لم يكن شعوراً أصاب الأنصـار وحـدهم بل أصاب العـدو أيضـاً . فمـن الناحية الثانية للزريبة إندفـع جيش الشلالى إلى الخـارج غـير آبه بالشوك مفضلا النجـاة فى وديـان تلك

المنطقة . تبعهم الأنصار يزيلون رؤوسهم ويذيقون رماحهم من دواخل أجسادهم

الخطـأ الذى كـاد ان يجهض الثـورة

خطأ واحد كاد أن يقلب النصر إلى هزيمة . سرعة الثوار فى مطاردة الأعـداء كانت أكبر من سرعة مركز القيادة . مركز القيادة الذى كان فى الخلف وداخل الزريبة كان به الإمـام المهـدى وعبد الله التعايشى . عندما خرج الأنصـار فى مطاردتهم للهاربين من الزريبة بما فيهم قائد الجيش وأكثر قادته ، كان مركـز قيـادة الأنصـار هـذا فى وسط الزريبة تمامـاً . قـوات مؤخـرة الزريبة لم تهـرب بل بقيت تمسك بمدفعين وحولهما مجموعة من الطبجية وحملة البنـادق . رأى هؤلاء مركـز القيـادة الأنصـارى فبدأوا إطـلاق النـار عليه . إنهـالت الدانات والرصاص على المركـز وكادت تحـدث الكارثة . ردت القيـادة بعنف وصـبر وجلد ، ودام ذلك أكـثر من ربـع السـاعة . فى نهاية تلك الدقائق ظهرت قـوة الأمير محمود عبد القـادر وكأنما أرسلت من السماء قادمـة من معسكر الأنصـار حسب تعليمات الإمـام المهـدى التى أعطـاها للأمـير . وبالطبع لا أحـد سيراجع الأمـير عبد القادر محمـود فى كيف يتصرف . فقـد كانت ثوان لا تصل إلى دقيقة هى التى إحتاج لها لكى يقف فـوق مدفعيهم ويجز رؤوسهم جزاً . لم يبق فيهم شيئاً يتحرك .

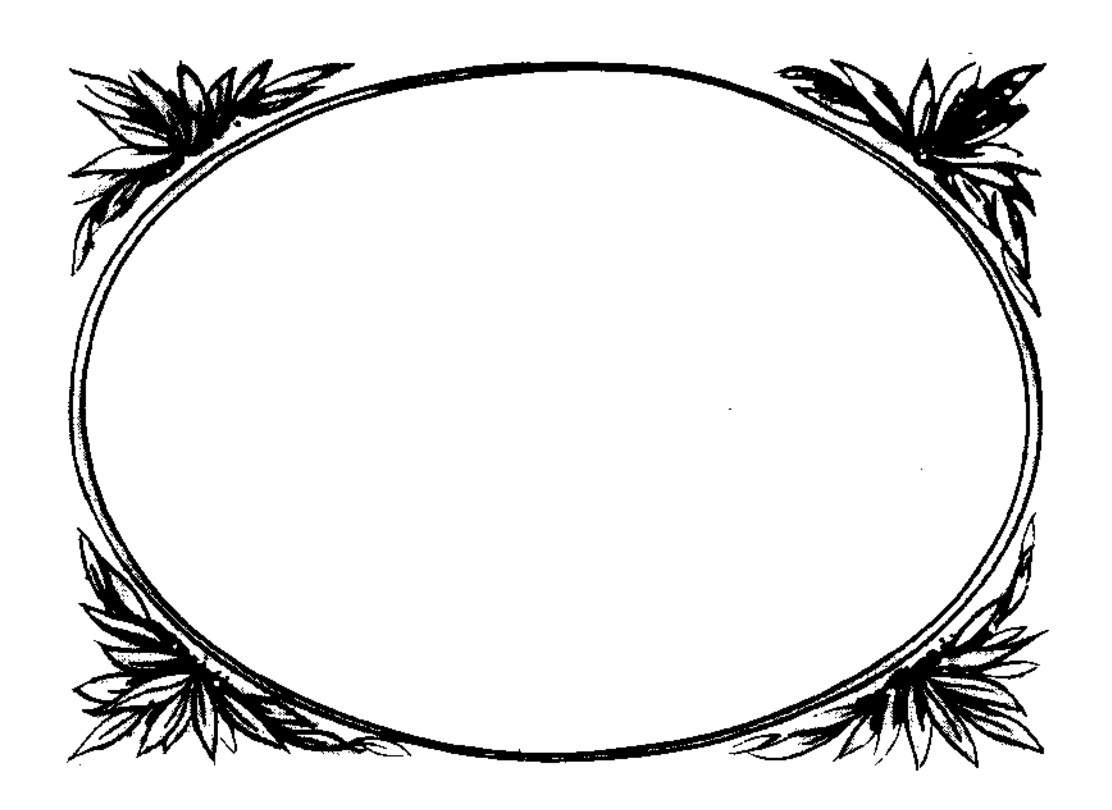
الحصـــاد

فى أرض تلك المعركة وما جـاورها من وديان سقط ما يزيد عن عشرة الآف رجـل من جيش الشلالى . جميع قيـادته قتلت . يوسف الشلالى ، محمـود أفنـدى عبد العزيز ، سليمان أفنـدى الصـاغ ، سليمان أغـا الأرتوزى ، يوسف أغـا السرسوارى ، ومن أعيانهم والموظفين عبد الله محمد دفع الله ، عبد الهادى صبر وطـه الشايقى كلهم قتلوا .

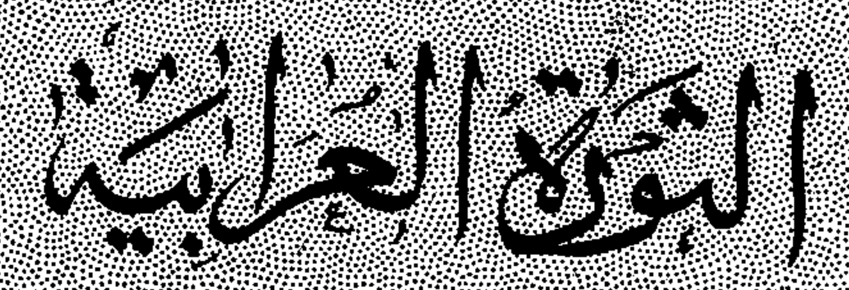
إن عدد الأسرى كان قليلا ، والذى إستطاع النجاة أقل .

الشـــــهداء

شـهداء الثـورة قاربـوا المـائتين . بينهم السيد حامــد أخ المهــدى المحـارب بساق واحــدة ، فقــد إستشهد فى اليوم الثانى للمعركة . استشهد فى داخــل المعركة محمد مزمــل أبـو هــداية . بركات محمد سعيد ، على محمد سعيد ، وهم من السابقين فى صحبة الإمــام المهــدى والضاوى الذى عرف بعبقريته فى أعمال الإستطلاع وقد كان عالمـاً ، قارئاً ذكياً ذا رأى وتدبير ومعرفة بمكائد الحروب (١) .



١ - الكردفانى ص ١٧٦


الثورة العرابية



أحمد عرابي

(خلقنا الله أحـــراراً ولم يخـــلقنا تـراثاً وعقـــاراً)
أحمد عرابى

عهـــد محمـــد عـــلى

إستطاع محمد على الألبانى الجنسية الذى جاء فى حملة أرسلتها الدولة العثمانية لإخـــراج الفرنسيين مـــن مصر ، إستطاع هـــذا الرجـــل القصير الملتحى بكل أساليب الخـــداع والمكـــر فى عـــام ١٨٠٥ م أن يقنـــع علماء الأزهر بمبايعته . وقـــد وصفت مجلة (العروة الوثقى) بقلم المصلح الكبير محمد عبده (ص ١٢) حكم محمد على بعد أن إستطاع فرض سلطته على البلاد بهـذه الكلمات (لم يستطع أن يحيى ولكنه إستطاع أن يميـت . كان معظم الجيش معـه ، وكان صاحب حيلة بالفطـرة ، فأخـــذ يستعين بالجيش عـلى إعـدام كل رأس من خصومه ، ثم يعـــود ثانية بقـــوة الجيش وبحـــزب آخر على مـــن كان معه أولا فيمحقـــه ! وهكذا حتى إذا سحقت الأحـزاب القوية ، وجـه عنايته إلى أصحاب البيوت الرفيعة . فلم يدع رأساً فيه ضمير « أنا » . واتخـذ من المحافظة عـلى الأمـــن سبيلا لجمع السلاح من الأهـــالى حتى فسد بأس الأهـــالى ، وزالت ملكة الشجاعة فيهم ، فلم يبـق فى البـلاد رأساً حتى خلعه مـــن بدنه أو نفـاه إلى السودان فهلك فيه . وأخـذ يرفع الأسافل ويعليهم فى البلاد حتى إنحـط الكـرام وسـاد اللئام ، ولم يبـق فى البـلاد إلا آلات يستعملها فى جباية الأمـــوال . جمـــع العساكر بأية طريقة ، وعـلى أى وجه فمحق بذلك جميع عناصر الحياة الطيبة من رأى وعزيمـــة وإستقلال نفس ، لتصير البلاد المصرية إقطاعاً واحداً له ولأولاده . اشرأبت نفسه لأن يكون ملكاً غير تابـع للسلطان العثمانى ، فجعل من العـــدة لذلك أن يستعين بالأجانب من الأوربيين) .

قـــوات محمـــد عـــلى بالســـودان

فى عام ١٨٢١ م أرسل محمد على هـــذا قـــواته إلى السودان لأسباب أهمها :



الخديــو توفيق

١ ـ الإستيلاء على الذهب في سنار .

٢ ـ القضاء على المماليك الذين إتجهت بقاياهم جنوباً .

٣ ـ التخلص من المرتزقة الذين رفضوا أى تحديث في جيشه ، من المغاربة والأتراك والشراكسة ، والإتيان بجنود سود بدلا منهم من أواسط أفريقيا .

٤ ـ الوصول إلى منابع النيل الذى تعتمد عليه مصر .

٥ ـ توسيع دائرة جبى ضرائبه .

محمد على المعتوه

إن البطش والقتل والتآمر قد أورث محمد على الجنون في أخريات أيامه ورغم هذه الحالة النفسية والعقلية الخطيرة إستمر حاكماً لمصر . عندما مات ورث ضيعة هذا الألبانى على النيل أبناؤه من بعده .

عهد اسماعيل

على عهد اسماعيل غاصت مصر في وحل المرابين الأوربيين الذين لم يهدأ لهم بال قبل تعيين وزيرين في الحكومة المصرية واحد إنجليزى والثانى فرنسى . عملهما كان مراقبة تصرفات الحكومة المصرية المالية .

في ذلك الحين كانت الآراء الثورية التى يبثها جمال الدين الأفغانى تلقى إستجابة بين المتطلعين إلى حكم أفضل ، وإلى طرد التسلط الأوربى على مقومات بلادهم . وعندما فشل جمال الدين فيما هو خائض فيه ـ وقد كان سياسياً عنيفاً ـ إقترح على تلميذه محمد عبده قتل الخديو اسماعيل . وهذا لم يحدث ولكن اسماعيل أجبر على التنازل لصالح إبنه توفيق .

توقعات جمال الدين بأن يجىء إصلاح على يد الخديو توفيق باءت بالفشل . ولكن ثائراً اخر أكثر فعالية بدأ يشرق نجمه في مصر . ذلك هو أحمد عرابى .

عـــــرابى

هـــو أحمد محمد وافى غنيم ابراهيم مقـلد صالح البلاسى (بلاس هى قـرية صغيرة بالعـــراق أتى منها جـده هـــذا) حسين الاصفر بن الإمام على الرضـــا بن الإمـام موسى الكاظم بن الإمـام جعفر الصادق بن الإمـام محمد الباقر بن الإمـام على الزاهر زين العابدين بن الإمـام الحسين السبط بن الإمـام على كرم الله وجهه .

أمــه السيدة فاطمة بنت سليمان زيد وتلتقى مع والده عند ابراهيم مقلد .

ولد أحمد عرابى فى ٣١ مارس ١٨٤١م فى بلدة (هرة رزنه) بمدير ية الشرقية بالقرب مـــن الزقازيق . عائلته البدوية كان والده شيخاً عليها .

بدأ الدراســـة على يد والده الذى توفى سريعاً وهو فى الثامنة من عمره . أخـذه أخـوه الأكبر محمد إلى الأزهر عام ١٨٤٩ م حيث درس هناك أربعة أعوام . حفـــظ القران وتلقى بعض علــوم اللغــة والفقه والتفسير .

عـــرابى فى الجيش

التحق عـــرابى بالجيش فى رتبة نفر ، ثم عين كاتباً برتبة (بلوكأمين) بالأرطة الرابعة من الاى المشاه الأول . وصــل إلى رتبة عقيد فى عام ١٨٦٠ م ، وقـد كانت أكـــبر رتبة أعطيت لمصرى . رقى إلى أميرلاى (عميد) فى عام ١٨٧٩ م فى عهـــد الخديو توفيق . الفارق بين الترقيتين تسعة عشر عاماً وقـــد كان هذا أحـــد الأسباب التى جعلت أحمد عـرابى يشعر بالإجحاف . وفى الحقيقة هـــذا الشعور كـــان يشعر به كل مصرى فى الجيش وغير الجيش .

عـــرابى والسياســة

فى عـام ١٨٨١ م إجتمع عـــرابى بمـن يثـق فيهم من ضباط الجيش المصريين بمنزله وقـرروا إرسـال عريضة إلى مصطفى رياض باشـا رئيس الوزراء (كان يسمى

رئيس النظار) تطالب :

١ ـ طرد ناظر الجهادية (وزير الحربية) الشركسى عثمان رفقى .

٢ ـ تأليف مجلس نواب .

٣ ـ زيادة عدد الجيش إلى ثمانية عشر ألف مقاتل ، حسب الفيرمانات السلطانية .

٤ ـ تعديل القوانين العسكرية المصرية بما يكفل العدل والمساواة بين العسكريين من المصريين والشراكسة والأتراك والأكراد الخ . وقع على العريضة أحمد عرابى ، على فهمى ، وعبد العال حلمى بالنيابة عن الجميع .

طلبوا إلى ديوان الجهادية حيث تمكن خسرو باشا وقوات من الشراكسة من تجريدهم من أسلحتهم بخدعة ثم إقتيادهم إلى السجن .

عندما سمع الضباط المصريون بما حدث قادوا جنودهم وأخرجوهم من السجن .

كون عرابى حزباً فى الجيش أسماه (الحزب الوطنى) .

المواجهة مع الخديو

حتى التاسع من سبتمبر عام ١٨٨١ م لم يستجب الخديو لمطالب العريضة ، فخرجت الايات الجيش المصرى إلى قصر عابدين الذى إحتشد بالمتفرجين من الوطنيين والأجانب ، فى الميدان والبيوت المجاورة والشرفات المقابلة للسراى .

يقول أحمد عرابى فى مذكراته (وأما الخديو فقد نزل من القصر ومشى فى الميدان ومن حواليه المستر كوكسن قنصل إنجلترا فى الإسكندرية والجنرال قولد سميث مراقب الدائرة السنية ونفر من جاويشية المراسلة الخديوية ، حتى إذا ما توسط الساحة طلبنى فتوجهت اليه لأعرض مطالب الأمة ، وكنت راكباً جوادى وسيفى فى يدى ، ومن خلفى نحو الثلاثين ضابطاً . فلما دنوت منه ، صاح بى أن ترجل وأغمد سيفك ، ففعلت ، ثم أقبلت عليه ، وفى تلك اللحظه أشار عليه المستر كوكسن أن يطلق غدارته على . فالتفت اليه وقال : أفلا تنظر إلى من حولنا من العساكر ؟ ثم

صاح بمن خلفى من الضباط أن أغمدوا سيوفكم وعودوا إلى بلوكاتكم (ثكناتهم) فلم يفعلوا . . . وظلوا وقوفاً ودم الوطنية يغلى فى مراجل قلوبهم . . ولما وقفت بين يديه مشيراً بالسلام ، خاطبنى بقوله ما هى أسباب حضورك بالجيش إلى هنا ؟ فأجبته : جئنا يا مولاى لنعرض عليك طلبات الجيش والأمة ، وكلها طلبات عادلة . فقال وما هى هذه الطلبات ؟ فقلت إسقاط الوزارة المستبدة وتأليف مجلس نواب على النسق الأوربى . فقال كل هذه الطلبات لا حق لكم فيها ، وأنا ورثت ملك هذه البلاد عن أبائى وأجدادى وما أنتم إلا عبيد إحساناتنا . . . فقلت له : (لقد خلقنا الله أحراراً ، ولم يخلقنا تراثاً وعقاراً . فوالله الذى لا إله إلا هو ، إننا سوف لا نورث ، ولا نستعبد بعد اليوم) .

رجع الخديو ومن معه ، وعاد المستر كوكسن ومعه مستر كلفن المراقب المالى الإنجليزى مخاطباً أحمد عرابى كرسول من الخديو ، وحاول إقناعهم بالمنطق والتهديد بأنهم لا يمثلون الأمة ، وعليهم بالتفرق . ولكن كل تلك المحاولات فشلت . إن الأسباب التى حملت الجيش على الخروج كانت عميقة عمق الحكم التركى لمصر .

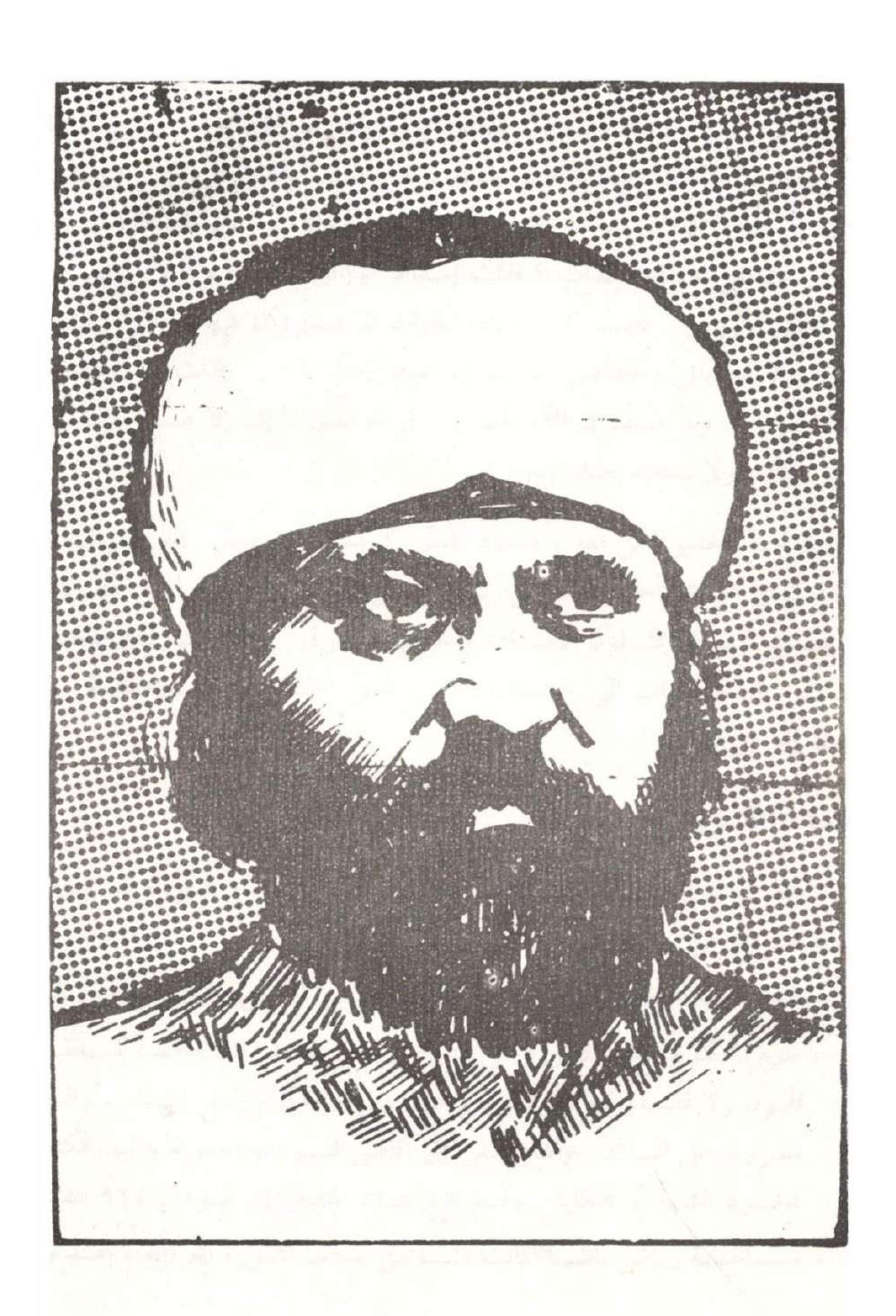
أسباب الثورة

لخص عبد الرحمن الرافعى الأسباب التى أدت إلى قيام الثورة العرابية فى نقاط سبع هى :

١ - تذمر الضباط المصريين من معاملة رؤسائهم من الأرمن والشركس والترك .

٢ - سوء الحكم ورغبة المصريين فى التخلص منه . فقد كان حكماً تسلطياً بلا قانون ولا قضاء . وكان الكرباج هو وسيلة الحكام لجمع المال ، والسخرة مضروبة على البلاد . وكان النفى إلى أقاصى السودان عقوبة يعانيها الكثيرون لمجرد الشبهة أو النكاية . وقد بلغ عدد المنفيين إلى السودان ٩١٢ منفياً .

٣ - سياسة رياض باشا كانت سبباً من أسباب الثورة العرابية ، فقد وقف



جمال الدين الأفغاني

موقفاً عدائياً من مطالب الأمة ، والعمل على إقامة حياة دستورية ، وما لأ الأجانب على حساب المصلحة العامة ، وحارب الرأى وحرية الفكر فى الصحافة ، وقد أمر بمصادرة الصحف والغاء إمتيازها إذا كتبت رأياً يخالف رأى الحكومة .

٤ — قيام حزب وطنى بين صفوف كل العناصر الوطنية . وكان الشيخ محمد عبده وزملاؤه من مدرسة جمال الدين الأفغانى فى مقدمة العاملين فى هذه الحركة

٥ — تدخل الأجانب فى سياسة الدولة وإحتقارهم للمصريين .

٦ — سوء الحالة الإقتصادية ، وسيطرة المرابين وأصحاب الديون على الميزانية العامة وإعتراضهم على كل مشروع يعود بالخير على الأمة .

٧ — الثورة التى أججها جمال الدين الأفغانى أثناء إقامته فى القاهرة هزت الشعب المصرى من أعماقه ليثور على هذه الأوضاع الجائرة ، كما كان إخراجه من مصر سبباً قوياً فى التذمر . فجمال الدين العالم السياسى الذى جاء إلى مصر عام ١٢٨٦ هـ جمع حوله مجموعة هائلة من المتعلمين وغيرهم وجعل يخاطبهم بأنهم : (إنكم معاشر المصريين قد نشأتم فى الإستعباد وربيتم فى حجر الإستبداد ، وتوالت عليكم قرون منذ ملوك الرعاة حتى اليوم وأنتم تحملون عبء نير الفاتحين ، وتعنون لوطأة الغزاة الظالمين ، تسومكم حكوماتكم الحيف والجور ، وتنزل بكم الخسف والذل وأنتم صابرون . بل راضون . وتستنزف قوام حياتكم التى تجمعت مما يتحلب من جباهكم بالعصا والمقرعة والسوط وأنتم صامتون) . وعندما بدأ زلزال أفكاره يؤثر على أسس الحكم فى مصر ، قبض على جمال الدين وخادمه ليلا وهو راجع إلى منزله ، ووضع بالحراسة حيث أخذته عربة مقفلة فى اليوم الثانى إلى محطة السكة الحديد ومنها إلى السويس حيث وضع فى سفينة متجهة إلى بومبى بعد أخذ ثلاثة جنيهات عثمانية وبعض قروش كانت فى جيبه منه . وبذلك يكون قد قضى بمصر ثمانية أعوام بين مارس ١٨٧١ م وأغسطس ١٨٧٩ م ، بذر فيها نبت

الشعور بالوطنية وحـق الأرض .

الحالة الاقتصـادية والسياسية ببريطانيا

في بريطانيا التقدم الصناعي الذي ساعد كثيرا في رفـع المستويات المعيشية بـدأ يتعرض لخطر داهم من التطور الصناعي الذي حدث في بقية دول أوربا فخبرة صناعة الأجهزة الرأسمالية – الماكينات المنتجة – أصبحت شـيئاً مشـاعاً . لذلك أصبح مـن المهم لتأمـين إستمرار المصانـع القائمـة فيها ، ضمان مناطق إنتـاج المـواد الخـام وضمان أسواق تشتّرى الإنتاج . صحيح أن قلادستون لكى يكسب الإنتخابات لحزبه كـان عليه أن يلقى إثنـين وعشرين خطبة في صـالات مقفلة وكاشفة مطمئناً بريطانيا بأشياء عدة منها أن أبنـاءها لـن يرسلوا للموت من أجـل الإستيلاء على مستعمرات . ولاشـك أن كسب إنتخـابات في بريطانيا عـام ١٨٧٩ م كان يحتـاج إلى هندسـة سياسية . فالإشـكال لم يكن فقط هزيمـة المحافظين وطـرد رئيس وزرائهم دزرائيلي من (١٠ داوننق سترّيت) ولكن داخـل حـزب الأحـرار كان على شـفا حفـرة من الإنقسام بين اليمينيين (ويقـز) واليساريين (الراديكالز) . وحتى زعامة الحـزب ففيها إشكال . قلادستون الذي قضى في العمل العـام إثنين وأربعين عاماً لم يكن هناك مـن يتوقـع عـودته ، بل أهم مـن لا يريـد عـودته الملكة فكتوريا التي كانت تـراه (نصف مجنون ، نارى النوعية وسريعاً يحطم كل شـيىء ويصبح دكتاتوراً) .

هندس قلادستون الإنتخابات بدقـة متناهية وفـاز حزبه (الأحرار) بثلاثمائة وثلاثة وخمسين مقعـداً ، في مقابل مائتين وثمانية وخمسين مقعداً للمحافظين ، وواحد وستين مقعداً للوطنيين الأيرلنديين . ولكى يمنـع الأنشقاق في حـزبه انهى الخـلاف بين لورد هارتنقتون وابن عمه لورد قرانفيل في زعامـة الحـزب . وقف امام عـدوه الأكـبر فكتوريا بوجهه الطويل المـليىء بلحية وشعر يغطى ما تبقى من وجهه ، معلناً أنـه سوف يشكل الحكـومة القـادمـة .

قلادستون في بدايـة حكمه كان عليه أن يواجـه الحاجـة الماسـة للصناعـة

البريطانية . مصر ثمـرتها بـدأت فى النضوج بعد أن كبلت بالديوان وتمكنت بريطانيا وفرنســا من التدخل فى أدق شئونها .

الخــديو يقبل مطالــب الثــورة

فى مصر قبـل الخديو المطالب التى تقـدم بهـا الجيش بالتدريج ، حيث عـين شريف باشا رئيساً للوزراء فتعاون مـع الضباط ، وعـين محمود سامى البارودى وزيراً للحربية ومصطفى باشا وزيراً للخارجية . وفى الرابـع من أكتوبر رفـع شريف باشا تقريراً إلى الخديو لتأليف مجلس نواب فوافق عليه .

فرنســا وبريطانيا تتآمــران

إتفقت بريطانيا وفرنسا عـلى إستغلال الموقف فى مصر باثارة المشاعر المصرية ضــد الخديو وبالتالى الأجانب ، ممــا يعطى الدولتين ذريعة للتدخل . وعلى مـا يظهر فإن الإتفـاق لم يكن مفصلا . فبريطانيا ترمى إلى إحتــلال دائم لمصر ومـا يتبـع ذلك من إحتلال للسودان ، فى حـين أن فرنسا كانت ترى التلويح بالقوة دون الدخول فى مجـازفة إحتـلال . إن مشاكل الإحتـلال الذى قـام بـه نابليون لمصر قبل عقود ثمانية لم تنسه فرنسا بعـد . كمـا أن إحتــلالها لمصر مــع بريطانيا قـد يعقــد موقف فرنسا فى المغــرب .

أصـدرت فرنسا وبريطانيا بيانـاً أيـدتا فيه الخـديو وأدانتا الثورة العرابية . هــذا البيـــان قـــد أدى المقصــود منـه فـوراً ، وهــو زيادة التأييد الشعبى للثـورة والنقمة عــلى الخــديو توفيــق .

نـزاع على الميزانيـة أدى إلى استقالة شريف باشـا . فخلفتها حكومـــة محمــود سامى البارودى التى جاء فيها أحمد عرابى وزيراً للحربية فى فبراير ١٨٨٢ م .

قامت مجموعة من الضباط الشراكسة بالجيش بمحــاولة لإغتيال أحمد عــرابى ولكن المحاولة باءت بالفشل . تم القبض على أربعين منهم ، وبعــد محاكمتهم صــدر

الحكم بنفيهم إلى السـودان .

الصحف البريطانية جـاء دورها فى إعـداد الشعب الإنجليزى لتصوير الموقف فى مصر بأنه ضـد الأجـانب والمصالح البريطانية الحيوية . جميع الصحف البريطانية حينها كانت تنتمى إلى معسكرين لا خلاف بينهما . فهناك الصحف التى تعمل بأموال رجـال الصناعـة ، وهـؤلاء لسهولة تحريكهم يتركون أمـر التحريك فى يد مجلس الوزراء . هـذه مثـل (البـول مـول) . وهناك صحف المعسكر الثانى التى تجـرى لنفس الأهـداف ولكن بطـريقه مباشره مثـل (التايمـز) التى كانت تملكها عائلة (روتشايلد) التى أدانت بنوكها مصر أمـوالا طائلة ، وإن أى موقف وطنى فى مصر يرفض التسلط الإقتصادى الأوربى سيعنى بالضرورة ضياع أمـوالهم .

أتمـت الصحف البريطـانية مهمتها فـى إعـداد الشـعب البريطـانى لتحمـل صـدمة الهـجوم .

أوعـز القنصل البريطانى فى مصر (مالت) إلى الخـديو توفيـق بأن يسـتنجد ببريطـانيا ، ففعـل . حينهـا تقـدم الأسـطول البريطـانى والفرنسى إلى مواجهـة الساحل السكندرى .

غـزو مصـر

فى الخامس والعشرين من مايو ١٨٨٢ م دخـل الأسطولان إلى الميـاه الإقليمية المصرية ، وقدمت الدولتـان إنـذاراً تطلبان فيـه :

١ — سـقوط الوزارة .
٢ — خروج عرابى من مصر ، ونفى عبد العال حلمى وعلى فهمى إلى الارياف .
٣ — يسرح الجيش المصرى مـا عـدا مجموعة لحمايـة الحـدود الجنوبية .

تـلا ذلك إستقالـة الحكومة ، التى قبلهـا الخـديو بإبتهاج ، ثم قبـل الإنـذار الإنجـليزى الفرنسى . هبـت ثـورة فى مصر وبـدأ الجيش فى تحصـين

الإسكندرية . إنسحب الأسطول الفرنسى بعد أن تأكد من ان بريطانيا تقوده إلى عملية إحتلال .

بعد إنذار قدمته بريطانيا إلى مصر فى التاسع من يوليو ، بدأ الإنجليز فى قصف الإسكندرية فى تمام السابعة من صباح الحادى عشر من يوليو ١٨٨٢ م من أسطولهم بقيادة (بيوشامب سيمور) . إنضم الخديو إلى الجيش الغازى وعزل عرابى وغيره من الضباط الثائرين .

إستمر القصف إلى الخامسة مساءاً حين تم إسكات جميع البطاريات المصرية التى إستطاعت خلال اليوم أن تصيب الأسطول البريطانى بخمسة وسبعين قذيفة .

الإسكندرية فى اليوم الثانى كانت مسرح نهب وسرقات وفوضى . وفى اليوم الثالث عشر من الشهر نزلت قوة بريطانية لإحتلال المدينة .

فى منتصف أغسطس ١٨٨٢ م نزل الساحل سير قارنت وولسلى وخلفه عشرون الف بريطانى .

المعارك

حارب الإنجليز الجيش المصرى فى أبى قير يوم ٢٦ يوليو ١٨٨٢ م ، وقبلها إحتلوا السويس والإسماعيلية فى يومى ٢١-٢٢ يوليو . إحتلوا الترعة الخضراء ثم كفر الدوار وفى ٢٤ أغسطس معركة المحسمة . إستمرت المعركة فى المحسمة يومين . فى النهاية تراجع الجيش المصرى إلى التل الكبير .

فى ٢٨ اغسطس حدثت معركة القصاصين الأولى وفى الثامن من سبتمبر حدثت معركة القصاصين الثانية .

المعركة الأخيرة يوم الأربعاء ١٣ سبتمبر ١٨٨٢ م بالتل الكبير على الضفة الكبرى لترعة الإسماعيلية بين الصالحية والقصاصين . هذا التل إرتفاعه لا يزيد

عن ثلاثة أمتـار من خــط السكه حـديد . الجيش المصرى كان مؤلفاً من ٢٤ سرية مشاه ، ٣ آلايات مـن الفرسان ، وستة الآف من البـدو ، وبين ٦٠ – ٧٠ مدفعاً . بالإضافة الى كتيبتين من الالاى المرابط فى مريوط . كلها وصلت الى ميدان المعركة قبـل يـوم واحـد من القتال ، بقيادة على باشـا الروبى قائـد موقع مريوط ، وكان قد إستدعاه عرابى ليقود الجيش بعد إصابة القائد العام للجيش الفريق راشد باشاحسى فى واقعة القصاصين الثانية .

الجيش البريطانى فى التـل الكبير كـان يتكـون من أحـد عشر الف مقاتل من الفرسان والمشاه مـع مجموعة مدافـع من مختلف العيارات .

معركــة التــل الكبــير

قطــع وولسلى المسافة بين القصاصين والتـل الكبير (١٥ كيلو متراً) فى سرية كاملة وسرعة عالية . لم يقابل فى الطريق غير طليعة خياله واحده بدأت تتقهقر أمامه دون أشتباك معه الى ان وصل الى مسافة مائة وخمسين مترا من المصريين دون ان يعلموا به .

الساعة حينها كانت الخامسة صبـاحاً من يـوم الأربعـاء الثالث عشر من سبتمبر ١٨٨٢ م . إتخــذ الإنجـليز تشكيلا نصف دائرى طوقـوا بـه الجيش المصرى وبدأوا فى ضرب إستحكاماته . وبسرعة سـقط خــط الدفــاع الأول دون أن يتمكن مــن إستعمال سلاحه وإنقض الإنجليز على الخط الثانى الذى إنهـار سريعاً . قضـوا على كل من صادفـوه فى الخنادق . إحتلت فى نفس الوقت قـوة بقيادة الجـنرال (دروري) محطة التــل الكبير فى ميسرة الجيش المصرى .

يقــول عــرابى فى مذكراته (إن معظم المقاتلين المصريين ركنـوا إلى الفــرار فى القتــال دون أن يقاتلوا ودون أن نتمكن من ردهـم الى سـاحة المعركة ، إذ القــوا بأنفسهم فى الترعة وسبحوا إلى البر الغربى) . ويقــول عبد الرحمن الرافعى فى كتابه (الزعيم أحمد عــرابى) (إن من بقى فى ساحة القتال من المصريين لم يزد عن ثلاثة الاف مقاتل . أما الباقون فقــد تولاهم الذعر فألقوا بأسلحتهم ولاذوا بالفرار)

طبيب أحمد عرابى دكتور مصطفى بك الذى كان مع عرابى فى التل الكبير قال (كتاب بلنت يوميات ١٨٨٤/١٠/٢٨) (كان عرابى نائماً فى خيمته عندما سمع الرصاص . وفى الحال هرب الجنود ومعهم البدو . إستل عرابى سيفه وحاول جمعهم ، طالباً منهم المحاربة من أجل بلدهم ودينهم ، ولكنهم صرخوا فيه . . . يا ابن الكلب ، لماذا نقتل أنفسنا من أجلك أنت ؟ البدو اطلقوا النار عليه) .

خسائر المصريين كانت بين ١٥٠٠ – ٢٠٠٠ قتيل ، وخسائر الإنجليز ٥٧ قتيلا بينهم ٩ ضباط ، ٤٠٢ جريح بينهم ٢٧ ضابطاً . غنم الإنجليز جميع مدافع الجيش المصرى وذخائره ومؤونته وعتاده .

نظرة المهدية إلى الثورة العرابية

نظرة الثورة المهدية فى السودان إلى الثورة العرابية هى أنها حركة دنيوية . وقد أراد الامام المهدى إقتداء أحمد عرابى بغردون لتقدير الامام المهدى لمواقف أحمد عرابى ضد الخديو والانجليز .



المهدي

يتحرك إلى قلب السودان ومعارك مدن كردفان

بقى المهـدى فى دار هجرته بجبـل قدير بقية شهر رجب وشهر شعبان وخرج فى الثانى عشر من رمضان متـوجهاً إلى جهة غـير معروفة إلى أن وصـل إلى جبـل الجرادة فعرف من معه بأنه متوجه نحـو كردفان . إنـه خـلق المهـدية الذى تطـور سـريعاً . فعندما يأمـر القائد لا يفكر أقـرب الناس إليه فى معـرفة الإتجـاه . وقـد ذكر اسماعيل عبد القادر الكردفانى أن محمد السيد - وهـو المعروف بإسم « الشهيد » وهـو أخ المهـدى . عندما سئل إلى أين أنت ذاهب ؟ قال : والله لا أدرى . (١)

تحـرك الامـام المهـدى إلى السـلخة بقـواته . فجبـل دوقـة ، فقـردوت الحميض ، فأم عدارة وحجر أم لوبة وهناك أفطـر وأمـر الناس بالفطر فافطروا . من هناك مشى ثلاثة أيـام إلى حـلوف فى ظـروف قاسية ومطـر كثيف وأرض صعبة المشى . وزاد قليل . تقـدم إلى سرفاية أم عقـود ثم حجر أم بيج فجبل الكواليب ، فجبل الكدر فحجر الليونة حيث صلى صلاة عيد الفطر هناك .

تحـرك الموكب الثائر من هناك إلى العسيلات (التى كان إسمها العفينات فأبدلهـا المهـدى اسماً جديداً) ثم إلى أم حـلق فالنعقة العاقـر والبركة وكازقيل وأم عـردة حيث أرسل مائتى فارس إلى أهـل الأبيض لإنـذارهـم وإعطائهـم الأمـان إن هم خـرجوا وأتـوا إليه مسلمين .

تحـرير أبى حـراز واسحف والطيارة وبـارة

على طول الطريق كان الامـام المهـدى يتلقى البيعة ويستقبل الأعراب القادمين إليه من كل فـج . وعندما نـزل بكابة أتت إليه القبائل التى شنت الغارات على القـرى التى كان يسكنها الأتراك والمصريون بكردفان وهى أبو حراز وبارة والطيارة واسحف .

حامـد السنجك البديرى إجتمعت عليه الأعـراب وهاجمـوا أبا حـراز وقضـوا

١ - سعادة المستهدى ص ١٨٢ .

عليها فى ٢٠ أبريل ١٨٨٢ م .

مكى اسماعيل منعم وأبو القاسم صالح وأحمد شنبول جمعوا قوة وهاجموا اسحف وقضوا عليها .

المكى المنه اسماعيل – أحد أعيان الجوامعه واحد الذين بايعوا المهدى قبل إعلان المهدية – جمع القبائل المجاورة له وقصد الطياره – ثالث ما يمكن أن تسميه مدن كردفان الصغيرة . بعد أن أنذر أهلها وحذرهم عاقبة المخالفة ، هجم على الأتراك والمصريين الذين بنوا خندقاً – مرتين . فى المرة الثالثة اجتاحتها قواته المكونة من قبيلة الجوامعه وما جاورها ودخلوا الخندق وقتلوا من به فى اليوم السادس من أغسطس عام ١٨٨٢ م . ثم خرج وقضى على النجدة التى جاءت من الأبيض ، وقطع سلك التلغراف الحيوى بين الأبيض والخرطوم .

أحاط الثوار ببارا وهى ثانى مدن كردفان . بعد فشل الهجوم الأول عليها . قائد الحامية سرور أغا قام بتحصينها وحفر خندقاً حولها . استمر الحصار فى بارا واستمر تسرب السكان منها إلى معسكر الثوار . كان بعضهم يتمكن من الهرب ليلا والبعض الآخر يرشى الحراس ، ولكن تظل بقية كبيرة منهم تعانى الجوع والمرض وبطش الجيش التركى المصرى الذى موقفه بالضرورة كان أفضل من ناحية الغذاءات من بقية السكان . الإنتظار كان دائماً بسبب إنتظار مدد لرفع الحصار . عندما إشتد الجوع بأهل بارا أكلوا الكلاب والحمير والجلود واضرموا النار فى بيوت الخندق . فتمكن عدد كبير من السكان من الخروج عند حدوث الاضطراب والخوف من إنفجار الذخيرة .

قدمت من الخرطوم قوة قوامها ثلاثة آلاف جندى بقيادة على أبى كوكة ، أرسلها حكمدار السودان عبد القادر باشا لتعين الأبيض فى دفاعاتها . حينها كان المهدى بالجنزارة محاصراً الأبيض ، فأرسل للقوة القادمة رحمه منوفل الجامعى ، فقابلهم فى الكوبينة على مسافة يوم من بارا ، فقضى عليهم وقتل قائدهم .

قليل منهم استطاع المسرب إلى بارا فوصلوها يوم ١٣ سبتمبر ١٩٨٨٢ م .

الهزيمة كانت ماحقة ، لا على القوات المنهزمة فقط وإنما على الروح المعنوية لكل القوات التركية المصرية بكردفان . فقد كان هناك وهم بينهم بأن عبد القادر باشا ـ نسبة لما لقيه من نجاح فى منطقة الجزيرة القريبة من خطوط إمداده ، بأنه قائد قادر على مواجهة القوات الثائرة .

فى ١٥ يناير ١٩٨٨٢ م تسلم مندوب الإمام المهدى الأمير عبد الرحمن النجومى مدينة بارا من قيادتها التى استسلمت ، وعاملها معاملة كريمة .



هجـــوم الجمعة عــلى الأبيض

التحصــين

عنـدما وصل الإمـام المهــدى إلى كـابا في السادس عشر من شوال ١٢٩٩ هـ وجـد الابيض محصنة تحصيناً قـوياً بخندق داخلى وخارجى . الخندق الخارجى الضخم فى داخله الجنود والأهالى . والخندق الثانى الذى حفـر فى داخل المدينة يضم مكاتب الحكـومة ومنـازل الحكـام وبطاريات مدافـع ودفاعات ببنادق الرمنقتون ، وخلف الخــندق العميق هذا زريبة سميكة من الشوك .

رســولان إلى حــاكم الأبيض

طلب الإمـام المهــدى من أصحابه أن يتقدم منهم متبرعان لأخـذ خطاب إلى سلطة الأبيض . تقـدم جابر جـلى ومحمد المغـربى وقالا له (نحـن يـا خليفة رسول الله) . فقـال لهما : أترضيا بالمـوت فى سبيل الله ؟ فقـالا لـه : نرضى بالمـوت فى سبيل الله . فـدعـا لهما بخـير وأعطاهما كتابين مـن نسخة واحـدة ، احدهما لمحمد سعيد ومن معه من رؤساء دولته ، وثانيهما لأعيان أهل مدينة الأبيض وعامتهم (١) .

عنـدما وصـل الرسولان إلى داخـل الأبيض أخـذا إلى مكان محمد سـعيد ، « جـراب الفـول » حاكم الأبيض . جمع الحاكم الأهـالى والموظفين وأعيان المدينة وامـر بقـراءة الخطاب . بعدها حـاول أن يكشف مـا يرى أهـل المدينة ، ولكنهم لزمـوا الصمت . فجعل يسائل الرسولين عـن أحـوال المهــدى ومهديته وجيشه ، فكانا يجيبان بثبات قلب وقـوة عـزم وصدق ، كـا هـو الحـال مـع جميع الرسل الذين أرسلتهم المهدية إلى أى مكان . فقـد اختيروا من فصحــاء اللسان أقـوياء البيان والعزيمة .

---

١ – الكردفانى ص ٢٠٣

قتـــل الرســـولين

امـر محمد سعيد بقتل الرسولين . طلبا السماح لهـما بالوضوء والصلاة ركعتين . تم ذلك بسرعة حتى يستشهدا فـوراً ، وتقدما للقتل .

عملية القتل فى حـــد ذاتهـا زادت مـــن القلـــق الذى حدث فى صفـــوف موظفى المدينـــة .

عندما أخـبر المهـدى بما حـدث اعتبر الأمـر أسوة نبوية ، فقد قتل رسل النبى من قبل وترجم عليهما .

انــــذار

انتهى اليـوم ، وفى المساء كان هنـاك ألـف فارس بينهم محمد شقيق المهـــدى يطوفـون حـــول المدينة تحت وابل الرصاص والدانات المنهارة عليهم ، وهم ينادون فى أهـل المدينة ويحـــذرونهم من البقـاء بهـا ويطالبونهم بالتسلل منها إلى صفـــوف المهـــدى . خرجت مجموعات وافـرة من الأهـالى إلى المهـــدى سراً أو عن طـريق رشـــوة الحراس .

امـــر محمد سعيد الأهـالى بـترك التحصين والخنـدق الخـارجى إلى الداخـلى . وقـد تم ذلك بعنت شـديد تعـرض فيه أهـالى المدينة للسلب والنهب والقتـل بواسطة جيش محمد سعيد. استمر الحال كذلك من صباح الخميس إلى مسائه —الرابع والعشرين مـــن شـــوال .

هجـــوم الجمعـــة

صـــدر القـرار بالهجـوم على الأبيض بعـــد صـــلاة صباح الجمعة الثامـــن مـــن سبتمبر ١٨٨٢ م . وقـد تقـــرر أن تدخل راية محمد شقيق المهـــدى من ناحية القبلة . وقـد حـدث ذلك كما دخلت بقية الرايات إلى المدينة من الجهات الباقية . يقال إن

الهجـوم حـدث أصـلا تحت الحـاح من قائدين هما أحمد جباره ومحمد السيد شقيق المهـدى . ومهما قيل فقـد بدأ الهجـوم فعـلا وتقدمت قـوات الثـوار تحمـل السيوف والحـراب والعصى لعـدو محصن خلف خندقين وزريبتين ومزود بالبنادق وبطاريات المدافـع .

عندما أصبحت قـوات الأنصار على بعد مرمى الدانات عملت كل البطاريات فى قصفهم . وعنـدما اقتربوا لمسافة خمسمائة مـتر تقريبـاً بـدأوا ضـربهم ببنادق الرمنقتون . أظلم الجـو تمـاماً . إن الدخـان الذى تنفثه كل قذيفة بعد إطلاقها يكون سحابة ، وقـد تصعب الرؤية تمـاماً إذا طـال أمد القصف المدفعى . اجتاح الأنصار الخندق الأول والزريبة الأولى . قتلوا جميع من كان بالجانب الشرقى من خندق المدينة اتجهـوا إلى الجانب الجنوبى منها . دار قتـال مرير ، انتهى بهـرب من كان بهـذا الجانب إلى منزله واغـلاقه عليه . البعض بعد أن دخل إلى سكنه ارتقى إلى السقوفات من غير سلم وجعل يطلق النار من هناك على المهاجمين .

فشل الأنصـار فى الوصـول إليهم فى السقوفات .

انتظم الأتـراك الذين تبقـوا فى الخنـدق عنـدما انشغل الأنصـار بأخـذ الغنائم ، فأمطروهم نـاراً حامية من الخنـدق ، وبذلك أصبح الثـوار فى ملتقى نارين ــ القادمة من الخندق والنازلة من السقوفات .

قتل كل الأنصار الذين وقعـوا فى ملتقى النيران هـذا . استمر الثـوار الذين كانوا خارج الخندق فى القتال من وقت صلاة الصبح وحتّى وقت صلاة الظهر .

الانسـحاب

سحب الإمـام المهـدى ، الذى كان داخل ميدان المعركة ، جنوده إلى كابا بعد عصر ذلك اليـوم . العدد الذى استشهد من الأنصـار كان كبيراً وكذلك عـدد القتـلى مـن المدافعين .

من قادة الثورة استشهد شقيقا المهدى - محمد وعبد الله - وابن الأول أحمد وأحمد جبارة ، وعبد الله التجانى حامل أختام الإمام المهدى وكاتبه ، والأمين عبد الله .

جرحى الأنصار الذين سحبوا من الميدان استشهد أكثرهم .

عبر الهجوم

إن فشل الهجوم قاد إلى إستقاء حقائق أساسية بالنسبة للقوات الثائرة .

أول هذه الحقائق هى أن الثمن الذى يدفع فى مقابل هجوم بالسلاح الأبيض والعصى على قوات مسلحة بالنيران ومحصنة ، سيكون عالياً فى بعض الحالات ولا أقول كل الحالات . فالحروب السابقة نجحت فيها النظرية القديمة بخسائر لا تذكر . صدر الأمر بإحضار الأسلحة من قدير .

ثانياً : معرفة مناعة المدن المحصنة بقوة . هذا الدرس تم وعيه جيداً ولم يتم الهجوم على الخرطوم - حتى بعد أن أصبحت كالقصبة الجافة المعلقة على ذرات تراب - إلا بعد أن أجبر المهدى على الهجوم جبراً بإقتراب القوات البريطانية من العاصمة .

إن فوائد تسليم المدينة متعددة . فهو أمر يوفر القتل على الجانبين ، مع أنه يصيب المدينة بالجوع وبعض الموت . إنه أيضاً يحفظ الممتلكات والأموال بعيداً من البعثرة فى أتون حرب طاحنة . ثم إنه يثرى الجيش الثائر بقوات مدربة للإستفادة منها .

ثالثاً : الإستفادة من عملية تحصين المدن الثائرة عند إقتراب هجوم عليها بواسطة قوات أفضل عدة أو نفراً . وقد حدث ذلك بعد وقت قصير فى معركة المتمة .

رابعاً : إكتشاف جديد لبعض خصائص الشعب السودانى المتحد .

جيش المهدية على مشارف الأبيض كان مكوناً من أكثر قبائل السودان . كل هذه المجموعات لم تشعر أثر فشل الهجوم باضمحلال روحها المعنوية ، بل حدث العكس تماماً . . . ازداد نمو جيش الثورة بشكل لم يسبق له مثيل .

الحصار القوى

بقى الإمام المهدى بكابا بقية يوم الجمعة والسبت والأحد وفى ضحى يوم الإثنين تقرر حصار الأبيض ، فتم الرحيل إلى شمال غرب المدينة ، إلى مكان يسمى الجنزارة على مرمى جلة من عاصمة الغرب .

أحكم الحصار حول المدينة ، وتمت مساعدة جميع الهاربين منها ، وردت كل الأشياء التى أخذت منهم عندما كانوا فى الأبيض . فى داخل المدينة عم الجوع والسلب والنهب . وقد بيع الحمار بمبلغ أربعمائة ريال مجيدى ، وقارورة شحمة بعشرة ريالات . أكل الناس الكلاب والقطط والجيف .

الرصاص الذى أصبح الآن فى أيدى الثوار منع حركة الجنود والضباط داخل المدينة ، فاكتفى كل فرد بحيطان منزله . عندما إنحل الأمر نهائياً حاول محمد سعيد باشا حاكم المدينة تفجير مخزن البارود على المدينة ومن فيها ، إلا أن الجنود فطنوا للخطة وحملوه حملا على كتابة خطاب إلى المهدى يعلن فيه عن التسليم ويطلب العفو .

التسليم

وصل الخطاب إلى المهدى فى الجنزارة ، ورد عليه يوم ١٥ يناير ١٨٨٣ م رداً رقيقاً بأنه لا يتمنى لهم غير الخير السرمدى . وفى يوم الجمعة الثامن عشر من يناير ١٨٨٣ م كان الإمام المهدى يجلس على مصلاته لابساً درعاً ومغفراً ، وإلى جانبه عبد الله التعايشى لتلقى أهل المدينة المستسلمة . أول القادمين محمد سعيد باشا وعلى بك شريف وإسكندر قائمقام العساكر ، وأحمد محمد دفع الله وبقية الضباط

والجنـد ، خلفهم سـكان المدينة . عامـل الإمـام المهـدى الجميـع معاملة كريمـة وطيبة ، ولكن محمد باشـا سعيد وعلى بك شريف وأحمد محمد دفع الله استمروا فى محاولة تقويض الثورة . وقـد تم القبض عليهم وهم يرسلون خطـابات إلى عبد القادر باشا حكمدار السودان ، تكشف عـن قـوة جيش الثـورة ، فحكم عليهم بالتغريب والقتل . وقد قام الشيخ اسماعيل الأمين شيخ قبيلة الغديات بقتل محمد باشا سعيد .

آثـار تحـرير الأبيض

إن الأبيض هى أهم مركز تجارى فى غـرب السودان ، وملتقى طرق الغـرب وأكـبر سوق فى العالم للصمغ العربى . وسوق رائجـة للذرة والسمسم والفـول .

إنهـارت بتحرير الأبيض جميع كردفان ودارفـور وبحر الغـزال وفتح الباب على مصراعيه إلى الخرطـوم .

القـوات السودانية الثائـرة الآن تملك سلاحاً وقـوات مدربة على إستعماله ، وتصميماً لم تعرفه القارة الأفريقية منذ أن فلقها الله على هذا الكوكب .

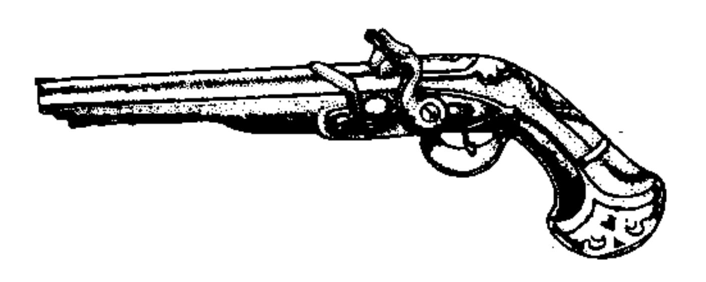
عبد القادر باشـا الحكمـدار الذى إعتـبره الخـديو حصانة الرابح الذى سيدك حصون الثورة السودانية، هوت أوراق استراتيجيته فى هذه الريح الصرصر العاتيـة .

حاول كل السبل لإنهاء الثورة حربياً ، فزادها توهجاً وأجيجاً وضراماً . حاول سلاح المنشورات التى تكذب مهـدية القائد مسخراً ما ملك من رجال الدين الذين تحت أمرته ففشل . حاول الرسائل الملغومة ففشل .

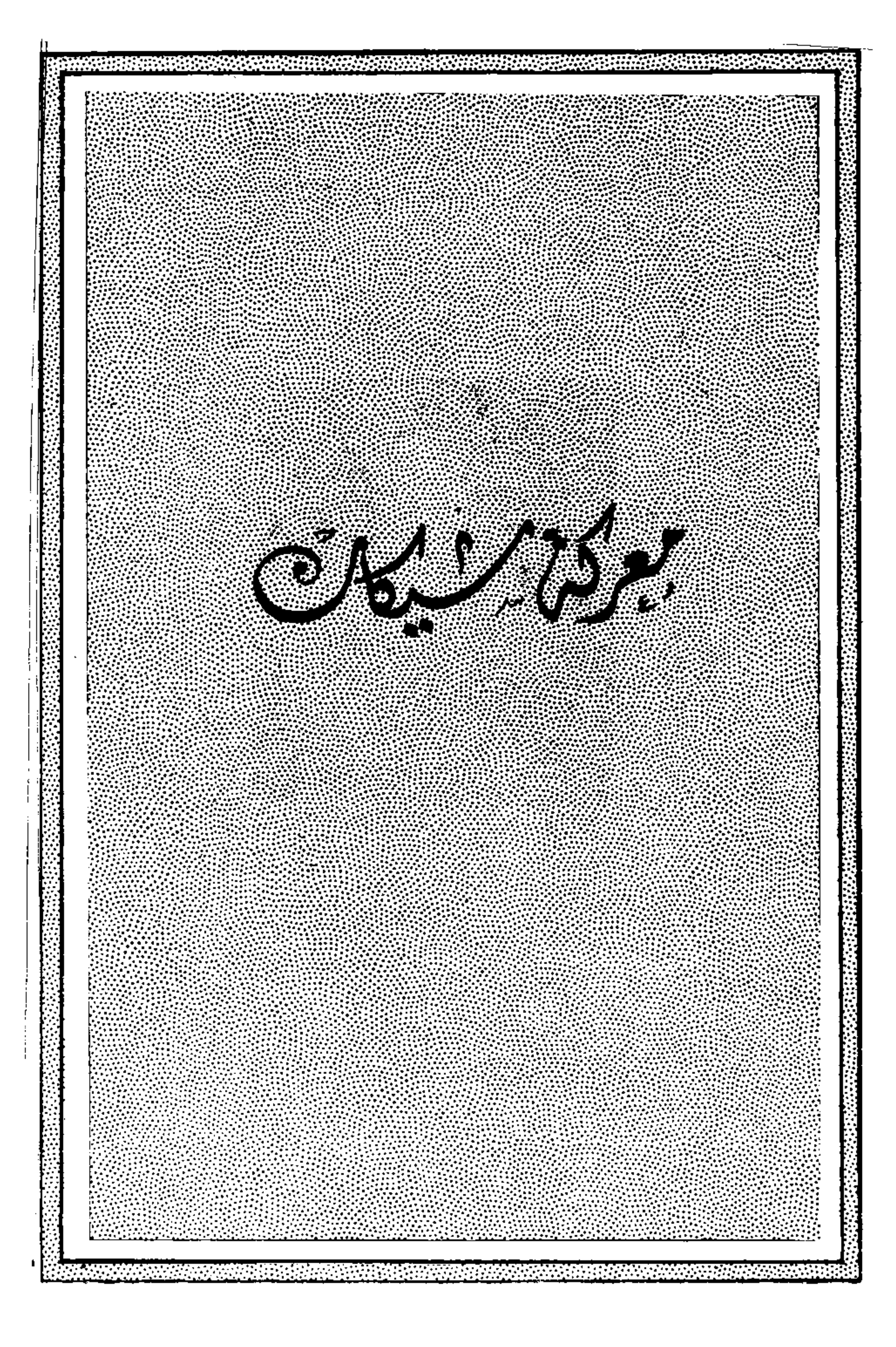
حاول إرسال العجوة المسمومة ، كما قال ذلك بنفسه للجاسوس اللبنانى الذى كان يعمل بالمخابرات البريطانية بمصر – نعوم شقير – ففشل .

حاول إرسال مأجـور يدعى عبد الله إبراهيم بمسدس ليقتل المهـدى ففشل .

وأصبح عبد الله بعـــد فشل مسدسه فى الانطلاق وعفــا عنه المهـــدى ، أحـد جنود الثورة البواسل . (١)



١ – تاريخ السودان الحديث – ضرار صالح ضرار ص ١٣٥ .





جنرال هكس

جيش مورقـــان هكس

إختـــار الخـــديوى توفيـــق بمساعدة الحكومة البريطانية ضابطاً بريطانياً متقاعـداً . عـرف بالكفاءة فى عمله الطويل مع جيش بلاده فى أماكن متعددة من العالم ، أهمها الهنـد وحـــرب الملك تيودور ملك الحبشه . هـــذا الضابط المختار هو الجنرال مورقان هكس . تم إختياره لكى يقود حملة مصرية تركية البانية شركسية مع مجموعات أخرى مـن الأوربيين لكى تقضى عـــلى الثـورة التى شغلت الخـــط التلغرافى بين الخرطـوم والقاهرة لأكثر من عامين . وأوشكت على إبتلاع بقـرة الخديو الحلوب .

جمعت القـــوات الجيـدة من جيش عـــرابى وحملت الى السويس حيث ركبت البحـــر الى سواكن ، ومنها قطعت المسافة بين سواكن وبربر ، فى أقـــل مـــن ثلاثه أسابيع ضاربة بذلك رقماً قياسياً فى قطع هذه المسافة ، وبعدها كانت فى الخرطوم فى السابع من مارس ١٨٨٣ م .

عند وصولها الى الخرطوم أخـــذت بعض الايانها لمحاربة قبائل جهينه واللحلويين والشنخاب والكواهلة التى ثارت بقيادة الشيخ أحمد المكاشفى وعبد الله برجوب .

عمليات هــــذه القـــوات كانت ناجحة مما رفـــع من روحهم المعنـــوية . فـــى مايـــو ١٨٨٣ م أقيم لهم معسكر ضخم فى أم درمـــان إبان فـــترة التجهيز والإعـــداد لحرب الإمـــام المهـــدى .

عندما تم جميع التجهيز وبدأ التحرك كان تشكيل هـــذا الجيش كالآتى :

تشـــكيل حمـــلة هكس

العـــدد الكـــلى : ١٥٠٠٠ رجـــل . (١)

---

١ – عباس بك يوميات ٢٠ اكتوبر ١٨٨٣

القائـــد : جنرال مورقـان هكس باشـاً .
نائـب القائـد : عـــلاء الدين باشـا (حكمدار عـام السودان) .
رئيس الأركـان : كولونيل فركهـــار .
أركـان حـــرب (وقائد الإستطلاع) : كابتن هـرلث .
مـترجـم القائـد : ميخائيل ناصف .
سكرتير نائب القائد : عباس بك – وهـــو صاحب المذكرات التي تعتبر أهم ما تبقى من حملة هكس .

القـــوات (١)

المشـاه : تتكون من أربعة الايات بقيادة اللـواء حسن مظهر .
الالاى الأول : بقيادة إميرلاى سليم عـونى ويتكون من ٣ كتائب .
الالاى الثانى : بقيادة إميرلاى سيد عبد الخالق ويتكون من ٢ كتيبة .
الالاى الثالث : بقيادة إميرلاى حسين فهمى ويتكون من ٢ كتيبة .
الالاى الرابع : بقيادة إميرلاى رجب صديق ويتكون من ٢ كتيبة .

الفرســـان

القـائـد : قائمقام عباس وهبى .
١٠ سرايا ســواري نظامية وباشبوزق .

الأســـلحة

٤ – مدافـــع كروب .
١٠ – مدافـــع جبلية .
٦ – مدافـــع نوردنفلت .
٦ – مدافـــع متر اليوز سريعة الطلقـــات .

---

١ – زلفو ، شيكان ص ٨٣

كل الجنود يحملون بنادق رمنقعون عليها سنج طويلة . .
الضباط إلى جانب السيوف يحملون مسدسات بماسورتين .

الدواب

صاحبت الحملة قطعـان مـن الدواب بينها سـتة الاف جمل ، وثلاثة الاف حمار وخمسمائة فرس .

مسـتشـفى

السـلاح الطبي بقيادة الدكتور جـورج الحكيم .

جيوش أخـرى

تبعت هكس وحـدات عسكرية مسلحة كانت لبعض تجـار المناطق الجنوبية والغربية مثل عبد الرحمن بانقـا وجيشه .

أيضاً تبعتهم أجهـزة إدارية أهم من كان بها حمـد التلب ، رئيس محكمة الإستئناف ، وبساطي المحسى ، باشكاتب الخرطوم وخمسة مراسلى صحف بريطانية .

ملابس الجيش

ملابس حمـلة هكس كانت من الملابس التى أسماها الإنجـليز بملابس جيش الفـلاح . وهى تتكون مـن جكيت من التيل الأبيض بأكمام طويلة وبياقة إرتفـاع ثلاثةسنتمترات ، مـع سراويل أوربية من التيل الأبيض أيضاً تنتهى عنـد القـدم بحـذاء عـادى أزرق فـوقه قطعة من الجلـد الأبيض تغطى وجـه الحـذاء وتجمع نهـاية السروال .

على الرأس طربوش تركي تحتـه منـديل لوقايـة العنـق من الخلف . فى وسط الجاكيت حـزام جلـدى يضم محفظتين ، وأخـر يمـر من الكتف الأيمن إلى الجانب

الأيسر للجندى ويضم علبة المياه . سيف السنجة على الجانب الأيسر .

الفرسان يلبسون نفس الملابس ولكن السراويل قصيرة تنتهى برباط ساق .

قـــوة الحمـــلة

إن قوة الحملة هـذه قـد ظلت معلماً بارزاً فى القصص السودانية الفلكلورية التى ينقلها كل جيل لابنائه . فهذا الجيش الذى شق البلاد من شرقها لوسط شمالها ، ثم من شمالها حتى الخرطوم ثم الجزيرة ، عاد بعدها إلى أمدرمان ، ومنها شق السودان إلى الغرب ، لم يكن اسطورة تحكى للأطفال ساعة النوم ، وإنما كان فى الحقيقة قوة ضاربة سميكة البنيان محشوة حتى النخاع بذخيرة ومتفجرات لم ير السودان حتى ذلك الحين مثيلا لها وصنوا . ومضى هكس وبقيت كلماته تدق اذان ابناء السودان جيلا بعد جيل . . . . إن جيشه حسب رأيه ، كان قادراً على دك الأرض بأحذية جنوده ، وعلى رفع السماء بسناكى بنادقه .

تقـــدم الجيش

لم يكن هناك اشكال فى تقدم هذا الجيش الضخم إلى اى نقطة على النيل الابيض . استقر الرأى على ان تكـون هـذه النقطـة هى الدويم . بعـدها سـار الجيـش الى عاصمة كردفان التى تبعد من الدويم مائتين وخمسين ميلا ،يوم ٢٧ سبتمبر ١٨٨٣م، متقدما عـن طريـق شـات ، هجليجـة ، الغبشة ، أمدبيكر ، الأضية ،الرهد ، علوبة ، ووصل اخيرا إلى فولة المصارين يوم ٣ نوفمبر ١٨٨٣م .

فى الطريق من شـات – فى أخر ايام سبتمبر ١٨٨٣، ارسل الجنرال هكس خطاب التهديد الذى يرسله كل القادة العسكريين منذرين مهددين عدوهم بالويل والثبور وعظائم الامور اذا لم يسلموا لجيوشهم الجبارة المنتصرة أبداً بمشيئة قادتها .

رد الامام المهدى غلى خطابه بخطاب كتب من الف وخمسمائة نسخة علقت عـلى الاشجار فى طريق الجيش عند (الادية) قبل وصولهم إلى الرهـد .

قرأ عدد كبير من الجنود وضبـاط الجيش هذا الانـذار قبل ان يقرر هكس جمعه واحراقـه .

رد المهدى

(بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله الولى الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم .

وبعد فمن عبد ربه الفقير المعتصم بمولاه محمد المهدى ابن السيد عبد الله إلى من يسمع من اهل الجردة ممن له عقل .

فإنه لا يخفى على ذى عقل ان الامر بيد الله ، ولا يشركه فى ذلك بنادق ولا مدافع ولا صواريخ ولا عصمة لاحد إلا من عصمه الله .

فان فهمتم ذلك فاعلموا ان الله واحد فلا تغتروا باسلحتكم ولا بجنودكم التى تريدون أن تقاتلوا بها جنود الله، فانه لاقوة لشيىء دون الله . وان قلتم ان مهديتنا مكذوبة فاعلموا ان التكذيب انما يصدر ممن يحب الدنيا ، ويخاف المخلوق ويستعجز قدرة الله . فان فهمتم ذلك فلا تغرنكم اقوال علمائكم، فان الترك الذين قتلتهم شكوا للحق عز وجل وقالوا : يا الهنا ويا مولانا، ان الامام المهدى قتلنا من غير انذار . فأقول : انذرتهم يارب فلم يسمعوا، وحضر على ذلك شاهدا سيد الوجود صلى الله عليه وسلم . وقال لهم، الامام المهدى انذركم فلم تسمعوا وسمعتم قول علمائكم فذنبكم عليكم . فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون، فقال الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا انتم لكنا مؤمنين ، وقال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن المهدى اذ جاءكم بل كنتم مجرمين.

فان كان لكم نور تؤمنوا بالله ورسوله والدار الاخرة وتصدقوا بمهديتنا، وتخرجوا الينا مسلمين. ومن سلم يسلم ، وأن ابيتم الا الجحود ، فاسوتكم بمن سبقكم من الجنود والسلام) .

١٩ ذى الحجة ١٣٠٠هـ ، ٢١ اكتوبر ١٨٨٣م

منشور هكس وعلاء الدين

فى يوم الجمعة ١٣ اكتوبر ١٨٨٣ ارسل الجنرال هكس منشوراً وقعه معه الحكمدار علاء الدين الى شيوخ القبائل والقرى يقولان فيه :

(قــد صار حضورنا ومعنا جيش عظيم من العساكر المنصورة لضرب الاشقياء ، ونحن الآن في وســط بلادكم ولابــد بلغكم ذلك . وقبل الآن حررنا لمــن يلزم من المشايــخ بالنصيحه والامان ، فاذا كنتم طائعين للحكومــة وتريدون خلاص أنفسكم وامــوالكم وعيالكم من التلــف ، وعمارة أوطانكم فبادروا بالحضور لمقابلتنا ، انتم ومن يتبعكم ، وعليكم امان الله ورسوله . ومــن لم يحضر فيكون هو الجانى على نفسه ، ونكون بريئون مــن ذنبه ، يكون معلوم .)

مشكلة المنشور أنهم لم يجــدوا شيخاً لقبيلة أو قرية يسلموه لــه !

قــوات الثورة

قوات الأمام المهدى بالابيض كانت لاتزال تعمل حسب خطوط منــشور الجيش الذى حرر فى قدير . ولكن عدة اشياء كانت تستوجب تحديث تشكيل هــــذا الجيش ، بالشكل الذى يمكن أن يقاتل المهدى به عدوا سمع باستعداداته الضخمة .

ثم ان الجمع الغفير من المبايعين للمهدى ، شكلوا عبئاً يجــب تنظيمه للاستفــادة من ديناميكيته بأكثر الاشكال فعالية . واهم من كل ذلك ، أن جيش الامام المهدى يضم الان عددا ضخماً من الجنود الذين سلموا من حامية الابيض . كمية السلاح الكبيرة التى لــدى الثوار الآن يجب استغلالها فى تنظيم عسكرى دقيق .

تقسيم الرايات

قسم الجيش الى راياته الثلاث حسب التكوين الجغرافى للقوات . الراية الزرقاء (السوداء) لاهل الغرب . الخضراء لمنطقة النيل الابيض ، والحمراء لأهــل الجزيرة وشمال السودان .

الراية الزرقاء

تكونت بقيادة الامير يعقوب السيد محمد وتضم الحمر (بفتح الحاء) والحمر (بضم الحاء) والتعايشــة وبنى جرار ، والمسيرية والحوازمة والغــديات والجمــع والرزيقات والاحامــدة والهبانية والكبابيش والجوامعة والمعالية .

الراية الخضراء

بقيادة الامير موسى الحلو ، وتضم دغيم وكنانة والحسنات والعمارنة واللحويين .

الراية الحمراء

بقيادة الامير عبد الرحمن النجومي وتضم الجعليين والدناقلة .

الجهادية

هذا السلاح أوكل الى الامير حمدان ابى عنجة ويتكون من القوات النظامية — وهم من السود الذين استسلموا في الابيض بشكل رئيسي — . عددهم حوالى ستة الاف مقاتل ، قسموا الى أربعة أرباع . الارباع قسمت أيضاً الى رايات .

المدفعيه

تكونت من المدافع التى تم الاستيلاء عليها من وقعة الشلالى والابيض . أهم مدافعها.... الكروب والمتراليوز .

الفرســـان تتبع ادبـــارهم

انتدب الامام المهدى ثلاثة أمراء هم :«١» محمد عثمان أبا قرجه ، عبد الحليم مساعد وفضل (فضلو)أحمد ، وأوكل اليهم قيادة سلاح من الفرسان . تعداد السلاح ثـــلاثـــة الاف فـــارس .

إن الواجبات التي انيطـــت بهذا السلاح وقـــام بها ستظـــل معلماً بارزاً فى العسكرية السودانيـــة .

كان على هذا السلاح أن يخلى المنطقة امام الجيش المتقـــدم من الدويم الى الابيض لكى لايتعرض السكان لعسف وسطوة ذلك الجيش .

ثانياً : احتلال مواقع المياه وحرمـــان الجيش القادم من أى امـــدادات تموينية .

ثالثاً : مساعدة الاهالى فى الانضمام الى الامام المهدى بالابيض .

ر ابعاً : القيام باستطلاعات مستمرة وابلاغها فوراً الى القيـــادة فى عاصمة الغـــرب .

خامساً : مناوشة الجيش المتقـــدم لتحطيم روحــــه المعنوية وارهاقه .

سادساً : قطع أى امـــدادات مـــن الخلف وضرب الخارجين من المربـــع .

قام الامراء الثلاثة بكل هذه المهمـــات بدقـــة منقطعة النظير . ان جيش هكس لم يلتق فى الطريق الابعجـــوزين . ثم لم يجـــد مواطناً يساعده فى أى امـــدادات تموينيـــة. قـــوات الإستخبارات كانت تحمل للامام المهـــدى ومجلس شـــوراه يـــــوميا تحركات هكس . عندما اقترب هكس من الأبيض كانت هذه التقارير ترســـل أكثر من خمس مرات يوميـــاً .

ان أول مناوشـــة حدثت بين الفرسان الثلاثة والجيش الغازى كانت عند منهـــــل (شليبيه)١ ، ومنذ تلك اللحظـــة لم تفارق قـــوات الامراء الثلاثة مربع هكس لحظـــة واحدة. كقدر مـــن السماء يحيـــط بالافق امامهم وخلفهم وعن يمينهم وعـــن يسار هم

---

١ – الكردفانى ص ٢٢٤

٢ – الكردفانى ص ٢٢٥ .

لم يستطيعوا منه فكاكاً . كل شبر امامهم قد نســج بحوافر خيولهم ، ونظف تماماً من كل مايساعد على تقدم جيش هكس . سار المربع وكانه فلك يموج داخله بقلوب وجلة ومؤامرات المصريين والاتراك ، وفى خارجــه امــواج الأمراء الثلاثة العوالى تطبق على ألواحه ودسره ولاتظهــر إلا انياباً حداداً شــداداً .

كانت قــوات الأمراء الثلاثة تقبض أو تطلق النار على كل خارج من المربــــع للاستطلاع أو حتى لرعاية ركائبهم . بعض من بالمربع استطاع الفرار وكثير منهم ود أن يفــر .

الفارون من جيش هكس

عــدد الذين فروا من الجيش الغازى كان كبيراً ، ولكن أكثر من اسر نفعــاً للثوار كان على بدر الطبجى الذى ارسل إلى الإمام المهــدى فبايعــه وسلمه مدفـــع كروب وانضــم إلى القــوات الثائرة .

أكثر الهاربين وجــد دعاية خارج الســودان وداخله كــان (كلوتز) البرليني خادم البارون السمين (اسكندروف) البروســى . فقد ثقل عــلى الاعلام الاوربى ان يهــرب إلى الاعداء أوربى عرف كل شيء عن ذلك الجيش ثم يعلن عــن اسلامه ويسميه المهدى (مصطفى) . وهذه هى نفس الاســباب التى اثلجت صدور الثوار به . إن الإمام المهدى اعطى مصطفى جلبابه ونعليه ١ .

نفس الجيش ونفس التشكيل ونفس الأسلحة التى لجيش هكس لم تتغير حتى تلك اللحظــة ، ولكن وجــود الأمراء الثلاثة حولهــم بجســارتهم ومافعلوه بالارض التى امامهم ، جعلت هذا الجيش الذى عندما غادر الدويم كان يشعر بانه يخرق الأرض ويبلغ الجبال طولا ، جعلت منــه جيشــاً كالسفينة الغرقى ، هم كل من بهــا الهــرب .

فى الحادى والعشرين من أكتوبر تحرك هكس بجيشــه مــن الرهــد متجهاً نحو الأبيض ، بعد ان عبر خــور الرهــد .

---

١ — اوهروالدر ص ٨١

كمين الشيخ

أحمد صبيح – كبير ادلاء جيش هكس – خرج مع سرية استطلاع ، عاد بعدها يخبر القائد بان شيخاً التقى به ، وقد ذهب الان لاحضار قبيلته الكثيفة الافراد للانضمام إلى المربع . تهلل هكس للنبأ الذى وصل إليهم بعد فشل طويل للاتصال بالقبائل التى توقعوا انضمامها إليهم . امر الجنرال كبير ادلائه وسريته بالرجوع للاتيان بالشيخ وقبيلته . ذهبت السرية وعادت بعد ان اضمحل عددها وهى تقطر دماً فقد وقعوا فى كمين الشيخ .

تحرك الامام المهدى إلى البركة

فى يوم الخميس الأول من نوفمبر ١٨٨٣م تحرك الامام المهدى تاركاً الأمير عبد الله جباره حاكماً على الأبيض ، ووصل إلى ابى صفية حيث نام هناك . يوم الجمعة تقدم إلى منهل (فرتنقسول) ، وعندما وصل إلى منهل البركة فى نهار السبت الثالث من نوفمبر ، كانت قوات الامير عبد القادر محمود قد احتلت منهل البركة سابقة فى ذلك قوات هكس إليه .

خوف التعاقب

عندما وصل الإمام المهدى إلى البركة ، شاع ان مربع هكس يجد طريقاً إلى الأبيض الخالية إلا من راية الامير عبد الله جباره . ولكن الامام المهدى الواثق من استراتيجيته لم يعط القول أى اعتبار عندما رفعه إليه ابراهيم الحاج الشهير بالترجماوى وقد قال المهدى حينها قولته المشهورة (أيها الناس اثبتوا واطمئنوا وانزلوا رواحلكم واستريحوا ، فان الترك لاقدرة لهم مع قدرة الله . غداً يوم الأحد نتوجه اليهم وفى صبيحة يوم الاثنين ، بعد امرنا لكم بمحاربتهم ، إذا تأخر احدكم لاصلاح نعله لايدركهم احياء) .

تــوجه المربــع إلى علوبه

فى صباح الاربعــاء ٣١ أكتوبر ، بعد ان علــم هكس من قــوات اســتطلاعه ان الانصار جميعاً فى البركة ، غير وجهة سير قواته إلى علوبه . بعد تحركه بنصف ساعــة واجه نيرانا حامية من الانصــار المختبئين خلف الاشجار . لم يستطع المربــع الســـير فحفروا خنادق ووضعوا حولها زريبة فى ذلك المكان الذى يسمى (الاغبش) . ان تــلك العملية التى قامت بها قوات الأميرين عبــد الحليم مساعد وأبــى قرجــة كانت عمليــة تأخيرية لاعطاء الانصــار أكبر فرصة لاعداد خطتهم بعد ان تبين الطريق الذى سيسلكه هذا الجيش .

بعد أربع ساعات من السير يوم الخميس الأول من نوفمبر وصل المربع إلى منهل علوبه . توقفت القــوات وانزلت احمالها لتفاجأ بالانصــار المختبئين وراء الأشجار على بعد عشرة امتار منهم يفتحون عليهم نيران بنادقهم .

المربــع يتوجه إلى أم ريــح

فى صباح السبت ٣ نوفمبر تحركت قــوات هكس مرة أخرى ، فقطعت عشــرة أميال فى أرض مليئة بالأشــجار الشوكية الكثيفة . توقفت القــوات فى قرية تســمى أمريح . اصدر هكس تعليماته بالمبيت فى تلك البقعــة وتشييد زريبة سميكة قريبة مــن غابة طلح . ازالت القــوات الحشائش والشجيرات وكــونت زريبة طــولها ثلاثمــائة يار دة وعرضها مائتان وسبعون ياردة .

قرار حمدان أبي عنجــه التاريــخى

رأى قائد الجناح الثانى لقــوات الانصــار ، الامير حمدان أبوعنجــة ، ابدال هكس لخطته فى السير وانه يتجــه الآن نحــو كازقيل فى طريقه إلى الأبيض مباشرة ، بدل سيره الأول نحــو البركة .

أرسل حمدان أبوعنجــة رسلا لابلاغ المهــدى فى البركة بما حدث ، وارســل رسلا آخرين لتوجيه الحشــود السائرة نحــو البركة للتوجه نحــو منهــل المصارين ، ثم قام بما تجمــع لديه من قوات بفرض حصــار حــول زريبة مربــع هكس لتعطيلــه

لحين ابدال الحشـــد حسب الطريق الجديد لهكس .

قضى الامير حمدان كل عصـــر السبت والليل فـــى تجميـــع المقاتليـــن وتشديد الحصـــار .

المشـــاة الراكبه لأول مرة فى تاريخ الســـودان

الامام المهـــدى بعد ان اعلـــم بما حدث ارسل فـــوراً قوة من الجهادية والفرسان . يقـــود الجهادية المشاة الامير فضـــل المولى صـــابون ، ويقـــود الفرسان الامير محمـــد عبد الرحمن النصرى . ويقـــود الجميع الشيخ ابراهيم الترجماوى . العدد الفعلى للجهادية حوالى خمسة الاف ،وعدد الفرسان مساو لهم . والفكرة اساساً هى ارسال مشاة راكبة ، لان كل فارس سيحمل معه على فرسه جهادياً . وهكذا تمكن الامام المهدى من ارســـال قـــوة ضاربة ، سريعة التحرك وتحمل عنصرى المشاة والفرسان . قضـــت تلك القـــوة الليل كله فى السير ، وعند فجر الأحـــد كانت على مشارف خطـــوط حصـــار الأمير حمدان ابى عنجة . فى الفجـــر اتخذ الامام المهـــدى طريقاً بين الغابـــات مـــختصراً ووصل إلى منهل المصارين منذ الضحى . قـــواته الرئيسية شقت طريقها من المساء ووصلت فى منتصف نهـــار الأحـــد إلى منهل المصارين .

معـــركة أم ريـــح

فجر الأحـــد الرابع من نوفمبر ١٨٨٤م كان كغيره من أيام الله فى كردفان .. هـــواء بارد مشبع برطوبة خفيفة تجعل منه برداً يلسع العظام لسعاً . قام سكان المربـــع من نومهم أو شبه نومهم محملين باثقال هموم وخوف ووجـــل وبعض من امل .. الم يصبحوا على ابواب الأبيض ؟ .

تكـــون المربـــع كالعادة بجـــدر على مقدمتها الاى الامير لاى سليم بك عـــونى ، وعلى مؤخرتهـــا آلاى الاميرلاى رجب بك الصديق ، وعلى الميمنة آلاى اللـــواء ابراهيم حيدر باشـــا ، وعلى الميسرة الاميرلاى سيد عبد القادر .

فتح بـــاب الزريبـــة وخـــرج المربع يضـــرب فى الأرض فى اتجاهه الشـــمالى الغربى نحـــو كازقيل .

الأمير أبـــو عنجـــة صباح الأحـــد

القائد المحنك حمدان أبو عنجـــة فرض عليه ابدال المربع اتجاهه نحو كازقيل بدلا من البركة اعباءاً لاحـــد لها . فالامام المهـــدى يجب ان يحضـــر إلى المعترك الجديد ومعه جملة جيش الاخوان . ان التقدم السريع لمربـــع هكس قد يسبب اخطاراً لاحصر لهـــا . ثم ماذا لو استطاع المربع الخروج مـــن هـــذه المنطقة التى تناسب تشكيل وتسليح الرجال الثائرين فى مقابلتهم لقـــوات جيدة التسليح وجيدة التدريب ؟

حسب تعليمات الامام المهدى فيجب عدم الهجـــوم على المربـــع هجوماً مباشراً وتوفير كل القـــوات لمعركة حاســـمة قاضية . ولكن الامام المهـــدى ليس فى الميدان حينها ليقرر مع مجلس شوراه فى الظروف التى تبدلت بسرعة البرق . الامير حمدان لم يطل التفكير . بل قرر وفعـــل .

عندما بدأت الشمس تتسلق ادراج السماء ، كشفت عن فوهات بنادق مجموعتين من الجهادية وضعهما الامير حمدان خلف الأشـــجار وامـــام المربـــع بقيـــادة الأمـــير عبد الله النور والأمير محمد النصرى . انتشرت القوتان على يمين ويســـار طريق المربـــع ويبعدان عنه بحوالى الكيلومتر .

الهجـــوم الخاطف

ما كاد الامير حمدان يشعر بان الجنرال هكس ــ الذى كان يسير فى مقدمة مربعه ــ قد رأى صفـــوف مشاته ، حتى أمر الثوار بفتح ثغـــور بنادق الرمنقتون لتطلق نيراناً بعيدة عديمـــة الجدوى . هذه النيران ادت الغرض منها فـــوراً . توقف الجنرال واوقف مربعه وأصدر أوامره بتوجيه النيران نحـــو مشاة الجهادية . وفى همـــة ونشاط وجهـــت المدافـــع والبنادق نحـــو هذا العدو الذى يتخذ من الاشجار الكثيفة ستراً له .

بالطبع جال بخاطر الجنرال البريطانى هبل الثوار الذين يطلقون بنادق الرمنقتون من هذه المسافة البعيدة . انه فى موقف أفضــل لان مدافعه ، مهما اصابهــا من سوء الصيانة فهى ولاشك أكثر قتلا فى المجموعات من بنادق الأمير حمدان . استمر القصف فى همة ونشاط ، ولكن فى الحقيقة لم يكن مؤثراً ولاقاتلا لقــوات حمدان .

ولكن الذى لم يخطر ببال الجنرال ان بداية اطلاق نار حمدان كانت ايذاناً بهجوم آخر لفرسان ومشاة بقيادة الاميرين عبد الحليم مســاعد وأبى قرجة على خلف المربــع . انطلقت القــوات التى كانت مختبئةخلف لأشجار والحشائــش فــى هجــوم شرس على مؤخـرة المربــع .

اخترقت قوة الفرســان خلف المربــع كما يخترق الســهم هـواء ذلك الصباح . وفى ثوان وجـد الأميران ان فـرسـانهم داخـل المربع ويتبعهم المشاه المسرعون خلفهــم باسلحتهم المكونة من الحراب والسيوف يشتتون المؤخرة مزقاً . جـال هؤلاء فى حيوانات وسط المربع قتلا وتشتيتاً . انطلقت الحيوانات بدورها تعيث فيهم ، باندفاعها إلى خارج المربــع محطمة الصفــوف .

حاول قائد المؤخرة الاميرلاى رجب الصديق تجميع قواته وضباطــه الذين اطيح بهــم ، ولكن موجــة عاتية من المشاة الثائرة قذفت بهــم بعيداً ولحقت القائد حربــة قاتلة قضت عليه .

ويقول المؤرخ عصمت زلفو (وكان أحد فرسان عمر الياس إدريس الخندقاوى يتمتــع بقــوة بدنية خارقــة ، فداهم أحــد المدافــع الجبلية وازاحهم عن المدفــع وتسربــل بحبــال المدفــع فلفهــا حــول صدرهوجــره بعيــداً خارج المربــع وعــاد مرة أخرى لخضــم المعركــة) .

(أبومدفــع) اصبحت بعد ذلك كنية إدريس الخندقاوى .

المربــع يصبح مثلثــاً

مرت الثوانى القاتلة على مربــع هكس دون ان ينتبه للذى حــدث . وعندما فعل عرف خطــة الامير حمدان الذكيــة السريعة الشرســة . إن نيران المقدمــة لم تكــن

غير فخ يوجه المربع له انظاره ، فى حين ان الهجوم كان خلفياً .

وجه الجنرال مقدمة مربعه لكى تتقدم فاتحة كل نيرانها ومتجهة نحو المؤخرة لتحل محلها . ثم امر الميمنة والميسرة بضم المقدمتين لصفوفهما . وبذلك يصبح المربع مثلثاً .

هجوم أبي عنجة الثاني

وكما يفعل لاعبا الشطرنج ، عرف الأمير حمدان ان الجنرال البريطانى قد سبر غور خطته وتيقن من ان مشاة جهاديته الذين يطلقون النار على مقدمة مربعه لايشكلون خطراً على المربع . فلم يبال بهم فى التشكيل الجديد .

قرر الأمير حمدان ان يجعل من نمر الورق هذا نمراً فتاكاً شرساً لانقاذ الانصار الذين بداخل المربع والذين يتعرضون الآن لنيران تقضى عليهم وعلى حيوانات المربع وعلى بقية جنود المؤخرة التابعين لهكس .

انتهز حمدان فرصة تحرك المقدمة نحو الخلف ، وإبان تجمع رأسى الضلعين - الأيمن والأيسر - فجمع سرية فرسان وانطلق بهم نحو مقدمة المثلث الحديث التكوين . تعرض أثناء اندفاعه لنيران كثيفة من الضلع الايمن فسقط منه رجال وضرب جواده . قطع حمدان رأس أول رجل سوارى وجده أمامه من العدو وامتطى جواده .

هذا الهجوم الجديد أفاد الانصار الذين حطموا مؤخرة المربع من الإنسحاب بأقل خسائر . انسحب هؤلاء آخذين معهم مجموعة جمال محملة بالذخائر والمؤن . انسحب أيضاً حمدان من مقدمة المثلث واجتمع مع محوره المنسحب من الخلف على مسافة من المثلث حاملين معهم شهداءهم .

شهداء معركة أم ريح

كان بين الشهداء :

الأمير حداد حاج خالد .

الأمير هاشم أبوريالات .

الأمير عمر الياس باشـــا أم بريو .

فوزى الكاتب . وهـــو كاتـــب الإمـــام المهـــدى ، الذى عندما سمع باستشهاده قال « فاز فوزى »

هكس يعيـــد تكوين مربعه ثم يقـــرر البقاء

الجنرال هكس بقى بداخل مثلثه يعيد فى تكوينه الأول كمربـــع ، ويعين نائـــب قائد المؤخرة قائداً لها ويعيد مراجعة ذخائره وامداداته التى تساقطت من ظهـــور الجمال النافقة والهاربة . وأهم من هذا وذاك ان يعيد النظر كرتين فى هذا المربع سهـل الاختراق ان المربـــع بعـــد هذا الهجـــوم السريع الخاطف اصبح يعانى من شعـــور الهزيمة وهو يرى خسائره الضخمة من الجنود والضباط والقادة والحيوانات والذخيرة والامدادات . عندما مـــر على صفوف قواته تعمق شـــعوره بالهزيمـــة أكثر . وعليه قرر اقامة زريبـــة فى مكانه ذاك والبقاء بقية يومه وليلته عله يرفـــع من الروح المعنوية قليلا .

معركـــة ام ريـــح الليلية

انقضى نهـــار الأحد بما خلفه من ألم وحسرة للجنرال هكس ، ومن ثورات داخلية فى جيشه وليدة الخـــوف الذى ضرب المربـــع أكثر مما ضربته هزيمـــة الصباح . ان يوم الأحـــد هذا يوافق الرابع من محرم ، وعليه فالسماء قمرها صغير وضوؤه غير واضـــح على الأرض .

بدأت الليلة حالكة الســـواد ، وربمـــا خضرة الأشجـــار المحيطـــة بهـــم زادت الظلمة رهبة ووحشـــة ، فقرر الجنرال - بعد ان خطط لمواجهة عدوه غداً مهما كانت النتائج - ان تخرج فرقة الموسيقى إلى مكان مرتفع من وســـط المعسكر حتى تخفف من روح التشاؤم والقنوط الذى اصاب قواته . خرجت الفرقة وتخيرت المكان المناســـب ، فرصت المقاعد للضباط حول الفرقة وحولهم الجنود اجلســـوا على الرمل . بدأ العـــزف بالحان شعبية مصرية ذكرت الجميع باشجانهـــم وبلادهم البعيدة البعيدة .

في تلك الاثناء كان الامير حمدان أبوعنجـة في عمـل دائب ومستمر ينفذ في المهمات التي أوكلتها له القيادة العليا خلال النهـار .

مهمـات الأمير حمدان

يقـود الأمير حمدان أبوعنجـة جهاديته وجهـادية الراية الخضـراء والحمراء. يكون تحت قيادته الامير فضل المولى صابون والأمير الزاكي طمل والامير النور عنقره وبالاضافة إلى رايتي الأمير عبد الحليم مسـاعد والأمير أبي قرجـة ، ويحاصر معسكر هكس فـي أم ر يح حصاراً تامـاً ، وان يطلق النـار عليه على طول الليل دون انقطاع وبشكل مؤثر وفعال .

الأهداف لمعركة الليل

اهداف هذه المعركة هي اصابة جنـود هكس باكبر قدر مـن الضحايا ، وقتل أكبر عدد مـن الحيوانات ، وحرمان الجيش من النـوم حتى يكون في حالة انهـاك تامة صباح اليوم القادم . ان جيش هكس قد قضى كل اليوم في الحرب ، وسيقضي الآن كل الليل في الحرب .

هذا بالاضافة إلى تحطيم روحـه المعنوية ، واقناعه بانه مقضي عليه لامحالة .

تحضيرات العملية

بعد صلاة العصر اتجهت قـوات الجهادية المشـتركة في العملية إلى المواقـع التي حددها الأمير حمدان ، متخذة من الأشجار والحشائش استاراً لها في تحركاتهـا إلى ان اصبحت عـلى مرمى جلة من المعسكر . من هناك بدأ القائد في تشكيل قواته في شكل طوق محكم حول قوات الجنرال . عندما ناء الظلام بصدره على الأرض ، تقدم الجهادية لاحتلال مواقعهم المتقدمة ، محددين قطر الطوق إلى أقصر مدى ممكن . تسلق بعضهـم الأشجار ، وكمن اخرون وراء جذوع الأشجار ونام عدد اخر على الأرض . كانوا على بعد امتار من ديدبانات المعسكر . كل شيء يحدث في صمت الاشجار التي تخفوا بينها .

قام الامير أبوعنجة بطوافه النهائي حول قواته ، وتأكد من ان كل جندي مـن

جنوده – الذين يقدر عددهم بحوالى ستة الا ف – يحمل مائتى طلقة لبندقيته الرمنقتون .

العمليــة

عندما عم الظلام المكان تماماً ، كان المعسكر هو المكــان الوحــيد المتقد بقناديل الكيروسين، والمكان الوحيد الذى يعبق هواؤه السمح البرودة بانغام شجية انستهم اصوات الرصاص الذى ظلوا يسمعونه النهار بطوله . لا احـد يتوقع كارثة أثناء الليل . جلسوا مخدرين بارهاق يوم كالح ، والموسيقى تبعـد الفكــر عــن الاحــداث إلى ذكريات ديارهم .

الأمير حمدان كغيره من المستمعين خلف الاشجار ، ديناميكيته لم تمكنه مـــن الاستماع لكثير منها . فالوقت فى تعليماته لم يكــن وقت لحــن ووقع . إن تعليماتــه تقــول : ان هذا الوقت وقت طلقة تحشى وزناد يجر وفرقعــة تصم الاذان .

أصدر أوامره إلى أول راية حوله بحشو البنادق والاستعداد ، ثم أمر باطلاق النار . أول دفعــة خرجت من تلك الفوهات كانت الامر إلى جمــيع السوار المسلح باطلاق نيرانه . فى ثوان أصبح المعسكر اهدافاً متحركة لست آلاف ماسورة بندقية جيدة الصيانة، جيدة الرصاص ، مقتدرة الأيدى ، عالية الروح المعنوية .

توقفت الموسيقى فوراً وحاول الجميع الهرب إلى مكان يعصمهم من الويل الــذى انهــال من اركان العالم المحيط بهــم . عدم توقعهم لهجــوم ليلى هو الذى شــل قدراتهم فاندفعوا بغريزة الانتماء مشكلين مجموعات كانت فــى حــد ذاتهــا هــدفاً أوضــح وأكبر .

الخيام تطايرت مزقاً ، الجمال التى اصيبت صارت تتقلب على الأرض التى بركت عليها ، فتسحق من كان إلى جانبها مختفياً . الذين اختفوا وراء صناديق الذخيرة انفجرت بالقرب منهم فتطايرت اشلاؤهم . سحابــة ضخمة مــن بارود تلك الأيــام علقــت بالجو الساكن الهواء وبقيت به ، محددة لنقطة بالأرض صب عليها غضب ست آلاف ماسورة بندقية حمئة تفجرت رعباً .

مايزيد على مليون طلقة خرجت مــن هذه الفوهات الرقيقة الطويلة الثقيلة .

عنـــدما بدأت ستر الليل تخف سواداً ، اصدر الامير حمدان أبوعنجة أوامـــره بالتوقف والإنسحاب من حيث اتوا .

لقد لقـــوا من سفرهم هذا نصباً

عندما اصبح الصباح كانت المأساة في داخل معسكر الجنرال رهيبة كالحـــة .جثث الرجال والجمال والبغال والحمير تملأ الأرض بوجوها الجامد . الدماء التي سالت غزيرة خطت لوحة دموية تتفاوت الوانهـا بين الأحمر المفعم حمرة والأسود الموشى حمـــرة . جثث الضحايا اعطت اللوحـــة الكريهة نقشـاً بالوان الجمال والبغال والحمير ووجـوه جيش هكس ، التي كقوس قزح ، تحمل كل الالوان التي كسيت بسترات جيش الفلاح البيضـــاء المكدرة باتربة الأسابيع الفائتة .

هذا الصباح – الإثنين الخامس مـــن نوفمبر ١٨٨٣م – هو اليوم الثاني بعـــد المائتين والسبعين يوماً منذ ان غادر هذا الجيش أرضـــه بمصر . أيام ملئت باحداث جسام كوالح عجاف . وكلما اقتربوا من هدفهـــم الذي مـــن أجله حضـــروا . تجلت لهـــم حقيقة استحالة ماهم قادمون إليه .

في الليلة الفائتة وقف هذا الجيش المنيع بعتاده وجنوده وقيادته عاجزاً إلا من الاختباء غير المجدي . وقفوا يشهدون هرمهم الحربي الضخم ينهار حجراً حجراً . في ذلك الظلام السكوت لم يستطع واحد منهم ان يمتلك حـق الدفاع عن نفسه ، اقتنع كل ضابط وجندي ان جيشه هذا لن يستطيع ان يقتلع نصراً حتى ولو جاءوا بمثله مدداً .

التاجر قناوي صاحب الجيش الخاص كان أكثر المتابعين للجيش واقعية . رأى انه يسير إلى حتفه بظلفه ، وفشلت محاولاته في ان يقنع القائد أو الحكمدار بالخطر الـــذي يواجههم ، وفي النهاية تمرد وسلح جنوده هذه المره من أسلحة الموتى ، وفي الصباح اتجه بهم نحـــو النيل . إن محاولة قناوي بك لم تزد عـــن كونها محاولة للخروج مـــن المعسكر والتسليم . فكيف يقطع المسافة التي تبلغ مائتين وخمسين ميلا دون امدادات ؟ وحتى لو امتلك طعام الدنيا بما وسعت ، فكيف سيقاوم ثواراً كان هـو أول المقتنعين بانهم سيقضـوا على جيش الجنرال الكبير ؟ كان قناوي بك يعرف تماماً انه لو عبـــر عن رغبته في التسليم

فان الجنرال لن يقبل بأقل من اعدامه . لذلك رجع إلى قصة الرجوع . وحتى رجوعه ، وهو ليس بعسكرى يعمل فى خدمة الجيش المصرى ، لم يقبل به الجنرال البريطانى واعيد إلى حظيرة المربع ليلقى حتفه معه .

صباح الأمس بدأ بمعركة شرسة وقتلى بالعشرات والمساء بطوله لم ينم فرد منهم ، بل واجهوا نيراناً ضارية وقتلى بالمئات ، واليوم هو الإثنين الخامس من نوفمبر عام ١٨٨٣ وسيخرجون بأفئدتهم الدامية ، وأرجلهم المخدره بالتردد واجسامهم التى اتعبها الارق ، وانحلها الارهاق . وعلى كل ، هذا الصباح وقف ماتبقى من الجنود والدواب بين ضحايا المقتلة الكبرى حيث شكلوا مربعاً تقدموا به إلى خارج الزريبة .



قوات الثورة

وصول الامام المهدى الى منهل المصارين

فى ضحى يوم الأحـــد الرابع من نوفمبر ١٨٨٣م ، وصـــل الإمام المهـــدى إلى منهل المصارين . تحت شجرة تبلدى تبعد كيلومتراً واحداً عـــن وادى شيكان الذى تسير عليه قـــوات هكس ، اتخذ مركز قيادته العسكرية والســياسية والدينية . فى ذلك المكان عقد الإمام المهدى مجلس شوراه لتقرير الهجـــوم الأكبر على قوات الجنرال .

أهم معلومات قدمت في ذلك الإجتماع ، كانت المعلومات التى عـــرضها الأمير حمدان أبوعنجة الذى اختبر قوات اعدائه . تحـــدث عـــن قواتها وتسليحها ومكامـــن ضعفها وقوتهـــا .

تقررت فى ذلك الإجتماع الخطة العبقرية التى كجناح جبريل ازالت من الوجود فى لحظـــات جيشـــاً ذا حول وطول . إن الجنرال الذى ابدل من تشكيل مربعه ، بعد خروجه مـــن الزريبة يوم الاثنين الخامس مـــن نوفمبر بوقت قليل ، وجعل منه ثلاثة مربعات ، لم تحمل قادة الاقتحام ابدال الخطة أواجراء تبديل يذكر عليها .

الخطة

ان الخطة التى اجيزت في الأحـــد الرابع من نوفمبر ١٨٨٣م كما سنراها مـــن تطور الهجوم ، اعتمدت على عوامل فيها كثير من الثقة بالنفس .

١ – إن الخطة ستنفذ نهاراً وفي أرض مكشوفة تتســـع لعشرين الف انصـــارى بالإضافة لقـــوات هكس . لن تدخل إلى أرض المعركة قوات تزيد عن ذلك العدد رغم وجودها لان دخول قـــوات أكثر سيشكل هدفاً ضخماً لنـــيران هكس . كما ان الاعداد كلما ، تضخمت في الامكنة الضيقة اخرت أكـــثر في سرعـــة الوصـــول إلى نقطة الالتحام .

٢ - قوات الالتحام كلها ستكون من حملة الاسلحة البيضاء والفرسان ... رايـة الكمين وحدها سيزود نصف رجالها باسلحة نارية ... ان ادخال عنصر النيران في مكان محـدود المساحة ، سيكون عامل تأخير يسلب الخطة السـرعة في الاقتحام ، بسبب ضياع الوقت في التراشق بالنيران . وعلى كل فغابة شيكان لا تناسـب هذا التراشق . في حين ان السلاح الأبيض يناسب قوات الاقتحام الثائـرة .

٣ - خطة الهجـوم ستنفذ والعـدو في حالة تحرك ليكون فاقـداً للاستحكامات والإستعدادات بنيرانه الكثيفة في دقائق الهجـوم الأولى .

٤ - محاور الاقتحـام لن تتحرك في وقت واحد .
المحور الأول : سيكون ذا شقين . الشق الأول كمين ينصب أمام المربع لكى يبدأ هجومه من داخله ، مسبباً اضطراباً في داخل المربع . هذا الاضطراب هو الذى سيستغله الجزء الثاني من المحور الأول (الراية الحمراء) لكى يقطع المسافة الحرام التى تفصله من مربع هكس .
قائد المحور هذا هوامير الامراء عبد الرحمن النجومى .

٥ - تحرك المحور الثاني - الراية الزرقاء - يبدأ بعد أن يرى نقاط الضعف التى بدأت في ميمنة المربع نتيجة الالتحام الذى حدث في مقدمته . حينها تهاجم الـراية الجناح الأيمن من المربع ، آخذة في الاعتبار ، نقاط الضعف التى ظهرت في المربع والنقاط التى تحتاج إلى تدعيم بين قوات المحور الأول . لهذا السبب اختيرت الراية الزرقاء لهذا الهجوم لضخامة عدد مقاتليها ، وامكانية دفع جانب منهم للهجوم على نقاط الضعف في ميمنة المربع ، ودفع جانب آخر لأى تدعيم قد يحتاج اليه قائد الهجـوم على المقدمة .

٦ - تحرك المحور الثالث يشابه تحرك المحور الثاني . يشاهد نقاط الضعف في الضلع الأيسر للمربع والهجوم عليها ، في حين ان قوات الهجوم على المقدمة ستكون

قد انهت مهمتها ، وحينها تتجه إلى أى تدعيم قد يحتاجه قائد محور الهجوم على مسيرة المربع . لذلك كانت قوات المحور الثالث أقل القـوات عدداً . الراية التى ستقوم بهـذا الهجوم هى الراية الخضراء بقيادة الأمير موسى الحلو .

٧ ـ كان هناك محـور رابع فيخلف المربع ، عمله ايقاف المربع لو حاول الرجوع بكامله ، أو عند تفتته . هذا المحـور يقود جهاديته المسلحين ببنادق الرمنقتون الأمير أبو قرجة ، ولا يملك أى دور اقتحامى .

المعـترك

الزريبة التى بات فيها الجنرال هكس يوم الأحد كانت أقرب نقطة مـن خط سير المربع وشجرة التبلدى التى اتخذها الإمام المهـدى مركزاً لقيادته بعد وصوله ضحى الأحد ٤ نـوفمبر ١٨٨٣م . كـانت تلك الشجرة غرب المربع مباشرة بحوالى كيلومتر واحد .

وادى شيكان الذى سلكه الجنرال هكس فـى شـكل حدوة حصـان طويلـة الساقين . ساقا الحدوة طولهما يقل قليلا عن أربعة أميال . نصف دائرة الحدوة تشكل دلتا الوادى ومنتهاه . مابعد الدلتا غابة كثيفة تسمى غابة شيكان ولايمكن لجيش أن يخترقها. ولكن الممكن هو ان الجيش بعد ان يصل إلى نصف دائرة الحدوة ان يتجه إلى الشـمال الغربى بزاوية قدرها خمسة وأربعون درجة تقريباً فى اتجاه كازقيل . فى داخل نصـف دائرة الحدوة شجرة تبلدى سميت ـ بعد المعركة ـ بشجرة البروجى .

ساقا الحدوة تحيط بهمـا اشجار كتر و طلح، وكلما اتجه السائر نحو غابة شيكان زادت الأشجـار كثـافة والأعشاب طـولا . حتى إذا بلغ السائر غابة شيكان وجـد بها أشجار صباغ ضخم وشيئاً من اشجار ليون قليل .

المسافة بين الزريبة التى بات فيها جيش هكس يوم الأحـد وشجرة البروجى ميلان ونصف تقريباً .

قـــوات الثورة تتحرك لاتخاذ مواقعها

فى عصر الأحد معسكر الإمام المهدى كان يعج بالمجموعات المتفرقة الاعمـــال والموايات . مجموعات كانت تشحـــذ سيوفها ورماحها . مجموعة أخرى كانت تتلـــوا شعر البطولة والشجاعة والاقدام . مجموعة ثالثة كانت تقرأ القرآن أو تتلقى مـــن شـــيخ شرحاً له . مجموعة رابعة كانت تبكى وتدمدم بكلمات غير مفهومة قيل انها السريالية .

شيء واحد كان يربط الجميع فى هدف واحـــد . الكل كان يتمنى ان يصدر أمر الهجـــوم الآن ، فاما نصر واما جنـــة عرضها السماوات والأرض ، ولـــو وجـــدوا النصر والاستشهاد فى وقت واحد لكان أجدى وانـــفع .

فى فجـــر الإثنين أرسل أمير الأمراء عبد الرحمن النجـــومى راية الكمين الـــذى درسه معهم قبـــلا وحدد تفاصيله ومكانه . إن الكمين الذى سينصبونه فى طريق جيش هكس ، هو عبارة عـــن خندق مغطى ، يمـــر عليه مربع هكس . يخرج الكامنون فـــبه فى منتصف المربع لاثارة الذعر والبلبلة فى داخل المربع . الذعر الذى سيحدث فى داخل المربع سيمكن قوات النجومى من الوصول إلى المربع بأقـــل نيران توجه إليه .

تحركت راية الكمين فوراً إلى المكـــان المحدد وحفروا الخندق وقامت مجمـــوعة أخرى بتغطيتهم بالرمال وزرعت فوقهم شجيرات (١) . قاد الإمام المهدى صلاة الصبح واعقبها بخطاب قصير . قائد القيادة العليـــا هـــو الخليفة عبد الله التعايشى . عربى التقاسيم خفيف السمرة التى تغشاها الرقة . أنفه المنقارى فوق وجهه ، به أثار جدرى قديم . لـــه شاربان خفيفان ، وعلى خده شعر خفيف يتكاثف حـــول الذقن . كان متوسط الطـــول والوزن ، يلبس جبـــة مرقعـــة ، وعلى رأســـه طاقية وعمامة قطن أبيض . إذا تحـــدث تبســـم فتبدو اسنانه البيضاء (٢) . هـــب الخليفة عبد الله وأمـــر قادة الرايات الثـــلاث بالتوجه فوراً لاماكن عملياتهم . خرجت أولا الراية الحمراء بدون جهاد يتها . عـــدد

---

١ – اقوال البارودى ص ٥٤ – ١/١٧٩/١١/٣ .

٢ – سلاطين ، السيف والنار ص ١٤٩ .

مقاتليها حوالى ستة آلاف ويقـودهـا الأمير عبد الرحمن النجومى . اسلحتهم السيوف والرماح . فى المقدمة الفرسان وخلفهم المشاه .

تلتهـا الراية الزرقاء (السـوداء) بدون جهادية . عدد المقاتلين يقل عن ثمانيـة آلاف من حملة الرماح والسـيوف . خلف القائد - الأمير يعقوب السيد - الفرسـان ثم المشاه . ان الأمير يعقوب أقصر من أخيه الخليفة عبـد الله التعايشى . عريض الأكتاف مستدير الوجه وبه اثار جدرى قديم . أنفه يرتفع قليلا عند ارنبته . عند الحديث إليـك تجـده عطـوفاً ومبتسماً باستمرار (١) .

اخيراً خرجت الراية الخضراء ، وكسالفتيها بدون جهادية ولكن بفرسانها ومشاتها وكلهم يحملون السيوف والحراب . مجموع الراية حوالى أربعة آلاف مقاتل . قائد الراية هو الأمير موسى الحلـو ، فى حوالى السابعة والعشرين من عمره ، قمحى اللون بـل يميل إلى البياض ، متوسـط الطـول قـوى التكـوين ، واسـع العينين ، يوحـى بتواضـع ورقة وحسن خلق وخلق ومعشر . وخـلف هـذه الشخصية قـوة إرادة ونفس تسـعى للاستشهاد كهـدف أول اغلى واسمى .

مواقـع الرايات

الراية الحمـراء

الكمين : يقـع فى الطريق إلى منطقة الخروج من دلتا وادى شيكان .

قـوات الاقتحام : وهم مـن الفرسان وخلفهم المشاه ، وكلهم مسلحون بالسيوف والحراب ، على بعد ستمائة متر تقريباً مـن الكمين على الطريق إلى كازقيل الذى يتخذ اتجاهاً شمالياً غربياً من تلك النقطة . الطريق ضيق لا يحمل إلا نسبة قليلة من مواجهة الراية الحمراء . لذلك انتشر الجناحان خلف السـواتر الشجرية ، وظهرت قلة من الفرسـان فى مواجهة الطريق تسـده سـداً .

---

١ - وصف سلاطين الامير يعقوب ص ١٥٥ ، السيف والنار .

في المقـــدمة أمير الأمراء عبد الرحمن النجـــومي على صهوة جواده .

الراية الزرقـــاء

وقفت على ميمنة مدخل دلتا وادى شيكان ، وعـلى بعد اربعمائة متر من ضفة وادى شيكان اليمنى . وعليه تصبح هذه الراية في مواجهـــة ميمنة جيش هكس . كل الرايـــة خلف الأشجار ولايظهر منها للسائر بالوادى أى أثر . في مقدمة الراية الأمير يعقـــــوب السيد . وخلفه الفرسان . ويليهم المشاه باسلحتهم البيضـــاء .

الراية الخضراء

تقابل الراية الزرقاء تماماً من الناحية الغربية وعلى بعد ثمانمائة متر تقريباً منها . خـــط سير قـــوات هكس على الوادى يقســـم القوتين – الراية الزرقاء والخضراء – قسمــــة عادلة . كل الراية وراء ساتر الأشجار . في مقدمة الراية الأمير موسى الحلـــو وخلـــفه فرسانه وخلفهم حملة الســـيوف والحراب .

القادة الثلاثة أمام قواتهم بمسافة ليست بالقليلة وفي مواقـــع تمكنهم من اخـــتلاس النظر الى قوات هكس حتى يتمكنوا من تنفيذ الهجوم في تناسق ودقة حسب تطـــوره . فتيل اشعال الهجـــوم في يـــد قائد راية الكمين .

رايات الفرسان الثلاثة

فرســـان رايات الأمير حمدان أبى عنجة والحـــاج محمد عثمان أبى قرجـــــة وعبد الحليم مساعد الراكبة المسلحة ببنادق الرمنقتون خلـــف قوات هكس ومتســـترة باشجار ميمنة وادى شيكان في سيرها. كانت المسافة بينها وقوات هكس ميلين . ولكن عندما اقتربت ساعة الهجوم ضيقت المسافة بينها وبين القوات الغازية لستمائة متر فقط .

تقـدم قـوات هكس

خرج مربـع هكس مـن الزريبة التى قضى فيها ليل الأحد وساعات فجر الاثنين الصغيرة . كان المربـع أرقاً متعباً . قطـع نصف الميل الأول(١). اوقفه الجنرال وأمر بتقسيمه إلى ثلاثة مربعات .

١ — المربـع الأول : يتكـون من الالاى الأول وبقايا الالاى الرابع . هذا المربـع سار فى المقدمـة ، أمامه اربعه مدافـع كـروب والجنرال . زودت الأركـان بمدافـع المترليوز السريعة الطلقات .

٢ — المربـع الثانى : يتكـون من الالاى الثانى بقيادة علاء الدين باشـا (الحكمدار) ويسير على ميمنة المربع المتقدم ومتأخراً عنه بثلاثمائة ياردة . زودت أركان المربع بمدافـع المترليوز وفى المقدمة كروب .

٣ — المربـع الثالث : يضـم الالاى الثالث ويسير على ميسرة المربع المتقدم ومتأخراً عنه بثلاثمـائة ياردة . أيضاً احتفظ بنفس المسافة بينه وبين المربـع الأيمن . هذا اللواء يقـوده اللـواء حسـن مظهـر باشـا .

٤ — فرسان الباشبوزق : ساروا بين المربع الأول والثانى والثالث ، كلهم يحملـون سيوفاً ومسدسات بماسورتين .
جمال الاحمال : داخل المربعات الثلاثة .

قوات المراقبة تحمل نبأ تحول المربع

الأمير أبوقرجة الذى جرى تحـول المربـع امام عينيه إلى ثلاثة مربعات ، ارسل فارسـاً فوراً إلى الخليفة عبدالله يخبره بالذى حـدث .

صمت الخليفة عبدالله بضـع ثوان عندما سـمع قول الفارس فى تفكير سريع . ثم رد عليه . . هذا أفضل ويناسبنا أكثر .

---

١ — زلفوا — شيكان ص ١٩٠

استدعى الخليفة عبدالله ثلاثة فرسان ارسل كل واحد منهم إلى أمير محــور يلفت نظره إلى ماحدث ، ويقــول له لاتعديل ولاتبديل فى الخطة ، كل راية عليها مواجهــة المربــع الذى يواجهها بدلا من الضلع . ثم أشار إلى فارس الأمير أبى قرجة بان يرجــع وان تراقب قواتهــم خط سير المربعات بدقة وابلاغه بأى تعديل يحدث فيها . من هناك توجه الخليفة عبدالله إلى الامام المهدى يبلغه بما حــدث .

البروجى الذى انس من جانب الغابة ديلما

التحفز الذى كان بادياً على الجنرال وجنوده ، اظهرته السناكى المشرعة ومواسير البنادق المشرئبة ، والسير والتوقف المستمر . إن الأرجل لاتتحرك إلى الامام إلابوقع ثقيل من طبول فرقة الموسيقى .

قرر الجنرال هكس باشا ان يرسل فارساً من قوات الاستطلاع يكــون معه عازف بوق (بروجى) لكى يرسل استطلاعاته باشارات بوقيه كل نصف ميل ، فهى أسرع وصولا من عودة الفارس .

ذهب الفارس والبروجى يستطلعان. بعد نصف ميل ارسل البروجى اشارات بوقه التى سمعت واضحة فى المربعات الثلاثة . الأرض خالية من الأعداء .

اشرقت الوجوه ، واستمرت المربعات فى التقدم . عندما ابلغ الجنرال بان قوات ابى قرجة من خلفهم قد ضيقت من التصاقها بقــواته لم يعر الأمر كثير التفات ، فقــد كان هذا دأبهــم منذ وقت طويل خلا. كل الذى حدث انهــم اقتربوا اكثر. وهذا فى حد ذاته قد يعنى أن المهدى لن يحارب اليوم بل سيستمر فى المتابعة . تقــدم فارس الاستطلاع والبروجى إلى نصف الميل الثانى. لم يجدا شيئاً . الغابة فى صمت القبور فى هذا اليوم المصيف الحار الجامد الهــواء .

تسلق البروجى شجرة التبلدى التى تقف قريباً من نهايــة دلتا وادى شيكان. لاشىء يرى . اراد النزول . الفارس الذى معه أمره بالارتقاء إلى علو أكبر . بساقين مرتجفين زاد من ارتقائه وهو ينظر إلى مراطىء قدميه لاإلى الأرض التى حوله . عندما وصل إلى آخر فرع

يمكنه ان يتسلقه ، رفع برأس وقامة غير منتصبة . أول اتجاه وقعت عليه عيناه وجد عليه أمة من الناس . أعاد البصر كرتين ، فأنس من جانب الشجر العدو الذى أرهبه طويلا .

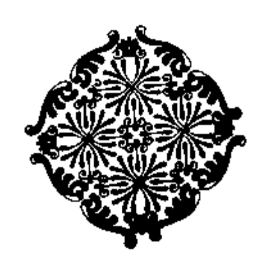
الجزع . والغضب ، والخوف قادوه إلى سلسلة من ردود فعل فزيولوجية عنيفة . .

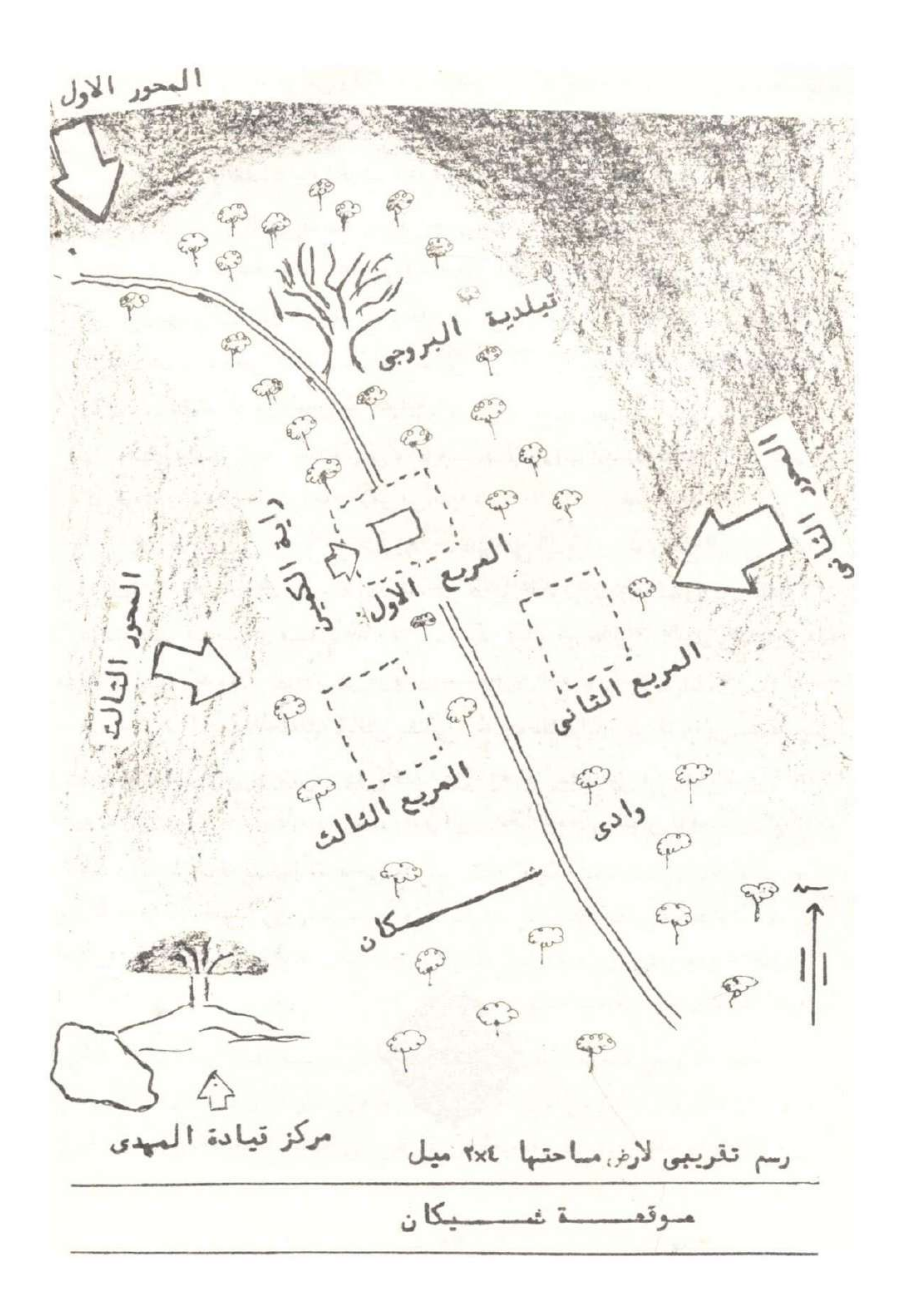
انتاج (الادرنلين) الذى يضع جميع الجسم فى حالة طوارىء ، جعلت البروجى ينطلق باشاراته المرعبة دون انقطاع ودون سماع لكل المحاولات التى جرت لايقافه .

إن تقديرات ذلك البروجى ، وحتى هو فى تلك الحالة من الرعب حسب أقوال الشيخ (محمد آدم ص ٨٢) . بان القوات التى على يساره خمسة آلاف ، وعلى يمينه عشرة آلاف ، كانت أقرب تقديرات حقيقية .

الشيء الذى لم يقبل به الجنرال ، ان هذه الإشارات اتخذت شكلا أثار الرعب فى كل قواته وكاد ان يفلت زمام الأمر من يديه .

البروجى لايزال يرسل فى اشاراته . . عدو على اليمين . . عدو على اليسار . . عدو فى السماء . قام الجنرال بمحاولة ايقافه عن طريق الكولونيل (فركهار) . . ففشل . ان عودته للتصرف السوى قد تأخذ وقتاً . . ولكن القائد البريطانى – الذى كان يعلم هذه الظاهرة أو لايعلمها – لم يكن فى موقف يسمح له باشعال سلسلة ردود فعل هوجاء عند جميع قواته ، ولاأحد يدرى متى ستنتهى . أمر باطلاق النار على البروجى المضطرب . طلقات القناصة الذين وصلوه اردته فاقداً النطق والحياة . سقط على فرع من الشجرة امسك به ، وبقى عليه عقوداً من الزمان معلماً بارزاً باقياً للخامس من نوفمبر ١٨٨٣م . واسميت الشجرة بتبلدية البروجى .




المحور الاول
تبلدية البروجي
المربع الاول
المربع الثاني
المربع الثالث
المحور الثالث
وادى
شيكان
مركز قيادة المهدى
رسم تقريبى لارض مساحتها ٢×٤ ميل

موقعة شيكان

شيكان : ٥ نوفمبر ١٨٨٣م – ٤ محـــرم ١٣٠١هـ

عندما اقتربت المربعات الثلاثة من كمين الراية الحمراء كانت الساعة قد اقتربت من العاشرة صباحاً ، والمربع الأول على بعد حوالى الأربعمائة متر من شجرة البروجي .

الأمير عبد الرحمن النجـــومي يقف على جـــواده أمام قـــواته على طريق كازقيل ، يراقب بعينيه الحادتي النظر الهادئتين الواسعتين عدوه الذى لاتحجبه عنه الآن إلا شجيرات وانحنـــاء الطريق . جبهة الأمير عالية ، يلف حول رأسه الحليق تماماً ، عمـــامة ارتخـــى جانب منها على كتفه الايمـــن . لونه قمحى يظهر الثلاثة خطوط على كل خد منه ، ان الخطوط مائلة حـــو الى خمس وثـــلاثين درجـــة نحـــو صدغيه . لحيته الســـوداء تغطى حنكه . ولكن فى طول شعر لايزيد عن ثلاثة أو أربعة سنتمترات . شواربه التى تصل إلى جوانب لحيته ، متوسطة الكثافة . فمه تحت أنفه الحاد يتخذ شـــكل مثلث ، ويبرز مقدمة ثناياه العليا ناصعة البياض .

حتى لحظـــات ترقبه تلك كانت بهدوئه الذى عرف به . انه لوحة لقائد يقف وكانما يشـــاهد مجموعة مصلين . انه يقف دون حركة ينظـــر إليهم ببصر حديد، وجسد هادىء لايتحرك . إذا تحدث إليه أحد امرائه يرد عليه بعد حين باقتضـــاب ودون ان يلتفت إليه ، وبصـــوت عليك امعـــان الســـمع ان اردت ســـماعه .

الســـاعة الآن العاشرة صباحاً مـــن يـــوم الاثنين الخامس مـــن نوفمبر ١٨٨٣م ، الرابـــع مـــن محرم ١٣٠١هـ لحظـــة سيذكرها التاريخ الســـودانى مابقى على أرض هذا الكوكب سودانى واحد عرف تاريخ بلاده .

تعـــدت مدافـــع الكروب التى فى مقدمة المربـــع الأول أرض الكمين . تلاهـــا الضلع الأول بضباطه وجنوده : اصبح الكمين الآن فى وسط المربع . صوت قائـــد راية الكمين الآمر أخرج الكامنين بجـــوف الأرض إلى سطحها ... وجدوا انفسهم فى وســـط مجموعات الجمال والبغال والحمير ... اطلق بعضهم النار عليها ، وأسرع الباقون فى ضرب عراقيبها . اندفعت الحيوانات المصابة وغير المصابة هاربة من المربـــع ، دافعة كل شيء أمامها ، مسقطة لما عليها . كل العيون التى كانت تراقب الطريق الذى أمامها وتنظر إلى الأمير

عبد الرحمن النجـــومي ، الذى بـــدأ جزء من قـــواته فى الظهور معترضـــاً الطريق ذهلت للجلبة والصياح واطلاق النار واندفاع الحيوانات من داخل المربع . التفت ضباط وجنود المربع الأول إلى داخله الذى نزلت عليه نازلة كانهـــا من الجن ... تخلخلت الصفوف واضطرب النظـــام .

تلك بالضبـط هى اللحظات التى ينتظرها الأمير الجعلى عبد الرحمن النجـــومى . قرأ دعاء الحرب ثلاثاً ووثب أمام فرسانه وخلفهم مشاة الســـلاح الأبيض وكانمـــا زودوا بمحركات جبريل .

عندما تنبهت طواقم مدفعية الكروب إلى سيل العرم ينداح بين الأشجار نحوهم، كانت المسافة بين الجيشين تقل عن مائة متر .

اطلقوا اربع دانات ركلت إلى السماء سحابة تراب ، وقبل ان ترتفع كثيراً كانت جياد النجـــومى قد اجتاحت مقدمة المربع الأول وهربت طواقم المدفعية .

تبع المشـــاة الفرسان إلى أمعاء المربـــع بسلاحهم الأبيـــض . لم تدم المعمعة أكثر من دقيقتين ، اصبح بعدها المربـــع مزقاً تتفقد رقابهم سيوف حـــداد واسنة زرق ، فى جو ملىء تهليلا وتكبيراً ونقعـــاً .

لم يعـــد فتات المربـــع الأول قادراً على تقديم عمل عسكرى مثمر .

المربع الثانى فى المعركة .

المربـــع الثانى استغل الدقائق الفائتة استغلالا رائعاً ، اظهر القدرة التنظيمية العالية التى يتمتع بهـــا قائده علاء الدين باشـــا حكمدار الســـودان .

فى الدقيقتين الفائتتين انزل علاء الدين فرسان الباشبوزق وشكلهم على هيئة حائط بين المربـــع الأول والثانى لمواجهة قـــوات الانصـــار التى ستتقدم نحوهم لامحالة . وجـــه علاء الدين مدافـــع المتراليوز نحـــو المربـــع الأول ـ وهو الاتجاه الذى اعتقد انهـــم سيتقدمون منه . جميع البنادق كانت قد حشيت بذخيرتها وكذلك المدافع . كل جنـــدى وضابط وقف على استعداد كامل لدخـــول المعركة باشارة من القائد . بعد قليل اقتنـــع علاء الدين الا أمل يرجى مـــن المربـــع الأول . إن المسافة بينه وبين المربـــع المنهار

ثلاثمائة باردة فقط ، وإذا لم يسرع باطلاق النار على اعدائه الآن قبل ان يكملوا القضاء على مجموعات المربع الأول المتبقية فانهم سيقطعون هذه المسافة فى وقت وجيز ويجهزون عليه . ان أى اطلاق نار على الانصار الان سيصيب زملاءه فى المربــع الأول لامحالة، لكن إذا تأخر فان الثوار مجهزون على بقايا زملائه وقادمون عليه .

كل هذه الافكار جالت بخاطره ، واخيراً انتهى به التفكير ان ينقذ مايمكن انقاذه . إن هذا القرار يحتاج إلى كثير من عدم الإنسانية ان يطلق الإنسان النار على زملائه . قرر اخيراً، واصدر أوامره لقواته باطلاق النار على الثوار وبقايا زملائه دون تأخير . إن أكبر دافع له لاتخاذ القرار رؤيته لمجموعة ثوار بدأت رحلتها نحــوه .

انتفضت بنادق الرمنقتون ومدافع المترليوز باعثة الحياة فى تلك الجمادات الكريهة. بدأ القصف فى اتجاه الشمال الغـربى ، ولكن أكثر الظن انه لم يدم أكثر من ثوان ــ وذلك لقلة شهداء هذا القصف كما ظهر فيما بعد .

الذى أوقف القصف هو هجوم الراية الزرقاء ، غير المتوقع ، من داخل الأشجار على ميمنة المربــع الثانى . الامير يعقــوب السيد كعادته يسبق الجميع بجواده . فرسانه العديدون كانوا وكأنهم فى سباق خيل وليسوا فى معركة. السرعة وانحدار الأرض والمفاجأة اعطت الأمير يعقوب ميزة تكتيكية لاتقدر ولاتحســب . اصطدام الراية بضلعه الأيمن زلزل أركان المربــع واضلاعه الباقية .

اشجار الغابة اعاقت بعض الشيء الفرسان المسرعين ، ولكن اعاقت أيضاً المربع من توجيه نيرانه عليهم .

طواقم مدافــع المترليوز بعضهم غير اتجاه فوهاتهــا المتعددة ، وفتحت نيرانهــا السريعة على الفرسان . اصيب عدد من الفرسان برصاص ، ولكن الرصاص ، كما شهدت بذلك جميع حروب المهدية لايجندل مقاتلا سودانياً فوراً ولايوقف تحركه ، انه يندفــع ويقاتل الى ان يمنع النزف وصول الاكسجين إلى المخ . وعندها يسقط مغشياً عليه .

الشيخ على الجله أصيب بخمس طلقات لم توقف اندفاعه واستمراره فى القتال .نزفه لم يتكاثر ولم تكتب له الشهادة حينها .

فى ثوان اجتاح فرسان القبائل الغربية القلقون الذين تضمهم الراية الزرقاء ، اجتاحـــوا المدافع واخترقوا المربع فاتحين الطريق لمشاتهم ، الذين كلما ملاوا المربع انتفخ كالبالون . بعد قليل انفجر البالون بضربات الرماح الحادة والسيوف .

ان القتال كان ضارياً ، فقد ركز كل جندى قدميه على الأرض فى دقائق الهجـــوم على المربـــع الأول . ان هؤلاء الجنود قد رأوا ماحاق بزملائهـــم فى المربع الأول مـــن تقتيل ، فاقتنعـــوا بان شيئاً واحداً سينقذهم ، وهو بنادقهم وسناكيهم . قاتلوا قتالاً شديدا وطويلا وشجاعاً . الأرض كلها ملئت تهليلا وتكبيراً وصراخا وبكاءً وانيناً ودخاناً وغباراً .

قـــوات النجـــومى لازالت تطارد الهاربين من المربـــع الأول . خـــلف المربـــع الثانى والثالث قـــوات أبى قرجـــة وعبد الحليم مساعد وابى عنجة تسد الطريق .

استمر القتال مايقارب العشر دقائق . النقـــع الذى اثير فى ذلك اليوم الحار العسر ، اظلم الأرض تماماً ، وبدأ المهاجمون والمدافعون يجاهدون الرؤية .

اخيراً تفتت المربـــع الشجاع ، واصبـــح فى شكل مجموعات تقاتل منفصلة .

المربع الثالث والمعركة

كل الدلائل كانت تشير إلى ان اللـــواء حســـن مظهر لم يخطر بباله انه قد يتعـــرض لهجـــوم من ناحية الغرب على ضلعه الايســـر رغم انه رأى ان المربـــع الثانى تعرضـــ لهجـــوم من خلف الأشجار على ضلعه الأيمـــن . كل تركيزه كان على ماهو حادث فى المربـــع الثانى بعد ان حول نظره من المربـــع الأول الذى تمـــزق . عـــندما شعر بـــان المربـــع الأول فقد مقوماته القتاليه ، توقـــع تماماً أن الهجوم عليه سيأتى من قوات الراية الزرقاء ، فبدأ فى ضرب المربـــع الثانى – عدوه وصديقه . نفس تصرف علاء الدين .

إن اللـــواء حســـن مظهر بوقوفه هناك قد ارتكب خطأ تكتيكياً مهماً . إن الإختيارات التى كانت أمامه لم تكن كثيرة ولكن أهمها ان يأمر الفرسان الذين خلفه وإلى جانبه بالتعمق فى الغابة التى على يساره لحمايته . إذا وجدوا عدوا هناك يدخلون معه فى مناوشات تعطيه زمناً لتوجيه نيرانه بشكل رئيسى إلى جيش الأمير عبد الرحمن النجـــومى الذى كاد ان يقضى عـــلى فلول المربـــع الأول ، وبذلك يكون قد قتل عدداً أقل من زملائه بذلك المربع وفتح الطريق الوحيد الذى يمكن ان يسلكه . إذا تمكن من اصابة قوات النجـــومى اصابات

شتت شمل قواته ، فعندها يمكنه ان يحتل مكان المربــع الأول ، ومن ذلك الموقع يبدأ في ضرب الراية الزرقاء .

وحتى هذا الخيار اسهل قوله من فعله ، وذلك لان القضاء على الأمير عبد الرحمــن النجومى لن يكون بهذه السهولة وسيأخذ وقتاً . هذا إذا لم يسرع الأمير بالهجــوم عليه ، قاطعاً مسافة الثلاثمائة يارده — لافي خط مستقيم وانما بدخوله الأشجار وخروجه منها فى مكان أقرب إلى المربــع .

ولكن فى كل الحالات ، فان كل محاولة للخروج من مصيدة شيكان عبث لاطائل تحته . ولكن خسائر الثوار كانت ستزيد كثيراً عما حدث فعلا .

إن خيار اللواء حسن مظهر بالوقوف فى مكانه وترك فرسانه فى حالة تجمد كاملة . وتوجيه نيرانه للمر بــع الثانى لقتل زملائه واعدائه ، قد جعل المربــع اسهل صيد تم اصطياده بين المربعات الثلاثة .

مع أول طلقات ودانات خرجت مــن مربعه — الذى يحمل فى داخله قناوى بك وجماعته الذين سلبوا اسلحتهم ووضعوا كسجناء — تلا الامير موسى محمد الحلــو دعاء الحرب ثلاثاً ، وانطلق بجــواده وخلفه فرسان دغيم وكنانة يتبعهم مشاه الراية الخضراء بسيوفهم وحرابهــم .

المسافة خلف الأشجار لم تكن بعيدة من مكان المربــع الثالث . قلة عددهم مكنتهم من زيادة سرعتهم . لم يشعر اللــواء مظهــر بهم إلا بعد ان صاروا على بعد أمتار منه. عندما ادار نيران مدافعه وبنادقه عليهم كان قد حدث الصدام فعلا بضلعه الأيسر. وبسهولة تم اختراقه . وقبل ان يتضخم المربــع بمشاة الــراية الخضراء كان الامير عبد الرحمــن النجــومى قد انجز مهمته فى القضاء على المربع الأول وفلوله . تلفت النجومى إلى مكان آخر يقدم له خدماته . قرر ان يهجم على مقدمة المربــع الثالث الذى لازال محتفظاً بمقدمة وجانب أيمــن فى حالة سوية . الهجــوم كان سريعاً ولم يجابه نيراناً ، بل كانت المقدمة والميمنة مشغولتين بسيل العرم الذى دخل إلى المربع . بصدمة قــوات النجــومى لضلع المربــع الأمامى لم ينشق الضلع فقط وانما انهــار المربع بكامله وبدأت قــوات الأميرين تجول فيهم قتلا . قــوات الأمــير يعقوب التى كانت اعرض فى مواجهتها للمساحة

التى كان بها المربـــع الثانى ، اتجهت مجموعات كبيرة مـــن قوات رايته لتقديم يد العون للقضاء على المربـــع الثالث . وهكذا وجد اللواء حسن مظهر وجنوده من بين ايدهم سداً ومن خلفهم سداً ومن ميمنتهم سداً ومن ميسرتهم ســـداً .

في زمـــن يقل عـــن الثلاث دقائق كان المربـــع فاقداً لفعاليته القـــتالية .

إن المعركة التى بدأت قبل ربع ساعة قد شارفت نهايتها . عمليات الملاحقة أخذت وقتاً أطول واشتركت فيها بشـــكل رئيسى القوات الراكبة .

الحصاد

إن عدداً قليلا قـــد بقى ليحكى قصة المعركة من الجانب المصرى التركى الانجليزى الأوربى . ان جميع القادة قد قتلوا . الذين لم يلحقهم الموت هم الذين اختبأوا وراء الموتى والجرحى من الجنود والحيوانات . ولكن بعد قدوم الإمام المهدى إلى المنطقة اوقف القتل وحمى المستجيرين به .

الشهداء .

الذين استشهدوا قاربوا المائتين «١» منهم : أبوأمية والطاهر من أقـــارب الخليفة عبد الله. ضوء الدين عبد الله وهـــو من السابقين لنصرة المهدى المقربين إليه .

أحمد التنى .

عبد الرحمن التنى .

أحمد شيخ محمد .

محمد النصرى .

عبد الرحمن النصـــرى .

عثمان بن عم الخليفة محمد شريف .

أبوزميم الكنانى .

عبدالله محمد بلال .

محمد إدريس .

عبد الرحيم المـــادح .

دفـــع الله الضو الشويحى . . . . وغيرهم .

---

١ - الكردفانى ص ٢٣٦

الخطة البريطانية للاستيلاء على السودان

ان احتلال بريطانيا لمصر من أجل توفير مصادر المواد الخام للصناعة البريطانية ، جعل الممتلكات المصرية ، من الناحية المنطقية – حقاً لبريطانيا. اضافة إلى ذلك فان السودان الذى ينتج القطن منذ وقت طويل لسد احتياجاته المحلية ، سيقوى من عزيمة بريطانيا للاحتفاظ به . عامل ثالث اصبح أكثر الحاحاً هو هزيمة جنرال بريطانى فى شيكان وقتله . وعليه رسمت السياسة البريطانية بالشكل الآتى للاستيلاء على السودان .

الخطوة الأولى : ارسال غردون الذى يعرف السودان جيداً ويملك دعاية فى بريطانيا بانه محبوب فى السودان ، لكى يصبح حاكماً عاماً للسودان .

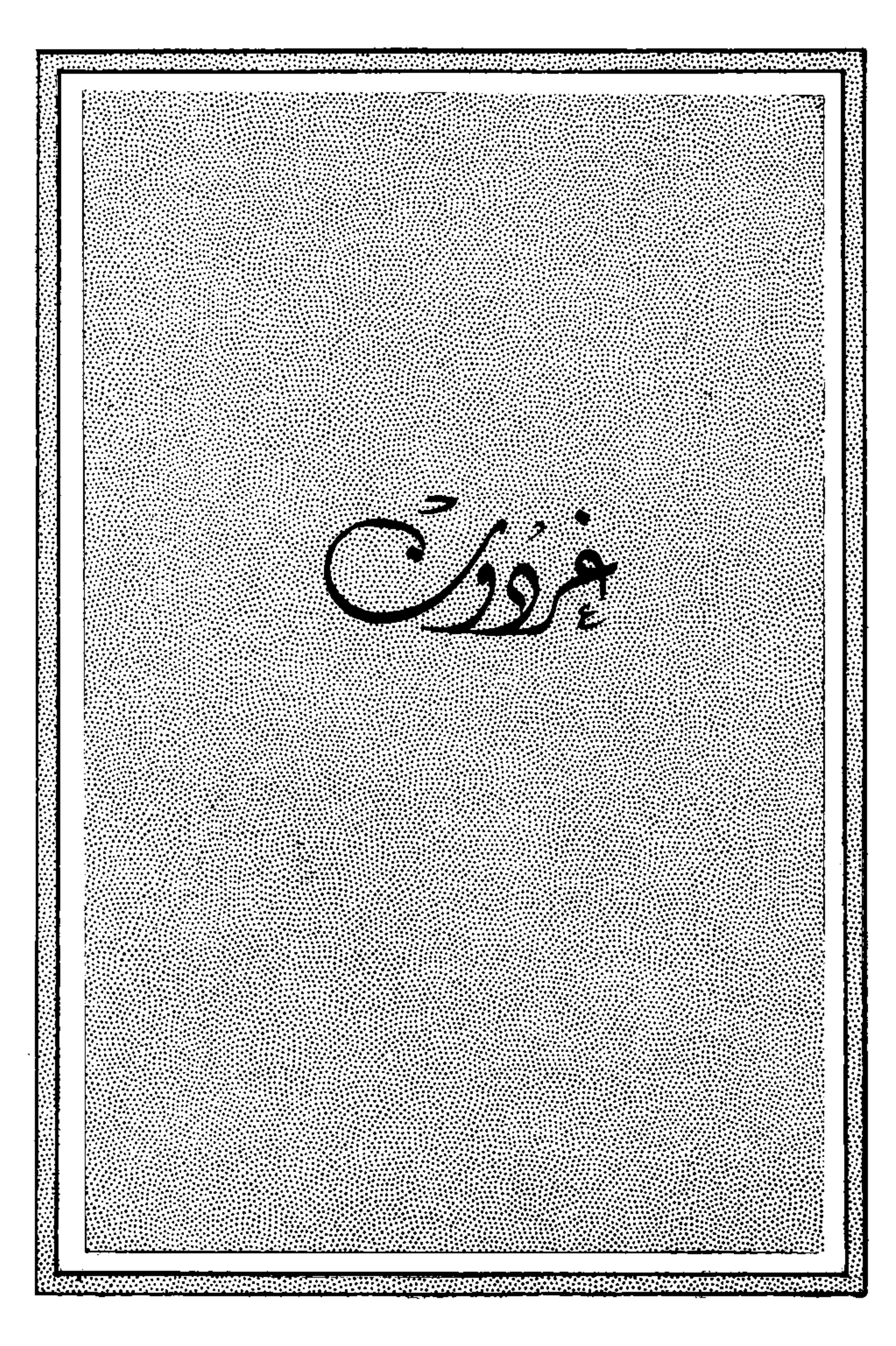
الخطوة الثانية : ايقاف تقدم الإمام المهدى فى كردفان، كمرحلة أولى ثم ضربه.

الخطوة الثالثة : تقسيم السودان إلى قبائل تحكم نفسها تحت وصاية بريطانية إلى حين .

الخطوة الرابعة : فتح طريق سواكن بربر ، وتركيب خط حديدى به لاحضار معدات وأسلحة وجنود للاحتلال .

الخطوة الخامسة : اخلاء السودان من القوات المصرية .

جميع هذه الخطوات قد تتداخل مع بعضها فى أوقات مختلفة ، ولكنها فى النهاية تشكل الخطة البريطانية الكاملة لاحتلال السودان ، وقد بدأ التنفيذ بدقة. فى أول عام ١٨٨٤ حددت بريطانيا اسم غردون لكى يعين حاكماً عاماً للسودان ، انها الخطوة الأولى .
قبل ان نتابع رحلة غردون إلى السودان يجب أن نرجع إلى خلفيات غردون التى حملت الحكومة البريطانية لاختياره هو بالذات للقيام بتنفيذ الخطوة الأولى من خطتها .





جنرال غردون

من هو غردون ؟

غردون الذى كتبت عنه كتب لاحصرلها ،ولد فى الثامن والعشرين من يناير ١٨٣٣ فى (وول ويتش) حيث كان والده ضابطاً فى الكلية الحربية البريطانية فى نفس المكان ، وكان مسئولا عن الخناطير هناك .

ولد غردون من صلب ضابط ابن ضابط .والدته (اليزابث) بنت بناء سفن ، ولدت أحد عشر طفلا بينهم تشارلز جورج غردون .

دراسته

دراسته الإبتدائية كانت فى شبه مدرسة فى (تونتون) تديرها سيدة كانت تعمل فى يوم من الأيام مربية عند احد أقرباء غردون. ارسل تشارلز إلى هناك لسوء سلوكه فقد قضى كل وقته مع مجموعة من مشردى منطقته يزعجون أهل المنازل بضرب اجراس منازلهم ثم الهرب. ويضربون زجاج شبابيك الكلية الحربية بقطع الحديد والحجارة التى يوصلونها إلى أهدافها بواسطة (نبال). كل المحاولات التى جرت لنصب كمائن لقبضه وقبض من معه من المشردين فشلت .

فى مدرسة (تونتون) تعلم القراءة والكتابة ، ولم يعرف عنه انه اجاد أيا منهما ، ولكنه اشتهر بالرسم ، وخصوصاً رسم القلاع والاستحكامات .

فى الكلية الحربية التى دخلها بعد المدرسة فى عمر يصل خمسة عشر عاماً، استطاع ابراز تشكيلات متعددة من السلوك المنحرف وعدم الاذعان للقانون أسوأ حادث هوالذى زطح فيه أحد زملائه الذين كانوا فى فصل متقدم،عندما كان يحرس باب غرفة الطعام لكى لايخرج الطلبة. نطحه برأسه مما أدى إلى سقوطه عبر الدرج ثم عبر باب زجاجى. العقاب

الذى ناله على سوء سلوكه كان حرمانه من الالتحاق بقسم المدفعية، الذى كان يؤخذ له الطلبة النجباء ، وسمح له بالالتحاق بقسم المهندسين الذى يدخله أقل الطلبة تحصيلا وفهماً.

غردون الضابط

في ســن ١٩ سنة أصبح ضابطاً في الهندسة البريطانية في (شاتهام). هناك أصيب بمرض لازمه بقية حياته، وهو القلق المفرط. شيء آخر لازمه حتى مماته وهوان يضع نفسه في موقف صعب يسرع الآخرون فيه لنجدته. فعل ذلك وهو صغير برمى نفسه في المــياه العميقة ، وفعل ذلك في المعارك التي خاضها . فقد كان دائما يلقى بنفســه دون تفكــير مدعياً انه يريد المــوت .

بعد ثمانية عشر شهراً نقل إلى (بم بروك) في ويلز . زاد القلق هــناك حتى كاد ان يصبح هوساً .

غردون الجميل

كان تشارلز جورج غردون خفيف الجسم، عيونه الرصاصية الزرقاء عميقة التأثير. صوته كان ناعماً هادئاً إلى حد صعوبة سماعه. كان خجولا ومتردداً وجميلا . بل كان يوسف زمانه . زوجات كبار الضباط بالحامية كن يردنه في كل حفــل ، اما للاستمتاع بالنظر إلى معجزات الله في هذه الخمسة أقدام وخمس بوصات ، أو نصباً لحبال زواجه من بنت واحدة منهن. ولكن كل هذا التآمر النســوى لم يصب هدفاً لان تشارلز لم يكــن شخصية اجتماعية. انه لايحب الرقص ولا الحفلات التي كانت تشكل قمة الحياة الإجتماعية. انه لايحب حفلات العشــاء والكلمات الرقيقة الدقيقة الناعمة الهامسة التى تنطلق من شفاه مبتسمة وعلى مبعدة من الآخرين .

كان يؤدى عمله وينطلق إلى غرفته حيث يقفلها جيداً . شخص واحد استطاع قطع

وحدته . هو اخته (اوغستا) . انها امرأة لا تعرف الإبتسام ولا الروح الرياضية معذبة بشكل صنمي جاف جامد .

شخصية أخرى ظهـرت في حياته ، هي كابتن (درو) الذي كان يذهب إليه في منزله ويتبادل معه احاديث دينية ، وصفها غردون بانهـا اعطت حياته معنى .

غردون في حرب القرم

بعد وساطة ذهب غردون إلى حرب القرم . حرب القرم قامت عندما رأت تركيـا إسناد الاشراف على المناطق الدينية في القدس إلى الكنيسة الارثوذكسية اليونانية . دخلـت روسيا في حرب ضد تركيا . أما الاخيرة فقد ايدتها فرنسا وبريطانيا . وبالطبع هذا هـو التسلسل الشكلي للحوادث ، ولكن الأسباب الفعلية هي ان روسيا كانت تريد منصة قفـز إلى البحـر الأبيض المتوسـط الشيء الذي تحالفـت بريطانيـا وفرنسـا ضـده .

ووقفت تركيا المتهالكة تنظر إلى القوتين تتصارعان . وصل غردون إلى الحرب المشتعلة في يناير ١٨٥٥م ، لكي يلقى حتفه ، كما ذكر . في ذلك الشـتاء القارس عمل في الإستطلاع العميـق ، وقـد كان قاسياً في نقـده لزملائـه . وصفهم بانهم اطـفال يريدون ان يفعل كل شيء لهم . أما حلفاء انجلترا ــ الفرنسيون ــ فقد وصفهم بانهـم (يتحدثون كثير وشجاعتهم تقل عن شجاعة اعدائهم الروس) .

اصابته شظية هناك ابعدته عن الحرب عشرة أيام . عنـدما انتهت الحرب باحتـلال (كنبورن) و (أورتشاكوف) في أكتوبر ١٨٥٥م، نال المدالية الحربية التركية ومداليـة الشرف الفرنسية ومدالية من بلاده .

بعد نهاية الحرب ترك هناك في لجنة رسـم الحدود في (باسارابيا) .

غردون في الصين

عاد إلى بلاده إلى عمله القـديم في بناء الاستحكامات والقلاع . في عـام ١٨٦٠م كانت بريطانيا وامبراطور الصين على شفا حفرة من الحرب ، لان الأخير رفض التوقيـع على اتفاقية « تين تسن » ، فتبرع غردون للعمل بالصين .

الموقف فى الصين

كانت فرنسا وبريطانيا فى « شانقهاى » فى عداء مع امبراطور الصين، عند وصول السفينة التى تقل غردون إلى ذلك الميناء الصينى. ففى تلك الأيام قبض امبراطور الصين على الرسل الذين ارسلهم الجيش الاستعمارى حاملين اعلام هدنه، لمحاولة الوصول إلى تسوية. اساء الامبراطور معاملة الرسل، واطلق سراح بعضهم ومات البعض الآخر، ومن بقى منهم عرضهم فى محكمة لمدة ثلاثة أيام.

قرر لورد « الجن » الموجه للسياسة البريطانية تأديب الامبراطور، فاوكل إلى ضابط المهندسين غردون ضرب القصر الملكى المقام خارج بيكين. هذا القصر كان يحوى من الآثار وروعة التاريخ أكثر مما حوى قصر « وندسور ». قام تشارلز جورج غردون بالمهمة - التى يجب ان نذكر للتاريخ انه لم يكن راضياً عنها - قام بها قياماً لم يبق بعده اثراً للقصر. ان ورق البارود الذى استعمله لهذه المهمة، كان كجناح جبريل، انغرس تحت القصر ورفعه، ثم اعاده رأساً على عقب.

ثورة الصين

فى الجانب الثالث فى الصين كان هناك رجل يدعى « هونق هسوى لشوان »، ابن أحد زعماء عائلة « هونق » من قبيلة « الهاكا » التى لم تقبل بالهزيمة التى منيت بها عائلة « مينق » قبل مائتى سنة، بواسطة (مانشوز) التارتار. قاد « هونق هيسوى لشوان » ثورة ضد الامبراطور. إن هونق كان قد تعلم فى مدرسة الارسالية البريطانية التى حولته إلى مسيحى وعلمته تعاليم المسيحية الأولية (الرب الاب والمسيح الابن والروح القدس). قصة الروح القدس هذه لم تستطع ان تسلك طريقها إلى خلايا عقله، فرأى انه من الأفضل ان تكون هذه التعاليم على الوجه التالى (الرب الاب، المسيح الابن الاول وهو الابن الثانى للرب) اضاف تحريفات اخرى الى المسيحية، مثل كتابة الصلاة على ورق.

جيش الثورة

هذا الرجل قاد جيشاً من الثوار واسمى نفسه « الملك السماوى » وثورته اسماها « المملكة السماوية للسلم العظيم » - هذه الأسماء صاغها فى عام ١٨٥١م. بعدها طهر ثواره من آثام الصين المزمنة .. الرشوة والافيون .. والدعارة. أيضاً عين « لى سيوشنق »

وتعني الملك المؤمن ، عينه قائـداً لجيشه . اصاب هذا الثائر الامبراطور الصيني بهزائم عدة ، ووصل الى وادي نهر « يانق تزى » ، واستولى على مدن « واشانق وهانق كاو و نان كينق » ثم أصدر أمره بالزحف على بيكين . ولكن الامبراطور الذى حصل عـلى دعـم مـن (المنغـوليين) ، أوقف زحف الثوار نحو بيكين . وبعد مـدة ظهر الجيش السماوى على مشارف « هونق كونق » .

مصالح القوى الإستعمارية التى اضيرت بتحركات الجيش السماوى فى مناطـق تجارتهـم حتمت ان تسعى بريطانيا إلى اجراء محادثات مع هـذا الثائر المسيحى . فمهما كانت تحريفاته فيها ، فهـو بالقطع اقرب إليهم من امبراطور الصين دينياً . ولقـد لقيت ثورته تعاطفاً قوياً من الدول الأوربية المسيحية . ولكن المحادثات التى جـرت بيـنه وبين (سيرجون بنهام) لمحاولـة ابعاده من مناطق تجارتهم لم تنجح . وحينها انقلب التعاطـف إلى عداء . فالاستعماريون الانجليز والفرنسـيون لايتعاطفون معمـن يؤثر على جيوبهم .

جيش اللصوص

كـون الاستعماريون الانجليز والفرنسيون من اللصوص وقراصنة البحر وصعـاليك الميناء جيشـاً اسندت قيادته إلى ضابط امريكى يدعى « فردريك تاونسند وورد » . بعـد قليل اعيد تشكيل هذا الجيش لكى يصـبح ضباطه اوربيين وجنوده صينيين ، واعطـى اسـماً رومانتيكياً « الجيش المنتصر ابـدا » . القائد لازال الامريكى « فردريك تونسـند وورد » وأركان حربه الفرنسـى « بيرقفاين » .

كسـب هذا الجيش فى سبتمبر ١٨٦٢م ثلاث معارك ، ولكن القائـد قتل وحـل مكانه أركان حربه الفرنسـى . انتهى الامر بالجيش إلى تمـرد وهجـوم على بنك وسرقة اربعين ألف دولار . ابعـد قائد المرتزقـة الفرنسى وعين آخر يدعى « هولند » قائـداً ، فهزم فى أول معركة ، فعين غردون لقيادته فى السادس والعشرين من مارس ١٨٦٣م .

غـردون ينظم جيش اللصوص

نظم غردون الجيش ومنـع القمار والنهب والسرقة والمخدرات والفاحشة والرذيلة فى داخل السكنات . واستبدل هذه الموبقات بالتمارين الرياضية والعسكرية والضبط والربط الحديدى .

كسب غردون بهذا الجيش عدة معارك ، منها فك الحصار الضخم عن (شانق زو) . كان غردون يملك مدفعين عيار اثنين وثلاثين رطلا . وضع المدفعين على الباخرة « هايسون » التي استعملها لقيادته . خلف باخرة القيادة باخرة أخرى تحمل مجموعة مشاه محمولة . كل انتصارات غردون كانت تعود إلى القوة الماحقة لمدفعيه .

انتهت حروباته مع الثوار الصينيين بعد احتلاله للعاصمة السماوية « نان كينق » وقتل جميع من بها من بشر وحيوان . وانتهى « هونق »بان تناول السم ممزوجا بالخمر هو وزوجاته قبل سقوط المدينة بتسعة عشر يوماً . ان طريقة القتل التي قام بها هذا الجيش المنتصر ومعه جيش الامبراطور في تلك المدينة تقشعر لها الابدان . الذين لم تقتلهم الدانات والرصاص قتلوا انفسهم انتحاراً . سبعةآلاف تبقوا شنقوهم .

انتهت الحرب عام ١٨٦٤م ، وفتح طريق تجارة الحرير ، وحل الجيش المنتصر ابدا .

غردون الصين يرجع إلى بريطانيا

في نهاية عام ١٨٦٤م كان غردون راجعاً إلى بلاده خائفاً من أي ارتباطات اجتماعية واستقبالات . عاد حيث اتجه مباشرة إلى « ٥ شارع روكستون بالاس ، بثاوتهامتون». وجد الحياة كما تركها ، اخته اغستا .. صلاة الصبح .. التدخين في المطبخ وبعد ان تنام والدته . في الصباح يذهب مع والدته بالحنطور إلى السوق لمساعدتها في شراء شحم الخنزير والبطاطا والبيض .

رفض جميع الدعوات التي قدمت له لتكريمه والاحتفال به ، أو حتى تبادل خبراته في حرب أهل الصين . انتهت اجازته وعين قائداً لسلاح المهندسين في « قريف ساند». المشكلة التي قابلته ، كيف يقضي بقية يومه بعد انتهاء ساعات العمل العسكري في الثانية ظهراً . إنه يملك طاقة كبرى ، وقد طوق نفسه بقوانين لاحدود لها . الرسم والموسيقى رجس من عمل الشيطان ، الحياة الإجتماعية غواية ابليسية . وجد عزاء في قراءة الانجيل ، وفي كتابة خطابات لاخته اوغستا تعدم اللون والحس .

كان غردون يتصور أن بغلا قد ركب روحه فاصبحت لاتقوى على مقاومة انحرافاتها المتعددة . وجد في « البراندي والشرى » وهما بالسلام ، وتيقن — بدون زوال من شك — ان البدن اثم عظيم .

اراء غردون شبة المتعلم

ان اغلب اراء غـردون يغلب عليها تفكير صبياني يعكس قلة علم وجفاف خيال . خطاباتـه إلى اخته اوغستا الصخرية العواطف تعكس كثيراً من وجهات نظره الدينية . في خطاباته بتاريخ ٧ مايو ١٨٨٣ « ١ » إلى اوغستا يقول « انني أملك عدة موضوعات في مرحلتها الجنينية . انهـا تطفو على الفرد لمدة . وفي العادة فهي تأتي على خلاف ما التوقع » . ثم يأتي إلى موضوعاته هذه فيقـول « انني لا اريد ان ادفعك ، ولكن هل تجترين ؟ هـل تدرسين في المستقبل وتحاولين رؤيته وتشـعرين بكيف يدبر كل شيء ؟ اننا الاقفال وربنا هـو المفتاح » .

في خطاب آخر إليها بتاريخ ١٥ يونيو ١٨٨٣م «٢» يقول « لـو حدد رجل ارتباطات مع آخر ، فان أكبر الشرف ان يجعـل هذه الارتباطات حاسـمة ونهـائية . وعليـه فان اعظم الشرف لربنا ان نعتقد في كلمته » ثم يحاول غردون القيام بتحليل قضية تضايقه وتصيبه بكثير من التعقيد فيقـول : « المتزوجـون ولهم عائلات لايمكنهم ان يتبينوا نفس الاراء كما هـو الحال بالنسبة إلى العازب . أقول ليس من الممكن ، ولكن اعني انه مـن غـير المحتمل ان يكون لهم ذلك . يالها من نعمة انـي لم اتزوج ! ان الزواج يتلف الإنسـان. اعتقد ان المرأة لو كانت راغبة والرجل غير راغب والعكس ، وما أكثر مايرى الإنسان ذلك ، فان الفرد ليجرح في ان يرى درره لاتلقى الإستحسان . ولكني لن احاج عندمـا يقـول أحد الناس ، انـه يعرف هذا أو ذاك .. لا أمل في ذلك . إلى درجـة ما ، فهـذا مفترق طرق ، لانـه يترك مواضيـع بسيطة للحوار ، وتظهـر الفـرد بانه متبلـد . فعندما يكـون عقل الإنسـان على موضـوع خاص فعليه ان يتحدث عنه أو يصمت » .

اهتدى غردون في هذه الفترة من حياته إلى فكـرة كتابة منشـورات تحمل اراءه عن البدن والروح والاله ، يلقي بهـذه المنشورات في الشوارع ومـن نوافذ القطارات . اتصاله بعائلة « فريز » اقنعه بان يشارك في الأعمـال الخيرية والتطوعية . قام غردون ، الذي اصبح كولونيلا . بتخصيص كل حجرات القلعة التي كان يسكن بها إلى داخليات للمشردين وتعليمهم وكسوتهم واعداد أكلهم . أيضاً كان يزور المرضى والمشرفين عـلى المـوت . كان يحاول اقناعهم بان الدنيا القادمة خير وابقى .

---

١ — خطابات غردون — ماكلاان ، ص ٢٣٨

٢ — خطابات غردون — ماكلاان ، ص ٢٤٧

غردون فى لجنة الدانوب الازرق

فى عام ١٨٧١م تم تعيينه فى (لجنة الدانوب) . هـــذه اللجنة تجتمع فى (قالاتى) قريباً من شاطىء رومانيا على البحر الأسود ، وتقـــع على ضفـــة نهـــر الدانوب الأزرق . هدف اللجنـــة هو ضمان حرية الملاحـــة على هذا النهـــر الأزرق الذى هـــو فى صفـــاء قبة السماء فى الخرطوم شتاء . امارات هـذا النهر هى « مولدافيا، والاشيا ورومانيا» ، هذه الأمارات ظلت لقرون ثلاثة متلاحقة مستعمرات لتركيا إلى ان اكتسحها الجيش الروســى فى حرب القرم . بموجب اتفاقية باريس الموقعة فى ٣٠ مارس ١٨٥٦م ، فان هذه الامارات ستبقى من الناحية الشكلية تابعة للسيادة التركية . وقد عين الامير تشارلز – أحد ابناء عائلـــة « هوهن زولرن » رأساً دستورياً عليها ، على ان يتجه نحـــو الاستقلال الكامل باماراتـــه الثلاث .

لا أحد يعرف كيف عين غردون لوظيفة ممثل لبريطانيا فـــى لجنة مقرها رومانيا، التى تقع بين تركيا التى نخرها السوس ،وروسيا المتطلعة إلى العدوان . إن الدولة الفاصلـــة بين عدوين دائمـــاً هى مكـــان تجسس ومخابرات وتآمر وليالى ســـاهرة ورقص وسكرونســـاء ومجون على حساب الدولتين المتناحرتين ، كل منهما تدفع لعملائها لامدادها بالاخبار . زد على ذلك فان غردون ممثل دولة فى لجنة ، واعضاؤها كالسفراء ، الحفلات جزء من عملهم.

كان الخطأ ظاهراً من البداية وبعد وصـــوله مباشرة . انه لايعرف حتى خطـــوات رقصـــة الفالس. فى سنة تشاجـــر غردون مـــع كل من يرتدى اذنين تسمعان انفجارات لســـانه .

المرتب الذى بلـــغ ألفى جنيه – وبمرتبات ذاك الزمان فقد كان مرتباً اســـطورياً – – لم يحمله على التعامل مـــع زملائه فى اللجنـــة .

غـــردون ورئيس وزراء مصـــر

عاد غردون إلى بريطانيا مارا باسطمبول . فى العاصمة التركية ذهـــب لمقابلة السفير البريطانى فى عمل رسمى . هنالك التقى برئيس وزراء مصر حينها نوبار باشـــا الـــذى جاء

للسفير لكي يتشاور معه في أمر تعيين خلف لصمويل بيكر الذى كـان يعمـل مديـراً للاستوائية بالســودان . ان صمويل مكتشف بحيرة البرت ، لم تقبل زوجته (فلورنس) التي اشتراها بجنيهات قليلة من دلالة بشرية في مدينة (ويدن) - بالنمسـاالان - ان يبقى زوجها « حينها »في مجاهل أفريقيا . ومنَ ذا الذى يقـول : لا، لا جمل إمرأة غسـلت شعرها الذهبي الجميل الطويل على ماء النيـل العظيم ؟ قدم غردون فوراً إلى القاهرة بناء على دعـوة رئيس الوزراء المصرى المنشي الياقات الهادىء الصـوت ، المهـذب الكلمات ، الأجنبي عرقاً ، رئيس الوزراء المصرى وظيفة .

عندما نزل بمصر ، أول شيء صدمه ، القذارة «١». وعلى كل قبل ان يعمـــل في اكمال مابدأه بيكر بالســودان في القضاء على تجـارة الرقيق وتوسـيع الامبراطوريـة المصرية في أواسـط أفريقيا ، التقى غردون بنوبار باشـا عـدة مرات وبالخديـو اسماعيل مرة واحدة . أحب اسماعيل ، ورأى في نـوبار « أنـه ارمنى منحـط الأصـل ولايمكـن الوثوق به » . ان مصـر كانت أكبر سوق للنخاسـة في العالم ، ولكنها حاولت التقرب إلى الدول الأوربية بايقاف تجارة الرقيق .

كان لغردون شرط واحد : هو ان توافق وزارة الحربية البريطانيـة عـلى عطـه بالإستوائية . وقـد رحبت الاخيرة بالتعيين .

غردون مـدير الاستوائية

ذهب غردون إلى بلاده وعاد ليوقـع على عقـد العمل . وجد أنه سيتلقى مـرتب بيكر وقدره عشرة آلاف جنيه سنوياً . رفض هذا المرتب غير الواقعي وغير الرقم إلى ألفي جنيه . هذه العملية اعتقد غردون انها سترفعه في نظـر خديو مصـر ، كما حدث عندمـا رفض جوائز امبراطور الصين المالية . أما الذى دار في رأس الخديـو المترع بالجشـع فهو ان الكولونيل البريطاني يخطط لعمليات نهـب كبيرة بالإستوائية ، ويريد ان يغمض عيني الخديو عنه . هذا التفكير هدى الخديو إلى تعيين مراقب له اسمـاه ضابط اتصال . هـذا الضـابط فرنسي المولد وامريكي الجنسية ويدعى كولونيل تشارلز شايل لونق . غردون من جانبه اختار مساعدين له : ثلاثة انجليز ، وثلاثة المان وامريكياً وايطالياً وفرنسياً ومصرياً .

١ - غردون الخرطوم ، تيرن بول ، ص ٦١

الأمريكي الذي عينه الخديـــو « تشارلز شايل لونج » كتب كتاباً في عام ١٩١٢م عنوانه « حياتي في أربـــع قـــارات » قال فيه صفحـــة ١٢٢ ، (بعـــد أيام قليلة مـــن عودتي مـــن اللادو في أقاصي الســـودان بالقرب من الحـــدود البلجيكية هوجم في احدى الليالي المعســـكر . وجدت صعوبة في طرد مجموعات المتوحشين الذين كانوا يحملون المشاعل لطردنا من المعسكر . كان غردون في « قطيتـــه » ولم يظهر أي حركة بانه يريد الخروج . انها إحدى حالاته التي فيها يعزل نفســـه ويضـــع على باب قطيته علماً وفأساً ، علامة انه لايريد أن يزعجـــه أحد . عملية العزل هذه كانت تدوم بين ثلاثة أيام وخمسة . أرسلت ضابطاً ليخبره بالخطر ، ولكنه لم يتلق رداً . ذهبت وحدى ودخلت عليه فجأة ، وجدته جالساً في حالة هدوء على طاولة عليها انجيل مفتوح وزجاجـــة « كنياك » واخرى « شرى » . اخبرته بالموقف : فرد فورا . . . . انك قائد المعسكر . خرجت ووضعت ضابطاً وستـــة رجال لكي يحرسوه .)

ليوتنانت « شبندال » الذى كان يعمل مع غردون قال (انه لايعتقد ان هناك شخصاً ، غير نفسه المكرمة ، يستطيع ان يضع مسمارا في غطاء صندوق . انه اناني بشكل مخيف . لو قدمت رأياً فانك في كارثة فورا . يسألك عن الاسباب ، ويدور حولها قلقا الى ان تقبل منه اى وجهة نظر يأتي بها بغرض التخلص منه —٠) (١)

استمر غردون في توسيع الممتلكات المصرية الاستوائية الى ان وصل شلالات « موريسون » التي اعطاها صمويل بيكر هذا الاسم على اسم رئيس الجمعية الجغرافية البريطانية — واتصل بالملك « موتسا » ملك يوغنـــدا .

عندما عرض عليه الملك فكرته في أنه يريد اعتناق الاسلام ، وعده بأنه سيرسل لـه فقهاء من جيشه لتعليمه الدين الاسلامى . ارســـــل غـــردون الى المـــلك قسيساً عرض عليه المسيحية ، وفي نفس الوقـــت ارسل اليـــه جنديين من جيشه يعرفان الصـــلاة ومعهم حلاق لاجراء عملية الختان للملك إن اراد الاسلام ! . . . . الملك لم يرد الاسلام .

حروبات غردون في الاستوائية كانت ميكروسكوبية قليلة الأثر والفائـــدة . تمـــاما كما وصف هو اعمال صمويل بيكر من قبله ، بأن تقاريرها مزوره ؛ فان اعمال غردون — لو الفرد يحسب بالنتائج — فانه بصعوبة جدا استحق مرتبه .

---

١ — غردون الخرطوم : تيرنس بول ص ٥٢

غردون في محاولة لكي يصبـــح ملكاً

رجع غردون الى بريطانيا بعد ان وعد الخديو بأنه سوف يعود للعمل معه . الكنيســـة إنتهزت الفرصة وبدأت في التطبيل لغردون الصين الذى اصبح الآن غردون الاستوائية . ولكن كعادته لم يقبل أى دعوات .

جريدة التايمز في يناير ١٨٧٧ رشحته ملكاً على بلغاريا التى كانت تحكمها تركيا (١). اعجب غردون بالفكـــرة جـــدا . طـــرق البـــاب طارق . . . . . وزارة الخارجية استدعته . اسرع اليهم وبحث معهم امكانيات قيامه بمهمة ملك ! خرج من هناك وابرق الخديو بأنه لن يرجع اليه . . .

إن غردون ومجموعة الموظفين الذين بحثوا الأمر معـــه كانوا يتمتعون بعقـــول عصافير . كيف تستطيع بريطانيا ان تعرض على الدول الأوربيـــة ما تستطيع ان تفرضه على تركيا ومصر ؟ ثم اين هي تلك الدول الاوربـــية التى ستقبل ان ترسل بريطانيا بأحد كولونيلاتها ليكون ملكاً على بلغاريا ؟ وكأن الدماء الزرقاء قـــد جف منهلها في القارة التى قسمت الدماء الى ازرق واحمر . ان أبناء العائلات المالكة الذين لا يملكون ويمكن ان يندرجوا في ملفات البطالة قد كانت اعدادهم وافرة ولا زالت .

ان كل مليمتر من دمائهم يحوى مابين ست الى سبع الآف كرة دم بيضاء ، وخمس ملايين كرة دم مليئة بمادة الهيموقلوبين الذى عند كل الناس احمر ، ويمكنهم بالطبع ان يدعوا انه ازرق بالنسبة الى أبناء الملـوك المتبطلين عن العمل الملكى .

الخديو اسماعيل لم يكن عالماً بما يجرى في اوربا . كتب اسماعيل الى غـــردون رسالة من عشرة اسطر يلومه فيها . ويقول لـه (انى لا اصدق ان جنتلمانا كغردون يحنث بوعد قوى قطعه ، وعليه فأنا منتظر رجوعكم) .

محبكم : اسماعيل

غردون حاكم عمـــوم السودان

رجع غردون الى القاهرة ، ومن محطتها بولاق الدكرور توجه الى مكتب سكرتير

---

١ – غردون الخرطوم – تيرن بول . ص ٣٩

رئيس الوزراء وقدم له شروط عمله . إنه لن يرجع إلى السودان حاكماً على الاستوائية وانما حاكماً على عموم السودان ...... فى مكان ايوب باشا .

الخديو اسماعيل قبل ، وجاء غردون باشا ليحل محل ايوب باشا .

وصل التلغراف الذى يحمل فيرمان عزل اسماعيل ايوب باشا الى الخرطوم . إن اسماعيل ايوب قد نشأ فى باريس ، واستطاع ابان فترة حكمه ان يقضى وقته فى زيادة الضرائب واعداد الليالى السكرى والرقص والفاحشة . انه حكمدار طغى وبغى واثرى واستكبر وكفر .

ان تلغراف العزل عندما وصل الى قصره لم يصبه بصدمة كبيرة ، اما اخته فقد استقبلت التلغراف برد فعل اخر .حملت «يد هون» وطافت على شبابيك القصر ... لم تبق به زجاجة سليمة ، ثم رجعت ووضعت يد الهون فى المطبخ وعادت . . . عادت بسكين وطوافها هذه المره كان على مقاعد القصر المكسية بالجلد والحرير !!

فى السودان قطع غردون ثلاثة الاف ميل على ظهور الرواحل ، لابساً بذلته القرمزية وعليها علامات لاحد لها ، وحديد وسيور ونياشين ونحاس برتبة فريق .

قام بمحاولات جادة لايقاف التعفن فى الادارة المصرية ، وايقاف الرشوة وتجارة الرقيق . . . كلها فشلت ، ولكن مؤامرته لقتل سليمان الزبير قد نجحت . حاول ايضاً لقاء الامبراطور « يوحنا» ملك الحبشة لايقاف انتهاكات الحدود ، ولكنها فشلت ايضاً .

غردون ومالية مصر

فى فبراير ١٨٧٨م استدعى الخديو اسماعيل غردون لكى يساعده فى حل مشكلته المالية . ان اسماعيل كان فى قاع مشكلة مالية ضخمة . الثلاثة ملايين ونصف المليون التى كانت ديون مصر الخارجية ، اصبحت فى بضع سنين اربعة وتسعين مليونا من الجنيهات .

باع اسماعيل نصيب بلاده من سندات قناة السويس . وبحلول عام ١٨٧٦م اجبر على ان يقبل الاشراف الاجنبى على مالية مصر . عندما عجز الفلاحون المصريون

من الدفع وتوقفت مرتبات جباة الضرائب، اقتلع الآخـرون مـن الفلاحين مرتباتهم باستعمال الأسلحة .

اوقف الخديو اسماعيل دفع اقساط الدين ، وتكونت لجنة بـرئاسـة غـردون لفحص ميزانية مصر . وكان هذا هو الخطأ الثاني في صحيفة تعيينات غردون .

ذهب غردون الذى لا يملك المؤهلات العلمية والفكرية والنفسية لهذا العمل وتشاجر مع كل فرد بتلك اللجنة وعاد الى الخرطوم في حالة نفسية سيئة بعد أن شعر الخديو بأنه اخطأ بتعيين غردون لهذه اللجنة ولقى من ابناء جلدته الاستخفاف والسخرية . وعـلى رأس من سخروا منه «بيرنق» .

فى الخرطوم حبس نفسه فى قصره ستة اشهر لم يفعـل فيهـا شيئا يذكر سوى اقتراحين . الاول : بيع اقليمي «باربيرا وهرار» بالبحر الاحمر الى ايطاليا . هذا الاقتراح هو الذى اعطى موضع قدم لايطاليا في شرق افريقيا، الشيء الذى انتهـزه الدكتاتور الايطالى فى عام ١٩٣٦م واستولى على الحبشة، وكـان ذلك احـد مقدمات الحرب العالمية الثانية .

الاقتراح الثانى : الغاء مشروع خط السكة حديد الذى كانت مصر تنوى اقامته بين حلفا والخرطوم مارا بدنقلا وصحراء بيوضة . وهذا الخط ، لو نفذ ولم يقم الثوار بقطعـه لربما ساعد فى عـدم قتل غردون نفسه .

مـن اعمال غردون الأخرى فى السـودان بهـذه الفترة تعين الأوربيين فـى الوظائف الرئيسية . روميليو جسى الذى استعان به لقتل سليمان الزبير رحمة عام ١٨٧٩م عينه حاكـاً لبحر الغزال . دكتور امين الالمانى (واسـمه الصحيح الكامل هو دكتور ادوارد كارل أوسكار تيودور شنايـدرز ، وهـو مـن أصل يهـودى ولكن عائلتـه اعتنقت البروستانتيه) عينه حاكماً للاستوائية . ضابط الفرسان الصغير النمساوى عينـه مديراً لداره ــ وهى الجزء الجنوبى الغربى لدارفور ، وهـو سلاطين . وبكلمات أخرى اراد غردون تصفية الإدارة المصرية .

الخـديـو اسـماعيـل حـاول ايقـاف النفـوذ الأوربـى فـى ميزانية مصر . قاد هذا إلى ان تتقدم بريطانيا وفرنسا ومعهما هذه المـرة بروسيا ، بطلب طرده للسلطان التركى الذى كـان أقـل حيلة مـن الخديـو نظراً لتهـديد روسـيا لـه ،

فقدم إلى الدول الثلاث فيرمان عزل الخديو اسماعيل فى حفل عشـاء فخم وزجاجـة فودكا مـن يد سـلطان الدولة العثمانية ! وعلى اصـوات النائحات اللاطمـات الصدور مـن نساء قصر عابدين خرج اسماعيل وحـل مكانه ابنه توفيق .

غردون سفير الخديوى الى الحبش

قرر غردون بناء على طلب الخديـو ان يذهب إلى القاهرة ومنها إلى ملك الحبـش لتهدئة الحالة على الحدود ولو إلى حين .

عندما دخل غردون على الملك الحبشى ذى الصفات الملكية المتعددة .. فهـو اسـد جودا .. ورأس تفرى أى ملك الملوك .. وامبراطور الحبشـة ، وجده جالساً على عـرش مـن ثلاث ارائك وضعت فوق بعضها ، وغطيت بالحرير الأبيض . وزراؤه يجلسـون فى صمت شرانق دود القز . فى نهاية يمين الحضرة الملكية مقعد صغير اعـد لسفير الخديـو المتعدد المهن ، والذى جاء فى المهمة الثالثة فى حياته التى لايصلـح لها . دخـل على الملك وهـو ينفث بين شفتيه دخان سيجـار هافانا الغليظ ، كقاطرة تعمل بالفحم الحجرى . عقوبة هذه العملية فى قانون اسـد جودا هى قطع الانف ، ولكن الملك كان فى حالـة نفسية حسنة فقد عاد لتوه مـن الكنيسة حيث قـرأ المزامير . ان هذا الملك كغردون يحب الإسراف فى السكر وفى قراءة الانجيل . غردون يفعلهما معـاً ، أما الملك فيفعلهما بفارق زمنى .. الكنيسـة فى الصباح والسكر فى المسـاء .

تناول غردون الكرسى الصغير ووضعه إلى جانب عرش الملك المذهـول ، متعـللا بانه سفير الخديـو ، وبالتالى له الحـق بالمساواة بالملك .

محادثات اليوم الأول فى مجملها كانت ان الملك طالـب بشريط ساحلى ، به ميناء بحرى ، ومليونى جنيه . غردون هدد بـان الخديو يستطيع ان يسـلح اعداء الامبراطور . اخر الملك الدعـوة للاجتماع الثانى اثنى عشر يوماً .

عندما انعقد الإجتماع الثانى بدأ غردون المشتعل بالغضب مـن التأخير ، الإجتمـاع بمطلبين . الأول اطلاق سراح المسجونين المصريين . الثانى هـو الغاء قانون منع التدخين !

كل الذى فعله الملك هو طــرد غردون فوراً مــن الحبشة . فى الطريق إلى الميناء قبضت عليه قـ وات الجيش الحبشى ونهبت ممتلكاته وحجزت حرسه الذى كان يسير معه بالسجن عدة أيــام . ثم اطلقت سراحهم .

عندما وصــل إلى مصــوع وجد المدمرة (سى قل) البريطانية فحملته إلى السويس ومنها ركب القطار إلى القاهرة . قبل ان يبلغ الخديــو توفيق بفشــل دبلوماسيته فى بــلاد الحبش ، ذهب إلى طبيب البعثة البريطانية لكى يكتب له تقريراً صحياً يتعلل به فى الرجــوع إلى بلاده . شيء واحد فات غردون هو ان الخديــو توفيق – الذى فى نظر غردون انه (اهبل لايصلح للحكم) – كان يرمى من ارساله إلى الحبشة إلى اثارة حرب بين بريطانيا والحبشــة تقضى فيها بريطانيا على هذا الملك المزعج . ان احتمال قبض ملك الحبشة على غردون الــذى لايملك كياسة ســفير ، كان أمراً وارداً . وإذا حدث وقبض الملك عليه وسجنه ، ثارت ثائرة بريطانيا وارســلت قواتهــا للثأر ، ويكون الخديو قد حسم قضيته دون ان يطلق قرشــاً . ان ذاكرة الامبراطورلازالت تذكر احداث القنصل البريطانى وحرب مجدله ، فى الزمن الذى غابت فيه تلك الأحداث عن عقل غردون ، فذهب إلى الحبشــة لكى يثير زوابــع لبلاده . فعندما سجن الامبراطور قنصل بريطانيا « تشارلز دنكــان كاميرون » لا نه لم يأته برد على خطابه الغرامى الذى يتقدم فيه بطلب يد الملكة فكتوريا ، قادت الأحداث على عملية بلطجــة بريطانية معهــودة فى تاريخها السياسى ، وتقدمت بجيش لقــى الامرين قبل ان يصل إلى الإمبراطــور تيودور فى مجــدله . وبعد الرابعــة مــن مســاء الثالث عشر مــن ابريل عام ١٨٦٨م ، اطلق تيودور نار المسدس الذى اهدته إليه فكتوريــا على نفســه منتحراً أمام القــوات الغازية بقيادة « لورد نابير » .

غردون يعــود الى اوربــا

قضى غردون شهراً فى القاهرة فى الشجار والانفعال ، وركب فى النصف الثانى من فبراير ١٨٨٠م السفينة إلى بلاده . حسب رأيه فى نفســه – الذى حاول به اقناع الانجليز فى مصر – هو :(انى لا ادعى انى كنت حاكماً عظيماً ، ولا مالياً مقتدراً ، ولكنى انهــيت تجارة الرقيق فى مناطقها ، وتركت النــاس يحبونــى) . اصدقاؤه فى بريطانيا تلقــــوا

النقطتين الايجابيتين من بيانه ، وهما . ايقاف تجارة الرق ، وحب الناس له ، وجعلوهما اسطورة سبحت بهـا الصحافة البريطانية تسبيحاً وحمداً .

وماكادت قدماه تطآن الجزر البريطانية ، حتى انهالت عليه الدعـوات التى لم يقبل منها غير دعـوة مـن الملكة فكتوريا وأخرى من أمير ويلز .

ذهـب إلى سويسرا عن طريق بلجيكا حيث التقى ملكها الذى كان قد قدمـه لـه وولسلى ، وقدكان ملك « الفلاميين » و « الوالون » قـد اقتطع جزءاًمن أفريقيا ـ الكنغو ـ ويحتاج إلى خدمات أمثال غردون .

مـن بروكسل ذهب إلى « لوزان » حيث التقى قسيساً أصبح صديقـاً مهمـاً فى البقية الباقية من حياته . ذلك القس هو د . ه. بارنس . اعجب القس باراء غردون فى كراهية الجسـد والتوق إلى المـوت . ان فكرة التوق إلى الموت ، غردون ليس أول من صاغها ، بل كانت الاسـطورة التى عمت القرن الرابع عشر والخامس عشر فى أوربا ، اعتقاداً منهم ان الفارس المحارب الذى يتمنى المـوت من اجله المطلق ، انمـا يكتسب هالة مـن نكران الذات والرجـولة . فى عهـد غردون بدأت هذه الفكرة تطفـو على وجه المجتمع فى أوربا الغربية ، وقد اجملها بروفسـور التاريخ بجامعة « لايدن » الهولندية بروفسـور « جوهان هاوزنخـا » فى كتابـه الشـهير (محـاق القرون الوسـطى) (مطبعة وايتفريارز ، لندن ١٩٢٤ ـ بنقوين ١٩٥٥م) .

عندما عاد غردون إلى بـلاده وجد حكومة المحافظين بقيادة « دزرائلى » المسيحى ذى الأصل اليهـودى ، قـد سقطت فى الانتخابات واتت حكـومة أحرار بقيادة قلادسـتون العجـوز رغم انف الملكة . وفى هذه الحكـومة الجديدة ، أصبح وولسلى رئيس أركان حـرب جيشـ الامبراطورية .

أصبح غردون سكرتيراً خاصـاً

فى سبتمبر ١٨٨٠م عينت الحكـومة غـردون سـكرتيراً خـاصاً لحـاكم الملكة بالهند وممثلها الجديد « لورد ريبون » . كان هذا التعيين هو الرابع الخاطىء الذى يقبله

غردون . إنه قرار يشبه المثل الانجليزى الذى صاغه النجارون ويقول (خابور مربع فى ثقب مستدير) .

استمر غردون فى عمله الجديد عدة اسابيع بطولها ، ثم هرب إلى شانقهاى فى ١٢ يونيو ١٨٨١م .

غردون في جزيرة موريشص

دخل غردون فى نزاع مع وزارة الخارجية ، رجع بعدها إلى بريطانيا حيث عين قائداً لسلاح المهندسين الصغير بجزيرة « موريشص » بالمحيط الهندى . ذهب إلى هناك على انها مشيئة الله ، ولكن بعد أن ساوره القلق بالجزيرة غير رأيه فى هذه المشيئة . فى مارس عام ١٨٨٢م رقى الى ميجور جنرال (لواء) .

غردون يذهب الى جنوب افريقيا

جنوب أفريقيا التى كلفتها الحرب الدائرة بين قبيلة « الباسوتو » ومستعمرة « الكاب » مايزيد على مليون جنيه ، انتدبت غردون الذى ذاع صيته ، لكي يحارب لها . عند وصوله إلى هناك رأى ان يقوم بعمل دبلوماسي بدل حربى فى ذلك النزاع ، ولكن البيض رفضوا وانتهى الأمر إلى شجار .

غردون في فلسطين

فى أكتوبر ١٨٨٢م ذهب غردون إلى لندن وطلب اجازة أخرى للقيام بابحاث أثرية فى الأراضى المقدسة. ذهب إلى حيفا والقدس وقام بابحاث صبيانية تعدم المنهجية . فكرة هناك غزت عقله هى : اقامة قناة تربط بين ميناء حيفا على البحر الأبيض المتوسط والعقبة بالبحر الأحمر .

عندما كان فى منزل صديقه « لورانس اوليفانت » على قدم جبل الكرمل بحيفا ، سمع اخبار مصر وثورة السودان . فى نفس الوقت تلقى تلغرافا من الملك ليوبولد — ملك بلجيكا — يدعوه فيه للعمل معه لانهاء تجارة الرق بالكنغو .

غردون وملك البلجيك

وصل غردون إلى بروكسل فى أول يوم من عام ١٨٨٤م وقابل الملك ، وارسل استقالته الى وزارة الحربية البريطانية التى لم تقبلها ، وهددته بانه إذا لم يعد إلى الخدمة فانها سوف تقطع معاشه .

الملك ليوبولد عرض عليه ان يعوضه مجموع معاشه البالغ سبعة آلاف ومائتين وثمانية وثمانين جنيهاً لاغير . وعليه قبل ان يضع اللمسات الأخيرة على اتفاقه مع بلجيكا .

غردون وفكرة الرجوع إلى السودان

وصل غردون إلى لندن فى السادس من يناير ١٨٨٤م ، ليجد ان صمويل بيكر ، الذى أصبح علماً فى رأسه نار كبقية المكتشفين مثل « اسبيك واستانلى » ، قد كتب مقالا فى أول يناير بصحيفة « التايمز » يدعو فيه إلى ارسال غردون إلى السودان كمندوب سامى لبريطانيا هناك . هذا المقال شجع صحفياً له باع كبير فى تاريخ الصحافة العالمية ، هو « مستر دبليو ، تى ، ستيد » — وهو من أوائل من ادخلوا فن المقابلة الصحفية ووضعوا مبادئها — إلى تحديد موعد مقابلة مع غردون فى منزل اخته فى ثاوثهامبتون .

فى الثامن من يناير كان غردون يجلس على اريكة مكسوة بجلد النمر ، ويمسك بكتاب دبى يدعى (التشبه بالمسيح) ويقول للصحفى .. « هذا كتابى » . ان كل كلمة قالها غردون فى تلك المقابلة كانت ضد السياسة البريطانية المعلنة . ففى رأى غردون الذى أفصح عنه ، أن اخلاء الحاميات غير ممكن إلا إذا اردنا سيلا من الدماء .

حضر المقابلة أحد أصدقاء غردون القدماء ، وهو كابتن « بروكل هورست » . ان غردون كان يصلى كل مساء لشخصين هما هذا الكابتن والمشير ولسلى ... حسب الطقوس الدينية المسيحية .

سجل الصحفى جميع كلمات غردون اللطيف النبرات ، بحروفه الواضحة التى لها رنة كاجراس كنائس امستردام فى يوم شتاء مليىء بالضباب .

كتبت هذه المقابلة التي رفض فيهـا غردون فكرة الاخلاء في صفحة ونصف من صحيفة (غازيتة البول مول) تحت عنـوان (غردون الصين إلى السـودان) . استدعى وولسلي صديقه غردون للاتفاق معه على الخطـة وارساله إلى السـودان للتنفيذ ، وبحث طريقـة للتخلص بهـا مـن معارضة رئيس الوزراء .

كتب وولسـلي إلى « هارتنقتون » وزير الحربية البريطانية اراء غردون فـي ان يذهب هو إلى السودان واستعمال نفوذه فـي السيطرة على البلاد بدلا مـن ان تقـوم بريطانيا بنفس العمل فـي المستقبل بتكلفة مليوني جنيه . وقد كـان وولسـلي يرى ان المهدى دمية في يد تجار الرقيق . ولكي تخطط اللعبـة جيداً ، يجب ايهام الحكـومة بان غردون سوف يذهب إلى سـواكن لابداء الرأى ، مقابل ثلاثة جنيهات بدل سفر يومياً وخمسمائة جنيه يصرفهـا في إدارته لعمله في الميـناء السـوداني .

الشيء الثاني هو أن يتعلل بانه ذاهب إلى العمل مع ملك بلجيكا وان بلاده سـوف تفقد خدماته .

في مصر وزير الحربية عبد القادر باشـا رفض وظيفة حكمدار للسـودان بعـد ان كان قد قبل أولا .

« بيرنق » المندوب السـامـي البريطاني فـي مصر ابرق قرانفيل وزير الخارجية البريطاني يقـول له « المطلوب هو ضابط بريطاني بسلطات كاملة » .
في يوم ١٦ يناير ذهب غردون ، حسـب الخطة - إلى بروكسل وانتظر تلغراف اسـتدعائه الذى وصله بعد اربـع وعشرين ساعة .

بريطانيا تعين غردون حاكماً عاماً للسودان

في مكتب هارتنقتون دعى الوزراء المتبقـون بالعاصمة ، وهـم بالإضافـة إلى هارتنقتون ، لورد قرانفيل ، سيرتشارلز ديلك ولورد نورثبروك .
دخل عليهم وولسـلي بعد ان ترك غـردون مع سكرتير الوزير . وقف غردون وظهره على المدفأة الموقدة وقال للسكرتير هل تكذب أبداً ؟ وقبل أن يرد السكرتير المشدوه

اســتدعى وولسـلى غردون للاجتماع .

لا أحد يعرف مادار فى الإجتماع ولكن البيانات التى صدرت للصحافة ، على انها التعليمات التى اعطيت إلى غردون كانت تقرأ (١) .

(حكومة صاحبة الجلالة ترغب فى ان تتقدموا إلى سـواكن فـوراً لتقـديم تقرير منها عـن الموقف العسكرى فى السـودان وعن الخطـوات التى من الحكمـة اتخاذها لحماية الحاميـات المصرية التى لازالت تحتل مواقعها فى ذلك البلد ، ولسـلامة الأوربيين بالخرطـوم .

ومطلوب منك ان تأخذ فى الاعتبار تقديم تقرير عن أفضـل السبل لاخلاء داخـل السـودان ، والطريقة التى بهـا يعتمد على حسـن إدارته ، وسلامة الموانىء فى ساحـل البحر الأحمر ، بواسطة الحكومة المصرية .

بالنسبة إلى الموضـوع الذى يجب ان تعطيه اهتماماً خاصـاً موضـوع الخطوات التى اتخاذها سـيكون مفيداً لمقاومة تجارة الرق التى قد تطورها حركة العصيان الحالية ، وعملية سحب السلطة المصرية مـن داخل البلاد .

انك ستكون تحت تعليمات ممثل صاحبة الجلالة وقنصلها العام فى القاهرة ، والذى عبره ستقدم تقاريرك إلى حكومة صاحبة الجلالة بالخط الطائر .

انك ستعتبر نفسك مسموحاً لك واعطيت أوامر بان تقـوم بأى عمل قد تحتـاج أليه الحكومة المصرية ، ويطلب منك بالشكل الـذى يقدمه إليك سير افلن بيرنق . ان كولونيل استيوارت سوف يساعدك فى المهمات التى ستوكل إليك .

عند وصولك إلى مصر ، عليك ان تتصل فـوراً بسير افلن بيرنق ، وهـو الذى سيحدد لك الإجتماع به ، وسينهى إليك ما إذا كان عليك ان تذهـب انت أو ترسـل كولونيل استيوارت إلى الخرطوم عن طريق النيل (٢) .)

---

١ – غردون الخرطوم ، تيرنبول ص ١٠٧ .

٢ – غردون الخرطوم ، بلنت ١٨١ .

غردون يفشي السر

ليس هناك مـــن بيان أكثر تمويهـــاً للقصـــد ، واخفاءاً للحقائق من هذا البيـــان ، الذى نشر على أنه الخطاب الذى عين به غردون لمهمته الجديدة .

ان الأحداث فيما بعد قـــــد اظهرت الخطة البريطانية كاملة . ان احمقاً فقط هو الذى سيعتقد ان جنرالا بريطانياً – دعك من غردون – سوف يذهب فى مهمة لايعرف كنهها ، ويتسلم تعليماته من ممثل بلاده المدنى بالقاهرة . ماكاد جنرال غردون يخرج من الاجتماع السرى ،حتى أفشى دون قصد أكبر جزء من سره . قال غردون للصحفيين . إن كل الذى يطلبه هو ان تصلى من أجل مهمته كل الكنائس . قال : (انى اعول كثيراً على الصلوات التى تقام فى كل كنيسة فى انجلترا . ولو سأل الناس عنى ، قـــل لهم أنهـــم يستطيعون المســـاعدة كثيراً بصلواتهم ، ليس لنجاحى الأرضى ، ولكن لان ارســـالى سيكون لمجد الله ، وسعادة تعســـاء الســـودان . أما بالنسبة لما اريد ، وفوق كل شىء ، قلب متواضـــع (١) .)

غردون يغادر لندن فى طريقه للسودان

فى مســـاء يوم ١٨ يناير ١٨٨٤م بمحطة تشيرينق كـــروس بلندن فتـــح ديوك كيمبريدج– القائد العام – باب عربة الحنطور الذى حضر به غردون وكولونيل استيوارت. حضر الوداع بالاضـــافة إلى الديـــوك ، لـــورد قـــرانفيل ، وولســـلى اللذان اشتريا التذاكر ، كما ان وولسلى اخرج ثلاثمائة جنيه استرلينى جمعها من نوادى لندن لان غردون لم يملك مالا حينها ، وسلمها إلى استيوارت . أيضاً اخـــرج ساعته ذات السلسل الذهبى وقدمها لغردون ، ثم قال للجميع : إن غردون هو أحد القليلين من أصحابى الذين كانوا فى درجـــة بطل مسيحى .

كشف النوايا البريطانية

فى يوم ٢٣ يناير ١٨٨٤م وصـــل غردون إلى بورتسعيـــد مـــدعياً أنه متوجه إلى

---

١ – غردون الخرطوم ، بلنت ص ١٠٧ .

ســـواكن ولن يمــر بالقاهرة ، ولكنه سلــم خطاباً تاريخه ٢٢ يناير ١٨٨٤م ، لم ينشر إلا في كتاب واحد عام ١٩١١م . سلم الخطاب لغردون سير ايفلن وود ، في يـــــده . محتوى الخطاب كالآتي :

(القاهرة ٢٢ يناير ١٨٨٤م) ١

عزيزي غردون

اني سعيد جداً باستلامي تلغراف لورد قرانفيل الذي يعلمني فيه انك واستيوارت قادمان إلى مصر . اني اشعر بالثقة انكما تقدمان خدمات جليلة بالنسبة إلى المسألة السودانية . اني لن احتاج لكي اؤكد لكما انكما تستطيعان الاعتماد على تأييد ى المطلق ومساعدتي.

ان « وود » ويصحبـــه « واتســـون » ذهبا إلى بورتسعيد للالتقاء بكما . اني عليم بكل الحقائق الاخيرة بالنسبة لوجهات النظر التي تدور في خاطري والاخرين . وتحت هذه الظروف لن أخوض في أي مسار طـــويل للعمل الذي يظهر لي من الأفضـــل تبنيه . اني سأقـــول فقط باختصار : انه من الافضل لك ان تذهب إلى الخرطـــوم وتنظم انســحاب الحاميات المصرية الخ ، بأسرع فرصة ممكنة تتماشى مع :

١ — اســعاف الأرواح وبقـــدر الامكان الممتلكات .

٢ — انشاء شكل بدائي من اشكال الحكومات تمنع بقدر الامكان الفوضى والارتباك الذي سينشأ من انسحاب القـــوات المصرية . هذا العمل رغم صعوبته ، فاني لن اصـــدق بأنـــه بين يديكم سيكون غير ممكن . اني اتمنى ان ابحث معكم باختصار كل الموضوع شخصيا. ان وجهات نظري بالطبع قابلة للتعديل على ضـــوء خبرتكم الطويلة في الســـودان .

اللورد قرانفيل اخبرني بأنكم مستعدون للقدوم للقاهـرة . انه من غير المرغـــوب فيه — مـــن الناحية القـــومية — ان اترك القاهرة في الوقت الحاضر . ولكـــني سأفعل ذلك بالطبـــع لمدة قصيرة . إذا كان ذلك لاهمية قصوى .

اني اتمنى على كل حال ان اقنعكم بأنه من المهم جداً ان تحضر إلى القاهرة .

---

١ — غردون الخرطوم ، بلنت ص ١٨٥ — ١٨٨

وادى النيل ، فى الوقت الحاضر ، هو الطريق الوحيد الذى يمكنكم الوصول به إلى الخرطوم .

طريق سواكن بربر مقفول وليس هناك مايشير إلى فتحه . أيضاً اعتقد انه من المطلوب ، قبل بدايتكم ، بحث كل الموقف ، ليس معى فحسب ولكن مع نوبار وآخرين ، وان تمنع أى خطر من العمل لاغراض متعارضة ، لهذا ولغيره من الاسباب . انى اؤمن ايماناً قوياً بأهمية حضوركم للقاهرة . انى لن احتاج لكى أقول : انى لن اقترح طريقة للعمل الذى اعتقد شخصياً ، انه سيكون غير مستساغ لكم إلا إذا اعتقدت بان له اسباباً قومية قوية لفعله . ان « وود » قد نظم موضوع ابراهيم فوزى .

صدقنى مخلصكم جداً
ايفلن بيرنق

اكاذيب الحكومة البريطانية

من هذا الخطاب ، ومن جميع التصرفات التى حدثت قبل وبعد ذلك تظهر طريقة التنفيذ للخطة البريطانية للاستيلاء على السودان . البيان الذى نشر فى لندن قبل مغادرة غردون لمحطة (تشيرينق كروس) لم يكن غير مجموعة اكاذيب ، لتغطية الخطة الكبرى التى رسمت بدقة بتخطيط اشترك فيه بيرنق ، وذلك لان جزءاً كبيراً منها قد تمت صياغته فى القاهرة .

التناقض بين البيان الذى صدر فى لندن وخطاب بيرنق يظهر فى النقاط التالية :

١ — ليس صحيحاً أن غردون كان سيتوجه إلى سواكن بأى حال من الأحوال .

٢ — ليست هناك اية فكرة لان يسافر غردون عن طريق سواكن أصلا ، وانما عن طريق النيل .

٣ — غردون لن يذهب لتقديم تقرير ، وانما لحكم السودان بسلطات مطلقة .

٤ — ليست هناك ادنى فكرة لارسال استيوارت فى مهمة وحده ، وانما غردون .

٥ — ليست هناك فكرة لايقاف تجارة الرق وقتها ، وانما العكس هو الاصح ، فان منع

تجارة الرق قد ساعد — فى نظر الحكومة البريطانية — فى اثارة الكراهية ضد الحكومة المصرية . وهذا سيظهر فى خطابات غردون بالسودان .

بداية تنفيذ الخطة البريطانية

التنفيذ ، بعد تعيين غردون —، ذهب على النسق الآتى :

١ — السودان لم يعد مستعمرة مصرية أو تركية فى المقام الأول . إن السودان اصبح مستعمرة بريطانية ويظهر فى عدة وجوه ذلك . يظهر ذلك فى التعليمات الى غردون بأن يتلقى التعليمات عن طريق بيرنق فقط ، ويظهر أيضاً فى السلطات المطلقة التى أعطيت الى غردون بموجب فيرمان تعيينه الذى اعده بيرنق ، وترجمه سكرتير غردون الاعمى حينها ، محمد التهامى ، وقرأه فى الخرطوم على بك إبراهيم لبيب — مأمور الضبطية ، وسيأتى نص الفيرمان فيما بعد .

٢ — السودان سوف يقسم الى مشيخات وسلطنات صغيرة تحت الحماية البريطانية وسيمكن القضاء عليها مستقبلا بسهولة . الدليل على ذلك تصريحات غردون والاتيان بعبد الشكور عبد الرحمن لتتويجه سلطاناً على دارفور .

٣ — الامام المهدى سوف يتم تضليله بالخطاب الذى اعده بيرنق وترجمه محمد التهامى بك . والخطاب ، كما سيأتى ،

يعين الامام المهدى سلطاناً على كردفان باعتراف من بريطانيا حتى يتم القضاء عليه مستقبلا ، بأساليب منها :

— انتظار ضعف الثورة بعد أن تنضج فى مرقها حسب تعبيرهم .

ب — القضاء على مؤيدى الثورة المهدية باستعمال الجدرى ، الدليل على ذلك سيأتى فيما بعد من المصادر التى قامت به .

٤ — فتح الطريق بين سواكن وبربر ، بعد تضليل الامام المهدى بأن المقصود من فتح الطريق هو ذهاب المسلمين الى مكة . وبهذه الطريقة يمكنهم ادخال الامدادات الحربية والمادية الى الخرطوم .

٥ – السماح بتجارة الرق مؤقتاً حتى يقتلوا اكبر حجة – اعتقدوا فساداً – انها ساعدت الثورة المهـــدية .

٦ – الاستفادة من الامكانيات العسكرية والسياسية والاجتماعية التي يتمتع بها الزبـــير رحمه ، وتعيينه « طرطوراً » للحكمـــدار غـــردون يصدر الأوامر باسمه ، أو يرسله الى حرب المهدى أو يعينه حاكماً على مديرية يكون موقعها مسبباً لنزاع بين المهدى والزبير ، فتحطم كل قـــوة الاخرى .

٧ – ارسال جيش بقيادة « فالانتاين بيكر » لحرب عثمان دقنه والقضاء عليه . بعد ذلك يفتح الطريق بين بربر وسواكن .

٨ – إن عمل غـــردون فـــى الخرطـــوم سيكون بتناســـق مـــع بيكر فى سواكن ، فقد كتب غردون الى صمويل بيكر – اخ فالانتاين – يشير فيه الى التعاون بينـــه وبين اخيه وأن ذلك سيكون ذا أهمية قصوى . «١»

غردون والخديـــو توفيق

عندما ذهب غردون إلى الخديو توفيق كان يتوقع استقبالا سيئاً ، فكلمات غردون فى نقـــد الخديو الجديد لازالت عالقة بالاذهان .ولكن الخديو الذى جاء بسلطان بريطانيا لم يكن يستطيع ان يمتلك مواقف .وقع الخديو على الفيرمانين اللذين اعدهما بيرنق للاستعمال حســـب الحاجـــة . الأول يقول : ان غردون قد تعين حكمداراً عاماً للسودان بسلطات مطلقة والثاني يقـــول ان غردون قد تعين لتصفية الحكم التركى المصرى فـــى السودان ، واخلاء الحاميات المصرية منه . الفيرمان الأول ظل مخفيـــاً ولم تنشره صحيفة مصرية أو بريطانية . وقد قام غردون باظهاره فى السودان عندما أصبح جلياً له انه لن يستطيع كسب المؤيدين لهم مـــن الموظفين وغيرهم فى الســـودان إذا كان اصـــلا قادمـــاً لاخـــلاء الحاميات . وحتى عندما اظهر الفيرمان الأول فعلى ما يظهر أنه لم يؤخذ مأخذ الجد. أن كل النقد الذى وجـــه إلى غردون فيما بعـــد فى أنه تعدى السلطات المخولة له كان نقداً مبنياً

---

١ – بلنت ص ٢٠٢ .

على جهل بالفيرمان الأول أو تضليلا كما فعل بيرنق نفسه فيما بعد في كتابه « مصر الحديثة». اني أورد هنا الفيرمان الذى غطاه سيل من الاكاذيب نقلتها مطابع بريطانيا الفعالة الأثر .

الفيرمان السرى لتعيين غردون

صاحب السمو الخديو إلى غردون باشا (١)

٢٦ يناير ١٨٨٤م

سعادتكم

عندما كنت واثقاً من حصافتكم وخبرتكم ، وعالماً بالخدمات الجليلة التى قدمتموها فى السودان والتى حببت أهل السودان فيكم ، وجعلتهم يعترفون بالخير المستنبط من مجهوداتكم لتقديم السلام والحكومة الفاضلة بينهم ، ونظراً لان الحالة الراهنة للاوضاع فى هذه المناطق تحتاج إلى شخص قادر على الامساك بصعاب الموقف وتحسين أحوال السكان عن طريق إعادة الهدوء الشعبى على قواعد أكيدة ، وعندما كان هدفنا المخلص ان نفعل ماهو عدل وحق لازالة كل مصادر عدم الرضاء ، وان نحافظ على الإنصاف بين السكان الاهالى ، فاننا هنا نعينكم حاكماً عاماً للسودان ، بسبب معرفتكم الراسخة بهذا البلد ، ونثق بانكم سوف تحملون نوايانا الحسنة لاقامة العدل والنظام . وانكم سوف تؤكدون السلام والتقدم لاهل السودان ، بالحفاظ على أمن الطرق وفتحها للتجارة .

والان بهذه الالطاف ، اعلمناكم برغبتنا ، ونستحثكم بسرعة المغادرة إلى هذه المديريات ، حتى يتسنى بفضل حصافتكم وخبرتكم اعادة تكوين حكومة فاضلة) .

هذا هو الفيرمان الذى احتفظت بـه الحكومة البريطانية سراً . وحتى بيرنق ، فى كتابه « مصر الحديثة» لم يذكر شيئاً عنه . بل استمر يكيل النقد كيلا لغردون لان الاخير انتقده نقداً مراً . ان بيرنق – الذى أصبح لورد كرومر – يذكر فى كتابه : ان غردون كما عرفه شخصية لاتصلح للمهمة على الاطلاق .

---

١ – غردون الخرطوم ، بلنت ص ١٩٧ .

غردون فى مصر مع التهامى

كان غردون يملك ساعات وافرة بين الثانى والعشرين وحتى مساء السادس والعشرين من يناير عام ١٨٨٤م . أول شيء فعله، وهو فى طريقه من بورتسعيد إلى القاهرة ان التقى بمحمد بك التهامى الذى كان سكرتيره ومترجمه بالسودان . انه يثق فيه ثقة كبيرة .

محمد بك التهامى كان رجلا زنجى الاب والأم . كان رجلا يحفظ السر ، ويتمتع بسلوك طيب جعله معروفاً لدى أكثر زعمـــاء السودان . ولكن غردون عندما رآه فى محطة الاسماعيلية وجده أصبح كفيفاً . اسف غردون على ذلك أسفاً شديداً ، وقدم إليه ثلث ماجمع وولســـلى من نوادى لندن . قدم له مائة جنيه ذهباً واركبه معه فى قطـــاره الخاص إلى القاهرة لكى يقوم ببعض الاعمـــال له . انه يريد ترجمة خطابات كثيرة ، ويريده ان يكتب خطابات لزعماء الســـودان . لقد كتب التهامى مع ثمانية آخرين طلب احضارهم ، عشرات التلغرافات إلى الزعماء السودانيين ، يبشرهم بقدوم المخلص الكبير تشارلز جورج غردون !

غردون فى مصر مع عبد الشكور

طلب غردون احضار أحد ابناء ملـــوك دارفـــور السابـــقين وهـــو عـــبد الشكور عبد الرحمن شاتون . عندما حضر ، قام بتعيينه سلطاناً على دارفور فى مكان ابائه . قال عبد الشكور : هذا تعيين طيب ، ولكن كيف الطريق إلى تنفيذ هذا القرار ؟

قال غردون : بان تذهب معى الليلة إلى الخرطوم !

قال السلطان المعين : اعطنى يومين أو ثلاثة انظم فيها حاجياتى ، واعد فيها عائلتى للسفر . انفعل غردون وقال له : اتريد عرشاً أم عائلة ؟ العرش أولا ان كنت تريده ، ثم العائلة .

ان عبد الشكور قد تسبب فى تأخـــير القطار ساعة بعد التاسعة من مساء السادس والعشرين من ينايـــر ١٨٨٤م . فقد اتى إلى محطـــة بـــولاق الدكرور بصحبـــة ثلاث وعشرين امرأة من عائلته التى كانت معه فى دار منفاه بمصر ، الشيء الذى استوجب اضافة

عربات أخرى الى هذا القطار الخاص .

ان عبد الشكور كان قد تسلم فى نفس اليوم الفى جنيه وجبة تشريفة حمراء من غير سوء . كما انهم اغدقوا على سجينهم الذى عينوه سلطاناً باكبر نيشان ضرب عندهم حجماً .

اغلب الظن ان عبد الشكور كان رجلا يتمتع ببعض ذكاء قابل للانعاش ، وقوة شخصية. فما كاد يدخل فى القطار حتى بدأ يعيد التفكير كرتين. لماذا لم يحضر معنا الزبير باشا ؟ ثم كيف الوصول إلى عرش الأجداد وغردون لايحمل سلاحاً ؟ ان اكذوبة ان غردون يملك نفوذاً فى السودان ، يمكن ان يضلل بها بريطانى ، أما سودانى فلا .

اعاد حساباته فى ذلك المساء البارد عدة مرات . عندما اشرقت شمس اليوم التالى ونزلوا من القطار وركبوا الباخرة من اسيوط ، افتعل كل اسلوب لمضايقة غردون لكى ينزل من باخرته . وعندما وصلوا إلى اسوان كانت القطيعة قد وصلت نقطة النهاية ، فبقى عبد الشكور فى اسوان تاركاً الجنرال الانجليزى يسير إلى حتفه مع مساعده استيوارت .

فيما بعد اقتنع عبد الشكور ان رجوعه إلى القاهرة سيعنى النفى مرة أخرى ، فتقدم حتى دنقلا عله يستطيع السكن هناك . ولكنه فى دنقلا اقتنع بالا عاصم لاحد فى السودان ليس مع ثورتها ، فرجع إلى مصر .

غردون وابراهيم فوزى

قبل ان يصل غردون إلى مصر كان قد ارسل تلغرافاً بانه لتنفيذ مهمته يريد من بيرنق ان ينظم له اتفاقاً مع ابراهيم فوزى لكى يصحبه إلى السودان .

كانت هناك مشكلة رئيسية تمنع اعادة تعيين ابراهيم فوزى فى أى عمل بالسودان أو مصر .. انه شارك فى الثورة العرابية وسجن وطرد من الجيش المصرى ، وبكلمات أخرى غضب المعية السنية عليه .

اتصل سير افلن وود به وكذلك نوبار باشا ، لكى يصاحب غردون إلى الخرطوم . حاول نوبار باشا غشه باعطائه مرتب لثلاثة أشهر حسبت على اساس انه امير الاى ، على ان تعاد إليه رتبته العسكرية قبل ان يصل إلى بربر . ان ابراهيم فوزى لم يقبل بعملية الغش

هذه ، واصر على ان يعفو عنه الخديو ، وان ترد إليه رتبته العسكرية قبل ان يركب القطار.

ان موقف ابراهيم فوزى قد حسبه بدقة ، رغم انه كان يعيش فى شظف من العيش بعد سجنه وطرده . مرتب الثمانين جنيهاً الذى اعطاه له نوبار باشا كان يكفى لشراء بضائع عدة متاجر ، ولكن ذلك لم يغير من وجهة نظر ابراهيم فوزى ، ان ما سيقوم به سيكون حاسماً فى هزيمة المهدى .. أو هكذا اعتقد ، وله فى ذلك وجهة نظر قوية . انتهى الأمر بان قبل الخديو العفو عنه ومقابلته بالالطاف والابتسام ، واعاد عليه رتبته . عندما عاد إلى غردون لابساً بذلته العسكرية والنياشين التى وضعها الخديو بيديه على صدره ضحك غردون وامره بالاستعداد للسفر مساء الغد .

غردون مع ابراهيم رشدى

ارسل غردون إلى أحد كتبته السابقين ويدعى ابراهيم رشدى ، وكان قد ارجع إلى مصر لكى يعمل فى مكتب السودان بالقاهرة . عندما حضر إليه اقنعه بالذهاب معه إلى الخرطوم ورفع مرتبه إلى عشرين جنيهاً فى الشهر .

غردون فى مصر مع الزبير رحمه

نظم المندوب السامى البريطانى فى مصر مع رئيس وزراء مصر السابق دعوة للزبير رحمه ، يحضر خلالها غردون لكى يقابله هناك موهماً أياه بان المقابلة غير مرتبه ، ويحاول اقناعه بانه اعجب به من الوهلة الأولى ، وانه يريده ان يذهب معه إلى السودان .

المقابلة الأولى التى لم تنجب نتيجة ، تلاها اجتماع آخر حضره نوبار باشا واستيوارت وايفلن وود وميجسور وبنقيست وغيرهم . رفض الزبير باشا مصافحة غردون لانه قتل إبنه سليمان قبل خمس سنوات– مع مجموعة من أهله الشهيناب والسروراب– فى مؤامرة لئيمة ، رمياً بالرصاص ، كما قام بمصادرة ممتلكات الزبير .

رد غردون بانه فعل ذلك لان الزبير ارسل خطاباً لابنه ، من منفاه ، يحضه فيه على الثورة على الحكومة . رد الزبير ، وهل تملك هذا الخطاب ؟ قال غردون : نعم ، انه مع الأوراق الخاصة بهذه القضية . قال الزبير : احضر هذا الخطاب وسأدفع رقبتى ثمناً له :

ارسل الميجور وينقيت لاحضار الخطاب من دار الوثائق ، ولكن الخطاب كان وهماً من أوهام غردون التي حاول بها ان يبرر فعلته . انتهى الاجتماع فاشلا كما بدأ . ولكن غردون استمر يطالب بحضور الزبير ، حتى بعد وصوله إلى الخرطوم . انه يريد دمية يحركها لكي تضرب له الثورة المهدية .

حاول بيرنق ، فيما بعد ، ان يوهم الشعب الانجليزى بانه ذهل لمطلب غردون بالاستفادة من خدمات نخاس . وهذه هى التهمة التي الصقها غردون بالزبير لكي يبني عليهابطولاته . ان بيرنق ، حتى لو أخذنا حجته ، لم يذكر ان غردون قد أصدر أمراً فى بربر بالسماح بتجارة الرقيق .

غردون يغادر مصر الى السودان

تحدد اليوم السادس والعشرون من يناير ١٨٨٤م ، لسفر غردون إلى السودان . عام بالتمام قبل مقتله فى قصر الحكمدارية بالخرطوم . اخر شىء فعله هو حصوله على تصديق بمائه ألف جنيه من المالية .

فى تمام التاسعة إلا الربع دخل غردون إلى محطة بولاق الدكرور حيث اعد له قطار خاص يحمله إلى اسيوط . ودعه فى المحطة نوبار باشا والنظار (الوزراء) وقنصل عام انجلترا (بيرنق) وعدد كبير من ضباط جيش الاحتلال ، ورجال التشريفة . صاحب غردون الكولونيل استيوارت وجنرال قراهام – صديقه من قبل حرب القرم – وابراهيم فوزى وابراهيم رشدى .

عندما أتت ساعة رحيل القطار فى التاسعة من مساء ذلك اليوم الذى كتب فى لائحة المحطة بالتاريخ العربى – الثامن والعشرون من ربيع الأول ١٣٠١هـ، لم يستطع القطار التحرك . عبد الشكور عبد الرحمن الذى عين سلطاناً على دارفور قد وصل ومعه ثلاث وعشرون سيدة من عائلته ، وكمية ضخمة من المحمولات تتناسب ومقامه الجديد .

تأخر القطار ساعة إلى ان الحقت به عربات جديدة . فى تمام العاشرة تحرك القطار جنوباً ، على هتافات بعضها عربى واخر انجليزى .

في الصباح كانوا في اسيوط ، حيث مدبرها اعد وجبة غداء للضيف الكبير . بعد الظهر ركبوا الباخرة إلى اسوان .

غردون مع القسسة في اسوان

عند وصول غردون إلى اسوان وجد من الأشياء المميزة في اسوان اشكال القسسة الذين هربوا من الخرطوم واتخذوا من اسوان مقراً لهم ، قبل ان يتحركوا فيما بعد إلى الجزيرة بالقاهرة لانشاء مزرعة للسودانيين فيها وفتحوا مدرسة في حلوان .

قائد مجموعة القسسة كان المطران « فرانسسكو سوقارو » الذى كان قد عينه البابا « ليو الثالث عشر » — (ولد هذا البابا في كاربنتو واصبح رئيساً للكنيسة الكاثوليكية بين عام ١٨٧٨ وعام ١٩٠٣م) — خلفاً لدانيال كمبوني الذى توفي بالخرطوم في العاشر من أكتوبر ١٨٨١م ، تاركاً خلفه أحد عشر قسيساً وتسع عشرة راهبة بجميع انحاء السودان .

المطران الجديد الذى عينه البابا في الثاني والعشرين من سبتمبر عام ١٨٨٢م وصل إلى الخرطوم في الثامن من مارس ١٨٨٣م ولكن الثورة المهدية التي كانت مشتعلة حملته على مغادرة السودان سريعاً مع من وجد من رجال الكنيسة بالخرطوم ، تاركاً في دار كاثدرائيته شماساً واحداً لرعاية الحديقة هو دومينيكو بوليناري (١) .

وجود القسسة باسوان اصاب غردون ببعض القلق . فهو يعرف انهم لن يغادروا الخرطوم إلا إذا كان الموقف خطيراً جداً .

ان محادثات غردون مع القسسة والسترات الهاربين من الخرطوم ، التاركين فيها اجمل مبنى بنى حتى ذلك الحين (المديرية الحالية) كانت مليئة بكثير من الحذر . وفي الحقيقة ، فان القارىء لما كتب صمويل بيكر لايعرف من كان قسيساً بحق ، ومن لم يكن . فحسب قول بيكر : « في يوم ٢٣ يناير ١٨٦٣م وصلت إلى محطة — سنتكرو — التي بنتها البعثة الكنسية النمساوية حيث وجدت آخر قسيس بها .. فرانس مورلانق الغاضب ، جاء من الدولمايت بجبال الالب وقد كان في ثلاثينياته وقد قضى ثمانية أعوام في السودان حينها.

١ — الكنيسة الكاثوليكية في السودان ، الاب قالى ص ٢٢ ص ٣٠

سلمته الخطاب الذى ارسل معى إليه من الخرطوم ، ودعوة إلى قفل الكنيسة والعودة إلى الخرطوم . ان تلك الكنيسة كانت خطة شجعها الامبراطور فرانس جوزف ، امبراطور النمسا . ولم يكد القسيس يشرب من زجاجة الخمر التى احضرتها لكى نشرب منها ، حتى انفجر يقـــول : ان الكنيسة هذه كانت ذريعة للتجسس على البـــلاد ، عـــلى أمل ايجاد مستعمرة للهابسبيرج (١) !! امين »!! .

قرارت غردون فى كورسكو

قبل ان يغادر غردون كورسكو ويودع صديقه الجنرلل قراهام الذى تبعه إلى هناك ارسل تلغرافات عــدة إلى الخرطوم . أول تلغراف عزل به حسين سرى من وكالة الحكمدارية بالخرطوم . الثانى عين بموجبه ضابطاً انجليزياً كان قد ارسل إلى الخرطوم بواسطة بلاده لجمع معلومات ويدعى كولونيل كوتلوقـــن ، عينه وكيـــلا للحكمدار . تلغراف ثالث عين فيه عوض الكريم أبا سن مديراً للخرطوم . تلغراف رابع ارسله إلى عبد القادر أم مريوم معيناً أياه قاضياً للقضاه .

غردون فى أبى حمد

بعد رحلة خمسة أيام ونصف ، عبر الصحراء القاحلة الباردة ، وصل إلى أبى حمد . استقبله فى أبى حمد مدير المديرية حسين باشا خليفة العبادى .

فى مبانى المركز ، بعد التقديم الضافى الذى قام به المدير ، خطب غردون خطبة قال فيها : انه تجاوز عن متأخرات الضرائب حتى عام ١٨٨٣م ، ثم انه لن يطالبهم بضرائب ثلاث سنوات قادمة . وانه اطلق النخاسة وتجارتها !! .

اقنع شيخاً بان اسماءهم لن تبقى ببطون الدفاتر حتى لايطالبهم بها حاكم اخر ... انه قرر حرق هذه الدفاتر . ثم استمر فى قراراته التى لم تقنع أحداً قائلا : (بعـد مضى الثلاث سنوات، انظر فى تخفيض الضرائب وتنزيلها حتى تكون أقل بكثير مما هى عليه الان .) عندما لم يجد رد فعل لقراراته اضاف (وانى احذركم من الركون إلى المهدى الكذاب

---

١ – عشاق على النيل ص ٨٣ .

وخصوصاً وانتم تعلمون انه دنقلي (دنقلاوى) كاذب فى كل ما ادعاه ، وانه لايقصد غير تحويم معاشه وتسلطه عليكم) .

يقول إبراهيم فوزى الذى كـــان يجلس إلى يساره حينها (فصاحوا جميعاً بصوت واحد ، إنا ندافع عـــن سلطة الحكومة بما ندافع به عـــن ابنائنا ، وانه يستحيل علينا ان نخضع لهذا الكذاب . فشكرهم واحسن على كثير منهم بالرتب والنياشين على ان ذلك كان منهم محض خداع ، لانهم كانوا يخشون ان يكون مع غردون جنود (١) .)

ثم طير تلغرافاً إلى افلن بيرنق يقول فيه :إن محادثاته مع الأهالى فى أبـــى حمـــد كانت ناجحة . فى المساء اقيمت له العاب بالدلوكة .

غردون فى بربر

سافر غردون من أبى حمد بالجمال واتم الرحلة بالباخرة التوفيقية ،حيث وصل فى الحادى عشر من فبراير ١٨٨٤م إلى بربر . استقبل هناك بواحـــد وعشرين دانة مدفع . قسم الملابس وبعض المال للمحتاجين . وفى سراى المديرية بدأ فى مقابلة المواطنين .قال لهم انه أتى لاخراج الحاميات المصرية ، وانه اعطى السكان حق امتلاك العبيد بدون تدخل من الحكومة أو غيرها . وعلل التنصل من الاتفاقية المعقودة بين مصر وبريطانيا بخصوص الرق ، والتى تفرض الحكم بالاعدام على من يحتفظ بعبد ، بان السودان لم يعد جزءاًمن مصر وعليه لادخل لـه بتلك الاتفاقية (٢) .

أيضاً اعاد قصة الضرائب . كما اخبرهم بان السودان سيعود إلى نظام السلطان والملك والشيخ .. الخ ، وانه عين المهدى سلطاناً على كردفان .

دخل عليه القناصل معبرين عن قلقهم من فشله .. لم يعرهـم التفاتاً . دخل عليه موظفو الدولة بنفس الرأى ، فقال لهم ، « ان الجنود فى اثرى قادمون من مصر» (٣) .

استبقى غردون رجلا ايطالياً يدعى « كوستى » كـــان فـــى طريقه إلى مصر ، استبقاه فى بربر لكى يكون جاسوساً لـه يمـــده بالأخبار . ثم اعطاه الشفرة لكـــى يخابر الوكالة البريطانية إن دعت الضرورة (٤) .

---

١ – السودان بين يدى غردون وكتشنر ص ٢٧٠ /١ .
٢ – كرامة انجلترا ص ٣٩/٣٨ .
٣ – ابراهيم فوزى ص ١/٢٧١ .
٤ – ابراهيم فوزى ص ١/٣٧١ .

ارسل غردون تلغرافاً إلى الخرطوم ، لكى يقرأه المنادون فى شوارع الخرطوم يقول :
(لاتصابوا بالفزع .. انكم رجال ولستم نساءً. انى قادم .. غردون «١» .)
فى تلك اللحظات لم يعرف أحد ، هـل سكان الخرطوم نساء يصابون بالفزع ، أم رجال لن يصابوا به ، ولكن الذى قام عليه الدليل فعلا : ان وجود « سيوبرمان غردون » فى بربر مازاد الحاكين وبطانتهم إلا فزعاً ! .

خطاب وهدية للمهدى

قبل ان يغادر غردون بربر ارسل خطاباً إلى المهدى ومعه هدية . نص الخطاب يقول : (٢)
(فخر الامراء المكرمين ، وقدوة الاولياء الصالحين ، حضرة سيدنا ومولانا السيد محمد أحمد بن عبد الله ، حفظه الله امين . بعد اهداء السلام ، وزيادة التوقير والاحترام لسموكم نخبر حضرتكم انى قد تعينت والياً على السودان باتفاق كل من الحكومة الخديوية ودولة بريطانيا ، لتسوية حال السودان بناء على ماطرأ عليها فى مدة السنين الاخيرة من انتشاب الحروب ، وسفك دماء المسلمين ، وقطع الطريق على ابناء السبيل الذين يقصدون التوجه لزيارة قبر النبى عليه السلام ، والذين يريدون السعى على معايشهم من التجار والمتسببين .
وقد شق علينا ذلك كثيرا ، كما ونعلم ان حضرتكم لايخلصكم هذا الأمر ، فغاية مانريده الان جنابكم ياحضرة السيد انه باتفاقنا سوياً ننظر مافيه حقن دماء المسلمين ، وسلوك الطرق ومداولة المواصلات بيننا وبينكم بغاية المحبة والمودة بحسب مايرضى الله ورسوله ؛ وان تأذنوا وتتكرموا باطلاق الناس المأسورين عندكم من اسـلام ومسيحيين لمناظرة عيالهم والتوصية بهم ، كما اننا شكرنا لفضلكم كثيراً عـلى صنيع معروفكم معهم . وان كان حضرتكم تريد أن تكون سلطاناً على كردفان فقد اعطيناها لكم لتكون سلطاناً واميراً عليها. واريد ان ترسلوا واحداً سفيراً معتمداً من طرفكم لاجل مقابلتنا فى الخرطوم ، والتروى فيماهو لازم بيننـا بخلوص النيـة، وحسـن الطـوية ، لاجل اعطائه ماهـو لازم مـن عواميد وسلوك التلغراف لتجديد ماسبق اتلافه بواسطة العربان ومداومة المواصلات بيننا ،

١ـ غردون الخرطوم ، تيرن بول ص ١١١ .
٢ ـ وثائق المهدية ، دكتور ابوسليم ص ٣١٩ .

ويرسل لطرف حضرتكم فرمان من لدن السلطان المعظم بتأييد حضرتكم على حكومة كردفان . واعلم ياحضرة السيد اني اريد ان أكون معكم بغاية المحبة والمودة ،ولا أقصد إلا كل خير ، ورجائي ان تتكرموا علينا برد الخطاب .. والله الموفق للصواب .. ١٦ ربيع الاخر ١٣٠١هـ ـ غردون) .

الهديـــة

الهدية التي ارسلها غردون مع الخطاب تضم : جبة وقفطاناً وحزاماً وطربوشـــاً مغربياً بعمامه ومركوبـا (حذاء) وشالا «١» .

الخطاب والهدية يصلان الى المهدى

وصل خطاب غردون والهدية إلى الإمام المهدى بالأبيض فى السابع من جماد الأول ١٣٠١هـ ـ الخامس من مارس ١٨٨٤م ـ. الإمام المهدى لم يمسك بالهدية ،بل ردت إلى مرسلها ومعها هدية من المهدى إلى غردون ورد المهدى على خطاب الأخير .

هدية المهدى إلى غردون

هدية المهدى إلى غردون تتكون من جبه ورداء وسراويل وعمامة وطاقية وحزام و مسبحة . ارسلت الهدية مع الرد بتاريخ الحادى عشر مـــن جمـــاد الأول ١٣٠١هـ ـ ٩ مارس ١٨٨٤م .(٢)

نص خطاب المهـــدى إلى غردون

(بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله الوالى الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم .

وبعد ، فمن عبد ربه المهدى بن السيد عبد الله إلى عزيز بريطانيا والخديوية غردون باشا .

---

١ ـ الكردفانى ص ٢٣٨ ؛

٢ ـ الكردفانى ٢٤٧ . ولكن هناك خلاف فى هذا التاريخ وهناك مصادر تحدده بالسابع من جمادى الاول ، وأخرى السابع عشر من جمادى الاول ـ منشورات المهدية ص ٣٢٧ أغلب الظن ان الاخير صحيح .

وصل جوابك الينا وفهمنا مافيه . والحال انك تزعم ارادة اصلاح المسلمين وفتح الطرق لزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم واتصال المودة فيما بيننا وبينكم وحل المأسورين من النصارى والمسلمانيين وان تجعلنا سلطاناً على كردفان .

فاقول – والأمر لله – انى قد دعوت العباد إلى صلاحهم ومايقربهم من ربهم وان يفرغوا من الدنيا الفانية إلى دار البقاء وليعملوا بما يصلحهم فى اخرتهم وقد كتبت إلى حكمدارية الخرطوم وانا بابا بدعايتى إلى الحق وبأن مهديتى من الله ورسوله ولست فى ذلك بمتحيل ولامريد ملكاً ولامالا ولاجاهاً وانا عبد احب المسكنة والمساكين واكره الفخر وتفخر السلاطين ونبوهم عن الحق المبين لما جبلوا عليه من حب الجاه والمال والبنين ، وهذا هو الذى صدهم عن صلاحهم وأخذ نصيبهم من ربهم فأخذوا الفانى وتركوا الباقى واشتغلوا بما لايكون من الفانيات ولم يسمعوا قول الله ورسوله ولم يذكروا خبر القرون الذى لم يغن عنهم ذلك شيئاً ، وتندموا على قدر الذى تنعموا به ، فأيدنى الله تعالى بالمهدية الكبرى لدلالتهم إلى الله تعالى وليتركوا العز الفانى والنعيم الفانى الى العز الدائم والنعيم الابدى فى دار النعيم المقيم ، ولاعرفهم غرور من يريد العاجلة ويظن انه سعى فى رضاء الله ويكون له نصيب فى الاخرة ، وقد قال المسيح عليه السلام : يامعشر الحواريين ابنوا على موج البحر داراً لكم فلا تتخذوها قراراً ومن ظن انه يخوض البحر من غير بلل فهو مغرور . فكذلك من ظن انه يجمع الدنيا ويريد عزها وجاهها ويكون له فى الاخرة شأن .

فأنب إلى الله الباقى واخضع لجلاله واطلب عز الاخرة . ولاتظن ان هذه الدنيا دار حتى تسعى لملكها وعزها . وكيف من يكون على خلاف سكة رسول الله يفتح باب زيارة قبره ، ولميكن النبى صلى الله عليه وسلم ممن يرغب فى زيارة الكلاب كما ورد : ان الدنيا جيفة وطلابها كلاب . ولميرغب ممن عبد غير الله ، ونسى الله واعرض عن كلامه وطلب متاع الحياة الدنيا الفانية ! فان كنت شفيقاً على المسلمين فبالأول اشفق على نفسك وخلصها من سخط خالقها وقومها على اتباع دين الحق واتباع سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذى احيى مااندرس من ملل الانبياء والمرسلين واتى مصدقاً لمابين يديه من

الكتب فجميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام لوحضروا لما سلكوا غير ملته ، وكلهم يتمنون ان يكونوا من أمته وممن حضر بعثته. وما بعد لايقبل الله ديناً غير سكته .

فطهر نفسك أولا بالدخول فى ملته ثم اشفق على امته بسلوك سنته ، فعند هذا فأنت الشفيق ، ومن غير هذا فمالك من المحقين رفيق ، وكيف وقد قال الله تعالى (يا أيها الذين امنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم ان الله لايهدى القوم الظالمين) إلى ان قال (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا ، الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ، ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون)

وانا قد امتثلنا أمر الله وما نتخذ ولياً إلا الله ورسوله والمؤمنين ، وعلى ذلك قد وعدنا بالغلبة كما سمعته من قول الله هذا . ومادام ان الله يقول (هم الغالبون) فلا غلبة لغيرهم . فان رجعت عما أنت عليه من ملة غير الاسلام وانبت إلى الله ورسوله واخترت الاخرة نتخذك ولياً وتكون من اخواننا وتكون المودة المطلوبة عند الله ورسوله وتكون ممن امتثل أمر الله ورسوله بعد هذه الايات فاستحق الوعد والبشارة فى قوله تعالى (ولو ان أهل الكتاب امنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولادخلناهم جنات النعيم ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل ومانزل إليهم من ربهم) الاية . فبعد هذا تتصل المودة والمحبة فيما بيننا وبينك وتكون ممن عمل بالقرآن والتوراة والانجيل وتكون قد اتبعت باتباع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعيسى وجميع الرسل والنبيين وحزت الخير الابدى وإلا حيث علمت : ان حزب الله الذين وليهم الله ورسوله والذين امنوا هم الغالبون من كلام الله ، فاعلم ان حزب الله واصل اليك ومزيل لك عما شاركت به الله خالقك فاستعبدت ملك عباده وارضه مع ان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده الصالحين .

وأما المسلمانيون والمسيحيون الذين دعوت بطلقهم إليك فانا اريد لهم الصلاح والنفع عند الله وفى دار الابد كما أريده لك ولكافة عباد الله فلا ابعدهم من جنتهم إلى محنتهم ، فان الله قد ايدنى رحمة للعباد لانقذهم من الهلاك الذى هم واقعون فيه لولا رحمة بظهورى فيهم .

واعلم انى المهدى المنتظر – ولافخر – خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلا حاجة لى بالسلطنه ولابملك كردفان ولاغيرها ولا فى مال الدنيا ولازخرفها وانما عبد دال

إلى الله وإلى ماعنده ، فمن كان سعيداً اجابني واتبعني ، ومن كان شقياً اعرض عن دلالتي فأزاله الله من موضعه واذله وعذبه عذاب الابد .

وقد ايدني الله تعالى بالانبياء والمرسلين والملائكة والمقربين وجميع الأولياء الصالحين لاحياء دينه . وقد بشرني النبي صلى الله عليه وسلم ان جميع من يلاقني بعداوة يخذله الله ويهزمه ولو كان الثقلين ، الانس والجن . فلا تغتر فتهلك كما هلك اخوانك فأفهم وسلم تسلم .

واما الهدية التي ارسلتها لنا فعلى حسب نية الخير فجزاك الله خيراً وهداك إلى الصواب. واعلم انه كما كتبنا لك انا لانرغب متاع الحياة الدنيا وزينتها وانما هي قصد المترفين الذين لم يكن لهم عند الله نصيب . وهاهي مرسولة اليك مع ما نرغبه من الخير الباقي الابدى ليستحقوا بذلك نعيم الابد وملك الدوام كما درج على ذلك الانبياء والمرسلون السعداء من عباد الله الصالحين .

وتعلم ذلك أنت حقيقة من سيرة عيسى عليه السلام وحواريه ، وقد قال : « كبيت لكم الدنيا فلا تنعشوها بعدى » فتعلم من ذلك ان من خالفه من الاحبار والرهبان وجميع من يدعي اتباعه ليسوا محقين وانما غـرتهم الحياة الدنيا الفانية والمتعة الايله إلى ان تكون جيفة عذرة ثم عدما محضاً فتكون حسرة وندماً عند فراقها ، ولما فوتته من اكتساب خيرات الدوام . وثم ان مثل هديتك هذه عندنا كثير ولكن اعرضنا عنها طلباً لما عند الله ، واقول لك في ذلك كما قال سليمان عليه السلام لبلقيس وقومها (أتمدونني بمال فما اتاني الله خير مما اتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون ارجع إليهم فلنأتيهم بجنود لاقبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون).

واعلم انك إذا اتيتنا مسلماً نربيك ونربك من النور ما يطمئن به قلبك ويزول به طمعك في الدنيا ومافيها . وثم بعد ذلك ان رأينا فيك خيراً وصلاحاً للمسلمين وليناك كما فعلنا ذلك لمحمد خالد المشهور بزقل مدير دارا سابقاً ، فانه لما اتانا ورأى الحق وفرح بلقائنا غاية وندم على مافات وضيعه من عمره وتربى فاطمأن قلبه بالله واختار الاخرة ووثق بالله وليناه على دارفور . وقد كتب لنا قبل ذلك عبد القادر سلاطين بالتسليم فاكرمناه وإلى الآن نريد كمال تربيته . وهو الان في خيركثير .وكذلك السيد جمعه الذى كان مدير الفاشر ، الآن ارسلنا إلى محمد خالد المذكور ليأتي به لكمال التربية والارشاد . وبلغنا حسن اسلام الدمترى سجاده وصدق اتباعه لنا وانابته للاخره . وكذلك جميع امراء النقط

بدارفور فقد اذعنوا لله كباقي سلاطين دارفور وسلموا جميع أمرهم إلينا فى حـــب الله ورسوله وحسن تسليمهم واتباعهم لنا . وكـــذلك الملك آدم ملك جبال تقلى ، الآن اتانا مهاجراً لما رأى الحق وحسن اتباعه وصدقه وقد اكرمناه وهو الان بخير كثير ، وهلم جرا.
فكل سعيد لابد ان يتصل بنا من جميع أقطار الأرض ، ومن ابى لابد ان يخذله الله ويعذبه في الاخرة كما اشار إلى ذلك النبي صلى الله عليه وسلم .

وليكن معلوماً عندك ياحضرة الباشا ، ان جميع الذين قتلوا على يدى قد انذرتهم أولا انذاراً بليغاً ، وها هى واصلة إليك انذار ولد الشلالى من بعد مخاطبته لى ، وانذار هكس باجوبة عديدة للعامة وجواب مخصوص له ولأكابر جيشه . وقد ارسلنا إلى باشا الأبيض بجواب فقتل رسلنا .

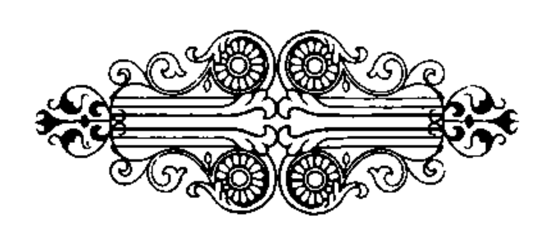
وبعد ان وقع في يدنا اكرمناه واعطيناه جبة جميلة ليتدرج إلى الصدق مـــع الله ، ولازلنا نكرمه ونعظمه ليقتدى بنا ويصدق مع الله فيكـــون مـــن الاصحـــاب الذين هم كالنفس ، فلم يصدق ولازال يقع فيما يهلكه ونحن نصفح عنه حتى اخذته نيته فمات ، ومع ذلك لاجل مبايعته لى ومجالســـته معى أياماً ، قد اتانا خبر بعد موته انه عفى عنه فى الاخرة فصار من السعداء ، والعبد إذا كان يسعد فى الاخرة فهو المقصود ، ولاخير فى الدنيا ولافى نعيمها ، بل انمـــا متاعها يكثر الحسرة والحبس فقط يوم القيامة ، ونيتى بالعباد سعادتهم هى اخرتهم الابدية وازالة الهلاك عنهم من الله ، ولذلك لاطفت جمع الاكابر وأهل الدولة بالقول والفعل ليعرفوا ماعند الله فيرغبوا فيه ويتركوا الخسيس الفانى. وهكذا جميع من وقع فى قبضتنا من الاكابر فى الدولة والحكام ، ماعملنا معه إلا الخير والاكرام . فمن صدق منهم معنا فهم الان فى خير وازدياد شرف ، والسلام .

وبعد هذا البيان ، فان اهتـــديت وسلمت لى واتبعتنى حزت شرف الدنيا والاخرة وفزت باجرك وبأجر جميع من اتبعك. والاهلكت وكان عليك اثمك ومثل آثام من اتبعك. فان كان لك حسن نور فى العقل تعلم انى خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تتهمنى فيما اسوق به الخلق إلى الله والدار الاخرة ولم تسمع على قول الظلما والحساد الذين يريدون ان يطفئوا نـور الله بافواههم ويأبى الله إلا ان يتم نوره . قد قال صلى الله عليه وسلم : من شك فى نصرة المهدى فليقرأ قوله تعالى (هو الذى ارسل رســـوله بالهـــدى ودين الحق

ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) وقوله تعالى (كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله) .

ولزيادة الشفقة عليكـــم لزمت التحشية بهذا ، والهادى هـو الله وكثرة البيان لا تهدى . هدانا الله والعباد على الصواب أمين والسلام) .

١١ جماد أول ١٣٠١هـ - ٩ مارس ١٨٨٤م



غردون يهـرب من المـوت

الطريق بالباخرة إلى الخرطوم كان مليئاً ببعض الإثارة . فكلما اتجهوا جنوباً شعروا برفض السكان لهم . بالقرب من جبل الرويان تلقاهم الاهالى مرتدين ملابس الثورة المرقعة واطلقوا عليهم الرصاص من اكثر من مائتى بندقية . فى « أبى حليمة » عنـدما توقفوا لاخذ حطب كوقود للباخرة هجم عليهم الاهالى وكادوا ان يصلوا إلى غردون ، الذى كان جالساً على مسافة مائة ياردة من الباخرة ، لولا سرعة ساقيه مكنتاه من الوصول إلى الباخرة بسرعة ريح عاتية . انه الموت الذى قال انه يتمناه ، عندما قدم إليه هرب منه بكل ماامتطاع من جرى . اثنان من بحارته لم يكونا فى سرعة ساقيه فقتلا بواسطة الثوار(١).

غردون فى الخرطوم

عندما وصلت الباخرة إلى الخرطوم استقبلت السلطة غردون استقبالا مهماً . وقف الجنود وقرقولات الشرف تحية لـه . تفقـد الحصون التى وضع « كولونيل كوتلوقن » بعض اللمسات عليها .

عندما وصل السراى ، اجتمع بالموظفين والقادة وبعض الاهالى والشيوخ . وقف غردون على « السلاملك » وسلم الشيخ حسن المجدى ، رئيس اساتذة المدرسة الاميرية فيرمان توليه الحكمدارية ، فارتقى الشيخ المنبر وقرأ بصوت مرتفع الفيرمان . ثم اطلقت المدافع بواسطة الجنود . ارتقى بعد ذلك المنبر إبراهيم بك لبيب – مأمور الضبطية – واخذ يترجم مايمليه غردون عليه . قال غردون :

(يا اهالى السودان عموماً ، ان الجناب العالى الخديو يسلم عليكم صغيراً وكبيراً ، احراراً وعبيداً ، اناثاً وذكوراً . وكـذلك جلالة الملكة فكتوريا ملكة بريطانيا العظمى وامبراطورة الهند . وانكم تجهلون شفقتى عليكم ومحبتى لكم . وقد ساءنى ماسمعته عنكم حيث نشبت الحرب بينكم وتعطلت تجارتكم ، وسفكت دماؤكم ، ومنعتم من تأديـة فريضة الحج التى هى ركن من أركان الإسلام ، وزيارة قبر النبى عليه السلام . وقد اساء

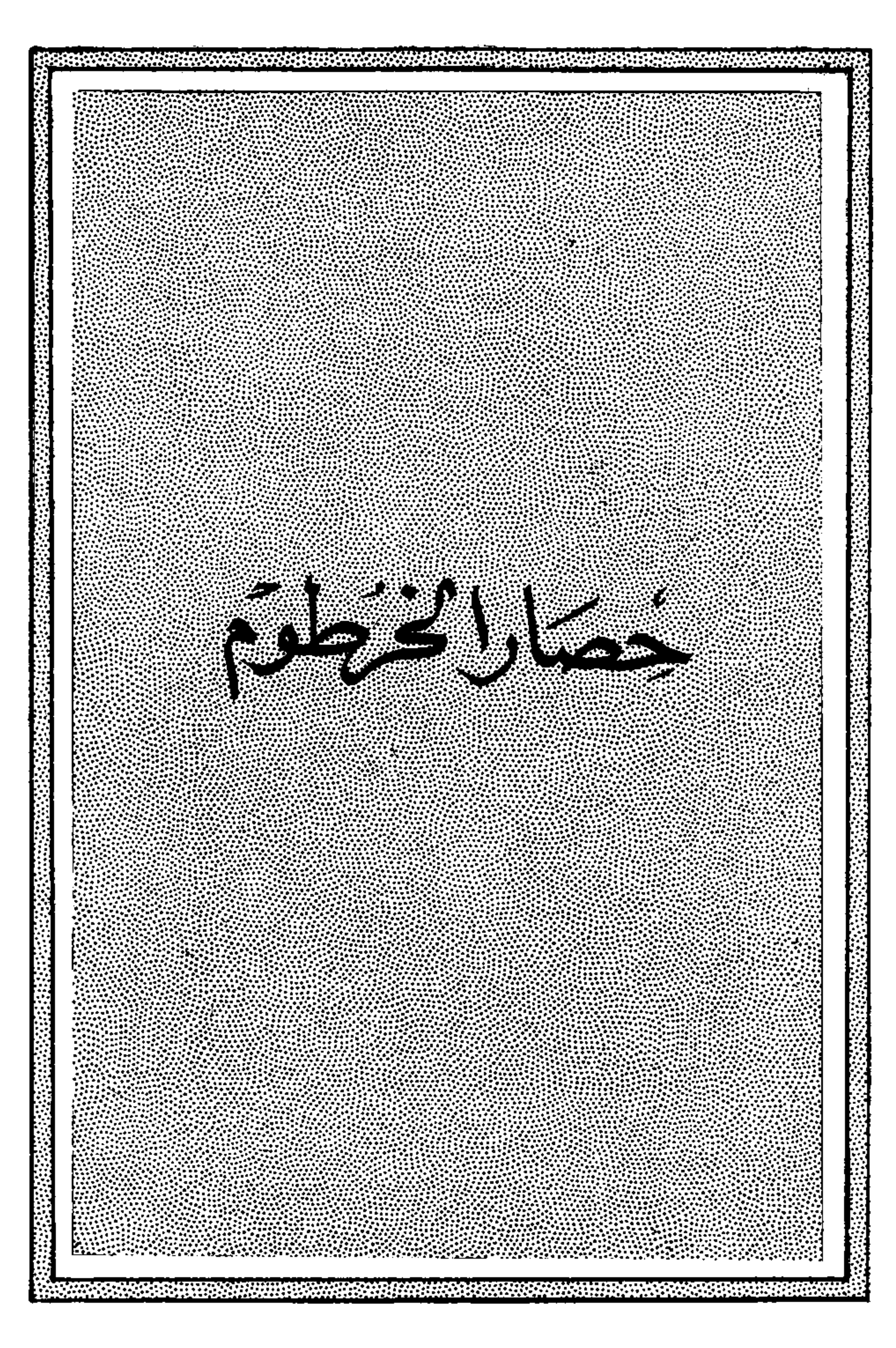
---

١ – ابراهيم فوزى ، السودان بين يدى غردون وكتشنر ص ١/٢٧٣

هذا الحال كلا من جلالة الملكة وسمو الخديو المعظم . فانتدبت من قبل حكومة جلالـــة الملكة لاكون والياً على السودان ومرخصاً لى فوق العادة . وقد صار فصل الســودان عن مصر فصلا تاماً . وفوض إلى الحكم المطلق . وقــد خابــرت السيد محمد أحمد المهدى بفحوى مأموريتى واعترفت له بالسلطنة المطلقة عـــلى السودان الغربى برمته ، على شرط الا يمد يده لغيره. هذا وقد الغيت جميع الأوامر الصادرة بمنع تجارة الرقيق ، وتجاوزت عن جميع المتأخرات من الضرائب لغاية ١٨٨٣م . وقد تجاوزت أيضاً عن ضرائب ثلاث سنوات من أول ١٨٨٤ ، وامرت باحراق دفاتر المتأخرات . وامرت باطــلاق جميع المسجونين على اختلاف جرائمهم وتنوع جناياتهم . وعزمت منذ الان على ان يكون اعضاء حكومتى إلامن الوطنيين ، حيث انى أود تشكيل حكومة وطنية ليحكم السودان نفسه بنفسه . وقــد عينت عــوض الكريم أباســن مـديراً للخرطـوم واحسنت عليه برتبة الباشوية . ولى الأمل بان العلائق ستصبح بينى وبين سلطان الغرب وثيقة العرى. وقد امرت منذ اليوم بفتح ابواب الحصون واتلافها وسحب الجنود منها لتلتفتوا إلى عمران بلادكم وحرث اراضيكم وانماء تجارتكم ومنى عليكم السلام (١) .



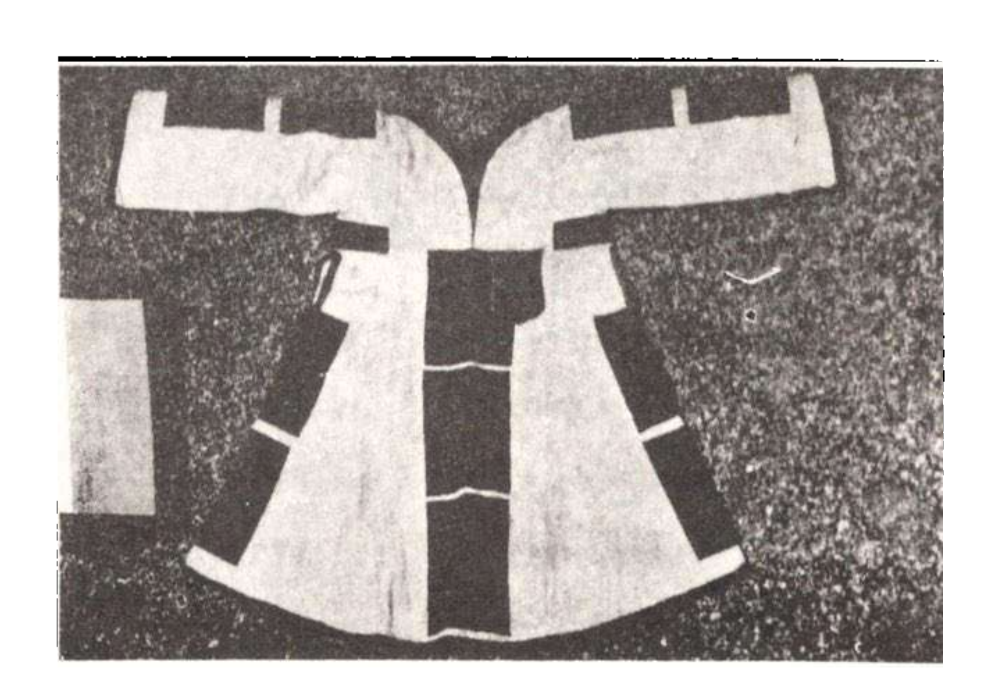
١ – محمد عبد الرحيم – الفداء فى دفع الافتراء ص ٩ .


حِصَارُ الخُرطُوم

نهاية فبراير ١٨٨٤م

تجنيد الشيخ العبيد ود بــدر للثــورة

اعلن الشيخ العبيد ود بدر – أحد كبار مشايخ الطريقة القادرية بقرية أم ضوا بان – انضمامه للثورة الإسلامية المهدية ، وانه سيقوم بامر انتشارها ، وسيجاهد فى سبيلها . اعلان الشيــخ العبيد قــد سبقته ولحقته خطابات من الإمام المهدى إلى الشيخ الواســع الاثر الدينى ، والمعروف بتدينه وكمال خلقه . سبق اعلانه ذاك خطاب من المهدى إليــه بتاريخ ٤ جماد الأول ١٣٠١هـ – ١٣ مارس ١٨٨٤م يقول له فيه(١) (بوصولى جوابى هذا إليك اجمع هممك فى الله وارسل لجميع اتباعك واحبابك واهلك وعشيرتك فــى الله ، وجاهر فى معادات الكفرة ، واقطع السكك وبــادر بالعداوة ظاهراً وباطناً ، وبالقتل والاسر والرباط والحصار ولاتتوقف ابداً لامر ما ان كنت متمثلا مصدقاً بمهديتنا) .



١ – انذارات – ب ص – ٩٣٧ – ٩

مخـــازن غـــردون

في العشرين من فبراير عين غـردون محمد باشـا حسن مديـراً للمالية وأمـر بجرد المخازن . عندما جاءت كشوفات محتويات هذه المخازن كانت كالآتي :ـ

٢٣٥٠٠	اردب ذره .
١٠٠	اردب قمح .
٦٠٠٠٠	أقة ارز هندى .
١٢٥٠٠٠٠	أقة بقسماط .
١٤	قنطار عسل .
٢٠٠	قنطار تمر هندى .
١	قنطار ريش نعام .
٣٠٠٠	اردب ملح .
	بعض قرون وحيد القرن .
٦٠٠	قنطار صابون .
١٠٠٠	قنطار زيت .
١٠٠٠	قنطار سمن .
٨٧٢	بندقية رمنقتون .
٢٦٨٠	بندقية نظام قديم .
٣١٥٧٤٠	بكتة ذخيرة رمنقتون .
١٠٣٠٦٨	بكتة ذخيرة بنادق نظام قديم .
٣٧٠٠	ذخيرة مدافع مترّاليوز قديم .
١٢٦٩	ذخيرة مترّاليوز جديد .
٢٥١٠	دانات شظايا كروب .
١٩٠٠	دانة كروب عاده .
٢٥٠	اغلفة دانات .
١٢٥٥	صاروخ .

١٣٧١٠	دانة مدافع جبلية .
٥٧٠	دانة مدافع جبلية قديمة .
٢٥٥	صندوق بارود .
١٩	صندوق بارود العاب نارية .



مارس ١٨٨٤ م

الشيخ البصير يحاصر جنوب الخرطوم

الشيخ محمد الطيب البصير بحصاره لفداسي وحصاره لشمال الجزيرة فى أول يناير ١٨٨٤م ، ودعوته إلى الشيخ عبد الله عوض الكـــريم ابى ســـن لحصار جنوبها ، قد عـــزلا الخرطوم مـــن الناحيـــة الجنوبية وأيضاً بقطع المواصلات السلكية .

معركة الحلفايـــا

شرع الشيخ العبيد ودبدر فى محاصرة الخرطوم مـــن ناحية الشمال الشرقى وبقطع المواصلات السلكية،ووصل حتى منطقة الصبابى .أرسل غردون فى ١٣ مارس ١٨٨٤(١) قوة من الشايقية لطرد المحاصرين ، فتلقاهم ابراهيم العبيد بالحلفايا وهزمهم وقتل قائدهم فحل اغا واستولى على اسلحتهم ،وتمكن عـــدد قليل جداً منهم اللحاق ببواخرهم التى سبقتهم هرباً . اسر الشيخ ابراهيم العبيد منهم مائة وخمسين .(٢)

معركة قصر راســـخ

ارسل غردون باخرة محملة بالجنود بقيادة ضابطه المقرب ابراهيم فوزى . ماكادت هذه القوة تضع اقدامها بالقرب مـــن قصر راسخ – الوابورات الآن بالخرطوم بحرى – حتى هجم عليها الشيخ ابراهيم العبيد وثواره وحطموها فى دقائق واصيب قائدها ابراهيم فوزى بطلق نارى فى فخذه ، فاقلته الباخرة راجعاً إلى الخرطوم حيث انعم عليه غردون برتبة لواء وجعل يزوره ثلاثة أشهر إلى ان شفى (٣) .

خطاب إبراهيم العبيد إلى غردون

ارسل ابراهيم العبيد خطاباً إلى غردون يقول فيه (إن الامام المهدى أمرهم بحصار الخرطوم) ويقول له (سلم تسلم ، يؤتك الله أجرك مرتين) . رد غردون بخطاب يقول فيه انه سيقبل بالمهدى سلطاناً على كردفان فقط ، وانكم سوف تواجهون بجنود شجعان .

---

١ – شقير ص ٨٣٦ . ٢ – حصار وسقوط الخرطوم ص ٩٠

٣ – فوزى ص ١/٣٠٤ .

معركة جلنقو

في يوم ١٦ مارس ١٨٨٤م بدأ غردون تجربة شجاعة جنوده ، فارسل أربع فرق من الجهادية والباشبوزق بقيادة السعيد الجميعابى وهى :

الفرقة الأولى	بقيادة حسن افندى ابراهيم الشلالى .
الفرقة الثانية	بقيادة السعيد باشا حسين الجميعابى
الفرقة الثالثة	بقيادة مولى بك الرباطابى .
الفرقة الرابعة	بقيادة ميتو اغا التركى .

عبروا النيل إلى قصر راسخ وماكادوا يخرجون منه حتى توقفوا لاعدام جنديين رفضا الانصياع لاوامر قادتهم . عندما وصلوا إلى حلة جلنقو (منطقة مكتب الأراضى والمحاكم بالخرطوم بحرى الان) هجمت عليهم مقدمة قوات ابراهيم العبيد وعددهم ستون فارساً(١) فهربت الاربع فرق تاركة قتلاها بينهم قائدان صرعى هم : مولى بك الرباطابى وميتو اغا التركى . أيضاً تركوا مدفعاً وحمولة أربعة جمال جبخانة . وقد قال الإمام المهدى فى خطاب إلى خالد زقل ان شهداء الانصار عشرون .

إن وصف جوليان سيمونز للمعركة ينطبق تماماً على ماورد فى أوراق غردون بالمتحف البريطانى ، وحسب هذه فان مجموع جيش القادة الأربعة كان الفى رجل ،وقوة الانصار التى هجمت عليهم كانت ستين فارساً . ان غردون الذى شاهد المعركة من سقف قصره واشترك بضرب الثوار بدانات مدفعه قبل ان يحدث الالتحام ، قد اصيب بحالة من الالم والغضب . هذه المعلومات تنطبق أيضاً مع خبر المعركة الذى نقله فرانك باور — القنصل البريطانى — ونشرته صحيفة التايمز التى يراسلها .

الخبر الذى وصل إلى الامام المهدى وكتبه فى خطاب إلى خالد زقل يقول (.. وكذلك بيوم الأحد ١٨ جمادى أول«٦ أبريل وسبب الخطأ فى التاريخ غير معروف»، فى ساعة الضحى خرجت إليه جردة تساوى اربعة الاف شخص من قيقر قصر راسخ بالشرق

---

١ — كرامة انجلترا ص ٥١ . أوراق غردون المتحف البريطانى

فتقابلوا مع المذكورين فهزموهم فى أقل من نصف ساعة وقتلوا اربعمائة واستلموا منهم مدفع وجبخانة اربعة جمال ، والشهداء الانصار عشرون) .

مظاهرات فى الخرطوم

ان سبب غضب غردون كان مفهوماً ، فهو قد فقد بين الثالث عشر من مارس حتى السادس عشر منه ثلاث معارك — معركة الحلفايا ، ومعركة ابراهيم فوزى بقصر راسخ ، واخيراً معركة القادة الاربعة بجلنقو . عندما وصل الباقون من القادة إلى الخرطوم وبينهم حسن افندى ابراهيم الشلالى والسعيد باشا حسين الجميعابى قبض عليهم غردون نسبة لما راه من سقف سراياه وتحريض فرج باشا الزينى له . نشر خبر الهزيمة فى المدينة على أنه مؤامرة وليس جبناً من الجنود . قامت مظاهرات فى الخرطوم قوامها الاجانب تطالب بالقصاص . شكل غردون محكمة حكمت عليهما بالاعدام ونفذ الاعدام على عجل(١) .

الحركة الثورية داخل الخرطوم

الاتجاهات السياسية المتصارعة فى داخل الخرطوم اصبحت شديدة . ربما كان السبب النجاح العسكرى الذى لقيته الثورة فى مناطق السودان المختلفة ، أو بسبب المناقشات الدينية السياسية فى الخرطوم . خطابات الإمام المهدى إلى سكان الخرطوم زادت حدة الخلاف . ومهما يكن من سبب فقد حدثت عملية اغتيال فاشلة لكولونيل استيوارت بعد وقعة الحلفايا مباشرة ، ولكنه نجا من الموت بعد ان اصيب بجرح (٢) .

حل المجلس الاهلى وتعيين محمد نصحى محافظاً للخرطوم

حل غردون المجلس الاهلى الذى كان قد كونه ، وعين محمد نصحى باشا محافظاً لامن الخرطوم ، فنظم المحافظة ومنع الاهالى من اطلاق النار ومنع التجول ليلا . (٣)

---

١ — الخرطوم ، دكتور ابو سليم ص ٧٣ .

٢ — شقير ٨٣٦ .

٣ — الخرطوم ، ابوسليم ص ٧٤ .

تجنيد السروراب للثورة

خطابات الامام المهدى إلى الشيخ المصطفى بن الشيخ الامين ود أم حقين بجزيرة اسلانج ، اقنعت الشيخ بان يجمع أهل السروراب والجموعية والجميعاب . عندما اجتمعوا بايعوه على طاعة المهدى وخلع نير الحكومة ، فزحف بهم عـلى أم درمان وعسكر ازاء نقطتها (١) .

فى نفس الوقت فان الشيخ أحمد ابضفيرة جمع بقية قبيلة الجموعية بغرب أم درمان ـ الفتيحاب ـ وعسكر بهم فى ديم ابى سعد (٢) .

اتباع الشيخ المضوى

الشيخ المضوى عبد الرحمن المحسى جمع اتباعه حوالى عشرة الاف واوكل قيادتهم إلى ابناء الشيخ العبيد ودبدر ، وقاد ابنـاء المحسى منهـم ، أحمد الفريع ـ والشكـرية القدوداب ، احمد ودعماره ـ والمغاربة ، محمد عبد السلام ـ والبطاحين ، طه عبد الباقى ـ والحسانية ، سليمان ودكاسر (٣) .

كتب الشيخ المضوى إلى غردون يحثه على الاستسلام أو الرحيل لينجو ، وفى نفس الوقت قطع المواصلات السلكية فى منطقة حصارهم .

تجنيد الجعليين للثورة

أول ابكار الثورة المهدية بشمال الخرطوم الشيخ أحمد حمزه السعدابى قد بايـع الامام المهدى بكردفان وعاد إلى منطقة الجعليين فى بداية عـام ١٨٨٤م ، وبدأ فى نشر تعاليم الثورة .

فى نهاية مارس كانت الثورة التى رفع لواءها هناك قـد اشتعلت فـى المنطقة بين شندى وبربر . فى الخامس والعشرين من مارس قطعوا خط التلغراف ، فشلوا المواصلات السلكية بين شندى وبربر . والجدير بالذكر ان خط التلغراف بين الخرطوم وشندى كان

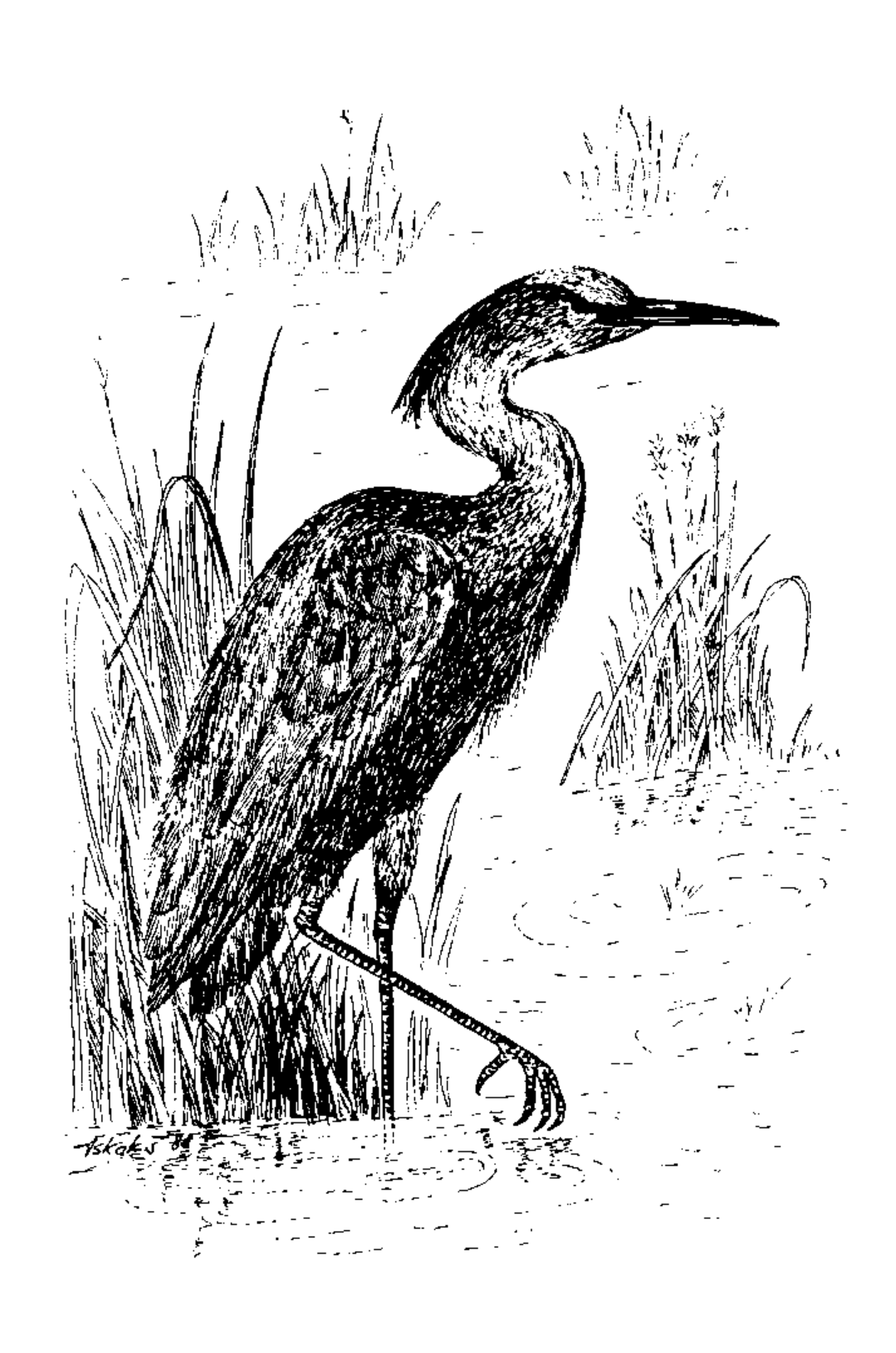
---

١ ـ ابراهيم فوزى ص ١/٣٠٩ .

٢ ـ ٣ حصار وسقوط الخرطوم ص ٩١ .

قد عطل بواسطة الثوار شمال العاصمة منذ الثانى عشر من مارس ١٨٨٤م .

قطع التلغراف حتى بربر جعل غردون يرسل الجواسيس برسائله المقتضبة إلى بربر ، لكى ترسل من هناك إلى مصر بالتلغراف ، ولكن تحرير بربر فى التاسع عشر مـــن مايو ١٨٨٤م ، جعل غردون يعيش فى عزلة تامة عن حكومته .





- أوراق البـون

أبريل ١٨٨٤م

استحكامات الخرطوم

قضى غردون شهر ابريل فى زيادة تحصينات الخرطوم التى شيدها عبد القادر باشا حلمى فى مايو ١٨٨٢م . كولونيل كوتلوقن الانجليزى ، الــذى قام باعمال حكمدار السودان ، قوى من هذه الاستحكامات بحفر خنادق أكثر وتعميق ماكان محفوراً ، كما شيد طوابى جديدة . ان خندق الخرطوم واستحكاماته وصل طولها اثناء الفيضان خمس الاف وتسعمائة يــاردة ، وفى زمن التحـــاريق يزيد الطـــول باكثر مـــن الف ياردة. عــرض الخنـــدق ســبعــة عشر قدماً فى السطح وعشرة فى القاع . غردون زاد عمق الخندق إلى ثمانية أقدام ، وشيد سوراً من الداخل ارتفاعه خمسة اقدام . ثم فى منطقة انحسار النيل وضع المراكب المحملة بالمتفجرات التى أوصلها باسلاك .

بهذا النظام الدفاعى ثلاثة أبواب بها طوابى مدفعية . الباب الأول هو باب برى - أمام كبرى النيل الأزرق الحالى . الباب الثانى هو بوابة المسلمية - وهى كبرى المسلمية الحالى . الباب الثالث هو بوابة الكلاكله - وهى كبرى الحرية الحالى .

على بعد من الخندق وضع عبوات ناسفة مزودة باجهزة اشعال من استنباط غردون الخاص . هذه الالغام الاستضامية كانت تحوى ثمانية وسبعين رطلا من البارود ، وضعت فى براميل المياه الفارغة .

بوابة برى بنى لها قلعة اقوى جديدة ، ونظرا لان هذا الجانب يعتبر ضعيفا ، فقد قواه بمجموعة زوارق مليئة بالمتفجرات وتكون بين النهر والقلعة ، واوصلها بنظام سلكـــى .

الاماكن الاخرى التى شملها بنظام الالغام ، حامية ام درمان ، حلة خوجلى بالخرطوم بحرى وجزيرة توتى . اخطأ احـد ضباطه عندما سار على لغم انفجر تحته فتناثر هو وجنوده الستة فى طرفة عين .

أنشأ ايضا نظام تلغراف يجمع هذه النقاط المتباعدة بالقصر(١). الذين هربوا مـــن

---

١ - كرامة انجلترا ص ٧٤ .

الخرطوم الى المهدى أو امرائه حول الخرطوم، امر غردون بتحطيم منازلهم واخذ اخشابها لمراجل البواخر ـ حول الذخيرة من مخازنها الى مبانى الكنيسة الكاثوليكية القوية .

نظم غردون البواخر لكى تجوب النيل الابيض والازرق بالنهار ، وفى المساء تقف فى نقاط حراسة حول المدينة .

صنع غردون تماثيل خشبية وضعها على ضفة النيل المقابلة للخرطوم بحرى، لتكون دروة يتساقط عليها رصاص الثائرين (١) .

جزء كبير من هذه الاعمال تم تنفيذه باشراف كولونيل استيوارت، اما غردون فقـد قضى وقته فى كيفية الحصول على مال بعد ان خوت خزينته .

أوراق البـون

ان كولونيل دى كوتلوقن، قبل ان يأتى غردون كان فى حاجة الى مائة واربعين الف جنيه لمقابلة رواتب الموظفين والجنود . ان غردون بدأ الإقتراض من كبار التجـار بربح قدره واحد بالمائة . أكثر الذين اغدقوا عليه المال وتنازلوا عن الارباح ارملة التاجر الشركسى مصطفى تيرانس، التى كانت معجبة به وبسحر عينيه اللتين فى عمق الاطلسى . كانت تحمل اليه المال محملا على الحمير وتنعم باللحظات التى تبقاها معه لحين تسليمهـا ايصالا بالاستلام . وقد كان يوما ممتعا، يوم ان وضع على صدرها نجمة حصار الخرطوم .

تاجر آخر كان ابعد نظرا ، استطاع ان يرى ان الخرطوم فى طريقها لايدى ورثة أرضها، وان امواله ستصادر ، ومن الحكمة الاحتفاظ باوراق قد تصرف فى مصر ، بدلا من اموال تؤخذ جبرا فى الخرطوم . ذلك التاجر هو ابراهيم خليل باخوس (صاحب المنزل الضخم القديم الذى يقع جنوب منزل السيد على الميرغنى بشارع النيل بالخرطوم – وقـد بنى ابراهيم خليل هذا المنزل فى عام ١٨٩٨م) .

ان ابراهيم خليل كان رجلا ذكياً منذ ان تخرج من المدرسة الاولية الحكومية وعمل بحسابات الاسبتالية . اثرى سريعاً وجمع بين عملـه الحكومى والتجـارة .

---

١ – السودان فى مذكرات ومدونات ١٩٣٠ .



نجمة الحصار

اقرض إبراهيم غردون عندما اتي حكمداراً للسودان – قبل مجيئه الاخير – واستفاد من ربا امواله . واليوم يقرض غردون عندما اتي حكمداراً للمرة الثانية لسبب أقوى من الربا . وهو تحويل امواله إلى مصر رغم انف الحصار .

كان ابراهيم خليل ، القبطى الدين ، ثريا يملك ارضا واسعة تبدأ من مبانى الاسكان الحالية وحتى حديقة الحيوان والادارة المركزية .

اعطى ابراهيم غردون كل امواله واستلم ايصالاتها، متأكدا من انه حتى ولو قتل فهو يملك ثلاثة ابناء وبنتاً وسيبقى واحد منهم لينعم بامواله . وقد كتب الله لهم جميعاً الحياة بعد تحرير الخرطوم . ومهما اعطى ابراهيم خليل من ماله أو ارملة تيّرانس من مالها واعجابها، فادارة مدينة لاتملك مصدر دخل ولا تعمل إلا فى الاستحكامات، فان كل ذلك مآله الى النضوب .

اهتدى غردون الى اسلوب اخر يستطيع به امداد مرجل مدينته بوقودها المالى . اصدر بتاريخ ٢٥ ابريل ١٨٨٤ أوراق بون فئة٥/١٠/٢٠/٤٠/١٠٠/٥٠٠/١٠٠٠/٢٠٠٠قرش.

اصداره الاول لم يكن اعتباطا ، وانما كان عملا ذكيا من الناحية الاقتصادية المتفائلة.انه قد تحصل فعلا على اربعين الف جنيه من القاهرة عند قدومه اليها قبل شهرين ، على ان يعطيه محافظ اسيوط فى الطريق عشرة الاف جنيه اخرى ، ولكنه رأى ان يضع كل المبلغ مع محافظ اسوان ليرسله له بشكل لايثير الشبهة .وقد وصل المبلغ فعلا إلى بربر ووضع كامانات فى خزانة المديرية لحين فك الحصار عن الخرطوم وبربر . وقد كان المبلغ الذى وصل إلى الخزينة ببربر بالضبط (احد عشر الفاً ومائة واثنان وستون كيساً ومئتان وستة وثمانون قرشاً وتسعة وثلاثون فضة عملة ديوانية). وهذا يعنى بكلمات أخرى (خمسة وخمسون الفاً وثمانمائة واثنى عشر جنيهاً مصرياً وستة وثمانون قرشاً وتسعة وثلاثون فضة .)

وهذا يعنى باسلوب بنك انجلترا ان أوراق البون التى طبعها أولا كانت مغطاة تماماً بمال ثابت .. نقطة الضعف بالطبع ان عملته فى ثبات حصون مدينة بربر .
نقطة ضعف أخرى بدت سريعاً عندما وجد ان الخمسين الفاً التى اصدرها لاتسد

عجزه المالى .

تناسى قصة التغطية هذه وطبع عشرة الاف من قيمة الخمسة قروش وعشرة قروش، تلاها باصدار ستين الف جنيه ، ثم سبعين ألف جنيه . جملة المبلغ الـــذى انتهى إليه ، وانتهى به ، كان مائتين وعشرين الف جنيه غطت له مرتبات جنده وموظفيه وارســـل منها إلى حامية سنار .

تزوير ومقاومة للبونات

عندما اكتشف غردون أن ابنين من ابناء الشيخ عبد الغنى السلاوى وهما احمد وصابر ،يزوران بوناته، سدد خسارة عامل حديقة الكنيسة الكاثوليكية الرومانية الذى غش ببونات مزورة وارسل المزورين الى سجن الحامية ، وبدأ طباعة البونات فى مطبعـة الحجر بدلا من كتابتها .

واجهت البونات مقاومة من التجار ونزل سعرها، ولكنه استطاع ان يتغلب عـــلى كثير مما ثار ضدها بالتهديد والوعيد .

نجمـــة الحصــــار

الى جانب البونات ، سك غردون نجمة اسما ها(نجمة حصار الخرطوم عام ١٨٨٤). بعضها سك من الفضة المذهبة واعطيت للضباط فوق رتبة رائد . اخرى سكت من الفضة فقط واعطيت للرواد . ثالثة من الصفيح اعطيت لما هم دونهم . اعطى الأهالى أيضاً الحق فى شراء النجمة بعشرة جنيهات، لكى ينعموا بشرف وضعها على صدورهم وهم يستمعون إلى نغمات موسيقى الفرقة العسكرية التى تلعب الموسيقى فى المدينة كل يوم جمعة واحـــد بعد المغيب .

بوارق أبي قرجة تصل الخرطوم

في الخامس عشر من ابريل لاحت بوارق الأمير محمد عثمان أبوقرجة حول الخرطوم . تحت قيادة الأمير اربع فرق من جهادية كردفان حملة الأسلحة النارية ، ومجموعات من الثوار الذين تجمعوا معه في طريقه إلى الخرطوم . احضر أبوقرجة معه مدفعين وبطارية صاروخ .

إن الإمام المهدى قد أرسل ابا قرجة لتلقى استسلام صالح الملك الشايقى الذى حاصره محمد الطيب البصير في فداسي واراد الأول التسليم على يد مبعوث من الإمام المهدى . وقد شملت تعليمات المهدى إلى ابي قرجة التوجه إلى الخرطوم بعد فداسي .

بعد عملية التسليم بفداسي ، قاد ابوقرجة المؤيدين للثورة بمنطقة الجزيرة إلى الخرطوم ونزل بالجريف – شرق الخرطوم – في الخامس عشر من ابريل ١٨٨٤م .

من هناك ارسل خطابا الى غردون يحضه على التسليم، ولكن غردون لم يأبه لخطابه، فتقدم الاول الى منطقة برى وبنى فيها طابية وضع عليها مدفعا .

امر ابوقرجة فضل احمد (فضلو) بان ينزل برجاله على النيل الابيض في منطقة شجرة محو بك (تنطق ماحي بيه) . نزل فضل احمد هناك وشيد طابية وضع عليها مدفعا .

وبهذا الأسلوب اصبحت البواخر على النيل الابيض والازرق هدفا في حصار ابي قرجة .

لم تسكت الدانات من الوصول الى داخل الخرطوم من الثوار واصابة بعض اهدافها .. اشتد الحصار على المدينة وارتفعت الاسعار للمأكولات بنسبة ثلاثة الاف بالمائة . وصل سعر اقة اللحم الى مابين اربعين وخمسة واربعين قرشاً (١) .

استهلاك الأهالي من الاغذية

الكميات التي وجدها غردون من الأغذية بمخازنه ارسل منها ستة آلاف اردب

---

١ – صحيفة التايمز ، نهاية سبتمبر ١٨٨٤ من مراسلها فرانك باور .

من الذرة إلى بربر ، واستمر أهالى الخرطوم - من جنود ومدنيين - يستهلكون يومياً سبعين أردباً .

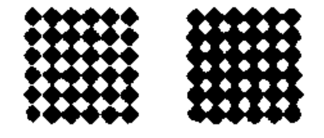
غردون ينهب الذرة من النيل الأبيض والحلفايا وأم‌درمان

أمر غردون ساتى بك للقيام بتجريدات للاستيلاء على مؤن من النيل الأبيض ، وقد تمكن الأخير من الاستيلاء على مؤن بينها ألف رأس من البقر . ولكن الأهالى الذين تعرضوا لعملية النهب هذه بالنيل الأبيض تركوا مناطقهم القريبة من النيل ، وظهر شبح الجوع مرة أخرى على الخرطوم .

أرسل غردون محمد على باشا وفرج الله بك للهجوم على الحلفايا لطرد الأنصار والاستيلاء على غلال سوقها الشهير ، وفتح الطريق .

تمكن القائدان من الاستيلاء على اغذية انزلت الاسعار بالخرطوم ، ولكن ظل الطريق بين الحلفايا والخرطوم مقفلا . أيضاً ابتعد السكان بغلالهم عن المنطقة .

استمرت الحملات ولكن على مناطق مثل أم‌درمان حيث يأتى الأعراب بأغنامهم لورود الماء عند كبرى أبى عنجة الحالى ، فتسرع لها قوات من حامية أم درمان لتنهب الأغنام وترسلها إلى الخرطوم . ولكن تلك الكميات كانت تافهة وسريعاً توقفت .



مايو ١٨٨٤م

الهجــوم على الكلاكله

في الاسبوع الأول مـــن مايو ارسل غردون ثـــلاث بواخر محملة بالجنود بقيادة عبد القادر أفندى حسن وساتى بك لضرب طابية أحمد فضل بشجرة ماحي بيه . أيضــاً عليهم تدمير منازل الكلاكله بعد ان فشلت مدفعيـــة الكروب عشرين رطلا من ازالتهــم من تلك المنطقة .

تمكنت البواخر الثلاث من هدم الطابية والاستيلاء على المدفــع وكمية من الذخيرة ، ودمروا كثيراً مـــن منازل الأهالى ، إلا ان الثوار تجمعوا سريعاً بعـــد ذهاب البواخـــر وشددوا الحصار مرة أخرى .

اخبار انتصارات الثــوار

بين هزيمة هكس في الخامس من نوفمبر ١٨٨٣م وشهر مايو ١٨٨٤م – مـــع استمرار حصار الخرطوم – حدثت ثلاثة انتصارات للثورة الشابة . أولها استسلام سلاطين النمساوى لمحمـــد خالد زقل في الشعيرية وتحرير دارفـــور في الرابـــع عشر من يناير ١٨٨٤م بعد هزيمة سيد جمعة في الفاشر .

ثم استسلام لبتون الانجليزى في العاشر من مارس ١٨٨٤م (١) وتم تحرير بحر الغزال . واخيرا هزيمة حسن خليفة العبادى وتحرير بربر في التاسع عشر من مايو ١٨٨٤م . هـــذا بالطبع بالاضافة الى انتصارات امير امراء الشرق عثمان دقنة .

هذه الاخبار كانت تصل الى الخرطوم . أول عمل كانت تقوم به السلطة هو نفى هذه الاخبار ، ولكنها تبقى حقيقة في رؤوس سكان المدينة الذين حتى هـذه اللحظة ظل غردون يخبرهم بان جيشا انجليزيا في طريقه اليهم .

---

١ – خطاب غردون الى رئيس الحملة بتاريخ ١١٠٤ . ٨٤ – شقير ٨٣٦ .

يـونيـو ١٨٨٤م

أحمد العوام الثائر فى الخرطوم

رجل يدعى الشيخ احمد العوام وهو مصرى من خطباء الثورة العرابية الذين عرفوا بالوطنية والجرأة ، وبعد احتلال بلاده بواسطة القوات البريطانية نفى الى السودان .

فى الخرطوم وجد الشيخ ان الثورة على الاستعمار فى مصر أو السودان هى شيء واحد . قاد الثورة ضد التسلط البريطانى التركى فى داخل الخرطوم وانبرى مؤيدا سافرا لثورة الامام المهدى . فى ليلة منتصف شعبان ١٣٠١هـ (١٠ يونيو ١٨٨٤م) اظهر دعوته التى كانت فى شكل مجادلات دينية مع علماء الخرطوم ، اظهرها جهرا مناديا بالسعى لايجاد حل سلمى بين الطائفتين المتحاربتين. كل الذى فعله غردون هو القبض عليه بتهمة التحريض وكبله بالحديد ووضعه بالسجن .

بعد فترة قصيرة اطلق سراحه بعد ان قدم لـه رشـــوة فى شكـل وظيفـــة معـــاون فـــى الحكمدارية بمبلغ الف وخمسمائة قرش فى الشهر . قبل الشيخ احمد العوام الوظيفة ، ولكنه لم يتنازل عن ثوريته .

اخبار تحرير بربر

فى العاشر من يونيو وصل جاسوس حاملا اخبار تحرير مدينة بربر . بعد أن شرح الجاسوس ما حدث ، امر غردون باعتقال الجاسوس حتى لا يتسرب الخبر الى الاهالى والجنود .

رجع غردون الى حيلته القديمة فى ان يعلن انه تلقى اخباراً بقدوم جيش انجليزى بعدة طرق . فى نفس الوقت امر بايقاف الجواسيس عند ابواب خــط الاستحكامات وعدم ادخالهم الى قصره حتى لا يراهم أهل الخرطوم .

عندما حضر كوستى بعد ذلك بعدة ايام ، ترك امام البوابة وارسل غردون له كولونيل استيوارت لمقابلته . شرح كوستى ما حدث ببربر وقال لاستيوارت انه اسلم وان اسمه الان هو . . محمد يوسف .

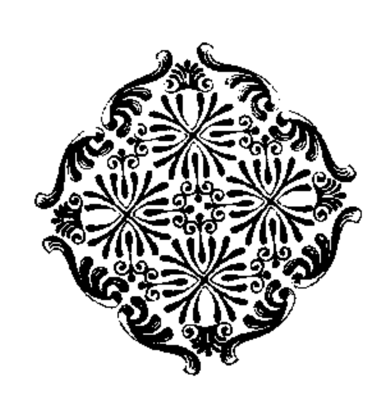
إن كوستى أتى مرسلا من الامـــير محمد الخير عبد الله خـــوجلى، مطالبا الجنرال بالاسلام . عند ما خير فى البقاء بالخرطوم أو الرجوع ، رفض البقاء ذاكرا ان الله أعزه بالاسلام ولن يبقى بدار كفر .

رمضان وفتوى فيه

فى الثالث والعشرين من يونيو جمع غردون العلماء فى قصره مستفسرا عن حكم الصيام فى رمضان مع القتال . افتى العلماء الذين احضرهم بجواز الافطار للمقاتلين . ارسل غردون الفتوى التى سر بها الى مراكز الجيش .

فى عصر الرابع والعشرين من يونيو ارسل فرج باشا الزينى ومأمور الضبطيـــة لرؤية هلال رمضان . عندما تمت الرؤية ضربت المدافع احتفالا برمضان .

عندما بدأ رمضان فى الخامس والعشرين من الشهر ، وضع غردون ثلاثة قراء للقرآن بالقصر للتلاوة ، كما احضر مؤذنا لرفع الاذان هناك .



يوليو ١٨٨٤م

هزيمة ساتي باك

في بداية يوليو كان ارتفاع النيل معقولا لكي يحرك غردون بواخره الكبيرة بحرية اكثر .

في الرابع من يوليو ارسل غردون ساتي بك بثلاثمائة مقاتل على البردين وتـل حوين لضرب تعزيزات في طريقها من القطينة الى الخرطوم بقيادة الامير حامد عبد الله الدنقلاوي . استطاع الأمير أن يعزل ساتي من مدفعيته بالباخرتين ، ثم اطبق عليه وافني قوته وقتله .

استطاعت الباخرتان الهرب ، وواصل الامير عبد الله سيره الى ان وصل الكلاكله .

فشل حملة سيد أمين

في التاسع من يوليو ارسل غردون سيد امين بقوة تتكون من ستمائة جندي من اللواء الخامس ، ومائتي جندي باشبوزق، يحملون صاروخا ومائة وخمسين طلقة لكل بندقية، لمهاجمة الكلاكله .

استمر القتال يوما كاملا، انتهى بهجوم شجاع من الامير ود دفع الله . فقد شهر الامير سيفه واندفع الى مربعهم وحده وقاتلهم . تجمع جنديان وملازم ثان يدعى عبد الخالق، استطاع الاخير بعدها من ضربة بسيفه فاستشهد الامير .

إن الثوار اصيبوا بخسائر ، ولكن سيد امين لم يستطيع ارغامهم على اخلاء المنطقة .

هجوم على أبي قرجة

عندما جاء شهر رمضان كانت حسابات غردون ان الانصار سيتوانون عن الحصار وسيوقفون اطلاق النار على المدينة . الذي حدث ان رمضان شهد اشتداد الحصار وزيادة قصف الخرطوم .

وصل عدد قتلى غردون في داخل المدينة سبعمائة، وجرحاه عددا خياليا، وعانت المدينة أسوأ رمضان لها في تاريخها .

لهذه الاسباب فى الخامس عشر من يوليو ارسل غردون اربع بواخر هى البردين وتل حوين والمنصورة وعباس بقيادة محمد على بك ، وقوات باشبوزق بقيادة سلطان أفندى عبده ليأخذوا مراكزهم أمام بوابة برى .

وضع الجميع تحت قيادة فرج باشا الزينى وامرهم بمهاجمة الامير أبى قرجة.

فى نفس الوقت ارسل غردون مائتى جندى نظامى ومثلهم من الباشبوزق - شايقية - ومائة رجل من الباشبوزق الاتراك تحت قيادة محمد بك اسلام ويوسف بك راغب والجميع تحت قيادة محمد نصحى بك الذى كان مسئولا عن دفاعات النيل الابيض ، لكى يمنعوا تقدم اى تعزيزات الى ابى قرجة من جهة الكلاكله .

امر ايضا حامية قصر شرق النيل الازرق بارسال مائة جندى للمناوشة امام قوات فرج الزينى .

نجح فرج الزينى فى تشتيت قوات أبى قرجة والاستيلاء على ما بين خمسمائة وستمائة اردب من الذره .



اغسطس ١٨٨٤م

هجــوم اخر على أبى قرجة

فى يوم الثلاثاء الثانى عشر من اغسطس حدث هجوم على ابى قرجة بالجريف . قاد الهجوم محمد على باشا . يتكون الهجوم من قوات نيلية واخرى برية . النيلية تتكون من خمس بواخر ، واربعة صنادل، عليها ستمائة جندى . ستمائة اخرون من الباشبوزق وفرسان، قادهم خشم الموس بك . خرجوا من بوابة المسلمية نحو الجريف لضربها مــن الخلف .

ارسلت ايضا قوات الى الكلاكله لمنع الامير فضلو احمد من تعزيز ابى قرجــة .

فى تمام التاسعة من صباح الثلاثاء الثانى عشر من اغسطس خرجت الوابورات من الخرطوم، وضربت المنطقة التى على الضفة اليسرى للنيل الازرق ، لتنظيف خط سير مربع المشاة . ثم تباعدت البواخر الاربع لكى تطلق داناتها على اربعة مواقع مختلفة من معسكر الامير ابى قرجة . بذلك منعت قوات الانصار من تشكيل جبهة واحدة لمقاتلة المربــع وجعلت كل جزء من المعسكر مشغولا بحماية نفسه .

تقدمت القلعة تضرب مجموعات متفرقة من الثوار .

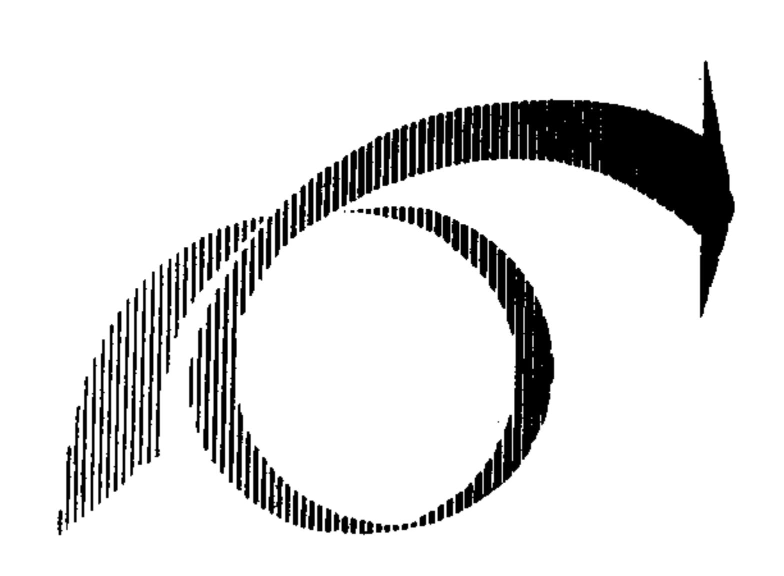
اخذ الامير الحاج محمد عثمان ابو قرجة ثلة صغيرة من الفرسان كانت امام قيادته يقودها الاميران نصر عثمان ابوقرجة وحاج محمد الزبير، واندفع بهم الى المربع ،فكسر واجهته اليمنى ودخله . هــذه العملية الجريئة عطلت المربع من الاستمرار فى ضرب مجموعات الثوار على امل ان يتجمعوا ويهجموا على المربع .جنود الباشبوزق عندما رأوا حصان ابى قرجة يسقط بدأوا الصراخ بان أبا قرجة قد قتل ، فجازت الخدعة على الثوار فانسحبوا .

سمع الأمير فضل أحمد بالقتال ، فترك مشاته يضربون استحكامات الخرطوم من ناحية بوابة الكلاكله ، وتقــدم هو بفرسانه إلى مشارف برى حيث وجد ان المعركة قــد انتهت ، وسمع ان الأمير أباقرجة قد استشهد . دمعت عيناه واراد الهجــوم مستميتاً ،

ولكن قادته قبضوا على عنان فرسه لكى لايفقد الثوار جميع قادتهم قبل تجميعهم مرة أخرى. عندمـــا علموا بان ابا قرجة لم يستشـــهد اطلقوا فرسه فتوجه مع فرسانه إلى الجريف .

استشهد في هذه المعركة ، عند كسر المربع الاميران نصر عثمان أبوقرجة وحـــاج محمد الزبير وغيرهما (١) .

اخلى الانصار معسكر الجريف ، منسحبين إلى قرية ودجار النبي . استولى محمد على على اسلحة وذخيرة وغلال ساعدت المدينة إلى حين .



١ - الكردفانى ص ٣٢٢ .

الهجــوم على الحلفايا

في الخامس عشر من اغسطس ، اراد غردون استعادة منطقة الحلفايا فارسل قائده الناجح محمد على باشا ومعه فرج الله بك . لم يخيب محمد على ظنــه فيه ، واستطاع طرد قوات العبيد ودبدر من المنطقة(١).التفاؤل عم المدينة ، وبدأ سكانها وتجارها يشعرون بان الأيام العصيبة قد ذهبت إلى غير رجعة .

نهــب سوق أبى حراز

بعد شعور غردون بالامان انه استطاع طرد اعدائه إلى مسافات ابعد ، ارسل بواخره بقيادة محمد على إلى ابى حراز على النيل الازرق ، فهى سوق تجارة السودان مع الحبشة . هجموا على سوقها واستولوا على مافيه من ذرة وعسل وبن . حملت المنهوبات فى أربع بواخر رجعت بقيادة محمد على ، واستمرت باخرتان بقيادة بخيت بك بطراكى إلى سنار. وجد بخيت بك سنار محاصرة ولكنها فى موقف غذائى وعسكرى قويين . عــاد بخيت بكميات من الذرة وغيرها من المأكولات لاهل سكان الخرطوم الذين لهم اقرباء فى سنار وايضاً للحامية . تحسن الموقف فى الخرطوم وفتح سوق الحلفايا من جديد .



١ – السودان في مذكرات ومدونات ١٩٣٠

نهاية أغسطس – سبتمبر ١٨٨٤م

هزيمـــة قوات غردون الماحقة .

لأكمال انتصاراته ، كان على غردون ان يرســـل قـــوة لهزيمة الشيخ العبيد ود بدر حيث استطاع الاخير ان يجمع عشرة الاف رجل ودعى الشيخ مضوى فأمده بخمســـة الاف رجل .

•

ان غردون لازال يملك جوهرة قـــواده – محمد على باشا .

جمع غردون قادته فى السراى وعرض عليهم الفكرة (هذا البحث مع القـــادة أمـر استحدثه جديداً) . اتفقوا على ان ارسال قوة بحرية إلى بربر لاستعادتها أمر مهـــم ولكن قبل ارســـال قوة كبيرة إلى هناك ، يجب القضاء على قوات الشيخ العبيد بـــدر بالعيلفون حيث تمركزت قواته هناك على ضفـــة النيل الأزرق اليمنى مهددة الملاحة إلى سنار وغيرها . مرة أخرى كان محمد على باشا فى التاســـع والعشرين من أغسطس يقود ثلاث بواخر هى المنصورة وتل حوين والصافية .

استطاعت مدافع البواخر الثلاث ضرب الانصار على الضفة ، واستولى محمد على ، على كميات من الزيت والبن ارجعها إلى الخرطوم فى احدى بواخره . ثم شكل مربعاً قوته ألف وستمائة جندى من الباشبوزق والجهادية (وهى الالاى السودانى الأول) وتقدم مطارداً للثـــوار .

عندما دخل محمد على إلى غابة أم ضواً بان فى الرابع من سبتمبر ١٨٨٤ وبعيـــداً عن مدفعية بواخره . استطاع الثوار محاصرته والقضاء عليه وعلى قوته . القلائل الذين استطاعوا النجاة هرباً إلى الباخرتين ووصلوا إلى الخرطوم كانوا فى حالة هلع اثـــار سكان المدينه كلها . غردون الذى كان يغالب فى دموعه (١) ، اصدر أمراً بان كل من يتحدث عن المعركة يصادر منزله ويقذف خارج الاستحكامات .

١– شقير ص ٨٣٦

بهـذه المعركة فان غردون قد بدأ في الانحدار إلى أسفل التل . افضل قواته قـد تحطمت الان وفقد تقريباً في الحروب السالفة كل قواته الضاربة واسلحتها وذخيرتها .

بوارق النجومي تحاصر الخرطوم .

النكبة التي حلت بغردون في غابة أم ضوآ بان تلتها نكبة أخرى هي وصـول أمير الأمراء عبد الرحمن النجومي إلى مشارف الخرطوم .

ان عبد الرحمن النجومي ، بعد هزيمـة هكس ، توجه هو والأمير حمـدان أبوعنجة إلى جبل الداير . بعد اكتمال مهمتهما استدعاهما الإمام المهدي الذي كان بالرهد ، في طـريقه إلى الخرطوم . بعد وصولهما إليه ، ارسل النجومي في غـرة رمضان ١٣٠١هـ (٢٥ يونيو ١٨٨٤م (١) في قوة تقدر بستين ألف رجل من حملـة السلاح الأبيض ، بينهم عشرة الاف رجل جهادية ببنادق رمنقتون ، وعشرة الاف فارس . انضمت إليهم أيضاً في الطريق قوة عبد الله النور التي تقدر بعشرين ألفاً . مع هذا الجيش اربعة مدافع كروب ، واربعة مدافع جبلية وصاروخ . القادة الذين مـع النجومي هـم ، الأمير عبد القادر مدرع شيخ قبيلة الحسنات وعبد الله سالم الحـاج عبد الله وعبد الله النور .

حصـار النجومي للخرطـوم .

وصل النجومي إلى أبي قرجة في قرية ود شكر الله (على بعد ٢٤ ميلا جنوب الخرطوم) وتقدما منها إلى قرية الفرقان على مرمى جلة من حصون الخرطوم . وفورا بدأ النجومي في تقسيم القـوات لحصار الخرطوم . وصولهم إلى قرية الفرقان كان في بداية سبتمبر (ذو القعدة ١٣٠١هـ. (٢) قرر النجومي ان تكون تلك القرية معسكراً للنساء وكبار السن ، فحفر لهم ابارآ حتى لايتعرضون لنيران بواخر غردون .

---

١ – ٢ الكردفاني ٣٢٢

تقـــدم إلى منطقة القوز ، القرية من الكلاكلة ، وشيد طابية هناك قبالة أقـــوى طابية لغردون .

ارسل النجومى الأمير عبد القادر مدرع وقواته إلى مقابلة بـــوابة المسلمية وأمـــر عبد الله النور وجيشه بالنزول فى مقابلة بوابة برى على ضفة النيل الأزرق اليسرى — وقد كـــان معسكره قريباً جداً من قوات غردون . ارسل أيضاً محمد عثمان أباقرجة لاحتلال ضفة النيل الأبيض اليمنى أمام قرية الفرقان .

وبناءاً على تعليمات الإمام المهدى من الغرب ، ارسل عبد الله جباره والشيخ فضل أحمد إلى ضفة النيل الأزرق اليمنى (الشرقية) للانضمام إلى ابناء الشيخ العبيد بدر .لم يتمكن الأخير — الأمير فضل أحمد — من الذهاب بسبب المرض الذى ألم به ، فارسل المهدى الأمير بابكر عامر بدلا منه . التقى الأميران بالاســم الذى سمعا به كثيراً — الشيخ العبيد ود بدر — وقد وجداه شيخاً مسناً ولكنه قوى الإرادة استطاع من غرفته ان يوجه أبناءه لقتال اعداء البلاد والإســلام .

الطوابى الثائــرة

شيد النجومى طابية قوية فى الجريف عليها مدفعية قادرة على الاشراف الكامل على النيل الأزرق والسيطرة على الحركة فيه . وضع هذه الحامية تحت اشراف نخبـــة من الامراء بينهم سليمان العبيد ، وحمد النيل حامد وعمر الخليفة محمد سوار الذهب . ثم وضـــع هنـــاك مخازن للاغذية يشرف عليها الأمير الحاج خالد العمرابى . ثم شيد النجومى طوابى مقابلة لطوابى غردون أمام ابوابه .

غردون يحـــاول رشـــوة النجومى وابى قرجة .

تلقـــى غـــردون خلال شهر ســبتمبر عدة خطابات مـــن الأمراء ، ولكن اهم هذه الخطابات ، الخطاب الذى أرسله إليه النجومى بتاريخ ١٣ سبتمبر ١٨٨٤ ،وهو

ككل الخطابات التى يرسلها القادة ، تطالبه بالتسليم . غردون رد عليه بخطاب بتاريخ ٢٤ سبتمبر ١٨٨٤م عارضاً عليه ان يعينه وأبا قرجة سلطانين على الغرب ، بعد ان تعود الامـــور إلى نصابهـــا ! .

ذخيرة غـــردون .

فى يوم ٢٣ سبتمبر قام غردون بحصر ذخيرته وانتاجه . وجد انه اطلق ابـــــان الحصار ثلاث ملايين طلقة رمنقتون ، وعشر الاف دانة مدفع جبلى ، وألفاً وخمسمائة وسبعين دانة مدفـــع كروب عيار عشرين رطلا . الذخيرة الباقية لديـــه الان مليونان لبنادق الرمنقتون ، وثمان الاف دانة مدفع جبلى وستمائة وستون دانـــة مدفـــــع كروب . مصنع ذخيرته يمـــده اسبوعياً بخمسين ألف طلقة لبنادقه (١) .

غردون يبدأ الاعداد للحرب البيلوجية .

غردون الذى بدأت السمـاء تتكسر فـــوق رأســـه فتتساقط ازمات ، قـــرر ان يحارب بجيش لايستطيع الثوار له مجابهـــة . جيش يتحرك فى صفوفهم بـــدون لون أو طعم أو رائحة ، ويختلف عن ماء الوضوء فى انه لايرى . جيش الجراثيم الفتـــاك. ولكنه سيكون كشمسون يقضى به على اعدائـــه وقـــد يصل إلى قواته بالمدينـــة . هذا صحيح ، ولكنه شخصياً لن يصاب به ، فقد اكتسب مناعـــة ضده . أما بقية قواته من غير الأوربيين فان الجوع الذى سيواجههم سيأتيهم ، أرادوا أو لم يريدوا بأوبئة لاحد لها . انه لن يكون أول من بـــدأ هـــذه الحروب البيلوجية البدائية . ان

حربه هذه يجب ان تبدأ أولا باخلاء الخرطوم مـــن الأوربيين . كل مـــن يريد الرجوع سوف يساعده على ذلك ، أما الذين يجب ان يرحلوا فسيأمرهم بالرحيل .

فى تلك اللحظات كان مقتنعاً بان اللعبة قـــد انتهت ، لذلك ارســـل الشفرة مع استيوارت خوفاً من وقوعها فى أيدى الثوار (٢) .

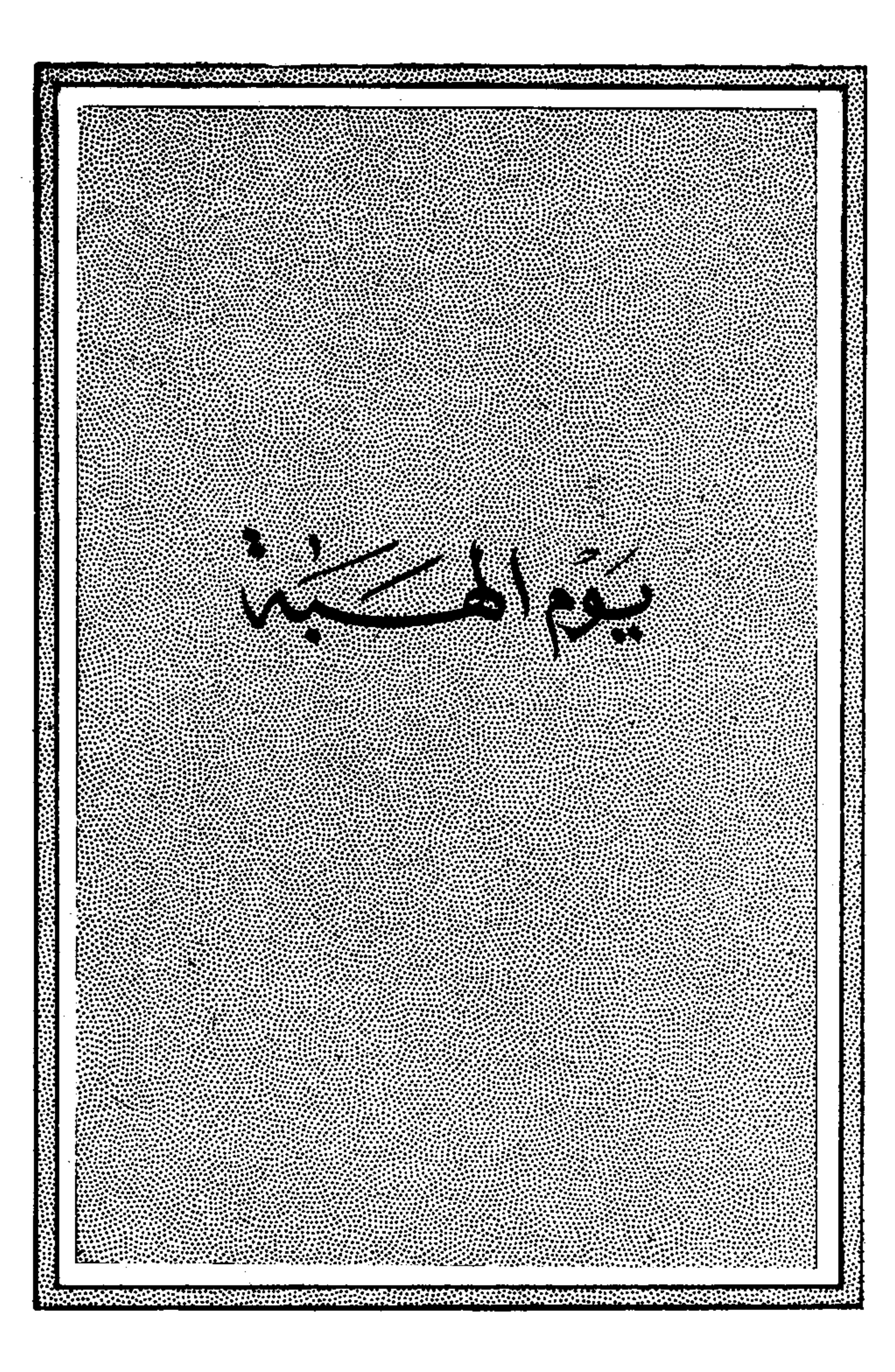
---

١ – جورنال غردون – يوميات ٢٣ سبتمبر ١٨٨٤

٢ – خطاب غردون الى رئيس الحملة بتاريخ ٨٤/١١/٤ – شقير ص ٨٣٦

وقبل ان نأتى إلى بداية حربه يجب ان نبدأ من حيث بدأ غردون . اصدر امره إلى كولونيل استيوارت وقنصلى فرنسا وبريطانيا بالرحيل . معهم أيضاً سيرحـــل أى أوربى يريد الرحيل . حدد يوم الرحيل لكى يكون الاربعاء العاشر من سبتمبر ١٨٨٤م .




يوم المكبة



- ج . دونالد هامیل استیوارت

أمام القصر

اليوم هو العاشر من سبتمبر ١٨٨٤م (١) ، الساعة الان الخامسة من صباح الأربعاء . درجة الحرارة المئوية سبع وعشرون . نسبة الرطوبة في الجو عاليه ، وهناك سحابة سوداء تبدو إلى الجانب الجنوبي الشرقي لقصر الحكمدارية بالخرطوم . الخرطوم واجمة في منازلها ، وقلة تعد على اصابع اليد بالمسجد تتلو آيات من الذكر الحكيم .

إلى يمين القصر كانت تقف ثلاث بواخر . في المقدمة وامام القصر مباشرة تقف الباخرة عباس الصغيرة خفيفة سريعة ، غاطسها قدمان فقط . طولها سبعون قدماً . عرضها عند جوارف التحريك (البدالات) اثنان وعشرون قدماً ، عمقها اربعة اقدام ونصف . للباخرة درع من الحديد سمكه بوصة على جنبيها .

الى الشرق من عباس الباخرة المنصورة وخلفها الباخرة الصافية . الاخيرتان باخرتان من الحجم الكبير نسبياً .

تقدمت اربع مراكب خشبية تحمل ثلاثين من التجار اليونانيين والسوريين واليهود بعائلاتهم ، فربطت هذه المراكب إلى جانبي الباخرة عباس .

داخل الباخرة عباس ، وقف الكابتن محمد سيف الدين ، والريس على البشتيلى ، الريس محمد ، وعامل المرجل حسن اسماعيل(٢) .

❧❧❧❧

---

١ — شقير ص٨٢١ – أوهروالدر ص ١٢٧ .

٢ — طابور النهر ص ٢٨٨ .

الكولونيل دونالــد استيوارت

خرج من القصر وكيل غردون دونالد استيوارت . انه نفس الشخص الذى ارسلته بريطانيا بعد احتلالها لمصر مباشرة عن طريق سواكن لكى يكتب لها تقريراً مفصلا عــن الموقف فى السودان حتى تقرر على ضوئه كيف تستطيع رسم سياسة نحوه تمكنها فى النهاية من الاستيلاء عليه . وكان ارسال هذا الضابط التابع للواء السوارى الحادى عشر ، أثار مخاوف الخديو توفيق . عند وصوله إلى الخرطوم دخل فى مشـــاكل مــع الحكمدار عبد القادر باشا ، عندما وجد انه يحاول افهام الأهالى ان صاحبة السلطة هى بريطانيـــا ، وان مصر هى احدى مستعمراتها . حاول عبد القادر ان يفهمه ان ثورة المهــدى دينية وعليه الابتعاد لانه مسيحى ، ولكن الذى حدث هو ان عبد القادر باشا المسلم هــو الذى ابعد .

عندما عين غردون حاكماً للسودان فى بريطانيا ، عين كولونيل استيوارت مساعداً له دون رغبة الأول . وقد قال غردون بانه قد ارسل معه لكى يكون « كمرضة الاطفال له » ويقصد تقويم شطحاته .

وصف ابراهيم فوزى الذى عمل مع الاثنين فى كتابه (السـودان بين يدى غردون وكتشنر ـص ١/٣٦٥) اســتيوارت قائلا (وكان استيوارت صعب المراس ، قوى الشكيمة ، مستبداً برأيه فى أكثر الاحوال). ان التقرير الذى كتبه استيواوت عن السودان عندما ارسل أولا ، يظهر شخصية دؤوبة ، ذات قدرة عالية ، مع فشل فى التعامل مــع الشرقيين . هذه النقطة الاخيرة جعلته على وفاق مــع لورد كرومر « بيرنق» ومــن قبله دوفرين ، على الرغم من شخصية الاخير الايرلندية المرحة .

ارجع إلى الباخرة عباس فاقول : خرج استيوارت من القصر إليها وخلفه عدد من رجال القصر يحملون له حقائبه التى اعطيت كثيراً من الأهمية لما تحويه من اسرار .

القنصل الانجليزى

تبعه بعد ذلك إلى الباخرة شاب ايرلندى عمره ستة وعشرون عاماً كــان يعمــل بالخرطوم قائماً باعمال القنصل الانجليزى ومراسلا لصحيفة التايمز اللندنية . كان يحمــل

أوراقاً تافهة كانت بقنصلية بلاده ، ومقالاته التي راسل بها صحيفته وبعض الملابس المتهالكة . ذلك الشاب الايرلندي البسيط الشكل والعقل كان فرانك لابوبر باور .

القنصل الفرنسي

بعد ذلك حضرت إلى الباخرة شخصية مهمة ، أو على الاصح تصطنع الأهمية اصطناعاً . جاء مسرعاً بساقيه القصيرين وخطوات سريعة لاتقطع أرضاً . وبحركة عصبية يتلفت يمنة ويسرة تعبيراً عن أهميته . عندما وصل امام قطعة الخشب التي توصله إلى الباخرة ، نظر إلى خلفه ليتأكد من ان الثلاثين حمالا الذين يسيرون خلفه قد وصلوا جميعاً. انه يحمل في تلك الحقائب الكثيرة ، كمية من ادوات الاكل الفضية واكواب الماء ، وكؤوس الخمر التي صنعت من الكرستال المنشور . يحمل أيضاً كميات من الخمر المستورد ، والخمر الذي صنعه في منزله بالخرطوم من العنب الذي بحديقة منزله ، الذي تركه ذاك الصباح لآخر مرة . في صندوق حمل كمية من « المشرومز » وهي مايسميه في بلاده « شامبيونز » ، وهي نوع من الفطر يسمى في البلاد العربية « بعش الغراب » ، يؤكل مع شرائح اللحم البقري في أكثر الاحيان. ان هذا الخضار — الذي ليس به خضرة وإنما هو ابيض اللون ، يشمئز منه السوداني لان فصيلة منه تنبت في السودان وتعطي رائحة كريهة اعطاها السوداني اسماً اقبح من رائحتها .

أيضاً أتى معه بكمية من انجازاته الاخرى الزراعية ... كمية من الفراولة سيأكلها بوضع قليل من السكر عليها نظراً لعدم وجود « كريمة » يضيفها إليها كما كان يفعل في منزله في السنوات الطيبة قبل تطويق الخرطوم . وحتى بعد ان طوقت الخرطوم ففي البداية ، استبدل الكريمة بلبن الزبادي السميك . وعلى كل فكمية الفراولة التي حملها معه كانت محفوظة من الشتاء الفائت في شراب السكر الكثيف .

لأكمال وجباته احضر معه كمية من خضار « الاسبراقوس » وهو مايدعى « بالضفبوس » وفي احيان أخرى « بكشك الماز » وانتاجه في السودان وفي ذاك الوقت من العام يعتبر فتحاً زراعياً .

بقية حقائبه تحمل الأموال التي استطاع ان يتحصل عليها من تجارات مشبوهة في السودان ، ديدن كل القناصل الفرنسيين حينها ، مع مجموعة من الهدايا وبذلات الغداء

والعشاء وما شابه . ذلك كان القنصل الفرنسي مسيوهيربن ، وهو شخصية تلقى كراهية خاصة عند غردون .

موظفون وتجار وطبجيه

دخلت إلى الوابور ايضاً شخصية فارعة الطول مصرية ، على عكس القصر المصرى المعهود . يمشي بهدوء ودون اهتمام خاص ، يحمل في احدى يديه حقيبة ملابسه . هذا هو حسن حسنى (١) موظف التلغراف باللغة الإنجليزية ، وقد احضر كمترجم لكولونيل استيوارت .دخلت إلى الباخرة شخصية أخرى مليئة بعض الشيء ، وليست منتظمة الملابس هي شخصية باشكاتب المالية محمود افندى حلمي غراب لكي يكون كاتباً للكولونيل . ركب ايضاً ستة عشر يونانياً ويونانية من تجار الخرطوم . في النهاية دخل خمسة طبجيه وتوجهوا لمدفعهم بالباخرة .

جنود ومدافع

في نفس الوقت كان الف جندى يحملون بنادقهم بالاضافة إلى مدافع الباخرتين يركبون في الباخرة الصافية والباخرة المنصورة تحت قيادة القائمقام عثمان حشمت بك(٢) .

التحرك

عندما اكتمل عقد الراكبين في الثلاث بواخر بدأت في التحرك شمالا بتعليمات من غردون . هذه التعليمات تقول : على الباخرتين الكبيرتين السير على جانبي الباخرة الصغيرة ، حتى إذا اجتازوا بربر اطلقت المراكب لتكمل رحلتها وحدها إلى دنقلا وتستمر الباخرتان مع عباس حتى قرية (قنينيطة) التي تقع شمال بربر . يقف هناك القائمقام عثمان حشمت اربعاً وعشرين ساعة ، تكون خلالها الباخرة عباس قد اجتازت شلالات الحيار . بعدها يعود حشمت بقواته وباخرتيه إلى الخرطوم . سبب الانتظار هو خوف غردون من ان تتعرض الباخرة عباس لنيران الباخرتين اللتين استولى عليهما الثوار في بربر وهما « الفاشر والمسلمية » .

---

١ - والد المربي الكبير المغفور له على حسنى .

٢ - ابراهيم فوزى ص ١/٣٦٣ .

النيران التي تعرضت لها الثلاث بواخر

سارت الثلاث بواخر واربعة مراكب فتعرضوا لنيران الشونة الاميرية في شندى ، ونظراً لان الشونة قد بدأت في اطلاق النار متاخراً فإنهم بدانة واحدة استطاعوا الافلات منها . عندما وصلوا الى بربر تلقوهم بالقنابل والرصاص من جانبي النهر ، فبدأت الثلاث بواخر في تشغيل مدافعها بسرعة وكفاءة ،وتمكنت من الافلات دون اصابات خطيرة . وصلت الثلاث بواخر الى قنينيطة في صباح الثلاثاء السادس عشر من سبتمبر ١٨٨٤ .

رجوع المنصورة والصافية

في قنينيطة وقف القائمقام عثمان حشمت بك مع باخرتيه ، واستمرت الباخرة عباس في رحلتها . بعد ساعة واحدة رجعت الباخرتان ،فوصلتا الى الخرطوم يوم السبت العشرين من سبتمبر .ان غردون قد حكم فيمابعد على قائد الباخرتين عثمان حشمت بالاعدام لعدم انتظاره اربعاً وعشرين ساعة في قنينيطة حسب الاوامر ، ولكن غردون غير رايه في الحكم الذى اصدره نظراً لقلة قادته (١) .

إستمرار عباس والمطاردة

في العبيدية تركت عباس مركبين لضيق النيل لكى يتما الرحلة وحدهما الى دنقلا وبعد مسافة قصيرة تركت المركبين الاخرين ، ولكن نظراً لشدة الهواء فلم يستطع اى مركب من التقدم . باشبوزق يدعى التوم ود على بك هرب من الوابوريين وذهب الى محمد الخير ببربر واخبره بقصة الاسطول البحرى هذا (٢) ، فارسل الامير محمد الخير ابن اخيه عبد الماجد على الباخرة الفاشر لمطاردة عباس .

في الطريق وجد المراكب ولكنه استمر مطارداً لعباس حتى شلال الحمار حيث مجرى النيل لايسمح لباخرته الضخمة من الاستمرار . عاد عبد الماجد اخذاً معه الاربعة مراكب ومن بها الى بربر .

الإصطدام الذى شل عباس

الباخرة عباس عبرت شلال الحمار ووصلت الى شلالات ود قمر . لم يستطع

---

١ - ابراهيم فوزى ص ١/٣٦٩ .

٢ - شقير ٨٢١ .

ملاحاها هناك – وهم من اقدر الملاحين الدناقلة – من التعرف علـى مجرى النيل الرئيسى الذى يقع يسارهم ، فى حين ان جزيرة صخرية ضخمة مقدمتها تحت سطح الماء تقع على يمين مجرى النيل. هذه الجزيرة الصخرية تقع قريبة من قرية الهبة التى تسمى اليوم (ام دويمة) وتقع بين قريتى (الكراع وام بلجى) .

اصطدمت الباخرة عباس بصخرة فى مقدمة الجزيرة فشقت اسـفلها كما تقطـع المدية مكعب الزبد . اندفع الماء الى داخل الباخرة بكثافة لم يستطيعوا حيالها الإ تركها . وقعت عملية الاصطدام فى حوالى التاسعة من صباح الخميس الثامن عشر من سبتمبر عام ١٨٨٤م .

فى قرية الهبـة

امر استيوارت برمى صحن الوابور والمدفع فى النهر بعد تعطيله بالمسامير وقطـع الماسورة. كما القى أيضاً ذخيرة المدفع . قرية الهبة التى هى أقرب نقطة من مكان الارتضام والتى يسكنها المناصير قرية تقع على ميمنة النيل ، خلفها تكونات صخرية منحدرة نحـو النهر . بالقرية اربع مجموعات من المنازل ، شمال المنازل مسجد القرية وغرفة ضخمـة لإجتماعات أهل القرية ومناسباتها الإجتماعية ولاستقبال ضيوفها .

بعض الذين شاهدوا الوابور من أهل القرية بدأوا يشيرون إلى ركابهـا بالنـزول ويطلبون منهم الامان . امر استيوارت حسن حسنى الذى ترجم إليه هـذه الإشارات، بالنزول إلى القرية لمعرفة ولائهـا هل للحكومة أم للثائرين ؟ طلب منه ان يأخذ فى ذهابه معه ملاحين . تردد حسن حسنى فى النزول لان عمل الاستطلاع عمل عسكرى وليس عمل مترجم . كما ان الذهاب فى مأمورية من هذا القبيل فيها مخاطرة بحياته . غضب استيوارت وخيره والملاحين بين القتل بالرصاص أو الذهاب .. اختاروا الاخيرة .

ركبوا زورقاً إلى الشاطىء حيث المسجد ومكان الزوار . فى المسجد وجـدوا ثلاثة اشخاص بينهم الفقيه « ودعثمان » .

لا أحد يعرف مادار بين رسل استيوارت وثلاثة المسجد ، ولكن الذى حدث ان

الرسل رجعوا ، وارسل ود عثمان إلى الشيخ سليمان النعمان قمر شيخ المناصير الذى بقرية السلامات يدعوه للحضور . والجدير بالذكر أن والد سليمان – الشيخ النعمان ود قمر – كان قد استشهد فى الدبة وهو يقود الثورة ضد جنود مديرية دنقلا يوم ٢٩ يونيو ١٨٨٤م.

وصول سليمان النعمان ود قمر

ذهب رسول الشيخ ودعثمان إلى سليمان النعمان قمر فى السلامات على بعد تسعة اميال فى اتجاه انحدار النهر ، واخبره بالموقف فى الهبة .

بعد الظهر كان سليمان فى الهبة ، وركاب الوابور قد نزلوا وحمولاتهم إلى الجزيرة الصخرية التى ارتضموا بحافتها – (جزيرة الكون) . عندما عاد حسن حسنى للمرة الثانية طالباً رؤية الجمال التى ستحضر لاخذهم إلى مروى ، كان يركب فى زورق ومعه بعض الأهالى الذين ذهبوا بزورقهم ذاك إلى أهل الوابور لطمأنتهم .

دعى سليمان النعمان كولونيل استيوارت ومن معه للقدوم ، إلى حين اعداد الجمال .

الذين نزلوا الى الجزيرة

١ – كولونيل دونالد استيوارت : وكيل غردون (١) .

٢ – فرانك لابوير باور : وكيل قنصل بريطانيا بالسودان ومراسل صحيفة التايمز اللندنية (١) .

٣ – مسيو هيربن : قنصل فرنسا (١) .

٤ – حسن افندى حسنى : تلغرفجى انجليزى بالخرطوم ، واخذ فى الباخرة مترجماً لاستيوارت (١) .

٥ – محمد افندى حلمى غراب : باشكاتب المالية واخذ فى الباخرة كاتباً (٢) .

٦ – محمد سيف الدين : قبطان (٣) .

---

١ – كل المراجع .
٢ – فوزى ص ١/٣٦٨ .
٣ – اقوال حسين اسماعيل ، برا كنبرى ص ٢٢٤

٧ ـ علي البشتيلي : ريس ١ .
٨ ـ الريس محمد : ريس ١ .
٩ ـ سبعة ملاحين دناقلة ١ .
١٠ ـ حســن اسماعيل : مشعل الغلاية بالوابور ١ .
١١ ـ اثنى عشر اغريقياً من تجار الخرطوم ١ .
١٢ ـ اربع نساء اغريقيات : من نساء تجار الخرطوم مع ازواجهن ١ .
١٣ ـ خمسة طبجية مصريون ٢ .
١٤ ـ اربعة خدم ٢ .

الذين تبقوا بالجزيرة كن نساء ، وهن :-

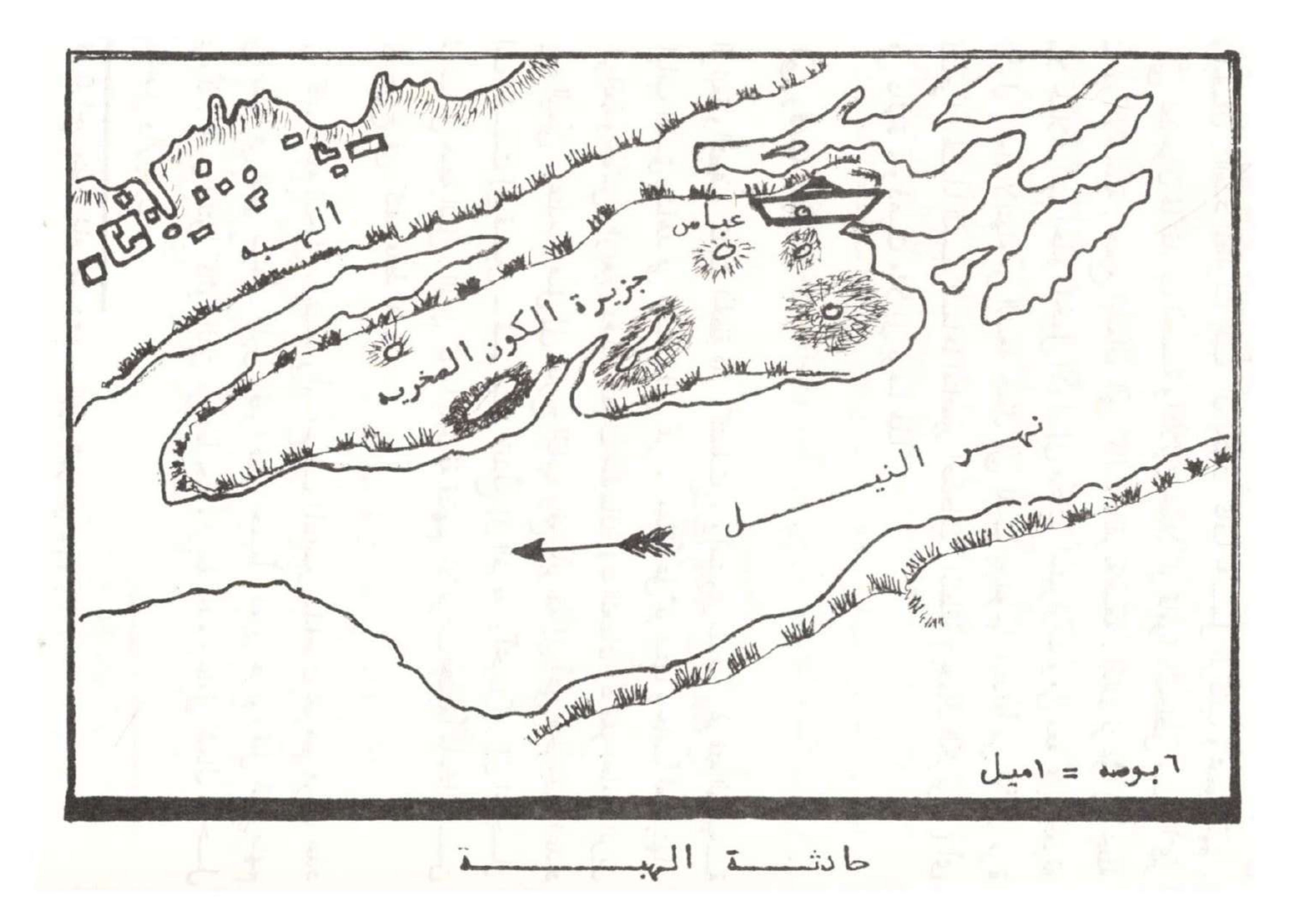
١ ـ اربع زوجات اغاريق .
٢ ـ خادمــة .
٣ ـ بنتان صغيرتان سودانيتان .

جمال الكارنوق .

نزلوا إلى الضفة اليمنى للنيل وتقدم بعضهم مسافة الخمسين متراً إلى منزل الضيافة بالقرية ، وهو غرفة كبيرة يملكها فقيه القرية الشيخ ود عثمان .

الذين دخلوا الغرفة كــانوا استيوارت ، وباور ، وهيربن ، وحسن حسني و١٢ اغريقي ومحمد حلمي غراب والقبطان . استيوارت كان يحمل مسدساً في حزامــه ٣ . البقية كانوا خارج الغرفة بضفة النيل تحت اشجار نخيل على بعد خمسة واربعين متراً مــن الغرفة .

١+٢ اقوال حسين اسماعيل (براكنبري ص ٢٢٤) يورد عدد الاغاريق ١٢ رجلا و٤ نساء عربيات . وهو يشير بذلك الى الخادمة والبنتين واحدى الزوجات وهي يونانية بالزواج . شقير (ص ٨٢١) يجمل العدد الاغريقي ١٩ ، بجمع الرجال والزوجات والخادمة والبنتين لانهن اتين مع الاغاريق .
٣ - براكنبري ص ٢٤٤ .



حادثة الهبة

استقبل سليمان النعمان القادمين بترحاب وقدمت القهوة ، وبناء على طلبهم بدأوا عرض الجمال عليهم . كانوا يأتون بها جملا جملا . وكان استيوارت ورجاله يعلقون على نوعية الجمل الذى قدم لهم لكى يأخذوه فى هذه الرحلة الطويلة . كانت الفكرة هى تأجير هذه الجمال . العدد المطلوب يجب ان يكون كافياً لحمل الركاب ومحمولاتهم . ان الجمال التى يحتاجون لها تقارب الخمسة والثلاثين جملا لو قاموا بالتخلص من أكثر المحمولات غير الاساسية . جميع الجمال التى كانت بالقرية سبعة . لذلك نزعوا إلى خطة تقديمها جملا جملا . انهم اخذوا الجمل الأول إلى مكان استيوارت ومن معه ثم يرجعونه إلى مكانه الأول . بعد الانتهاء من السبعة جمال التى لديهم يعيدونها ابتداءاً من الأول مرة أخرى وهلمجرا . لهذا السبب اسماها المناصير اصحاب المنطقة (بجمال الكرنوق) أى التى تسير فى دائرة ، وذهبت مثلا إلى يومنا هذا .

الأحداث التى وقعت بالهبة .

فى الرابعة والنصف كانت الخطة قد اكتملت ، واستيوارت فى غرفته الواسعة تلك ذات الباب الضيق يشاهد فى الجمال التى تمر ، معلقاً على نوعيتها وحاسباً لعدديتها . فى حوالى الرابعة وخمس واربعين دقيقة انتصب سليمان ود النعمان ود قمر حاملا ابريق نحاس فى يده اليمنى . عندما وصل إلى خارج الباب رفع ابريقه إلى أعلى فخرجت اعداد من الاعراب انقسمت إلى قسمين — قسم صغير اندفع إلى الغرفة وآخر اكبر إلى اشجار النخيل بالقرب من ضفة النيل . الذين كانوا بالغرفة قتلهم الاعراب جميعاً ماعدا حسن حسنى الذى جرح فى كتفه فقط ١ .

الذين كانوا امام النخيل ، عندما رأوا اعراب المناصير يندفعون نحوهم هرب عدد منهم والقى بنفسه فى النهر سابحاً . الذين وقفوا قتلوا جميعاً . الذين هربوا قتل عدد منهم وافلت آخرون . الذين افلتوا كانوا اثنين من الطبجية واربعة خدم وعاملى اشعال المرجل حسين اسماعيل والريسين .

١ — كل المراجع منها : شقير ص ٨٢١ — طابور النهر ص ٢٢٨ .

احداث الجزيرة الصخرية .

عمليات القتل هذه شاهدتها النساء اللائى كن بالجزيرة ، لم تقف اليونانيات متفرجات ، بل حملت واحدة منهن بندقية وجعلت تطلق النار على المطاردين . كانت امرأة جيدة التصويب واستطاعت ان تصيب ثلاثة من المناصير . النساء الثلاث اللائى كن مع الاغريقية القصيرة البدينة الجيدة التصويب ، كن يقدمن لها الرصاص ويرمين بحليهن فى النهر ويسببن المناصير والثورة وقائدها . إلى هنا فكل مافعله المناصير هو الابتعاد من مدى بندقيتها ، ولكن النسوة ارتكبن خطأ فادحاً عندما بدأن فى رمى كتب وصناديق بالنهر اعتقد المناصير انها كانت تحوى الأوراق المهمة التى يجرون وراءها . عندها امر سليمان النعمان رجلا يحمل بندقية باطلاق النار على اليونانية المقاتلة . عندما تم ذلك امسكت أخرى بالبندقية ، وهنا تم اطلاق النار على الثلاث نساء الاخريات . خادمة الباخرة والبنتان السودانيتان لم يشتركن فى القتال وبالتالى لم يصبن بأذى"[١]".

الأوراق تذهب إلى الإمام المهدى .

جمعت الأوراق والوثائق واخذت فوراً إلى امير امراء الشمال محمد الخير ببربر ، فارسلها بدوره إلى الامام المهدى فى شات .

اسباب الأحداث .

ان الوقائع التى حدثت لها عدة اسباب :—

١ – قبيلة المناصير والرباطاب شاركتا الجعليين الثورة فى المنطقة .

٢ – قاتل جودت بك – نائب مدير دنقلا – الشيخ النعمان ود قمر فى الدبة وقتله مع عدد اخر من قواته فى التاسع والعشرين من يونيو ١٨٨٤م .

١ – براكنبرى ص ٢٢٨ .

٣ ــ وجود أوراق مهمة بتلك الباخرة قد يكون خروجها من البلاد خطيراً على الثــورة الوليدة . ان التأكد من وجود الأوراق المهمة قد ظهر في اصرار المناصير على الوصول إليها دون ان تصاب بأذى وارسالها إلى الأمير محمد الخير ومنه فوراً إلى المهدى .

كيف عرفوا ان بالباخرة أوراقاً مهمة ؟ هناك ثلاثة احتمالات :ــ

الأول هو الذى تردد كثيراً في ان حسن حسنى قد افشى السر ــ والســؤال لماذا ؟ وقد يكون الجواب ان كولونيل استيوارت بتهديده بين القتل والنزول إلى المناصير اغضبه فأراد الثأر ، وقد لايكون .

الاحتمال الثانى ، هو ان كولونيل استيوارت كان مهتماً جداً بما يحمل من محمولات خفيفة لايمكن ان تكون أى شيء غير أوراق وكان يريد لها جملا خاصاً يقوده بنفسه .

الاحتمال الثالث ، هو ان المطاردين للباخرة قد اتوا بالخبر من الباشبوزق التوم ود على بك الذى هرب من الباخرتين لاخبار الامير محمد الخير عبد الله خوجلى .

٤ ــ ان سكان الســودان عامة قد كرهوا الحكم المصرى إلى الحد الذى جعلهم ضد أى موظف تابع له . والمناصير الذين اكتووا بحكم المتسلطين من حكام ذاك العهد ، وما فرضــوه مــن ضرائب عليهم وفى حالة عدم الدفع احراق قراهم ، قد جعل المناصير القليلى الأراضى الزراعية . من القبائل التى امتنعت عن الدفــع ، وبالتالى فهم اصحاب عداء مكشوف مع الحكومة . ولكل منهما ــ الحكــومة المصــرية والقبيلة ــ كشف حساب قيد التسديد .

٥ ــ قوات استطلاع الامير محمد الخير لم تتوقف عن مطاردة الباخرة ، وقد حملت إلى المناصير اخبار القصف الذى قامت به البواخر الثلاث (عباس والصافية والمنصورة) على بربر . فقد ادارت البواخر مدافعها الخمسة وبنادقها الالف على المدينة ، فقتلت ودمرت ثم هربت .

غزوة
بدر الكبرى

غردون يسمع خبر عباس .

عندما بلغ خبر الباخرة عباس غردون فى الرابع عشر من اكتوبر وصفه بانه مرعب جداً . ثم دخل مع نفسه فى نزاع ، فلو حدث وكانت الاخبار صحيحة فعلى من يقع اللوم؟



فى العاشر من سبتمبر ١٨٨٤م بعد ان تحركت الثلاث بواخر حاملة استيوارت ومن معه ، واجهت غردون مشكلة نضوب كبريت الالغام . حل الاشكال بما يسمى بماسورة الاشعال التسلسلى . بعد ذلك توجه مباشرة لمستشفى الخرطوم حيث يعالج جنوده . الطبيب هناك يدعى نيكولا وهو طبيب مدنى عرف بتطلع علمى لابأس به . انه لايقـوم بالعلاج فقط وانما يقـوم بعمليات تشريح لموتاه عله يزيد من ذخيرته فى العلـوم الطبية . فـى مستشفاه يحتفظ باجزاء بشرية تثبت مايقـوم به من كشف علمى . حفظ هذه الاجزاء فى سائل كحولى .

عندما دخل عليه غردون ــ الذى يعرف كل افكاره ــ بدأ يحدثه عن قدرته الطبية . الدكتور نيكولا الذى أعجب باطراء غردون ، وضع امامه قلباً بشرياً ، باحدى حجراته بلية من مقذوف نارى اصابت الجندى صاحب القلب المحنط . ادعى نيكولا انه استطاع ان يترك هذا الجندى يعيش احد عشر يوماً والبلية فى قلبه المثقوب ١ . لم يكن غردون من الذين يملكون ذخيرة علمية فى الطب ، ولو كان يملك لمافكر فى صدق أوكذب الطبيب . ان غردون قد جاء لامر مختلف جداً ، هو بكلمات قليلة : هل يستطيع دكتور نيكولا انتاج جراثيم الجدرى أم لا ؟ اجاب الطبيب بانه يستطيع . وفى الحقيقة فـان الموضوع لايحتاج إلى كثير علم لزراعة جراثيم الجدرى .

استطاع غردون ان يدبر للطبيب العجول التى سيزرع فيها الجراثيم . تحصل الطبيب بطريقة أو أخرى على بثور الجدرى وقام بوضعها على انوف تلك الحيوانات وتحت جلدها. تمـت عملية الزراعة وبقى الانتظار للحصاد الذى سيتم بعد ثلاثة اسابيع . قضى غردون وقتاً فى رسم القلب المصاب بالبلية واصبح يشكل جزءاً رائعاً فى فن الرسم بداخل جورناله

١ ــ اوراق غردون بالمتحف البريطانى . جوليان سيمونز ص ١٥٣ .

بالمتحف البريطاني . وجود غردون بالمستشفى ومراقبته للموتى دعته إلى ان يكتب، وفي جرناله أيضاً ، افضلياته البشرية . انه حسب قوله (انى أفضل الصينيين أولا ، ثم السود الذين وجوههم تشبه وجوه الخنازير ، بعد ذلك يأتي السودانيون الذين في لون الشكلاتة. ثم انى لاأحب الفلاحين ذوى الوجود المكتنزة شحماً ، رغم انى اشعر بالأسف لهم)

غــردون يحصــد الجدرى .

بعد ثلاثة اسابيع ذبحت الحيوانات الـتى اجاعهاالطبيب لكى يتفشى فيها المرض اكثر . بعد ذبحها ازال منها الغدد اللمفاوية ، وقام بفرمها بمكينة فرم عادية وتصفيتها بغربال ، كان الطبيب يقــوم بذلك فــى جرأة دون خوف مــن الاصابة لانه قد تلقى تطعيماً ضد المرض بقصر العيني بمصر من طعم الجدرى المعالج بالقلسرين الحديث الصناعه والذى يعطى مناعة ضد المرض بنسبة عالية . إلى هنا فقد انتهى الجزء المعملي من حربه البيلوجية ، وبقيت عملية ، النقل إلى اعدائه . كان غردون يعرف تماماً كيف يتم هذا الوصــول ، فاستدعى اقرب رجل إليه حينها وهو ابراهيم فوزى باشــا رئيس اركان حربه ، وكان قبل أيام قد انعم عليه برتبة لواء وباشا وارسل خطاباً بذلك مع وكــيله استيوارت إلى الخديو لاعتماد هذا التعيين ١ .

ابراهيم فوزى يطلــق دانات الجدرى .

قام ابراهيم فوزى باحضار دانات مدفع جبلى ملأها بالمحلول الذى تحصل عليــه دكتور نيكولا ، ودق اسفيناً خشبياً فى ثقب فيوز التفجير . تتمة ايصال هذه الجرائم الى قوات الثورة سأترك الذى قام بقذفها ان يحكيها بكلماته . ان عملية اطلاق دانات الجدرى قد تم تحت اشراف اللواء ابراهيم فوزى باشا . . وقد شرح ذلك فى كتاب نشره فى شهر صفر ١٣١٩هـ .

---

١ – خطاب المهدى الى غردون – درم ٢/١/١/١٠٠٠ .

يقول عن فعلته ص ٣٤٤ بالجزء الأول من كتابه (السودان بين يدى غردون وكتشنر) :

(كان غردون امر بوضع مادة الجدرى فى جوف الكلل فاذا قذفت من المدافع وقعت فى وسط الدراويش بغير ان تنفجر فيأخذونها ويجدون الماء فى جوفها فيقولون انها من كرامات المهدى ويتبركون بالمادة الجدرية ويمسحون بها وجوههم ففشا فيهم الجدرى وقدر عدد الوفيات به كل يوم بخمسين نسمة ، ولم يفطنوا لشىء ما) .

من هــو اللواء ابراهيم فوزى باشا .

عندما جاء غردون للسودان لاول مره معيناً من جانب الخديو اسماعيل حاكماً للاستوائية ، وجد مشاكل من جانب اسماعيل ايوب حكمدار عموم السودان ، قام ابراهيم فوزى بمساعدته ضد ارادة الحكمدار ، وقد كان فوزى فى رتبة (اسبيران) . اختار لغردون أفضل جنود وأسلحة لكى تصحبه إلى الاستوائية . ذهب ابراهيم فوزى مع غردون إلى الجنوب وفى أقل من شهرين رقاه إلى رتبة يوزباشى ، ثم بعد أقل من شهرين اخرين رقاه إلى رتبة « ساغول اغاصى » بعدها عينه مديراً على مديريتى بور والغربية ."١"

طلب منه غردون ان يصحبه إلى مصر وعين بدلا منه الطيب بك ، وهناك امام الخديو أحسن غردون الثناء عليه ورقى إلى قائمقام . تركه غردون فى القاهرة وذهب إلى بريطانيا فى اجازة ، ولكنه بعد شهرين ارسل له تلغرافاً يعينه فيه وكيلا لحكمدارية الاستوائية . عندما تحرك فى طريقه إلى السودان ووصل بربر ، سمع ان غردون قد تعين حكمداراً للسودان . عند وصول غردون إلى الخرطوم صدر أمر من الخديو بضم بحر الغزال إلى الاملاك المصرية بعد ان كانت تحكمها الشركات (الكباين) . وعليه ارسل

١ – السودان بين يدى غردون وكتشنر ص١/٢٨ .

غردون إبراهيم فوزى بجيش جرار إلى بحر الغزال . ولكن حدث اشكال بين ابراهيم فوزى واخر يدعى إدريس ابتّر ، فعين غردون إبراهيم فـــوزي حاكماً للاستوائية بدلا من « براوت بك » الامريكى .

حدث خلاف بين فوزى وسائح يدعى دكتور (ينكر) وقاد هذا إلى رجوع ابراهيم فوزى إلى مصر والعمل هناك فى وزارة الحربية فى وظيفته التى رجع بهـــا .

فى مصر عندما عاد غردون منهياً عمله فى السودان تمـــت تسوية سوء التفاهـــم بين غردون وابراهيم فوزى ، بعد ان وجد الاخير شخصين يشهدان له ، هما (منسون بك ومارنو بك) ، واعتذر له غردون . احيل ابراهيم فوزى إلى الاستيداع ، وعندما قامت الثورة المهدية اعيد إلى العمل واسندت إليه قيادة جيش نصفه ســـودانى والنصف الثانى مصرى لكى يضرب المهدية . وبعد ان بدأت تدريبات الجيش ، صرف النظر عنه لان يوسف باشا الشلالى قال انه سيقوم بالمهمة .

فوزى يشترك فى الثورة العرابية .

قامت الثورة العرابية واشـــترك فيها ابراهيم فوزى . ابان معركة التل الكبير كان ابراهيم فوزى يقـــود الالاى الأول من الفرقة الثالثة المتمرد على الخديو بابى قير . ذهب وسلم جنوده وسيفه واسلحته إلى (جنرال وود) . سجن فى سرداب مظلم خفراؤه من الايطاليين . فى النهاية جردوه من وظيفته والقابه وطردوه من الجيش .

عندما عاد غردون للمرة الثالثة والاخيرة للعمل بالسودان ، كان مطلبه الاول ان يصحبه من المصريين ابراهيم فوزى . وفى النهاية اجبر الخديو على اعادته للخدمة العسكرية.

فوزى فى الخرطوم .

أتى فوزى مع غردون إلى السودان وكان اقرب شخصية إليه بعد كولونيل استيوارت.

فى الخرطوم قاد معركة امام قصر راسخ واصيب بطلق نارى فى فخذه وشــفى بعد ثلاثة أشهر قضاها تحت رعاية غردون الشخصية . رقاه غردون إلى رتبة لواء وباشــا وفى اخر خطابات ارسلها غردون مع وكيله استيوارت خطاب إلى الخديو لاعتماد ترقية ابراهيم فوزى . اخر وظيفة شغلها بالخرطــوم هى رئيس اركان حرب جيش غردون ومدير الخرطوم .

بخصوص صلته مع غردون يقول فوزى[1] (فلما كنت أول من رفق غردون باشا فى خدمة السودان واخر من ودعه عند الرمق الاخير من حياته فى عاصمته واول اسير مصرى مسجون افتكه كتشنر باشا ، واخر من عاد من اسرى المهدية إلى وطنه) .

فوزى صاحب المقهى .

بعد تحرير الخرطوم اطلق سراح ابراهيم فوزى وعمل فى بيع الشاى والقهــوة والبطيخ . ويقول محمد عبد الرحيم فى وصف فوزى ابان المهدية فى كتابه (الفداء فى دفع الافتراء) صفحة ٥٣ (اللواء ابراهيم فوزى باشا الذى نجا مــن القتل لخــلع بذلته العسكرية وتنكر بين الاسرى ، ولما عرف اخيرا عفى عنه ، ولكنه ابى ان يبقى هادئــاً ، بل عمل قهوة يجتمع إليه الاسرى من ضباط وجنود ويسخرون بخليفة المهدى) .

المهم قبض عليه ووضع فى السجن إلى ان اخرجه كتشنر .

---

١ - . فوزى ص ١/٤ .

كتاب فــوزى .

كتب ابراهيم فوزى كتاباً باسم (السودان بين يدى غردون وكتشنر) على نســق كتاب (اوهروالدر ، عشر سنوات سجناً فى معسكر المهدى) ، حكى فيه كل الأعمال التى قــام بها ، ووصف الحياة التى عاشها .

فوزى عبد الخديو .

ان ابراهيم فوزى اهدى كتابه هذا ، المكون من جزئين ، إلى الخديو ابراهيــم حلمى الثانى ، ويقول له فى مقدمة الكتاب الذى طبع فى عــام ١٣١٩هـ على نفقــة صحيفة المؤيد : (جهد المستطاع عبد من اخلص مخلصى رعيتك لسدتك . لم ينس فى كل اطواره واجب ولاء عبوديتك) .

لاحــول ولاقوة إلا بالله

ثم يقــول ابراهيم فوزى عن اشتراكــه فى ثورة عــرابى صفحة (١/٢٦٢) : (وذهبت إلى المعية اتعثر فى اذيال الخجل واعض انامل الندم ولات ساعة مندم ، وتمثل مافرط منى من ولاء العرابيين باقبح صورة ، وزاد عليه تبكيت الضمير حيث تذكرت ماكان من الجناب الخديو ونصحه لى بالابتعاد عن المسألة العرابية وتذكيره لى بنعم والده على وانى ان تابعت العرابيين كنت مقابلا لهاته النعم بالعقوق والكفران ، فلــم التفت إلى الذكرى ، بل انغمست فى الفتنة العرابية ، وكان ماكان حتى كأننى فقدت العقــل وعدمت الرشد ولاحول ولاقوة إلا بالله) !!

* * *

ماهــو مرض الجدري .

الجدرى مرض خطير ازال ابان تاريخه الطويل امماً من الوجود ، وقد تميز بـــان الانسان يكتسب مناعة ضده بالتطعيم .

فترة حضانة المرض تتراوح بين ثمانية أيــام وستة عشر يوماً . يظهــر المرض فى ثالث يوم فى شكل حبوب على الجســم تصبح فيما بعد محتقنة وهذا مايســبب الثقوب الجدرية .

هناك اربعة انواع مـــن الفيروسات تسبب المرض ، ولكن التطعيم بــاى منهــا يعطى الوقاية منها جميعاً . حجم الفيروس كبير ويمكن ان يرى بالمجهر الالكترونى . من صفات هذا الفيروس انه يستطيع البقاء فى حالة جفاف لمدة تزيد عن العام ، ولكن الرطوبة تحطمه . هذه الخاصية مكنت حكاماً كثيرين فى التاريخ من قتل اعدائهم باهدائهم ملابس ملوثة بالمرض .

كيف يدخل المرض إلى الجسم

ان الحيوان الوحيد الــذى يحمل المرض إلى حيوان اخر هو الانســان . ان بقية الحيوانات لاتمرض به . المرض يدخل إلى جسم الانســان عن طريق الجهــاز التنفسى باستنشاق الحبيبات أو التراب . أقل اتصال بمريض يمكن ان يسبب المرض . ايضاً يمكن ان يدخل المرض إلىجسم الانسان عن طريق رتينة العين أو الشقوق بالجسم . الملابــس تحمل المرض إلى الاخرين . وكذلك الحال بالنسبة إلى غــرفة المــريض وسريره . أكثر فترات الاصابة بالمرض فى الشتاء ، ونسبة الموت ، مع العناية الصحية تكون بين ٢٠٪ و ٢٥٪ .

تاريخ الجدرى فى الســـودان

يصف ود ضيف الله فى طبقاته عام ١٠٩٩هـ - ١٦٨٧/٨٨م بانه العام الذى حطــم سنار عندما اصيبت بالمحل والجدرى .

الرحالة « بروس» (١٧٩٠) يقول : ان الجدرى ليس مرضاً مستوطناً فــى ارض سنار ، بل تفشيه يحدث على فترات متباعدة بين١٢,١٥ عاماً ، ومصدر الاصابة الحجاز . لذلك فترة انتشاره تكون متزامنة مع موسم الحج . وقد لاحظ بروس أن الناجين يكتسبون مناعة من المرض مدى الحياة .

اوبئة الجدرى التى حدثت فى الســـودان قـــبل الاستعمار التركى المصرى للسودان كانت قليلة ، اهمها وباء عام١٨١٣/١٥م . بعد حضور الجيش المصرى ، الذى كـــان يعدم ابسط قواعد الحياة الصحية ، وقعت عدة أوبئة فى عام١٨٢٤/٢٥ و ١٨٣٨/٣٩ و ١٨٥٠/٥١ و ١٨٦٥ و١٨٧٨/٧٩ .

خلال المهدية فان الوباء الذى نشره غردون اكتسب اعلى نقطة لانتشارهخلال عام ١٨٨٥م ، وتفجر مرة أخرى فى عام١٨٨٧ و١٨٨٩ و١٨٩٥ . خـــلال الاحتلال الانجليزى المصرى حدثت أوبئة محددة فى عام١٨٩٨ و١٨٩٩ و١٩٠٠ .

طريق الجدرى إلىالسودان

ان جميع اوبئة الجدرى التى اصابت السودان يمكن ان نتابع طريقهـــا من مكة إلى داخل السودان . فمثلا الجدرى الذى تفشى فـــىمكة عـــام ١٨١١/١٢ ووصفه « بانك هيرست » قد وصل مع الحجاج إلى سنار ومنهاعن طريق الحجاج الفلاتة إلى نقطة خروجهم

مـــن الســــودان . (بانـــك هيرست ١٩٦٥) . « بيركهارت » الرحالة الذى حضر هذا المرض بسنار قال : (ان عائلة تمساح التى كنت اسكن معها ، مات منها اثنان وخمسون شخصاً فى عدة شــهور).

ابان الحكم التركى المصرى للسودان فان طريق المرض هو الطريق الذى يسلكـــه جيش الاحتلال .

فترة عثمان بك جرخس كانت شهيرة بتحركات جنوده وبالمجاعة والمحل والهجرة (هولت ١٩٦٠) .

ابان ولاية موسى حمدى و ١٨٦٥/١٨٦٢ ماتت اعداد كبيرة ، وخصوصاً مـــن السود الذين لم يعرفوا المرض هذا ، وقد مات الحكمدار نفسه به ودفن فى ابى جنزير بالخرطوم .

ابان تمرد اللـــواء الرابع فى كســـلا تحركت قوات من مدنى والخرطـــوم وبربر فحملوا معهم المرض إلى كسلا ، فمات من الســـكان بالمرض اكثر مما ماتوا باسلحـــة المصريين .

الوباء الذى ضرب دنقلا عام ٧٨/١٨٧٧ كان دليلا حياً على تحرك الاوبئة مـــع تحرك الجيش المصرى .

التجار الذين اتخذوا النيل الأبيض طريقاً لتجارتهم حملوا معهم المرض إلى جنوب السودان . ونجد صوراً لذلك فى كتاب جسى باشا الذى حارب سليمان الزبير رحمة .
ان أكبر وباء اصاب السودان هو الوباء الذى بثه غردون لانه بقى مدة طويلة فى صفوف المحاربين ، وزاد الطين بله ذهاب القـــوات السودانية إلى حرب الحبشة ، فقد ظلت الحبشة مصدراً لهذا الوباء حتى حملة منظمة الصحة العالمية الاخيرة .

سلاطين في كتابه (النار والسيف) يصف كيف مات العرب بالجدرى واصيب أكثر حراس السجن به ومات منهم الكثير ، أما الاوربيون فلم يصب منهم أحد .

التحصين ضد الجدرى

الطريقة التقليدية التي عرفت في مصر والحبشة كما يشرحها « بيركهارت » (١٨١٩) وبانك هيرست (١٩٦٥) ،، بانهـا نوعان : الأول يسمى ،، اشترى الجدرى ،، وذلك بلف يد صحيح بقماشة كانت ملفوفة على يد مريض بعد شرائها من أهل المريض كشرط لنجاح الوقاية . النوع الثاني لم يستعمل بالسودان ويسمى ،، دق الجدرى ،، وهو عبارة عن دعك بثور المرض على فصد في جسم سليم .

فشل التطعيم الأوربى بالسودان

« ليدى مارى ورثلى مونتاقو » ادخلت نظام « دق الجدرى » إلى بريطانيا في عام ١٧٢٠ ، ولكن ذلك منع بقانون فيما بعد .

استعاض الانجليز عن هذه الطريقة بطريقة لاحظوها كثيراً ، وهي ان حالبات الابقـار لايصبن بالجدرى . في عام ١٧٩٦ طعم طفل بمادة من دمامل جدرى بقرى من يد حالبة ابقار . منذ ذلك الوقت طورت بريطانيا طعم الجـدرى باستعمال العجول الصحيحـة والاغنام . . بعد الحصول على الجراثيم من دورة الحيوان الدموية تعالج بالقلسرين وتجمد . جميع ضباط الجيش وجنوده في الجيش البريطـاني كانوا مطعمين ضد المرض ببدايـة القرن التاسع عشر .

ان ارسـال هذا الطعم إلى مسافات بعيدة يفقده الفعالية . الطعم الذى كان يصل إلى السودان ويستعمل فيه كان هو سبباً في الاصابة بالمرض . وصف صمويل بيكر عـام

١٨٦٣ كيف مات معسكر اتراك ومن معهم عندما طعموا ضد الجدرى ، وقد نجا معسكره لانه لم يطعمهم ووضعهم فى مكان يمر الهواء فيه أولا قبل ان يصل إلى معسكر الاتراك .

تأثير جدرى غردون على الثوار

ان الذين استشهدوا بمرض الجدرى الذى اطلقه غردون عليهم ، كما وصفه ابراهيم فوزى كان حوالى الخمسين ثائراً يومياً . انه لم يستطع ان يصل إلى بغيته بالقضاء على الثوار بهذا المرض اللعين . ولعل عدة عوامل ساعدت على نهاية غردون قبل نهاية الثوار .
أول هذه العوامل ان الجوع كان يفتك بسكان الخرطوم وجنودها ، بضراوة تزيد عن ضراوة جراثيمه على الانصار .

ثانياً : أكثر الثوار الذين كانوا حول الخرطوم كانوا قادمين من كردفان ودارفور حيث اكتسب السكان مناعة بسبب الاصابات التى تعرضوا لها بسبب موقع المديريتين فى طريق الحجاج الفلاتة . أيضاً هناك جدرى « الفاريولاماينور » أو مايسمى « أ..لا.. ستريم » وهو قليل الخطر ، ويكسب الفرد مناعة ضد الجدرى . وقد اصيب عدد ضخم من سكان المديريتين به ، من بينهم الخليفة عبد الله التعايشى واخوته . ان هذه الفصيلة من المرض عندما تفشت فى سنين لاحقة بالسودان مثل وباء عام ١٩٣٢م لم تقم السلطات الصحية بالبلاد بالتعرض له . بدأ بارض النوير وزحف لأرض الدينكا وجنوب كردفان وشمال بحر الغزال وواو والاستوائية ، وقد توقف هذا الوباء فى عام ١٩٣٤م .

ثالثاً : فترة حضانة المرض ، التى تتراوح بين ثمانية أيام وستة عشر يوماً ، جعلت مدة تفشيه طويلة إذا قورنت بالوقت الذى كان يحتاج له غردون .

الامام المهدى والجدرى الذى اصاب قواته

ان دانات مرض الجدرى التى ضرب بهـا غردون القوات المحاصرة له اصابت أولا قوات امير الامراء عبد الرحمن النجومى وامرائه . احد هؤلاء الامـير مـير غنى سوار الذهب كان سريعاً فى الكتابة إلى المهدى عن الجـدرى الذى اصيب به عمر النور بتاريخ ٢٦ ذى الحجة ١٣٠١هـ ، فرد عليه المهدى بخطاب يقول فيه"١" : (بعد السـلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته لقد ورد لنـا لطرفنا خطابكم المؤرخ فى ستة وعشرين ذى الحجة سنة تاريخه ، وكلما دونتموه فيه لاخره علم ، فأما ماذكرتموه من أمر الدعوة الصالحة فهى لكم فجزاكم الله خيراً ، وأما اخيكم عمر النور زياده ، الذاكرين انـه أصيب فيلزم ان تكلوا امره على الله تعالى هو الكفيل عليه ، وهو المتـولى . وقد قال فى كتابه العزيز اليس الله بكاف عبده . لكن امتثالا للحديث الوارد الذى معناه من اراد ان ينفع اخاه فاليفعل ، فيعالجوه الاطباء وليكون غاية الاعتماد على الله فقط ، واتقـوا الله وشمروا فيما انتم بصدده والسلام) .

ولكن المرض لم ينته سريعاً وانما استمر أكثر ضراوة ، وخصوصاً بين قوات الأمير النجومى . عنـدما ابلغ الامير الامام المهدى بازدياد مرض الجدرى فى جيشه ، رد عليه بخطاب تاريخه ٢٣ رجب ١٣٠٢هـ"٢" (٩,٥,١٨٨٥م) مواسياً وحاثاً على الصبر) .

* * *

١ - ٣١٨ بيل .

٢ - صادر ١ - ٦٧ ، فى ٦/٣ منقولة : دار الوثائق المركزية ، الخرطوم .

محمد نصحى بك يذهب إلى سنار ويعود

أمر غردون محمد نصحى بك بالذهاب إلى سنار للقيام بالأعمال الآتية :ـ

١ ـ اجراء صلح بين وكيل مدير سنار والمدير . ان الوكيل موجود حينها بالخرطوم بعد الشجار الذى حدث بينه ومديره .

٢ ـ اخذ ملابس واوراق بون إلى مدير سنار .

٣ ـ احضار مأكولات من سنار إلى الخرطوم المحاصرة .

ذهب محمد نصحى بباخرتين هما البردين وتل حوين ، ولكنه لم يستطع ان يصل إلى سنار قبل ثمانية أيام . بدأت رحلته فى الثالث عشر من سبتمبر ووصل إلى جدين ـ على بعد ساعتين من سنار ـ فى التاسع عشر من سبتمبر . سبب التأخير كان معركتين تعرض لهما ، الأولى فى رفاعة ودامت اربع ساعات ،والثانية فى الكاملين ودامت ست ساعات ، بعد ذلك كان علية التوقف كثيراً لجمع اخشاب للباخرتين . عندما وصل إلى جدين على ضفة النيل الشرقية وجد جنود سنار يجمعون الذرة ، وفى مخازنهم هناك ثلاثة الاف اردب منها . توقفت الباخرتان هناك فى انتظار مدير المديرية.عندما حضر تم اصلاح ذات البين بين المدير ووكيله ، وتركوا اربعة مراكب تجرها الباخرتان لكى تملأ بالذرة ، وواصلوا السير إلى سنار .

فى سنار تسلم المدير اموال البون والملابس ، ثم اخذ نصحى بك ليريه استحكامات المدينة التى كان قد اقامها عبد القادر باشا عندما كان حكمداراً للسودان .

عادت الباخرتان ومراكب الذرة إلى الخرطوم بعد ان تعرضتا لنيران فى الكاملين والجريف . فى الجريف وجدوا ان قوات الحصار حفرت خنادق دخلت فيها وان المدفع هناك وضع خلف المنازل . نيران الجريف اصابت الباخرتين اصابات شـديدة بما فيها اصابة غلاية البردين ، عدد قتلى الباخرتين من نيران الجريف بلغ خمسة عشر جندياً ١ .

فرح غردون برجوع الباخرتين ، وامر باصلاح الباخرتين فوراً لانه يريد ارسال البواخر إلى شندى لانه تلقى خبراً بقدوم الانجليز .

اخبار حملة النيل

عندما تلقى غردون فى الايام الاخيرة من سبتمبر اخباراً عن حملة النيل ، أمـر مأمور المالية بتأجير منازل على ضفة النيل الأزرق . قام المأمور بتأجير المنازل وفرشهـا وامدادها بالخدم « وازيار » المـاء . أيضاً ابرمت عقود مع القصابين والخبازين لامـداد الجيش الانجليزى باللحم والخبز . امرت البواخر ايضاً باحضار خشب للطبخ وماشـية وبقول من سلامة الباشا والحلفايا والقبة .

ان غردون اطلق عند تلقيه خبر الانجليز مائة دانة ودانة تعبيراً عن فرحته ورفعـاً للروح المعنوية فى المدينة وبين جنوده .

ان حملة النيل فى ذلك التاريخ لم‌تنزل زوارقها من ميناء الاسكندرية بعد .

غردون يرسـل البواخر إلى شندى

قضى غردون التاسع والعشرين من الشهر فى كتابة خطابات إلى الانجليز وكتابة أوامر إلى محمد نصحى وخشم الموس . قـائد الحملة إلى شندى سيكون محمد نصحى

١ يوميات محمد نصحى ص ١/١٠٩ .

باشا ، يذهب معه محمد بك طلعت قمندانا على باخرة ، وعلى افندى رضا قمنداناً على أخرى . أيضاً سيذهب خشم الموس بك قمندانا عـلى الشايقية . سيقوم الأخير بالاتصال بالشايقية فى شندى والتعاون معهم واعطاء رتبة « سرسوارى» لكل من يقود جنوداً منهم .

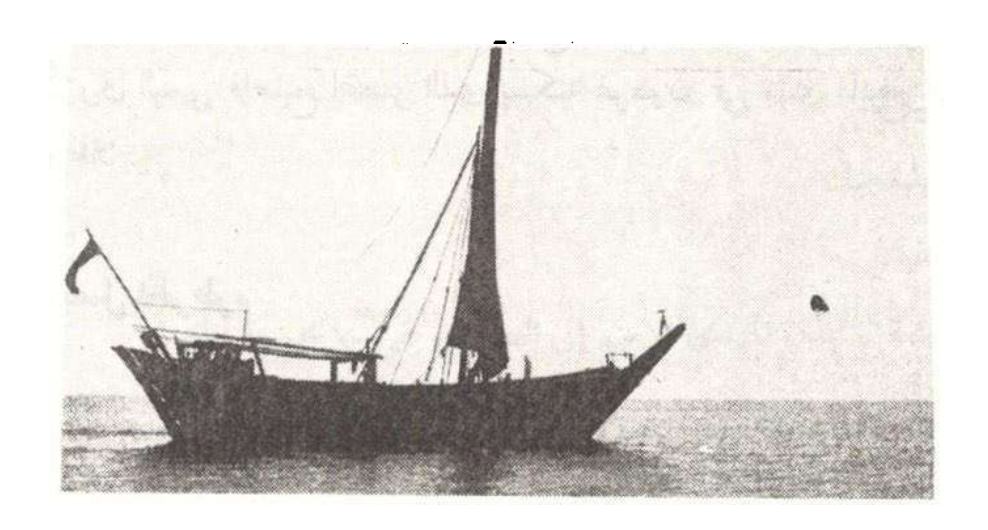
على محمد نصحى ان يستطلع ضفة النيل ولاينزل قواته إلى الضفة اطلاقاً .

ان محمد نصحى لم يلتزم ، خلال بقائه بالنيل فى انتظار الانجليز ، بعدم انزال قواته وقد أدى ذلك إلى غضب غردون وتهديده له .

اعطاهم غردون ثمانمائة ريال للجواسيس١ ، وامدهم بكاتب هو يوسف افندى صادق .

فى تمام الرابعة من صباح الثلاثين من سبتمبر بدأت البواخر فى مغادرة الخرطـوم إلى شندى .

البواخر التى ذهبت هى : المنصورة ، الصافية وتل حوين .



يوميات محمد نصحى ص ١٣٤/١٣٣ – ٢ .

اكتوبر ١٨٨٤م

تدشين الحسينية : قضى غردون جزءاً كبيراً من الاسبوع الأول والثانى من اكتوبر فى الاشراف على تركيب غلاية للباخرة الصغيرة « حسن زهران » ووضع عليها اسداً صغيراً كعلامة مميزة لها ، ثم ابدل اسمها ليكون « الحسينية » . قام بتجربتها فى رحلة صغيرة على النيل الأبيض فى منتصف اكتوبر ، وعادت بسلام ، ولكن الامير النجومى زود ناحية النيل الأزرق بمدفع كروب فاستحال خروجها فى رحلات على النيل الأزرق أو الأبيض . كانت هناك باخرة أخرى قد بدأ العمل فيها وكان غردون يريد تسميتها (الزبير) ولكن قدر لها ان تتم بعد تحرير الخرطوم فاسماها الامام المهدى (الطاهرة) .

اخلاء الحلفايا

سمع غردون ان امراً قد صدر إلى الشيخ العبيد باحتلال الحلفايا ، فقام بهدم بيوتها وحمل اخشابها إلى الخرطوم . وعلى مايظهر فان ماسمع به لم يكن صحيحاً لان الشيخ العبيد لم تتقدم قواته لاحتلالها ، وانما قامت قواته بوضع مدفع كروب فى حلة خوجلى ، على ضفة النيل الأزرق اليمنى فاصبح القصر الذى يسكنه غردون فى مدى المدفع الذى دانته تزن عشرين رطلا .

الامام المهدى يصل الخرطوم

ان رحلة الامام المهدى إلى الخرطوم قد بدأت من الأبيض فى جماد الثانية ١٣٠١هـ — بين ٢٩ مارس ١٨٨٤م والسادس والعشرين من ابريل من نفس السنة — إلى الرهد . سبب سيره على قدميه كما قال الكردفانى (مراعاة لحال الضعفاء والاصحاب الذين معه فى السفر).

والجدير بالذكر ان عدداً مـــن القادة الذين سلموا للثورة قد حضروا للمهـــدى لتقديم فروض الولاء ، وهم : سلاطين مدير دارفور واسماه المهدى عبد القادر عندما علـــم باسلامه ، وسيد جمعه مدير الفاشر وحسين خليفة مدير بربر وصالح الملك الشايقى صاحب معسكر فداسى .

فى الثانى والعشرين من اغسطس ١٨٨٤م – ٢٩ شوال ١٣٠١هـ – تحرك الامام المهدى من الرهد بعد ان ارسل بعض قواته إلى دنقلا والقلابات والخرطوم . سار اصحاب المهـــدى بثلاثة طرق . اصحاب الجمال بطريق هلبة والترعة الخضراء ، المهدى ساربطريق شركيلة وشات والدويم ، واصحاب المواشى ساروا بالطريق الجنوبى . طريقة سير الإمام المهدى إلى الخرطوم كانت على مهل وتعكس ثقته مـــن سير الحوادث . الطريق الـــذى سلكه مر بالمناطق التالية التى أوردها الكردفانى :–

١ – الرهد .
٢ – العفينات – ابدل المهدى الاسم إلى الحليوات اسوة بفعل الرسول .
٣ – رهد الهايل .
٤ – امان الله .
٥ – قضيضيم .
٦ – أم بلينجيك .
٧ – الاغبش .
٨ – العفينة ، ابدل المهدى الإسم إلى العسيلة وبقى بها خمسة أيام .
٩ – النورابى .
١٠ – ام تابه ، ابدل الاسم إلى أم توبه .
١١ – السرحنا .

١٢ ــ أم طبيق .

١٣ ــ أم هتاف .

١٤ ــ أم زرزور .

١٥ ــ قوز السيال .

١٦ ــ شات ، بقى فيها شهراً .

١٧ ــ الدويم .

١٨ ــ شبشة حلة برير .

١٩ ــ الترعة الخضراء ، قضى فيها عيد الأضحى .

٢٠ ــ الرهــوات .

٢١ ــ بالقرب من حلة ود شلعى .

٢٢ ــ الدهيسيرة .

٢٣ ــ بالقرب من الصديق .

٢٤ ــ ابد الدخن .

٢٥ ــ قريب من العلقة .

٢٦ ــ قيزان المرخ ، بقى بها أياماً وقد ظهرت خلالها باخرة غردون الحسينية حاملة اسدها الصغير وجنوداً ، ولكنها ماكادت تتاكد من صدق اخبار تقدم المهدى إلى الخرطــوم حتى اطلقت بضع دانات لحماية مؤخرتها وقفلت راجعة إلى غردون حاملة الانباء .

٢٧ ــ القيعة ، اقام بها اياماً لتلقى وفود الجزيرة وسواكن وكتب خطابــه الشهير إلى غردون يخبره فيه بالاستيلاء على الباخرة عباس .

٢٨ ــ ابى سعد ، اقام هناك وهى تبعد عن قصر غردون بثمانية اميال ، وتقع جنــوب أمدرمان على الضفة الغربية للنيل الأبيض .

الامام المهدى يرسل اخبار الباخرة عباس إلى غردون

بعد وصول الامام المهدى إلى القيعة شرع يكتب فى خطاب إلى غردون يحمل فيه اخبار الباخرة عباس التى وجد فى أوراقها – كما قال فى الخطاب الذى ارسله إلى عبد الصمد الحاج شرفى « العجر والبجر »[١] –. كتب الامام المهدى كتاباً مطولا إلى غردون بتاريخ الثانى من محرم ١٣٠٢هـ (٢١ اكتوبر ١٨٨٤م) يقول فيه[٢] :

(فاعلم ان وابوركم الصغير المسمى عباس الذى بعثتموه بقصد توصيل اخباركم لمصر بواسطة دنقلا ، المرسول فيه وكيلكم استيوارت باشا وقنصلى فرنسا والانجليز ومن معهم قد وقع فى القبضة باذن الله تعالى ، ونجا منه من آمن بمهديتنا وسلم الامر الينا ، وهلك فيه من لم يتبع كوكيلكم المذكور والقناصل وغيرهم وعجل الله بارواحهم إلى النار وبئس القرار ، وصار ذلك الوابور ومافيه غنيمة للمسلمين . وقد اطلعنا على باطن مافيه من المكاتبات والتعريفات – عربية وافرنجية وجغرافية – بعد فكها بواسطة من من الله تعالى عليهم ونور قلوبهم بالايمان والاتباع .

كما ان البوستة المبعوثة من طرفكم لمدير دنقلا مع ماهو مرفوقاً معها لاجل ابعاثها للجهات المصرية والأوربية جميعها ضبطت ومافيها علم . وكان مقتضى عودتها جميعاً لكم لعدم لزومها هنا . انما مادام اصلها مرسولة منكم ومعلومة بطرفكم فاستنسب ان نبعث لكم البعض منها ، ونوضح مآل البعض ليتأكد بطرفكم ذلك وترسخ بذهنكم حقيقة ماهنالك ، ورجاء ان يهديكم الله للاسلام والتسليم وتسلموا انتم ومن تبعكم لتفوزوا بالنعيم السرمدى والخير الابدى) .

ثم يذهب الخطاب فى سرد الموجودات من الوثائق التى وجدت بالباخرة عباس ، أوردها مختصرة نظراً لطولها :

---

١ – خطاب المهدى إلى عبد الصمد حاج شرفى : مصدر : درم ٢١/١/١/١٠٠

٢ – درم ٢/١/١/١٠٠٠ ، أيضاً بالمتحف البريطانى مع جورنال غردون

١ - خطاب إلى مصطفى ياور ، مدير دنقلا .

٢ - يومية الشونة .

٣ - يومية الجبخانة .

٤ - عريضة وقع عليها تسعة عشر شخصاً من اعيان الخرطوم تطالب بابدال مشروع خط السكة حديد الذى فشلت مصر فى تنفيذه ببواخر نيلية .

٥ - خطاب من قنصل فرنسا .

٦ - خطاب من غردون إلى نوبار وبيرنق عن مصادرة الثوار للخمسين الف جنيه التى ارسلت من مصر إلى بربر ، والخطوات المالية التى اتخذها .

٧ - خطابه لرئيس وزراء مصر لاعتماد ترقية ١٦ شخصاً .

٨ - خطاب للخديو لاعتماد انواط اسبغها على ضباطه .

٩ - تلغراف للخديو لاعتماد ابراهيم فوزى وموسى شوقى ومحمد نصحى لواءات .

١٠ - خطابات انجليزية تتحدث عن كيفية صناعة البواخر ودروعها وتسليحها والتحركات العسكرية وطلب اسعاف لانهزام قواته ، واسلام وكيله كوستى وكشف باسماء الأوربيين بالخرطوم .

١١ - يومية الطبجية .

١٢ - خطاب من صالح الملك لصرف استحقاقاته .

١٣ - عريضة من ٣٤ عالماً لخديو مصر يطلبون الحماية .

١٤ - خطاب من غردون إلى الخديو يعلل عدم تمكنه من سحب القوات المصرية بسبب الهيجان وقطع الطرق ، وفيه يطلب ارسال عساكر شاهانية .

١٥ - خطاب إلى الخديو يخبره فيه انه ارسل قوات لضرب الشيخ العبيد ود بدر .

١٦ - خطاب إلى الخديو يطلب فيه ارسال عساكر انجليز ، وتعيين الزبير باشا مع امدادية حتى يتمكن من ارجاع القوات المصرية ، إذا تعذر هذا يعطى السودان

للسلطان العثماني فــي مقابل ارسال الاخير مـــائتي ألف جندي إليه ، وإذا لم يتم هذا فان الموجودين بالسودان يقتلون ويكون الخديو مداناً بدياتهم .

١٧ ــ خطاب إلى الخديو ونوبار وبيرنق يقول غردون فيه انه منتظر الامدادية بطريــق مروى ، وذكر فيه انه يملك اغذية لمدة خمسة اشهر .

١٨ ــ خطاب إلى نوبار يقول فيه انه سيرسل قوات لاحتلال بربر .

١٩ ــ خطاب إلى نوبار والمندوب السامي الانجليزي يقول فيه : انه بعد استعادته لبربر فان الثوار سيستولون عليها مرة أخرى عند انخفاض النيل .

٢٠ ــ تلغراف إلى الخديو يقول فيه ان الأهالي متكدرون من عدم ارسال امدادية .

٢١ ــ تلغراف إلى الخديو يقول فيه ان الفيرمان الذي اصدره باخلاء السودان وحكــم السودانيين لمناطقهم بانفسهم لم يستطع ايصاله للاهالي .

٢٢ ــ ختمان مزوران لتوقيع الامام المهدي ١ . وخرط لطريق دخول الامدادية .

تحشية : (بالخطاب تحشية تظهر في نسخة واحدة منه هي الموجودة بالمتحف البريطاني) تقول التحشية :ــ (فــي أحد تلغرافاتك الجفره المرسولة لبحري وضبطت ، تذكر ان العساكر الموجودة الان ببحر الغزال وخط الاستواء وغيرها ثلاثين ألف عسكري ،لم تمكنك تركهم ولو تمــوت ، فاعلم ان بحر الغزال وخط الاستواء جميعها قد دخلا في المهدية وانخرطا في سلكها وجميع ضباطها صاروا من انصار الدين وانضموا على مادبر على عاملنا على تلك الجهة وجواباتهم واردة ومترددة علينا بلا حصر ولاعدد ، وهاهو مرسول لك طي هذا جوابين مما وردا من بعض عملائنا الذين بذاك الجهة وباطلاعــك عليها تفهم إذا كانت بحر الغزال في ملكك كما زعمت أو منخرطة في سلك المهــدية. ولزيادة المعلومية والشفقة عليك وعلى عبـــاد الله أوجبنــا لك هذا التذييل لتكون على بصيرة.، لزمت التحشية) .

الاضطراب الذى أصيب به غردون

كان خبر الباخرة عباس هو الخبر الذى ود غردون الا يسمعه قط ! فقد دخل فى دوامة نفسية ، هل هو السبب فى هذه الكارثه وضياع جميع اسراره حتى اصبح عاريا تماما امام المهدى ؟ ام ان مؤامرة حدثت بداخل الباخرة وقادت الى ما حدث ؟ ان غاطس الباخرة قدمان فقط ، وقد حسب كل شيء حسابا دقيقا لكى لا تصطدم منذ خروجها من الخرطـــوم.

ان غردون فى الخطابات التى ارسلها مع الباخرة عباس قد استعمل كل انواع الخداع والتضليل والمكر الـــذى عرف عـــن الانجليز، لكى يتمكن مـــن ابقاء السودان مستعمرة لبلاده . وحتى عندما اقترح ارسال قوات شاهانيه (عثمانيه) كان يرمى الى اثار ة حكومته التى لن تقبل بارسال قوات كهذه ، لكى ترسل قوات بريطانيه.

الاختام المزوره لتوقيع الامام المهدى قد قام بها غردون فى الخرطوم بعد ان اخذ اصل الختم من الخطاب الذى ارسله له الامام المهدى رافضا سلطنة كردفان .والمقصود من الختم هو ارسال خطابات من مصر الى امراء الثورة على اساس انها واردة من المهدى. فخطاب مثلا يرسل الى الامير عثمان دقنه يقول له : توجه الى بجيشك فورا ، سيعطى الانجليز فرصة جيدة لاحتلال شرق السودان .

الاستيلاء على هذه الاختام فى الهبه لم ينه الفكرة ، بل قد قـــام وولسلى ايضا بتبنيها مرة اخرى فيما بعد (١) .

---

١ - خطابات وولسلى الى زوجته .

اشتداد حصار المدفعية

في الاسبوع الاول من اكتوبر احكم امير الامراء النجومي الحصار بالمدفعية على الخرطوم . بدأت دانات المدافع تصل إلى القصر والسوق . يبدأ القصف في الفجر ويستمر حتى المساء بتوقف قليل عند صلاة الظهر. النيران تأتي من الكلاكله والجريف والضفة اليمنى للنيل الازرق .

ارسال التوفيقية

في الثاني عشر من اكتوبر ارسل غردون الباخرة التوفيقية لكي تنضم الى اسطول محمد نصحي بشندي . بالباخرة خطاب إلى محمد نصحي يشكو فيه غردون من ضرب مدفعية الثوار ، ويطلب ارجاع الباخرة تل حوين . ايضا يذكر في هذا الخطاب ان المهدي قد وصل بالقرب من ام درمان .

ان قدوم الامام المهدي قد اثار قلقا شديدا داخل الخرطوم . امر غردون قمندان الباخرة ان يرجع اذا وجد ان الثوار اقاموا بطارية مدفعية في مضيق السبلوقه .

اضطرابات في الخرطوم

حدثت مشكلة بين الباشبوزق والتجار في الخرطوم . ان التجار قد ظل يراودهم القلق والشك في قيمة اوراق البون ، لذلك كانوا يحاولون قبولها بسعر اقل من السعر المحدد بها . جنود الباشبوزق لم يقبلوا بذلك . نشأت اضطرابات انتهت بان طرد غردون مأمور الضبطية وعين موسى بك شوقي مأمورا ، بتعليمات مشددة بان يحافظ على سعر البونات الرسمي .

ارسل المأمور الجواسيس الى السوق فقبضوا على بعض التجار . اخذ التجار الى ضفة النيل المقابلة لحامية الثوار بامدرمان .اصيب التجار بالفزع والجزع واقسموا قسما غليظاً الا يعودوا لفعلتهم تلك مرة اخرى ،فاطلق سراحهم .

نيران قناصة الثوار

نيران قناصة الثوار الذين حفروا خنادق قريبة من خط الاستحكامات اصبحت تصيب عددا كبيرا من جنود غردون . امر غردون المهندسين بان يقيموا ابراجا عالية على مسافات متباعدة على طول خط الاستحكامات ، يضربون منها الثوار في خنادقهم .

طرد مأمور الضبطية الجديد

خلال بناء الابراج حدثت خلافات بين مدير الخرطوم ومأمور الضبطية ،حملت غردون على طرد موسى بك شوقي وتعيين ابراهيم افندى لبيب في مكانه .عين ايضا محمد افندى عبد الوهاب نائبا للمأمور .

غردون يضلل سكان الخرطوم

عندما وصلت الباخرة تل حوين الى الخرطوم من شندى يوم ١٩ اكتوبر ١٨٨٤ حاملة خطابات يوميه الباخرة ،كتب غردون اعلانات علقت بالمدينة تقول : (حسب المعلومات التى تلقينها من محمد نصحي باشا ، فان القوات الانجليزيه قد وصلت الى بربر ، وقامت باعادة احتلالها ، كما ارسلت، قوة الى المتمة.)١

غادرت تل حوين الخرطوم عائدة الى شندى في الحادى والعشرين من اكتوبر حاملة تعليمات غردون الى قائد اسطوله .

وصول الامام المهدى

وصل ركب الامام المهدى الى ديم ابى سعد في الرابع والعشرين من اكتوبر ١٨٨٤ ، حيث اقام مركز قيادته هناك . وصوله زاد مشاكل غردون النفسيه والعسكرية .

١ - يوميات محمد نصحى ص ١/١٥٧ .

نوفمبر ١٨٨٤م

اشتد الحصار على الخرطوم ، وأمدرمان ابتدأت حاميتها تفقد اغذيتها .

حصار حامية أمدرمان

بعد وصول المهدى الى ديم ابى سعد امر بتشديد الحصار على الخرطوم وحصار حامية ام درمان بالقوات التى اتت معه والتى اتت بطريقين اخرين من الغرب الى الخرطوم .

اختار المهدى لحصار ام درمان احد قواده الذين عرفوا بالمقدرة والشجاعة والعزم ، انه الامير حمدان ابوعنجه . اخذ الامير حمدان قواته وتوجه فورا متقدما امام القلعة التى تبعد الفا ومائتى متر من النيل ، فاصلا اياها من اى امداد نهرى .

المهدى يبلغ غردون بحملة النيل

فى الأول من صفر ١٣٠٢هـ – ١٩ نوفمبر ١٨٨٤م – كتب الامام المهدى إلى غردون خطاباً يوضح فيه انه وصل إلى ابى سعد ، ويقول فى خطابه (١) : (الحمد لله الوالى الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم . وبعد ، فمن المفتقر إلى الله الواثق بما عند مولاه محمد المهدى بن عبد الله ، إلى غردون باشا .

اعلم انى حضرت بالقرب من أمدرمان بجيوشى المنصورة واصحابى واحبابى فى الله المؤيدين بالنصر من عند الله .

---

١ – شقير ص ٢٨٠ .

وكن على يقين انى على علم من حضور عساكر الانجليز بجهة دنقلا ، ولكن لست مبالياً بهم ولابغيرهم بفضل الله ، وسيكون لهم اسوة بجيوش هكس والشلالى ، ولاتغرك نصرتك المتوالية ، فكل من استشهد بها فهو عن امرى رأفه بهم لينالوا درجة الصالحين تصديقاً لقوله تعالى « ولاتحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما اتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الاخوف عليهم ولاهم يحزنون » ولولا مراعاة حسم دماء المسلمين لضربت صفحاً عن مخاطبتك وبادرتك بالهجومات التى لاأشك فى نجاحها . فسلم تسلم انت ومن معك ، وقد نصحتك وانصحك والا فالحرب بعد ذلك ، والسلام على من اتبع الهدى) .

حملة الانجليز التى تحدث عنها المهدى

عسكر الانجليز الذين تحدث عنهم المهدى فى خطابه ، كان قد وصل منهم يوم تحرير الخطاب (١٩ نوفمبر ١٨٨٤م) الف واربعمائة جندى إلى دنقلا . لواء حراس الهجانة ولواء « الاستافوردشير » كان بين دنقلا وشلال دال ، الفان اخران بين شلال دال والجماى . سته الاف جندى اخرون كانوا منتشرين فى خط على النهر أوله فى اسيوط على بعد سبعمائة ميل من نقطة الالتقاء فى كورتى . لو سارت الامور حسب الخطة فان اخر لواء انجليزى يصل إلى معسكر كورتى سيكون لواء « الكاميرون هاى لاندرز » ، فى الثانى والعشرين من يناير .



خطاب غردون إلى رئيس حملة النيل

في الرابع من نوفمبر كتب غردون خطاباً إلى رئيس حملة النيل . ذهب الخطاب في الباخرة تل حوين وتصاحبها البردين . ابحرت الباخرتان في الخامس من نوفمبر ١٨٨٤ بقيادة خشم الموس ونصحى باشا . ان الخطاب يشرح موقف غردون تماماً في العاصمة . يقول الخطاب (١) : (وصلني امس بريد من كتشنر بالدبة بتاريخ ١٤ اكتوبر ١٨٨٤م ، ومعه كتاب بالجفره من لورد وولسلي بتاريخ ٢٠ سبتمبر لا استطيع حله لاني ارسلت المفتاح مع استيوارت . وما وصلني قبل هذا البريد إلا كتاب من كتشنر في ٣١ اغسطس ١٨٨٤م . وصلني في ١٧ سبتمبر أي بعد سفر استيوارت من هنا باسبوع . في جهة المتمة الان خمس وابورات عليها تسعة مدافع بانتظاركم . يمكننا ان نثبت في الحصار ٤٠ يوماً بالراحة ، ومن ثم يصعب علينا الثبات . انى اشتعل غيظاً لغرق الوابور ، ومتى تأكدتم غرقه اخبروا نظارة الخارجية ان مفتاح الجفرة قد ضاع لاني ارسلته مع استيوارت ، إذ كنت في ريب من نجاتنا . وقد ظننت ان سفر النيل سليم فأرسلت استيوارت وباور وهيربن في وابور ليطلعوكم على حالنا لعلكم تعجلون بانقاذنا ، وارسلت مع استيوارت يومية الحوادث من أول مارس ١٨٨٤ إلى ١٠ سبتمبر سنة ١٨٨٤م . المهدي هنا الان على ثمانية اميال منا (في أبي سعد) والعرب يحصروننا من الشرق والجنوب والجنوب الغربي ولكن ليس منهم احد شمال امدرمان . سنار لاتزال ثابتة في الحصار وهي عالمة بقدومكم . وفي الوابورات يوميتي من ١٠ سبتمبر إلى هذا اليوم ، وفيها تفصيل حالنا وخارطة بربر . يقع بيننا وبين العرب قتال من وقت إلى آخر ، ولكن المهدي يقول انه

---

١ - شقير ٨٣٦ .

لايحارب في هذا الشهر (وهو شهر محرم سنة ١٣٠٢هـ) وقد احضر معه جميع الأوربيين والراهبات الذين وقعوا فى اسره ، ويقال انهم جميعاً اعتنقوا الاسلام . سلاطين أيضاً مع المهدى وكذلك لبتون ، ويقـول المهدى ان لبتون سلم .

منذ ١٠ مارس ١٨٨٤ إلى اليوم وصلني - عدا كتابى كتشنر المشار إليهما انفا - رسالتان ، واحدة من دنقلا بدون تاريخ وواحدة من مصسوع بتاريخ ٥ مايو ١٨٨٤م . وصلتنى رسالة بمعنى هذه الرسالة من مصوع بتاريخ ١٧ ابريل ١٨٨٤م ، وأما انا فقد ارسلت فى ثمانية اشهر الماضية عدة رسل فى كل الطرق .

نزلت العرب في ضواحي الخرطوم فى ١٢ مارس ١٨٨٤م ، فهاجمناهم فى١٦ مارس فهزمونا وحملونا خسارة جسيمة من العساكر وغنموا مدفعاً واحـداً . ومنذ ذلك الوقت لانزال فى قتال مستمر ، وقد جرح استيوارت جرحاً خفيفاً فى ذراعه فى بعض المناوشات . ولما ارتفع النيل خرجنا عليهم فاوقعنا فـيهم ثلاث وقائع أو اربع ورفعنا الحصار عن المدينة وارسلنا حملتين إلى سنار . وفى كل وقعة جرت لنا من المحاصرين كانوا يهاجمون المربع مستقتلين فيخترقونه ويدخلون وسـطه . وقـد كسرونا فى ٤ سبتمبر ١٨٨٤م كسرة شنيعة ومـن بعدها لم يكن شيئاً يذكر . ومجمـوع ما اطلقنـاه من الرصاص إلى الان ٣ ملايين رصاصة ، والسراى احسن محل لاطلاق الرصاص . مع العرب هنا مدافـع كروب ، وقد عطلوا وابوراتنا مراراً وغنموا وابورين صغيرين فى بربر ، ووابوراً فى النيل الأزرق ، وبنينا نحن وابورين جـديدين وصفحنا جـميع الوابورات وقوينا الحصون بالالغـام والشباك الشرخجية . ندفع مرتبات الجند شهـراً ، شهراً ، فغير متأخر لهم الا راتب نصف شهر . وقد استعملنا عملة الورق ، وانفقنا جميع الثياب التى فى المخازن .

الاسرى الذين مع المهدى كلهم بخير ، وقد تزوج الراهبات زواجاً ظاهرياً بالاروام تخلصاً من التزويج بالعرب . سلاطين مع المهدى . والمهدى لم يصادره فى ماله . بل ابقاه

له ، وهو يحسن معاملته ولكني سمعت اليوم انه مقيد بالحديد.مع المهدى رجل فرنساوى جاه بطريق دنقلا ولا اعلم سبب مجيئه . وقد صنعت مدالية وجعلتها ثلاثة انواع ، ذهب وفضة وقصدير ووزعتها على أهل الحامية .

يقـــول كتشنر انه ارسل عدة رسائل لم يصله جوابها مع انى ارسلت فى الشهـــر الماضى عشر رسائل على الاقل . يسافر الوابور بكتابى هذا نهار غد إلى المتمة ويرسل لكم من هناك مع جاسوس. لاتدعوا العساكر المصرية تأتى إلى هنا ، استلموا قيادة الوابورات منهم واخرجوهم منها فأنه لافائدة بهم)

رد وولسلى على غردون

وصل خطاب غردون إلى وولسلى يوم ١٨٨٤/١١/١٧م وكان حينها داخل الحدود السودانية فى طريقه إلى دنقلا ، فرد على غردون فى نفس اليوم . الرد كان من نسختين ، نسخة ذهبت عن طريق الدبة بواسطة كابتن كتشنر ، والأخرى عن طريق مروى بواسطة كولونيل كولفل (الضابطان كانا يعملان حينها بسلاح الاستخبارات) .

ان نسخة كولفل هى التى وصلت إلى نصحى باشا فى شندى ، فارسلها على الباخرة البردين إلى الخرطـــوم .

عندما اصبحت البردين على مشارف الخرطوم ، فرح غردون الذى راها بنظـــارة ميدانه من سطح قصره ، واعتقد ان الجنود الانجليز قد وصلـــوا . عندما وقفت البردين على رصيف القصر ، نزل قبطانها ولم ينزل الانجليز ، فخابت امال غردون الذى ســـعد للحظات بحلم وصول بنى جلدته . ان الخطاب الذى حملـــه القبطان ، كـــاتبه كـــان يعتقد ان خطابه لامحالة واقع فى يد المهدى ، فكتبه باسلوب معلمة حضانة اطفال . يقول

لورد وولسلى قائد حملة النيل فى هذا الخطاب المؤرخ السابع عشر من نوفمبر ١٨٨٤م(١):

(وصلنى كتابك بتاريخ ٤ الجارى « نوفمبر » وهـو أول كتاب اخذته منك إلى الان . وساكون فى دنقلا بعد اربعة أيام ، ويكون الجيش كله بين الدبة وامبقول فـى ٧ يناير ١٨٨٥م ، ولست اعطيك تفصيل القوات التى يتألف منها الجيش ، ولكن تأكد انها كافية لسحق محمد أحمد وانصاره ومحو ذكره من الوجـود . وكلما زاد عـدد مقاتليه زاد سرورنا لانه بذلك يزيد قتلاهم . ويود جنودى ان يثبت المهدى فى سـاحة الحرب ، لانهم يحبون القتال ، ويعظم اسفهم إذا قطعوا هذه المسافة الطويلة من بلادهـم ولم يجدوا فرصة لقتل محمـد أحمـد والفتك بانصاره . أما أنا فقد رايت سفك دماء كثيرة فى زمانى وأفضل ان تنتهى المسألة سلمياً وذلك بمسامحـة محمد أحمد فيما مضـى وجعله سلطاناً مستقلا عن كردفان يكون الملك فيها له ولاولاده مـن بعده ، وبتأسيس حكومة وطنية فى الخرطوم يكون الحاكم فيها مستقلا عن مصر ، وحكمه وراثى فيملك دنقلا وبربر والخرطوم وتعود انت إلى انجلترا .

أما إذا كان محمد أحمد احمقاً وابى الا الحرب فانى ادع عساكرى ينالوا مأربهم منه وهم نخبة جيشنا المظفر وصفوته ، وهم الان سائرون برا وبحراً إلى دنقلا . لم اكتب هذا إليك فى الجفرة لانك تقول اضعت مفتاحها . ابعث برسلك الينا فى كل اسبوع واخبرنا بجميع احوالك ونحن نكافىء رسلك الذين يأتوننا بكتب منك بكل سخاء).

ضرب الحسينية والاسماعيلية .

فى الثامـن من نوفمبر امر غردون الباخرتين اللتين لديه بالخرطوم - الحسينية والاسماعيلية - بطـرد الانصار من امـام حصون امدرمان وتغطـية انسحاب جنود الحامية الى الباخرتين والرجوع بهم الى الخرطوم .(٢) تقدمت الباخرتان تجران معهما

١ - شقير ٨٣٨ .

٢ - جورنال غردون ٨٤٠١١٠٨ - كرامة انجلترا ص ١٥٦ .

صنادل(١) وتحملان جنودا . عند وصولهما الى نقطة التقاء النيل الازرق والابيض خرج جنود حصن امدرمان طالبين الباخرتين (٢) ، ولكن الانصار الذين عرفوا الخطة التي رسمها غردون مع قائد الحصن بعلامات البرق التي كان يعرفها بعض الثوار ، فتحوا مدافعهم على الباخرتين وهجموا على الجنود . رجع الناجون من الجنود الى حصنهم ، واصيبت الاسماعيلية وجنحت الحسينية في ملتقى النهرين استمر الضرب عليها بالكروب فقتل كثير من بحارتها وجنودها بما فيهم قمندان الباخرة مصطفى افندى . زارها غردون في المساء فلم يجد بها منفعة . بقيت الباخرة هناك الى ان غرقت في الرابع والعشرين من نوفمبر ١٨٨٤ .

ثيران أبي عنجة تفجر الالغام

عندما تقدم حمدان ابوعنجة بقواته عازلا حامية امدرمان من النيل تعرض لنيران كثيفة منها ، ولكنه استغل الليل لبناء قلاعه واستحكاماته وحفر خنادقه. انه بنى طوابيه بشكل يقيه من الحامية والبواخر

كانت هذه الاستحكامات مكتملة في صباح الثاني عشر من نوفمبر عام ١٨٨٤. فبقى بها خمسة وخمسين يوما الى ان استسلمت الحامية .

في الثاني عشر ، والثالث عشر ، والرابع عشر من نوفمبر ، كان ابوعنجة يقوم بهجوم يومى على الحامية بواسطة الثيران . جعل ابوعنجة الثيران تسير فوق الالغام فتفجرت منها اعداد كبيرة . الامكنة التي تفجرت الغامها ظلت مكانا سهلا للعبور الى القلعة لو قدر لها ان تؤخذ عنوة ، فقد كان من غير الممكن لقائد الحامية ان يزرع الغاما جديدة . مائة وستون من الثيران لم تصادف الغاما ووصلت الى الحامية. استطاع فرج الله باشا ارسال مائة وثلاثين منها الى الخرطوم ، فسلمها غردون لجنوده .

---

١ – الكردفاني ص ٤٥

٢ – الكردفاني ص ٤٥ .

المهدى يكتب إلى قائد حامية أمدرمان (١)

فى الثامـــن عشر من نوفمبر ١٨٨٤ ، كتب الامـــام المهدى خطابا الى قـــائد حـــامية امدرمـــان بطريقته التى يعكس فيها شخصيته الخالية من الحقـــد، كتب المهدى يقول :-

(الى احبابى المكرمين المعظمين وأهـــل الدراية ، وهم كبير العسكر وعظيمهم فرج الله وصاحـــبه عبد النبى ، ومـــن انضم اليهم من الاكـــابر والاصـــاغر)

الى ان يقول :-(واظن قد بلغكم انذاراتى سابقا ، فـــلا فائدة مـــن التطـــويل . فان سلمتم فقد عفونا ورضينا عليكم وكنتم من الاصحـــاب المكرمـــين الذين لهم عند الله حســـن المكانة الابدية . فـــلاتظنوا فينا الانيلكم مـــنا كل خير ، فانى المهدى المنتظر ، خليفة نبيكم صلى الله عليه وسلم ، فأبشروا بالكرامـــة والفخامة ، ان سلمتم لى واتبعتمونى .)

خطاب وولسلى إلى جنوده

فى الثامـــن عشر من نوفمبر شعر لـــورد وولسلى ان ســـير قواته ليس حثيثا فكتب خطـــابا الى قـــواته التى اصبحت فى خـــط أوله فى اســـيوط واخره فى دنقلا . يقول وولســـلى فى هذا الخطاب : (٢)

(وما تســـمح لنا المروءة ان نتركه " غردون " يلاقـــى مالاقـــاه رفيقه المقدام اســـتيوارت ، الذى غدر به الاهلـــون وقتلوه ، وهو مجد فى القيام بمهمة خطيرة حرجة .)

---

١ - الكردفانى ص ٣٤٣ .

٢ - شقير ص ٨٤٠ .

اعدام العـوام

الداعـية الى الثورة الشـيخ احمد العوام لم يتوقـف عن مناصرة الدعـوة المهـدية . وبوصول الامـام المهـدى الى ديم ابى سعد زاد مـن حربه لغردون وبطانته. وقد استمر يكذب فى دعوة غردون بان جيشا انجليزيا فى طريقهالى الخرطوم. قبض عليه غـردون بتهمة انه اقـنع امـرأة بالقـاء جمرة على مخزن السـلاح من الشباك وان المـرأة بعد القبض عليها دلت على محرضها . ومهما قيل عـن تلفـيق أو صـدق هـذا الاتهام ، الا ان غـردون كان يريد التخلص منه . عملية اعدامه لم يحدد لها يوم خاص خوفا مـن ثورة شعبية يقـوم بها من يؤيدونه . عندما تـم الاعدام حـدث بمنزله ليلا .

استشهـد العـوام تاركـا وراءه قصائد شعر تحض على الثورة ، والرسـالة التى حملت اسمه " رسالة العوام " (١) والتى طبعت بمطبعة الحجر ابان المهدية .

كبار رجال الخرطوم يؤيدون المهدى

روح الثورة التى بثها الشـيخ احمد العوام فى المدينة ، قادت كبار رجـال الخرطـوم لجمع مـال كثير وارساله مع خطاب الى الامـام المهدى . بينوا فـى خطابهم عـدم تمكنهم من مغادرة الخرطوم والانضمام إليه ، ولكنهم سيعملون على تقويض الحكم التركى بالمدينة .

المـال الذى جمعوه سلموه مع الخطاب لعبد يملكه مـدير الخرطوم ، وسـلم تصريحـا بالمرور من فرج الزينى بحجة انه ذاهب الى جزيرة توتى لشـراء ذرة . خـرج الرجـل الى توتى ، ومنها الى امدرمـان حيث تمكنت دورية لحامـية امدرمان من القبض عليه وارجاعه الى غـردون .

١ – الاسم الكامل للرسالة (نصيحة العوام للخاص والعام من اخوانى أهل الايمان والاسلام .)

الذين اشتركوا فى تحرير الخطاب وامضائه خمسة عشر رجلا هم :

١ . احمــد على بــك جــلاب – مدير الخرطوم .
٢ . محمد ســرور – كاتب الضبطية .
٣ . ابوبكر بك الجركوك – عضو محكمة الاستئناف وتاجر مواشى.
٤ . عثمان بــك مكوار – تاجر مواشى .
٥ . الخليفة ود ارباب – من الشيوخ الاعيان .
٦ . احمد بك دفع الله – عضو محكمة الاستئناف .
٧ . زميمى بك جــلاب – اخ مدير الخرطوم وعضو محكمة الإستئناف.
٨ . الشيخ محمد الامين الضرير – شيخ الاسلام .
٩ . ابراهيم افندى شــاكر – تاجر .
١٠ . محمد عبد الرحمن البشير – تاجر .
١١ . ادريس بك النور – عضو محكمة الاستئناف .
١٢ . الحاج ناصر ابوحسوس – من الاعيان .
١٣ . الفضل ابراهيم – باشكاتب محكمة الاستئناف .
١٤ . درويش قــبانى – وزان الخرطوم ، وهوالذى كتب الخطاب.
١٥ . احمــد قبانى – اخ وزان الخرطوم .

بعــد التحقيق قرر غــردون اعتقالهم فى غرف ، باستثناء مدير الخرطوم واخيه وشيخ الاسلام وادريس النور الذين وضعوا فى اعتقال منزلى . لم يسمح لاحد بالاتصال بهم . عين غــردون ابراهيم فوزى مديرا للخرطوم .

تأزم الموقف الغذائي وسرقة المخازن

في الحـــادى عشر مـــن نوفمبر اكتشف غـــردون ان ثلاثين تاجرا يسرقون بانتظـــام من مخازنه ، وان ماتبقى مـــن البقسماط يكفى لشهر واحـــد. بعد أيـــام قليلة وجـــد ان حسين سرى ـ اكثر مخزنجى يثق فيه ـ كـــان يـــسرقه أيضـــا .

في نهـــاية الشـــهر قســـم غردون ثلاثين ألف اقة من البقسماط على رجال الترسانة كمكافأة لهم على عملهم ليل نهـــار لصنع الباخرة " زهران " ـ ابدل الاســـم الى " الحسينية " . أيضا قســـم ثلاثين ألف أقة من البقسماط على الجنود لقتالهم المستمر . بعـــد ذلك وجد ان مخازنه قد خلت تمامـــا من البقسماط . في حين ان الاوراق تثبت ان بالمخازن ستة وستين ألف أقة منه .

امـــر غـــردون بوضع ناظـــر المخازن والوزان في السجن . وطلب من مأمـــور المـــالية ان يكـــون محكمة برئاســـته للتحقيق في اســـباب النقص .
ادانت المحكمة الرجلين بالســـرقة . الاول حكم عليه بالسجن ، والثانى بمصـــادرة جميع ممتلكاته .

غردون يكون لجاناً لاحضار غذاءات

عندمـــا علم غـــردون انه لاتوجد غذاءات لجنوده لشهر ديسمبر ، كون لجنة برئاســـة فـــرج باشا الزينى للاستيلاء على الذرة من جزيرة توتى .
اعقبهـــا بلجنة أخرى برئاسة الخواجة نيكولا ليونتيدس قنصل اليونان ، لجمع ذرة من السكان

اللجنة الاولى جمعت مـــائة وستين اردبـــا ذرة من توتى ، والثانية جمعت ثلاثمائة اردب مـــن الذرة من الخرطوم . كل شخص وجدوا لديه ذرة ، تركوا له قوت

عشرين يوما واخذوا الباقي . من يستولون منه على اردب من الذرة يكتبون له ايصالا باثني عشر جنيها يصرفها عند قدوم الانجليز .

اعطيت الذرة للجنود لشهر ديسمبر .

كل الذى بقى لغردون من الاغذية ، هو ١٨٠٠٠ أقة من البقسماط كان قد وضعها فى مخازن للظروف الطارئة بشكل خاص .

خطابات إلى خشم الموس ومحمد نصحى

كتب الامام المهدى فى الخامس من صفر ١٣٠٢هـ - ٢٤ نوفمبر ١٨٨٤ خطابا الى الخليفة عبدالله التعايشي ، يطلب منه فيه كتابة خطاب (الى أهل البوابير) يطلب منهم التسليم ويضمن لهم أموالهم والعفو عنهم ، ولكن أموال الميرى والسلاح يسلم.(١) ان أهمية تلك البواخر فى مساعدة الانجليز على تفادى حصار قوات الثورة ، كانت ظاهرة للامام المهدى منذ البداية .

ان الامام المهدى فى نفس اليوم الذى كتب فيه للخليفة كتب هو أيضا خطابا الى خشم الموس يقول فيه :-

(الى خشم الموس بك وكافة من معه من الضباط والعساكر اللذين بالوابورات بجهة شندى والمتمة) .

ويذهب فى خطابه الى ان يقول : (واظن انه بلغكم انذاراتى سابقا فلافائدة حينئذ من التطويل . فان سلمتم عفونا ورضينا عليكم وكنتم من الأصحاب المكرمين الذين لهم عند الله حسن المكانة الابدية ، وجميع اموالكم التى بأيديكم فى الوابورات والتى بالبر تكون لكم ، ماعدا حق الميرى الخاص ، وأسلحته الخاصة فلا تظنوا فينا الا نيلكم منا كل خير) .

---

١ - ١٨٨/ف ٢ - دار الوثائق المركزية الخرطوم .

أيضـــا تســـلم خشـــم الموس خطابا من الخليفة عبد الله ، فيه مناقشـــة دينية لاقناعه بعـــدم الذهـــاب الى الانجليز ، وان يسلم .

تســـلم خطـــابا آخر من الامـــير محمد الخير عبدالله خوجلي يقول لـــه فيه :ـــ (ان المهدى غير مدع ولا محتال ، وانمـــا هو قائم بدعوته رفعـــا للمسلمـــين .) وتسلم كتبا من امـــراء شندى ومن بعض الســـناجق والمقاديم يذكرونه بما فعـــل الانجليز بمصر ، وما حدث لعرابى .

قاضي شـــندى محمد احمد عوض ، والامير احمد المصطفى والامـــير احمد حمزه وغيرهم ، كلهم كتبوا الى نصحى باشا وخشم الموس ، ولكنهما ظـــلا مع غردون. ان محمد نصحى باشا فى رد له على خطاب الامير احمد حمزة قال له :

(نحن لانقبل مثل هذه المخادعات ، وتلفيقاتكم هي اوهى مـــن بيت العنكبوت ، ولاترسلوا لنا بعـــد هذا مخاطبات ، الا اذا كانت بشأن دخولكم في الحكومة . . . وان قبلتم نصيحتى ، دعوا الناس يذهبون لمـــواشيهم).

ورغم ذلك كان محمد نصحى يحمل في وابوراته الخطاب الذى يطرده فيه غردون

غردون فكر في احراق بربر والسودان يصبح مستعمرة بريطانية .

فى الخامـــس والعشرين من نوفمبر ١٨٨٤ اتت البردين مـــرة أخرى الى الخرطوم. واجهت الباخرة نيرانا فى الحلفايا استمرت ثلاث ســـاعـــات . عندمـــا وصلت الى مواجهة طابيتى امدرمـــان ، انهـــالت عليها الدانات بشكل كثيف ، واخترقـــت احـــداها مرجل الباخرة .

غردون الذى كان يشاهد المعركة من سقف قصره ، ارسل الاسماعلية لجرها .

اعتقــد غــردون ان الباخرة تحمل انجليزا ، فرفع الاعــلام وضرب المدافع احتفالا بســلامة وصولها . . . . . ولكنه لم يجد انجليزا . وجد تلغرافين وخطابات واخبارا تقول ان الانجليز لازالــوا في امبكول .

التلغــراف الاول مــن لورد قرانفيل وزير الخارجية البريطــانية ارسله في يوليو ١٨٨٤ ، ويســأل عن الاحــوال في الخرطوم .

التلغراف الثاني فيرمــان مــن الخديو توفيق كتبه في سبتمبر ١٨٨٤ ، يخفض فيه رتبة غــردون من حكمدار عمــوم السودان الى حكمدار السودان فقط . ثم الفيرمان يضع غردون تحت سلطة الحكومة البريطــانية .

ان الحكــومة البريطــانية استطاعت تضليل الخديــو ، بان تعــديل فيرمان تعيين غردون الاول مهم لازالة أى تعارض بين سلطات قائد حملة النيل وغردون . الــذى عرفه الخديو او لم يعرفه ، ان السلطات التي وضعها في يد الحكومة البريطانية لــن يســتطيع ، من جانبه وحده ، الغاءها .ان نص فيرمان سبتمبر ١٨٨٤ هو (١) :
(من صاحــب السمو الخديو الى غردون باشــا .
تلقيت تلغرافكم ، وشــكرا على ماقمتم به ، واهنئكم على الشجــاعة والمهارة التي اظهرتموها. كل ماقدمتوه لنا قمنا برفعه للحكومة البريطانية .
وابلغكم الان ، ان تبدلا كبيرا قــد حدث منذ ان نصحت الحكومة المذكورة بالجلاء عن السودان ، ومنذ ان انقطع الاتصال بكم ، ولكن القوات البريطانية سوف تحتل دنقلا قريبا ، وكولونيل "جيرم سايد" ــ حاكم سواكن ، قد أمر بأن يقــوم بالاتصال بالقبائل بالنسبة الى كــسلا . أيضا ميجور كتشنر ــ احد ضباط جيشــي الجديد ، قد امر ان يقوم بمشاورات في دنقلا ، ونرجوا ان يتمكن عما قريب من فتح طرق الاتصال بكم .

١ ــ يوميات محمد نصحي باشا ص ٢,١٩٠ ، الملخص في كزرامة انجلترا ص ٢٢٤ .

مـــرة أخرى ، تحت هذه الظروف يصبح مهما ان يعـــدل الفيرمـــان الذى اعطيناه لكم ، وعليه تكون سلطاتكم الان قد حصرت فى ان تكون حكمدارا على السودان بما فى ذلك الخرطوم وسنار وبربر ومـــا يجاورها .

أيضا لاترســـل بواخـــر فى حملات عســـكرية جنوبا بالنيل الابيض لانقاذ بحر الغزال وحاميات الاستوائية ، الى ان تتسلم أوامر جديدة .

عليك ان تفعل كل مافى وســعك لاحضار حامية سنار الى الخرطوم . أيضا نحـــن راضون عما ورد فى تلغرافكم الاخير بخصوص رغبتكم فى سحب حامية كـــسلا الى الخرطوم . ونحن شاكرون اذ نعلم انكم قد تخليتم عن فكرة حرق بربر ، الشىء الذى نحن لانقره ولن نوافق عليه .أيضا ستتلقون التعليمات المهمة من الحكومـــة البريطانية عبر سير ايفلن بيرنق ولورد وولسلى ، الذى عين قائدا على الحملة الانجليزية والذى الان بالقاهرة)

حـــاول غـــردون ، عندما سمع ترجمة الفيرمـــان الذى كان مكتوباً بالعـــربية ، ان يوهم سكرتيره انه لم يفهم النص .

غردون يدشن الباخرة الزبير .

دشن غـــردون فى السابع والعشرين من نوفمبر ١٨٨٤ باخرة جديدة بوضـــع الاسم عليها قبل اكتمالها . اسماها الزبير ليوهم الناس ان الزبير باشـــا الى جـــانبه . كانت هـــناك باخرة أخرى تحت الصنع تسمى شبين .



مخزن غردون وأغذية حامية أمدرمان

في الرابع من ديسمبر كـــانت مخـــازن غـــردون – بمـــا فيها مخـــزن الطـــوارىء – خاوية مـــن الاغذية ، رغم ان أوراق المخزن تقول ان بها ٨٣٥٢٥ اقه من البقسماط ، و ٥٤٦ اردباً من الذرة .

الاغذية التى بقيت بحامية أمدرمان تكفى لاثنى عشر يوماً . بدأ قائد الحامية فى تقليل المـــواد المصروفة للجنود لتمديد مدة البقاء .

محاولة مماثلة حدثت بالخرطوم ، ولكن غردون كان يخشى تمرد بعض قواته ، بسبب نقص الاغذية .

طبع بونات أخرى

تمت طباعة بونات أخرى قيمتها ستون الف جنيه ، صرف منها غردون مرتب ستة اشهر كحافز لكل الجنود والضباط والموظفين ، كما وعد بانه سوف يهتم باحضار اغذية .

ترقيات فى حامية أمدرمان

لتشجيع رجال حامية أمدرمان التى اشتد عليها الحصار ، قام غردون بترقيـــات كثيرة بينهم . اسبغ على فرج الله بك رتبة الباشوية ، وطلب منه ترشيح من تجب ترقيته. ارسل فرج الله له جميع اسماء الضباط وصف الضباط والجنود . غردون قام بترفيع رتبهم.

اكبر الرتب (بلغة اليوم) كانت :–

رائد أول خليل افندى عماره ، رقى إلى رتبة مقـــدم .
رائد أول مصطفى افندى عصمت ، رقى إلى رتبة مقـــدم .
رائد حسين افندى محمـــود ، رقى إلى رتبة رائد أول .
ملازم محمـــود افندى كريم ، رقى إلى رتبة نقيب .

سكان الخرطوم الذين خـــرجـــوا لمعسكر المهدى

عدد سكان الخرطوم الذين خرجوا بموافقة غردون أو برشوة الحراس قد بلغوا عدداً ضخماً . ان العدد الذى يحدده غردون بانه ذهب بموافقته هو خمسة الاف ، ولكن العدد الذى يظهر من الاغذية التى كان يقدمها امير بيت المال ، الامير أحمد سليمان ، بناء على أوامر المهدى قد كانت ضعف هذا العدد .

اهتم الامام المهدى بكل الذين خرجوا من معســكر غردون . فعندما كان غردون يطرد المكفوفين والنساء والمعمرين والمرضى ، كان المهدى يقيم لكل مجمـوعة معســكراً ويمده بالاغذية والكساء .

الغذاء فى معسكر المهدى .

الغذاء فى معســـكر الامام المهـدى كان من مصادر شتى ، أهم هذه الاغذية الكميات الضخمة التى اتى بها القادمون من الغرب من الابقار والجمال والخراف .

الذرة كان يقدمها المواطنون على ضفتى النيل الابيض ، وتحضر إلى المعســكر بالمراكب وبالبـاخرة « محمد على » التى اسـتولى عليـها الثوار فى فداسى وكانـــوا يسمونها « كاوكاو » لصوتها . ولكن الاعداد الضخمة من الثوار بجبهة الحصار وبمعسكر المهدى كانت تستنزف كميات هائلة منها . انها الغذاء الرئيسى لهذه المجموعات التى جاءت مجاهدة فى سبيل الله ، فكانت تأكل الذرة المبللة بالماء أو تغليها فى الماء ، وفى حالات أخرى يطحنونها ويأكلونها بادام من البصل « والويكة » . وفي حالات اقل يستعملون اللحــوم والالبان. ارتفع ثمـن الذرة قليلا ، عندما يتم شراؤها من التجار ، ولكن بيت المال كـان دائماً موجوداً لمد كل محتاج بها عيناً أو نقداً من مال الله .

غردون و جورناله وخطة هجوم

حضور الانجليز ، والنظر بنظارة الميدان مـن سـقف السراى ، ونقص الاغذية وانعدامها ، كانت كل مايشغل وقت غردون وتفكيره .

التفكير فيما سيفعله ، قاده إلى فكرة تدبير هجوم على مخازن اغذية الثوار بالجريف . تدبير الجنود كان أمراً صعباً ، فأى عـــدد مـــن الجنود يأخذه من الإستحكامات يمكـــن ان يؤدى لهجوم على المدينة قد يقـــوم به النجومى .

قرر بعد تفكير عميق ، شغله عن كتابة جورناله يوم ٢٤ ديسمبر ولم يعد لكتابتـــه بعدهـــا ابداً ، سحب مجموعـــات من كل فرقة يملكها على الاستحكامـــات ، ووضع بدلا منهم مجموعات من المقاتلين المتبرعين من الاغريق والأجانب وسكان الخرطوم الذين يستطيعون القيام بأى عمل قتالى .

الانجليز يتحركون من معسكرهم بكورتى

فى السابع والعشرين من ديسمبر اصدر لورد وولسلى من معسكره الجميل بكـــورتى أوامره بتكوين طابورين ، الأول يسمى طابور الصحراء بقيادة ســـير هيربرت استيوارت والثانى يسمى الطابور النهرى بقيادة ميجور جنرال ايرل . الأول يذهب بالصحراء لاحتلال المتمة ، والثانى يذهب مع النيل للانتقام من المناصير ، والالتقاء بامداد يأتى من مصر فـــى أبى حمد ، والتوجه لاحتلال بربر بمساعدة الطابور الأول .

خطابان مـــن غردون

فى الثلاثين من ديسمبر وصل خطاب من غردون إلى قائد حملة النيل لورد وولسلى مع جاسوس ، وفى حجم طابع البريد . ان الرسالة الصغيرة تقول «ان الخرطوم على مايرام – ٨٤/١٢/١٤ » .

ولكن هذا لم يكن كل شيء يحمله الجاسوس . انه حمل خطاباً اخر خيط فى رأس مقود بعيره . هذا الاخير يتحدث عن قلة الحبوب والبقسماط وعدم وجود سمن وتمـــر واللحم قليل ويقول .«عليكم بالاسراع عن طريق المتمة أوبربرولكن لاتتركبربرخلفك (١)».

---

١ – اوراق وولسلى – كرامة انجلترا ص ١٦٨ .

تحرك استيوارت من كورتى

فى نفس اليوم أى الثلاثين تحرك سير هيربرت استيوارت بطابوره الصحراوى إلى جقدول

يكشف سر وعد حكومته بالتأييد

فى الثامن والعشرين من ديسمبر ١٨٨٤ ، حمل الجوع الذى ضرب المدينة وتأخر الانجليز ، غردون إلى كتابة خطاب شديد الانفعال إلى القوات القادمة . انفعاله قاده الى كشف سر الشروط التى بموجبها قبل ان يأتى إلى السودان . اننا سنلاحظ فيمابعد ان ملكة انجلترا التى كانت منفعلة هى الأخرى ، قد كشفت هذه الشروط وهى التأييد العسكرى له فى عمله الذى يظهر واضحاً فى هذا الخطاب وهو اخماد الثورة السودانية وليس سحب الحاميات المصرية .

ان خطاب غردون هذا الذى كتبه فى الثامن والعشرين من ديسمبر يقول (١) :
(إلى كل القوات المتحالفة ، من غردون باشا .

ارجو ان ارفع اليكم سلامى ، واعلمكم اننى فى حالة حسنة بارادة الله ، ولكنى سأتجاسر بارسال هذا التلغراف إلى الجمهور ، لانى لااهتم لشىء بعد مارأيت مارأيت. تعجبوا ياملوك الحكومة البريطانية والعثمانية اللتين احضرتانى لكى اصبح حكمدار عموم السودان لاخماد الثورة . الان انا هنا منذ عام خلاله لم تسألا عنى ، وتنظران بعين الرضاء لتلغراف حسين خليفة الذى برغبته مع سبق الاصرار تخلى عن المديرية ، فى حين احدى مملكتيكم عرفت بثرائها ، والأخرى بقوتها .

وعليه اقول ، رغم انى غير مهم فالحكومتان كان عليهما ان تلتزما بالشروط التى بموجبها ارسلت إلى هنا . اعنى الحفاظ على شرف الحكومة .
انى رأيت اهوالا لااستطيع سردها لكم . ان الله معى وان الله لقوى .
التاريخ ٢٨ ديسمبر ١٨٨٤م غردون)

---

١ - يوميات محمد نصحى باشا ص ٢,١٩٩

الامام المهدى يرسل السروراب إلى السبلوقة

فى الحادى والثلاثين من ديسمبر ١٨٨٤م ، اصدر الامام المهدى أوامره إلى جيش السروراب بقيادة الشيخ المصطفى الامين امحقين والشيخ أحمد فايت بالتوجه إلى السبلوقة لحصار مضيق النيل هناك . الحق بهم اميراً من السوراب (١) كان قد وافق على تعيينه اميراً على أهله ولكنه بعد ان كتب خطاب ارساله إلى أهله ، رأى ان يرسله مع السروراب إلى حين القضاء على الاعداء القادمين . يقول المهدى فى خطابة بتاريخ ١٢ ربيع أول ١٣٠٢هـ – ٨٤,١٢,٣١ ، إلى احمد محمد خير امير عموم الشايقية(٢) : (ثم نعرفكم انه على مقتضى خطابكم الوارد فى مادة العطا ، قد اجرينا تعيينه اميراً على كافة من يرغبه من أهاليه) .

ثم فى ملحق الخطاب حاشية يقول الامام فيها : (استقر الحال ان العطا ، قد وجهناه مع مصطفى الأمين وأحمد ود فايت لجهه السبلوقة لاجل محاصرة البوابة ، وان شاء الله بعد نهـو اللازم هناك يعود لكم هو وجماعته وبذا لزمت التحشيه).

المهدى يكتب إلى السروراب والسوراب

ان الظلم الذى حاق بسكان ضفتى النيل حيث بواخر غردون بقيادة محمد نصحى وخشم الموس ، تقصفهم بالمدافع وتحطم سواقيهم وتنهب ممتلكاتهم ، قد حملته على ان يكتب إلى قوة الشيخ المصطفى الأمين خطاباً ساعة تحركه يذكره ومن معه بشروط الهجرة فى سبيل الله .

(يقـول المهدى فى خطابه بتاريخ ١٢ ربيع أول ١٣٠٢ – ٣١ ديسمبر ٨٤ «٣» .

(فمن العبد المفتقر إلى الله محمد المهدى بن عبد الله إلى كافة احبابه فى الله انصار الذين المتوجهين برفقة أحمد المصطفى الأمين وأحمد ولد فايت والعطا محمد دود لجهة السبلوقة ،

---

١ – ١٧ صادر ١ ، دار الوثائق المركزية ، الخرطـوم .

٢ – ارجو ملاحظة الفرق بين السروراب وهم فرع مـن الجعليين الذين قادهم الشيخ المصطفى الأمين والسوراب وهم شايقية أهل العطا محمد الدود .

٣ – صادر ١ ، دار الوثائق المركزية .

حيث لايخفى عليكم ان الظلم نار ودمار وهو محرم كتاباً وسنة وليس مـــن دأب الأخيار ، انما هو طريق الكفار الفجار .

انصار الله ، وقد خرجتم في سبيل الله فاحذروا من فساد هجرتكم وصونوا انفسكم من التعرض للناس في حقوقهم واموالهـــم بالطـــريق لغاية وصولكم ذهاباً واياباً . كذلك واعلموا ان من تعدى على أحد في نفسه أو ماله بغير وجه حـــق فنحن غير راضين عليه ، لابد ان الله ينتقم منه في الدنيا قبل الاخرة . هذا ولايحصل منكم مخالفة للعملاء المذكورين في أمرهم ونهيهم بوجه من الوجوه ، يكون معلومكم ذلك والله يتولانا واياكم) .

تأمير موســـى أبي حجل

في الحادى والثلاثين من ديسمبر أيضـــاً تم تأمير ابن زعيم الرباطاب موسى أبى حجل اميراً على أهله .

الامير موسى محمد مالك أبو حجل استطاع سريعاً ان يواجه طابور النهر ويصيبهـــم بخسائر فادحة .

ان المهدى بهذا التأمير قد ايد اقتراح التأمير الذى ورد مـــن امير الامراء محمد الخير عبد الله خوجلي امير مديرية بربر. خطاب المهدى بالتأييد يقول(١) : (وما اجريتموه مـــن تأمير اخينا الحسن سعد وموسى ابى حجل وغيرهم هو عين المقصود وسددكم الله للصواب).

عيد رأس السنة الميلادية

الحادى والثلاثون من ديسمبر كـــان يوم اربعاء ، ويصادف الثانى عشر من ربيـــع الأول ١٣٠٢هـ . الدقائق الأولى من العام الوليد والأخيرة من العام الفائت ، قضاها قـــادة الجيوش فى المليون ميل سودانى فى اعمال شتى :—

١ — صادر ١ ، دار الوثائق المركزية ، الخرطوم .

الإمام المهدى

كان معه خلفاؤه الثلاثة وجـملة مـن امرائه بينهم احمد سليمان يدرسون موقف غردون والخارجين من العاصمة المحاصرة وحملة النيل . ان القادة جميعاً متفقون مع رأى الامام المهدى ان الهجوم على الخرطوم سـهل ولكن ستفقد ارواح لاحصر لها يجب حقن دمائها.ان القوات المتعبة الجوعى بداخل تلك الحصون هم اضعف من مواجهة أى هجوم ، ولكن الضحايا سيكونون كثرا . والذى لاشك فيه ان الخرطوم يجـب ان تهاجم فوراً إذا اقتربت أى قوات انجليزية منها .

حديث القائد وخلفائه وامرائه قد طال حتى منتصف الليل على غير العادة ، ولكن احدا منهم لم يفكر فى السنة الميلادية ونهايتها الاعندما بانت لهم من بعيد الالعاب النارية التى اطلقت من الخرطوم .

امير الأمراء عبد الرحمن النجومى

لم يحضر اجتماع الامام المهدى مع الخلفاء والامراء وانما كان نائماً بطريقته الخاصـة فى معسكره قبالة بوابة الكلاكلة . ينوم ساعة ثم يهـب فيصلى ركعتين ثم يركـب جواده ويمـر على امرائه ومقاديمه ثم يعود ليعيد كرة النوم والصلاة والركوب .

جنرال غردون

جلس فى سقف قصر الحكمدارية وحيداً ينظر إلى الشمال وهو على مقعده . درجـة الحرارة منخفضة بعض الشيء ولكنه لن يلبس ملابس ثقيلة . انه قد تناول عشاءه اليوم من اللحم المعلب الذى لازال يملك منه الكثير . وقد نال معه من الوجبة فأر سمين كان يضـع له لحماً كل يوم فى صحن يوضع فى المكـان الذى كان يجلس عليه كولونيل استيوارت .

عندما شارفت الساعة منتصف الليل حسب ساعته الذهبية ذات السلسل التي اهداها له لورد ولسلى فى محطة تشيرنق كروس اطلق صاروخاً اخضر الضوء من مسدس ضخم ، تبعته قواته بألعاب نارية لمدة دقيقة

لورد وولسلى

كان يلبس للمناسبة بذلته العسكرية الكاملة ، وكان معه اركان حربه ميجور جنرال بولر وكبار ضباطه . اتى بولر بزجاجة شمبانيا لم يكن القائد مرتاحاً لها فقال لاركان حربه ، هل هى من الصناديق الستة والتسعين ؟ رد بولر ، واين هى هذه الصناديق !؟ انها ذهبت مع سير هيربرت ! أليس كذلك ؟ لم يظهر على القائد اقتناعه ، فهو يعرف انهـا ذهبت مـع سير هيربرت قائد طابور الصحراء ولكن ماذا يمنع ان تكون الزجاجـة قد أخذت من تلك الصناديق الخطيرة قـبل ذهابها عبر صحراء بيوضة؟ اضاف بولر سريعاً بشىء أكثر اقناعاً قال لقائده ، انظر إلى هذه الزجاجة ، انها صناعة مدينة « رايمـز » الفرنسية .

لم يهتم وولسلى كثيراً لشراب ضباطه فى هذه المناسبة ، بعد ان قال فى بداية قيادتـه ان الحملة ستكون جافة — يعنى بدون خمور .

بعض الضباط اتوا بقنانى كنياك فرنسى .

حضر هذا الحفل ضابط مصرى برتبة يوزباشي هو اسماعيل همت . لم يفهم اسماعيل كثيراً مما قيل فى تلك الليلة السكرى ، ولكنه عندما كان يفتح فمه متحدثاً ، تخرج الكلمات الانجليزية القليلة منه سميكة الحروف ، قصيرة الموسيقى .

كان هناك ملازم ثان مصرى يدعى موسى افندى حموده ، احتفل بالمناسبة مع ضباط صغار مثله ، ولكنه كان صامتاً تماماً . وولسلى على طول الحفل كان يدخن فى سيجار فخم ضخم ماركة هافانا .

سير هيربرت استيوارت

كان قائد طابور الصحراء بين كورتي وجقدول . وقـد تناول عشاءه اليوم بالبول بيف وشوربة لايعرف كيف صنعت . وقد اخرج ضباطه النبلاء زجاجات خمر كثيرة من خمر المائدة الاسباني والفرنسي. شربوا وفي ذاكرتهم أهلهم واحبابهم واحتفالاتهم ببريطانيا لم ينسوا ايضاً وجه الحسانية الجميل التي قبضوا عليها اليوم مع زوجها على ابو لوله .

بخصوص الطريق امامهم. انهم يذهبون وخلف عقولهم خوف دفين. ماذا لو اخطأوا الطريق في هذه الصحراء ؟ .

ميجور جنرال براكنبري

قضى المناسبة في مكان مقابل لجبل البركل ذي التاريخ الرائع المجيد . وتناول عشاءاً فاخراً . استمر بعده مع قادة طابوره يشرب في الشمبانيا المبردة في وعاء ماء والوسكي الدافيء الذي وضعت قنانيه في ماء ساخن .

قائد الطابور لم يحضر بعد . ولكن براكنبري – اركان حربه – يقـوم بقيادة الطابور على أحسن وجه .

الامير عثمان دقنة

كان الامير عثمان دقنة نائماً فليس أمامه الكثير الذي يشغله غير محاصرة سواكن . ولكن قواته على الجبهة . الممسحة بالدهن والمختبئة خلف الشجيرات بسيوفها الحـداد . رأت الالعاب النارية التي أمر باطلاقها حاكم سواكن الانجليزي ميجور جيرم سايد. عندما رأوا النيران الملونة بدأوا ينبهون بعضهم على محطات المراقبة البعيدة باصوات يقلدون فيهـا اصوات طيور الصحراء .

يناير ١٨٨٥م

هجوم على معسكر برى والجريف

في فجر الأول من يناير ١٨٨٥م نفذ غردون الخطة التي اتم الاتفاق عليها مع قادته. خرجت من بوابة برى قوة يقودها بخيت بك بطراكى ، تتكون من خمسمائة جندى أسود ، وأخرى يقودها محمد بك الملك الشايقى — أخ صالح الملك الذى استسلم فى فداسى — وتتكون من الف رجل من الباشبوزق .

في نفس الوقت خرجت قوة أخرى من بوابة المسلمية تتكون من خمسمائة جندى مصرى نظامي بقيادة يوسف أفندى عفت لحماية القوة التي خرجت من بوابة برى ، من أى هجوم عليها من قوات امير الامراء النجومى من جهة الكلاكلة .

الباخرة اسماعيلية تقدمت بالنيل الأزرق رافعة علماً ابيض وتسير بسرعة بطيئة لتضليل الانصار انها لاتعنى عدواناً . ماكاد الامير عبد الله النور قائد المعسكر يرى الباخرة والجنود يخرجون من بوابة برى ، حتى هجم عليهم هجوماً شرساً،فهرب بخيت بك بطراكى وجنوده ، ووقف محمد بك الملك وجنوده مكونين مربعاً ، واطلقوا النار على قوات الامير عبدالله النور المندفعة نحوهم .

تمكن الامير من اختراق المربع وبدأ في تصفيته ولكن ارجل قوات الباشبوزق كانت اسرع . انفكت هذه القوات من القتال وهربت داخله عبر بوابة برى .

الباخرة الاسماعيلية عندما رأت انشغال المجاهدين السودانيين بحرب المربع ، حاولت الوصول إلى الجريف وانزال قواتها بمعسكر النساء والمسنين للحصول على اغذية ، ولكن مدفع الكروب ماكاد يطلق أول دانة منه حتى رجعت الباخرة مسرعة إلى الخرطوم .

قتل فى هذه المعركة قائد مربع الباشبوزق محمد بك الملك وجملة من ضباطه (١) .

---

١ — الكرعوفانى ٣٢٧

محمد أفندى علت بعد خروجه من بوابة المسلميه ، شكل مربعاً وتقدم الف باردة ، بعدها تعرض لهجوم قوى من الثوار فاستمر يطلق نيران بنادقه .

ارسل فرج الزيني له اشارة بالرجوع ،ولكنه رفض الا إذا تلقى الامر من غردون.

عندما احس غردون بحرج موقفه وان القوات التى قامت بالهجوم الرئيسى من بوابة برى قــد هزمت ، امره بالرجوع فرجع .

محاولة غردون سحب حامية امدرمان

عندما اشتد الحصار والجوع الذى يفرضه الامير حمدان أبو عنجة على حامية أمدرمان، اتصل غردون بالحامية عن طريق الاعلام طالباً منهم الخروج فى الرابع من يناير لملاقاة الباخرة التى سيرسلها لاجلائهم .

فى فجر الرابع من يناير أمر غردون قائد الباخرة بالتوجه إلى شــمال أمدرمــان وانتظار قوات الحامية إلى ان يصلوه أو يقتلوا .

تحركت الباخرة نحو أمدرمان ، واخرج فرج الله باشا قواته (الكتيبة الثالثة من اللــواء الخامس) فى ثلاثة مربعات – لكى يقوم بالتغطية والتحرك .

النيران انهالت على الباخرة من بطاريات المدافع الثائرة فرجعــت ، واندفع الثوار نحو جنود فرج الله فى هجوم سريع . حاول غردون ارجاع الباخرة، ولكنها لم تستطع اختراق النيران ، فى حين ان قوات فرج الله اسرعت بالهرب إلى داخل الحامية ، مخلفة وراءها قتلى بينهم النقيب أحمد أفندى فهمى ، والملازم عبد النبى أفندى .

تحـــرير أمدرمـــان

اســتلام الحامية ٥ يناير ١٨٨٥ م

استمر قائد الحامية ، فرج الله باشا ، في اتصاله بغردون عن طريق الاعلام التى كان يرسل بها اشارات رسائله . عندما اقتنع قائد الحامية انه لا يملك غير التسليم لسببين الجوع والفقد بين صفوفه خير غردون بين أن يسلموا أو يخرجوا للقتال حتى آخر رجل . عرف غردون ان قائد الحامية انما قصد الأولى ، فسمح له بالإستسلام في صباح الإثنين الخامس من يناير ١٨٨٥ الثامن من ربيع الأول ١٣٠٢ هـ ، خرج ضابط يحمل علما أبيض من الحامية ، امر الأمير حمدان أبو عنجه بالسماح له بالقدوم. قدم وعرض التسليم فقبل الأمير . خرجت الحامية بعد رجوعه بقيادة قائدها وضباطه وجنوده . استقبلهم ، الأمير حمدان ، وامر القائد والضباط بالتوجه للامام المهدى الذى أحسن استقبا لهم وعفا عنهم. دخلت قوات ابي عنجه لاستلام الأسلحة وممتلكات حامية غردون بامدرمان .

ان الجـــردة لو كنت وحدى تموت ، خطاب من المهـــدى لغـــردون

في يوم الثلاثاء التاسع عشر من ربيع الأول ١٣٠٢ هـ ، السادس من يناير ١٨٨٥م كتب الامام المهدى إلى غردون خطابا يقول فيه :

(وبعد ، فمن العبد المفتقر إلى الله المعتصم به ، محمد المهدى بن عبدالله ، إلى غردون باشا . فسلم تسلم يؤتك الله اجرك مرتين ، وان اعرضت كان عليك اثمك واثم من معك فقد اتاني الخبر من الرسول ان الجردة الاتية لو كان معى ستة انفار تموت أو خمسة تموت أو وحدى كذلك ، ولو كانت مثل ورق الشجر ونبت الوعر وموج البحر وقد اتاني خبرها انها تموت ايسر من موت جردة الشلالى وهكس والمديريات الغربية كلها والبحر الابيض . وكذلك موعود بجميع البلاد . فالامر لله مادام ان الله القادر ايدني بالكرامات وبالنصر ، فلا يضرني انكار منكر وانما يضر نفسه فقط . والأمر الذى وعدت به من رسول الله صلى الله عليه وسلم صار . على ان الجردة التى تعتمدونها مالها وجه بوصولها لكم من سد الانصار الطرق . فان اسلمت وسلمت فقد عفونا عنك وكرمناك وسامحناك فيما جرى منك ، وان ابيت فلا قدرة لك على نقض ما اراده الله والسلام .

تحشـــيه : وان طلبت بعد وصـــول جوابى هذا فتخبرك المرأة الواصل إليك وان رأيت التمكين واليقين ان اردت التسليم ، أكثر من هذا الجواب ، سنرسل لك عبد القـــادر ود أم مريوم لزيادة الطمآنينة فى الأمان ، فلا مانع ، وبذا لزمت التحشية) . (١)

المهدى يعرض على غردون ارجاعه للانجليز

ارسل الامام المهدى خطابا اخر الى غردون ،بعد السابق بيوم واحد ،فى العشرين من ربيع الاول ١٣٠٢هـ السابع من يناير ١٨٨٥م ـ يقول فيه :

(وبعد فان اراد الله سعادتك وقبلت نصحنا ودخلت فى اماننا وضماننا فهو المطلوب ، وان اردت ان تجتمع على الانجليز الذين اخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بهلاكهم ، فنوصلك اليهم ، فالى متى تكذيبنا وقد رأيت ما رأيت. وقد اخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بهلاك من فى الخرطوم قريبا ، الامن آمن وسلم ينجيه الله ولذلك احببت لك ألاتهلك مع الهالكين ، لانا قـــد سمعنا مراراً فيك الخير ،ولكن على قدر ما كاتبناك للهداية والسعادة ما اجبتنا بكلام يؤدى الى خيرك كما نسمعه مـــن الواردين والمترددين . والان آيسنا من خيرك وسعادتك .

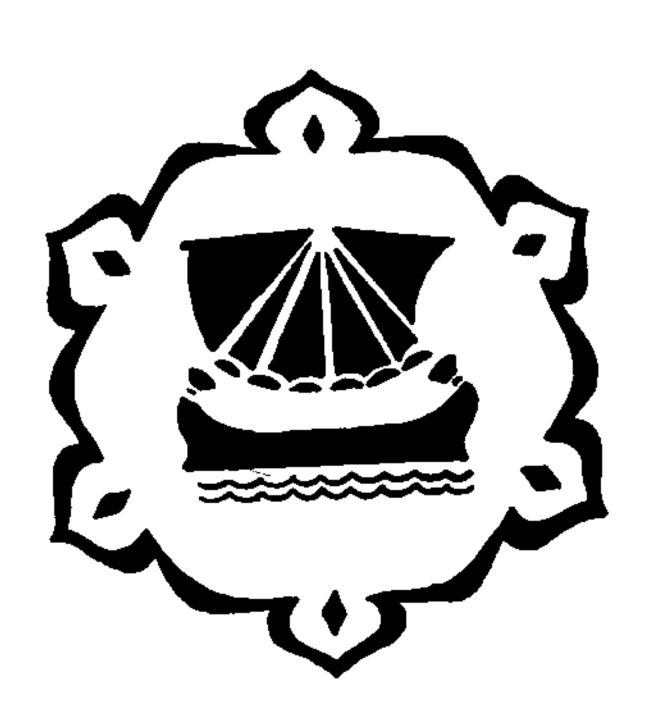
ولما سمعنا من الفضل فيك ، سنكتب لك اية واحدة من كتاب الله عسى ان ييسر الله هدايتك بها إذ جعلنا الله باب الرحمة والدلالة الى الله. ولذلك طالما كاتبناك لترجع الى وطنك وتحوز فضالتك الكبرى لئلا تيأس من الفضل الكبير اقول لك قال تعالى «ولا تقتلوا انفسكم ان الله كان بكم رحيما» والسلام، ٢٠ ربيع اول ١٣٠٢.وقد بلغنى فى جوابك الذى ارسلته الينا، انك قلت ان الانجليز يريدون ان يفدوك وحدك بعشرين الف جنيه، ونحن نعلم ان الناس يتقولون من البطال كلاما كثيراً ليس فينا، وذلك لصدود من اراد الله شقاوته، ولا يعلم نفيه الامن اجتمع بنا .وانت اذا قبلت نصحنا فبها ونعمت، والا ان اردت ان تجتمع على الانجليز فبدون خمسه فضه نرسلك اليهم والسلام فى تاريخه .) «٢»

١ ـ شقير ٨٥٦ .

٢ ـ شقير ص ٨٥٧ .

رد من غردون على خطاب السادس من يناير

رد غردون رغم عدم وجوده، الا ان خطاب المهدى الى غردون اللاحق يظهر انه تلقى منه ردا عن خطابه بتاريخ ٦ يناير ٨٥ . معلوم ان الرد كان عدم اذعان وطلبا لارسال الشيخ عبد القادر ام مريوم اليه . ان الشيخ كان قد صدم غردون عندما خرج من الخرطوم وبايع الامام المهدى، رافضا لوظيفة قاضى ألقضاة التى عينه فيها غردون حتى قبل وصوله للخرطوم . لم يستطع غردون ان ينسى هذه الاساءة، وكان يريد الانتقام منه بأى وسيلة، بعد ان فشلت وسيلته الاولى فى تخصيص جائزة لمن ياتى به على الطريقة الامريكانيه .. حيا أو ميتا . !



جهادى يفشى السر

في يوم الثلاثاء السادس من يناير ١٨٨٥ قدم الى معسكر امير الامراء النجومى احد جنود الجهاديه التابعين لغردون هاربا من المدينه الجائعه، حاملا سر الهجوم الذى يدبره غردون ليوم غد. ذكر الرجل ان غردون سيرسل غدا صباحا ثلاثة مربعات، واحد يخرج من بوابة برى لحرب الامير عبد الله النور، والثانى يخرج من بوابة المسلمية لضرب الامير عبد القادر مدرع، والثالث يخرج من بوابة الكلاكله لحرب امير الامراء النجومى.

الهجوم الاخير لغردون

في صبيحة الاربعاء السابع من يناير ١٨٨٥، خرجت قلعتان تتكونان من الف جندى باشبوزق وخمسمائه من الجنود النظاميين معهم اربعون فارسا وجنود اشارات بابواق. خرجوا من بوابة المسلمية بقيادة الرائد سيد امين ويتبعه محمد بك اسلام (المعروف بماتو).

سبب قيادة سيد امين لهذه القوة الكبيرة، هو ان فرج الزينى باشا وحسن البهنساوى بك اعتذرا مدعين المرض. فرج الزينى أحضر كل قادر على حمل السلاح بالمدينه الى خط الاستحكامات لكى يتمكن بنيران كثيفة تغطية رجوع قوات المربعين.

بدأ الهجوم فى الفجر. تقدم المربعان مسافة مائة ياردة، ثم افترقا ــ واحد اتجه نحو قوات الامير عبدالله النور فلم يتمكن من معرفة مكان الامير. استمر سيد امين فى تقدمه الى ان ظهرت لهم القوات الثائرة من مكان اختبائها فى الارض، فبدأوا اطلاق النار عليها.

هجوم المجاهدين السودانين كان كاسحا وسريعا. اخترقوا المربع وبدأوا فى تشتيته. غردون الذى كان يراقب الموقف من سراياه، أرسل الباخره الاسماعيلية لمساعدة سيد امين ولكن نيران البطاريات الثائره على ضفتى النيل ارجعتها فوراً.

هربت قوات سيد امين مسرعه الى داخل الاستحكامات، واستمر الامير عبد الله فى مطاردتها.

فى هذه المطارده استشهد للسودان امير ماهانت قناته يوميا ولا ارادته، ولا ولاؤه لهذه الارض ... ذلك هو الامير عبد الله النور . . . وقد كان فقده مساويا لفرحة

استشهاده . المربع الثاني انشق إلى شقين ، واحد اتجه نحو امير الامراء النجومى وهناك القى اسلحته مسلماً ، والشق الثاني كون مربعاً واتجه نحو الجريف . ارسل اليهم النجومى قوة راكبة تحمل معها مشاة بقيادة الامير عبد الله مدرع والامير عمر الخليفة .

لحقت هذه القوات بالمربع قبل وصوله للجريف ، وانتشب القتال شرسا .دخل الفرسان والمشاة الى داخل المربع فتشتت بعد قتال عنيف ، واستطاعت مجموعة قليلة من قوات المربع الهرب والرجوع الى الاستحكامات .

استشهد للسودان فى هذه المعركة اميران مهمان هما، الامير عبد القادر مدرع والامير عمـــر الخليفة .

فشلت اخر محاولة لغردون للحصول على اغذية من خارج الخرطوم .

الذين تمكنوا من الرجوع الى الخرطوم بجراحاتهم وبطونهم الخاويه واجهوا جوعا مستمرا . ان الغذاء الوحيد الذى بقى بالمدينه هو الصمغ وطلع النخل وقلبه .

خطاب ٨ يناير من المهدى الى غردون

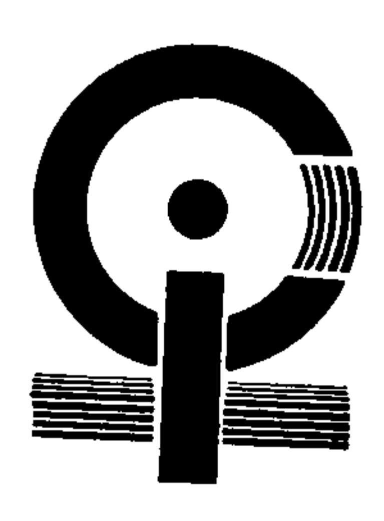
ارسل الامام المهدى خطابا لثالث يوم على التوالى يقول فيه (١) : (نعلمك جوابك رد المحرر منا وصل الينا وفهمنا مضمونه وقد عذرناك فى عدم اذعانك واجابتك لنا بالطاعة كما طلبنا منك وذلك لانك لم تدر الحقيقة التى نحن عليها . وبحسب مقامنا ودلالتنا الى الله وشفقتنا على عموم خلق الله حتى من هو مثلك لم يطب قلبا، بصرف النظر عنك .ولازلنا ندارجك عسى الله يهديك الى سواء السبيل، فاجب داعى الله واغتنم سلامتك من الشر الوبيل. فقد رايت ما حل ونزل ولازلت ترى ولاطاقة لك ولاعوانك على حرب جند الله عز وجل .وقد ذكرت ان عبد القادر ولد ام مريوم حبيبك، وتقبل قوله ونصيحته، وطلب ارســاله اليك. فعلى ماذا ؟ هل انت منيب الى الله وقصدك التسليم لنا على يد المذكور، ام انت على تصميمك فى اعراضك ومعاداتك لربك. فافدنا على هذا لنعلم طلبك له على اى من الوجهين هو، ونرسله لك ان راينا فى ذلك صلاحك للدين .واقول لك ان عزة الاسلام خير لك وابقى لدوام احترامك فى الدارين ، فتحل بها ان عقلت والسلام فى ٢١ ربيع اول ١٣٠٢ هجريه .)

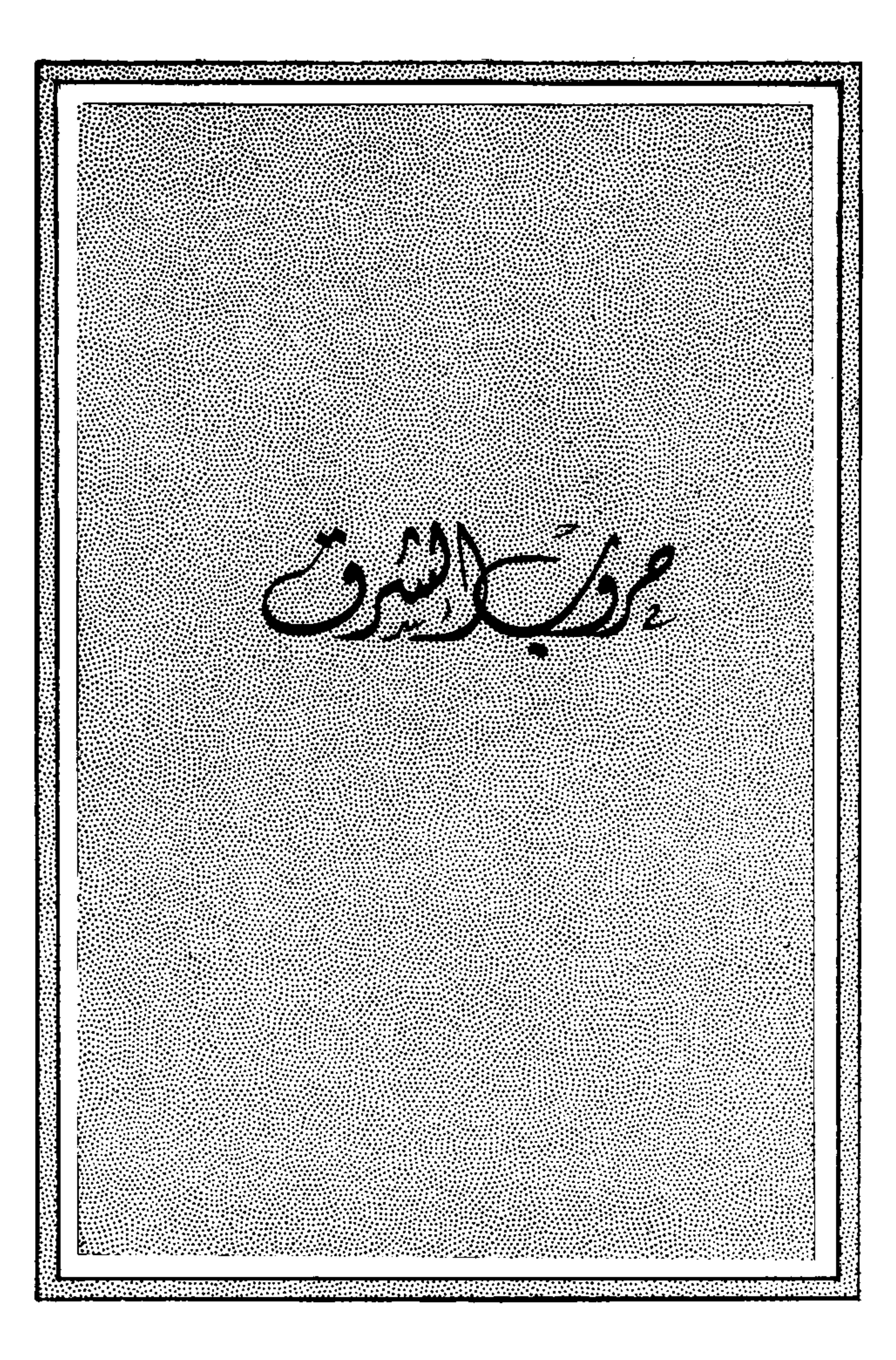
١ — شقير ص ٨٥٧ .

الموقف فى معســكر الإمام المهــدى

اصبح جلياً ان الامام المهدى نظراً للظروف بالشمال ،لن يسمح باستمرار الوضع كما هو. اصبح جلياً ايضاً ان قائد الثورة ، باتفاق قادته ،يجب ان يحرر الخرطوم قبل اى مواجهة مع الجيوش الانجليزية القادمة . فالخرطوم هى الجدى الذى ارهق صعــودا . ولكن الهجوم على الخرطوم يجب الا يتم قبل اوانه . كلمة (أوان) كانت تعنى عنــد الامام المهدى وقادته ، اليوم الذى اذا انتهى ولم تحرر فيه الخرطوم ، كان على الثوار أن يجابهوا جيش غردون وولسلى في وقت واحد .

ما هو السبب فى هذه المعادله الصعبه؟ سبب واحد لا غيره هو الذى كان يملأ جميع خلايا عقل الامام المهدى. ان إنهيار مقاومة الخرطوم قاب قوسين او ادنى ،فمن غير المعقول ان يصل الى هذه المرحله ، ويلجأ الى اسلوب الهجوم والقاتل والمقتول. سيكون موتا من اجل كسب يوم او يومين فقط .







أمير الأمراء عثمان أبوبكر دقنة

الامير عثمان دقنه .

مولده وعلمه وعمله .

ولد عثمان ابوبكر دقنة فى عام ١٨٤٠م من عائلة بيجاوية من فرع الدقناب. درس فى صغره القرآن والفقه والتوحيد والفلك ، واشتغل بالتجارة فى شبابه ، وهى حرفة اباثه . اثرى من تجارته فى ميناء السودان سواكن ، ولكن بالاضافة الى ما جمع من مال ، جمع كراهية للحكم التركى المصرى ، جعلته لايحتمل رؤية واحد من رجال ذلك النظام المتعفن .

رحل عثمان فى تجارته الى دارفور ، بالطريق قبضت عليه السلطات وحبسته فى (الطويشه) ، ولكنه وجد فرصة ، فى فوضى ذلك النظام ، اثر هطول امطـــار فقط وهرب مشيا على اقدامه الى النهود . قبضت عليه الحكومة مرة أخرى وصادرت امواله واموال عائلته . استمر عثمان يعتق فى الكراهية لذلك الحكم .

الثائر مع قائد الثائرين

عندما كان عثمان دقنة يجلس مع جماعة أمام متجرة تحدث واحد منهم عن ثورة الامام المهدى حديثا طويلا ، لم ينتظر نهايته ، فركب جواده واندفع نحـــو الابيض للقاء المهدى . ترك المتجر غير موصد ولم يرجع له ، بل لم يأخذ زادا لرحلته.

عندما وصل الى الامام المهدى وجد فيه ضالته ، فبايعه المهدى وعينه اميرا عـــلى شرق السودان للجهاد فيه .

عثمان الرجـــل .

كان عثمان رجـــلا ثائراً ، عالى الهمة ، كبير النفس ، له ذكاء خـــارق حاد . كان ربعا ،اسمر اللون ، عالى الجبهة ، كث الحاجبين ، لحيته كثيفة وشاربه قصير .

كان يلبس ملابس شرق الســـودن فى صغره وملابس وسط السودان فـــى

كبره . والاخيرة تتكون من القميص والسراويل والثوب والعمامة والطاقية ، وكلها من الدمــور السوداني .

اولى خطواته الموفقة ذهابه مباشرة إلى الشيخ الطاهر المجذوب ، الذى يدين له جزء كبير من أهل شرق السودان بالولاء الدينى . أحسن الشيخ الطاهر استقباله وبايعه، ومن مكانه ذاك ، اشعلها ثورة اذاقت الاستعمار بكل أشكاله ومصادره عذابا مستطيرا.

عبقرية عثمان .

ان عثمان دقنة صاحب الهجوم المباغت الكاسح ، والجنود الذين يخرجون من بطون الأرض فى لحظة ضعف العدو ، ويقطعون المسافة بينهم وبينه بسرعة ثمــان ياردات فى الثانية ، قد كسب أكبر سمعة فى التاريخ الاسلامى بعد صلاح الدين الأيوبى .

عرف عثمان دقنه نقاط الضعف فى المربع الانجليزى ،الذى استعملته بريطانيا منذ حرب البننسيولا بنجاح منقطع النظير .حتى ان اكبر قائد عرفته اوربا فى تاريخها القديم والحديث (نابليون بونابرت) لم يستطع اختراق مربع انجليزى فى (ووترلو) رغم ان الفرنسيين كانوا يحملون اسلحة نارية كجنود (ويلنقتون). عندما فشل نابليون فى اختراق المربع الانجليزى كانت اسلحة الانجليز البندقية التى توضع ذخيرتها من مقدمة الماسوره، ولكن المربع الانجليزى الذى اخترقه عثمان دقنه فى لمح البصر ، كان جنوده يحملون المارتينى هنرى ومدافع القاردنر سريعة الطلقات .
اخبار عثمان دقنه كانت تحمل على جميع صفحات الصحف الاوربيه، التى كانت ترى فيه البطل الذى كان يهدد الاستعمار الاوربى لافريقيا والعالم الاسلامى.
اما بريطانيا فانها فى كل صدمه تصاب بها من عثمان دقنه، تعتبرها مهددة لوجودها كدوله لاتقهر . فالاوربيون اعتبروا الجيش الانجليزى قد نخره السوس. يقول المؤرخ العسكرى عصمت حسن زلفو فى كتابه القيم (كررى) صفحة ٢٥٣ (ان الا قتحام الناجح عمليه شاقه، ولكن الانسحاب الناجح عملية اشق ، وهو الاختبار الحقيقى للقاده، فهو يتم فى ظروف عصيبة، فلا ذكريات المعركة الخاسرة ولا الموقف او مجرى الحوادث

يساعدان على اتمامه بقوة متماسكه لم تفقد بعد مواصفاتها القتالية ... وتلك كانت عظمة عثمان دقنه .
فان كان اختراقه للمربعات الانجليزية عظيماً .. .. فقد كان انسحابه ومـــواصلته الكفاح فـــى مكان اخر اعظم واجـــدى) .
هذه الصفات هى التى حملت (وينقيت) لتسميته (ثعبان الماء الزلق) .

عثمان قائد الشرق

وقف عثمان ابوبكر دقنه وحده على شعاب وتلال وشجيرات ووديان البحر الاحمر يجمع شتات اهله الموزعى الانتماءات، ليقف بهم وقفة ابائهم الاوائل ضد المصريين والبطالسه والرومان والعرب والايوبيين واخيرا الاستعمار التركى المصرى .
كان عثمان اذا تحدث استمر ساعات دون توقف، واستمر كل من حوله اذاناً صاغيه لكلماته . ثم اذا انقضى وقت الخطابه وجاء وقت القرار، ضاق بكل كلمة تقال ولا تكون امرا .اما اذا صدر الامر بالتحرك، فانه يتحرك دون ان يلتفت حوله ، ويسير الى ان يلحق به مساعدوه ليجدوه سائرا اياما بدون طعام او نوم .
عندما ثار عرابى اعتبر الوقت قد حان لكى يثور السودان على غاصبيه، فقام باثارة اهل سواكن فقبضت عليه السلطات وسجنته .
عندما خرج من سجنه بدأ صوما اســتمر اكثر من عام، مصـــرا على استمراره حتى يأتى يوم الثورة والنصر العظيم للسودان ولدين الله .
امر تكليفة من الامام المهدى صدر فى غرة رجب عام ١٣٠٠هـ الثامن من مايو ١٨٨٣م.
وقد قال الامام المهدى فى امر تكليفة (ان من بايع عثمان فقد بايعنى ومن استشهد مع عثمان فكأنما استشهد معى . (١))
ان عثمان دقنه قد خاض قبل حضور القائد الانجليزى الشهير فالنتاين بيكر لمحاربته معارك كثيرة هى :
١ - وقعة سنكات (اوكاك) فى ٥ اغسطس ١٨٨٣م .

---
١ - الكردفانى ٢٤٩ .

٢ ـ وقعة قباب فى ١١سبتمبر ١٨٨٣م.

٣ ـ حصار سنكات ووقعة ابينت فى ٢٥ اكتوبر ١٨٨٣م .

٤ ـ حصار طوكر ووقعة التيب (الساحل) الاولى فى ٥ نوفمبر ١٨٨٣م وهى اول معركه يشارك فيها انجليز فى شرق السودان، وقتل فيها القنصل الانجليزى مونكريف .

٥ ـ حصار سواكن ووقعة تماى (التمنيب) الاولى فى ٢ ديسمبر ١٨٨٣م .





فالنتاين بيكر قتيل الساحل

فالنتاين بيكـــر

فالنتاين الضابط

فالنتاين هو الاخ الاصغر لصمويل بيكر مكتشف بحيرة البرت وحاكـم الاستوائية .

فالنتاين ، كأسمه الرومانسي هـــذا ، كان انيقا قويا وسيما ، وثاني أعظم قائد فرسان انجليزي في تاريخ الامبراطورية . القائد الاول سبقه بما يزيد عن نصف قرن وهو مركيز (انقل سي) مساعد ويلنقتون في حرب ووترلو .

فالنتاين قائد لواء السواري العاشر ، كانت بريطانيا تتوقع على يديه الكثير ، فقد جعل هذا القائد من لواء السواري العاشر مفخرة بريطانيا التي يتمنى كل ضابط خيالة في بريطانيا ان يخدم فيه . امير (ويلز) ابن الملكة فكتوريا ارسل لكي يعمل فيه برتبة كولونيل . لم يكتف الامير بالعمل في لواء فالنتاين وانما طلب أن ترسم لـــه لوحـــة يركب فيها جوادا الى جانب فالنتاين . هذا الرسم الذي قام به رسام في عام ١٨٧١م لازال معلقا في قيادة اللواء في هامشير . ان الصحف عندما كانت تتحدث عـــن فالنتاين كانت تشير اليه بالضابط على الجواد الابيض .

عندما ارسل اللواء الى الهند ، عين مساعدا للقائد للامدادات في (الدرشوت) .

مصارع الانجليز في سراويلهم .

كل شيء يدل على ان نجما تسلق الى سماء العسكرية البريطانية ولاشيء سوف يوقفه . ولكن كما قال اخوه صمويل متحدثا عن ابناء بلاده (مصارع الرجـــال في سراويلهم).

عندما غادر القطار محطـــة (ووكنق) في اتجاه محطة « ووترلو» عرف الجميع ان الرحلة ستحتاج الى نصف ساعة بالتمام . في ذلك القطار الانجليزي البخاري كان يجلس في غرفة به ، فالنتاين مقابلا لبنت تدعى « كيت ديكنسون » التي تبلغ من العمر واحدا وعشرين عاما. انها من عائلة مشابهة لعائلة بيكر في المكانة الاجتماعية، اخوها

طبيب فى « ميى فير » ، واخ آخر ضابط فى « الدرشوت » ، ولها قريب من أكبر المحامين فى بريطانيا . كانت معه وحدها بغرفة القطار .

غادر القطار المحطة ببطء نافثا دخانه فى يوم ساخن من شهر يونيو ، فبتصاعد مع عواطف الكولونيل الذى بلغ الثامنة والاربعين . تحدث فالنتاين مـع كيت — التى لم يكن يعرفها من قبل — عن الكتب ، ثم عن الدرشوت وعمل اخيها ، ثم عن الفندق الذى تنزل فيه عائلتها فى لندن . . . انه نفس الفندق الـذى تنزل فيه عائلته أيضا . . انه فندق « الموند هوتيل » . ثم توقف عن الحديث . . . . وقام وجلس الى جوارها. اه . . . اننى لن اقبل رجلا يجلس بجوارى هكذا ! لم يهتم لحديث الفتاة ، بل وضـع يده على خصرهـا وقبلها على خدها ، شافعا ذلك بكلمات لااحد يعرف هل هـى ناعمة ام انها امر عسكرى. . . قال لها : يجب ان تقبلينى ياحبيبتى ! ولكنها لم تقبـل وجذبت مفتاح جرس الطوارئ ... لم يعمل ، كان معطلا .
جذبها الدنجوان المتزوج الثائر ، القى بها على اريكة القـطار وبدأ يقبل شفتيها الرقيقتين بعنف ، ثم القى بنفسه فوقها وبدأت يده تحاول فك ازرار تثبيت الجوارب الحريريه التى تتدلى من مشد العجز المطاطى ... لم تنجح يد واحدة لفعل ذلك...

اضاف اليد الاخرى . وهنا وجدت فرصة للافلات منه والوقوف على سلم القطار. (القطارات حتى تلك الحادثه فى بريطانيا لم يكن بها ممشى على جانب غرف العربات وانما فرضت بعد ذلك نتيجة هذه الحادثه). بدأت الفتاه فى الاستغاثه .

عندما توقف القطار كان فالنتاين يقبض عليها من خلفها فى محاولة لاثنائها عن الحديث وكانت زرائر سراويله مفتوحه .

فضيحة القرن بالمحكمة

لم تسكت الفتاة عن الحديث ، وحولها رجال التحقيق الابتدائيون الى محكمة (كرويدون) حيث حضر الجلسة عدد ضخم من المشاهدين .
نظرت المحكمة فى القضيه واصدرت حكمها الذى ذكرت فيه : (ان صرخة الرعب قد اصمت الامة، ان ضابطا وجنتلمان قد سمح باطلاق عنان حيوانيته) .

كانت العقوبه عاما سجنا بدون اشغال مع الغرامه .اما عن كيت فقد قالت المحكمه (انها تخرج من هذه المحكمه نقيـــة بريئه عذراء كما كانت .ان كل شئ قد انتهى . وان شجاعتها التى ابدتها قد زادتها القا من المجد لشبابها وبراءتها وجمالها .)

ان كيت رغم ما قالت المحكمه بقيت بعيدة عن المجتمع ولم تتزوج وعاشت حتى عام ١٩١٥ترسم بالوان الماء .

فالنتاين خريج السجون

عندما خرج نزيل السجون لم يجد مكانا فى جيش صاحبة الجلالة فكتوريا . صديقه امبرويلز لم يتخل عنه بل كتب للسلطان التركى لتعيينه فى جيشه .تلقاه السلطان العثمانى بترحيب وعينه لواءامع رتبة باشا فى جيش آل عثمان .

ان تركيا كانت تعد للدخول فى حرب ضد روسيا.اللواء فالنتاين باشا لم يخذل مخدمه. انه استطاع بقوة تتكون من ثلاثه الاف رجل ان يوقـــف زحـــف اربعين الـــف روسى ليوم كامل من شتاء عام ١٨٧٧ . حتى تمكنت القوات التركيه من الافلات من الحصار الروسى ببلغاريا ، فى الصقيع والثلوج والارض الوعره حول قرية تاشكيسان .

عندماانتهت الحرب رجع الى بريطانيا حيث استقبل استقبال الابطال.فى مايو ١٨٧٨ رجع ان تركيا وساعد فى تنظيم الجيش وكتب كتابين عن الحرب فى بلغاريا

فالنتاين فى خدمة الخديوى

فى عام ١٨٨٢ عرضت عليه وظيفة قائد الجيش المصرى ، فاستقال وذهب الى مصر حيث جاء رد الملكة فكتوريا بالرفض .وحاولوا تعيينه قائدا للمخابرات ولكن الملكة رفضت ايضا .عينوه فى وظيفة ليست للملكة كلمة فيها ... قائدا للبوليس الحربى المصرى وقد اوكل اليه ان يدرب هؤلاء الجندرمه عسكريا لارسالهم الى السودان .

وفى اقل من عشر ســـنوات من حادثته الاليمه ، كان يقود جيشا لضرب عثمان دقنه وحاكماً عسكريا ومتصرفا اداريا فى اقليم شرق السودان .

فالنتاين حاكم شرق السودان المطلق

عندما كان قطار غردون يغادر محطة بولاق الدكرور فى القاهره فى مساء ذلك الليل البارد – السادس والعشرين من يناير عام ١٨٨٤– كان الميجور جنرال فالنتاين بيكر باشا يقود جيشه بين شعاب الحدود السودانيه المرجانيه لتنفيذ اوامر مخدمه الذى بدوره اخذ اوامره من المندوب السامى البريطانى .

ان الفيرمان الذى يحمله فالنتاين يعطيه سلطة كامله فى شرق السودان .

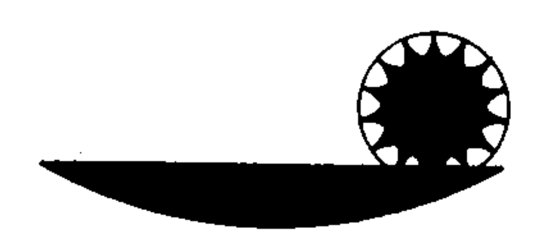
فهو السلطة العسكريه والمدنيه الكامله ، وعليه ان :

١ . يكسب القبائل فى تلك المنطقة بكل الاساليب التى يمكن ان تنجز ذلك .عليه اغداق النياشين والوظائف والرشوه بالمال الذى حمل بدره من دولة كانت تعتبر احوج دوله فى العالم لتغطية ديونها . ايضا عليه استغلال النفوذ الدينى الطائفى، وقد احضر معه من مصر السيد محمد سر الختم الميرغنى لهذا الغرض . (١)

٢ . القضاء على عثمان دقنه وجيشه .

٣ . فتح الطريق بين سواكن وبربر وتأمينه .

٤ . التنسيق من بربر مع غردون والقوات البريطانيه فى مصر وسواكن .



١ – حصار وسقوط الخرطوم ، ميمونة ميرغنى حمزه ١٣١ .

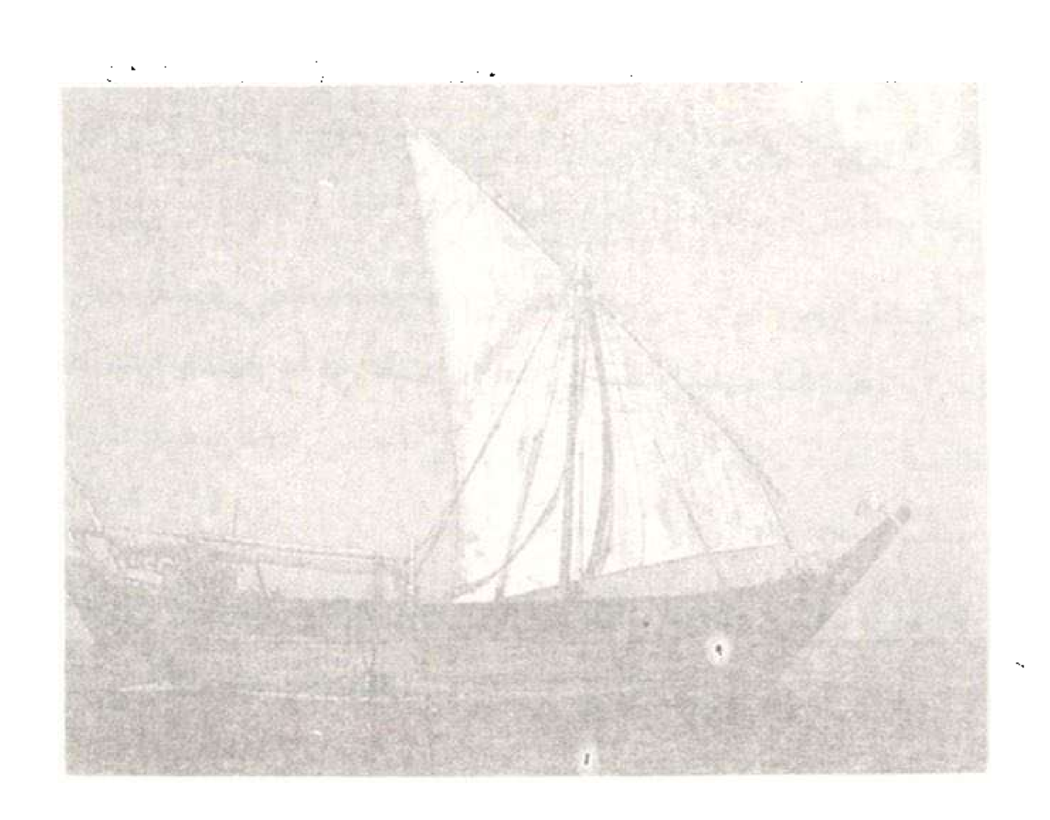
وقعة الساحل الثانيه الاثنين الرابع من فبراير ١٨٨٤م .

جاء بيكر لشرق السودان وحسب فيرمان تكليفه حاول النياشين والوظائف والرشوه واستغلال البيوت الدينيه لضرب الثوره السودانيه ففشل .

حاول توجيه شيخ الدين لتهديد الامير عثمان دقنه بان جيوش الدول قد اتحدت ضده فاصيب بخيبة امل اكبر .

عندما وصلته رسالة من قمندان حامية طوكر تقول ان الحاميه التى يحاصرها الامير عثمان دقنه قد نفذت ذخيرتها واصاب اهلها الاسهال وان قيادتها تنوى التسليم فى يومين او ثلاثه اذا لم تاتها نجدة ، قرر الذهاب لفك الحصار . (١)

اتجهت قواته مباشرة فى الثامن والعشرين من يناير ١٨٨٤ الى ميناء ترنكتات الذى يبعد ستين ميلا جنوب سواكن . انها اقرب نقطه الى طوكر من البحر . اقلت جنوده سبع سفن حربيه بخاربه تعمل بالفحم الحجرى ومزودة ايضا باشرعة هوائيه .



---

١ - شقير ص ٧٥١.

قوات فالنتاين بيكر

قائد : ميجور جنرال فالنتاين بيكر باشا .
اركان حرب : عبد الرزاق بك
قائد مساعد : كولونيل سرتوريوس

ضباط وصف ضباط وجنود

٣ الويه جندرمه وهى القوة الرئيسيه لبيكر قام بتدريبها منذ عام ١٨٨٢ وضباطها كلهم انجليز	٣٥٠٠
٤ سرايا فرسان مصرية - كل الضباط انجليز	٣٠٠
٢ سريه فرسان تركيه - الضباط اتراك	١٥٠
٦ فصائل من حامية مصوع - الضباط اتراك ومصريون	٤٥٠
٦ فصائل من حامية سنهيت - الضباط اتراك ومصريون	٤٢١
٦ فصائل مشاه تركيه - الضباط انجليز	٤٢٩
٢ كتيبة من الجيش الذى اعد لكى يقوده الزبير باشا ولكنه رفض - جميع الضباط انجليز	٦٧٨
٦ طواقم مدفعية مصريه	١٢٨
٤٠ ضابطا انجليزيا متطوعا من جيش الاحتلال بمصر بينهم الكاتب	٤٠

اندرو هاقارد (١)

١ مراسل حربى (الستريتد لندن نيوز) وهو الفنان الرسام ميلتون بريور	١
١ مراسل حربى لصحيفة (الاستاندرد) هو (جون كاميرون)	١
المجموع	٦٠٩٨

١ - صاحب كتاب ،، تحت الهلال والنجمة ،، الصادر عام ١٨٩٦ .

الاسلحة

٥٩٠٨ بندقيه قصيره وما رتيني هنرى .

٥٩٠٨(سيف سنجه)موديل ١٨٧٩ الانجليزى .

٦٧٠ سيفاً طويلا .

٣ مدافع ميدان ماركة كروب"١٢ رطل".

٣ مدافع ميكانيكيه سريعة الطلقات ماركة قاتلنق .

٦٧٠ مسدساً بماسورتين .

الملابس

القائد : بذلة زرقاء تتكون من جكيت الى بداية الفخذين وبنطلون ازرق عليه شريطان من كل جانب. حزام معلق عليه من الجانب الايسر سيف .على الرأس طربوش تركى احمر وعلى قدميه حذاء ركوب بمهمازين .

الفرسان: جاكت ابيض على سراويل تنتهى بشريط ساق. على الرأس طربوش تركى احمر .الحذاء فى شكل الحذاء التركى ولكنه اسود اللون . هناك حزام فى وسط الفارس عرضه اربعة سنتمترات يحمل عليه علبة الماء وحقيبه وسيف .

المشاه: جاكيت ابيض فوق سراويل شبه تركية بيضاء تنتهى برباط قبل القدم بخمسه عشر سنتمترا، وعلى القدم حذاء تركى اسود. هناك حزام حول الجكيت التى بها اربع زرائر نحاسية كبيرة .على الرأس طربوش تركى احمر .ايضا يحملون علبة ماء وشريط ذخيرة وسيف سنجه طول ١٨ بوصه .

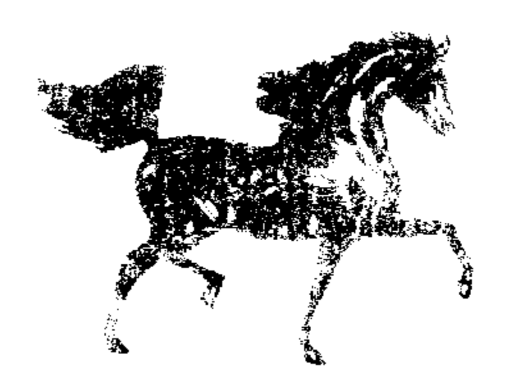
الضباط الانجليز :يلبسون نفس الملابس التى اتوا بها من الويتهم وهى بذلات قرمزيه وحمراء وزرقاء .السراويل تنتهى فى الركبه بشريط ساق حتى الحذاء الجلدى الاوربى العادى . بالجكيت حزام للنصف علقت عليه حقيبة صغيرة على الجانب الايمن .هناك حقيبة اخرى لحمل الاغذية، وزجاجة الماء علقت بشريط عريض ينزل مــن الكتف الايمن الى الجانب الايسر للضباط .السيف فى الجهه اليسرى .لباس الرأس برنيطه عليها شرائط خمسة تدور حولها وتنتهى فى المقدمه بعلامه . زودت البرنيطة بنظارة

اتربه وشمس .

الانجليز الذين يعملون فى الجيش المصرى واتوا إلى المعركه كانوا يلبسون فوق رؤوسهم طرابيش تركيه .

الخيول : خمسمائه واربعون من الخيول المصرية القصيرة .

الجمال : عدد غير معروف من الجمال التى احضرت لحمل المدافع والاغذيه والذخيره .



الجيش السوداني

القوات :القائد : الامير عبد الله بن حامد، امير الساحل .

القوات : الف ومائتان (١) ، مقسمون الى رايات حسب المناطق التى اتوا منها .

الاسلحة : الف ومائتا سيف مغربى صناعة محلية وصليبى المقبض . الف ومائتا خنجر محلى .الف ومائتا درقه جلد قوى . ٣٦٠٠ حربه ثلثاها قصير . عدد من بنادق الرمنقتون القديمه يعد على أصابع اليد .

الملابس . سراويل من الدمور السودانى، حيكت عليها قطع مربعة ملونه فى الاماكن المثقوبه وغير المثقوبه .

حزام من نفس القماش يوضع عليه الخنجر .يلبس الجندى الثائر ثـوبا قصيرا يلقيه بين كتفيه وعجزه، ولكنه فى العادة لا يستعمله اثناء الهجوم .بالاضافه الى ذلك يلبس عقودا من الودع فى العادة عقدين.. ومجموعة احجبه بقلائد تتدلى على الصدر واخرى تربط على الزندين. يلبس ايضا شعره وهو حوالى خمسة عشر سنتمترا ويسويه بشكل يصبح معه كلبدة الاسد حول وجهة .يحمل على يده اليمنى سيفا صليبى المقبض وفى يده درقه من الجلد القوى، مقبضها من النصف وقطرها حوالى السبعين سنتمترا. على قدميه نعال يربط باحزمة من جلد السبت .

نزول وتقدم بيكر

بعد نزول قوات اللواء فالنتاين بيكر باشا، بواسطة الزوارق من سفنه الكبيرة التى لا تستطيع الوصول الى شاطئ ترنكات، تقدم مباشرة فى اتجاه طوكر المحاصره. بعد مسيرة ثلاثه اميال توقف واقام زريبه وضع عليها ثلاثمائة جندى لحماية ظهره، ثم تقدم الى ان وصل فى التاسعه الا ربعا من صباح الرابع من فبراير ١٨٨٤م الى مكان قريب من موضع المياه فى التيب. كشافته اتته قافله فى سرعه، ذاكرة له انها رأت رايات لاحصر لها تتقدم نحوهم .

١ — شقير ص ٧٥٢ .

المعركه : الخدعه

توقف القائد وامر قواته بتشكيل مربع فورى .وضعت جميع الخيول والجمال في نصف المربع وبدأ التشكيل، مدافع الكروب التي وضعت في مقدمة المربع امرت بضرب الثوار الذين ظهرت راياتهم في مواجهة المربع في مكان مرتفع بعض الشيء على مقربة من مورد المياه بالتيب .

استمر القصف شديدا على مكان الرايات التي في مواجهة المربع . ان بعضها كان يسقط والاخر يتقدم وثالث يتراجع . اصبح القصف اكثر دقة ، رايات اكثر تتساقط واخرى تهرب وعدد ثابت . في تمام التاسعه ظهرت القــوات الثائره السودانيه على بعد مائتي يارده من ميسرة المربع بين الكثبان الرمليه والشجيرات .ان الرايات لم تكن إلاخدعه ثبت بعضها على الارض وربط جــزء اخر منها على بعض الحيوانات التي وجدوها لديهم .

كسر مربع فالنتاين واقتحامه

عند مارأى القائد رجال الهدندوه على ميسرة مربعه أمر باطلاق المدافع والبنادق عليهم ولكن تغيير اتجاه المدافع والتصويب وتحديد البعد كلها امور تحتاج الى بعض الوقت ولكن قوات الامير عبدالله لم يكن لها وقت لضياعه . قفز رجال الهدندوه في ثلاثه محاور قفزاتهم المعروفه التي يقطعون فيها ما يقارب الثماني ياردات في الثانيه. في الخمس والعشرين ثانيه التي قضوها لقطع المسافه التي بينهم وبين المربع اصابهم رصاص قليل من البنادق والمسدسات . الثلاثه محاور اصطدمت بالمربع عند مؤخرة ميسرته ـفي المكان الذى تملؤه كتيبتا لواء الاسكندريه .في لمح البصر انهد هذا الجزء من الحائط ودخل جميع الثوار الى داخل المربع .الف ومائتا مهلل ومكبر بأعلى صوت يملكه يخرجون من فوق الخيول وتحت الجمال يعقرونها ويطيحون بالرقاب ويبقرون البطون ويثيرون الحيوانات بداخل المربع .

ثورة الحيوانات بعثرت المربع شذر مذر .

شقت مقدمة الثوار ميمنة المربع من الداخــل وقد كانت الميمنة مبعثرة على كل

حال بسبب اندفاع الحيوانات وهرب الجنود، متجهة نحو الجنرال فالتناين الذى كان في تلك اللحظه يقف مع اركان حربه ، ومعهما الفرسان خارج ميمنة المربع .
عند ما وصلـت مقـدمة الثوار الى مكـان القائد واركان حربه والفرسان ، دار قتال لم يستمر لاكثر من دقيقة واحده .فقـد استطاع احـد الثوار القلائل الذين يملكون بنادق ان يصيب الميجور جنرال بطلق نارى تحت عينه ، وقتل اخر قائد الاركـان بحربه
عند رؤية القائد المصاب واركان حربه القتيل ، هرب الفرسان واندفع بيكر خلفهم بمساعدة بعض الضباط الانجليز قبل ان يفقد وعيه .بقية الجنود رموا اسلحتهم وهربوا او وقفـوا ورفعوا ايديهم طالبين الرحمه .
اندفع جزء من الثوار محاولا اللحاق بالهاربين لمسافة طويلة .

جنـود الزريبة :

عندما راى جنود الزريبه الثلاثمائه قوات منهم تقفل هاربـة وخلفهم الثوار يكيلون لهم القتل والطعن ، تركوا زريبة حماية المؤخره وكانوا اول من وصل الى الزوارق .
فى التاسعة والثلث كان كل شيء قد انتهى .

قـتل العـدو

اربعة الاف وخمسمائه مـن العدو كانـوا مجندلين على الارض ، بينهم مائة واثنا عشر ضابطا مصريا وتركيا ، وعشرة ضباط انجليز ، وعبد الرازق بك قائد الاركان .

الف وخمسمائه وصلوا الى الوابورات بينهم جرحى بمافيهم القائد ، اكثرهم بـدون اسلحه وكلهم تقريبا بدون طرابيش وبرانيط !!

شهداء الثوره :

جمع الامير عبد الله حامد شهداءه فكانوا تقريبا ثلاثمائه شهيد ، بينهم من

الامـــراء ، الامير محمود أخ الامير الخضر الذى كـــان يحاصـــر طـــــوكر .
بعد الصلاة عليهم دفنوا في موضع المعركة .

الاسلاب :

جمعوا المدافع الستة والبنادق القصيرة والمارتيني هنرى ، ونصف مليون طلقة بندقية وحوالى ستمائة دانة مدفع كروب ١٢ رطلا .

رد الفعل على هزيمة بيكر

ما كاد ينقضى ذلك النهار – الاثنين الرابع من فبراير ١٨٨٤ م – حتى حملت اسلاك التلغراف انباء هزيمه بيكر باشا امام جيش يقل عن جيشه عدداً ، ولا داعى للحديث عن عدته. ان ثمن مدفع واحد من مدافع بيكر ، كان يزيد عن مجموع سعر الاسلحه التى كانت فى جميع ايـــدى الثـــوار . بل إن ثمن الاربعه « زرائر »، التى كانت على سترة بيكر تساوى اكثر من ثمن السراويل والثوب الذى كان يلبسه الاميرعبدالله حامد الذى هزمه فى ثلث ساعه وحطم جيشه واصابه اصابة قاتله ، وجعل منه اللواء الانجليزى الثانى الذى تهزمه وتقتله الثورة السودانية حتى الان .

الصحف البريطانية لم تستطع ان تنشر الخبر فى نفس الليله ، وكان عليها ان تنتظر حتى الصباح لتعلم الشعب البريطانى بما حدث لقائدهم الاسطورى على يد ثوار الهدندوه.

ان بيكر المصاب بطلقه تحت العين اخترقت عظم « الماقزلرى » ، الشيء الذى فى احسن الاحوال سيقود الى خراج فى منطقة قريبة من قاعده المخ– فى وقت لم توجد فيه مشتقات السلفا والبنسلين – لم يكن يمثل ضابطاً جريحاً فى طريقه الى الموت ،وانما كان يمثل كرامة امة لطخها الامير عبدالله ود حامد فى وحل التيب .

ان اوربا تنتظر لحظات ضعف بريطانيا بفارغ الصبر . روسيا التى هزمت في القرم تريد الثأر . المانيا التى وصل ميزان تجارتها إلى نقطة خطره ، تريد أسواقا في مستعمرات تستولى عليها في أى مكان، والعقبة الكأداء هى بريطانيا . فرنسا لها مع بريطانيا حزازات

القرون ، أقربها إلى الذاكرة حريق الانجليز للاسطول الفرنسي بمصر ، واحتلال مصر مع الابعاد لفرنسا . كلها دول تنتظر لحظة ضعف الأسد البريطاني .

ماذا كان يفعل لواء السوارى العاشر بالقرب من سواكن ؟

في اليوم الرابع من فبراير ١٨٨٤ ، كان لواء السوارى العاشر (اللواء الذى كان في الماضى يقوده فالنتاين بيكر) بالقـــرب من سواكن عائدا من الهند إلى بريطانيا . ان ابقاء هذا اللواء هناك لم يتم عبثاً ، وانما خططت له وزارة الحربية البريطانية لكى يكون قريباً من سواكن ، ويستولى عـــلى النصر اذا استطاع بيكر ان يحققه بجنود مصريين واتراك وسود .

ان وجود اللواء قد أكدته صحيفة « البنش » في القصيدة المؤثرة التى نشرتها وكادت في اخر شطرة منها ان تصرخ في وجه الملكه . ان اهم جزء من القصيدة يقول :

جريح ومحطم ، جلس هناك
في ألم وصمت كبرياء
الرجل الذى قادهم كثيراً
ولكن ، ابدا لم يقدهم ثانية .
تفكر ، في الجزع الدفين
تفكر في التبكيت الثقيل
ان ترى السوارى يمرون .. يبعدون عنه
غير مقودين بالجواد الأبيض القديم
ارجعى إلى العواشر عميدهم .

قرار البرلمان البريطاني بعد الهزيمه

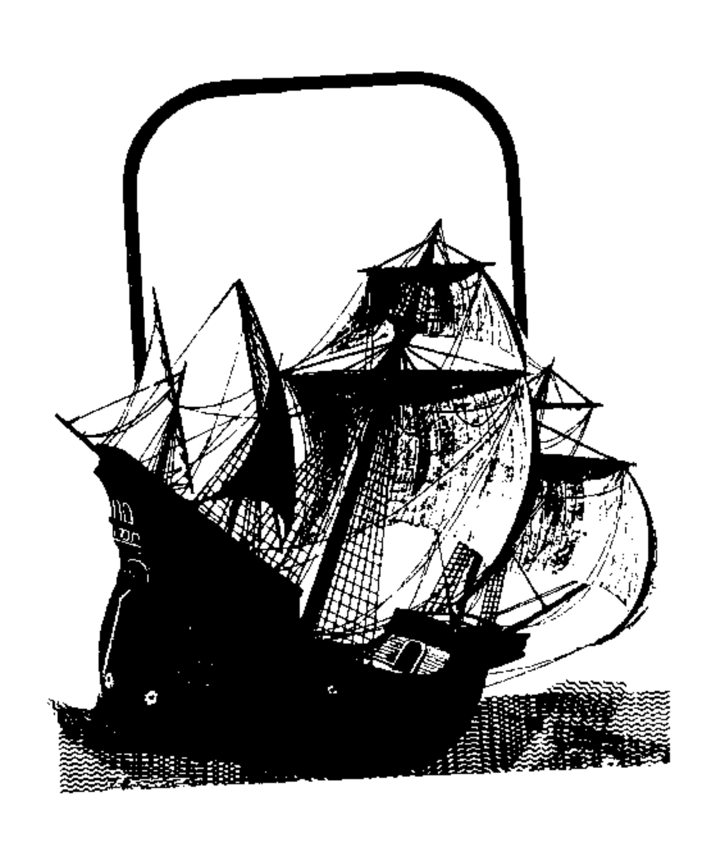
في ثمان واربعين ساعة كانت الهزيمة امام مجلس العموم البريطاني . لم يستطع رئيس الوزراء القاء خطبة لاستهلاك ناخبيه . ان بريطانيا التى هزم احد اهم جنودها لن تقبل حديثاً عن عدم التدخل . انها ستدخل لانقاذ سمعة بريطانيا ، قبل التفكير في مستعمرة

بريطانية جـــديدة .

ان رد الفعل البريطاني كان يختلف تماماً عن رد الفعل عند هزيمة الجنرال هكس . والسبب بسيط ، ان هكس لم يمثل قط قمة العسكرية البريطانية التى يمثلها فالنتاين .

قرار البرلمان كان سريعاً بتحريك جيش من مصر والهند وغيرهما فوراً إلى سواكن ، للانتقام من الأمير عثمان دقنه وقادته.

ايضاً استولت الحكومة البريطانية على ميناء سواكن ، وعينت الادميرال « هيوت » حاكماً عسكريا على الميناء السوداني .



تحـــرير سنـــكات (اوكاك)

الجمعة الثامن من فبراير ١٨٨٤ م

توجه توفيق بك ، بعد وقعة « أبينت » إلى سنكات ، التى يسميها أهل الشرق « أوكاك » ، فأصلح طابيتها وزاد من عمق خندقها وأضاف اليها زريبة من شجر السيال حولها . في كل ركن من أركان الطابية بنى برجا وضع عليه مدفعا .

أرسل عثمان دقنه سبعمائة وخمسين ثائراً بقيادة الأمير على حامد الذى عرف باسم امير اوكاك .

الحصار الذى قام به كان قريباً جداً من الحصن ، بناءاًعلى تعليمات الأمير عثمان دقنه . هذ التضييق عليها منعها من أى إتصال بسواكن . وقد فشل جنود الحامية وسكانها من أهالى سواكن وما جاورها فى تلقى امداد من المبناء .

سمح المحافظ وقائد الجند ، وهو السنجك أحمد المزين ، لبعض السكان بالخروج. خرجت اعداد كبيرة منهم وإنضموا إلى الثوار ، مطالبين بالسير إلى عثمان دقنه الذى كان محاصراً سواكن .سمح لهم بالتوجه إلى هنا ولكنهم تمكنوا من الافلات ودخول سواكن. تبقى بداخل المامورية في النهاية ، الجنود الاتراك والمصريون ومن يعمل معهم .استمرت المامورية تطلق النار ، والأنصار يضيقون عليهم الخناق ويرمونهم بما لديهم من رصاص.

عندما اشتد عليهم الجوع ، خرجت مجموعة منهم محاولة اختراق الحصار ، ولكنها في أول مواجهة فقدت ما يزيد عن عشرين قتيلا ، وهربت إلى داخل حصونها.

لم يبق في داخل المأمورية شىء يؤكل. حتى الكلاب والحمير تم استهلاكها. في يوم الجمعة الثامن من فبراير (العاشر من ربيع الثاني عام ١٣٠١ هـ) خرج جميع من بالمأمورية ، وتشكلوا في مربع ، وضعوا النساء بداخله والجنود في اضلاعه . تقدم المربع وهو يطلق النيران الكثيفة على المحاصرين . لم يأبه الثوار للنيران وإندفعوا نحو المربـع واخترقوا اضلاعه الاربعة وشرعوا فيهم طعناً وقتلا بالرماح والسيوف . قتل من المربع ستمائة «١» ، بما فيهم المحافظ ، ولم يبق منهم الا خمسة رجال بينهم قاضى سنكات والنساء اللائي كن بداخل المربع وعددهن ثلاثون .

استشهد من الأنصار في هذه المعركة سبعة وخمسون .

---

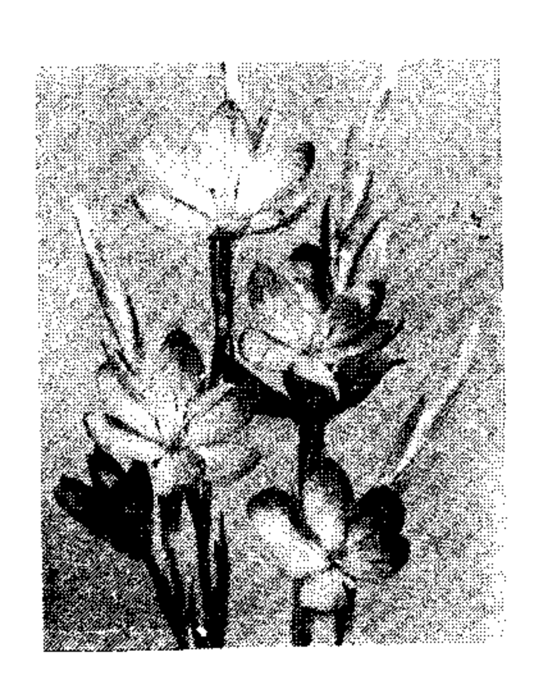
١ – الكردفانى ص ٢٦٠ .

تحـــرير طـــوكر

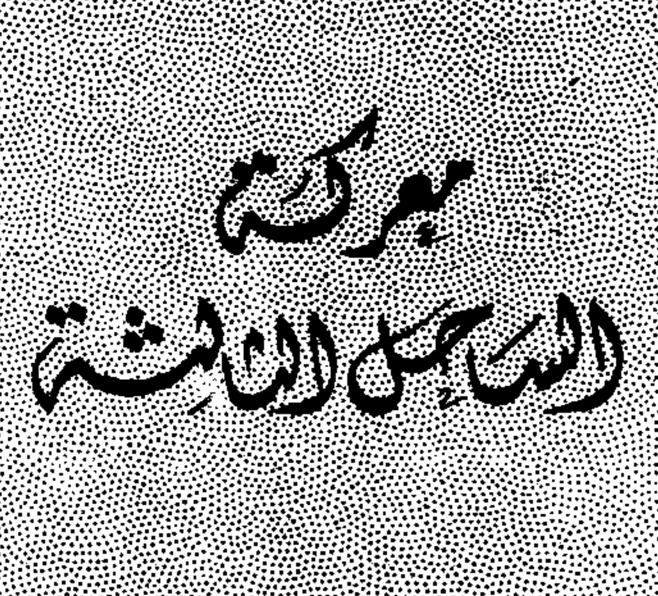
الاحد ٢٤ فبراير ١٨٨٤

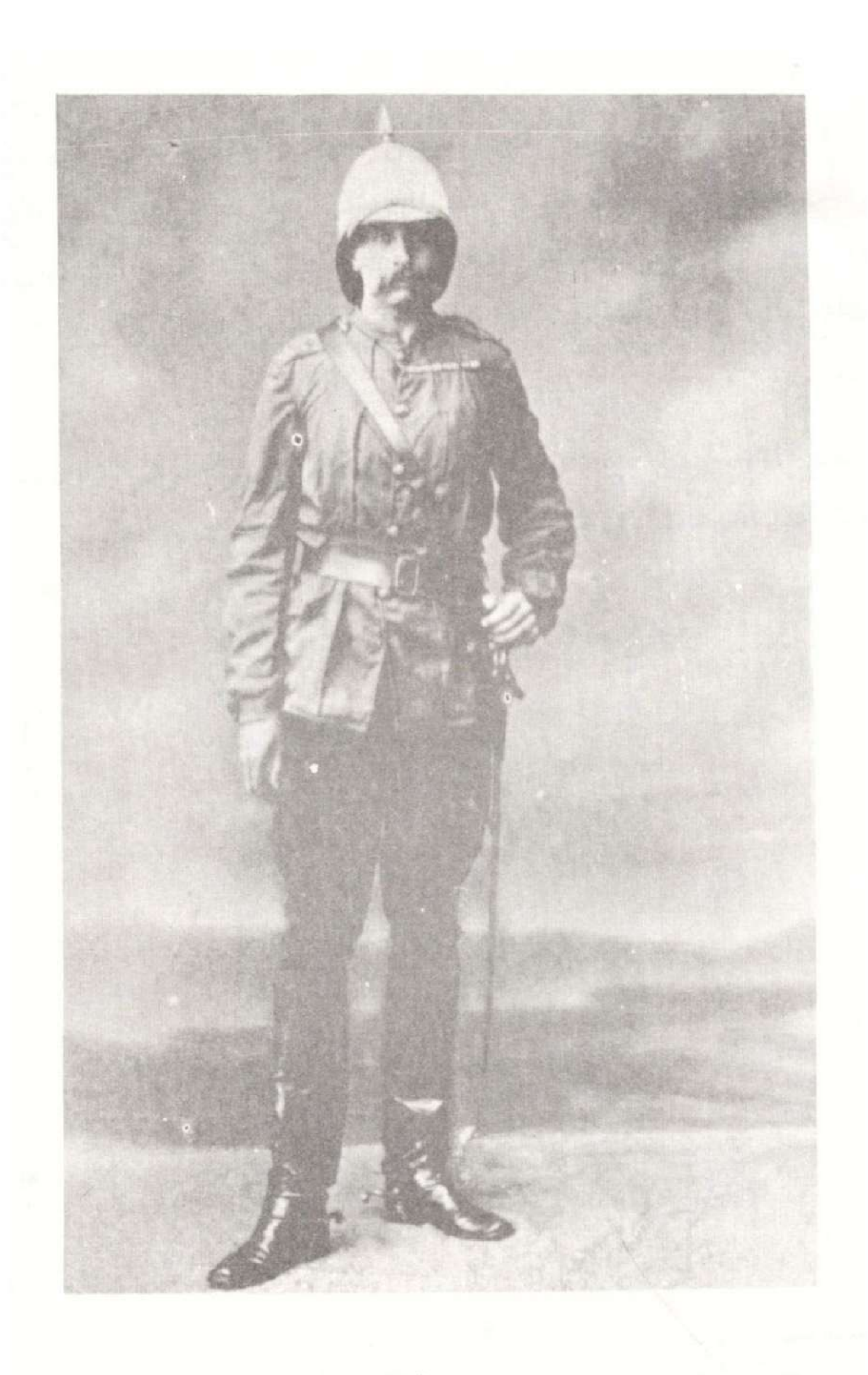
أخذ الثوار ما غنموه من أسلحة بيكر وتوجهوا لتشديد الحصار على طوكر . ان حامية طوكر كانت تملك أغذية كثيرة ،ولكن ذخيرتهم نفذت وأصيب أهلها بالإسهال. زد على ذلك عاملا ضخما قد دخل في عنصر الحصار . هذا العامل هو مدافع الكروب التى اتوا بها من أرض معركة الساحل الثانية . ان اسماعيل عبد القادر الكردفاني وصف هذه المدافع بأنها : (مدافع متينة كما قدمناه تخرق الجدران الثلاثة والأربعة في ضربة واحـــده) «١» .

لم يكن أمام الحامية غير التسليم .تركوا حصونهم المشيدة، وخرجوا مسلمين إلى امير الحصار عبد الله حامد ،في الرابع والعشرين من فبراير عام ١٨٨٤ م .



١ – الكردفانى ص ٢٦٤ .


معركة
الساحل الثالثة



جنرال قراهام

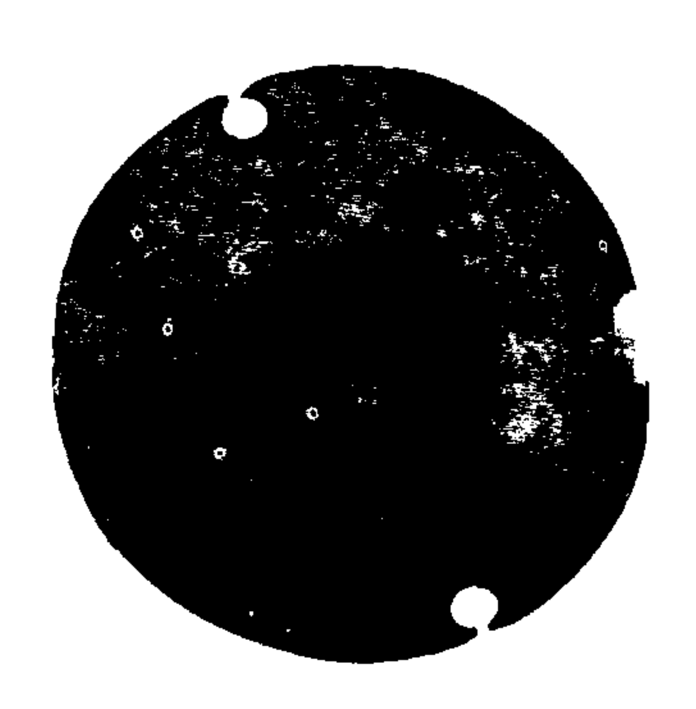
وقعـــة الساحل الثالثة

الانجليزية الاولى

التيـــب الثالثة

كلها اسماء لمعركة الجمعه ٢٩ فبراير ١٨٨٤م

استطاع الانجليز تجميع جيش ضخم بسرعة مذهلة اتجه من سواكن إلى ترنكتات، للانتقام لهزيمة بيكر واحتلال شرق السودان ثم التقدم إلى بربر .



الجيش البريطاني

القائد : سير جيرالد قراهــام .

مساعد القائد : سير جون ديفــز .

اركان حرب : مائة وأربعون ضابطاً يعملون بالجيش المصرى الجديد . القوات التى اخذت من مصر والهند كلها انجليزية . قوات الوية القاردز ارسلت من بريطانيا مباشرة بقيادة جورج اينهام الذى صدرت الأوامر إليه بالتحرك من هناك ، يوم ١١ فبراير ١٨٨٤ م «١» .

هــذه القوات تتكون من :–

١ – لواء السوارى العاشر وهو اللواء الذى كان يقوده في السابق – قبل جريمته – القائد المهزوم فالنتاين بيكر .

٢ – اللواء ٤٢ ، المسمى (بلاك وتش) واسمى فيما بعد « بالرويال هاى لاندرز » .

٣ – لواء « البلو جاكتز » .

٤ – الوية « قاردز » .

٥ – لواء « يورك » .

٦ – لواء « لانكستر » .

٧ – كتائب الوية مشاه متعددة .

٨ – سرايا فرسان متعددة .

٩ – طواقم مدفعية من الأسطول الملكى البريطاني .

١٠ – طواقم مدفعية من المدفعية الملكية .

١١ – قوات مهندسين من المهندسين الملكيين .

١٢ – مستشفى ميدان .

١٣ – قادة جمال .

مجموع الجيش الانجليزى واتباعه : اربعة وعشرون ألف رجل تقريباً .

---

١ – مذكرات يوم ١١ – ٢ – ٨٤ ، بلنت صا ٣٦٤ .

السفن التي حملتهم الى ترنكتات : ثمان وعشرون سفينة حربية انجليزية .

الاسلحة :

١ . بنادق مارتيني هنري ذات الطلقة الواحدة ماركة «بوكسر» عيار (٠٤٥) .

٢ . سته مدافع قاردنر وهي سريعة الطلقات وتعمل بطلقات من نفس عيار البندقية ولكنها طلقات خطيرة . اذا اصابت رأس انسان فانها لاتخترقه وانما تقطعه وكأنه قطع بمقصلة .

٣ . مدافع ٧ رطل وعددها ثمانية. انها تفك كمدفع القاردنر وتوضع على الجمال . عند انزالها يمكن تركيبها بسرعة كبيرة .

٤ . سيوف سنجة انجليزية ١٨ بوصة .

٥ . مسدسات انجليزية للفرسان .

الملابس :

المشاه :جاكتات الجيش الانجليزي العادية وهي الحمراء والقرمزية اضيفت اليها الزرقاء والرصاصي الخفيف السراويل بالوان زيتية بخطوط طوليه وتنتهي تحت الساق، حيث يبدأ شريط ساق حتى الحذاء الازرق الداكن العادي .

الويه اخرى تلبس سراويل طويلة، حتى الرسغ . الوانها زرقاء وتنتهي بحذاء (بوت) قصير فوق الرسغ باثني عشر سنتمتراً . على الرأس برنيطة فلين عليها خمسة شرائط. احزمة بيضاء للوسط واخرى تتدلى من الكتف .**الفرسان** : جاكتات حمراء وتحتها سراويل تحت الساق بقليل (بيج) بخطوط طولية، والحذاء جلدى بني على طول الساق وله مهماز .

حزام للنصف واخر للكتف الايمن وثالث للكتف الايسر . في الجانب الايمن لحزام النصف مسدس وبالجانب الايسر سيف . القبعة من الفلين ، مستديرة وبها خمسة شرائط، وعلامة اللواء في واجهتها .

الاسطول : (اوفر اول) ازرق ينتهي بحذاء فوق الرسغ بحوالي عشرين سنتمتراً . الياقة العريضة تغطى كل الكتف وهي زرقاء فاتحة اللون بها اربعة شرائط بيضاء .

احزمة الكتف تنتهي بحزام النصف ، الذى علقت به حافظتان جلديتان (٢٠×١٠ سنتمترات) الى جانب حقيبة اغذية بيضاء على يمينه ،وسنجة على يساره .

حبلان يتدليان من عنقه ينتهيان في الصدر ، واحد أبيض ينتهى بعقدة والثاني ازرق ينتهى بزر كزر الطربوش المغربى. البرنيطة مستديرة ولكن قمتها مسطحة وقد كتب اسم السلاح عليها .

الهاى لاندرز: الالوية الاسكتلندية تلبس الجكيت الانجليزى العادى ولكنها بدل السراويل تلبس تنورات (اسكيرتات) . تنورات هذا اللواء خضراء زيتية بها خطوط القماش الاسكتلندى المعروف ، وهى خطوط راسية وافقية .

التنورة تنتهى في الركبتين ، وتحت الركبة يبدأ الجورب وهو أيضاً من القماش الاسكتلندى الأحمر المخطط بالأزرق . الحذاء عادى ولكن به غطـاء حذاء يرتفع على الساق عشرين سنتمتراً . امام التنورات قطعة من جلد الماعز الأبيض في شكل صفقه ضخمة بها خمس قطع هداب (زراكش) من الخيط الأسود . القبعة عادية مستديرة ولكن بها وردة حمراء كبيرة من الخيط .

سير جيرالد قراهام

ان بريطانيا لكى تثأر لبيكر اختارت افضل ضابط لديها في جيش الاحتلال بمصر . ان سير جيرالد كان زميلا لغردون في الكلية الحربية ، وصديقاً له تابعه في رحلتـه الى السودان الاخيرة حتّى كورسكو .

ان قراهام يتبع للواء المهندسين الملكيين البريطاني ، حارب في الصين ونـال في حرب القرم وسام صليب فكتوريا . وقد وصفه وولسلى بانه يملك قلب اسـد وخفـر فتاه . انه يأتي من عائلة متوسطة الموقع الاجـتماعى والمالى . والده كـان طبيباً في « كمبرلاند » اما هو فقد تزوج ارملة قسيس وانجـب منها ستة اطفال .

عندما اختير لحملة الانتقام كان في الثالثة والخمسين من عمره ... اشقر ضخـم طويل . ان طوله ستة اقدام وست بوصات (١٩٨ سنتمتراً) . اننا في حروبه القادمـة بالسودان لن نفكر في الستة اقدام وانما في الست بوصات التى تشكل قمة عقله !

القوات السودانية

المتبقى من قوات الثورة السودانية تحت إمرة امير الساحل عبد الله حامد، كـان حوالى التسعمائةمقاتل بينهم جرحى .امدهم الامير عثمان دقنه بألفى مقاتل بقيادة الامير مدنى ابن على ابن اخ عثمان دقنه- واصبح اميراً على كـل القوه .

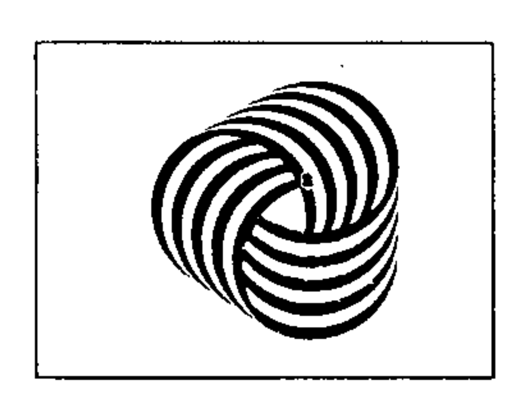
فى المنطقة استطاعوا جمع بعض كبار السن الذين اصروا على الاستشهاد فى سبيل الله، وبصعوبة بلغ العدد ما يقل قليلا عن ثلاثة الاف. عدد قليل منهم كان يركب خيولا.

الاسلحـة :

هى الاسلحه القديمة التقليدية - السيف والخنجر والرماح والدرقات، بالاضافة هـذه المرة الى البندقية المارتينى هنرى والمدافع . كل من استطاع حمل بندقيه واطلاقها اعطى بندقيه وملأ حزامه بذخيرتها .عدد المدافع كان ثلاثة مدافع قاتلنج ومثلها كروب.

المـلابس :

نفس الملابس التى لبسوها فى معركة بيكر وفى كل المعارك.



اوامر الخطة البريطانية

الاوامر التى صدرت الى قراهام هى جزء من الخطة التى اعدت اصلا لاحتلال السودان، وهذا ما مكن من تحريك قوات من مصر والهند وبريطانيا لاكمال الجزء الخاص بفتح طريق بربر– سواكن، بسرعة ودون تحضيرات جديدة. هذه الأوامر تتلخص في الاتي :

١ . انقاذ طوكر واحتلالها .

٢ . القضاء على عثمان دقنه وثواره .

٣ . انشاء مراكز امداد بين سواكن وبربر . طول الطريق مائتان وخمسة واربعون ميلا .ومن المستحسن ان تكون هذه المراكز فى : ابار هندوب، ابار دسبيل، ابار هريتى ابار الارياب، ابار اوباك، وابار محو بلك .

٤ . سوف يتلقى قبل تحركه نحو بربر مجموعة مستودعات ماء مستديرة مركبة على عجلات يجرها صوماليون وزنزباريون .خطة قطع هذا الطريق رسمها بالخرط ادميرال المؤخرة دبل يو.ف. ركستون. وقال ان الانجليز ايضا يمكنهم دفع هذه العربات بأجر اضافى .ولماذا يؤتى بصوماليين وزنزباريين ؟قال واضع الخطه، ان هؤلاء يستهلكون نصف جالون من الماء يوميا فقط .هذا الجزء من الخطه تكشف بعد فشل حروبات قراهام ونشرتها الصحافه كفكرة بديلة لارسال جيش عن طريق النيل الطويل.

٥ . سيكون قراهام وجيشه فى بربر بعد ثلاثة اسابيع من بداية الرحلة اليها (حسبوها على اساس الوقت الذى احتاج اليه هكس فى رحلة الامل الضائع عام ١٨٨٣ عندما عبر هذا الطريق فى ثلاثة اسابيع بقواته الى بربر) .

٦ . عند وصوله الى بربر يتصل برئاسة قواته فى مصر وبجنرال غردون فى الخرطوم لاوامر اخرى .

نزول القوات البريطانيه

فى يوم الخميس الثامن والعشرين من فبراير ١٨٨٤م وقفت ثمان وعشرون سفينة حربية بريطانيه قبالة ساحل ترنكتات وبواسطة زوارق انزال وصلت قوات قراهام الى الشاطىء السودانى.

قوات الرصد التى وضعها الثوار فى عدة مناطق، راقبت النزول دقيقة بدقيقه. وكانت

ترسل المعلومات عبر نقاط اقيمت فى الطريق .رأت قيادة الثوار عدم التدخل فى عماية الانزال، وقد وصف هذا القرار الكردفانى بأن الغرض منه (ليتمكنوا من حصدهم اجمعين، ازالة لمادة الكفر من جزيرة سواكن وما والاها). (١)

قوات لواء السوارى العاشر كانت اول قوات تنزل، وقد رأت نقاط مراقبة الثوار ولكنها لم تحاول الوصول اليها .

تقدمت قوات قراهام الى ان وصلت الى زريبة بيكر على بعد ثلاثة اميال من الشاطىء وعسكـــرت بها .

رساله من قراهام الى الامراء والشيوخ

ارسل قراهام الاميرلاى هارفى بك وهو احد الضباط الانجليز الذين يعملون فى الجيش المصرى الجديد، برسالة الى الثوار وقد كان يحمل علما ابيض ويركب جوادا.اتجه الى احدى نقاط المراقبه وسلمهم خطاب قائده .

الخطاب يطلب من الامراء والشيوخ تفريق قواتهم المحاربه فى وقت اقصاه فجر الغد والتسليم له، والا ستكون العاقبه على رؤوسهم ورأس امير امرائهم عثمان دقنه .

جواسيس للاتيان بالاخبار

ارسل قراهام بعد ذلك جواسيس لتقصى احوال طوكر، فعادوا اليه ذاكرين ان طوكر قد سلمت منذ ايام وان الانصار بداخل استحكاماتها وبالقرب من التيب .

الجمعه التاسع والعشرون من فبراير ١٨٨٤م

فى الصباح فتح الجنود علب اللحم المعلب وتناولوا افطارهم مع كوب شاى ساخن. الجو بارد ولكن نسبة الرطوبه عاليه فجعلت الهواء منعشا، الرياح تهب خفيفة من الشمال الشرقى الى الجنوب الغربى والسماء بها سحاب خفيف .

---

١ — الكردفانى ص ٢٦٥

المربع الاسطورى يتقدم

كون قراهام– الذى قرر الهجوم –مربعا ضخما ضلعه حوالى التسعمائه.ياردة .فى داخله وضع حيوانات النقل .سرية من لواء السوارى العاشر تقدمت امام المربع للاستطلاع ،وبقية اللواء مع الفرسان جعلت خلف المربع .المدفعية سريعة الطلقات ومدفعية الميدان وضعت على الاركان .تقدم هذا المربع الاسطورى الضخامه فى ارض بها وديان وكثبان رمليه. مر المربع على جثث قوات بيكر التى ملأ ت الطريق. الروائح الكريهه تنبعث من الجثث المتحللة .الطيور الجارحه تتناول وجبة افطارها من هؤلاء الصرعى بالاسلوب الذىوصفه بيكر عندما كان فى الاستوائيه ، حيث لاحــظ ان النسور تبدأ باكل المناطق اللينه من جسم الانسان ثم تتجه نحو المناطق الاقوى لحما .

المربــع بالقرب مــن التيــب .

قوات المراقبه التابعه للثوار بدأت تتقهقر امام المربع ، راصده اتجاهه ومبلغة رئاستها .عندما اقترب المربع من الطابيه التى بناها الثوار بالقرب من التيب امر قائد الثوار باطلاقالمدافع على المربع .

المعركة

الساعه عندها كانت الواحده ظهرا .دانات الثوار تقع فى داخل المربع مصيبة الحيوانات ومن لقيها من الجنود .توقف قراهام وامر مربعه بالتوقف وامر بضرب مدفعية الثوار. استمر الضرب بين الجانبين لاكثر من ساعة بعدها سكتت مدفعية الانصار ، حاول المربع التقدم مرة ثانية فىاتجاه جناح الانصار الايسر ولكن ليواجه هذه المره برصاص المارتينى هنرى التى استولى عليها الانصار من قوات بيكر . الرصاص كان ياتى من القوات المتحصنه بالطابيه ومن ثقوب فى الارض، حفرها الهدندوه واندسوا فيها خارج الطابية. المربع المتقدم نحوهم كان ضخما ولاتمكن مقارنته بعدديتهم التى لم تصل لثلاثه الاف إلابعد اضافة كبار السن .بعض الشيوخ كانوا فوقالسبعين من اعمارهم .كان كل ثائر يعرف ان قوتهم لاقبل لها بهذا المربع الذى حشدت له بريطانيا ما يقارب تسعين بالمائه من قواتها فى مصر وعددا ضخما من قواتها بالهند وبريطانيا والبحر الاحمر .

الوعــد الحق

كان حديث الانصار مع بعضهم وعوداً يلتزمون بها .واحد يقسم بالله أنه لن يموت قبل أن يقتل منهم خمسة .اخر يعد بانه لن يموت قبل أن يروى عطش سيفه من اعداء الله .

الامير الطاهر الحاج عمر قمر الدين المجذوب طلب ممن حوله طلبا عاهدوه عليه .قال الشيخ الطاهر (اذا اصبت قبل أن أتمكن من الوصول الى العدو، فجرونى برجلى حتى توصلونى اليه لعلى اتشفى من اعداء الله بضربة ، ولو فى اخر رمق منى ثم أدفنونى فاستريح مــن شؤم الدنيا) . (١)

الالتحام :

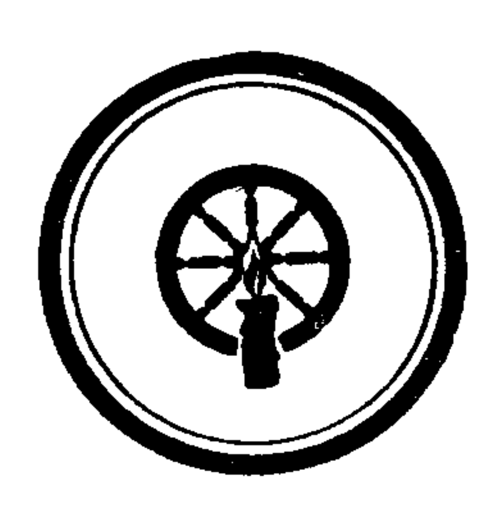
عندما اصبح المربع على بعد مائتى ياردة من القوات الانصاريه المبعثرة فى ثقوب بالارض ، أوقف هؤلاء الضرب بالبنادق واندفعوا بحرابهم وسيوفهم نحو المربع .امر قراهام قوات الفرسان بالاندفاع بعيداً عن ألمربع لملاقات الخارجين من تلك الثقوب الارضية قبل ن يتجمعوا فى شكل محور يهاجم المربع .وصلت اعداد كبيره منهم الى المربع الذى فىمقدمته الويه : البلاك وتش فى نصف المقدمه والى جانبيه لواء « اليوركز » ولواء اللانكستر .اصاب الهلع قوات البلاك وتش . فالانصارى بعد ان يضرب بالرصاص او السونكى يقفل جراحه بيده ويندفع مقاتلا دون توقف لرمشة عين .انهم تواعدوا على ان يقتلوا من اعداء الله .

عمت الفوضى مقدمة المربع. لم يعد لواء البلاك وتش يستمــع الى اوامــر قادتــه. فى تلك اللحظه بدأت مدافع القاردنر فى توجيه نيرانها نحو الانصار المهاجمين و كان تاثيرها ماحقا. اصيب عدد ضخم من الانصار اصابات لم تمكن الكثير منهم من الحركه. حاول المربع التقدم فو ق منطقة المصابين ولكن لم يكن ذلك ممكنا .ان الجريح الذى بقيت يده متحركه وهو على الرمل ولا يملك ساقين ، يضرب بسيفه ضرب الاسود ، ويطلق

---

١ — الكردفانى ص ٢٦٦ .

حـــربته بدقة اندفاع حجارة من سجيل .لم يجد قراهام امامه غير الاجهاز على الجرحى. اخذت مسالة ضمان سلامة المنطقة ومحاربة الجرحى ثلاث ساعات كامله .وعند مواجهة القوات التي كانت متحصنه بالطابيه ، كان الموقف اكثر شراسة مما كبد قواته خسائر جمه. مقدمة المربع التى اصليت نارا حاميه كانت غير قادرة على التحرك، ولكن المدافع استطاعت ان تقدم للانجليز خدمات كثيره .فقد استمر ضرب المدافع لتلك التحصينات حتى منع الظلام القتال .



حصاد المعركة :

الجانب الإنجليزى :—

١ — فقد الانجليز ما يزيد عن ثلاثة الاف قتيل ، وحوالى ثلاثة الاف جريح بينهم ألف تقريباً بترت أطرافهم أو ضربوا في أماكن خطيرة ولا أمل في شفائهم .

٢ — تقريباً كل الجمال التى كانت تحمل أثقالهم قتلت .

٣ — خسر الانجليز كل دانات مدافع الميدان. من طلقات البنادق بقيت لهم ربع مليون طلقة من مجموع خمس ملايين طلقة كانت لديهم عند نزولهم .

الشهداء :—

استشهد نصف الأنصار وجرح النصف الآخر. قليل جداً خرج من المعركة سليماً. هؤلاء القلائل بدأوا مساعدة أخوانهم الجرحى ودفن الشهداء بعد الصلاة عليهم .

استشهد من الأمراء ، الأمير مدني بن على قائد الجيش ، والأمير عبد الله حامد أمير الساحل ، والأمير الطاهر بن الحاج عمر قمر الدين المجذوب ، والأمير موسى قيلاى .



ما بعد المعركة :-

توجهت القوات البريطانية في المساء إلى مأمورية طوكر ، وهي شبه خالية . حيث قضوا ليلا مرعباً .

ثلاثة الاف جريح يحتاجون إلى علاج سريع . الجراحون قضوا الليل في العمل المستمر حتى الصباح .

بالنسبة إلى قراهام فان فقدان كل ذخيرته تقريباً وكل جمال الاحمال وجرحى يموتون في كل دقيقة تمر ، امر ينذر بخطر كبير . ثم ان امير امراء الشرق عثمان دقنه الذى يحاصر المنطقة بالكامل سوف يأتي سريعاً جداً لمواصلة الحرب التى لا يملك لهـــا (قراهام) غير ربع مليون طلقة بندقية .

ارسل قراهام جواسيس ليأتوه بأخبار الأمير عثمان دقنه . وفي الحقيقة لم ينتظر حتى يعود اليه الجواسيس ، ففى الخامسة والنصف صباحاً ، بعد إجتماع معقادته ، كانت قواته تحمل جرحاها وتتجه نحو سفنها .

كسب قراهام المعركه وخسر النصر .

في سواكن وضعت كل المرافق العلاجية وغير العلاجية لتلقى الجرحى . بقيت كل القوات في الميناء الذى ازدحم بهم لحين ايصال المعلومات إلى القيادة في مصـــر وبريطانيا وتلقى رد منهم . ايضا هناك قائمة أخرى ضخمة لاحضار امدادات أخرى من مصر أو غيرها ، في شكل ذخيرة وجمال ودانات وأغذية . هذا بالإضافة إلى المئات من الجرحى الذين يجب ارجاعهم إلى بلدهم .

وقبل أن يكمل قراهام ارسال برقياته ، اتاه الجواسيس بخبر ان الأمير عثمان دقنه قد ارسل جيشين ، واحداً بقيادة الأمير حامد ـ ابن أخ أحمد دقنه ، والثاني بقيادة ادريس شكر ، ارسله بعد يوم من ارسال الجيش الأول. الأوامر التى اعطاها الأمير عثمان كانت الهجوم على مأمورية طوكر وقت الوصول اليها دون تأخير . وصل الجيشان ولكنهما لم يجدا الانجليز .

معركة التماى الثانية

التميب الانجليزية

١٣ مارس ١٨٨٤م

اعداد الجيش الانجليزى :

قوات الجنرال قراهام نالت حظها من الراحة بسواكن . ارسلت الاصابات الخطيرة بسفن إلى مصر ، وتسلمت القوات الامدادات التى طلبتها من القيادة بمصر .

كان على قوات قراهام ان تحتل أراضى داخل الدولة السودانية غير سواكن أو الرجوع لمراكزها ، فوزارة الحربية البريطانية لا تملك خياراً آخر . ان الامـــدادات الغذائية في سواكن لا تكفى جيشاً بهذا الحجم . ان أكثر المياه تقطر تقطيراً في سواكن لامداد حاميتها وسكانها. الأغذية التى تأتي إلى سواكن من البهائم لم تعد تصل اليهم من داخل البلاد بسبب الحصار المتقن الذى فرضه الأمير عثمان دقنه على الميناء .

خطابات بين قراهام وألامير عثمان دقنه

ارسل قراهام خطابا إلى عثمان دقنه يتهدده فيه اذا لم يفرق قواته ويفك الحصار عن سواكن .

لم يرد الأمير على خطاب القائد الانجليزى .

ارسل قراهام خطابات أخرى إلى الأمراء بجيش دقنه ينصحهم بالتخلى عن قائدهم والتسليم له . عندها تسلم رداً من الأمير عثمان دقنه ، عليه ختمه وأختام امرائه يقول فيه : (دع عنك النصح ، واستعد للقتال الذى يكون فيه هلاكك إنشاء الله) .

خروج الجيش البريطـــانى :

في يوم الثلاثاء الحادى عشر من مارس ١٨٨٤ م خرج قراهام بجيشه من سواكن في اتجاه ابار التاماى حيث توجد قوات الأمير عثمان دقنه .

عدة وعتاد الجيش الانجليزى :

انها نفس القوات التى حاربت في وقعة التيب الثالثة (الساحل الثالثة وايضا تسمى الانجليزية الأولى التى حدثت يوم ٢٩ فبراير ١٨٨٤ م). جميع الذخيرة التى فقدت استورد بديل لها . البنادق التى تعطلت أو فقدت استبدلت . المدافع تمت مراجعتها . أضافوا مدافع قاتلنج. حدث تبدل في العدد . فهذه القوة تتكون من القوة السابقة تماماً

ما عدا الموتى والجرحى . حدثت بعض عمليات اتمام لبعض قوات البحرية والاسطول من القوات البريطانية الموجودة بسواكن .

وعليه فهذه القوة تبلغ عشرين ألف مقاتل من نفس الالوية التى حاربت المعركة السابقة . عدد الخيول التى معهم ستة الاف حصان .

التقــدم :

اتجه قراهام بقواته في اتجاه التاماى ، تتقدم قواته قوات لواء السوارى العاشر للاستطلاع . كان التقدم حذرا جداً، فليس في الجيش الانجليزى من يثق من اين يخرج الأمير عثمان دقنه . عندما إنتهى اليوم وصل الجيش المتردد إلى زريبة كان بناها بيكر على بعد ثمانية أميال من سواكن .

باتوا هناك ليلتهم، وفى صباح الاربعاء الثانى عشر من مارس ١٨٨٤ واصلوا التقدم فى اتجاه التاماى .السير هذه المره كان اكثر بطأ .عندما حل منتصف النهار كانــوا على بعد ميل واحد من قوات عثمان دقنه .لم يفكر القائد فى الهجوم على جيش الثوار ، وانما امر باقامة زريبة قوية منيعه لبقاء قوته ليلة اخرى .تم ذلك ووضعوا قوات مراقبة وديدبانات فى كل جنبات الزريبة .

قناصــة الليل

عند ما حل المساء وصلى الامير عثمان دقنه مع قواته العشاء، ارسل قناصة لضرب الجيش الانجليزى على طول الليل .تذهب مجموعات ثم تصلها مجموعات اخرى فتنسحـــب الاولى .ان الزريبه قد احيطت من جانبين بهؤلاء القناصه .

استطاعت قوات القناصه ان تمنع نوم اهل الزريبه على طول الليل .مع اول رصاصات اصيب بعض من السوارى فهرب البقية الى داخل الزريبه .استمروا فى الاقتراب منهم جدا واطلاق النار عليهم فى ذلك الظلام الدامس .لم يجد الانجليز فى داخل الزريبة عاصما لهم غير النوم وراء مجموعات الخيول .وحتى هذه كانت تشكل خطورة عليهم. ان الخيول بعكس الجمال لاتبرك وبالتالى سترها قليل النفع .واكثر من ذلك فالخيول تثور عند اصابتها وتندفع مشكلة خطرا على من ينام تحتها .

قضى الانجليز ليلة مرعبة يتساقط فيها الموت من خلف الزريبة . حاول الانجليز اطلاق النار على رماة الليل خلف السواتر ، ولكن هـذا كان أكثر صعوبة من اصطياد سمك نهر التيمز باطـلاق النار عليه .

لا احد يستطيع ان يرى فى الظلام هذه الوجوه التى تقذف بالموت ، فى ارض هذه الوديان التى فى لون اجسادهم السمراء .الليل الذى فى سواد شعورهم يكمل رتوش الاختباء الكامل .وضع بعض الجنود الانجليز اذانهم على الارض علهم يسمعون وقع اقدامهم فيطلقون النار فى ذاك الاتجاه، فلم يسمعوا شيئا على الاطلاق . ان اجسامهم الرقيقة النحيله المتوسطة الطول ، وهيئة اجسامهم وقسماتهم الحاميه ، تجعل حركتهم فى خفةالريح ورعبـه .

الشيىء الذى استطاع الانجليز قذفه عليهم خلال الليل بطوله ، كان السباب بكل انواعه وفصائله ...وما اكثر ما عرف الجندى البريطانى فى هذا المجال .
استمر اطلاق النار ...واستمرت اصابة الجنود والخيول ..واستمر السباب وعمليات الاسعاف الطبى .



صباح الخميس الثالث عشر من مارس ١٨٨٤م

التشكيـــل

عند ما أصبح الصباح كان عدد الخيول الميته و المصابه يقارب الالف فرس .عدد الجنود المجندلين وتحت الاسعاف يقـــارب الثلاثمائه .لم يعد قراهام يملك من حيلة غير أن يخرج بقوته لملاقات الثوار. أمر القائد بتشكيل مربعين ، الاول اكبر من الثاني بقليل .

المربـــع الاول :

القائد : سير جون ديفز .

ضلع المربع مائتان وخمسون متراً .واجهته تتكون من الالويه التاليه :

١ . بقايا لواء البلاك وتش .

٢ . بقايا لو اء اليور كيز .

٣ . بقايا لواء اللانكستر .

الجناحان : الوية مشاة وفرسان راجله اضيفت لهم سرايا فرسان قتلت خيولهم .

المؤخره : الوية بحريه .

المدفعيه :ثلاثه مدافع قاردنر ، وثلاثه مـــدافع ميدان سبعـــة ارطال ، وضعت كلها على الاركان مع مدافع القاتلنج .

المجموع :ثمانية الاف جندى تقريبا .

المربـــع الثانى

القائد : الجنرال ريدفرز بولر

الضلع : مائتان واربعون مترا .

قوات هذا المربع هى بقية قوات جنرال قراهام ما عدا الفرسان .

المدفعيه : مثل المربع الاول تماما .

المجموع .سبعة الاف رجل .

الفرسان:

منفصلون تماما عن المربعين ودورهم سيكون تطويق الثوار .

خطاب جنرال قراهام

خطب الجنرال قراهام فى لواء البلاك وتش الذى وضعه فى المقدمة اليسرى للمربع **الاول** .تحدث مذكرا جنود اللواء بالفشل الذريع الذى صاحبهم فى حرب التيب الاولى ، وكيف تسببوا فى جميع ما واجه الجيش من مشاكل تلت عدم سماعهم للاوامر . ثم قال : ان هذا اللواء الذى له تاريخ حافل بالبطولات خلال تاريخه العريق ، اصيب بوصمة عار كبرى .وقال :انه لن يترك هذه الوصمه تستمر طويلا ، لذا وضعهم فى المقدمة مرة ثانيه لكى يثبتوا للجيش البريطانى المكانه الساميه التى كانوا بها دائما .وختم حديثه بقوله : انهم لن يعيدوا مهزلة الجبن والخوف التى صاحبتهم عندما رأوا الثوار فى ثقوب الارض فى التيب الاولى .

ويجب ان نذكر للتاريخ ، ان جنرال قراهام كان يشعر بخجل شديد وهو يوبخ هذا اللواء الذى عرف خلال تاريخه الحربى بالاقدام والبساله .ان الالويه الاسكتلنديه كانت دائما توضع فى المقدمة .ان اكبر فشل واجه الاسكتلنديين كان فى السودان .
دخل الاسكتلنديون المعركة الجديدة تحت شعارهم (لا أحد يثيرنى باعفائى من العقاب)

الخطة البريطانيه للمعركة

الفكرة ان تحطم قوات عثمان دقنه فى هجوم واحد مباشر . أما اذا ظهر اثناء المعركة أن الامير عثمان يريد الهجوم بمحورين فان كل مربع سيحارب محوراً منفصلا . دور قوات الفرسان هو تطويق قوات الثورة لكى لاتفر .

المنطقة

المنطقة التى وقف بها المربعان – الاول متقدم عن الثانى بألف يارده ، والثانى فى خط مـــواز للاول بحيث تصبح ميسرة الثانى فى خط مستقيم مع ميمنة المربع الاول –هى ارض منحدره تحيط بها وديان جافه من ميمنة المربعين ومن الميسره .هذه الوديان تنحدر حتى تصب فى واد كبير عرضـــه مائه يارده به ضفتان عاليتان الوادى الكبير مليىء بالصخور المتناثره .

قوات الامير عثمان دقــنه واسلحته

قوات الامير عثمان دقنه التي يقودها بنفسه، والتي لم يظهر لها أي اثر حتى هذه اللحظه غير رايات خلــف الــوادى الكبير ، تتكون من ستة الاف مقاتل يحملون سيوفا ورماحا وخناجر وحوالى نصفهم يحملون بنادق مارتيني هنرى .

ملابسهم هي نفس ملابس ثوار ألهدندوه ..... السراويل الطويله القطنيه والثوب الذى يلقى به بين العجز والكتفين ويتخلص منه عند الهجوم السريع .



عندما تكسرت السماء حديدا

تقدم المربعان محافظين على المسافه بينهما .صدر امر بالتوقف واطلاق النار .
ضرب البنادق كان فردياً ولكن الطلقات والدانات التي كانت تخرج من ستة مـدافع قاردنر وثلاثة مدافع قاتلنج واربعة مدافع ميدان، بالاضافة الى ثمان الاف بندقية، كان امراً جعل السماء تتكسر حديداً ساخنا متفجراً فوق ارض الثوار، ولكن هذا لم يحرك ساكنا ..الصمت كان الشيء الوحيد الذى اطلقته منطقة الامير عثمان دقنه .
ثار السير جيرالد قراهام ـالذى كان يقف بالقرب من الزاوية اليسرى الاماميه للمربع الاول ـعلى عدم تقدم قوات عثمان دقنه للهجوم .

قراهام يتسلم قيادة المربع الاول

تسلم قراهام قيادة المربع الاول بنفسه من سيرجون ديفز، وأمر شفهيا باربعين ثانيههجوم. وهنا ارتكب خطأ حياته التكتيكى الذى كان ينتظره الامير عثمان دقنه .
المربع بكامله لم يسمع بالطبع هذا الامر الشفهى .اللواء الوحيد الذى سمع، كان لواء البلاك وتش الذى كان القائد يقف على ميسرته .هتف رجال البلاك وتش واندفعوا فى هجوم مطلقين الرصاص .. لم يكن امامهم عدو يرونه لكى يتقدموا فى هجوم!!
عند ما رأت قوات اليوركز واللانكستر أن قوات البلاك وتش تهجم وليس امامها عدو تهجم عليه ترددوا لثوان .... ثم هجموا أيضا فكانوا متخلفين عن اللواء الايسر بخطوات هى التى استغلها الامير عثمان دقنه .
عندما توقف الهجوم بعد الاربعين ثانيه دون أن يواجهوا عدوا، كانوا على بعد ثلاثين ياردة من الوادى الكبير .صدر أمر الجنرال قراهام بالتوقف عن إطلاق النار، ولكن لواء البلاك وتش لم يأبه للامر واستمر فى إطلاق النار .

عندما كسر الامير عثمان دقنه المربع البريطانى

إن الذى حدث فى الثلاث ثوانى الفائته هو خروج تشكيلات مستطيله حادة المقدمةمن تحت ضفة الوادى المقابل للمربع، وأوشكت عـلى الوصول الى مقدمة المربع الأول ....

أنها وصلت .. إخترقت ثلاث مجموعات منها زاوية المربع اليسرى عند لواء البلاكوتش، ومجموعتان إخترقتا المربع عند زاوية ميمنته الامامية بين قوات اليوركز واللانكستر . عندما وصلوا إلى داخل المربع كان نصفه الامامي قد تشتت ، بعد أن كان قلعة كقلعة لنـــدن .

القوات التي قامت بهذا الاختراق لم تزد عن الف مقاتل .ولكن فى العشر ثوان القادمة وصلت بقية قوات عثمان دقنه الى داخل المربع من خلف الصخور التى كانت متناثرة بالوادى . الوادى الذى قصفه قراهام بعنف لم يكن به تأثر .

تمزق المربع واصبح مجموعات مشتته ماعدا المؤخره التى كانت بها قوات البحريه. هجم الثوار على طواقم المدافع بسرعه مذهله وقضوا عليها .ثم التفتوا إلى المؤخرة والمجموعات فتفتت دون عناء. كل شيء تم في بساطة كامله فى جو من التهليل والتكبير كان أعلى صوتا من أصوات الرصاص . لم يستطع ضابط إنجليزى ان يسمع جنوده أوامره .وعلى كل فالجنود انفسهم لم يلتفتوا إلى أوامر ضباطهم وهم يرون هذا الموج الكاسح من السحنات السمراء تقطع الرقاب وتبقر البطون ولاشيء يوقف إندفاعهم.

هرب قراهام

ساعد الدخان الذى ملأ الجو من أسلحة الانجليز والثوار الجنرال سير جير الد قراهام والفرسان على الهرب للمربع الثانى على بعد يزيد قليلا عن الف يارده .
عندما وصل الى هناك وتأكد أن مربعه الاول قد تحطم وقتل أكثر من به، أمر بتقدم المربع الثانى الذى تحت قيادة سيرردفرز بولر ليكون قريبا من المربع المتلاشى، وعلى ميمنته .عندما أصبح القرب مفيدا للقصف أمر باطلاق النار من المدافع والبنادق على المربع الاول ومن فيه .
الذى مر من عمر المعركه حتى ألان أقل من عشرين دقيقة .
عند ما بدأت نيران المربع الثانى تضرب، اصابت الانصار والانجليز المتبقين على السواء.

الامير عثمان بفك الاشتباك

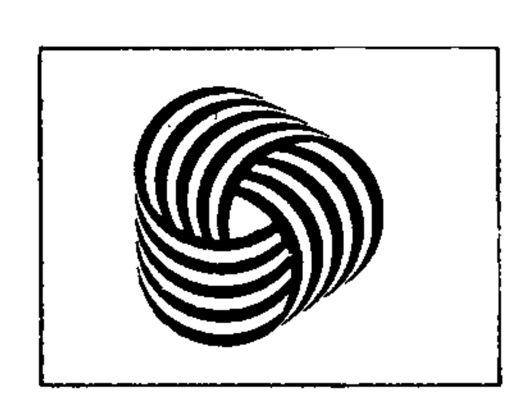
اصدر الامير عثمان دقنه أمره إلى قواته بفك الاشتباك والإنسحاب الفورى .ان ثوار

الامير رغم أنهم يقاتلون باستقلال كامل أثناء المعمعه ، الا أن أوامر واشارات الامير تصلهم وتنفذ فــورا .

حدث الانسحاب في دقيقة واحده تقريبا منذ وقت أول طلقه تصل إلى مكان المربع الاول من المربع الثاني .هذه الدقيقة كانت أكثر فتره فقد فيها الامير شهداءاً. الساتر كان قريبا على بعد ثلاثين يارده فقط ، وهو حافة الوادى .من الساتر إستمر الثوار يطلقون نيرانهم على المربع الذى لم تعد نيرانه مؤثرة على الثوار وهم خلف سواترهم .

لم يستطع قراهام ومربعه وفرسانه من التقدم ، فقراهام قد خبر حربا من هذا القبيل يوم التاسع والعشرين من فبراير المنصرم .انه سيفقد الكثير لو تقدم بمربعه لعدو شرس خلف سواتر .أما إذا أرسل اليهم الفرسان فانهم سيواجهون ما واجهوه أمام الهدندوه الذين كانوا في ثقــوب بالارض في المعركه الفائته .إن الانسحاب أيضا قد يعرضه لهجوم خلفي من الامير عثمان دقنه .

كل الذى فعله أنه تراجع لكى يخرج من دائرة مجال بنادق الامير ويستمر بتشغيل مدافعه إستمر كذلك دون أن يحدث تأثيراً في قوات الهدندوه الى أن فصل بينهما الليل .



قتلى الانجليز

ترك الانجليز ثمانية الاف قتيل (١) كل المربع الاول تقريبا قد فقد، الا من أسعفته ساقاه أو جواده كما حدث لجنرال قراهام .

الشهداء

الثوار السودانون إستشهد منهم ما يقارب الالفين (٢)، أكثرهم إستشهد فى الدقيقة القاتله التى إنطلقت فيها ثلاثة مدافع قاردنر وثلاثة مدافع قاتلنج وأربعة مدافع ميـــدان وحوالى إثنتى عشرة الف بندقية مارتينى هنرى .

مابعد هزيمـــة الانجليز

عاد الجنرال الانجليزى المهزوم الى سواكن وهو يحمل أثقالا تزيد عن أثقال مربعه المتبقى .

إن كل جنرال يكسب حروبا ويفقد أخرى، أما سير جيرالد قراهام فانه لم يخسر معركه وإنما تحطم المربع الانجليزى لاول مره فى التاريخ الحربى البريطانى .

على طول حرب البننسيولا لم يخترق مربع بريطانى .نابليون بونابرت أكبر عقلية حربيه انتجتها أوربا فى تاريخها القديم والحديث، مع ما كان لدية من أسلحة فى كفاءة أسلحه ويلنقتون فى حرب ووترلو، فشل فى أن يخترق مربعا إنجليزيا .أضف الى ذلك أن بنادق المربعات الانجليزيه حينها، عام (١٨١٥م)كانت من النوع الذى تحشى قذيفته من مقدمة ماسورة البندقيه .ومع ذلك فشلوا فى الدخول إلى المربع البريطانى .

إن هذه الهزيمه ستبقى مسجله على مدى التاريخ البريطانى مهما حاولت وزارة الحربية البريطانية او الصحافه او كتاب تاريخهم من تزوير الحقائق .

---

١ – ٢ الكردفانى ص ٢٧٩ .

عندما وصل قراهام إلى سواكن أرسل تقريره الذى ارجع فيه سبب انهيار المربع الى (أنه كانت هنالك لخبطة خطيره نتى فيها الضبط والربط .) (١)

الصحف البريطانيه التى تلقت الخبر وهى لاتصدقه(٢) قالت إن السبب فيما حدث هو (تدهور الجيش البريطانى) .

صحف أوربا الشامته والمتألمه، رغم قلة ماوصلها من أنباء، نشرت الخبر فى صفحاتها الاولى وبأكبر أحرفها .

وزارة الحربية البريطانيه التى شلت تماما بما حدث؛ لم تملك غير أن تقبل أوامر رئيس الوزراء بعودة قراهام وقواته فوراً .

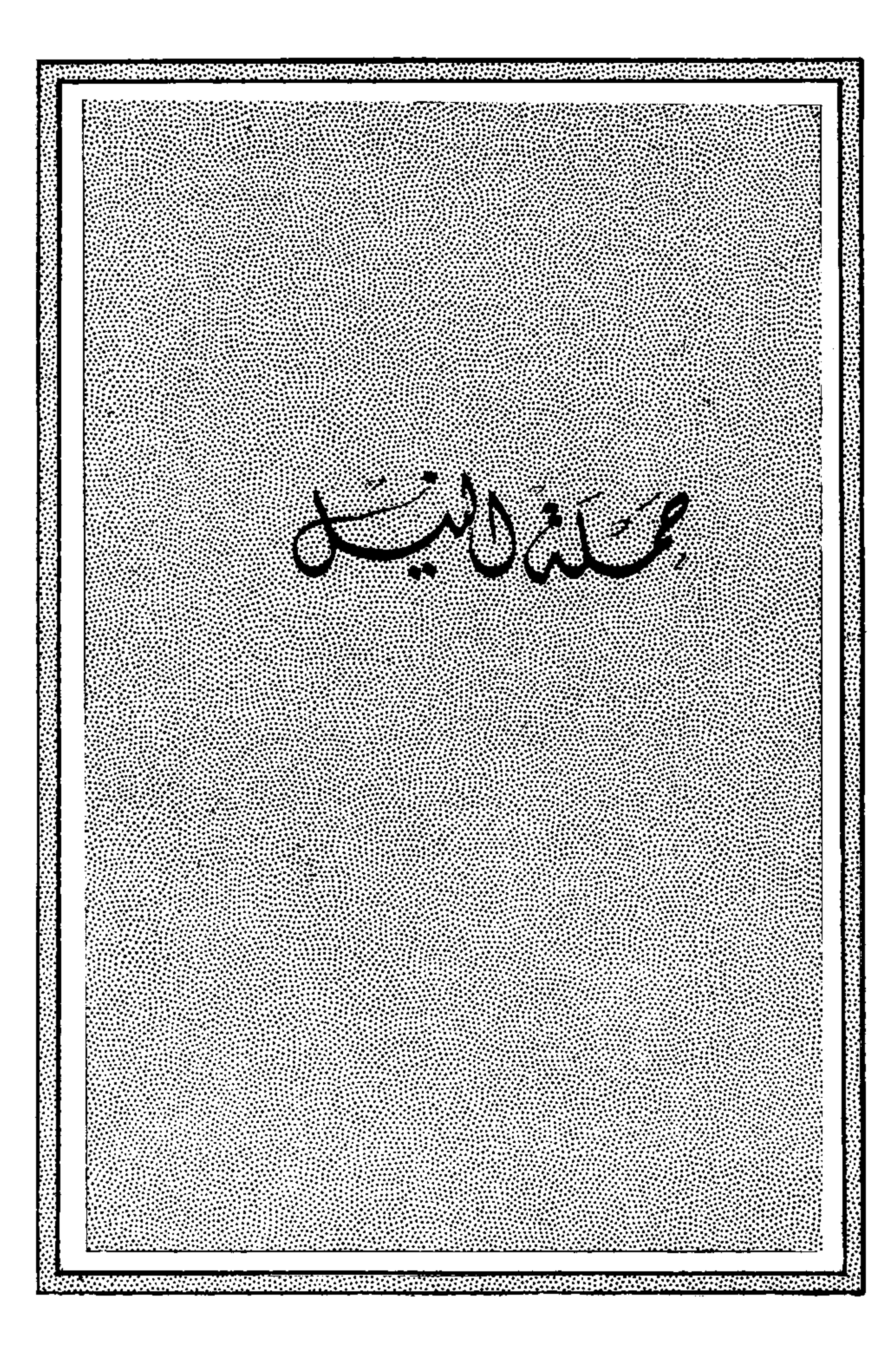
إن الكرامه البريطانيه العسكريه قد حطمت مع تحطم مربعهم فى نقطة إعتزازهم الوحيدة. وبقى الهدندوى ذو الشعر الشعث المرتفع كلبدة الاسد، أعلى هامة حربيه أصابت أقوى إمبراطوريات التاريخ بهزيمة نكراء .

أما شعر (كبلنق) فسيبقى دائما مذكراً للجيش الانجليزى بفعلة «الفظى وظى» وهو الهدندوى كما أسماه شاعر الجيش الانجليزى المذكور فى قصيدته التى يعبر فيها عن غضبه وغضب أمته على من حطم كبرياء عسكريتهم :

والان اليك ايها الفظى وظى فى دارك بالسودان .
إنك فقير دهمه الظلام وثنى !
ولكنك رجل مقاتل
من الطراز الاول .
وهنا اليك
أنت يافظى وظى
بشعر رأسك الجاف العشبى
أنت ياأيها الشحاذ الملتزم الاسود
لانك حطمت المربع الانجليزى .

١ — اوراق وزارة الحربية البريطانية

٢ — غردون الخرطوم ، جونسون ص ٦٢


مجلة النيل



جنرال قارنت وولسلی

تقرير وولسلى

في الثامن من فبراير ١٨٨٤ كتب وولسلى –نائب القائد العام لجيش بريطانيا –الى وزير الحربيه (هارتنقتون) مذكرة يقول فيها (١) :ان هزيمة الجنرال فالنتاين بيكر فى السودان تعنى نهاية غردون والحاميات المصريه، الا اذا قامت الحكومه البريطانيه بعمل .ماهو هذا العمل؟ اقترح وولسلى (انيعلن عن احتفاظ بريطانيا بالسودان، الذى سيحكمه السودانيون في المستقبل، تحت ضباط انجليز. ولكى تكون لهذا الاعلان الفعاليه المطلوبه، يرسل لواء انجليزى الى وادى حلفا وتعزيزات الى سواكن) . وتقول نهاية المذكرة (أن المشاعر بان ذلك يجب ان يحدث ستصبح ككرة الجليد كلما تحركت ازدادت حجما الى ان تحمل الحكومه على اتخاذ الخطوات لانقاذ حامية الخرطوم .انها محاولة صغيرة ولكنها حاسمة وتنفذ بدقه من جانبنا.لو تمت الان فانها، فى كل الاحتمالات، تمكن الجنرال غردون من التعامل مع الزعماء المترددين وعليه يصبح سيد الموقف فى الخرطوم . ولكن اذا لم يعمل شيء، فان ذلك المكان سوف يحاصر، واننا فى رأيى المتواضع، سنواجه بحرب على مدى كبير .)

نفذ من مقترحات وولسلى ارسال قوات الى سواكن بقيادة قراهام .وقد خاضت تلك القوات حربين في التيب والتاماى ذاقت فيهما مقاومة وهزيمة نكراء من القائد عثمان دقنه .

رأى بيرنق

رأى المندوب السامى البريطانى فى مصر بيرنق هو (اننا ارسلنا غردون الى الخرطوم ويظهر انه من واجبنا الذى لامناص منه –من ناحية انسانيه وسياسية– الانتخلى عنه).

اندرو كلارك وفكرة السكه حديد

فكرة سير اندرو كلارك، مراقب الاستحكامات فى الجيش البريطانى برمى خط حديدى بين سواكن وبربر ليحمل الجنود الى داخل السودان، قد تحطمت بعد هزيمة قراهام

١ – كرامة انجلترا ص ٥٤ ، اوراق وزارة الحربية .

بساحل البحر الأحمر . وكان مشروع سير اندرو ان يبدأ العمل في رمى الخط ابتداء من أول يوليو ١٨٨٤ لينتهي العمل فيه في نوفمبر من نفس العام . ان هذه الفكرة سيعود التفكير فيها فيما بعد في محاولات اخرى .

رأى مجلس الوزراء البريطاني

مجلس الوزراء البريطاني ناقش مسألة السودان ، بعد هزيمة قراهام ، على طول شهرابريل ومايو ٨٤ ولم يصل الى قرار .هارتنقتون ومجموعته يرون ارسال جيش فورا. في حين يرى الراديكاليون– مجموعة «تشامبرلين ودلك» ان الجيش يمكن ارساله لانقاذ غردون والحاميات ، ولكن عليه ترك السودان بعد ذلك. ويجب عدم التفكير في حكم السودان بشكل دائم. وما كاد رئيس الوزراء «قلادستون» يقف على الحياد بين الفكرتين ، حتى وجد ان جميع وزرائه من اللبراليين ... ... والراديكاليين ، مع الفكرة الاستعماريه . (١)

تزوير ميزانية الحملة

أعد وزير الحربيه البريطانيه ، لوردهار تنقتون ، ميزانية حملة تصل الى دنقلا مجملها ثلاثمائه الف جنيه استرليني. في يوم ٢٥ يوليو عرض الميزانية على مجلس الوزراء الذى وافق عليها باغلبية تسعة أصوات ضد ثلاثه .ثالث الثلاثه كان قلاستون .كل ما قدم إلى مجلس الوزراء كان تزويرا . إن اليمينيين من ، حزب الاحرار ، مصرون على الانسياق وراء مصالحهم الصناعيه والتجاريه. في اغسطس عرضت الميز نيه على مجلس العموم فاجازها.

اعداد الحملة وخطتها

عندما كان مجلس العموم يناقش الموضوع ، كان العمل يسير على قدم وساق لاعداد حمله ضخمه تقوم بأحتلال السودان ، وتحطيم الثوره المهديه ، بعد أن فشلت فكرة غردون في تقسيم السودان إلى قبائل تحكم نفسها بنفسها تحت امرة ضباط إنجليز ، وحصر

---

١ – محاضر جلسات مجلس الوزراء ، ابريل ، مايو ٨٤ .

المهدى في كردفان لمدة تهدأ فيها نيران الثورة ، فيتم القضاء عليه حينها والسيطرة على كل السودان باتفاقيات مع القبائل أو بحروب تافهه .

الاستراتيجية الجديدة

أكثر ديناميكية وفعالية من سابقتها .يحضر جيش ضخم إلى السودان، يتكون من قوات بريطانيه بشكل رئيسى، ويصلون حتى المتمه بطريقين؛ واحد نيلى يستولى على بربر بعد امداد من كورسكو ، والثاني صحراوى يصل مباشرة الى المتمة ويساعد طابور النيل فى الاستيلاء على بربر، كما انه فى نفس الوقت، يساعد غردون بكل الطرق المتاحه بما فيها الحرب البيلوجيه، فى القضاء على الثوره .

الخلاف على الطرق

مشكلة طريق هذا الجيش الى داخل السودان كانت واضحه تماما لوولسلى، فموقعه فى وزارة الحربيه أطلعه على كل ما حدث للانجليز فى شرق السودان على يدى الامير عثمان دقنه .

الفرق الشاسع في المسافة بين طريق سواكن بربر، و القاهره بربر، قاد الى نقاش طويل فى الجيش وفى الصحافه من جانب الذين لايعرفون الحقائق كامله والذين لايستطيعون قول الحقيقة كلها. إن طريق سواكن بربر قصير وطوله ٢٤٥ ميلا فقط .عدم وجود ماء كاف يمكن حله بخطة ادميرال المؤخرة «ركستون» بحمل المياه فى عربات يجرها الزنزباريون والصوماليون، اما اذا جرها الجنود الانجليز فسيعطى الواحد منهم ثلاثه بنسات عن كل ساعة جر . هناك مجموعة من رجال الاسطول كانوا يعرفون الحقيقة كامله وأصروا على طريق سواكن بربر لتحطيم وولسلى .

بين النيل والنهر الاحمر .

ان وولسلى يريد التقدم حتى الشلال الثانى(حلفا) بالقطار والوابورات وهناك ستكون لديه مجموعة زوارق مثل التى استعملها عند ما كان «ليوتنانت كولونيل» (مقدم)قبل خمسة عشر عاماً.فحينها كان قائد مجموعة صغيرة عبرت خمسمائه وخمسين ميلا، في زوارق على النهر

الاحمر بكندا .قاد الزوارق فى النهر الاحمر حينها بحارة محليون يسمون «الرحاله». حملوا زادا لمدة ثلاثة اشهر فى مناطق قليلة السكان كثيرة الغابات وتوجهوا الى رجل متمرد من دم فرنسى هندى يدعى (لوى ريال) فى عام ١٨٧٠ .ثار لوى ريال لان ابناء جلدته اضيروا من الاتفاق الذى تم بين الحكومه الكنديه وشركة خليج هدسون .ان الشركه قد باعت الى الحكومه الكنديه، التى كانت مؤلفه من حزب المحافظين برئاسة سيرجون ماكدونالد، الاراضى الضخمة التى كانت تسمى اراضى (روبرت) والتى كونت فيمــا بعــد ولايــة مانيتوبا فى عــام ١٨٧٠ ، وولاية البيرتا وساسكاتشوان فى عام ١٩٠٥ .ان الاتفاق افقد مستغلى الارض حقوقهم .هؤلاء السكان كانوا من دماء هنديه فرنسيه .

عندما ثار هؤلاء بقيادة لوى ريال، ارسل وولسلى لقطع مسافة الف ومائتى ميل بطريق بحيرة سيوبيرير الى حامية (قارى)، هى (وينى بيق) الحاليه .آخر مسافة فى هذا الطريق ــ خمسمائه وخمسون ميــلا ــ قطعهــا وولسلى بزوارق صغيرة عــلى النهــر الاحمر الصغير ذى الشلالات والمياه المندفعة بسرعه .
عندما وصل الى الحامية ليحارب خمسمائة متمرد على مصالح الحكومة، هرب قائد الثوار لوى ريال، مع خطيبته الهندية الفرنسية الدماء ذات الشدقين العريضين، حارما وولسلى من متعة انتصار عليه .

ان الدماء الوحيدة التى سالت فى ذلك المعترك كانت فى حانة الحاميه، حيث سكر جنود وولسلى وتشاجروا مع الرحالة والهنود الذين اتوا معهم .
عاد وولسلى لكى ينال وساما .

البحرية البريطانية تهاجم فكرة الزوارق

استمرت البحرية البريطانية فى الهجوم على خطة وولسلى باستعمال الزوارق. ادميرال المؤخرة ركستون نشر فكرته بكل حذافيرها وخرطها فى صحيفة التايمز. انها توضح الطريق بين سواكن وبربر، وكيفية امداد الماء من ابار اوباك فى منتصف الطريق.

اختيار الزوارق

فى عصر السابع من اغسطس ١٨٨٤، ذهب بتلر والاين الى نجارى الزوارق فى «بورتزماوث» لاختيار نوع من الزوارق يصلح للنيل الذى لايعرفون شيئا عنه بالسودان. عرضت عليهما زوارق نزهه وانقاذ وجر وخلافه. فى مخزن للزوارق القديمة شاهد بتلر شيئاً مناسبا، زورقا صغيرا للصيد من النوع الذى يسمى (صائد الحوت) طوله ثمانيه وعشرون قدما وعرضه خمسة اقدام وارتفاعة قدمان.

اركبا فيه اثنا عشر رجلا واشارا على بناء الزوارق باجراء بعض التعديلات.
شيء مهم، متى ستكتمل الزوارق الجديدة؟ قال كل نجار حضر، انه يستطيع تسليم عشرة زوارق في الشهر. وعليه يحتاجون الى اربعين نجارا لاكمال اربعمائة زورق فى شهر.
في يوم ١٢ اغسطس ١٨٨٤ صدر الامر ببداية العمل لانتاج اربعمائة زورق، ولكنهم بعد عشرة ايام– اى فى الثانى والعشرين من اغسطس– طلبوا اربعمائة اخرى، وعندما اكتملت جميعا كانت تسعمائه زورق.

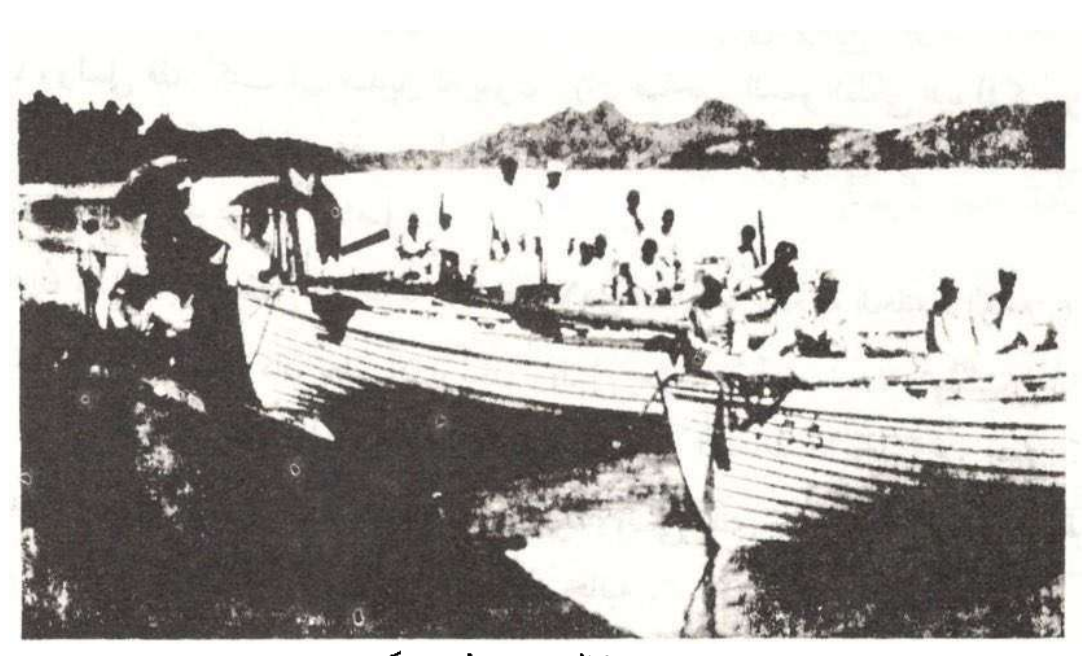
الاسطول يسخر

الاسطول البحرى البريطانى الذى كان ضد الفكرة، خرجت صحيفته فى اغسطس (غازية الجيش والبحريه) تحمل مقالا يقول: (استعملوها خشب حريق! ارسلوها الى حيفا لكى تلعب فى قنوات فلسطين المستقبلية! اصنعوا منها اعواد كبريت! اعملوا بهااى شيء– ان تضعوا فيها رجالا وترسلوهم الى شلالات النيل... فلا– نرجو ذلك).

الزوارق بالاسكندرية

اول مائة زورق كانت جاهزة فى اول اسبوع من سبتمبر ، وقد شحنت الى الاسكندريه. الدفعه الاولى انتهى العمل منها فى الخامس عشر من سبتمبر ٨٤ والثانيه فى الثالث من اكتوبر ٨٤. حملت الزوارق تسع عشرة سفينة الى الاسكندرية .

من الاسكندريه حملتها شركة كوك فى عربات قطارات، بعد ان وضعت على جانبيها جوالات الفحم الحجرى والعشب وغطتها بمشمعات. الاجهزه الاخرى التى كانت مع الزوارق من صوارى ومقاديف وصدامات، تبعثرت اثناء الانزال بسبب عدم وجود رقابه، وبسبب الخلاف الذى نشأ بين الشركه الانجليزيه والجيش الانجليزى حول تعريف كلمة زورق الواردة فى عقد النقل .هل هو فارغ ام بتوابعه ؟ عملية الخلط هذه قادت فى الايام القادمة الى تأخير وعمل ضخم بسبب ان كل نجار صنع هذه التوابع بمقاساته الخاصه، فهى لاتملك مقاسات موحده وبالتالى يجب البحث عن كل قطعة . صنعت لكل زورق على حده .



الزوارق الانجليزية في عكاشه

من سيقود حملة النيل ؟

من سيقود الحملة التى ستتوجه الى السودان ؟من الطبيعى ان يقودها قائد القوات بمصر جنرال ستيفنسون .ولكن القائد العام للجيش البريطانى «ديوك كيمبردج» كان يرى ان يقـوم بـذلك اللواء ايرل .نائب الديوك وولسلى يرى انصديقة اللواء بولر هو الذى يجب ان يقـود هذه الحمله .انه اشترك فى حروب قراهام بشرق السودان .اما ايرل قائد حاميه الاسكندرية ففى نظر وولسلى لايصلح لاى عمل عسكرى غير طوابيرالاستعراض.

استطاع وزير الحربيه ان يوفق بين الرأيين بان يعين استيفنسون قائدا عاما، وايرل القائد جنوب حلفا، وبولر نائبه .

كتبوا الى استيفنسون واخبروه بانه سوف يقود حملة عبر النيل جنوبا بزوارق .رد عليهم بأنه غير مقتنع بالفكرة، فطريق القاهرة حلفا طوله ٧٦٠ ميلا وحلفا بربر ٦٦٦ميلا، فكيف الوصول الى الخرطوم .؟

عندما وصل رده وجد وزير الحربيه البريطانيه فرصته فى تعيين صديقه الذى يستطيع ان يتآمر معه بما يجب ان يتم .صديقه ذاك هو المشير قارنت وولسلى نائب القائد العام.

اصدر الوزير أمر التعيين الذى لم تكن الملكة قابلة به لأن وولسلى متغطرس ، ولم يكن القائد العام قابلا به لانه يعرف أن ذهاب وولسل يعنى توسيع الحرب .

اما وولسلى فقد كتب الى صديق له يقول :(ان صاحب السمو الملكى ديوك كيمبردج قد جاء من اسكتلندا فى غضب شيطان، وكـان رأسه حاراً الى درجة أن غضبـه سيصيبه بالتأكيد بوجع المفاصل .

لو ان هذا الديوك يقفل فى غرفة لمدة عام لادى مساعده ضخمه للخدمه العامه .)

رئيس الوزراء الذى كان يعلم أن ارسال وولسلى يعنى حرباً ضخمه، اسكت بان قيل له : ان تعيين وولسلى الهدف منه ايقاف النزاع بين الضباط الانجليز فى مصر .

عند ما سمع ستفينسون بان قائد الحمله سيكون وولسلى الذى خدم تحت قيادته من قبل ، لم يستقل لانه كان يتوقع التآمر دائما من جانبه .

الصحافة البريطانية سعدت كثيراً بإرسال وولسلي واخذت الامر على أنه مسألة منتهية، غردون سوف يعود ويضع السودان تحت القبضة البريطانية .

خرجت « ألفانيّ فير » بابريت شعرى يقول مقطع منه :

حينئذ، عند مايعـــود امير الرجال

مسافراً ، عائـــداً الى بلـــده مرة أخرى

سوف يعين ديوكاً على الخرطوم ... نحن نعرف .

في هذا الاوبريت يتقدم وولسلي بقوات من الزراف ولواء من النمور ولكنه يجد غردون قد حرر نفسه وانه ينوى ان يرسل قلادستون الى الخرطوم لكي ينال قسطه من العمـــل هناك . بالطبع يغضب وولسلي بانه لم يكن المنقذ ويقول لغردون :

فكر يا غـــردون!

أى الصور ستنشرها « الالسترّيتد »

وأية نشوة من اصحابي بشارع الصحافة .)

لم يكن في بريطانية مـــن جـــالت بعـــقله فكـــرة انهــــزام وولســـلي وجـــيشه البريطاني . وحتى وولسلي نفسه لم يفكر في الهزيمة . فعندما سألته الصحافة عند وصـــوله الى مصر ، لماذا أنت لا تخسر الحروب ؟ رد بقوله : لاني لا أدخل حرباً لا أضمـــن النصر فيها .(١)

قـــادة حملة النيـــل

حسناً ، أختار وولسلي ضباطه بعناية . بولر اصبح نائبه . اثنان من حواريه همـــا كولونيل هنرى براكنبرى عينه مساعداً لنائب القائد وقائداً للامدادات ، وسير هيربرت استيوارت الذى كان سكرتيراً حربياً له في يوم من الايام ، عينه للقيادة بعد دنقلا . كتب ايضاً الى سير تشارلز ويلسون في مصر منذ مدة يقول له: انه الضابط الوحيد الذى يصلح لقيادة سلاح مخابراته .

١ - كرامة انجلترا ص ١٠٩ .

« كولونيل بيرنبي التابع للواء الهورس قاردز بلوز » رفض ديوك كيمبردج ضمه الى حملة النيل ، ولكنه اخذ اجازة للذهاب الى مدينة الكاب واتجه الى مصر حيث اتفـق معه وولسلى على أن يعينه في الحملة من مصر .

بناء على اقتراح من القائد العام ، ضم وولسلى الى الحملة لوردتشالز بيرسفورد مـن الاسطول ، وستانلى كلارك الذى عين قائدا للواء الهجانة الخفيف .

شخصيات اخرى كانت تريد الاشتراك في هذا الجيش الذى فهم بانه جيش صليبي سيتم مهمته في سهولة ويسر . في انتصار آخر للمسيحية ضد الاسلام . وهذا الشرف السهل كثير من البريطانيين كانوا يريدون إسباغه على انفسهم . اهم الذين كانـوا يريدون الاشتراك ، امير ويلز . امير ويلز هو اداورد بن الملكة فكتوريا ملكة بريطانيـا وولى العرش الذى اصبح بعد موت امه الملك ادوارد السابع ملك الامبراطورية البريطانية ، ولكن امه التى عرفت الكثير عن سيوف الانصار الحداد ، رفضت السماح له بالذهاب.



من هو قائد حملة النيل ؟

ولد المشير فسكاونت سير قارنت جوزيف وولسلى من اب ضابط فقير فى « قولـــد بردج » ، وهى احدى ضواحى « دبلن » فى الرابع من يونيو عام ١٨٣٣. بدأ خدمته بالجيش فى التاسعة عشرة من عمره ، وخدم فى حرب « برما » الثانية ثم حرب القرم. عندما رجع عمل بسلاح الامدادات . كان وولسلى يختلف عن غردون فى انه رجل مطلع من الدرجة الأولى . فقد استمر فى القراءة والتعمق فى كل عمل يرسل اليه . فى سلاح الامدادات استطاع أن يستخلص النقـــائص و العيوب التى ادت الى كـــوارث متعددة فى التاريخ الحربى البريطاني وايجاد الحلول لها .

وولسلى في التمرد الهندى .

خلال التمرد الهندى عمل تحت قيادة «سير كولن كامبل» فى المرحلـــة الاخيرة مـــن حصار واحتلال (للك ناو). عين بعدها نائبا لمساعد قائد الامدادات تحت ادارة « سير هوب قرانت » . عندها ذهب الاخـــير فى الحملة البريطانية الفرنسية الى الصين فى عام ١٨٦٠ ، اخـــذ وولسلى معه . بعد عام عين نائباً لقائد الامدادات فى كندا . تمكن أيضاً هناك من تنظيم المليشيات الكندية .

وولسلى الكـــاتب

فى كندا وجد وقتاً لوضع كتابة الشهير « قصة الحرب فى الصين »عام ١٨٦٠ . قـــام بعدها بدراسة عميقة لماضى ومستقبل التكتيك الحربى ، ووضع بعد أن اصبح نائبـــاً لقائد الامدادات « كتاب الجيب للجندى فى الخدمة الميدانية » فى عام ١٨٦٩ . هذا الكتـــاب كـــان يعتبر انجيل الجندى البريطـــاني في جميـــع اعمـــاله الميدانيـــه . وحتى عندما عفا على الكتاب الزمن ، ووضع اخر حديث ، قام على أسس وقوائـــم كتاب وولسلى .

ولسلى الى النهر الاحمر

فى عام ١٨٧٠ احتاجت بريطانيا لقائد يسير بجيشه الفى ميل فى غابات غير مأهـولة وبرد يجمد اطراف الشياطين، ويقطع منها خمسمائة وخمسين ميلاً فى جنـادل وشعاب النهر الاحمر بكندا . لم يجدوا ضالتهم الافى قارنت ولسلى . قام بالمهمة دون أن يحتاج الى أوقية ملح . عندما عاد من حملته مظفراً بفرار القائد الثائر الذى ارسل لتأديبـه « لوى ريال » اعطى وسـام « قائد فرسان فى نظـام القديسين ميخائيـل وجـورج وزميل الباث » .

فى مايو ١٨٧١ عين مساعداً لقائد اركان حرب الجيش الانجليزى . وحينها عمل مع « ادوار د كاردويل » اب الجيش الانجليزى الحديث .

ولسلى يذهب الى الاشانتى

فى عام ١٨٧٣ قاد حملة لتأديب الاشانتى . استمرت الحرب شهرين وانتهت فـى الرابع من فبراير ١٨٧٤ بحرق عاصمتهم « كماسى » . ان هذه الحرب جعلت منـه قائدا متخصصاً فى العمليات التأديبية . وقد اسمى (يد الامبراطورية الطويلة) . منحه البرلمان مكافأة قدرها خمسة وعشرون الف جنيه استرلينى ، واسبغت عليه الملكة وسام « قائد فرسان الباث وفارس الصليب العظيم للقـديسين ميخائيل وجورج ». وزيـر الحربية رقاه الى رتبة ميجور جنرال (لواء) وعمره اربعون عاماً فقط .
ارسل فى عمل سياسى كحاكم «لناتال» ثم كأول مندوب سامى لبلاده فى قبرص .

ولسلى الى الزولو

بعد عام فقط احتاجت بريطانيا لذراعها الطويله، فبعثت به الى قـبيلة الزولو بمقاطعة ناتال بشرق جنوب افريقيا ، حيث تمكن من اخماد ثورتهم لحين، وذهـب من هناك الى الترانسفال حيث نظم الادارة وأكد لكل فرد ان بريطانيا هناك لتبقى .

وولسلى يحتل مصر

في عام ١٨٨٢ اصبح قائد الاركان للتدريب ، وفي خلالـه احتاجت بـلاده ليدها الطويله مرة اخرى لتأديب عرابى واحتلال ارض الكنانه .ذهب وولسلى فـي نزهته القصيره واحتل جيشه السويس وهزم الجيش المصرى في ابى قير والاسما عيلية وكفر الدوار والمحسمه والقصاصين واخيرا في التل الكبير يـوم ١٣ سبتمبر ١٨٨٢، قبض على عرابى وصحبه بعد هزيمة جيشهم وانهى الوطنية الثائرة .

عند ما عاد البطل المنتصر من نزهته، رقى الى رتبة الفريق اول مع مكافأة مـن البرلمان وتبلغ ثلاثين الف جنيه استرليني .امـا الملكة فهديتها على اضافـة مملكة كيلوباترا نفرتيتي الى امبرطوريتها كان مرتبة «بارون» .

وولسلى الى السودان

عند ما قام شيخ ملتحي بذقن وشارب قصيرين ويملك مسبحة ومجموعة كتب ورقها عتيق جاف مصفر، ويتدثر بجبة وسراويل مرقعة وحزام من سعف النخـل، وكلها لاتساوى ثمن وجبة عشاء لجنرال بريطاني ، لم يفكروا في الثائر بقدر ما فكروا في الاستيلاء على بلاده كحق مشروع لهم بعد ان استولوا على مصر صاحبة هـذه المستعمره .ولكن الكارثة ان هذا الثائر الشاب الذى افرزته مجاهل السودان، بقدرة اليوناني افراز آلهة اساطيره، قضى على جنرال بريطاني صاحب صولات وجولات في الهند والحبشه. قضى عليه بطريقة حواة الهند. هوكس ...بوكس ... بيلاتس... بص ! اختفى الجنرال هكس من الوجود بجيشه الجرار في غابة شيكان .

وعلى بعد ثمانية اميال من اساطيلهم بالبحر الاحمر وقفت قوات هذا الثائر كسمك القرش تلتهم قوات الجنرال بيكر والجنرال قراهام ثللاوارتالا .
والان هذا الثائر محمد احمد المهدى يضع جنرالا اخر بين فكى ثـورته، ويستطع ان يحيله الى عدم باشارة من يده .

ان بريطانيا لا تملك لهذه المهمة أفضل من البارون فريق أول سير قارنت جوزيف وولسلي نائب قائد عام الجيش البريطاني .

ان تعيين وزير الحربية لوولسلي اصاب الملكه فكتوريا ببعض الضيق . فبصرف النظر عن غطرسته، ماذا يحدث لجيشها الضخم اذا ذهب فريق اول هذه المؤسسة العسكرية الضخمه بعيدا عن مركز قيادته في لندن ؟ ان الروح المعنوية قد تتأثر . ولكن سكرتير الملكة الذي لا تستطيع ان ترد له كلمة «سير هنري بونسنبي» كان اعلم بدقائق الموقف فاراد ان يقفل باب النقاش في الموضوع فقال وهو يقف امامها كصخرة جبل طارق :
(ان وزير الحربيه له قدرة وذكاء وذوق في التعامل، ولكنه كسول . يأخذ الامور ببساطة لانه يريد التحدث كثيرا في حفلات العشاء .. انه ثقيل لايعرف متى يسكت) «١».

من هو نائب قائد الحمله ؟

نائب قائد حملة النيل هو « ردفرز بولر » صاحب الشعبية الكبيرة بين جنود وضباط الجيش البريطاني . كان يسمى « جنتلمان جورج » ، فقد كان يحترمه الجميع لادبه الجم وقوة شخصيته وشجاعته . لم يكن بالضابط الذي يبقى خلف جنوده وانما كان في المقدمة . عندما كانت تظهر مهمة عسيرة فهو لا يرسل ضباطاً اخرين للقيام بها ، وانما يقوم بها بنفسه ، وعندما تتضح الرؤيا امامه تماما ، يقود جنوده بكل ثقة للتقدم .

ان سير ونستون تشرشل كان من المعجبين به ، ويرى فيه افضل مثل على الضابط البريطاني .

انه لا يحب الحديث الكثير ، غامض في اكثر الحالات ، لا يشرح موضوعاً ولا يحاول ذلك . اما اذا كتب فهو جيد الكتابة .

---

١ – غردون الخرطوم ، جونسون ص ٨٦ .

في السودان لم تكن حملة النيل أول عمل يقوم به . اشترك بولر في حروب السودان مع قراهام في الشهور الأولى من نفس العام (١٨٨٤) ضد عثمان دقنه . وقــد كان يقود المربع الثاني عندما حطم عثمان دقنه المربع الأول الذى كان يقوده قراهــام في مارس ١٨٨٤ .

وقد اظهر شجاعة وقوة احتمال أكثر من أى ضابط آخر في تلك الحملة . لم يكن بولر معجباً بغردون . فعنــدما طلب منه (كولونيل بيرنبى) في منتصف ذلك العام الاشتراك في جيش من الجنود والرياضيين لانقاذ غــردون ، قال : انه لا يساوى ثمن الجمال التى ستشترى لتلك العملية . انه رجل منضبط ، يعرف كيف يقوم بحسابات الموقف دون حاجة لمساعدة ، وعندما يقرر لا يغير رأيه .

اشترك في حملة احتلال مصر ، وكان حينها متزوجاً حديثاً في الثالثة والاربعين مــن عمره . كتب حينها لعروسه : ان أكثر شيء يثيره هو القتال .

في الحقيقة ان أفضــل مميزات بولر هى التنظيم والإدارة ، فعمله كنائب لقائد حملة النيل ، استطاع فيه أن يقوم بترحيل جيش يبلغ اربعــة عشر الف بريطاني ،وسبعــة الاف مصرى الى مواقعهم دون شيء يقف حائلا بينه وبين ما يريد ، اللهم الا حادثــة تأخير شركة « كوك » للفحم الحجرى في حلفا .

في حملة النيل كان عمره خمسة واربعين عاماً ، وكان يرى الذهاب الى اقصى نقطة جنوباً ، وقد اقتنع قائده بالوصول حتى المتمة . ان بولر السمين المحمر الوجه كسكير بكل مقاييس الالوان الاوربية ، كان خشنا ولكن يحب الشمبانيا والاكل الجيد،وكان كريماً يقيم الحفلات . هذه الميزه مكنت وولسلى من استغلالها وتــرويجها . فقــد اقتنع كثيرون أن الاربعين جمــلا التى تحمل ستة عشر الف رطل مــن المأكولات والمشروبات هى لبولر . نفس الشيء الذى قالوه عن محمــولات (جنرال وود) . أن الحمولتين انفصلتا تماما عن القائدين بعد وصولهما الى كورتى وذهبتا مــع طابور الصحراء . أن بولر لم يعبر صحراء بيوضة الا فى نهاية الحملة .

وبعد اصابة استيوارت ووصول القوات الى ابي خروق .

ومن غريب الصدف أن يكون هو الذى امـــر بترك المأكولات الملوثة بسالمونيـــلا التايفويد في زريبة النيل بابي خروق . كان بولر كثير الشجار مع مرؤوسيه ، وخصوصاً مع ايفلين وود الثقيل السمع . عندما كان بولر بكورتي في نهاية ايام الحملة ، وقف (استيوارت اللص ١) يتحدث معه، وأثناء حديثه جعل ينقر باصبعه في صدره ، فما كان من بولر الا ان سدد له لطمة (بوكس) في وجهه، جعلته يفقد الوعى على مدى ربـــع ساعـــة .

حمولة الزوارق

تقرر ان تحمـــل الزوارق التسعمائة ، بالاضافة الى الجنـــود ، جميع الاغذية والمستلزمات جنوب حلفا . وتقرر ان يكون ذلك فى صناديق لا يزيد وزن الصنـــدوق عن ستين رطلا . ارتفاعه لا يزيد عن ثمان بوصات. كل زورق بالاضافة الى الاثنى عشر جندياً ، سيحمل ثمانمائة رطل من اللحم المعلب (بول بيف) ومائتى رطل من اللحم الطازج شبه المجفف (السجق المدخن) ومائة وثمانية وستين رطلا من شحـــم الخنزير (البيكون) ، وسبعمائة وسبعين رطلا بسكويت اسطول (البقسماط أو مـــا يعرف في الســـودان بالقرقوش) ، ومـــائتين واربعين رطـــلا من بســـكويت الكابينة (بسكويت الشاى) ، ومائتى رطل من الدقيق ، ومائتين واربعين رطلا من السكـــر ، بالاضافة الى كميات أخرى غير كبيرة من الجبن والمخلل والمربى وشراب الليمون والتباكو والملح والفلفل . الوزن الكلى للمحمولات فى كل زورق سيكون بين ستة وسبعـــة الاف رطل من المأكولات تكفى اثنى عشر رجلا لمدة مائة يوم ، بالاضافة الى أسلحتهم وذخيرتهم .

---

١ – سياتى الحديث عن استيوارت اللص فيما بعـــد .

القــوات

القوات البريطانية المشتركة فى حملة النيل احضرت من بومبى وجبل طارق ومالطا وانجلترا ومصر . وعلى سبيل المثال احضر اللواء الايرلندى من بومبى وكذلك لواء شرق (سرى) . لواء « البيركشير » جاء من جبل طارق . لواء « اليوركشير »جاء من مالطا. من انجلترا جاء المشاه من ستة عشر لواء ا . اخذت النوعيات الجيدة من المقاتلين ومن ابناء اللوردات ومن اللوردات انفسهم ومن ابناء الاشراف المقربين الى البيت المالك البريطاني . ان الاشراف هم ابناء (البيرز) وهم من طبقة المركيز او الايرل أو الفسكاونت أو البارون أو لوردات مجلس اللوردات من غير رجال الدين .

ان وولسلى قد اختار طابور الصحراء من أفضل الجنود بالجيش البريطاني ، وهــذا عمل لم يسبق له مثيل فى التاريخ العسكرى البريطاني . قد ترك وولسلى الالـــوية في بريطانيا كحليب ازيل زبده . احضر من بريطانيا قسم تلغراف ومهندسين وإداريين للترحيل والغذاءات ، بالاضافة الى قوات من أسلحة المهمات والبحرية والاسطــول والسلاح الطبي .

أول جندى نزل من الباخرة فى مصر كان في اغسطس ١٨٨٤ ، واخر جندى فــى سبتمبر من نفس العام .

الملابس

مشكلة الملابس اخذت بعض التفكير . في الهند يلبس الانجليز الكاكى ، وهــو يختلف عن كاكي اليوم في لونه وفى قماشه . لون الكاكى فى تلك الايام كان بنيــا يميل الى اللون الذهبي . اما القماش فكان قماش « الدرل » .

هذا الكاكى لم يكن مرغوباً عند غالبية الجيش . الملكة كانت قد عبرت عن عدم رضائها به في بداية ذلك العام .

اخيراً قرر وولسلى طاب جاكتات حمراء وزرقاء وسراويل خيالة زرقاء . القمصان لم تحضر من بريطانيا وانما اكتفوا بالقميص المصرى المصنوع من « الفلانيل » الرمادى .

الترحيــل

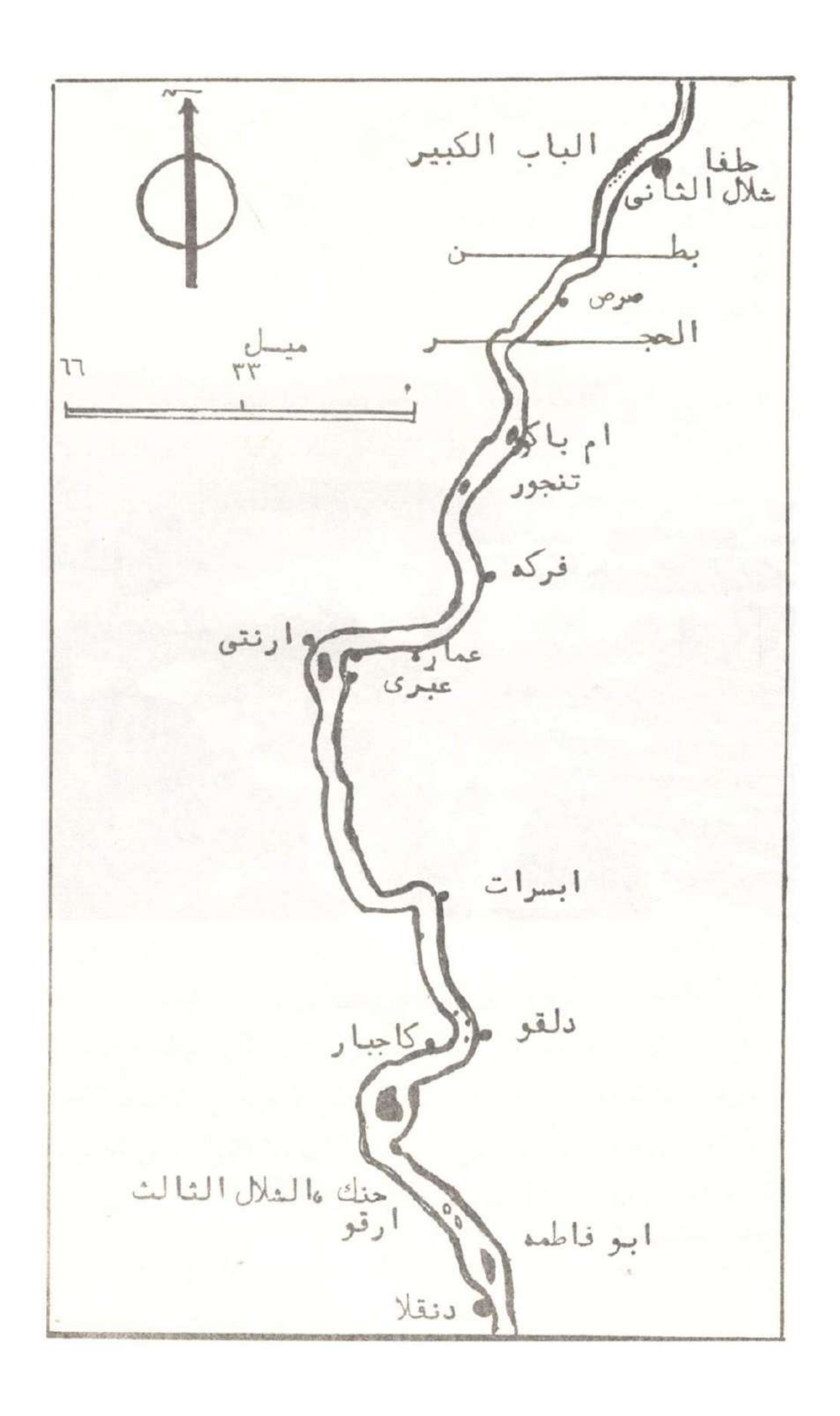
خط السكة الحديد يصل القاهرة باسيوط . الخط الثانى قصير طوله تسعة اميال يدور حول الشلال الاول من اسوان الى فيله. الخط الثالث يبدأ من حلفا الى صرص وطوله ثلاثة وثلاثون ميلا .

الخط الاول يدار على حساب الحكــومة المصريه ، اما الخــط الثانى والثالث فيداران على حساب السودان .

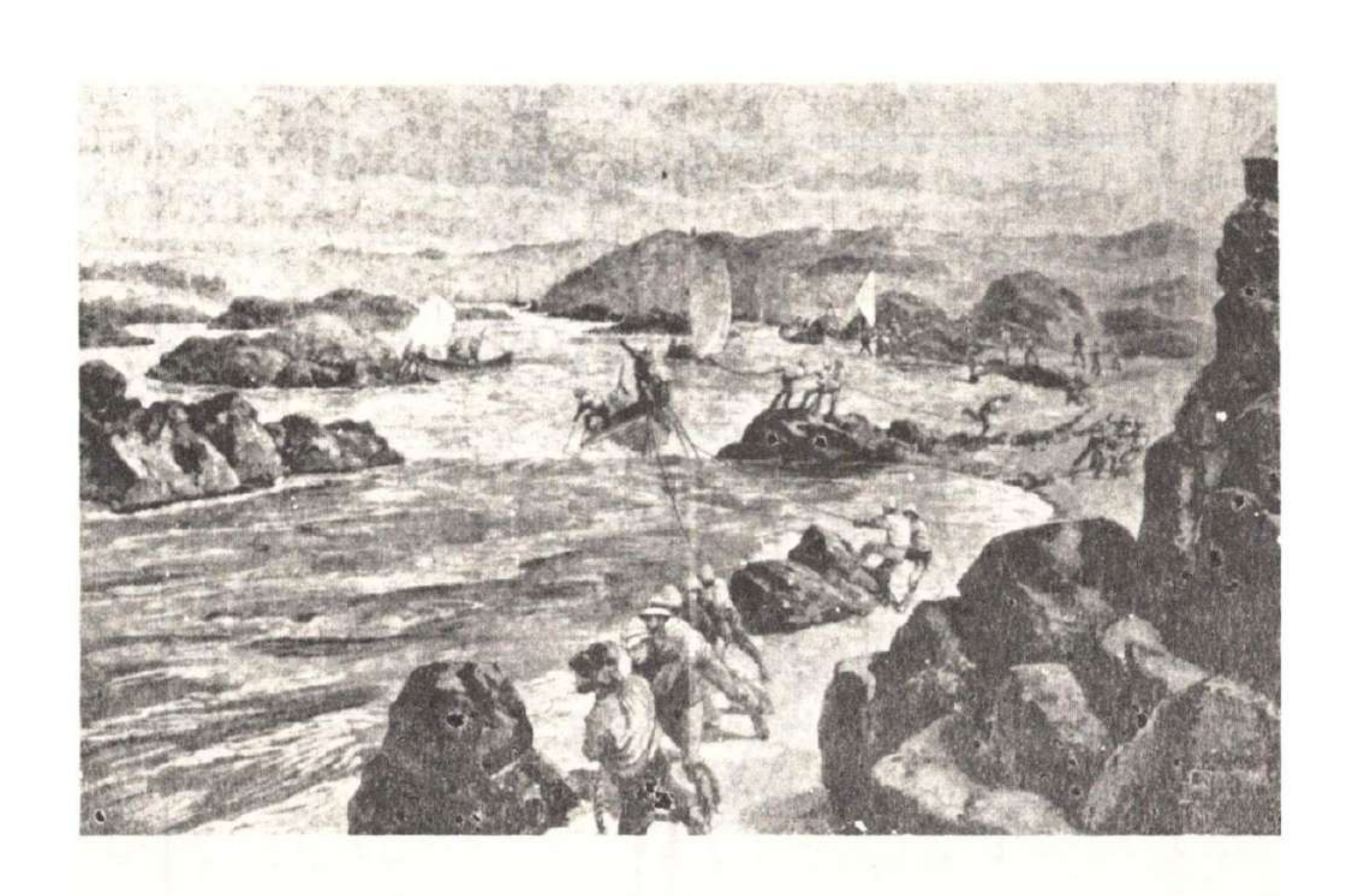
ترحيل المهمات من الاسكندرية الى حلفا عرض فى عطاء لاول واخر مرة فى تاريخ الجيش الانجليزى الشركة الوحيده التى كان من الممكن ان تشترك فى العطاء كانت شركة (كوك) البريطانيه التى كانت لها بواخر تعمل فى السياحه النيلية .عرضت الشركة على الحكومه البريطانيه شراءها او التعاقد معها لنقل الجيش ومهماته.عينت بريطانيا شخصاً يدعــى (بوقــان) للقيام بالتفاوض مع مستر جون ميسون كوك على شروط ونفقات الترحيل. انتهى التفاوض على ان تقوم الشركه بشكل مبدئى بترحيل ستة الاف شخص، وثمانيه الاف طن من المحمولات من اسـيوط الى وادى حلفا .كمــا يرحلون اول دفعة من الزوارق قدرها اربعمائة زورق من الاسكندرية الى حلفا بالقطار والبواخر.

قدمت الشركه عطاءها يوم ١ يوليو ١٨٨٤ ،وتم الاتفاق على نقل الجندى من القاهره اى حلفا بمبلغ واحد وعشرين جنيها . ونقله اذا ركب مــن اسوان الى حلفا بمبلغ اثنى عشر جنيها .

فى الثانى من سبتمبر تلقت الشركه الضوء الاخضر للبدء .
هذه الشركــه البريطانية تسببت فى نزاعات متعدده فيــما بعد مع سلطات الجيش.



الباب الكبير
طفا
شلال الثانى
بطن
الحجر
صرص
ميل
٦٦
٣٣
ام باكو
تنجور
فركه
ارنتى
عمارة
عبرى
ابسرات
دلقو
كاجبار
حنك
الشلال الثالث
ارقو
ابو فاطمه
دنقلا



الزوارق عند جرها من الشــلا ل الثانى

انها دخلـــت فى مغالطـــات حول تـــرحيل الـــزوارق ، مـــدعية ان الـــزورق يعنى زورقا بـــدون شـــراعات ومقاديف وصوارى الخ . ايضا تسببت فى تاخير الفحم الحجرى مما ســـبب تأخيراً للجيش فى وقت لاحق .وقد استغلت حكـــومة بلادها بنفس طريقة سماسرة الجمال المصريين ، فحتى تغيير البياضات مع تقديم الاكل ، بسعر واحد جنيه للفرد فى اليوم الواحد .

حلفا والحمله المتوسعه

ان التوسع الذى حدث لحملة النيل جعل استهلاك الغذاءات فى حلفا يصل الى ثلاثة وعشرين طناً وثمانيه اعشار الطن فى اليوم الواحد .والفكرة اساساً نقل غذاءآت مائة يوم .هناك شى لم يعط كثير اعتبار ، وهو ان الجيش المصرى يجب ان يعـــد له غذاؤه ايضا. شىء اخر مهم وهو الجمال والخيول .

قرر الانجليز انه من الممكن اخذ اغذية المصريين والجمال والخيول من دنقلا وجنوبها . فى الثالث والعشرين توقفت البواخر بسبب نقص الفحم الحجرى . دخلت القوات البريطانيه فى اشكال مع شركة كوك الانجليزيه.ان رد الشركه على اتهامها بالتقصير هو انها نقلت اكثر من ضعف الجنود والمعدات والاغذيه المتفق عليها مبدئيا .فحتى ذلك اليوم نقلت الشركه احـــد عشر الف بريطانى وسبعة الاف مصرى واربعين الف طن تقريبا من الامدادات وثلاثين الف طن من الحبوب وتسعمائة زورق الى حلفا.لايصال(١) ذلك ، استعملوا سبعمائة مركب وسبع وعشرين باخـــرة وخمسه الاف رجل وولد. ممثل شركة كوك المصرى بالتجنس (راستوفتش) عبرعن كراهيته للجنرالات والضباط وكل شىء عسكرى . وبطريقة مسرحيه اصر على انه لن يأتى باوقية فحم الا بسعر جديد .عشرة جنيهات للطن الواحد بعد ان كان سعر ترحيله فى العقـــد الاســـاسى اربعة جنيهات وثمانية شلنات .لم يكن امام الجنرالات الا القبول لكى تتحرك المؤن والامات غردون وضاعت الخرطوم والسودان .

١ — ارشيف شركة كوك وشركاه ، كرامة انجلترا ص ١٢٨،١٢٩ . شقير ص ٨٣٤،٨٣٥ .

محطات الامداد

في نهاية شهر سبتمبر ١٨٨٤ كان عدد محطات الامداد قد بلـغ خمس عشرة محطه، جهزت بخدمات صحيه واطباء واوصلت بمراكز تلغراف وفي بعض المحطات بمراكز هيليوغراف .ايضا شيدت بها مخاذن ضخمة تحرسها قوات مصريه .

مستشفى حلفـا

مستشفى وادى حلفا المستطيل الشكل ذو الفرندات المستديره الشرقية، وطابقة العلوى المزين بحاجز خشبى سميك، اصبح ينافس مستشفيات لندن .ممرضاته الانجليزيات (١)الممشوقات القوام كتماثيل العاج وقد توجتهن شعور ذهبية، وعيون بزرقة سماء حلفا، اثرن غيرة حسناوات المدينه اللآئي يسترقن النظر الى بنات(التميز) عبر حواجز التراب التي يثرنها بجلابيبهن السوداء التي تجرف الارض جرفا .

الرحـاله

بطلب من لورد (ديربى) وزير المستعمرات البريطاني يوم ٢٠ اغسطس ١٨٨٤ بدأ (لاندزداون) حاكم عام كندا، في تجنيد وارسال رحالة يقومون بقيادة الزوارق عبر شلالات النيل .هؤلاء الرحالة كانوا قديما موجودين في (كوقناوا) و(سنتريقى) و(مانيتابا) بكندا، وكانوا يقودون الزوارق في شلالات النهر الاحمر .ولكن بعد وضع خط سكك حديدى، انتهت هذه المهنه منذ سنوات .نشر الحاكم اول اعـلان صحفي له في السابع والعشرين من اغسطس ٨٤ .في نهاية الامر جمع الحاكم العام ثلاثمائة وستة وثمانين رجلا من الذين يقطعون الاشجار في الشتاء ويدفعونها عـلى الانهار في الربيع .

نصف هولاء عينوا من (اوتاوا)، ستة وخمسون منهم من الهنود الذين يسكنون(ارقوا) وستة وثلاثون اتوا من منطقة الثلاثة انهار، والبقية اتوا من (ايروتقوا ووينى بيق) .

---

١ – كرامة انجلترا ص ٢٨٦ .

اختار لهم (كولونيل كندى) الذى كان قد اشترك فى رحلة النهر الأحمر، ثلاثين هنديا وعددا من الرحالة الذين قال انهم من مستوى ثقافى افضل، وكانوا قد عينوا فى منطقة النهر الاحمر فى اعمال المسح ويعرفون عمل الزوارق. بين هؤلاء ثمانية محامين، وقد برهنوا فيما بعد انهم لا يعرفون شيئا عن مشاكل الشلالات .

لم يقبلوا العمل كمجندين، فعينوا بعقود مدنيه لمدة ستة اشهر ، بمرتب قدره اربعون دولاراً فى الشهر .

الاصل الفرنسى فى هذه المجموعه كان الغالب .بعضهم كابويات وبعضهم مخزنجيه واخرون كتاب، واكثريه جهلة لايعرفون الكتابة والقراءه ويوقعون على دفاتر الصرفيات باشارات تمثل اسماءهم.قائد هذه المجموعه هو ميجور احتياطى (دنسون) وقد كان يعمل شيخا فى مدينة (تورنتو) وله مكتب محاماة، وقد كان فى السابعه والثلاثين من عمره. مع قائد المجموعة ضباط .اثنان برتبة كابتن من جيش الاحتياط، واحد ابن قسيس واخر طبيب هو كولونيل كندى .قبل كندى ان يذهب تحت امـــرة دنسون الذى يقل عنه رتبه . وقد حل الاشكال بان ركب الوابور على انه كبيز عمال، وفى مصر ترك رتبته العسكريه وعين كبيرا للصرافين . فى حين ان دنسون اعطى رتبة ليوتنانت كولونيل مؤقته .

سافر هؤلاء الرحاله الذى بينهم ثمانيه محامين على السفينه (ملك المحيط) ووصلوا الى الاسكندريه فى السابع من اكتوبر ١٨٨٤ .اثنان هربا من المجموعه، ومات واحدهندى، وضم اليهم فى الاسكندريه واحد .فى اليوم الثانى كانوا فى القاهره .

المساعدون البحريون

انهم مجموعتان : واحدة عددها مائه وواحد وستون رجلا بقيادة ميجور (تايندال)، واخرى عددها مائه وتسعه انفار بقيادة ميجور (سميث) جنسية هاتين المجموعتين

هى الكمرونيه . اتوا بهم من الكمرون لانهم يجيدون أعمال شحن وتفريغ السفن ولهم بعض خبرة بالماء والابحار . الوانهم التى كانت تشبه اخشاب الابنوس كانت تشكل تنافراً لونياً مع ألوان الانجليز – الشيء الذى يجعل الاخيرين أكثر حمرة والاوائل أكثر سوادا . ان وولسلى كان فنانا بحق عرف من فناني القـــرون الذهبية معـــنى (الكنتراست) .

شراء الجمال

قابلوا مشاكل عدة في شراء الجمال لم يتوقعوها. الكمية التى تمكنوا من شرائها حتى كورتى كانت اربعة الاف جمل، واجروا ثمانية الاف . الجمال التى تم شراؤهـــا من مصر كانت من نوع ردىء . فعندما علم تجـــار الجمال المصريون بحاجـــة الانجـــليز لكميات كبيرة من الجمال ، اخفـــوا الجمال الجيدة وعرضوا الجمال الرديئة وبأسعار نجمية وصلت ستة عشر جنيهاً للجمل الفارغ واثنى عشر جنيهاً للجمل المتوسط وعشرة جنيهات للجمل الضعيف الهزيل . جنرال قرنفل والضباط الذين كانوا معه وقامـــوا بشراء الجمال ، كانوا لا يعرفون عنها شيئاً . المصريون السماسرة كانوا يتناولـــــون سمسرة من الانجليز ورشـــوة من البائعين . عندما يرفض الانجليز جملا لان شكله لا لايوحى بانه جيد ، يرجعه البائع ويغسله بالجير ثم يعيده على أنه جمل آخر ، فيحبـــذه السمسار المرتشى ، ويقبله الانجليزى الجاهل بنوعه .

نفس اللعبة مورست عندما اشترى الانجليز السروج والالجمة واكياس الانف وحتى حبال الذنب . يختفى المطلوب من السوق وتبدأ قصة الارتفاع الصاروخى في الأسعار ويظهر السماسرة . السروج التى اشتروها بأثمان مقاعد لويس السادس عشر ، اصابت الجمال في جلدها ولحمها بالجروح والقروح .

قـــادة الجمـــال

انوا بقادة جمال من عدن على اساس ان عرب شبه الجزيرة العربية، وخصوصـــاً

اليمنيون . هم قادة جمال من نوع خاص . انهم استعملوا الجمال منذ رحلة الشتاء والصيف اتوا منهم ومن الصوماليين بستمائة قائد جمال .

قادة الجمال الذين اتوا من القاهرة ، كانوا يدفعون لهم ثلاثة شلنات في اليوم . قادة الجمال من جنوب مصر رفضوا العمل معهم لأنهم عرضوا عليهم مرتبات تقل عن مرتبات القاهريين. الاخيرون الذين وصلوا الى حلفا رفضوا السير جنوبا مهما كان المرتب .

قائد حملة النيل بمصر

في التاسع من سبتمبر عام ٨٤ ، كان القائد ، الذى يضمن النصر قبل دخول المعركة ، بمصر . وصل الى الاسكندرية على ظهر الباخرة (ايرس) . اتي الى مصر عن طريق فينا ، وقد صحب في تلك الرحلة شخصية بريطانية مهمة هى لورد نور ثبروك حاكم الهند ونائب الملكة بها ، ثم وزير البحرية البريطانية . ان هذا اللورد فى نظر وولسلى (شخصية تافهة . فلولا ان جده كان تاجراً ناجحاً ، لكان هو الان ميجوراً موقتاً في لواء بمدينة لاهاى ،أو تاجراً للعملة من الدرجة الثانية بكشك في هامبورج(١)٠

النساء الخليعات

نزل اللورد وولسلى بسراى النزهه بالقاهرة ، وبقى ثلاثة اسابيع يبدأ يومه في الخامسة والنصف صباحاً . يعد تنظيمات جيشه ، ويعقد اجتماعات ويحضر حفلات رقص ، ولكن كان له رأى فيها . ولكى اكون اكثر دقة ، فقد كان له رأى في نسائها . ففى العشرين من سبتمبر ٨٤ ، كتب الى زوجته التى لم تحضر لوداعه عندما غادر لندن ، محدثاً اياها عن حفل اقامه ضابط يدعى « دورمر » كان يريد من وراء الحفل أن يعينه وولسلى في حملة النيل ، ولكن الاخير لم يفعل . حدثها عن حفلته فقال : (اني الاحظ خلاعة في التخاطب بين الضباط في القاهرة . فبعد العشاء ذهبنا

١ ـ اوراق وولسلى بتاريخ ٨ و ٢٠ سبتمبر ٨٤ .

الى حفل راقص في الشقة المجاورة حيث كان هناك ثمـــان نساء رجالهن في مهمـــــات خارج القاهرة ، قمن بالترفية عنا . انهن متسيبات وانهن سيواجهن مآسي (١) . ثم بعد اسبوع كتب الى زوجته : (ان النساء والرجـــال هنا – يعنى الانجليز – يبحثون ادق تفاصيل العمليات الجنسية بدون خجل أو حياء . (٢)

المهم استمر وولسلى في تنظيم جيشه. اختار افضل الضباط في الجيش الانجليزى بمصر. اغضب عمله ذاك كثيراً من الضباط الذين كانوا يريدون الذهاب في الحملة ولم يعينهم. نشر قائمة ضباطه الجديدة . تبدل مركز « ايرل » الى قائد القوات في حلفا ، استيوارت لقيادة القوات في دنقلا ، واستيفنسون تبخرت سلطاته ليصبح قائدا للقـــوات شمال اسيـــوط .

غـــرق الباخره الجيزة ، واضافة باخرتين

خبر غير سار اتى به اليه « ادميرال » « هى » وهو أن الباخرة « الجيزة » – احدى باخرتين من بواخر الحكومة المصرية التى استعملها للنقل النهرى – قد غرقت فى شلال تنجور .

بعد ان استفاق من الصدمة قرر أن يأمر بأحضار باخرتين من انجلترا في شكل قطـــع تركب جنوب شلال سمنه . الباخرتان اللتان حضرتا فعلا وركبتا الأولى بالاسكندريه والثانيه جنوب شلال سمنه هما «وتر ليلى» و«لوتس». هذا بالاضافة الى الباخرة المصرية المتبقية « نصيف الخير » .

الجمال تحمل الدماء الزرقاء

ابتداء من الثامن من اكتوبر ١٨٨٤ ، بدأت تصل الى مرابط سفن الاسكندريـــة التى تفوح منها رائحة السمك المتعفن ، قوات من نوع خاص . قوات سوف تركـــب

---

١ – اوراق وولسلى بتاريخ ٨ و ٢٠ سبتمبر ٨٤ .

٢ – خطابات وولسلى بتاريخ ٢٧،٩،٨٤ .

جمالا ، بعضهم لم يرها في حياته . انها القوات التي اختيرت بدقة . قوات دمـــاؤها زرقاء وقسمت إلى لواءين ــ الهجانة الثقيل والهجانة الخفيف . انهما اسمان لا يشبهان الاسماء الموسيقية لضباط هــذين اللواءين .

ان اسماءهم تذهب على هذا المنوال : سعادة الليوتنانت كولونيل شريفـر ــ تالبوت ، قائد لواء الهجانة الثقيل . وقد اخذ هذا القائد من لواء اللايف قاردز الأول. اركان حربه: كابتن لورد سنت فنسنت . اخذ من لواء الرماحه السادس عشر. جراح اللواء: جي ـ جي فالفى ، اخذ من السلاح الطبى. ومن اسماء بعض ضباط هذا اللواء:

الشريف ميجور س . باينق . : جاء من لواء اللايف قاردز .
ليوتنانت لورد رودني : جاء من لواء اللايف قاردز .
كابتن لورد كوكرين : جاء من لواء اللايف قاردز .
ميجور لورد أ . سمرست : جاء من لواء الرويال هورس قاردز .
ليوتنانت لورد بيننق : جاء من لواء الرويال هورس قاردز .

وتستمر القائمة طويلة سنتعرض لها فى مكان آخر. لواء الهجانة الخفيف كفى أن قائده قد احضره قائد عام الجيش البريطاني ديوك كيمبردج وبتوصية من امير ويلز ــ ملك بريطانيا المقبل . ان اسم هذا القائد هو كولونيل استانلى كلارك ، وقد كان كارثــة ، وهرب قبل النهاية .

الارستقراط في حملة النيل

بعد نزول الارستقراط مباشرة بدأ الاهتمام بهم . حملوا على عربات السكة حديد المصرية ، بعد أن فرشت ارائكها ببياضات جيدة . اكلهم اعد بأيد نظيفة . في القاهرة لم يدخلوهم الى هذه المدينة الكثيرة الضوضاء المزعجة . وأخطر من ضوضائها وازعاجها امـــراض عاهراتها التناسلية الخطيرة(١) . انهم لو دخلوا الى القاهرة لانكبت عليهـــم الساقطات كما ينكب الذباب على قدح العسل. ان جيوب ابناء اللوردات هؤلاء مليئة..مليئة.

١ ــ كرامة انجلترا ص ١٣١ ــ

وضع هؤلاء السادة بعيداً عن القاهرة ، في معسكر يرون منه اهرامات الفراعنة الخالدين والنيل العظيم .

ان لارستقراط لن يجروا الزوارق ، بل سيركبون الجمال ، ويأكلون المربي والجبن ولحم الضأن المغلي . ان سير ايان هاميلتون الذى لم يكن من بين الارستقراط قال : ان لثته الدامية واسنانه المخلخلة علمته مرة ومرات ، الفائدة التي تجنى اذا كان من الارستقراط . اما من الجانب الثاني فان ليوتنانت كولونيل هيوماك كالمونت ـ وهو مساعد قائد لواء الهجانة الخفيف ـ كان معجباً بحماسة زملائه الذين يتصرفون و كأنهم ذاهبون للقتال في معركة ووترلو من جديد (١) .

سلوكهم

خلق هذه المجموعة كان يتراوح بين السلوك المعتدل كسلوك الليوتنانت كونت قلايشن الذى كان في بداية عشريناته وكتب كتابه الشهير في عام ١٨٨٨ (مع قوات الهجانة فوق النيل) ، وفيه يظهر من الاحترام لرؤسائه ويرمي باللوم على الاسلحة ، ولم يغشاه القنوط لحظة ، رغم العناء الاسطوري الذى تعرضت له قواته . وبين سلوك ليوتنانت استيوارت اللص . فهذا الضابط الذى جاء قائدا لفصيلة « القوردون هاى لاندرز » ، سرق في حلفا فخذ خروف من باخرة البريد ، وضرب بعظم رجلا حاول ايقافه . حدثت منه بعد ذلك عدة سرقات زادت محمولاته إلى عدة صناديق. ولعل أكبر اثم ارتكبه كان عند رجوعه سالما من سيوف الأنصار إلى القاهرة . هناك استطاع امير اللصوص هذا ان يضلل بنت رئيس الوزراء المصرى ،نوبار باشا، ويطارحها الغرام . عندما علم أبوها بما حدث و استدعاه وسأله عن مؤهلاته وغرضه من بنته ، قال استيوارت لرئيس الوزراء المصرى (اني ضابط في لواء القوردون هاى لاندرز ، ولى قلعة في « اير شير » واجيد المبارزة .) وعلى ما يظهر فان رئيس الوزراء

١ ـ غردون الخرطوم ص ٩٤ .

المصرى لم يجد في ذلك مؤهلا مقنعا لكى يعطيه يد ابنته فرفضه (١) .

الارستقراط يسقطون من الجمال

في حلفا عندما ركبوا الجمال لأول مرة وساروا بها ، كانوا يسيرون ببطء جدا، فقد شعروا وهم فوق هذه الجمال انهم اشرفوا على قبض السماء ، والارض بعيدة .. امر القائد بخطوة سريعة ، وفي دقيقتين سقط مائتان وثلاثون راكبا وهربت خمسة جمال ولم تعد حتى الآن. « كيرى هتون » عندما سقط على رأسه، قال ان الدورة الأرضية في حلفا سريعة جداً . احد الساقطين سأل كاميرون – مراسل صحيفة الاستاندرد الذى حضر بعض حروب شرق السودان – أين اتبول ؟ رد كاميرون: هنا يمكنك ان تضرب فى الصحراء ، أما عندما ترى الثوارجنوبا فانك لاتحتاج إلى مكان تتبول فيه ...سراويلك تكفى !

رحلة قائد الحمله جنوبا

محطة السكه حديد بالقاهرة وقفت فيها عربات جهزت بهمة ونشاط لم يسبق له مثيل لكى تحمل القائد البريطاني في رحلته الحربية المهمة . انه نفس القائد الذى حطم الجيش المصرى في التل الكبير . الكل ينظر اليه وكأنه قائد أتي من قصص كاتب الأساطير « جولس فيرن » . جميع الرجال القصار القامة بالمحطة اذا رأوه يرفع يده ، اعتبروها خطة حربية ربما تزيل محطة بولاق الدكرور من الوجود . وفي جو التبجيل والاحترام والعدد الضخم من خدم القطار، ركب قائد حملة النيل متوجها جنوبا .

الجو الذى بدأ في البرودة قليلا ، كان مشبعاً ببعض الرطوبة وبالذباب الذى لم يأبه بمن الراكب . ازعج الذباب وولسلى ازعاجا كاد ان يفقده صوابه .

في أسيوط – نهاية الخط الحديدى – كان هناك يخت الخديو « فيروز » جاهزا في مربطه . الاكل الذى تقدمه شركة « كوك » والبياضات التى تستبدل يوميا ، واثنى عشر رفيقاً ، بينهم ، بولر ، وبراكنبرى وايضاً رسام ومراسل « القرافيك » ويدعى

١ – كرامة انجلترا ص ٢٧٠ .

« فريدرك فيليرز » . اركب وولسلى الفنان معه لأنه ربما رسمه في هذا الجو الذى قد يكون شاعريا ، وتنشر الصحافة البريطانية هذه الصور ، بل قد تبقى هذه الرسومات تاريخا باقيا .

عندما بدأ الفيروز التحرك من أسيوط ، بدأت المناظر المتشابهة تزعج القائد إلى حد التذمر . انه بدأ من القاهرة بعدو واحد لم يستطع هزيمته وهو الذباب ، والان زاد العدو الأول بعدو آخر هو المناظر التى لم تعجبه . مروا بفرشوط والأقصر ورأوا معابد الأقصر على حرف الماء ، ثم الكرنك حيث معبد آمون العظيم بصالته التى بها مائة وأربعة وثلاثون قائما . في الضفة المقابلة بقايا طيبة الممتدة في الصحراء خمسة أميال . ثم مروا على ادفو واسنا وكوم امبو ، وكل معابدها تطل على النيل . كل هذا التراث البشرى الذى قل ان يوجد له مثيل في هذا الكوكب ، والذى بعثــه إلى الوجود مرة أخرى بعد صانعيه العظام ، جيش نابليون قبل ما يقارب القرن ، في نظر القائد الكبير وولسلى – ونظره يتكون من عين واحدة بعد ان فقئت الثانية في حرب القرم – مجموعة حجاره .

في نظر بولر فهى معابد تفقد الروح الدينية التى تفوح من المعابد . انه يرى ان المعابد القوطية الطراز أفضل من تلك المعابد الوثنية . بل ان كنيسة انجليكانية واحدة – في رأيه – بكل مخلفات فراعنة مصر !

طيور الطريق أخذت إنتباههم لبعض الوقت ، وخصوصاً في المناطق الصحراوية ، حيث لا شيء غير الصحراء وتلالها ومجرى النيل وطيور البجع واللقلق وابي قــردان ومالك الحزين والرهو والاوز . في صباح الخامس من اكتوبر كان وولسلى ينحــدر من درج اليخت الخديوى لتلامس قدماه حلفا . ذهب فوراً لمباشرة عمله حيث تسلم أول تلغراف وهو : ان الزوارق الأخيرة قد غادرت بريطانيا في طريقها إلى الاسكندرية .

حلفا والسكه حــديد

حلفا أصبحت في الأسابيع القادمة ، معسكراً ضخما للجنود البريطانيين والمصريين

والمساعدين ورجال المخابرات والوابورات والضباط والجنرالات والرحالة الكنديين بصنفيهم الهندى والفرنسى وزنوج غـــرب أفريقيا والموظفين والاداريين والأطـــباء ووابورات السكه حديد المعطلة والجمال والخيول .

حلفا التى تقع على الضفة الشرقية للنيل وعلى حافة الشلا ل . عدد منازلها قليل . هذه المنازل تقوم بين غيطان نباتات الحلفا التى اسميت المدينة عليها . وهى تغطى عدة أفدنة . وعليها جنائن نخيل كبيرة .

على الضفة الثانية . بعض آثار كان البعض يعبر النهر لتفحصها . خط السكه حديد الذى ينتهى على مسافة من النهر . له خط قصير يدور حول الشلال الثاني ، طوله ثلاثة وثلاثون ميلا وينتهى عند صرص . كان وولسلي يفكر في زيادة طوله حتى يستفيد منه فى النقل . ولكن نظرا لقصر الوقت تخلى عن الفكره .

السبب في عمل خط حديدى هناك أساسا تحت ادارة الخرطوم ، كان لتخطى صعاب الشلال الثاني . هذه الصعاب هى التى حتمت ان تكون حلفا ، فيما بعد ، نقطة الحدود بين مصر والسودان ، بعد ان كانت نقطة الحدود كورسكو . فنظراً لصعوبة عبور بطن الحجر ، رأت سلطات الاحتلال البريطانى فى مصر ان منطقة بطن الحجر ستشكل العائق الذى يمنع أى تقدم سوداني كبير شمالا «١» .

حتى أكتوبر عام ١٨٨٤ ، كان المنقول من المواد عبر خط حديد حلفا لا يتعدى ألف طن فقط . اما عدد قاطرات السحب المعطلة فقد كانت اربع قاطرات . في اكتوبر تمكنوا من تسيير قاطرة واحدة في اليوم ، وحتى هذه واجهت بعض الصعاب . ففي الثامن من اكتوبر ، كان ستون من لواء الاستافورد شير يجرون بأيديهم قطـــاراً تعطل محركة .

بقية خطوط السكه حديد من الإسكندرية إلى القاهرة ، ومن القاهرة إلى أسيوط ، ثم الخط الثالث الذى طوله تسعة أميال فقط ويدور حول الشلا ل الأول من اسوان إلى فيله ، كانت تعمل بانتظـــام .

---

١ — الســـودان المصرى ص ٧٥ .

عبور الشـــلال جنوبا

أول شلال يقابلونه الان على النيل هو (الباب الكبير) انه ممر ضيق صخرى فيه المياه تبدأ في الانحدار عدة أمتار على مسافة سبعين متراً . هناك خليج دائرى على رأس الممر ، يغذى بواسطة فرعين من النيل ، فيتكون هذا الخليج الضخم المرتفع ، وتخرج منه المياه عبر ممر ضيق بقوة لها طاقة مذهلة .

في الأسبوع الاخير من أكتوبر جرت أول محاولة لعبور الشلال بزورق . فشل كل الرحالة الذين اتوا من كندا والزنوج الذين اتوا من الكاميرون في قيادة أو جر الزوارق عبر الشـــلال .

استعانوا بشيخ الشلال ، الشيخ كوكو ، الذى ربط حبلا ، في مؤخرة الزورق ، وآخر تحته ، وبدأ بمساعدة ابن اخيه في عبور مراحل الشلال الثلاث ، في مقابل مائتى قرش عن الزورق .

استمر هذا العمل إلى أن عبرت ثلث الزوارق – ثلاثمائة زورق – بعدها نزل مستوى النيل بشكل زاد من بروز الصخور . لم يجدوا حلا غير حمـــل الزوارق حول الشلال . حمل كل اربعين شخصاً زورقا. بعد اكتمال وصول الزوارق حول الشلال، اقيم لها معسكر لاصلاحها من الأعطاب التى اصابتها بسبب العبور وبسبب الجفاف الذى أصاب أخشابها التى صنعت منها . عملية فقدان الرطوبة قادت إلى إنكمـــاش الأخشاب وظهور الشروخ . معسكر الاصلاح هذا اقيم في « الجماى ». بعد عمليات الاصلاح وضعوا في كل زورق اربعة أطنان من المحمولات واثنى عشر رجـــلا بفـــؤوسهـــم وسكاكينهم وأدوات طبخهم .

في أول نوفمبر تحركت أول خمسة زوارق تحمل ستين جنديا من سلاح المهندسين .

بينهم خمسة رحالة . في الخامس من نوفمبر تحرك اثنان وثلاثون زورقاً جنوباً . استمر الحال على هـــذا المنوال وبهذه النسبة الأخيرة .

القوات الراكبه تتحرك من حلفا جنوبا

المسافة بين حلفا ودنقلا بالبر هى مئتان وخمسة وثلاثون ميلا . وبسرعة تقل عن ثلاثة أميال في الساعة تحركت قوات الهجانة الراكبة التى كان يصحبها مستشفى ميدان ، وقـــوافل تعيينات وحمـــالون وقاذة جمال ومحمولات في جمال تذهب خلفهم وقيل لهم انها لضابطين عظيمين يحبان الاكل واقامة الدعوات هما « وود وبولر » . انهـــم يبدآون يومهم في السادسة صباحا ويسيرون حتى الثالثة بعـــد الظهر . الجهل الكامل بالجمال قاد إلى مشاكل جمه . فقبل كل شيء جمالهم سيئة نوعاً وصحة . ثانيا : كانوا ينزلون سروجها منها بعد عناء تسع ساعات من الركوب مباشرة بعد توقفها ، الشيء الذى كان يصيبها بالبرد . ثالثا : نظراً لرداءة السروج وما تحتها وما فوقها ونوعية الصناديق التى تحملها ، فقد أصيبت الجمال بالجروح والقروح بعد اربعـــة آيام فقط من بداية الرحلة . السقوط في الطريق من الجمال كان حقاً مشاعا لكل هؤلاء الجنود والضباط الارستقراط .

في النهاية وصلوا إلى دنقلا بعد رحلة أسبوعين . وهناك بدأوا في التدريب على ركوب الجمال ! دربوهم على النزول السريع من الجمال والركوب ، وماذا يفعلون عند مشاهدة العـــدو .

أصدر بولر تعليماته بأنهم لن يحاربوا من فوق جمالهم ، بل سينزلون إلى الأرض ، ويعقلون الجمال ، ثم يحاربون على نمط غير متفرق ، وبأحاطة ثنائية بالجمال ، وفي هيئة مربعات . اذا لم يسمح الزمن بهذا الاجراء فيجب ربط ساقي الجمل فور النزول ، ثم توكل إلى بعض الجنود حراستها والاسراع بالتشكيل .

دنقــلا قبــل التحريــر

دنقلا الحديثة أسسها المماليك عام ١٧٩٨م عند هربهم من وجه الجيش الفرنسى الذى غزا مصر بقيادة نابليون بونابرث ، وهرب هؤلاء من امام نيران مدافعه وبنادقه إلى السودان .

ان المنطقة التى نزل فيها المماليك اسموها « بالأردى » وتعنى المعسكر . السودانيون اسموها (العرضى) .

حرر دنقلا الأمير عبد الماجد أبو الكيلك ، عندما ارسله الأمير محمد الخير على رأس ثلاثة الاف انصارى في الخامس من يوليو عام ١٨٨٥م .

مدينة دنقلا التى أتي اليها وولسلى في الثالث من نوفمبر ١٨٨٤ ، كانت مدينة متوسطة الحجم بمقاييس المدن السودانية حينها . انها مدينة مربعة الشكل تقريبا ، ضلعها ستة الاف متر تقريباً . منازلها من الطين ، وتتكون من غرف سقفت بالجريد والبروش والطين وطليت بروث البهائم المخلوط بالقش والتراب . حول الغرف حيطان خارجية في طول قامة الانسان .

خارج المدينة من الناحية الشرقية ، أرض زراعية ولكنها غير عريضة خلفها النهر مباشرة . تسقى هذه الأرض بواسطة سواقي متعددة . الارض مقسمة بواسطة جداول تجرى عليها المياه القادمة من السواقي بدوران ثيرانها الكسلى .

خلف المدينة الصحراء القاحلة التى تتخللها الكثبان القصيرة ومجموعات صخريــة متناثرة .

بين المدينة والارض الزراعية حائط دفاعى من الطين سميك ، فتحت فيه مزاغيـــل

لا ستعمالها في حالات الدفاع . الحائط رغم قوته فهو حائط مهمل . ان داخل هـذه المدينة الطينية التي يميل لونها الى البني الهادئ ، سوق كاشف مساحته حوالى الفـدان ومجموعة من الحوانيت الكبيرة . مكنات الجيش بداخل المدينة طليت بالجير الأبيض واجهاتها . هناك غير بعيد من السوق جامع قديم لا تشعر عند النظر اليه ، بانه يتلقى أى صيانة ، بـل ان بعض جدرانه متهدمة .

منزل مدير دنقلا ومكتبه أيضاً بنيا من الطين . عندما حضر كتشنر أولا الى دنقلا اختار افضل منزل بها لأحد اعيانها ، ابيض الطلاء ، به ثلاث غرف عالية ، أخذ مـن صاحبه ووضعت فيه القيادة البريطانية . السوق الرائج بالبائعين والمشترين ، واكثر منهم الجائلون دون غرض ، به شجرة جميز ضخمة كونت المعلم البارز له .
بالاضافة الى الخضر والتمر والبهارات والبصل والقمح والذرة ، هناك بضائـع مستوردة من عـدة امكنة باوربا .

حانوت السيد علي الشامي ، كانت به اقمشه من ما نشستر ، وملاعق وشوك ومدى للموائد . الاسعار نظراً لقلة المعروض من هذه المواد ، عالية جداً .
عدد الصاغة كبير ، واكثرهم يعملون في تشكيل الفضة ، فهي موجودة في كل النقود التي يتعاملون بها .

الاموال التي يتعاملون بها ، اكثرها شيوعا هو الريال ابوطيرة (ماريا تيريزا) النمساوى المشهور . وقد سموه كذلك نظراً لصورة النسرين عليه . وهو يسمى ايضاً بالقشلي ، وهى كلمة تركية تعني «ابا طيرة» . ويسمونه ايضاً ابا نقطة نظراً لوجود نجمه على وجهه الخلفي . في تلك الواجهة ايضاً صورة الملكة النمساوية المتقدمة السن الضخمة الثديين .
هناك ايضاً الريال المصرى المسمى (مجيدى) . انه كان يساوى ستة عشر قرشاً مصرياً . التعريفة وهى نصف القرش كانت نادرة الوجود ، فقد اتى بها جيش هكس للبلاد .
العملة الذهبية كانت موجودة ولكنها غير مرغوبة كثير ا . منها كان الجنيـه الانجليزى ويسمى (الخياله) نظراً لوجود صورة سنت جورج والدراقون به .

هناك عملة فرنسية أيضاً هي الخمسة فرنكات ، وأخرى اسبانية يسمونها (ابامدفع) ولكنها كانت قليلة .

بونات غردون لم تصل الى هنا ، ولو وصلت لما وجدت الذى يعترف بها .
الفوريني – وهو نصف القلدر النمساوى– كانوا يقبلونه بقرشين ويسمونه (الفريني).
النساء في السوق يبعن في اطباق كبيرة من سعف النخـــل ، التمر والخضروات والجبن والسمن . السمن يحضر الى السوق في اواني نحاسية مطلية بالقصدير .

الناس الذين يتجولون في السوق ، كالسياح الذين يتجولون في مدينة البندقيـــــة الايطالية صيفاً . فبالاضافة الى الوان السوداني التى تغطى جميع الوان قوس قزح ، تجد الاغاريق وسكان شرق البحر الابيض والمصريين والبرتغاليين والاحباش والهنود واليهود والايطاليين .

عند ظهور مقدمات الجيش الانجليزى هرب اكثر الوطنيين من المدينه الى الصحراء والمناطق المجاورة والبعيدة . بعضهم توجه الى مصر وآخر الى المهدى .
ملازمان بريطانيان من المشبوهين خلقيا ، وهما «هنرى الفورد ودنسون سوورد» عندما رأيا سكان دنقلا الاصليين بعد اثنى عشر عاماً تقريباً من حضور وولسلى اليهـــا كان لهما رأى في مواطنى دنقلا يذهـــب على النحو التالى :

اولا : المرأة الدنقلاوية ليست فينوس زمانها . انها قبيحة لحد مذهل . شعرها الصـــوفي المفرق في النصف يقطر دهناً من تموجاته المتعددة . ملابسها تتكون من قطعة قماش واحدة تلفها حول جسمها .

ثانيا : الصغيرات لا يلبسن شيئاً ، اما اللائى في عمر اكبر قليلا يلبسن « رحاطة » (وهى اردية للعجز تتكون من سيور من الجلد) .

ثالثا : الرجال بخلاف النساء ، لا يشبهون الاشكال القبيحة والعيون الحولاء المتواجـــدة بكثرة بين اعراب مصر . ان اجسامهم رائعة التكوين ، وفي بعضهم العيـــون

السوداء ، يشع منها تعبير متوحش حزين فيخلق منهم رجالا رائعي الوسامة ! !(١)

مديـــر دنقـــلا

مدير دنقلا مصطفى ياور كان عبداً لسيد تركى (٢) . وهو مـــن اصل شركسى . عندما مات سيده ارسل الى المدرسة الحربية .نشأ مصطفى رجلا ذكياً ،ومتـــديناً ومراوغاً . عين مديراً لدنقلا عام ١٨٧٧ . اول من اتصل به من الانجليز بالحملة . كان كابتن كتشنر من المخابرات .وعلى ما يظهر فقد استطاع بذكائه ان يعرف الخطــــة البريطانية لطرد المصريين والاتراك من السودان واستيلاء الانجليز عليه . قرر ان يحاول تعويق سير الحملة بكل ما يستطيع من سلطة محدودة . انه كان ذا ولاء لا حـــدود له لسادته الاتراك . حارب ثوار المهدية في حروب دامية ، وراوغ الامام المهدى بانـــه مهدوى ، وقد شهد كثيرون له بتدينه . عينه المهدى عاملا على عموم دنقـــلا ثـــم إكتشف تدليسه فتوعده .

عندما قدم استيوارت الى دنقلا قابله بفتور شديد ، فقد كان يعلم مقدماً ما يريد الانجليز منه . طلب منه استيوارت المساعدة في شراء الجمال ، وفي امدادهم بالغذاءات . لم يعطهم مصطفى رداً الا بعد يومين بان طلبه غير ممكن . ان جميع امكانيات دنقـــلا وما جاورها ليست بهذه الضخامة . ان منطقة حكمه تصل حتى مـــروى .

كان كتشنر يتوقع ان يقابل الحاكم استيوارت عند قدومه بقرقول شرف ، وان يسرع لتلبية طلباته . وخصوصاً انه موظف مصرى ،ويستطيعون طرده في اية لحظة. لم يأبه بهم ، بل عند وصول استيوارت كان يصلى تحت ظل شجرة . عندما انتهـــت الصلاة ، امر باحضار مقاعـــد للقـــادة الانجليز الواقفين . عند احضارها وضعـــت تحت ظل شجرة . بعد ان جلسوا ، جلس هو على مقعد على يمينهم . جلوسه هذا اثار غضب الانجليز الذين سمعوا ان المسلم الذى يحترم ضيوفه لا يجلسهم على يساره . !

١ — السـودان المصرى ص ١٤٥ .
٢ — كرامة انجلترا ص ١٣٥ .

عندما وصلت انباء قتل المناصير لمساعد غردون استيوارت ومن معه ، طلبوا منه ارسال جيش منه لكي يعاقبهم ، ولكنه رفض . عندما وصل رئيس اركـــان حرب جيش الامبراطورية البريطانية ، لورد وولسلي إلى دنقلا ، لم يشأ أن يقابله . وبعد الحاج يومين خرج لتحيته .

في اليوم الذى تلا المقابلة ، ذهب وولسلي الى منزل المدير فوجد جماعة من مادحي الرسول وهم يهزون رماحهم . عندما تقدم واحد منهم بحربته بالقرب من نائب قائد جيش صاحبة الجلالة فكتوريا ، غلت الدماء في عروق ضباطه .

قوبل وولسلي في المنزل مقابلة فاترة . اخرج وولسلي وسام « قائد فرسان في نظام القديسين جورج وميخائيل » الذى استلفه من « بولر » وقلده للمدير على انه من ملكـــة بريطانيا ، نظر المدير الى الوسام باحتقار .

ان مصطفى ياور رجل قصير القامة ، له انف تتقدمه بعدة سنتمترات ، يتحــرك بطريقة اخطبوطية ، ويرتدى طاقية كشميرية من صوف الجمال ، وكوفية حــولها ، مع القميص التركى وتحته سراويل بيضاء .

كان المدير يستعمل الخط التلغرافي ، الذى استولى عــليه الانجليز ، بشكل اثار حنقهم ، ولكن لم يستطيعوا نقده . كـــان عندما يرسل تلغرافاً يبدأه بالبسملة والصلاة والسلام المطول على الرسول الكريم وآل بيته وصحبه الكرام ، وعلى المسلمين ، ومن اتبع دين الحق باحسان ، ثم يدعو الله أن يعز دينه وينصر ســلطان الدولـــه العثمانيـــة وخديو مصر ، وان يقشع عنهم غضبه وعذابه انه سميع مجيب الدعوات . اذا انتهـــى من ذلك ذكر مايريد قوله في البرقية بخصوص العمل ، وختم البرقية بدعوات صالحات لدولة آل عثمان والمسلمين اجمعين .

عندما وجد ويلسون معه يوماً احد اقرباء المهدى قال له : انه قريب المـــهدى ، ويمكن ارساله له لقتله (١) .

اجرى وولسلى محادثات مع المدير ومع رجال القبائل انتهت بان يحاولوا امدادهـــم بالمأكولات الطازجة والجمال ، وان يرسل المدير جزءاً من جيشه مع جيش وولسلى الى حدود مديريته .

فشل الانجليز في فهم مصطفى ياور لمدة اربعة اشهر هى التى وصفها وولسلى بأنها ضاعت في التعامل معه . فكلما اساء اليهم من وراء حجاب حسبوا انه لم يقصد ذلك . وفي النهاية وجدوا انه لا يمدهم بالجمـــال ، واوقف عنهم الامدادات وطالب باسعار خيالية للمواد والعمالة التى قدمها .

عندما نام وولسلى ليلته الاولى في المنزل الذى اعد له بدنقلا ، اصبح الصباح فوجد ان النمل الابيض قد اتي على حذائه المستورد بالكامل .

الطريق الى دنقلا بالزوارق

تحركت الزوارق من الجماى لتدخل بعد مـــدة الى منطقة بطن الحجر التى تأخذ من النيل اثنين وستين ميلا .ان المياه فى هذه المنطقة المليئه بالصخور ، تدور فـــى شكل (شيم) بسرعة وقوة .ان النيل يغير مجراه كل يوم هناك .

مع انحسار النيل بدأت الصخور الحادة الملساء تطل برأسها كقرون الشياطين ، مهددة كل زورق بالمحاق. المجرى صخرى من حجر البازلت الاسود بعكس شلال اسوان ذى الحجر الاحمر . ان النيل هنا يتدرج فى انحدار شديد .

---

١ – غردون الخرطوم ، جونسون ص ١٠٧

دخلوا شلال سمنه حيث الصخـــور المختلفة التـــر كيب تستمر عشرة اميـــال ولكنها لا تمنع الاقلاع بالاشرعه او المقاديف .الرياح تهب من الشمال وتيار النيل يسير سريعا من الجنوب . فى نهاية هذا الشلال بوابة سمنه وهى فى شكل صخور ضخمه عاليه تمر المياه بينها كما تمر المياه عبر خزان سنار .وهنا كان عليهم انزال الاحمال وحملها بمساعدة الزنوج الكاميرونيين. حملت الزوارق نصف مـــيل، حتى اذا انتهى العائق اعيدت الى النيل مرة اخرى .وبالطبع اعيدت اليها احمالها .المياه بـــعد ذلك تيارها معتدل، ولكن تحت هذا السطح الخادع صخور حاده خطره .شلال ام باكو هو الشلال الذى يليه وطوله خمسة اميال، به جزر صخريه واخرى رمليه لاحد لها ولكن التجديف ورفع الاشرعه والجر بالحبال ممكن .بعد ثمانيه اميال اخـــرى وصلوا الى شلال (تانجور). ان انحدار هذا الشلال شديد وعلى مسافة ميلين ونصف .لارتقاء الميلين ونصف احتاجوا الى يوم كامل .

بعدها واجهوا صخورعكاشه التى تشبه صخور سمنه .يليها شلال (دال) الذى طوله خمسة اميال ونصف وهو اصعب هذه الشلالات على الاطلاق .فهو ينتهى بهضبة من صخر البازالت الاسود تطوق جانبى النهر .وبهذا انتهوا مـــن المنطقة المسماه (بطن الحجر) .

امامهم حتى دنقلا بعد ذلك شلال (كاجبار) الذى يمر فيه النيل شاقا صخره شقا، وشلال (حنق) الذى لا يمكن الابحار فيه حتى فى وقت ارتفاع النيل .ان الزوارق يجباخراجها من النيل مع حمولتها وارجاعها بعد العائق .

كان العمل مرهقا لزنوج غرب افريقيا وللجنود البريطانيين الذين كانت مرتباتهم اليوميه عشره بنسات ـ اى اقل من الشلن ببنسين حينها .

ان جهل القوات المعتديه هذه بالنيل واستعمال الزوارق فيه، لم يكن اقـــل من جهل قوات الهجانه التى ركبت الجمال الى دنقلا .

وولسلي يذهب ثائرا الى حلفا

ان وولسلي الذى لم يعجبه تأخر الجنود ، لم يكن في الحقيقة عالما بدقائق النهر الذى شقوه جنوبا .

قــرر وولسلي الذهاب إلى حلفا ، فذهب في رفقة ياورين واعرابي كدليل . وصل إلى حلفا في أربعة أيام بعد ان ركب القطار من صرص إلى حلفا . قطع الرحلة مسافرا ليلا ونهاراً ، ما عدا بضع ساعات للنوم . لم ينزع حــذاءه ولم يغتسل . وصل إلى حلفا في الثانية صباحا . وجد بمحطة القطار « بتلر » الذىأخبره أن سبب التأخــير هو قلة الفحم الحجرى . بدأ يكيل السباب « لافلين وود » قائد القوات البريطانية بمصر . (انه الرجل الذى كتب بعد عشر سنوات كتابه المعروف « الفرسان في ووتر لو »). ان وولسلي الذى كان يخشى ان يقوم « وود » بحياكة العراقيل له، قام باغراء لهذا الجنرال الثقيل السمع ، بتعيينه قائدا لامدادات الحملة. انه رجل مثل « براكنبرى » غير خلاق ويعــدم التصور .. هكذا كان يراه قائد الحملة .

حلت مشكلة احضار الفحم الحجرى بزيادة سعر النقل لشركة كوك البريطانية، وقام وولسلي بتشجيع تقدم قواته التى تركب الزوارق . قال إنه سيعطى الأسبقية في التقدم جنوبا مع جائزة قدرها مائة جنيه للمجموعة التى تصل في أقل وقت ممكن ، وأقل تحطيم لمعداتها .

كسبت الجائزة الكتيبة الأولى من اللواء الملكى الايرلندى « رويال ايرش » التى غادرت صرص في السابع عشر من ديسمبر ، واتمت الرحلة في سبعة وثلاثين يوما . أكثر مجموعة تأخرت وصلت في تسعة وأربعين يوما .

الملكة فكتوريا التى سمعت بموضوع الجائزة كتبت إلى وولسلي (ان القوات البريطانية لا ترشى لأداء أعمالها .)

وولسلي يتوجه الى كورتي

رجع وولسلي إلى كورتي عن طريق دنقلا . وصل إلى كورتي في السادس عشر من ديسمبر ١٨٨٤م .

اول اصابة بالمرض

وصل إلى كورتي سير هيربرت استيوارت الذى رقى إلى بريقادير جنرال (عميد) . وصل معه لواء الهجانة ولواء القاردز . وكان سبب اسراع استيوارت للوصول إلى القائد ، هو ان احد جنود المشاة الراكبة اصيب أثناء بقائه بالحجز الصحى بالتايفويد ، فادعى — رغم ان كل الجيش الانجليزى محصن تحصيناً ناجحا ضد الجدرى — بأنه أصيب بالجدرى . والجدير بالذكر ان محمولات « جنرال وود وبولر » التى تصل حمولة ١٣٦ جملا ، قد اتت مع قوات استيوارت عن طريق الصحراء . ان المحمولات كانت اكثرها من علب الكوند بيف المعلب وبقيتها من الخمور. الكورندبيف كان ملوثا بسالمونيلا التايفويد. ان اى اصابة لصندوق منها اثناء الرحله كان كافياً لاصابه من يلامسه. ان كل الدلائل تشير الى ان استيوارت كان حريصاً جداً فى تصرفه. فعندما شعر بالحادث في دنقلا وضع الرجل في الحجز الصحى ، وعند ظهور التايفويد عليه ارسله في زورق صغير مع وطنيين إلى حلفا(١) فأنقذ جنوده وسكان دنقلا من الكارثة .

توالى وصول القوات البريطانيه الى كورتي

والت القوات البريطانية وصولها إلى كورتي ، وفي الأسبوع الأخير من ديسمبر والأول من يناير كان «بتلر» في الزورق رقم ٣٨٧ ومعه رحالة هندى وستة كاميرونيين ومرشد عربي ومترجم سورى وخادم . بحث الجنود بالإسراع . وقد اقتنـــع بتلر بأن الضباط المصريين يؤخرون سير الحملة بتأخير الزوارق مع سبق الإصرار . وفي الحقيقة فان موقف جميع الموظفين والضباط المصريين كان ضد تقدم القوات الانجليزية إلى السودان ، لأن قوة الحملة المتقدمة ومعداتها لم تقنع واحداً منهم انهم يريدون انقاذ غردون أو اخراج الحاميات المصرية ، بل هو احتلال السودان واخذه من مصر .

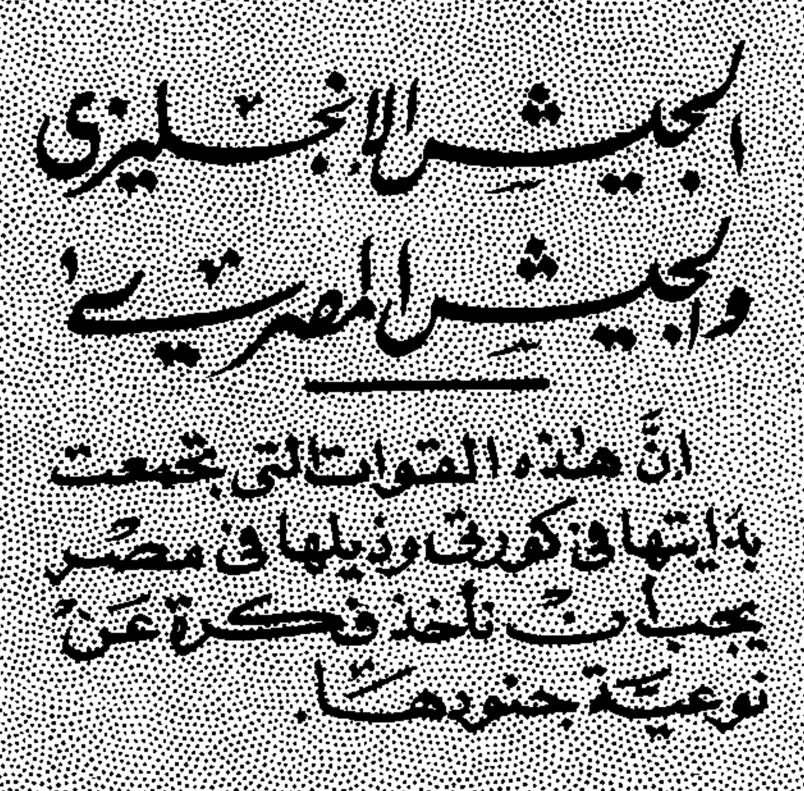
١ — كرامة انجلترا ص ١٦٠ .

خط التلغراف

اوصل خط التلغراف حتى كورتي بالضفة الغربية للنيل ، بالتعاون مع السلطة المصرية . وكان الاتفاق ان يدفع الجيش الانجليزى قرشاً عن كل كلمة يرسلها به . ولكن المصريين الذين تقاسموا شعوراً مشتركاً بان الجيش الانجليزى ينوى الاستيلاء على مستعمرتهم الذهبية ، أظهروا كثيراً من المعاكسات للقوات المتقدمة ، ودخلوا معها في مشاحنات مستمرة . ان موظفى التلغراف كانوا يعطلون الخط كلما وجـدوا لذلك سبيلا ، ويرسلون الرسائل بأخطاء متعمدة ، وخصوصاً الشفره . كما كانوا يرسلون الأخبار التي يتحصلون عليها لإخوتهم في مصر لنشرها .

ان الانجليز عينوا كولونيل « ويبر » مديراً مسئولاً عن التلغراف الحربي ، ولكن المشاحنات معه كانت تعطل كثيراً من أعماله . ملاحظة أخرى ، هى ان الخط كان بالضفة اليسرى للنيل ، في حين ان الجيش الانجليزى كان بالضفة اليمنى للنيل (الشرقية). لم يكن لديهم « كابل » ليعبر النيل فكانت الرسائل ترسل بواسطة زورق من المحطة إلى النقطة الشرقية .

بالنسبة إلى صحراء بيوضه ، لم يوصلوا خطا تلغرافياً بها . اقترح كولونيل ويبر في الحادى والعشرين من نوفمبر إنشاء محطات « هيليوغراف » وهى عبارة عن إشارات شمسية ترسل عبر محطات تنشر بالطريق . ولكن وولسلى لم يكن راغبا في تسرب أى معلومات عن جيش الصحراء تأخذ طريقها من كورتي إلى مصرفبريطانيا . ان إنشاء محطات هيليوغراف كانت تعنى ان يقوم وولسلى بالقيادة الفعلية لجيشه في الصحراء . ولكنه فضل السرية على القيادة ، ولم يرد على اقتراح كولونيل ويبر .


الجيش الانجليزي
والجيش المصري
انَّ هذه القوات التى تجمعت
بدايتها فى كورنثا وذيلها فى مصر
يجب ان نأخذ فكرة عن
نوعية جنودها.



جندى مصرى ١٨٨٥م

جندى انجليزى ١٨٨٥م

الجيش البريطاني

الالـــويه :-

الالوية البريطانية في عهد حملة وولسلي على السودان ، كانت تمر بفترة تبـــدل غيرت كثيراً من شكلياتها . فالأسماء الرقمية التى كانت تسمى بها الالوية ، بدأت في التلاشي وحلت محلها اسماء اقليمية . وبحسب تنظيم « كاردويل » فان اقدميات تلك الالوية الرقمية قد الغيت إلى غير رجعة .

بحسب توصيات « ستانلى » دمجت الالوية لتشكيل الوية أقل ، وذلك باضافة كتيبتين لكى تصبح لكل لواء كتيبة أولى وثانية . هذا التعديل وجد معارضة قوية من قبل أكثر الالوية ولكن نفذ . الغرض الأساسى من التعديل ، هو خلق الوية كبيرة تتكون من كتيبتين ، بعد ان كان اللواء كتيبة واحدة ، تسافر واحدة للعمل بالخارج وتبقى الثانية ببريطانيا للدفاع ولتجنيد اعداد جديدة من رجال المنطقة التى اسمى عليها اللواء . ان استعمال الاسماء الجغرافية هذه قد خلق روحاً جديده من التنافس بين الالويه وشعوراً بالانتماء . وبذهاب ارقام الالويه ، ذهبت الوان قطع الياقات ونهايات ايدى البذلات ذات الألوان المميزة . فمثلا ، اللواء ٥٧ ، كان يستعمل اللون الأصفر . أصبح التمييز الجديد بهذه الشارات كالآتي : الالوية التى تملك كلمة ملكى ، تملك علامات ياقات ونهاية ايدى بذلات باللون الأزرق . الالوية الانجليزية والوية ويلز باللون الأبيض . الاسكتلندية اللون الأصفر . الايرلندية اللون الأخضر . وعليه أصبح تمييز الالوية غير الملكية ، بالإسم الذى رسم بالحياكة على قطعة الكتف .

التنظيــم :-

ان الجيش البريطاني كان مشابها في تنظيمه لجيوش الدول الأوربية الأخرى ، ولكنه في نقطة أساسية يختلف عنها اختلافا جذريا . ان الأوربية كانت جيوشاً جمعت بالتجنيد الإجبارى ، اما الجيش الانجليزى فهو جيش محترف ، جنوده متطوعون دخلوا اليه برغبتهم . وكما قال وولسلى في كتاب الجيب (ان الجندى البريطاني مخلوق غريب ، فهو الوحيد الذى يمكن ايصاله إلى أعلى درجات الكفاءة ، باقناعه بتصديق انه ينتمى إلى لواء أفضل مكانة من الالوية التى حوله .)

فترة التعاقد

فترة التعاقد للجندى البريطاني كانت واحداً وعشرين عاما ، ولكن بعد تعديلات وزير الدولة للحربية ادوارد كاردويل في عام ١٨٧٠ ، أصبحت فترة التعاقد إثنتى عشرة سنة .

الجندى البريطاني طوال هذه الفترة يدرب بلا انقطاع على التمارين الرياضية والعسكرية وعلى التعامل مع سلاحه وعلى عدم التفكير . ان منعه من التفكير هو شرط أساسي في عرف القادة الانجليز . انهم يتركون موضوع التفكير لصف الضباط الذين يشكلون الصلة بين الجنود و الضباط .

المـــرتبات :—

مرتبات هؤلاء الجنود كانت شلنا في اليوم على ان تخصم منه قيمة الأكل والملبس . ولكن عبر تعديلات كثيرة، أصبحوا منذ عام ١٨٧٠ يعطونهم الأكل واللبس مجانا . نال الجندى الشلن كاملا تقريباً ، ولكن لم يعد ينال علاوة الجعه .

في عام ١٨٧٦ أصبح بالإضافة إلى الشلن اليومى ينال « بنسين » يوميا ولكن في نهاية خدمته . اما اذا كان حسن السير والسلوك فسينال بنسا ثالثا .

هذه البنسات تساعده عند اتمام عقده على بناء حياته الجديدة في المجتمع الذى لن يصلح له بعد هذه السنوات القاسية .

المعسكر والتدريب والاكل

حياة المعسكر كانت قاسية بحق . فهم ينامون ويأكلون ويعيشون في غرفة واحدة، مما خلق جوا غير صحى في هذه الغرف . واذا اضفنا الحياة القاسية من الضبط والربط في الطوابير ، فان الجندى البريطاني الذى اتي اصلا من اقل المستويات الانجليزية مكانة، يصبح شخصية لها سلوك خشن وشره في شرب الخمر ومقدرة على السب والشتم وفاحش القـــول .

في تدريبهم يصبحون ماكينات حربية . لا تسعد الا يوم تلقيها لأجرها الأسبوعي . الجندى لن يتمكن من استلام شلناته السبعة . لأنه يكون قد اشترى حوائج أخــرى من كنتين الجيش تخصم منه .

في داخل الجيش يتلقى رطلا من الخبز في اليوم ، واثنتى عشرة أوقية من اللحم ثلثاها بالوزن عظم . الخضروات لا تعطى لهم ويجبرون على شرائها من مالهم الأسبوعى. عندما يكون في رحلة حربية فان تعيينه أكثر وهو : رطل وربع من اللحم ، ومثله من الخبز ، ونصف أوقية شايا واوقيتان ونصف من السكر ، ونصف رطل من الخضروات. عند عدم وجودها تبدل بثلاث أوقيات من البصل . ثم انه يتلقى نصف اوقية من الملح ومثلها من الأرز وواحدا وثلاثين من الأوقية من الفلفل .

بعد ذلك يستطيع ان يشترى من كانتين الجيش ما يريد على حسابه .

التجنيـــد

الانتساب إلى الجيش لم يكن شيئاً مرغوبا ، وكانت نسبة المنتسبين تتوقف على الحالة الاقتصادية للبلاد . فعندما ينحط الاقتصاد وتقل التجارة ، يكثر الراغبون في الدخول إلى الجيش ، والعكس بالعكس صحيح . وهذا يعنى ان المجندين لا يأتون الا من المناطق الهامشية المعدمة الفقيرة في المدن الصناعية الكبيرة مثل مانشستر وبيرمنقهام وقلاسقو ولندن .

نسبة الذين يعرفون القراءة و الكتابة بين الجنود في ثمانينات القرن التاســع عشر ، كانت تسعة واربعين بالمائة . وعليه ، فالمحك لنوعية الجندى هو الخشونة ومقدرته على اداء اعمال الجيش والألتزام باوامره .

قدرة الالويه كانت تحسب بقدرة صف الضابط ـ هذه المخلوقات اصبحت أجهزة ميكانيكية لا تدور الا بتعليمات الجيش وقوانينه .

ضباط الجيش ربما كانوا اضعف الحلقات في هذا الجيش الآلي . فمهماتهم الخطيرة لم يقابلها تعليم مناسب . ان الغالبية العظمى لهم اتت من مجموعات مشابهة لمجموعة غردون . فهو ضابط ابن ضباط ابن ضابط ، ذهب إلى مدرسة امرأة في تونتون علمته الكتابة والقراءة وقواعد اللغة الأساسية والرسم . بعدها دخل الكلية الحربية ليتخرج بعد اربع سنوات ضابطا مهندسا .

لكي يستمر في سلك الجنديه ناجحا، عليه ان يتصور انه ذاهب لمعركة لكي يموت. واذا قام باعمال فيها اقدام، نال الاوسمه بعد الحرب .إن قليلا جدا من الضباط في تاريخ الجيش البريطاني في القرن الماضي هم الذين استمروا في التحصيل والتعليم والثقافه .ان سير قارنت ولسلي كان من هذه الفئة القليلة في الجيش الانجليزي .

الاشتراك في الحملات

الامراء والنبلاء والشرفاء كانوا يصبحون ضباطا كتقليد تاريخي قديم .وكانوا يطالبون بالاشتراك في هذه الحمله او تلك .ان الاشتراك في هذه الحملات العسكريه بالنسبه الى جميع الضباط لم يكن عملا روتينيا بل كان شيئا يشترى بالمال تماما كالترقيات.ان والد سير قارنت ولسلي باع حقه في الاشتراك في حمله لكي يشترى ترقيه بالثمن الذى قبضه . هذا النظام الغاه تعديل كاردويل في عام ١٨٧١ .ولكن ظل طلب الاشتراك في الحملات شيئا يسعى له الضباط كلما لاحت في الافق ازمة او نزوة استعماريه تستدعي تكوين حمله .ان غردون قد حفيت قدماه وهو يجرى الى اصحاب السلطة لكي يسمح له بالاشتراك في حرب القرم .ولم يصل الى هناك الا بعد مضى وقت طويل على بدايتها .

جيش الفلاح المصرى

اشتراك الجيش المصرى فى الحمله

ان الجيش المصرى الجديد يهمنا هنا لاشتراكه فى حملة النيل . فقد اشتركت جميع كتائبه التى كونها الانجليز بمصر .مجموع القوات المصريه التى اشتركت كانت سبعة الاف جندى ، وهى تقريبا كل العدد الذى درب حتى ذلك الحين .والجدير بالذكر ان الانجليز قد دربوا ايضا قوات الجندرمه على يد ضابطهم العظيم فالنتاين بيكر ولكن جيش عثمان دقنه حطم هذه القوة على ساحل البحر الاحمر .

رغم خوف الانجليز من تجربة الجيش المصرى الذى كونوه حديثا ، الا ان الفا وخمسمائة جندى مصرى تقريبا ، قد اشتركوا فى القتال اشتراكا فعليا فى حملة ولسلى .البقية كانوا فى خطوط الامدادات بين الشلال الاول والثالث — فى اسوان و كورسكو وحلفا وعكه وعكاشه ودال ومفركه و كوشه وعبرى وابى صارى ودلقو وخيبر وابى فاطمه .يقول الجاسوس نعوم شقير فى كتابه (جغرافيا وتاريخ السودان) صفحة ٨٨٦ — ٨٨٧ (فساعد على ترحيل الانجليز والذخائر والمؤن وخدم فى الشلالات خصوصا احسن خدمة حتى ان المراكب لما وصلت الى شلال دال منعها التيار من المرور فحملها العساكر المصريه من رأس الشلال الى قدمه مسافة ثلاثه اميال فى البر) .

الجيش المصرى يصلح لحمل الاثقال

ان بريطانيا لم تفتر من الاعتقاد الجازم الذى تمسكت به من ان الجيش المصرى لا يصلح الا لحمل الاثقال .بعد معركة عطبره تركوا لواء لويس المصرى يحمل مائة وخمسة وعشرين جنديا انجليزيا ، ليس بالطريق المطروق لانه وعر ويزعج جرحاهم ، ولكن بطريق طويل وهم على نقالات وعناقريب من النخيله الى ام ضبيع ومنها الى النيل(١). اللواء محمد نجيب الرئيس المصرى الاسبق قال فى مذكراته : ان الانجليز كانوا

١ — السودان المصرى فقده واسترجاعه ص ٢٢٩ .

ينظرون الى الضابط المصرى على انه (مقاول انفار) .

عند ما هرب الانجليز من ابى خروق فى حملة النيل هذه، تركوا قوات نصحى باشا تحمل جرحاهم ومرضاهم الى كورتى .

الذين ذهبوا للقتال مع الانجليز

الذين ذهبوا الى ابى طليح من القوات المصريه كانوا فى قسم الامداد والمدفعيه، وسيأتى تفصيلهم مع طابور الصحراء (١) .

فى طابور النهر كان هناك لواء الهجانه المصرى الوحيد حينها، وطواقم مدفعيه وفرسان. اما مع وولسلى فقد بقى من الضباط المصريين اليوزباشى اسماعيل افندى همت والملازم ثانى موسى افندى حموده وقسم من الفرسان وبعض المشاه . (٢)

التكوين

بعد احتلال بريطانيا لمصر حل الجيش المصرى بكامله والذى كان قد انشأه سليمان الفرنساوى (٣). بدأوا تكوين جيش جديد على النمط الانجليزى فى التدريب والتأهيل. وبعكس الجيش البريطانى جاء الجيش المصرى من المجندين اجبارياً . ونظراً لان بريطانيا لا تريد جيشاً مصرياً كبيراً، فان نسبة التجنيد بالنسبة الى المصريين والسود معاً بلغت واحداً بين كل الف وخمسمائة مصرى ، يقودهم خمسة وعشرون ضابطاً بريطانياً وعدد من الجاويشية الانجليز للتدريب . رفع هذا الجيش الى ثمانية عشر الف رجل يقودهم مائة واربعون ضابطاً بريطانياً. الجيش عند اكتماله كان يتكون من ثمان عشرة كتيبة مشاه ، الكتائب السوداء بينها ، رقم : ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ و ١٤ .

---

١ – متاخر جدا على غردون ص ١٦٣ .

٢ – شقير ص ٨٨٥،٨٨٦،٨٨٧ .

مذكرات محمد نجيب ص ١٢٩ .

شروط خدمة السود كانت تختلف من شروط خدمة « كتائب الفلاح » — هـذا هو الاسم الذى اعطى للكتائب المصرية .

كل كتيبة مشاة كانت مقسمة الى ست سرايا . السرية كانت بين مائة ومائة وعشرين جندياً . الكتيبة كانت تتكون من بين ١٥٠ — ٧٥٠ جندياً .

كتائـــب مشاة الفلاح كانت من العدد (١ الى ٤ ، ومن العدد ١٥ الى ١٨ ، كان يقودهم ضباط انجليز ، فى حين ان الكتائب (٥ و ٦ و ٧ و ٨) يقودها اتـــراك وشراكسة والبانيون وقليل جدا من المصريين . عدد الانجليز في كتيبة الفلاح كـــان ثلاثة ، وفي كتائب السود التى اسميت بالكتائب السودانية ، اربعة .

ان قلة التعليم بين السود الذين اتوا بهم من اواسط افريقيا لم تمكنهم من الترقـــى لاكثر من رتبة نقيـــب .

الضباط البريطانيون اقل وظيفة لهم كانت في ذلك الجيش « بمباشى ». يعطونهم هذه الدرجة في الزمن الذى كانوا فيه في جيش بلا دهم بدرجة ملازم . قائد الكتيبة يكـــون برتـــة رائـــد فى الجيش الانجليزى وفى بعض الحـــالات فى رتبـــة نقيب ، ويعين في الجيش المصرى في رتبة قائمقام اى ليوتنانت كولونيل ، وهى بلغة اليوم (مقدم) . فى كل كتيبة ايضاً جاويش للتدريب .

الملابس

ملابسهم كانت فى شكل سراويل اوربية بيضاء وكذلك لون الجكيت الذى بـــه حزام في النصف واخر على الكتف لحمل منقولاته ، وحذاء اسود عليه مشد سراويل قصير ابيض ، وعلى الرأس طربوش .

اسلحة الجيش المصرى

سلاح الجندى كان سيف سنجة انجليزى وبندقية مارتينى هنرى . حزام الطلقات

بين كتفه الايمن وجانبه الايسر .

المدفعية للجيش الجديد بها بطاريتان للميدان مزودة بمدافع (ماكسم نوردنفلـــت تسعة ارطال وثمانية عشر رطلا بدانة مزدوجة)

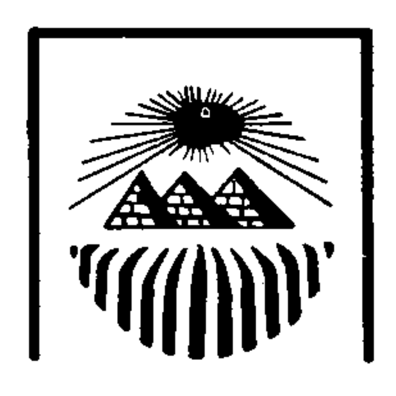
ايضاً هناك مدفعية فرسان مزودة بمدافع (كروب اثنى عشر رطلا) . هناك ايضا مدافع ميدان تسعة ارطال) .

سرايا الفرسان عددها عشر ، بكل سرية مائة فارس كلهم مصريون ويقودهم ضابط انجليز

المرتب

مرتب الجندى المصرى كان قرشاً في اليوم . وكان عليه أن يخدم مجندا لمدة ستـــة اعـــوام .

الجندى الاسود كان يعين مدى الحياة بمرتب قدره سبعون قرشاً في الشهر وعلاوة قدرها قرش ونصف في اليوم ، اذا كان متزوجاً وحصل على تصريح بالزواج .



كورتي المعسكر

اقاموا المعسكر فى غابة نخيل وطلح فى كورتى الجميله، بطبيعتها التى الهمت الشايقيه الشعر والحب وانغام اوتار الربابات الحبلى بالعواطف. نصب اللواء هيربرت استيوارت المعسكر محاطا بالسلك الشائك والحجاره التى طليت بالجير الابيض على ضفة النهر العظيم .بداخله وضع الخيام البيضاء الرائعه فى تنظيم بديع .فى ارض تبعد عن المعسكر بميل، حدد ارضا بعينها لاستعراض القوات .انهـا ارض مليئه بالحصى ذي الالـوان التى قل ان يوجـد لها مثيل .ان ذاك الحصى يشمل العقيق اليمانى وعقيق سيلان والياقوت وحتى بعض الجوهر الحقير الصغير الحجم .

فى هذه الارض كان وولسلى يستعرض قوات اللوردات (الهجانه) ويأمرهم بالقيام بالمناورات .

فى داخل المعسكر تتجمع القوات رويدا رويدا .جانب النيل يمتلىء بالزوارق البيضاء ذات الالواح والدسر .اسلحه الهجانه كلها وصلت .ايضا المعدات والجنرالات وولسلى وبولر واستيوارت والمخابرات وقوات النقل والهجانه والسوارى والمدفعيه والمشاه ولواء سسكس ومصالح التعيينات والمخازن والمهمات .وفى نهاية هذا المعسكر الضخم عقلت الجمال وربطت الخيول المصريه القصيره .ساقيه تنوح بلا انقطاع ترفع المـاء الى جدول يمر على مربط الحيوانات يسقيها ماء النيل الذى تعرفه .

الاكل كان فى روعة الجو المحيط به .ففى (ميز) الضباط تبدأ وجبة العشاء فى الخامسة مساءاً بالشوربه، يليها «التوست» بالساردين كفاتح للشهيه، ثم لحم الضأن المحمر بالفرن مع خضار اليقطين (القرع)، ثم صحن من الدجاج (بالكرى) الكثير البهارات والذى تعلموا اكله فى الهند .لانهاء الوجبه (تورته مربه) .

عيد الميلاد لسنة ١٨٨٤م

فى ليلة عيد الميلاد المجيد «المنيو» كان اروع . هذا صحيح انهم افتقدوا لحم ديك

الرومي ولكن عصيدة عيد الميلاد لم تكن اقل روعة من شبيهتها في لندن .حشوها بالعجوة التي وجدوها هناك بكثرة وقد سقوها بالوسكي بتصريح خاص من القائد وموافقة السلاح الطبي الذى اخذ منه هذا الشراب .

بعد هذه الوجبه المسكره اقاموا حفل العيد الميمون هذا على اضواء الكيروسين والشمع .

الاستعراض السكير

بدأ استعراض المساء بخطبة عصماء من احد جنود لواء البلوز ، في هذه الليله المباركه، ليلية عيد ميلاد عـــام ١٨٨٤م .

اعقب الخطبة كنسرتو موسيقى خلط بالاغاني الهزليه التي تقدم دائما في هذه المناسبه. بعض الاغاني كانت منحطة الكلمات كأغنية (او...جورج..لا تتصرف بحريه). وبعضها كان يحمل امانيهم التي اتوا من اجلها مثل اغنيه (الخرطوم الساقطه)التى غناها الجراح برات، وقد كانت الاغنيه الاخيره التي ارادوا بوضعها في نهايه البرنامج ان ينام الجنود والضباط وهم يحلمون بهزيمة الثورة السودانيه واحـــتلال السودان .

كروت عيد الميلاد ورأس السنه

اعدت كروت كثيره لكل الجنود والضباط لارسالها لعائلاتهم واصدقائهم . رسوماتها كانت ايضا تحاول اقناعهم ببساطة مهمتهم .احدى هذه، تظهر غردون وولسلي يمسكان ببعضهما ويركبان تمساحا يجر بذيله قفصا في داخله الامام المهدى. رسم في كروت اخرى يظهر زنوجاً من داخل حصون الخرطوم (جنود غـــردون) يصبون الزيت الساخن على زنوج خارج الحصون (الثوار) ، وغردون يمسك بقميص الامام المهدى الهارب على دراجة من النوع القديم الذى عجلته الامامية واسعة والخلفية صغيرة ، وتدار بالقدمين عند مركز العجل الامامي .

بهذه الرسومات المنشطة للآمال . وبعصيدة عيد الميلاد المسكرة ، انقضى الجـــزء

المشرق من سيرة الحملة البريطانية . في الصباح كان عليهم ان يواجهوا حـقائق الحياة التى تواجههم .

الجيش القذر

أول الحقائق التى تواجه هذا ا الجيش الانجليزى ، هى انه اصبح اقذر من جيش خنازير . جميع هذه القوات التى تجمعت في نقطة من اجمل النقاط عـلى نهر النيل ، كانت رثة الثياب ورائحة اجسادهم الحمضيه تشم على بعد مائة متر . القمل عـاث باجسادهم وشرب من دمائهم التى قيل بعضها ازرق. ملأ قمصانهم الفلانيل وسراويلهم الزرقاء، وسروج جمالهم القرمزيه وجميع اركان زوارقهم البيضاء . القوات التـى أتت بالنيل وصارعت جنادله وشعابه وصخوره، لم يخطر ببالها ان مياه النيل تستعمل فى غسل الاجساد البشريه ايضا .ان الانجليز بشكل عام، حتى الحرب العالميه الثانيه ، كانوا لا يغسلون بالماء من مهدهم الى لحدهم .الماء عندهم للاسطول البريطانى لكى يطفوا عليه وللطبخ والحلاقه .

عندما يولد الطفل يزيلون الدهن المتعلق به لاستعماله في دلك وجوه الفتيات ، فيجعلها تشرق كزهور شقائق النعمان . هذا الطفل خلال حياته قد لا يستعمل المـاء الا فى غسل وجهه ويديه فقط . حتى القرن الثامن عشر كانوا يستعملون الروائـح الزيتية المـادة، لتغطية الروائح التى تنبعث من غير المستحمين . اما الان فى خط عرض ١٨ درجة تقريباً، في السادس والعشرين من ديسمبر ، ودرجة الحرارة في منتصف ذلك النهار ٣٥ درجة مئوية ، والعرق في تلك الاجساد القليلة الملح ينهمر بكميات وافـرة فتحيله بكتيريا اجسادهم الى نتن مريع (١) .

تسليم صناديق التايفويد الى استيوارت

الان قبل ان يكشف وولسلى الخطة الكاملة لجيشه ، ويصدر اوامره بتقسيم جيشه

---

١ - كل المراجع ، ومنها ، كرامة انجلترا ص ١٦١ .

وتحديد مهماته القادمة ، كان عليه أن يأمر شخصين كانا يحملان حمولة ضخمة من الصناديق ، بزعم انها صناديق شخصية ، بتسليمها إلى سير هيربرت استيوارت . الشخصان هما ، قائد القوات البريطانية بمصر (جنرال وود) الذى كان يحمل ستة وتسعين صندوقاً ، غير محمولات خيمته وعفشه الخاص (١) . اعلنت المخابرات على الجنود ان محمولاته فيها اربعون صندوقاً من الخمور ، التى لم يسمح القائد باحضار نقطة منها ما عدا ما أحضر لتسكين الآم الجرحى أو ما هربه الضباط بين محمولاتهم القليلة .

الثاني هو (جنرال بولر) – نائب قائد حملة النيل ، الذى صدرت اليه التعليمات بمعسكر حلفا لاظهار ما يملك من خمر . ان محمولات بولر حملت على اربعين جملا(٢) وقالت المخابرات ايضاً ، انها تحوى المأكولات الجيدة والشمبانيا . وبولغ في الدعـــوة التى اقامها في ذهبيته في حلفا لليوتنات مارلنق ولورد فردريك فيتز جيرالد .

ان محمو لات الجنرالين التى هى بشكل رئيسى من علب الكورنديف المعلـــــب والملوث بسالمونيلا التايفويد ، وضعت معها صناديق شمبانيا ووسكى وبورت للتموية.



١ – كرامة انجلترا ص ١٤٦ .

٢ – كرامة انجلترا ص ١٣٢ .

قوات المخابرات

فرع السودان

المخابرات في حملة النيل كانت فرعاً مستقلا من جهاز ضخم تابع لجيش الأحتلال في مصر . ان وولسلي كان يمسك بجميع خيوطها ، ولم تكن في موقف لكي تتآمر عليه. في مصر كانت المخابرات تعطى اهمية ومركزاً خاصاً في جيش الاحتلال.ان الملكة فكتوريا قد رفضت في يوم من الايام تعيين فالنتاين بيكر قائدا عاماً لـها .

ضباط المخابرات

سلاح المخابرات كان يضم مجموعة كبيرة من الضباط بالسودان – بمديرية دنقلا وسواكن . هؤلاء كانوا بالطبع يجندون ما امكنهم تجنيده من المحليين. قبل ان يأتي وولسلي بجيشه كان احد ضباط هذا السلاح في منطقة دنقلا ، يتجول في المنطقة في محاولات فاشلة لتجنيد الكبابيش ولدراسة طرق صحراء بيوضة (١) . كان هـذا الضابط يتجول واضعاً على غطاء رأسه كبسولة من سم (السيانايد) الذى يقتل من بيتناولة بالقطع في اقل من دقيقتين . ان كتشنر المتردد هـذا كـان سيحتـاج الى اضعاف هذا الوقت لتقرير الانتحار ، لو وقع في الاعتقال .

ان كتشنر مع (رندل) قد نجح فى إستقطاب جيش كامل مـن العبابدة بمصر ، وتجنيدهم لضمهم الى جيش وولسلي فيما بعد .

الفرع الذى تقدم مع وولسلي عبر رحلته الطويلة داخل السودان ، قام بنفسه بتعيين قائد له ، هو سير تشارلز ويلسون . فقد كتب اليه والاخير بمصر يقول له : انك الشخص الوحيد الذى اثق فيه للاشراف على مخابرات الحملة .

---

١ – كايرنت ١و٦و٣٣ – ١ ، دار الوثائق المركزية الخرطـوم ، .

قد وصل تشارلز ويلسون الى دنقلا في الحادى عشر من اكتوبر عام ١٨٨٤ .

الاشراف وغير الاشراف في المخابرات

من مساعدى ويلسون فى مخابرات الحملة كولونيل (كولفيل) وميجور) (ترنر) وهما من اشراف الانجليز .ولكن بالطبع الذين يخصصونهم فى الحرب البيلوجيــه لن يكونوا من اشراف الانجليز .من هؤلاء الثالوث الذى ظهر فـــى اوامر وولسلى الى طابور الصحراء وهم : ميجور دكسون وكابتن كاسكوان واستيوارت– وورتلى ، الاخير فى رتبة ليوتنانت .

در اوليفر بان

سلاح المخابرات هذا كان يقوم باعمال حتى فى عمق البلاد .فهو الذى ارسل الجاسوس «اوليفر بان» الذى ذهب الى الابيض ولم يجد الامام المهدى ، فارسل اليه فى شركيله (١) .وعندما كشف الامام المهدى انه جاسوس ، تباكى عليه سلاطين فى كتابه «النار والسيف» بكاءاً حاراً رغم ان الكتاب نفسه قد كتب تحت اشراف جهاز المخابرات. ان الجاسوس هذا دخل الى الابيض على ناقة صهباء ويلبس عباءة رائعه وشاربا مـــهيبا ، مدعيا انه صحفى فرنسى جاء ليبحث سبل التعاون بين الثوره السودانيه والحكومـــة الفرنسيه .ان الاخيره كما قال على استعداد لمد الثوره بالاسلحه بشروط . لم تنطل حيلته على قادة الثورة عندما التقى بالمهدى فى شركيله ، ورفض عرضه جملة وتفصيلا ،وضم الى المعسكر الذى بدأ التقدم نحو الخرطوم الى ان توفى فى الطريق بالدنستاريا او التايفوس.

ان الذى قام بتجنيد اوليفر بان هو المخابرات بتعهد خاص تافه قدره خمسون جنيهاً فقط لا غير ، تعهد بها وولسلى لهذا المرتزق حيا او ميتا (٢). وقد دفع المبلغ خالصا قيمة التحويل الى عائلته .

---

١ – النار والسيف سلاطين ص ١٦٥ .

٢ – غردون الخرطـــوم ، بلنت ص ٤٤١ .

الجواسيس السوريون واللبنانيون

ان اعمال الجهاز تحتاج الى عدة مؤلفات لحصرها . فبالاضافة الى الانجليز والمجندين المحليين ، ضم الجهاز مجموعة من المثقفين السوريين واللبنانيين واستعملهم كجواسيس ضد الشعب السوداني . هؤلاء مثل ادوارد فنديك وجبر ضومط ونجيب ابكاريوس واخرين . اما اشهرهم على الاطلاق فهو الجاسوس الكبير المعروف نعوم شقير ، الذى كتب كتابه الشهير « جغرافيا وتاريخ السودان » . وعلى ما يبدو ، فانهم اغدقوا له فى الراتب . ففى كتابه هذا يقول عن ذهابه مع طابور الصحراء من كورتى الى جقدول صفحة ٨٣٥ (وقد كان من نصيبي اني رافقت هذه الحملة موظفاً في قلم المخابرات فوصلت معها ابار الجقدول في صحراء بيوضة ، وشهدت بعيني الهمة التى بذلها اللورد ولسلى ورجاله في تذليل الصعاب حثاً بخلاص غردون وحاميته ، فاذا هى مثال الهمم وعنوان الشمم) !

استمرار المخابرات بعد هزيمة ولسلى

اعمال تلك المخابرات ، حتى بعد هزيمة الحملة ، استمرت ضد السودان من مصر وقد استقطبت جواسيس اهمهم القسيس الجاسوس اوهر والدر وسلاطين . والمخابرات هذه هى التى حددت للجيش البريطاني ميقات الانقضاض على الحكم الوطنى في السودان ، بل رئيسها « وينقيت » قد حكم السودان سنين عددا .

اعمال القلم في جيش ولسلى

١ – مساعدة غردون في القضاء على الامام المهدى .
٢ – التجسس على معسكر الامام المهدى .
٣ – معرفة احداث الخرطوم .
٤ – تأمين الطرق للجيش الصحراوى والنهرى .
٥ – استقطاب اعراب المنطقة من الكبابيش والسوراب والحسانية لامدادهم بالجمال



ضابط من ضباط
طابور الصحراء
وقماش التل على وجهه

تحت الناموسية التى تحميه
من الذباب !

والمعلومات والاغذية .

٦ ـ الحفاظ على العلاقات مع الشايقية .
٧ ـ جمع المعلومات من الاسرى .
٨ ـ تحديد الطريق والابار ودراسة كميات مياهها .
٩ ـ بث الدعايات ضد المهدى بانه مدعى ويريد ملكاً ، واثارة الكراهية ضد الثـورة بكل الاساليب بما فيها التزوير . فقد زوروا اختام الامام المهدى وامرائه (١) .

الملابس

عرائس الصحراء

الوية الهجانه

هذه الالوية قامت بتعديل في ملابس الجيش البريطاني العادية والتى تتكون مـن الجكيت الاحمر والقرمزى والسراويل الزرقاء .

ابدل قماش الجكيت الى قماش الفلانيل الرمادى وصنع في مـصر . ان كلمة جكيت قد تكون كلمة اقرب الى الحقيقة مـن كلمة قميص التى اطلقها الانجليز . ان هذا القميص في شكل البذلات السفرية طويلة الاكمام ، بياقة تشبه ياقة الجلابيب السعودية وبها اربع جيوب كبيرة وخمس زرائر نحاسية كبيرة لقفل الصدر ، واربع لقفل الجيوب .

سراويل السوارى والوية الهجانة كلها سراويل ركوب قصيرة زرقـاء تنتهى في الساق ، حيث يبدأ حزام الساق الطيني اللون وينتهى بحذاء عادى . بقية لبس الجندى تماماً كلبس قوات قراهام التى تم الحديث عنها . هناك زيادة في البرنيطة ، انها تحوى نظارة شمسية هوائية لونها اخضر خفيف ، تحتها « برقع » مـن التل الذى ينزل على الوجـه فيحجبه من الاتربة !

---

١ ـ كرامة انجلترا ص ٢٦٧ .

القوات الاسكتلنديه

الجكيت هو نفس الجكيت الفلانيل ، ولكنهم لم يتخلوا عن تنوراتهم الاسكتلندية كما كان الحال في حملة قراهام .

قوات الاسطول والبحريه

نفس الملابس التي تم الحديث عنها في حملات قراهام .

القوات المصريه

نفس الملابس التي تم الحديث عنها في حملة فالنتاين بيكر .

الصحفيون

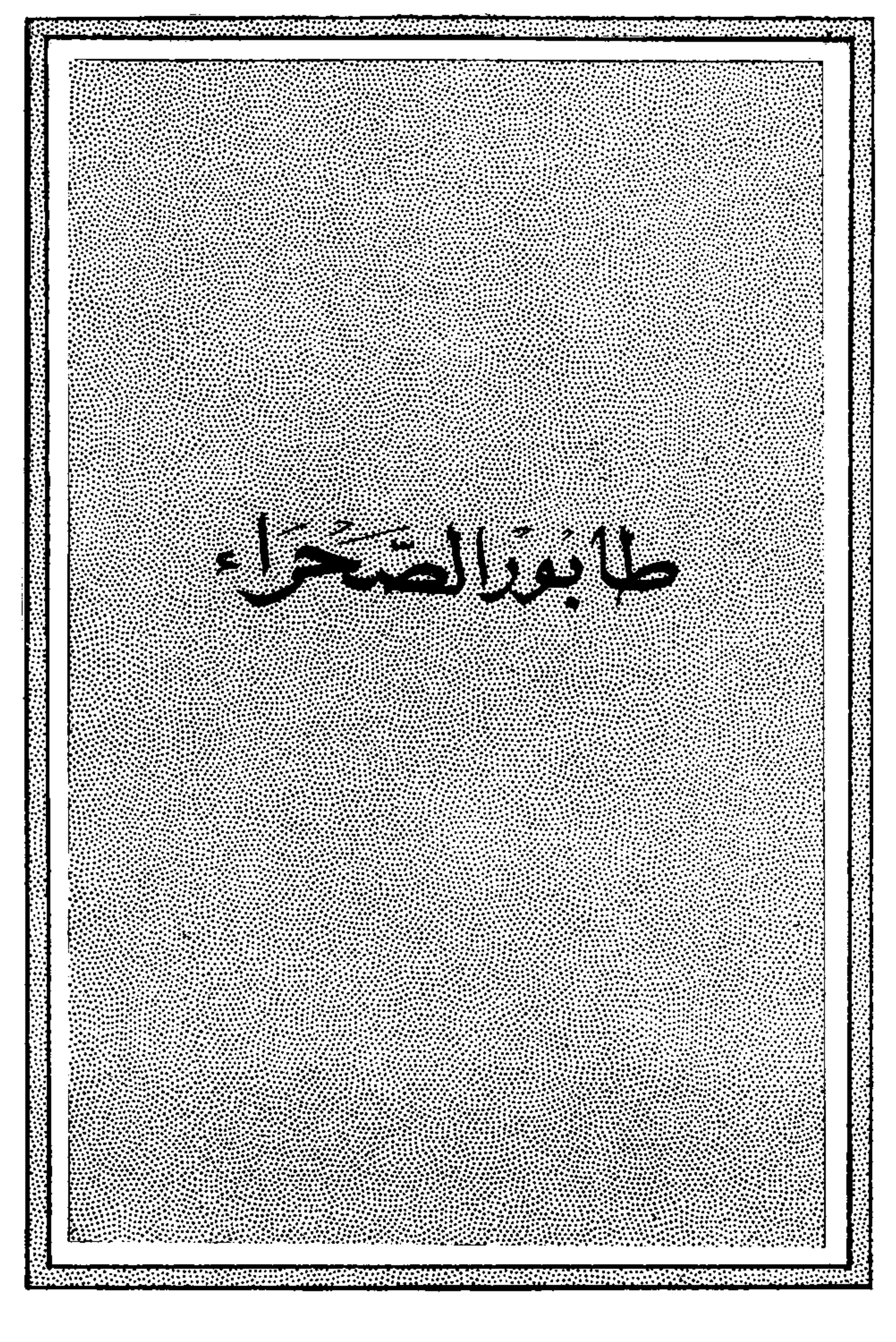
اعطوهم ملابس خاصة بهم ، تتكون من سراويل عادية تنتهي بحذاء (بـــــوت).

كل انبوب سروال يكون مفتوحاً من الجانب الخارجي الاسفل على ارتفاع عـــشرين سنتمتراً . فوق السراويل قميص خارجي لايدخل في السراويل ، ازرق عليه حزام به مسدس من ناحية اليمين ، ومحفظة أخرى على الجانب الايسر معلقة على الكتف الايمن من الجلد . القبعة كقبعات جميع الجنود .

عندما يجلس للكتابة فله غطاء مستدير ضخم من قماش التل الابيض يثبت في هيكل من السلك . شكله الهرمي يشبه اقفاص الطيور الدائرية .

الضباط

نفس ملابس الهجانة باختلاف في غطاء الساق ، فهو جلدي طويل حتى الركبـــة. في حزامه من الناحية اليسرى ، المسدس والسيف الطويل . على يمينه منظار ميدان ذو عدسة واحدة ويتكون من ثلاث مواسير تتداخل في بعضها لتصبح قصيرة من ماركـــة (اف ، ام ، دبليو) . على يديه قفازات طويلة ، بعد نهاية الكف تتسع ، وعلى وجهة يتدلى قماش التل الخفيف . القبعة والجكيت كبقية الجيش .


طابور الصحراء



جنرال هيربرت استيوارت

الخطة المرحليه (١)

تقسيم حملة النيل

اصدر قائـــد الحملة وولسلي اوامره بتكوين طابورين . الاول يدعى طابــــور الصحراء الطائر ، والثاني يدعى طابور النهر . الثاني لم يكن طائرا في البداية ولكنه اصبح طائراً فيما بعد . ان المعنى بكلمة طائر هي انه لا توجد خطوط اتصال بينـــــه وقيادته المركزية في كورتي .

تعليمات طابـــور الصحراء

التعليمات الى قائد الطابور :

١ ـ على قائد طابور الصحراء ترك حامية في جقدول لحراسة مخازن كبيرة للتعيينات والاسلحة والذخيرة بالاضافة الى حراسة المياه .

٢ ـ عليه وضع نقطة حربية في ابار ابي طليح لحراستها .

٣ ـ ان يتقدم الى المتمة ويستولى عليها ، ويترك بها حامية ، ثم يعود الى جقدول ومعه الجمال لكي يحمل امدادات الى نقطة ابي طليح وحامية المتمة . عليه ان يحمـــل تعيينات تصل الى خمسة وعشرين الف تعيين للمتمة وثلاثة الاف تعيين لنقطـــة ابي طليح. الغرض من هذه الامدادات الضخمة كما قال الكاتب قلايشن في كتابه «مع سلاح الهجانة» ص ١٠٧ (هو انشاء مخزن ضخم في المتمة قبل التقدم الى الخرطوم).

١ ـ اوراق وزارة الحربية البريطانية .

التعليمات الى ويلسون

ويلسون ، هو سير تشارلز ويلسون قائد الاستخبارات الذى صاحب طابور الصحراء ، لورد تشارلز بيرسفورد هو قائد مجموعة الاسطول البريطاني وقد صحب ايضاً طابور الصحراء . الاوامر اليهما كانت كالاتي :

١ – على ويلسون أن يحاول بكل الطرق الدخول في علاقات مع عرب البادية ويقنعهم بالعمل معهم في نقل الامدادات وأن يبيعوا لهم الماشية .

٢ – على ويلسون أن يذهب الى الخرطوم ويصحب معه بيرسفورد في البواخر النيلية التي ارسلها غردون فعلا الى المتمة . سيأخذ ويلسون ايضاً معه عشرين جندياً من لواء سسكس وضابطاً لهم هو « كابتن ترافورد » ، ثم عليه أن يأخذ معه ثلاثه ضباط من المخابرات هم :

ميجور دكسون ، كابتن كاسكوان ، وليوتنانت استيوارت – وورتلى .
هؤلاء الثلاثة ضباط يتركهم مع غردون في الخرطوم .

٣ – سيقود البواخر ضباط من الاسطول الملكى البريطاني وفنييه .

٤ – عند وصولك الى الخرطوم (لو احببت فانه يمكنك أن تسير جنود لواء سسكس عبر شوارع المدينة ، لترى السكان ان القوات الانجليزية قادمة وعلى مدى قريب.)
(اماذا كان بالمدينة مرض فلا تقم بذلك).

٥ – على ويلسون ان يسلم غردون خطاباً سرياً ، ومن المتوقع ان يرد عليه غـــردون كتابة . هذا الخطاب السرى لم يكشف النقاب عنه .

٦ – يمنع رسمياً وبشكل قاطع تقدم أى صحفى الى الخرطوم. وقد عزا لورد قلايشن السبب في منع الصحفيين الى مدلول الخطاب السرى .

ويقول في كتابه (مع سلاح الهجانة فوق النيل) ص ٣١٠ : (قبل مغادرتنا كورتي فقد صدر امر رسمي انه لن يسمح لاى مراسل بالذهاب الى الخرطوم مع سير تشارلز ويلسون ، لان حكومة صاحبة الجلالة لا ترغب في تسرب مدلول الخطاب بواسطة غردون كثير الكتابة، أو الرد عليه ـ الذى هو شيء محتمل. ان محتويات ذلك الخطاب قد بقيت سراً بشكل قاطع حتى اليوم ويرجـع الفضل في ذلك الى كل من شارك فيه ، ولكنى اذكر ذلك هنا لاشرح السبب في عدم تمكننا من الذهاب الى الخرطوم مع سير تشارلز ويلسون) .

على ويلسون ان يتباحث مع غردون ثم يعود الى المتمه تاركا ضباط الاستخبارات الثلاثة لمساعدة غردون الى ان يتمكن وولسلى من انقاذ المدينة .

التعليمات الى بيرسفورد

١ ـ ان يتسلم بمجرد وصوله الى المتمة بواخر غردون ، ويعين عليها رجالا ، ويتسلم جميع اوامره من قمندان المتمة .

التعليمات الى بيرنبى

بمجرد الوصول الى المتمة واحـتلالها كولونيل بيرنبي يصبح قمنداناً عليها ، ويقوم بيرنبي بطرد سكانها لكى تصبح معسكراً للجيش البريطاني . ان الجيش البربطاني سيبقى هناك في الوقت الحاضر، وفى المستقبل سيتقدم الى الخرطوم .

الخطة البريطانية للحرب البيلوجية

بهذه التعليمات وبمحمولات جنرال وود وبولر التي سلمت الى طابور الصحراء، اصبحت الخطة البريطانية للحرب البيلوجية واضحة جدا .

١ – ان وولسلي كان يتوقع ان يتمكن غردون بطريقته الخاصة من انتاج جـراثيم لحرب المهدى ، للملك كان متشددا جدا في نزول قوات سسكس بالخرطـوم. وحتى لو نزلوا فيجب الا يبقوا في المدينة وانما يرجعون فورا الى الباخرة التي كتحرك بهم الى المتمة قبل انقضاء اليوم . الذين سيبقون في الخرطوم هم الثلاثة ضباط من المخابرات .

نزول الجنود لاستعراض قصير كان مشروطاً بعدم وجود مرض بالمدينة .

٢ – انه لا يريد ارسال قواته مباشرة لدعم غردون ، لان الدعم الذى يحتاج اليـه غردون ليس دعماً عسكرياً وانما جرثومياً .

٣ – ستبقى قوات وولسلي في المتمة ، وولسلي نفسه في كورتي ، حتى يكسب غردون حربه الشيطانية بمساعدة ضباط المخابرات .

ضحايا الجراثيم

ضحايا الانجليز من الجراثيم التي يحملونها حتى صرف تعليمات الخطة المرحليـة بعد عيد الميلاد مباشرة كانوا اثنين هما :

١ – جندى المشاه الراكبة الذى ظهر عليه المرض في الحجز الصحى بدنقلا .

٢ – توم لينسون ، من قوات « السكوتس قاردز » الذى توفي في وقفة عيد الميلاد

المجيد (٢٤ ديسمبر ١٨٨٤) ، ولم يتورع الأطباء من اعلان التشخيص الصحيح بانه مات بالتايفويد . صنع له صندوق من خشب ارضية خيمة سير هيربرت استيوارت ودفن في كورتي (١) .

٣ ـ حدثت في المستقبل حوادث كثيرة من الجراثيم التي يحملونها ولا يعلم سرهـــا غير القائد وقوات الاستخبارات وجنرال وود وبولر .

٤ ـ ان الاطباء لم يمنعوا تعامل الجنود مع الأهالي بشراء الغذاءات منهم بما فيهــــا الالبان ، وهذا يدل على انهم كانوا على علم بمصدر الجراثيم .

٥ ـ ان الاصابة بالتايفويد لا تحدث عند تناول وجبة كاملة من الاكل الملوث به فقط ، وانما لمس العلب المصابة من الخارج كاف للاصابة كما حدث للجنديين الضحيتين . ان مجرد سقوط صندوق وكسر علبة واحدة منه ، فانها تلوث العلب المجاورة فيصبح لمسها من الخارج عملا قاتلا .

١ ـ مع سلاح الهجانة إلى أعلى النهر ، لورد قلايشن ص ٦٥

قوات الطابور الصحراى

طابور الصحراء، الذى عجم من افضل القوات البريطانية، الهدف منه عبور صحراء بيوضة الصعبة بقوات قليلة ولكن ذات كفاءة قتالية عالية تفوق عدديتها الفعلية .

اشترك ابناء العائلات الاستقراطية في هذا الطابور ، لانهم اعتبروها حـــرباً صليبية بين الاسلام والمسيحية ، وارادوا الحصول على امجاد لهم ولعائلاتهم باشتراكهم في هـــذه الحرب .

القيادة

سير هيربرت استيوارت : قائد طابور الصحراء الطائر .
كولونيل فردريك جوستاف بيرنبي : نائب قائد الطابور ، وبعد احتلال المتمـــة يصبح قمنداناً عليها .

سير تشارلز ويلسون : قائد الاستخبارات ، وقائد القوة التي ستذهب الى الخرطوم .
لورد تشارلز بيرسفورد : قائد الاسطول النهرى الذى يتكون من بواخر غردون .

الاسلحه

مدفع القاردنر : انه مدفع واحد وهو احدث مدفع رشاش حتى ذلك الـــوقت. لم تكن اول مره يستعمل فيها هذا المدفع بالسودان ولكن قراهام قد استعمله فى حروبه ضد عثمان دقنه .

القاردنر له مواسير متعددة كمدفع النوردنفلت . عند استعماله يوضع عـــلى عجليه ، ويمكن تحريك مواسيره الخمس لزاوية الارتقاء المطلوبة . بالمدفع صحيفة امداد وعجلة

تدار لاطلاق القذائف . كل حورة تقذف كل القذائف التى حشيت بالمدفع . مــدى القذيفة الف متر ، ولكن مداه الفعال كما ظهر في حروب السودان هو سبعمائة متر . استعمال المدفع بكفاءة يحتاج إلى كفاءة خاصة في إدارة مقود الاطلاق .

يحمل المدفع على اربعة جمال مفككا ، ووزنه الف ومائتا رطل .

هذا النوع من المدافع كانت بريطانيا قد زودت به اسطولها ، لكى يستعمل فــى مواجهة زوارق التوربيدو .

كمية الذخيرة التى اتوا بها مع هذا المدفع كانت الف مقذوف .

مدافع سبعة ارطال

العدد الذى احضر مع طابور الصحراء كان ثلاثة مدافع . انها مدافع يحمل المدفع منها في اربعة جمال مفككة ، وعند انزالها تربط ببراغى وفي وقــت وجيز .

وزن الـــدانة : سبعة ارطال .

نــوع النيران : شظايــا .

المـــــدى : كيلو متران .

كمية الذخيرة التى احضرت : ثلاثمائة دانه .

البنــادق : مارتينى هنرى التى بدأ استعمالها في الجيش الانجليزى منذ عام ١٨٦٩. وهى البنادق التى استعملت في الحروب التى انتهت باحتلال مصر .

وزن البندقية : تسعة ارطال .

الطول : متر وربع .

المدى المؤثر : اربعمائة متر .

نوع الضرب : تحمل البندقية طلقة واحدة ، بعد اطلاقها يخرج الظرف المستعمل وتوضع الطلقة الجديدة .
عيار الطلقة : ٤٥و (خمسة واربعون من المائة من البوصة).
وزن الطلقة : ٧٥٨ قمحة .

سيوف السنج

سيوف انجليزية طولها ١٨ بوصة .

سيوف الضباط

سيوف انجليزية طولها مع مقبضها الدائرى حوالى المتر .

المسدسات

حمل الضباط مسدسات انجليزية بما سورتين .

ملحوظة: رتب الجيش الانجليزى فى بعض الاحيان تنطق بشكل يختلف عن طريقة كتابتهـــا . Lieutenant (ليوتنانت – مــلازم) تنطــق (لفتنانت) بالنسبة للقوات الارضية ، و(لتنانت) للاسطول .
عند التركيب : Lt. Colonel – عقيد – و Lt. General – فريق – ينطبق عليها النطق سابق الذكر .
رتبة (كولونيل Colonel) تنطق (كيرنل).
وظيفة (بريقدير جـــنرال – عميد –) الغيت فى الجيش البريطـــانى عام ١٩٢١ .

لاهمية طابور الصحراء فاني اورد اسماء جميع قادته وضباطه .

لواء الهجانة الثقيل

القائــد : الشريف ليوتنانت كولونيل ر . تالبوت – من لواء لايف قاردز .
نائب القائد : كابتن لورد سنت فنسنت – من لواء الرماحة ١٦ .
الجراح : ج . ج . فالفى – من السلاح الطبي .
امدادات : ليوتنانت لى – من لواء اللايف قاردز .
يتكون اللــواء من عشر فصائل سحبت من عشرة الوية هي :

١ – لــواء اللايف قاردز الأول .
٢ – لــواء اللايف قاردز الثاني .
٣ – رويال هورس قاردز – الازرق .
٤ – الدراقون الثاني – بيز .
٥ – الدراقون الرابع .
٦ – الدراقون الخامس .
٧ – الرويالز الأول .
٨ – اسكوتس قريز الثاني .
٩ – الرماحة الخامس .
١٠ – الرماحة ١٦ .

قادة الفصائل

١ – الشريف ميجور س . باينق .

٢ — كابتن لـــورد كوكرين .

٣ — ميجور لورد أ . سمرست .

٤ — كابتن ا . ل . قولـــد .

٥ — كابتن ج . دبليو . دارلى .

٦ — ميجور دبل يو . هـــ . اثرتون .

٧ — ميجور دبل يو . قوف .

٨ — كابتن دبل يو . هـــ . هيبسلى .

٩ — ميجور ل . قارميشل .

١٠ — ميجور ل . ديفسون .

الملازمون بالفصائل : (رتب ليوتنانت) .

١ — لـــورد رودنى .

٢ — ر . ج . بيتش .

٣ — لـــورد بننق .

٤ — ر . ف . هى برت .

٥ — س . دبل يو . لو .

٦ — سنت جيمز قوريل .

٧ — ر . بيرت مردوخ .

٨ — ر . وولف .

٩ — هـ . كرستيللو .

١٠ — دبل يو . ب . براون .

عدد ضباط الصف :

باللـــواء خمسون من صف الضباط ، بمعدل خمسة لكل فصيلة .

* باللـــواء أيضا نافخ بوق لكل فصيلة .
* فى كل فصيلة ثمانية وثلاثون جنديا .

لـــواء الهجانه الخفيف

القـــائد : كولـــونيل استانلى كلارك ، ضم الى الجيش ولم يكن به مؤخـــرا
نائـــب القائد : كابتن هـ. باجت ، من لواء السوارى السابع .
الجراح : كونالى ، من الســـلاح الطبى .

اللـــواء يتكون من تسع فصائل سحبت من تسعة ألوية هى :

١ — الســـوارى الثالث .
٢ — ،، الرابع .
٣ — ،، السابع .
٤ — ،، العاشر .
٥ — ،، الحادى عشر .
٦ — ،، الخامس عشر .
٧ — ،، الثامن عشر .
٨ — ،، العشرين .
٩ — ،، الحادى والعشرين .

قادة الفصائل :

١ — ميجور س . ى . بيكت .
٢ — كابتن س . دبل يو . بيترز .
٣ — ليوتنانت كولونيل ه . ماك كالمونـــت .
٤ — ،، ،، ب . برابازون .
٥ — ميجور س . ى . سوينا .
٦ — ميجور س . و . فولـــد .
٧ — كابتن ى . ر . كورتنى .
٨ — ميجور دبل يو . ج . س . وايندهام .
٩ — كابتن ا . ج . هولنـــد .

الملازمون (ليوتنانتز) باللواء :

١ — ج . اس . سكوت .
٢ — ر . كن كيد .
٣ — الشريف ر . لولى .
٤ — ج . بريان .
٥ — دبل يو . هاريسون .
٦ — ى . ج . نوكس .
٧ — ر . م . ريتشاردسون .
٨ — ج . فاول .
٩ — ب . ك . كوك .

صف الضباط : خمسة واربعون . خمسة لكل فصيلة .

* عدد نافخى البوق تسعة . واحد لكل فصيلة.

لواء حراس الهجانة (قاردز)

القائد : الشريف ليوتنانت كولونيل ى . ى . بوسكاون، من لواء الكولد ستريم قاردز .

نائب القائد : س . كرتشلى ، من لواء السكوتز قاردز .

امــداد : كابتن ى . م . كراب .

الجراح : ج . ماجيل ، من لواء الكولد ستريم قاردز .

كبير ضباط اشارة : ليوتنانت كولونيل هـ . بونهام ، من لواء القرادنير قاردز .

اللواء يتكون من تسع فصائل اخذت من ستة الوية هى :

١ — القرادنير قاردز — اخذت منه ثلاث فصائل .

٢ كولد ستريم الاول .

٣ — ،، ،، الثاني .

٤ — الاسكوتز الأول .

٥ — ،، الثاني .

٦ — البحرية الملكية اخذوا منها فصيلتين .

قادة الفصائل :

١ — ليوتانت كولونيل س . ر . رولى .

٢ — ،،، ،،، ى . س — هيربرت .

٣ — كابتن ى . م . . كراب .

٤ — ليوتنانت ف . ج . دوسن .

٥ — ليوتنانت كولونيل ف . قريفز سول .

٦ — ،، ،، سير دبل يو . قوردن كمينقز .

٧ — ليوتنانت كونيل م . ويلسون .

٨ ـ ليوتنانت كولونيل دبل يو . هـ . بو .

٩ ـ كابتن ا . اس . بيرسون .

الملازمون (ليوتنانتز) بالفصائل :

١ ـ كونت ا . ى . قلايشن .

٢ ـ ل . د . اقفى لار .

٣ ـ ر . وول ريق ـ قوردون .

٤ ـ الشريف ـ هـ ـ امهيرست .

٥ ـ د . دوســون .

٦ ـ ب . بادن ـ باول : ولكنه ابــدل يوم ١٣/١٠ / ١٨٨٥م في جقدول بليو تنانت ف . روميلي وهو من لواء الاسكوتز قاردز .

٧ ـ ا . درو مونــد .

٨ ـ س . ف . تاونسند .

٩ ـ هـ . ن . وايــت .

صف الضباط : اربعة واربعون .

• نفخة بــوق : تسعة .

لواء مشاه الهجانة

القائد : الشريف ميجور قوف . من لواء السوارى ١٧ .

نائب القائد : كابتن ج . ن . سى ويل . من لواء نور فولك ٩ .

الامدادات : ليوتنانت ر . ا . قرانت . من لواء القوردون هاى لاندرز .

ضباط عظام : ميجور س . ت . بارو . من لواء الاسكوتز رايفلز .

كابتن ت . هـ . فيبس . من لواء السوارى ١٧ .

تشكيل اللواء : يتكون اللواء من اربع سرايا ، «ا» و «ب» و «س» و «د» .

وتفاصيلها كالاتى .

السـريه (١)

سحبت هذه السرية من ثمانية الوية وهى :

١ — القائد اخذ من لواء القوردون هاى لاندرز .
٢ — لواء ساوث استافورد شير ٣٨ .
٣ — لواء ساوث استافورد شير ٨٠ .
٤ — لواء بلاك وتش ٤٢ .
٥ — لواء بلاك وتش ٧٣ .
٦ — لواء القوردون هاى لاندرز ٧٣ .
٧ — لواء القوردون هاى لاندرز ٩٢ .
٨ — سلاح الكنقر رويال رايفل ، سحبوا منه سريتين.

قائد السرية : كابتن س . ه .بين .
الملازمون (ليوتنانتز) بالسرية :
١ — س و . هورس .
٢ — س . ب .ليفنق ستون .
٣ — ه .ك .استيوارت .
٤ — ب . س. مارلنق .
٥ — ر .ل .باور .

صف ضباط السرية :عشرون .

السرية (ب)

هذه السرية اخذت من ثمانية الوية هى :

١ — القائد اخذ من لواء مشاة سمرست الخفيف .
٢ — لواء وست كنت ٥٠ .
٣ — لواء وست كنت ٩٧ .
٤ — لواء سسكس ٣٥ .
٥ — لواء سسكس ١٠٧ .
٦ — لواء اسكس ٤٤ .
٧ — لواء اسكس ٥٦ .
٨ — مشاة ديوك كورنوول الخفيفة ٤٦ .

قائد السرية : كابتن ه .ا . والش .

ضباط السرية :

١ — كابتن ا . ت . مورس .
٢ — ليوتنانت ف . ج .تود ثور نتون .
٣ — ليوتنانت ر .ج . تدوى .
٤ — ليوتنانت س .ج . .مارتير

صف الضباط : عشرون .

السرية (س)

القائد : سحب من سلاح الكنقز رويال رايفل .

هذه السرية اخذت من :

١ — فصيلتان اخذتا من سلاح الكنقز رويال رايفل ٦٠ .
٢ — فصيلتان اخذتا من لواء الرايفل .

القائد : كابتن ر . اس . فذر ستون .

الضباط

١ – ليوتنانت ا . ى . مايلز .
٢ – ،، دبل يو . ب . كامبل .
٣ – الشريف ليوتنانت ه . س . هاردنق .
٤ – ليوتنانت دبل يو . م . شرستون .

صف الضباط : عشرون .

السرية (د)

القائد : س . ب . بيجوت ، اخذ من لواء السوارى ٢٠ .

هذه السرية اخذت من سبعة الوية ، باضافة لواء القائد ، وهى :

١ – لـــواء مشاه سمرست الخفيف ١٣ .
٢ – ،، وست كنت ٥٠ .
٣ – لواء وست كنت ٩٧ .
٤ – ،، كانوت رينجرز ٨٨ .
٥ – ،، ،، ،، ٩٤ .
٦ – ،، رويال سكوتز فيوزيليرز .

الضباط وكلهم ملازمون (ليوتنانتز) ، وهم :

١ – ت . سنو
٢ – س . ج . كاردن

٣ ــ ى . ا . الدرسون .
٤ ــ هـ . اس . ستانول .
صف الضباط : عشرون .

القوات المصرية

١ ــ طواقم مدفعية تضم ١٨ رجلا بقيادة سيد افندى ماجد (١)
٢ ــ مشاه عددهم اربعون بقيادة الملازم ثاني مرضى افندى فهمى ، والملازم ثاني إبراهيم افندى صادق .

قوات مخابرات :

العدد مائة من الانجليز والسوريين واللبنانيين بقيادة سير تشارلز ويلسون . هذا الجهاز يضم ايضاً الثالوث المتخصص في الحرب البيلوجية وهم ، ميجور دكسون ، كابتن كاسكوان ، وليوتنانت استيوارت ــ وورتلى . نعوم شقير الذى كان تابعاً لهذا الجهاز ، بقى بجقدول ومعه شيخ من دنقلا للكتابة الى شيوخ القبائل لتحريضهم ضد الثورة واغرائهم بالانضمام الى الجيش الغازى .

خدم انجليز مسلحون وقادة جمال :

عدد الخدم الانجليز المدربين والمسلحين كان مائتين وعشرين جندياً (٢) ، انهم اتوا مع سادتهم اللوردات والاشراف.

قادة الجمال الذين اتوا من عدن والصومال عددهم مائة وعشرون (٣) .

ــ ٢ شقير ٨,٧,٦,٨٨٥ ــ ٨٤٢ ٣ ــ قلا يشن ١٠٤ .

مجموعة لواء سسكس

هذه المجموعة مختارة من هذا اللواء (سسكس) لا عمال طوابير الاستعراض . تم اختيارهم للاستعراض في شوارع الخرطوم . عددهم كان سرية تتكون من مائة جندى ، ولكن بسبب حرب ابي طليح فان العدد الذى قام بالرحلة نحو الخرطوم كان عشرين جندياً فقط .

هذه السرية تختلف عن الفصيلة التي اخذت من نفس اللواء بقيادة ليوتنانت تود ـ ثورنتون والتي اضيفت الى السرية (ب) بلواء المشاه الراكبة (مشاه الهجانة) .

السوارى

سرية ونصف ، عدد افرادها مائة وخمسون فارساً ، قاموا بكل عمليات الاستطلاع أمام طابور الصحراء .

الاسطول

شارك الاسطول بخمسين جندياً وضابطاً ، بقيادة لورد بيرسفورد واربعة ضباط هم : ليوتنانت بيجوت ، ليوتنانت لايل ، ليوتنانت مونرو ، وليوتنانت رودس . الجنود فنيون متخصصون في اعمال السفن البحرية ومدافع القاردنر .

المدفعية

اشتركت المدفعية الملكية البريطانية بنصف بطارية مدفعية ، عدد افرادها ثلاثون جندياً وضابطاً ، وقد شاركهم الطبجية المصريون في ضرب المدافع الثلاثة عيار سبعة ارطال .

الصحفيون والكتاب

عددهم عشرة هم: سنت ليقر هيربرت، كاميرون، ميلتون بريور ، بيرمس ، فيليرز ، انقرام ، بيرلية ، ماكدونالد ، مارلنق ، وكونت قلايشن .

مجموع طابور الصحراء

١ — لواء الهجانة الثقيل	٤٦٤	ضابطاً	وجندياً
٢ — لواء الهجانة الخفيف	٤٦٢	‹‹	‹‹
٣ — لواء حراس الهجانة	٣٩١	‹‹	‹‹
٤ — لواء مشاة الهجانة الراكبة	٥٠٩	‹‹	‹‹
٥ — سرية رويال مسكس	١٠٠	‹‹	‹‹
٦ — مصريون	٠٦١	‹‹	‹‹
٧ — خدم وقادة جمال	٣٤٠	‹‹	‹‹
٨ — استخبارات	١٠٠	‹‹	‹‹
٩ — قوات اسطول	٠٥٠	‹‹	‹‹
١٠ — سوارى	١٥٠	‹‹	‹‹
١١ — مدفعية ملكية	٠٣٠	‹‹	‹‹
١٢ — مستشفى	٢٠٠	‹‹	‹‹
١٣ — صحفيون	٠١٠	‹‹	‹‹
١٤ — قيادة	٠٤٠	‹‹	—
المجموع	٢٩٠٧	‹‹	‹‹

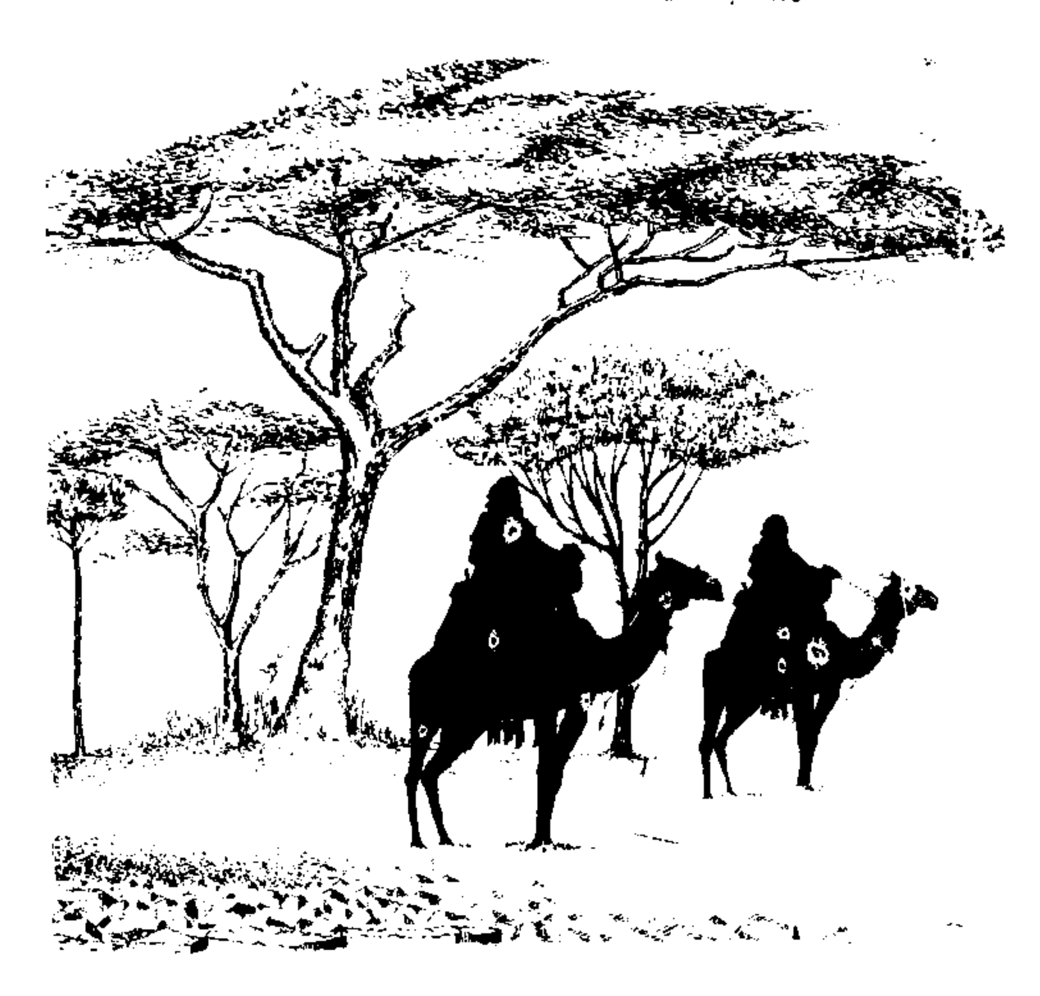
جمال ذهبت مع الطابور وهى مشتراه

بواسطة الجيش الانجليزى للطابور	٣٨٨٨	جملا (١)
جمال مؤجرة للجيش وذهبت حتى جقدول	٨٠٠٠	،، (٢)
جياد مصرية قصيرة	١٥٣	جوادا

ومعهم كلبهم (جاكى) الذى قطع المسافة من كورتى الى القبة ذهاباً واياباً على ساقيه رافضاً الركوب مع اى جندى ! .

١ — شقير ص ٨٤٢ .

٢ — أوراق وزارة الحربية البريطانية .



نبذة قصيرة عن كبار الضباط الذين قادوا طابـــور الصحـــراء .

سير هيربرت استيوارت

اختاره وولسلي واعتبره من افضل ضباطه ويصلح لكل المهمات . انه ضابـــط فرسان ، تعلم سريعاً كيف يستعمل قوات الهجانة التي قادها لاول مرة عبر صحـــراء بيوضة

انه طويل القامة وسيم انيق يتمكن جنوده من رؤيته وهو داخل اي مجموعة . خلال رحلته كان يركب ناقة بيضاء ، ويلبس قبعة قوات قاردز ، عليها شرائط من الحرير البرتقالي .

انه رجل هادئ لا تزعجه الخطوب ، عرف كيف يبعـــد ذهنه من التفكير في الكوارث بأن يرجع الى رسم خطوط الكهرباء للمنازل التي اشتراها في لندن ويريـــد اعـــادة ترميمها وبيعها مرة أخرى . وهو الذى اقنع زوجة وولسلي للدخول في هذا النوع من التجارة باسمها بدلا من اسم زوجها . وعندما اتي الى صحراء بيوضـــة في يناير من عام ١٨٨٥ ، كانت المنازل التي اشتراها ويفكر في اصلاحها ، بشارع سلون استريت في (نايتز بردج) بلندن .

ان سير هيربرت اشترك تقريباً في كل الحروب التي اشترك فيها ابناء جيلة ، وقد كان دائماً مكان احترام من قادته . عند وصوله لكورتي كان في رتبة بريقدير جنرال (عميد) ، وقد رقي الى رتبة لواء وهو جريح بابي خروق .

ان استيوارت يتميز بشجاعة خارقة وصبر كبير . فقد مر خلال رحلته عبر صحراء بيوضة باهوال لا تحصى ولا تعد ، ولكنه واجهها بصبر منقطع النظير .

عندما اصيب بطلقة قاتلة في السودان ، كان بعد اصابته اكثر الضباط صفاء ذهن فقدم لخليفه كل نصح وتوجيه من سرير مرضه .

اما اخر خطاب كتبه يودع فيه قائده وولسلي – قبل ساعة من موته – فقد كان مليئاً بكلمات مؤثرة ، فهو يعتذر في انه لم يتمكن من ان يكمل ما اوكل اليه ، ويتمنى ان تسير الامور كما رسمها القائد .

ثم يرسل تحيات وداعه الى زوجة قائده ، ويحمله اليها رسالة يذكر فيها بـــان (المنازل ستكون ناجحة في النهاية) – تلك المنازل التي اشتراها لها لكي تقوم بتحسينها وبيعها .

التقى وولسلي باستيوارت في حرب الزولو في عام ١٨٧٩ ، وكان حينها يريـــد الاخير الاستقالة من الجيش لقلة الترقيات. اعجب به وولسلي وضمه الى شلته وعينـــه سكرتيراً عسكرياً له . جعل يغدق الترقيات عليه ، ويأخذه حيثما ذهب . اخذه معه الى مصر لأحتلالها ، وفي حرب السودان كان اول المرشحين .

فردريك جوستاف بيرنبي – نائب قائد طابور الصحراء

انه رجل ضخم الجثة ، ابن رجل كنيسة ثرى في « بيدفورد » ، اعزب ثائـــر ، انتهازى ، مغامر ، مثقف ، كاتب ويحب القتل تجزئة وجملة .

عندما كان في مدرسة « هارو » ، اثار زوبعة اكسبته كراهية بقية حياته . انتقـــد في مقال حينها مسألة الرئاسة بالاقدمية في المدارس العامــة . فقد كان الطالب الذى في فصل متقدم يرأس الطالب الذى في فصل اقل منه . نقده لمح الى استغلال بعض الطلبة لهذا الحق في تسلط لا اخلاقى على الزملاء الصغار . نشرت المقال صحيفة الفضائح (بنـــش) .

عندما كان في لـــواء الهورس قـــاردز بلوز ، لم يوقف نقده لكل الطبقـــــات الاستقراطية والشعبية ، وقد الف النكات المقذعة في امير ويلز واصحابه المتسيبين. ديوك كيمبردج – القائد العام – وصفه بانه شخص سيئ .

ذهب الى غردون في خط الاستواء بالسودان وبقى معه مدة ، وعلى ما يبدو فقد نشأت بينهما صداقة قوية . اذ حارب من اجل غردون كمرتزق في معركة التيـــب وكان خلالها يستعمل بندقية بماسورتين اكثارا لقتل الشعب السوداني ، الذى منعه من التقدم داخل اراضيه .

قيل انه يجيد سبع لغات ، بينها العربية والروسية والتركية .
ان اهم عمل ثقافي قام به ، هو كتـــابة (الركوب الى كيفا) ، وهـــو كتاب يحكى فيه مغامراته التى اخذته الى كيفا ، وهى احدى مدن اسيا الوسطى .

ان بيرنبي مقاتل قوى الشكيمة ، مجازف من الدرجة الأولى ، وقد قامت دعايـــة في بريطانيا ، بعد حرب التيب ، بأنه تمكن من قتل عدد كبير من الثوار السودانيين. انه أول من اقترح على وولسلى استعمال البالون في حروب السودان ، ولكن وولســـلى لم يستعمل بالونا وانما استعمله قراهام في شرق السودان .

عندما ساد التردد انقاذ غردون ، اقترح على اصحابه والحكومة ان يقود متبرعين

من المشاه والفرسان والرياضيين ، ويذهبوا إلى بربر بالجمال من سواكن ، ومن هناك إلى الخرطوم لارجاع غردون عنوة . وقد قال قولته المشهورة في مدينة بيرمنقهام « هل ستعيش حكومة قلادستون ام يموت غردون » . عندما سمع ديوك كيمبردج بمشروعه قال « انه رجل لا خير فيه » .

في احدى الخطب الدعائية لحزب المحافظين الذى ينتمي اليه قال : ان قلادستون رئيس حزب الاحرار – هو الذى اشعل الحرب في السودان ضد المقاتلين من اجل حريتهم . وقال ان الارامل واليتامى يلعنون قلادستون . انه يتحدث هنا عن نفس الحروب التي ادعى انه قتل فيها الكثير من العرب السودانيين .

عندما اراد بيرنبى الاشتراك فى حملة النيل ،رفض القائد العام ، ولكنه اخذاجازة على انه ذاهب الى جنوب افريقيا ،وانضم الى وولسلى فى الطريق .

لصفاته تلك عينه وولسلى نائبا لقائد الطابور وقمندانا على المتمة قبل وصول الجيش اليها ... فالمطلوب هو طرد او قتل سكان المتمة واخلاؤها من الرجال والنساء والاطفال واستعمالها كقاعدة للجيش البريطاني .

عند ما وصل بيرنبى الى ابى طليح كان فى الثانيه والاربعين من عمره ، والرجل الثاني في طابور الصحراء .

كولونيل سير تشارلز وليام ويلسون

ابن لعائلة كويكرز ،ولد بمدينة ليفربون فى عام ١٨٣٦ .

(الكويكرز الذين ينتمي اليهم في اصوله ، هم مجموعة دينية اسميت بهذا الاسم الذى لو ترجم يعنى – المرتجفين من البرد – ، قد اسموا انفسهم كذلك على اساس انهم يرتجفون من سيف الله) .

العائلة التي ينتمي اليها سير تشارلز ، عائلة من الطبقة المتوسطه ، جيدة التعليم و لها مصالح في فيرجينيا .

عند ما تخرج من الكليه الحربيه مهندساً عمل فى الاداره وفي مسح الاراضي والاستخبارات.
كان جيدا فى عمله ،ولكن بدون انتصارات حربيه عالية الصيت .
ان ويلسون رجل تحليلي التفكير ، بناء ،حْريص، يمتلك نقاء فكر وحدة منطق .

بالا ضافة الى عمله ، كان محبا لعلم الجغرافيا والاثار .وقد قام بحفريات فـي تركيا وفلسطين . فى عمله و مرايته كان يقضي كل وقته . لذلك لم يكن شخصيـة مجتمع وكان عن ذلك زاهدا .

عند ما عينه ولسلي كقائد لسلاح استخباراته برتبة «كولنيل موقت» كتب اليه بمصر بأنه افضل شخصية يراها لكي تقوم بادارة استخباراته .كــان ويلسون حينها في التاسعة والاربعين مــن عمره .

سار ويلسون مع طابور الصحراء فقتل بيرنبي نائب قائــد الجيش ،وجرح استيوارت قائد الجيش فى الشبكات جرحا مميتا ، ووجد نفسه فجأة اعلى رتبة في ذلك الجيش المحطم ، ويحيط به قائد خطيرهو الأمير النور عنقره .

ان ويلسون جابه ظروفا خطيره برجولة وثبات وقوة عزيمه .فبعد وصوله الى ابى خروق بيوم واحد، واجه مشكلة جيشه المنهار المعنويات ، المهزوم ، البالى الثياب ، الملىء بالقمل، النتن الرائحه كبغل ميت ، قد زاد الطين بلة بسرقة جنوده للخمور من معسكر الشبكات واكل جزء من لحم الكورنديف المعلب والملوث بالتايفويد . ان المرض سينتشر فى جيشه . واجه ويلسون الموقف برجوله منقطعة النظير ، وبفكــر مركز ثر المعلومات الطبية التى كانت قليلة حينها ، واستطاع بذلك انقاد بقية جيشه .

عندما فشل في أخذ المتمة من الثوار بقيادة الامير السوداني النور عنقره ، ذهب في مهمته التى من أجلها احضر مع هذا الطابور . ذهب بالباخرتين — البردين وتل حوين — في رحلة الفشل إلى الخرطوم . كان على بريطانيا ان تجد كبش فداء لهزيمتها الساحقة الماحقة التى منيت بها في السودان . وبالطبع لن يكون الجيش هو هذا الكبش ، ولا وولسلى الذى تحتاج اليه الامبراطورية المحاطة باعداء في كل مكان . كان الكبش هو سير تشارلز وليام ويلسون ، فمعارفه قليلون وعائلته ليست من القوة لتدافع عنه ، وعمله السابق في المسح والهندسة والاستخبارات ، لم يقرع اجراسا يسمعها الناس عن امكانياته العسكرية والفكرية .

قال الجيش والصحافه ان تأخيره فى ابى خروق ، قبل بدء رحلته الى الخرطوم (بين ٢١— ٢٤ يناير) هو السبب فى الكارثه التى حاقت بهم وادت الى مقتل غردون وضياع السودان . وعندما اشتد الهجوم عليه ، هددبأنه سوف ينشر ما حدث كاملا !

هرعت الملكة ووزير الحربية وقائد حملة النيل —وولسلى— لاسكاته بالاغراء وتذكيره بخطورة ذلك على سمعة جيشه وبلاده ، ووعدوه جميعاً بعدم الهجوم عليه وتفكيك الصورة التي رسمت له. وعندما اتوا الى شكر من اشتركوا في حملة النيل يوم ١٢ اغسطس ١٨٨٥ ، بمجلس العموم البريطاني ، وقف لورد سالسبرى رئيس الوزراء حينها ، متمسكاً بالوعد الذى قطعته الحكومة الفائتة لويلسون . شكر سالسبرى كل من اشترك في الحملة ، وعندما بدأت الاسئلة تنهال عن دور سير تشارلز ويلسون كانت الردود جانبية . تحدثوا عن كفاءة ويلسون بانه كان يطلع وولسلى بكل دقائق ما يريد السودانيون فعله . ان تلك الكلمات اسكتت ويلسون عن كشف الهزائم والحرب البيلوجية ، ولكن الغبار الذى كيل على شخصية ويلسون لم يستطع التاريخ نفضه .

ليوتنانت كولونيل استانلى كلارك

ان امير ويلز - ابن الملكة فكتوريا الذى اصبح فيما بعد الملك ادوارد السابع - كان يريد القدوم مع حملة النيل ، ولكن امه رفضت ، ولم يستطع ديوك كيمبرج - قائد الجيش - ارساله رغم معارضة الملكة لذلك. استبدل القائد العام اسم امير ويلـــز باسمين ، هما لورد بيرسفورد ، وليوتنانت كولونيل استانلى كلارك .

اعطى استانلى كلارك قيادة لواء الهجانة الخفيف ، الذى توجه مع طابور الصحراء من كـــورتى . وقـــد حـــذف اسم القـــائد الذى كان من المفروض ان يقوده وهـــو « ماك كالمونت » من لواء السوارى السابع ، تحت اصرار القائد العام .

اتهم استانلى ابان رحلـــة الصحراء بانـــه لم يهتـــم بالجمال كثيرا . ان الذى حـــدث هو ان استانلى كلارك ، كان كغيره من البريطانيين ، يعتقد بان الحملة ستكون نزهة طيبة . ولكن بعد الاصابات الضخمة التى منى بها لواؤه ، اصبح كثير الشكوك فـــى حروب السودان . في فبراير عام ١٨٨٥ - والحملة لا زالت في السودان - جمـــــع حقائبـــه وهـــرب الى بلاده ، وقال ان الحـــرب في السودان اكثر مما يحتمل (١) .

وولسلى طلب من زوجته ان تصرح دون ذكر اسماء ، بأن اى ضابط رجع من الحملة لاى سبب غير مهم جدا ، لن يسمح له بالانضمام الى الجيش مرة اخرى ، او يعمل في الميدان في اى عمل عسكرى يقوده وولسلى . عندما جاء وقت تكريم الـــذين اشتركوا في الحملة ، وقف وولسلى ضد اعطائه وساما. امير ويلز عندما فشل في ادخاله في قائمة الذين سينالون اوسمة قال : انه من الممكن ان نجد له وساماً تركيا بموافقـــة السلطان . وعلى كل فان تأييد الامير له ، قاد في النهاية الى جعله ميجور جنرال فخرى ونال وسام زميل القديسين ميشل وجورج عام ١٨٩٧م .

---

١ - بيتر جونسون ص ٩٧ .

لورد تشارلز بيرسفورد

هو الشخصية التى اوكل لها ان تقود الاسطول النهرى ، المكون من باخرتين عبر ارض الثوار الى العاصمة المحاصرة. لم يكن الاختيار بدون خلفية للرجل . ان هذا اللورد ، الذى يبلغ التاسعة والثلاثين وقتها ، النبيل الاصل ، ضابط البحرية الشهير الايرلندى ، الواسع الصداقات ، المشاكس مع رؤسائه ، المغامر بشكل قل ان يوجد له مثيل في التاريخ البشرى ، كان يشبه ابناء عائلة كندى اليوم بامريكا من حيث الثراء والجاه وحب الناس له ولمغامراته وتلقف اخباره ، ولكن مجازفاته ليس لها مثيل.

ان الملكة فكتوريا التى كانت معجبة به ، وصفته بانه « عابث ممتاز » . احد اصدقائه – امير ويلز – كان يذهب معه لصيد الافيال في الهند .

وكان يشارك في جميع اصناف سباقات الخيل ببلاده وغير بلاده. عندما قدم الى السودان ، كان حتى ذلك الوقت ، قد كسر عظم منتصف صدره مرة ، وحوضه مره وساقه اليمنى مره. ويده اليمنى مرة ، وقلمه مرة ، اما ضلوعه فقد كسر منها خمسة ، وعظم ترقوته ثلاث مرات ، حطم انفه ثلاث مرات ، وقلوب عذارى لا حصر لهن.

زوجته التى حسدتها جميع نساء بريطانيا ، لن تقل عن سليلة الحسب والنسب « جيروميما » ، الكنتيسة ذات الاصل الالماني ، ابنة نائب برلماني ، وورثت من فينوس مدينة « ميلو » كل الصفات التى تملكها الاحجر الرخام الذى صنع منه تمثالها. امتلكت بعض صفات زوجها في المغامرة واستقبال ضيوفها الكثيرين من المغامرين والصحفيين والامراء والنبلاء والاشراف وجوكية الخيل .

في منزلها في « ايتون سكوير » بلندن ، لها غرفة طعام فيها طاولة عشاء ضخمة .. وماذا تعنى ضخمة ؟ .. الاجابة : انها تحوى في وسطها وعاءاً به مياه جارية وتنمو في الاناء اعشاب مائية واسماك ذهبية وبط صغير . في وسطة نوافير مياه دافقة.

عندما يجلس ضيوف العشاء عـلى تلك الطاولة ، فان ذلك الوعاء (أو القوله بلغة أهل غرب السودان) يبدأ في الدوران بحلزونات . في الحفل الشهير الذى اقامه هذا اللورد لضيوفه . جاء الضيوف للانتشاء من طيبات خمر ذاك القصر الذى يعتق الخمـر في غرفة ارضية به .

بعد ان استقبلت جيروميما ضيوفها عند الردهه ، ادخلتهم الى غرفة البار — على جانب غرفة الطعام الشهيرة — و هنا اسرع زوجها سائلا اياها ... اى شراب عزيزتي ؟ ردت عليه بصوتها الغنج ... دراى شرى دارلنق .

تناولت الكأس من منتصفه الاسفل بأصبعين من يدها اليمنى ، ثم اصلحـت من انسيال تنورتها الحريرية الوردية ، ورشفت قليلا من كأسها وشدت بصدرها الى اعلى مع نفس طويل بينما يدها اليسرى تعبث بزنار وسطها . دارت بساق واحدة ، الحقتها بالساق الثانية . تناولت مربع جبنة « اولد خودا » بداخل اصبعين من يدها اليسرى ، فاظافرها الطويلة لا تسمح باستعمال مقدمة الاصبعين ، واستمرت متحدثة عن سبـاق الخيل .

في تلك اللحظات كان زوجها قد شعر بتحد من احد المتشككين فيما يمكـن ان يفعله ، فرد عليه ... دقيقة عزيزى ... دون انفعال ... وخرج .عند ما عاد كـان راكبا جوادا ... ارتقى سلم الطابق الارضى ،ودخل الردهة . ثم دخل الى غرفـة الطعام الشهيره حيث ذهل كل واقف ممسك بكأس. النساء قلن في صوت واحد: او ..تشارلز ... ولكنه لم يهتم وانما دار بحصانه العـربى الشرس حول المـائدة دون حادثه مهمه ، فالحادثه الوحيده التي حدثت هي ان الحصان ضرب بظلفه جانب المدفأه . ثم خرج بالحصان على تصفيق الرجال .. والقبلات التي تمنت كل من وقفت ان تطبعهـا على شفتيه ،اعترافا بجسارته . قبل ان يخرج تماما ،التفت بتواضع وقال : انه لن يستطيع ان يجارى عمه الذى استطاع ان يقفز بحصان صيد فوق تلك المائده. ولكن اللورد العابث عند ما ركب عربة سباق خفيفه (بقي) في اليوم التالى ، اثار شيء الحصان الاصيل فركل العربه فحطمها وكسر ساق المشرف عليها .

ان هذا اللورد ، حتى عندما اتي مع جيش وولسلى لم يتوقف عن مغامراته . في جنوب وادى حلفا اشترى ثلاثة جمال اسماها على التوالى « بمباشى وبالى هولى وبيلز بوب » ودخل في سباقات مع شيوخ المناطق وقادة الجمال مقابل جوائز .

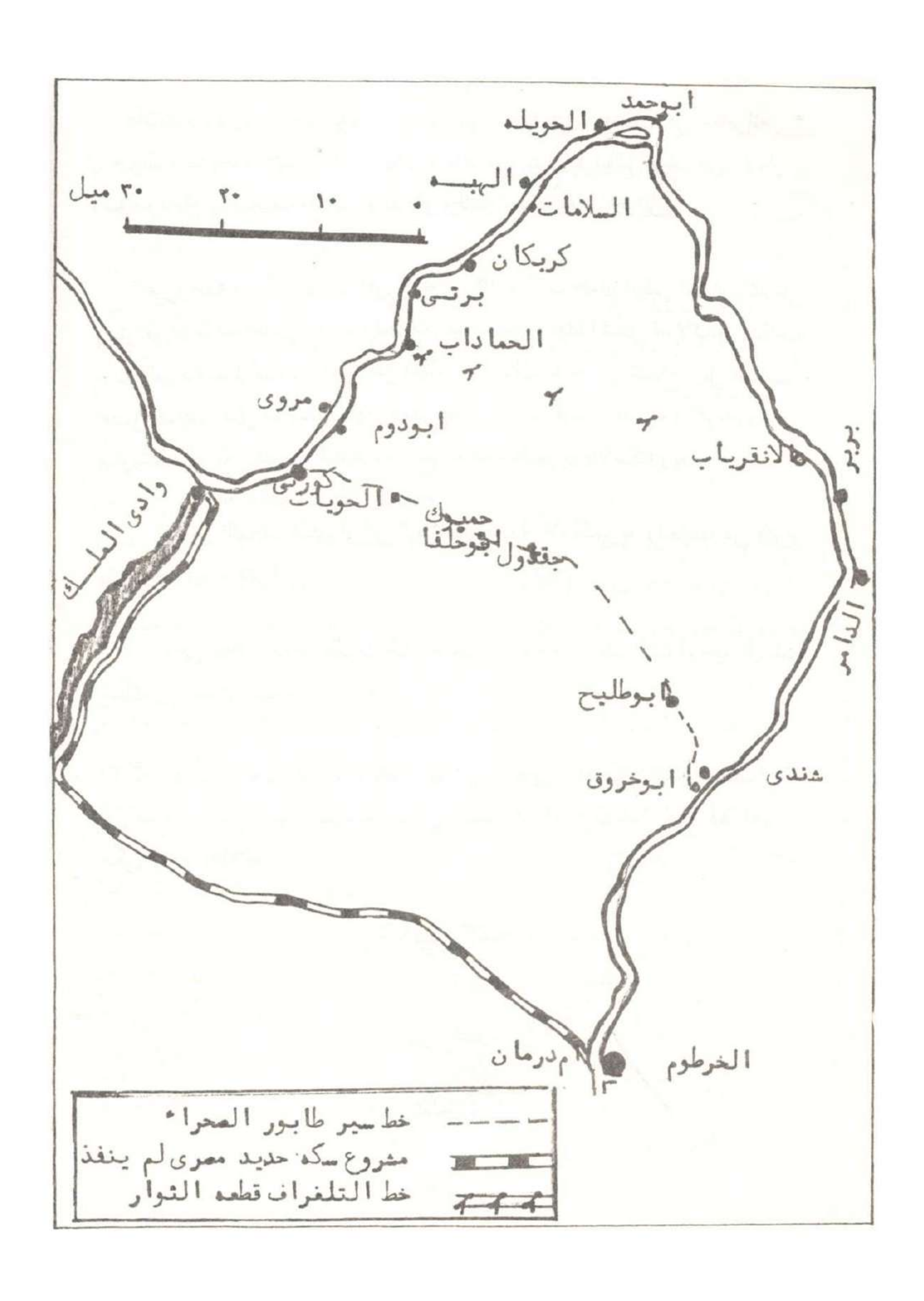
فى رحلته من كورتى الى ابى طليح ، كان يركب حمارا ابيض اسماه «كاونتى ووتر فورد» ولكنه اختفى منه اثناء المعركه. هذه الصوره بهذا الشكل قد لاتبدو متكامله عن لورد تشارلزالعابث . فغنى عن القول بعد ذلك انه جسور شجاع ،بل هو افضل ضابط عمل بالاسطول ابان عهده. فهو الذى قاد المدمره (كوندور) فى مناورتها الحربية المشهوره لقصف مواقع المدفعيه المصريه بالاسكندريه .

ثم هو الضابط الذى اوكل اليه تنظيم مدينة الاسكندرية وتنظيفها من الثوار بعد احتلالها مباشرة .

وفى حلفا ،عندما ظهرت مشكلة عبور الزوارق ، فقد كان الوحيد الذى يملك رابا يمكن سماعه .

انه كضابط يقود فصيلة قوات الاسطول الملكى البريطانى ، فقد كان مسئولا بالضرورة عن مدفع القاردنر الذى حضر معركة ابى طليح .انه لم يترك هذا المدفع قط لغيره لكى يقوم باطلاقه .





ابوحمد
الحويله
الهبه
السلامات
كريكان
برتى
الحماداب
مروى
ابودوم
كورتى
الحويات
حمبوك
جقدول
الانقرياب
بربر
الدامر
وادى الملك
ابوطليح
ابوخروق
شندى
ام درمان
الخرطوم
٣٠ ميل
٢٠
١٠
٠
خط سير طابور الصحراء
مشروع سكة حديد مصرى لم ينفذ
خط التلغراف قطعه الثوار

طريق كورتي المتمه

صحراء بيوضه كان قد اهتم بمسحها والى مصر اسماعيل باشا عام ١٨٧٣ ، عندما فكر في رمى خط حديدى يصل بين حلفا والخرطوم ، وقد بدأوا فعلا في تشييد الخط ابتداءاً من حلفا . هذا الخط استمروا فيه ثلاثة وثلاثين ميلا حـــول الشلال الثانى ، ولكن غردون ، عندما اشتدت ازمة مصر الماليه ، نصح بالغاء الفكـــره . عملـــيات المسح للخط الحديدى عبر صحراء بيوضه ، قام بها مهندس مدنى بريطانى هو مستر فاولر .

ومع ان الخط ، حسب الخطه ، كان يسير عن طريق امبكول ــ المتمه ، الا ان جميع الصحراء قد مسحت بواسطة هذا المهندس ، ووضعها فى خرط دقيقة ، مع شرح لكميات المياه بآبارها التى فى الطريق . ان خرط المهندس تغطى كـــل الخط ببيوضه الذى طوله ١٧٦ ميلا . وتقول هذه الخرط : ان ابار ابى حلفا وجقدول بها اكبر كميه مـــاء بالطريق . ولكن فى المدة الاخيرة شهدت الابار الاولى جفافا . ولذلك اختيرت جقدول لتقدم الجيش البريطانى .



تحرك طابور الصحراء

الثلاثاء ٣٠ ديسمبر ١٨٨٤

في تمام الثالثة مساء أصدرت الاوامر الى الفوج الاول من طابور الصحراء بالتحرك . خرج هذا الفوج بقيادة سيرهيربرت استيوارت .الرياح كانت شماليه شرقيه ،والسماء صافيه تماما ودرجة الحرارة حارة بعض الشيء .
المجموعة التى خرجت كانت تتكون من القوات التاليه :-

١ . سرية سوارى من لواء السوارى ١٩ .
٢ . لواء حراس الهجانه .
٣ . لواء مشاه الهجانه الراكبه .
٤ . قافلة جمال للمحمولات تبلغ ١٣٥٧ جملا يقودها صوماليون وعدنيون .

ومعهم كلبهم (جاكى) وهو كلب صغير مهجن من فصيلتى (كينق تشارلز اسبانيل وداندى دبن مونت .) ،ولم يقبل هذا الكلب الركوب مع احد الجنود ، كما رفض التعرف على الكلاب المحليه .

امام هذه القوات والكلب تسير سرية السوارى ١٩ ،وامامهم مجموعة من الاهالى الذين قبضوا عليهم فى كورتى وهددوهم ان لم يرشدوهم على الطريق الصحيح (١) فانهم سيربطونهم على الجمال .بعد السوارى التى تقوم باستطلاع على الخيول المصرية القصيرة البريقدير جنرال سيرهيربرت استيوارت ورئاسة قيادته .

قال استيوارت قبل مغادرته كورتى (اننى لا اريد ذبحا غير ضرورى ، ولكنى أخشى اننى سوف احتاج لقتل خمسمائة تقريبا من هولاء الشياطين التعساء قبل ان استولى على المتمه (٢).) النشاط كان فى قمته ،الاخفاف تضرب الأرض فى قوة

٢ ــ كرامة انجلترا ص ١٧٧ .

وعنف . اصوات الجاويشيه المبهمة وجدت انها لا تقطع مسافات طويلة في هذا الهواء الخفيف والارجاء الواسعة ، فزادوا من الصراخ . وعندما ابتلعتهم الصحراء [illegible] مهم سكون غريب . فالاخفاف اصبحت أكثر واقعية في ملامستها لتلك الصحراء الضنينة الاعشاب والشجيرات . ساروا الليل كله ، وعندما اصبح الصباح كانوا في حالة ارهاق تامه ، فتناولوا إفطارهم وناموا .

ابار الحمبوك والحويات

بدأوا السير مرة اخرى في الثالثه مساءاً ،الى ان وصلوا الى ابار الحويات فوجدوا مياهاً قليله ، ولكن الادلاء نصحوهم بان ابار الحمبوك القادمه مياهها اكثر .عندمـــا وصلـــوا الى الاخيرة وجـــدوا المياه مليئه بالطين . عندما اخرجوا مياهاً للخيول جفت البئران .لم يتوقفـــوا حتى تتجمع الميـــاه مرة ثانيه ، وواصلوا السير .ان جبال جليف اصبحت على يسارهم . انها نفس الجبال التي اختبأ فيهـــا سلاطين عند هروبـــه من امدرمان بعد سنوات لاحقه .

القبض على طليعه ثوريه

عمليات الاستطلاع التي قام بها السواري في ذلك المساء قادتهم الى رجل يختبيء خلف الاعشاب ويراقب الطابور . امر قائد الطابور بملاحقته والقبض عليه . عندما احضروه ، كان شابا في عشرينيات عمره من اعراب الحسانيه ،مليئاً بالحياه وبالحركه وبالشباب ،يلبس سراويل دمور طويله وفوق صدره ثوب يتشح بـــه . بعد تحقيق معه ، قالوا انه على أبولوله ،وانه قاطع طريق (همباتي) ويجب قتله فورا .

قال ويلسون له عن طريق مترجمه ،انه حكم عليه بالاعدام رمـــيا بالرصاص ، وبدأ ينظر اليه لمعرفة رد فعله . لم يظهر الشاب اى وجل وقال :انها قسمتي .لاكمال تمثيلية اعدامه اخذوه الى قائد الطابور الذى قال له :انه اذا ارشدهم الى افضل الطرق

إلى المتمة اطلقوا صراحه . لم يرد عليهم بسرعة ، فتضايق قائد الطابور ، واصر علــى اجابة صريحة منه . رد على : وما رأيكم في اسيرين اخرين تأخذوهما معى ؟ إنكشفت اساريرهم في خبث ، فقد اعتقدوا انه يريد ان يقول لهم اتركوني احضر الشخصين ، ولكنه لم يقل ذلك بل اشار إلى صخرة يذهبون اليها .

انطلق السوارى الى الصخرة حيث وجدوا امرأة كالظبيه النافره .حاولت الشابه الافلات منهم جريا وقد كادت .قبضوا عليها .فقدت اثناء اندفاعها ثوبها ، فاخذوه ولم يعيدوه لها ،واحضرت الى مكان الجيش عاريه الصدر ، وعلى نصفها الاسفل ثوب شامى (فركه) عليه خطوط ذهبيه وحمراء داكنه .

بهذه الهيئه والحدقتين السوداوين فى هالتين من البياض الناصع ،والوجه الاسمر الذى ضربته الشموس ربيعا بعد ربيع ،وصدر مرضع لبنت صحراء السودان النشطه بغير وجل ،دقيقة الانف،وسيمة الشفتين ، اذا افتحت فاهاً برق كنز اللؤلؤ الخليجى به، وعلى عنقها المديد عقد «سوميت» بلونه الابيض والاسود ،ادخلها آسروها الى حيث القائد والى جواره زوجها مقيدا .كــل المعسكر هرع وراء الحسانيه يولــم ناظريه من مائدة جمالها الاخاذ .امر القائد كل الجنود بالرجوع الى اماكنهم ،مذكرا اياهم بانهم كلما اتجهوا جنوباً اتحفوا بجمال أنضر !

ارسلوا بعد ذلك لاحضار طفل الزوجين الذى لم يكمل عامه الاول .
احضروا ايضا ناقة الزوجين واناء ماء وقدحاًخشبيين واناء طبخ من الفخار وطبقا من سعف النخل .

ضم الرجل الى زوجته وطفله وناقته وطلب منه ان يكون في المقدمه .
وهكذا دخلت اول عيون للامير محمد الخير الى طابور الصحرا، .

قوات الاستطلاع الثائره

ان قوات استطلاع الجعليين كانت دائما قريبة مـــن قوات الطابور . كانوا يركبون الجمال والخيول .جابوا منطقة صحراء بيوضه، امام الطابور وعلى جانبيه وعلى مؤخرته. علامات اشاراتهم كانت بالدخان نهاراً والنار ليلا .

من داخل الطابور استطاع على ابو لوله وزوجتـــه ارسال الاشارات كلمـــا توقف الطابور لاخذ وجبات او تناول شـــاى .

عيد رأس السنه

رجع كل الجنود لمتابعة سيرهم ،وقبل منتصف الليل بقليل توقفوا لتناول وجبة وَالاحتفال بنهاية عام١٨٨٤ .

سرح الجميع بخيالهم في بريطانيا ،وبردها، وتحضيرات الاحتفال .قاعة البرت ستكون متوهجة بالاضواء حتى الصباح وتعبق بموسيقى «لندن فيـــل هارمونيك» التى ستنهى الاحتفال كما بدأته بمقطوعة « ارض الرجاء والمجد» ، والانجليز في هذه وغيرها اذا وضعت اثنين منهم فيقفص دجاج وعزفت الموسيقى بدآ في الغناء .بدأوا يفكرون في الخطيبات والزوجات والاهل والاصدقاء. بعضهم كان يتوق الى الجعة الأنجليزية والوسكى الاسكتلندى ، اما ليوتنانت آمهرست الشريف الذى انضم الى الطابور من لواء الكولد ستريم، فقد حدثهمعن حفلات نهاية العام بحديقة «البراتر» الغنيه بالشراب والتورتات الاسطورية بفينا .اليوم الاول من العام ، فانه قضاه عدة مرات في قصور إصدقائه «الما بسبيرج» بالنمسا. الرقص كان على موسيقى جوهان استراوس الصغير الذى كان حيا في ستينيات عمره ، مع حسان الدانوب بفساتينهن التى حيكت من الحرير الصينى حول اطواق من فروع شجر «الاوك» الخضراء ،قطرها متر ونصف، وتفصلها عن الحرير الخارجى سبع تنورات داخليه . الخصر ضم بمشد مقوى بعظم سمك الحوت ليجعله نحيلا. الخمر لم تكن جعة «البيل ايل» الانجليزيه التى تحمل الى الحانات فى براميل

الخشب بعد ان يتبول عليها كلب ، وانما هى خمر لائقة بأمبراطورية فرانس جوزف الاول . انها خمر ، كرمها من فصيلة «الشاردوني» ، خمر مرتين ، مرة في اوعية خشب الزان ،ومرة داخل زجاجاتها السميكه ذات فلينة الخمسة سنتمترات ، المثبة بسلك حتى يتكون غاز ثانى اكسيد الكربون بطريقة طبيعية فيعطى الشراب الهادىء اللون فورته وفقاقيعة .

وعلى هذه الصور وقف عدد من الضباط يرقصون متوهمين انهم يراقصون فتياتهم ويعزفون بافواههم – دون الات نغمة فالس القيصر .

(سى جى سى جى سى جى سى جى اى اى جى دى اف اف اى)

ضابط مخلخل الاسنان صرخ فيهم ان يستعدوا للرحيل بقية ليلتهم !

الجيش البريطاني ينهب القوافل

استمروا الليل في السير ،وفي الصباح شاهد السوارى قافلة آتية من امبكول في طريقها الى المتمه وتحمل تمرا . ابلغت قيادة الاستخبارات التى بعد التشاور مع القائد قررت الاستيلاء على القافلة ومحمولاتها وجمالها . ادعت قوات الاستطلاع ان التمر في طريقه الى المهدى ، فتم الاستيلاء على القافله الضخمه. قسم التمر على جميع أفراد الطابور ثم دفنوا كمية منه وشتتوا الباقى (١).

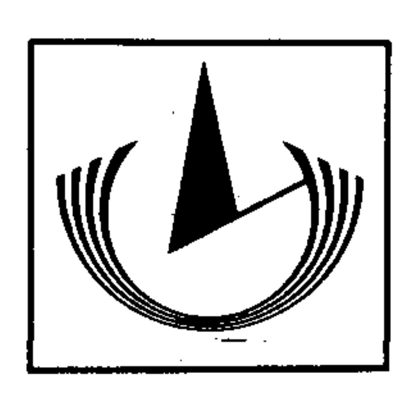
واصلوا السير ، وعندما اقتربوا من ابار ابى حلفا اتاهم السوارى بغنيمة اخرى . اربعة رجال يلبسون ملابس الثوره المرقعه ، استطاعوا القبض عليهم من مجموع عشرين لم يستطيعوا قبضهم . الرقع التى كانت على ملابسهم كانت حمراء وزرقاء .اجبر السوارى الرجال على خلع ملابسهم والقائها ارضا ، ثـم اخذوهم امامهم لارشادهم الى طريق ابار جقدول ومدخلها .

١ – قلايشن ص ٨٣ .

ان هذه النقطة المتقدمة من قوات الامير محمد الخيرفوجئت بحصار السوارى لها لانها لم تتوقع ان يفشل على ابو لوله في اعطاء الاشارة المطلوبه منه عند تقدم الجيش نحو ابار ابى حلفا .

استمر الزحف من ابار ابى حلفا الى ابار جقدول . وصلوها بعد مســيرة ليست بالطويله .

وعليه تكون رحلة الثمانين ميلا اخذت منهم يوم الثلاثاء والاربعاء والخميس، وصبــاح الجمعة الثاني من يناير ١٨٨٥ . قضوا في السير ما يقارب ثلاثين ساعه متصله ، بعد حذف ساعات النوم والتوقف ، اى ان سرعتهم كانت تقل قليلا عن ثلاثة اميال في الساعــه .



جقـــدول

ابار جقـــدول

هذه المنطقة الكثيرة المياه والتي تقع على مجموعة تلال صخرية ستكون ،حسب الخطة البريطانية ، نقطة امداد لكل الجيش المتجه الى المتمه .الاسباب لهـــذا الاختيار كثيرة .فهى نقطة مياه استراتيجيه ، تشرف على اقرب الطرق الى الخرطوم . ثم انها بعيدة عن المناطق الملتهبه بالثوره .ثالثا فهى حصينه ويمكن الدفاع عنها بسهوله .رابعا فهى تقريبا في منتصف الطريق بين كورتي والمتمه. خامسا واخيرا فهى منطقة تتميز بجمال اخاذ .

افضل من وصف هذا المكان ، كان احد الذين قدموا مع طابور الصحراء وهو كونت قلايشن،الكاتب الذى كان في عشرينياته .

عندما اقترب هذا الشاب من الجبال نفر بعيره الذى اسماه (بوتيفار) فقام بربطه على شجرة . ان الذى اشـــار عليهـــم بمكـــان المياه ، كان كابتن كتشنر الذى يعمل بالمخابرات حينها .

الطريق الى الابار مستوى في ارضه ، ومليىء بالحجارة الضخمة المستديرة . يضيق الطريق كلما اقتربت من الابار ، وتتكاثر الجبال المحيطة بها بصخورها البركانية الفاحمة السواد .

الابار عبارة عن برك مياه ثلاث ،تقع على مستويات صخرية مختلفة. البركه الاولى تعكس لون الصخور الاسود ،وخضرة الاعشاب المائية التى تنمو بداخلها .تربط بين البركة الاولى والثانية قناة ملساء كلوح ثلج ، بفعل مرور المياه عليها لملايين السنين. تدخل هذه القناة الى البركة الثانيه ، التى تقع بين صخرتين . الصخرة المقابلة للداخل

اليها ارتفاعها ثمانون قدما . مياهها الصافية بلون اعشابها الاخضر الداكن ، ينعكس مــع لون الصخر ، فيشكل لون المياه القريب من السواد الهادىء . ان الفرد يستطيع ان يرى عبر مياهها حتى القاع . وعلى الظل تطير اليعاسيب القرمزية بعيداً عن العشب المشرئب بقامته . متعدياً سطح البركة .

الجو بارد هادىء ،والمكان كأنه كهف حور . فى نهاية البركة قناه اخرى تأخذ المياه الى البركة الثالثة السفلى الضخمة . مياه البركة الثالثة يستعملها الاعراب للاستحمام ولشراب جمالهم .

اخذ الانجليز الجمال والخيول الى تلك البركة ،واخرجوا ست طلمبات يدوية مع كل طلمبة خرطوش طوله مائة يارده لسحب المياه من البركة لشراب الجنود .

تحصينات الانجليز بجقدول

قسم العمل فورا للجنود، نصب خيام المخازن واقامة القلاع المطلوبه لحماية المعسكر. ففى العشرة ايام القادمة ،تمكن رجال لواء هجانه (القاردز) والبحريه،من بناء قلعتين من الحجارة الســـاقطة .الاولى مساحتها ٢٠×٢٣ قدمــا والثانيه ٣٠×١٥ قدما وفيما بعد بنيت ثالثه . ايضا شيدت نقاط مراقبة وضعوها تحت اشـــراف ضابطين وخمسة وستين جنديا .

العمل بنقاط المراقبة دورى على مدى الاربع والعشرين ساعة .الذين تكون نوبات عملهم ليلا ، كانوا يواجهون مشكلة السقوط اثناء سيرهم بسبب الحجارة المبعثره .بعد اسبوع واحد حفيت اقدامهـــم، بسبب عملية التآكل التى تحدث لاحذيتهم مـــن احتكاكها بالصخر .

رجوع سير هيربرت

فى نفس اليوم الذى وصل فيه سير هيربرت الى جقدول (الجمعه الثانى من يناير

١٨٨٥ (رجع متوجهاً إلى كورتي . قاد القائد معه كل الجمال بعد ان افرغت حمولتها قاد ايضاً معه كل الجمال التى كان يركبها الجنود . ان سيره السابق كان مريحاً بالنسبة إلى الجمال والرجال . فلم يشعر أحد بالارهاق ولكن عـــدم الخبرة في تحميل الجمال اصابها بجراحات متعددة .

اكبر جهاز قطاع طرق فى تاريخ صحراء بيوضه

بعد ان اصبحت جقدول حاميه انجليزيه وسط هذه الصحراء ، بدأت عمليات قطع الطرق على كل قافله عبرت طرقها . ان اكثر هذه القوافل يجب ان تأخذ مـــاءاً من آبار جقدول . لم يتركوا احدا يمر هناك ،الا قبضوا عليه وصادروا ممتلكاته او تجارته من التمر والقمح والذره والاقمشة والجمال .

عندما تصل اشارة من السوارى بوصول قافلة يندفع كل جندى وراء كابتن كتشنر للقبض عليها ومصادرة ممتلكاتها . وتبدأ اسئلة المخابرات ... كيف سنجـــد الطريق الى المتمة ؟ واين الانصار ؟ وماهى كمية مياه ابى طليح ؟ وماهـــو شكل المتمة ومابها من اسلحه؟ كل من يقاومهم يطلقون عليه النار .

سير هيربرت مع وولسلى

وصل استيوارت الى كورتى فـــى الخـــامس مـــن ينـــاير ،بسرعة تزيـــد قليلا عن سرعة ذهابه الى جقدول ، والفضل يرجع الى الجمال التى عادت بدون احمال.
عندما دخل على وولسلى وجد انه يملك ذخيرة من الرسائل التلغرافيه التى وصلته والاخرى كتبها وارسلها او يريد ارسالها .

من هذه الرسائل ، رسالة كتبها الى زوجته بتاريخ الرابع من يناير ١٨٨٥ ، يطلب منهـــا فيها شـــراء ستة الاف صفارة (فلوت) خشبيه من سوق الجمله ،لكى يعطيها لجنوده ساعة دخولهم الخرطوم .كيف سيجد وولسلى بين الاربعة عشر الف جندى

انجليزى معه ستة الف عازف صفاره؟ على كل لاداعى الى الاجابه لان صفارة واحدة لم تصل ! ! (١) من الرسائل القادمة ، رسالة من لوردهارتنقتون–وزير الحربيه– يقترح فيها ارسال جيش يهاجم الامير عثمان دقنه ويحطمه لكى لا يهاجم الاخير طابور النيل.(٢) يرد وولسلى على هذه الرساله بان الفكرة من الناحيه السياسية جيده ، ولكن تكاليفها باهظه ويطلب فى نهاية رده ارسال الفى شمسيه من قماش ابيض قوى توضع عـــلى (بالات) وتربط بشريط من الحديد ويكون وزنها سبعين رطلا لكل (باله) ، لكى يأخذها جنــوده عند ذهابهم لسواكن(٣). ومتى سيذهب الفان من جنوده الى سواكن وهم يحملون شماسى ؟ ربما بعد احتلال بربر وتحطيم عثمان دقنه ! !

ان وولسلى قد اختار طريق النيل هربا مـــن عثمان دقنه عندما عرف تفاصيل معاركه مع بيكر وقراهام . اما لورد هارتنقتون فقد كان حينها قد وقع عقدا مع شركة (لوكاس اند ايرد) لرمى خط حديدى بين سواكن وبربر ، وبدأ فى تجميع قوات ضخمه لضرب عثمان دقنه وحراسة الخط .

ومهما كان شـــأن الرســـائل تلك، فان جنـــود وولســـلى حملة الشماســـى لم يذهب منهم واحد من النيل الى سواكن او حتى الى ابى حمـــد .شىء آخر هوان الشماسى نفسها لم تصل .الشىء الـــذى نفذ هو ارسال حملة ضخمة لمحاربة عثمان دقنه .

كنفوى ستانلى كلارك

فى السابع من يناير تحرك (كنفوى) ستانلى كلارك من كورتى فى طريقه الى جقدول . هذا الكنفوى يتكون من الف جمل تحمل مؤنا وذخيرة وثلاثة اقســـام من لواء الهجانه الخفيف . وقد واجهت هذه القافله الكبيرة مشاكل جمة وعطشاً وارهاقاً نتيجة

١ – كرامة انجلترا ص ١٨٠، ١٨١ .

٢ – ٣ اوراق وولسلى ، أوراق وزارة الحربية ، كرامة انجلترا ص ١٨٠، ١٨١ .

رعونة قائدها الارستقراطي الذى جاء لهذه الحرب لكى ينال مدالية . (١)

كنفوى سير هيربرت استيوارت

فى الثامن من يناير تحرك استيوارت مع قافلته الضخمه من الجمال -(٢٣٠٠جمل) تحمل امدادات وبقية جنوده .

كنفوى بيرنبى

هذه القافلة غادرت كورتى فى اليوم العاشر من يناير ١٨٨٥ ، ويقودها كولونيل بيرنبى الذى عينه ولسلى نائبا لقائد الطابور وقمندانا على المتمه قبل وصوله الى كورتى . كان بيرنبى يقود قافلة تحمل ذرة وعدد جمالها مائة وخمسة وعشرون جملا . وصل الى جقدول فى اليوم الثالث عشر من يناير . دخل الى المعسكر صارخا فى زملائه ... هه ...هه ... ها ، قد وصلت فى الزمن المناسب للقتال ! كان الكولونيل على بعد اربعة ايام من حتفه الذى سعى اليه بظلفه .

تكامل القوات بجقدول

بوصول قافلة استيوارت الاولى فى الثانى من يناير ، وقافلة ستانلى كلارك فى الحادى عشر من يناير ، وبعده بساعات قافلة استيوارت الثانيه واخيرا قافلة بيرنبى فى الثالث عشر من يناير ، اكتملت القوات المتقدمه فى طابور الصحراء الاول المتوجه الى المتمه . ان الجمال المؤجره ستستمر فى احضار الامدادات الى جقدول ويصحبها جنود حراسة فقط .

١ - خطابات وولسلى ١٥,١,٨٥ .

تحرك طابور الصحراء الى ابى طليح

الاربعاء ١٤ يناير ١٨٨٥

فى تمام الثانيه بعد ظهر الاربعاء بدأ الطابور فى التحرك نحو ابى طليح فــى تشكيل فصائل .

خرجت اولا قوات السوارى ١٩ على خيولها المصريه التى تتحمل كثيرا من العطش . تلاها لواء الهجانه الثقيل .... تبعه لواء الهجانة الخفيف ، فجمال الاحمال يقودها العدنيون والصوماليون معهم قطيع من الثيران طويلة القرون ، تلتهم قوات المدفعيه ، فقوات الاسطول والسلاح الطبى واخيرا لواء المشاه الراكبه (القاردز).

المحمولات الخاصه بسلاح الاستخبارات ،والتى ستوصل الى غردون مباشرة فى الخرطوم ، اتبعت الى السلاح الطبى . وقد جرت العاده في الجيش البريطانى على تغيير اسم هذا السلاح كل ستة اشهر . الستة اشهر الاولى يسمى (المصلحه الطبية للجيش) وفي الستة اشهر التالية يدعى (سلاح مستشفى الجيش) ، اسمان لمؤسسه حربيه طبية واحدة .

لم يجدوا فى الطريق شيئا لم يكونوا على علم به ، فكل هذه المناطق قام السوارى باستطلاعها ومعرفة خباياها فى الايام الفائته . عند المساء كان جبل (جليف) قد اصبح يبدو بعيدا جدا الى الشرق منهم .توقفوا بعد مسيرة عشرة اميال فى اربع ساعات ،وناموا على منحدر رملى به اعشاب جافــه . قضوا ليلا نزلت فيه درجة الحرارة الى ثمان درجات مئويه ، والهواء هادىء .

الخميس ١٥ يناير

(نوبة الصحيان) ضربت في تمام الرابعة والنصف صباحا . شربوا الكاكاو الساخن وبعضهم الشاى ،وفتحوا علب نصف الرطل (بول بيف) المتجمدة صباحا ،ممـــا

يسهل ابتلاعها . بل هناك من كان يستمتع بتناولها جامدة ولا يحبها عـــائمة اللحم في الدهن . كما يحدث في منتصف النهار .

عندما عاودوا السير في تمام السادسه صباحا . بداوأ ملاحظة شي ء غريب ، ان الصحراء التى امامهم قد نقشت بحوافر الخيل . بل هناك اثار نار لازال مكانها دافئا .

قبضوا على اعرابي قادم من المتمة قال لهم : ان الطريق الى ابى طليح ليس به احد ولكن في المتمه ثلاثه الاف رجل (١) .

على البعد يبدو جبل النوس ، بشكله المخروطى ، يقف معلما بارزا في صحراء بيوضه . مشكلا نقطة وسطى بين جقدول والمتمه .

فى تمام الواحدة تعدوا جبل النوس ، وبدأت المناظر تتغير بعض الشيء. امامهم واد واسع مليء بالاعشاب الجافه ، وعلى حافتيه الاشجار التى ترتفع لاكثر من عشرين قـــدما. المجموعات الصخريه أصبحت أكثـــر عدداً ، وعلى البعد جبل (السرجين) يبدوا محددا لخط الافق . فقرروا ان يكون مكان مبيتهم . ذهبت قوات السوارى للاستطلاع . وعادت معطية النور الاخضر للتقدم . في تمام الخامسة مساءاً كانوا هناك لقضاء الليل

الجمعة ١٦ يناير ١٨٨٥

تحرك الصباح الذى كان قبل شروق الشمس غشيته فوضى كثيره .فقـــوات السوارى التى خـــرجت للاســـتطلاع قبـــل شـــروق الشمس ، تبعهـــا قسم من الطابور ،لم يتمكن من العودة الى بقية الطابور الا بعد نصف ساعه .

الارض هنا بها حصى و كثبان رملية ومسطحات صخرية سوداء .لا احد يتوقع

١ – كرامة انجلترا ص ١٨٨ .

حربا حتى الوصول الى المتمة . ولكن حوافر الخيل اثارت في نفوسهم المخاوف من من قـوات محدودة بـالمنطقة . شـدد استيوارت على قـوات السـوارى بالتدقيق في الاستطلاع البعيد . في الحادية عشرة صباحا توقفوا لتناول الغداء . امامهم مسطح ارضى بعده مباشرة سلسلتان جبليتان بينهما مدخل ليس بالواسع ، وعلى بعد ثلاثة اميال ابار ابى طليح – حسب الخريطة التى لديهم .

الارض امامهم مسطحة ، وبها انحدار الى ارض صخرية قبل الوصول الى السلسلتين.

بعد الغداء اتجه السوارى لاستطلاع المنطقة حتى الابار ، ورى خيولهم التى لم تشرب منذ مبارحتها لجقدول .

تحرك السوارى في تمام الحادية عشرة والنصف تماما من ذلك الصباح . ولكن قبل ان يتم الانتهاء من الغداء ، عادت الخيول تجرى بكل ما بقى لها من طاقة ، فقد نجا جندى السوارى (كرافن) من الموت باعجوبة عند ما دار حول صخرة ، فاندفع نحوه انصار بحرابهم الطويله . عودة السوارى اثارت التكهنات والاشاعات بين الجنود. اوصل السوارى الاخبار الى قائد الطابور الذى تقدم الى ربـوة وبـدأ مشاهـدة السلسلتين الجبليتين بنظارة الميدان . رأى ان عدد العدو الظاهر له حـوالى الالفين . ولكن ربما كان هناك ثوار اخرون تحت الجبال.(١) قرر القائد ان يكون التقدم في تشكيل طابور ، خلفه تكون جمال الاحمال .

كلما تقدمـوا الى الامام ، ظهـرت امامـهم النقاط البيضاء التى تشكـل مجموعات الثوار . بدأوا ايضا في رؤية دخان البارود الذى كان يطلقه الانصـار . ان المسافة بعيدة من مدى الرصاص ولن يتوقف الزحـف . كلمـا اقتربوا ، بـدأ صوت النحاس والنقارة يقترب من طبول اذانهم . التقدم كان بطيئا جدا بسبب الصخور المتناثرة في هذه المنطقة التى تواجه القوات الثائرة التى تريد منعهم ورود الماء . توقفوا

١ – قلا يشن ص ١٠٨ .

لاستطلاع اخر . قوات الاستطلاع تقوم بعملها فى همــة ونشاط ولكن فى حذر شديد خوفا من الكمائن .

قرروا المرور من ممرات صخرية محصورة وتلال للوصول إلى مكان مكشوف. المنظر أمــامهم الان متكامل تماماً . على البعد وادى أبي طليح الفسيح ، به أعشاب الثمــام الصفراء الدائمة واشجار السنط العالية . تحيط بالوادى من الجانبين السلسلتان الجبليتان وفوقهما الأعراب بملابســهم البيضاء ، فى تنافر مــع لون الصخر الأسود .

اقام الثوار استحكامات تشرف على الممر يسار الطابــور . السوارى مستمرون فى اعطاء الاشارات دون تأخير بالاعلام .

جمع سير هيربرت استيوارت الصحفيين وقال لهم : (انني ســـــوف أهاجم الأعداء فوراً) ... مرت ساعة ولم يسمع فيها غير ضربات طبول الانصــار تهــــز الأرض هزاً . ولم يأمــر القائد بالهجوم . . . غير رأيه ، انه سيهاجم غداً . وارتكب بذلك خطأ حياته (١) .

اوامر الامام المهدى الى الجعليين بخصوص الانجليز .

كان الامير الحاج على ود سعد على اتصال مستمر بالإمام المهدى عبر أمير أمراء بربر محمد الخير عبد الله خوجلي . جميع معلومات الاستطلاع من جانب صحراء بيوضة ومن جانــب النيــل ترســل إلى الإمام المهدى . ثم ان الإمام ارسل قوات استطــلاع أخرى عن طريق جبره (٢) . أوامر الإمام المهدى إلى الأمير محمد الخير هى تأخير وصول القوات البريطانية إلى أقصى مدة ممكنة ، وذلك بارسال قوة من الجعليين لتأخيرهم فى أبي طليح ، وضرب جمالهم ، لاعطاء غردون أطول فرصة لكي يحمله جوع مدينتــه حملا على التسليم . كان هذا التسليم قاب قوسين أو أدنى .

---

١ - كل المراجع ، اهمها أوراق وزارة الحربية ، قلايشن ص ١٢٠ كرامة انجلترا ص ١٨٩ ، اورق وزارة الخارجية .

٢ - شقير ٨٤١

كانت هناك مكاتبات مستمرة بين الامير عثمان دقنة والأمير محمد الخير عبد الله خوجلى والامام المهدى . ومن السهل رؤية أصابع الامير عثمان دقنة في أحـــداث أبي طليح .

صالح حسين خليفه صار يمـــدهم فيما بعد بمعلومات عـــن الجيش الانجليزى ونوعية قادته ومقاصدهم .

يقـــول الإمام المهدى فى خطاب إلى الأمير محمد الخير عبد الله خوجلى كتبـــه فى العاشر من مايو عام١٨٨٥م : (قد سرنا حسن تشميرك فى تأييد الدين واستنشاقك لاخبار حبيب الطرفين عثمان دقنة واخباره باحوال الكفرة وماهم علـــيه . وجزى الله الحبيب صالح حسين خليفة خيراً فى جلبه الاخبار ، وافهامه بمقاصدهم وماهم منطوون عليه من الحيلة والخديعة التى لاتغنى عنهم من الله شيئاً (١)) .

قوات الجعليين بالمتمه .

جمع الامير محمد الخير عبد الله خوجلى قوات محددة لكى تقوم باتمام اخلاء شندى والمتمة وتحصين الاخيرة . لم يكن من السهل عليه ارسال قوات كبيرة إلى المتمة ، لان الجيش الانجليزى ،من ناحية النيل يتقدم أيضاً بقوات أخرى ستتلقى امدادات فى أبى حمد من كورسكو ، ثم تأتى لمهاجمة بربر . فقد كان على محمد الخير ان يقسم قواته على المتمة وبربر وأبى حمد . ان القوات التى جمعها الامير محمد الخير كانت ثمانية الاف رجل ، ترك بالمتمة منهم حوالى الفين وخمسمائة رجل بقيادة الأمير عبد الماجد محمد خوجلى ، ويساعده الامير الحاج على ودســـعد .

اخلاء شندى والمتمه وتحصين الأخيره

قامت قوات الجعليين ببناء حائط حول المدينة يتكون من جزئين .الجزء الاول به الشونة الحكوميه وهو ضخم كبير ، والثانى شبه مربع .جانب المدينه المواجه للنهر

---

١ — ١٧٧ صادر ١ ، دار الوثائق ، الخرطوم .

به (مزاغيل) لحملة البنادق . في الركن الجنوبي الشرقي من المدينة حفر خندق ، ووضع خلفه مدفع . في داخل المتمه وضعوا مجانيق صنعوها بأنفسهم من الخشب لقذف الحجارة المستديرة الضخمة على المعتدين . فكرة من القرون الوسطى . ولكن تأثيرها على القوات البريطانية كان أكثر مما توقع لها صانعوها .

جميع الجعليين الذين تجمعوا هناك كانوا من اهل المتمه اصلا او من اهل شندى المقابله ، او من الجعليين الذين اتوا مع الامير عبد الماجد محمد خوجلي . كان عدد كبير منهم يحمل بنادق رمنقتون ، من التى غنموها عند تحرير بربر . ومما يجدر ذكره ان اهل شندي والمتمه ، بعد اشتراكهم فى الهجوم على بربر لتحريرها ، لم يأخذوا نصيبا من الغنائم ، وانما استولوا على اسلحة اصروا على عدم تسليمها لانهم يريدون الجهاد بها فى سبيل الله. وافق الامام المهدى على طلبهم هذا ، مادامت فى عهدة الامير الحاج على ود سعد .

جميع النساء والاطفال وكبار السن بشندى والمتمه ابعدوا من المنطقه .

تحرك الرايات البيضاء

الاثنين ١٢ يناير ١٨٨٥م

قوات الجعلين بالمتمة التى كانت على علم كامل بتحركات طابور الصحراء، تحركت يوم الاثنين الثانى عشر من يناير تحمل راياتها البيضاء واتجهت الى ابى طليح. القوه التى تحركت كانت تتكون من الفى مقاتل - كما قدرهم سيرهيربرت استيوارت تماما، بعد ان تركوا فى المتمة خمسمائة رجل لمواجهة اى هجوم يقوم به جنود البواخر النيليه المتواجدة فى المنطقة بقيادة محمد نصحى باشا وخشم الموس بك.

بعد سبع ساعات تقريبا وصلوا الى ابار ابى طليح . احتلوا الابار وتسلقوا الى قمم التلال الصخريه الشمالية المشرفة على الطريق الصحراوى القادم من جقدول الى ابى طليح.

قوات الاستطلاع بدأت تترى على معسكر الثوار ، حاملة أنباء تحرك الانجليز .

كان الجعليون – أصحاب الرايات البيضاء – يعرفون جيداً ان الجيش الانجليزى أكثر منهم عدة وعدداً ، ولكن هذا لم يبدل من الأمر شيئاً ، أنهم لن يسمحوا لهم بالتقدم دون معركة يحطمون فيها قوة النقل التى لدى الطابور ، وتأخيرهم لاطـول فترة ممكنة حسب تعليمات الامام المهدى التى صدرت للامير محمد الخير .

الامير الحاج على ود سعد

تقليديا حكم دار جعل ابناء الملك نمر من ناحية ضفة النيل اليمنى وهى خط شندى من السبلوقه الى بربر .ابناء مساعد حكموا المنطقة الغربيه –يسار النيل –وعاصمتهم المتمه.

اثناء قيام الثورة المهدية كان بالمتمة الحاج محمد سليمان ود فرح شيخا على خطها. خلف الحاج محمد والده الشيخ سليمان فى حكم الخط .ولكن الحاج محمد سليمان نفسه اصبح شيخا مسنا باشتعال المهديه .جمع الحاج محمد سليمان الجعليين وطلب منهم الذهاب الى الامـام المهدى لمبايعته ،ولكنه فوجىء بقبيلة البطاحين تهجم على الحاميه المصريه بشنـدى وتقضى عليهـا محـررة بذلك شـندى . لـم يعجب ذلك الجعليين ان يحرر غيرهم ارضهم .ان خطتهم كانت الهجوم على الحامية بعد مبايعة الامام المهدى وموافقته على ضرب الحاميه . لذلك قرروا الا يذهبـوا لمبـايعة الامـام المهـدى الا بعد ان يحملوا فى ايديهم التى تبايعه نصرا لا يقل عن تحرير شندى . توجهـوا الى الامير محمد الخير لحصـار بـربر . ونظـرا لان الحاج محمد سليمان كان مسنا فقد ارسل ابن عمه الحاج على ود سعد الى بربر ،فسار معه اهل الخطين الشرقى والغربى

بدأ حصار بربر فى اواخر ابريل ١٨٨٤ ،وفى ١٩ مايو ١٨٨٤ تم الهجوم على المدينة وتحريرها .

غنم الجعليون اسلحة نارية من حامية بربر ،بما فيها مدفع جبلى وبنادق رمنقتون وذخيرة واسروا طبجية مصريين اخذوهم معهم . ان عمل الحاج على ود سعد فرح ، قبل ان يذهب لحصار بربر تحت امرة الامير محمد الخير عبدالله خوجلى ، كـــان بالتجاره .تجارته كانت مع عدة مناطق فى السودان ،ولكنه كان على علاقة خاصة مع (سلطنة البرقو) ،حيث استطاع الحاج على ان يربط اواصر الصداقة بين سلطان البرقو وشيخ طريقته ـ الشيخ العبيد ود بدر . وقد اثمرت الصلة بين السلطان والشيخ العبيد، ولازالت إثارها باقية حتى يومنا هذا ،فى سيوف قدمها السلطان هدية للشيخ ، يتوارثها اليوم ابناؤه مع كمية من الذهب .

ولد الحاج على ود سعد فى عام ١٢٦٠هـ ،وعند وصول الامام المهدى الى ضواحى الخرطوم كان فى بداية االأربعين .

اكتسب الحاج على سعد الهادى الطبع السمح الطلعه الملىء ثقة بنفسه وبالاخرين، اكتســـب خبرات متعددة فى السياسة وفى التعامل مع الاخرين وفى مكائد الحروب. زاد من خبرته تلك ، عقل راجح وذكـــاء وقاد . اذا اضفت الى ذلك ارث ابائه فى الكرم والشجاعة والتجارة ،اتيت على مجمل شخصيته .

عندما ابلغه الامير محمد الخير بدخول جيش الانجليز الى السودان ، كـــان يعرف ماذا يعمل .اخلى شندى والمتمه وحصن الاخيره .أن تحصينه للمتمة برهن على ذكائه الخارق ، فجعل منها بندقة عصية الكسر ، ثم ذهب مع قوات لاتزيد عن الفى رجل وطفل تحت قيادة الامير عبد الماجد محمد خوجلى الى ابى طليح ، متحديا قوة بريطانيا المسلحه منذ الثانى عشر من يناير عام ١٨٨٥ .

عندما حضرت قوات الاميرموسى محمد الحلو ـقبل ساعات من المعركه ـقدم للاميرالدور الذى سيقوم به حملة الاسلحة فى المعركة .عندمـــا رفض الاميرموسى محمد حلو خطته ،لم يتأثر لحظة واحده ،وقال للا ميرموسى ...(انت الاميرونحن

جنودك) .عندما انتهت المعركة ، كان الحاج علي ســعد مصابا في يده بطلق ناري ونزف دماً كثيرا . حمله الجعليون الى المتمه ،ولكنه لم يهتم كثيرا بجرحه بقــدر ما اهتم بماء الجيش ومأكله .كان لاينظر اليهم كجيش ،وانما كضيوف في داره وعلية مؤونة الجيش الثائر بكامله .

عندما مات الحاج علي ود سعد بعد اعوام من معركة ابي طليح ،ترك ابناً يدعى البشير وثلاث بنات ،هن الشول وزينب وزينب .زينب الاولى امها باعوها بنت حاج سليمان بنت عمه ،وزينب الثانيه تلبيه بنت حمد التلب .اما الشول فوالدتها هي العاجبه بنت الكار . ابنه البشير من بنت عمه باعوها .ان دار الجعليين قد فقدت بموته ،قائدا واميراً من خيرة ابنائها في التاريخ . كان حصيفا ، وذكيا وشجاعا وكريما .

الخطة العامه لمواجهة الغزاه

الاوامر التي بعث بها الامام المهدي الى الامير محمد الخير عبدالله خوجلي ببربرهي :

١ . قتل اكبر قُدر من جمال الطابور الصحراوي لشل حركة نقلهم .

٢ . محاولة تأخير طابو ر النقل دون الدخول معه فــي معارك حاسمة الا اذا اصبح قريبا من الخرطوم وقادرا على تدعيم غردون .

٣ . منعهم من احتلال المتمه وبربر .

٤ . القوات البريطانية لاتصل الى الخرطوم قبل اتمام تحريرها .

٥ . لتنفيذ النقطتين الاولى والثانيه فان الامام المهــدي سيرسل قوة لزيادة تحصين المتمه ومساعدة الجعليين في ضرب الجمال .

٦ . ان الامير عبد الرحمن النجومي هو الذي سيقوم بالقضاء على كل القوات البريطانيه الغازيه .

المهدى يرسل قوة لتدعيم الجعليين

فى الحادى عشر من يناير ١٨٨٥م (٢٣ربيع الاول ١٣٠٢هـ) ،بعد التشاور مع قادته ،قرر الخطة العامة لمواجهة الانجليز ،وعليه اصبح من الملح ارسال قوة تدعيم الجعليين .

كتب الامام خطابا الى الخليفه عبدالله التعايشى يستحثه فيه ارسال هذه القوه (١). يقول الامام المهدى فى خطابه هذا :

(حبيبى ، ان امــر جيش الانجليز مهم ، كون تعزيز الجيش فيه فوائد كثيرة وتثبيت للقلوب ،واطمئنان لاهل البلد وتشجيع لهم .وقد رأينا ان احمد المكاشفى قد طلب التأخير . بالاشاره على ذلك فان رؤى ان الذى نقوله موافقا ، فليكون تجهيز اخوان صناديد، كنحو حسن حسين وجماعته ، وبيرق ابن التويمْ المادح ، وبيرق اخى محمد بن العريق ، وبيرق على بن الهاشمى ، وتشهيلهم بما يلزم لهم من آله وجباخين. ولتكن الهمة والسرعة فى ذلك . وليصر التنبيه على جميع جماعة الصديق بتشهليهم ، وارسالهم ولا يكن فى هذا الا ر تأنى والسلام .)

انباء حشود انجليزيه اكبر بجقدول

فى منتصف نهار الحادى عشر من يناير وصلت انباء من قوات الاستطلاع الثائرة بان قوة جقدول يجرى الاعداد لتدعيمها من كورتى بقوات كبيره . وعليه قرر الامام المهدى ، بعد التشاور مع خلفائه وامرائه ،ارســال الراية الخضراء ومعها قوة جهادية تكون قادرة على تنفيذ الخطة .امير الامراء عبد الرحمن النجومى عندما سئل ،هــل سيحتاج الى قوات الراية الخضراء ،لو دعت الضرورة لتحرير الخرطوم عنوة ؟ قال: الرايات المحاصرة للخندق كافية لهزيمة غردون فى ربع ساعة فلكيه .ولو امر سيدى المهدى بالهجوم الان ،لهزمت قوات الكافر غردون قبل قيامكم من هــذا المجلس .

---

١ - ٣٢٥ صادق - ٢٠٤ ف ١ . بخط الامام المهدى - دار الوثائق المركزية الخرطوم .

الرايـــه الخضراء الى ابى طليح

الثلاثاء ١٣ يناير ١٨٨٥

فى صبيحة الثلاثاء الثالث عشر من يناير ١٨٨٥م (الخامس والعشرين من ربيع الاول ١٣٠٢هـ) خرجت قوات الراية الخضراء ـ راية الخليفة على محمد الحلو ـ بقيادة الامير موسى محمد الحلو .انها خرجت مكونة من خمس رايات بقيادة خمسة امراء عرفوا بالشجاعة والايمان وصدق العزيمه وهم .

١ . محمد ود بلال :يقود اثنين وثلاثين ربعا من دغيم .
٢ . عبدالله برجوب :يقود ارباع اللحوين .
٣ . ابراهيم عجب ألفيه : يقود جزءاً من ارباع كنانه .
٤ . البشير عجب الفيه : يقود الجزء الثانى من ارباع كنانه .
٥ . احمد جفون : يقود الشنخاب ،وهم ارباع القناطير ،والبدواب واولاد شـــن وناس الحاج .

تحرك الامير عنقره وقواته

الاربعاء ١٤ يناير ١٨٨٥

فى اليوم التالى الرابع عشر من يناير ١٨٨٥ (السادس والعشرين من ربيع الاول ١٣٠٢هـ) اكتمل تجهيز قوات من حملة الاسلحة النارية بقيادة الامير النور عنقره ،وبساعده الامير صديق الكتانى ومعهما من قادة الرايات (١) :

١ . عـــلى ود قمر :وكيل راية ود التويم المادح .
٢ . على احمد الهاشمى :عمرابى تابع للحاج خالد .

---

١ ـ جهاد فى سبيل الله ص ٤ . وخطابات المهدى : ٣٢٥ صادق ـ ٢٠٤ . ف ١ ـ ٢١٧ كيمردج

٣ . الطائف ود العجوز :ابن اخت الملك ادم .
٤ . الحاج مرزوق الشايقى : رايه شايقيه .
٥ . حسن حسين : رايه .
٦ . محمد العريق :رايه .
٧ . البدوى العريق :رايه .
٨ . بشير الياس :رايه .
٩ . عبد القادر البشير :رايه .
١٠ . البدوى ابو صفيه :رايه .
١١ . محمد البدوى الصديق : رايه .
١٢ . بكر جوده :رايه .

بعد ان اكتمل تجهيز هذه القوات تحركت يوم الاربعاء الرابع عشر من يناير ١٨٨٥ لاحقة بالراية الخضراء والانجليز .

مجموع القوة التى ذهبت للمتمة

جميع هذه القوة التى ذهبت الى المتمه من حملة الاسلحة النارية والاسلحة البيضاء بلغت احد عشر الف رجل ،وقـــد تحدث عنهم الامام المهدى فى خطاب الى الامير عثمان دقنه ،بعد ارسالها مباشرة فى خطاب بتاريخ الرابع عشر من يناير ١٨٨٥ (٢٦ ربيع الاول ١٣٠٢هـ) .قال الامام المهدى فى ذلك الخطاب (١) :

(وقد بلغنا ان بعضا من اعداء الله الانجليز حضروا بدنقلا ،وارسلوا منهم جانب الى جهة المتمه لكى يدخلوا الخرطوم من قبلها .والى الان ما تم و صولهم بها . وقد وجهنا لهم من طرفنا احدى عشر الف . والبشائر متواتره علينا بهلاك اولئك المخزولين ، وان بلغوا فى الكثرة عدد الشجر والمدر وزبد البحر .)

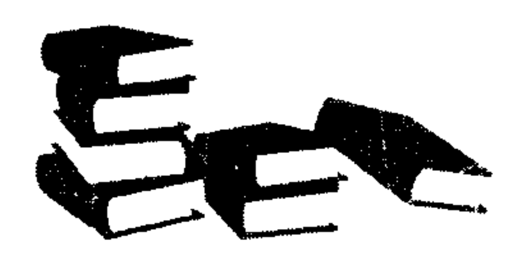
١- المصدر : ٢٦ دقنه ، دار الوثائق المركزية الخرطوم .

الرايه الخضراء بالمتمة

في عصر الجمعة السادس عشر من يناير ١٨٨٥ (٢٨ربيع الاول١٣٠٢هـ) لاحت بوارق الامير موسى الخضراء في سماء المتمه .تلقاهم على مسافة من المتمه المستقبلون من الجعليين وقدموا للامير معلومات مفصلة عن الموقف في ابى طليح ، وذكروا له ان القوات الانجليزيه في تلك اللحظة ستكون على مشارف ابى طليح .قلة عدد الجعليين بابى طليح جعلته يفكر في اللحاق بهم فورا . ولكن قواته المرهقة من سفر استمر اليوم وحده من صلاة الفجر مباشرة وحتى الرابعة من بعد الظهر ، ليس من السهل ان تتابع السير لسبع ساعات اخرى .

تذكر الامير كيف استغل الامام المهدى في شيكان قواته الراكبة واضاف اليها مشاة محموله خلفهم . حينها قاد الفرسان الامير محمد عبد الرحمن النصرى والجهادية الامير فضل المولى صابون ، وقاد الجميع الامير ابراهيم الترجماوى ،وقضت تلك القوات كل الليل على ظهور الخيل ،واصبحت على خطوط حمدان ابى عنجه المحاصر لقوات هكس .

ان الموقف هنا يعيد نفسه ، مع اختلاف في غرض العدو في الحالتين .في شيكان كان الخوف من وصول هكس الى الابيض قبل الاصطدام بالانصار . امـا هنا فان الامير موسى لو اراد المتمه ، فان المتمه امامه . ،اما اذا اراد تدعيم قوة الامير عبد الماجد محمد خوجلي والحاج على ود سعد لكي لا يقضي عليهم الانجليز نسبة لقلتهم ،فيجب الاسراع بتدعيمهم بنفس اسلـوب المهـدى .



الامير موسى محمد حلو

قائد الراية الخضراء

قائد راية الخليفه على محمد الحلو ،هو اخوه الامير موسى محمد حلو .

ان قبيلة دغيم العربيه قد دخلت الى السودان عن طريق مصر فى الربع الثانى من القرن الرابع عشر الميلادى . وقد جاء ذلك فى كتـــاب محمد بن عبدالله بن محمد بن ابراهيم اللواتى الطنجى ،الذى يعرف بشكل افضل باسم (ابن بطوطه) .وقد ولد ابن بطوطه فى ١٧ رجب٧٠٣هـ. اســـم كتـــاب ابن بطوطه هو (تحفه النظار فى غرائب الامصار وعجائب الاسفار) وقد اعيد هذا الكتاب الى المكتبة العربية مـــرة اخرى عندما حققه احمد العوامرى بك ،واحمد جاد المولى ، وطـــبع بمطبعة بولاق بمصر فى عام ١٩٣٤م .ففى الجزء الاول منه صفحة (٤٢) يقول ابن بطوطه : (ثم سافرت منها الى مدينة ادفو ،وبينها وبين مدينة اسنا مسيرة يوم وليله ، ثم جزنا النيل من مدينة ادفو الى مدينة العطوانى ،ومنها اكترينا الجمال وسافرنا مع طائفة من العرب تعرف بدغيم). ان دغيم عند دخولها الى السودان اغلب الظن انها توجهت الى غرب السودان اولا. فآل الحلو- وهم اشراف - سكنوا مع دغيم . جدهم المسمى القنديل مدفون فى شمال الفاشر فى (قوز غره) ،وعليه قبه .وآل الحلو يسمون بالقناديل .

من دارفور تفرقت دغيم فى انحاء السودان .ارتباط دغيم بكنانه قد حدث بعد زواج الشيخ محمد الحلو ،من قبيلة كنانه بالنيل الابيض .السيده خديجه التى تزوجها من كنانه ، كانت من فرع هذيل . وهذه السيده هى والدة الخليفه على محمد الحلو واخيه موسى.

كان الشيخ محمد الحلو شيخ القبيلة (دغيم) ،وبعد موته خلفة ابنه الضواها ،وهو اخ الخليفه على والامير موسى من ابيهما .انجبت خديجه بنت محمد الكنانيه ، بالاضافه

إلى الخليفة علي والأمير موسى ابناء اخرين هم: مسعود وعبد الجليل وفاطمة والصديق، ان عائلة محمد الحلو بن ادريس بن حامد بن محمد القنديل ، قد قدمت إلى الثـــورة المهدية شهيداً تلو شهيد . كانوا من السابقين لنصرة المهدية من أبا إلى أم دبيكرات .

في ابا استشهد محمد الضواها .
في وقعة الشلالي :عبد الجليل .
في قدير : مسعود.
في الابيض :اسماعيل عبد الجليل .
في ابي طليح :الاميرموسى ،واخوه الامام محمد الحلو ،وزوج اخته ام مهل ،المسمى ادريس ود حمد ،وابنه محمد ادريس .

وفي وقعـــة كـــررى : عـــلي ادريس، واسماعيـــل ادريس ، واحمد عبد الجليل .
وفي وقعة ام دبيكرات : عمر بن الاميرموسى ،والخليفه علي محمد الحلو .

انها عائلة الشهداء التى تتميز بسماحة الخلق والخلق وحسن المعشر والعلم والدين .
السيدة ام مهل اخت الخليفه علي من ابيه ،استحقت اسم ام الشهداء ،فقد استشهد زوجها ادريس ود حمد وابناؤها الثلاثه .ان الامير موسى كـــان فى الثلاثين عندمـــا قـــاد الثوار لمواجهة اقوى مجموعة افرزتها بريطانيا فى تاريخهـــا العسكرى ،صفوة الصفوة القتاليه.

وقد ذكر الامير موسى صباح المعركه عندما ناقش الامير الحاج علي ود سعد فى امر خطته ، قال له ، انه ودع الامام المهدى وجاء ليستشهد .وقد قال صاحب كتاب (الاسرار الالهيه على ما وقع فى زمن المهديه) ، ان الامام المهدى عندما ودع جـــيش الاميرموسى قال (اليوم سافروا مننا احبابنا ، وفضلنا مع جيرانا) وقال لهم (ان شاء الله عن قريب انا لاحقكم)(١) اما قبل الهجوم على الانجليز بلحظات فقد قال الاميرموسى

١- كتاب الاسرار الالهية على ما وقع فى زمن المهدية لكاتبه محمود آدم - الكتاب بخط اليد ، بمكتبة السيد علي يعقوب الحلو .

للصديق ود حاج على (ياالصديق ، راية الفاروق بدخله اليوم الانجليز) ، واضاف
(انا موسى امير المنتظر .. انا فارس خليفة سيد البشر)
(انا بدخل بحور الوكر .... انا سيف الله الذى اهين من كفر) (١)

ان الوعد الذى قطعة الا مير موسى الشاب على نفسه بإدخال الرايه الخضراء الى داخل المربع الانجليزى ، قد نفذه ، وهو يمسك بها بيده اليسرى ،والقرآن بيده اليمنى يقرأ منه (٢) .

الراية الخضراء يصل جزء منها الى ابى طليح

اخذ الامير موسى محمد حلو ثلاثة الاف مقاتل(٣) على الف وخمسمائة جواد ، (نصفهم فرسان والنصف الاخر مشاه) وجد السير الى ابى طليح .سرعة اندفاعه اولا كانت عاليه، ولكن عندما اخبرته قوات الطلائع السودانية ان الانجليز لم يقاتلوا وفضلوا النوم ،خفف من سرعته لكى يقلل من انهاك الرواحـــل. فى منتصف الليل وصل الى ابى طليح حيث استقبله الامير عبد الماجد محمد خوجلى والامير الحاج على ود سعد.

بقية قوات الراية الخضراء بقيت بالمتمة مدعمة لتحصين القرية وما جاورها من تلال.

بين غسق الجمعة وفجر السبت (الزريبة الانجليزية)

اسرع سير هيربرت استيوارت باعداد قواته لموقف دفاعى لقضاء الغلس، بين غسق الجمعة ١٦ يناير ١٨٨٥ وفجر السبت ١٧ يناير ١٨٨٥م .
ارسل ثـلة مـن جنـود الاسـطول البـريطانى بقيـادة لـورد بيرسـفورد ، ومعهم مدفع القاردنر الى تل قريب .بعد رفعه هناك اقاموا امامه حاجزا من الصخور

١ - كتابت الا سرار الا لهية على ما وقع فى زمن المهدية لكاتبه محمود آدم - الكتاب بخط اليد ، بمكتبة السيد على يعقوب الحلو .
٢ - كل المراجع ، منها : كرامة انجلترا ص ١٩٨ .

لحراسة ميسرة الجيش الانجليزى . بقية الطابور بجميع افراده وضباطه اشتركوا في صنع زريبة قوية من الاشجار الشوكية والصخور التى رفعوها لمستوى قدمين في المواجهة . في ميمنة الزريبة وضعوا سروج الجمال وصناديق البقسماط وبقية الماكولات . امام هــذه الصناديق وضعوا سلكا ليجمعها . ميسرة الزريبة ومؤخرتها ، وضعوا بالإضافة إلى الشجيرات الشــوكية محمولاتهم الباقية ، وربطوها ايضاً بسلك . شــكل الزريبة ضخم مستطيل بدون اعتدال . في داخل هذا المكان حجزوا مكانا معينا مربعا بصناديق ليصبح مستشفى ميدان .

فى مقدمة الزريبة ،وفى اتجاه الطريق الى ابار ابى طليح وضعوا المدافع بداخل الزريبة ، اما مدفع القاردنر فقد كان خارجها ، على جبل بيضاوى الشكل على ميسرة الزريبة.

جمال الركوب كانت بداخل الزريبة ، اما جمال الاحمال (ثمانمائة جمل) فقدكانت خلف الزريبة ، وقد صنعوا لها حاجزا من السلك الشائك والشجيرات الشوكية.

عند غروب الشمس (الجمعه السادس عشر من يناير ١٨٨٥) كانــت القوات البريطانية قد اكملت اعمالها الدفاعية ، وشرب الجميع عصير ليمون وذهبوا للنوم .

مواقع الجيش السودانى

قوات الامير عبد الماجد محمد خوجلى كانت تحتل قمم الجبال الثلاثة التى تشرف على الطريق الى ابار ابى طليح على بعد الف ومائتى ياردة من موقع الانجليز .اقاموا على تلك الجبال ، وخصوصا الجبل الايمن ،استحكامات صخريه وحواجز. بقية الانصار كانــوا على القمــم . بعد صلاة المغرب بدأوا ضرب طبولهم (نحاس ونقاره) بعنف شديد .... رب... آ دب...دب .انهم يعملون كخلايا النحل .

نيران الليلة المرعبة

ما كاد الانجليز يرسلون الى خارج الزريبة ديدباناتهم وقوات سوارى للمراقبة، حتى بدأت ملحمة النيران .

الجبل المقابل على ميمنة الزريبه، بدأ يطلق نيرانا كثيفة على الزريبه من خلف السواتر . النيران كانت عنيفة على الديدبانات والسوارى فى ميمنة الزريبة . قتل واحد(١) وجرح آخر، هربوا الى داخل الزريبة. جرح قائد جمال فى الداخل (٢) .

اصدر القائد الانجليزى امرا باطلاق دانات الشظايا من مدافعه عيار سبعة ارطال. اطلقت عدة دانات، ولكن لم تظهر اى تاثير .اوقفت وذهب جنود طواقمها للنوم.

الجو بارد .وكثير من الجنود الانجليز والضباط الارستقراط خلف الجمال التى تفوح منها رائحة (الفنيك) الذى وضع على جروحها .الروائح النتنة الحمضيه تخرج من ملابس الجنود ــ القمل المزعج الذى يجعل الانجليزى يحك رأسه ومربط سراويله فى وقت واحد الى ان ينزف دمه . وبال آخر ، ان سوء الحالة النفسيه واكل اللحوم المعلبة التى نصفها من الشحم .فى جو مدارى .اصاب الجنود بمرض المصران الكبير . انتفخت بطونهم وصاروا ينفثون من داخل اجسادهم روائح التخمر الداخلى الكريه (٣).

وهؤلاء الشياطين السمر بطبولهم المزعجه ورصاصهم القاتل جعل النوم احدى المستحيلات .

الجمال تشكل ساترا جيدا لهؤلاء الجنود . الجمل بعد اصابته بالرصاص يهتز، ثم تندفع الدماء من جسده لتملأ الجنود الذين يرقدون الى جواره . عندما تخرج كميات وافرة من دمه ،يبدأ عنقه فى السقوط حتى يصل الى الارض .

---

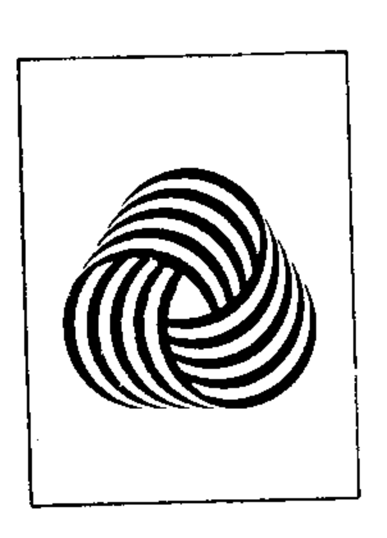
١ – كرامة انجلترا ص ١٩٠ .

٢ – مع طابور الصحراء ص ١٢٢ – ماك ونالد ص ٢٢٣ .

٣ – كرامة انجلترا ص ١٩١

عندما وصلت قوات الراية الخضراء المحمولة بقائدها الأمير موسى الحلو ، توقف النحاس قليلا للاستقبال الكبير ، ولكن بعد ذلك احتفلوا بسلامة الوصول ، بزيادة الضرب على الطبول وعلى الزريبة .

اشارتان خاطئتان بالهجوم على الزريبة .واحدة صدرت من ديدبان فى داخل الزريبة فاعطى اشارة خاطئة بان الانصار قد بداوا هجوما، والثانية عند ما نام جندى وحلم بأن الهجوم قد بدأ . (١)



١ - جوليات سيمونز ص ١٩٠

القوات السودانية صباح ١٧ يناير ١٨٨٥

الرجـــال

عند ما اصبح صباح السبت السابع عشر من يناير عام ١٨٨٥ ، كانت قوة الجعليين في ابى طليح قد زادتها قوة الراية الخضراء بثلاثة الاف رجل ، فاصبح مجمل القوة حوالى الخمسة الاف .

الجعليون الذين احتلوا الابار اولا فى الثانى عشر من الشهر كانوا فى موقف لايحسدون عليه . فالامير محمد الخير لم يكن فى موقف لدعمهم بقوات اكثر ، لان جانب بربر كان مهددا .ثم الجعليون فى المتمه وشندى كان عليهم ان يقيمـــوا دفاعات في المتمة خوفا من هجوم تقوم به قوات محمد نصحى باشا وخشم الموس بك ، التى ملكت النهر هناك . لذلك قام الحاج على ود سعد بتجنيد الشيوخ الضالعين في السن(١) ، والمعوقين اصحاب الساق الواحده (٢) ، والاطفال . (٣)

الأســلحة

حوالى الف بندقية رمنقتون .

سيوف وحراب طويلة واخرى قصيرة وفؤوس وبلط . عدد من الرجال يحمل فقط عصيا معقوفة اليد (٤) .

١+٢+٣ – متاخر جدا على غردون والخرطوم (١٨٨٧) ص ٢٥٠ .

٤ – نفس المصدر ص ٢٥١ .

الملابس

رجال الراية الخضراء الذين اتوا مع الامير موسى كانوا يلبسون جبب الانصار المرقعة وعليها سراويل مثلها ، كلها من الدمور السوداني .قوات الجعليين كانت تلبس تشكيلة ملابس مختلفه ،تجتمع كلها في لون واحد هو الابيض .بعضهم كان يلبس سراويل عليها ثوب (قطعة قماش طويلة) ، واخرون يلبسون قطع قماش غير محاكة وقد ربطت في الوسط .

القـــادة

الامير موسى محمد الحلو : قائد عام ، وقائد المحور الاوسط الذى يتكون مـــن جميع قوات كنانه ، يساعده الاميران ابراهيم عجب الفيه والبشير عجب الفيه .

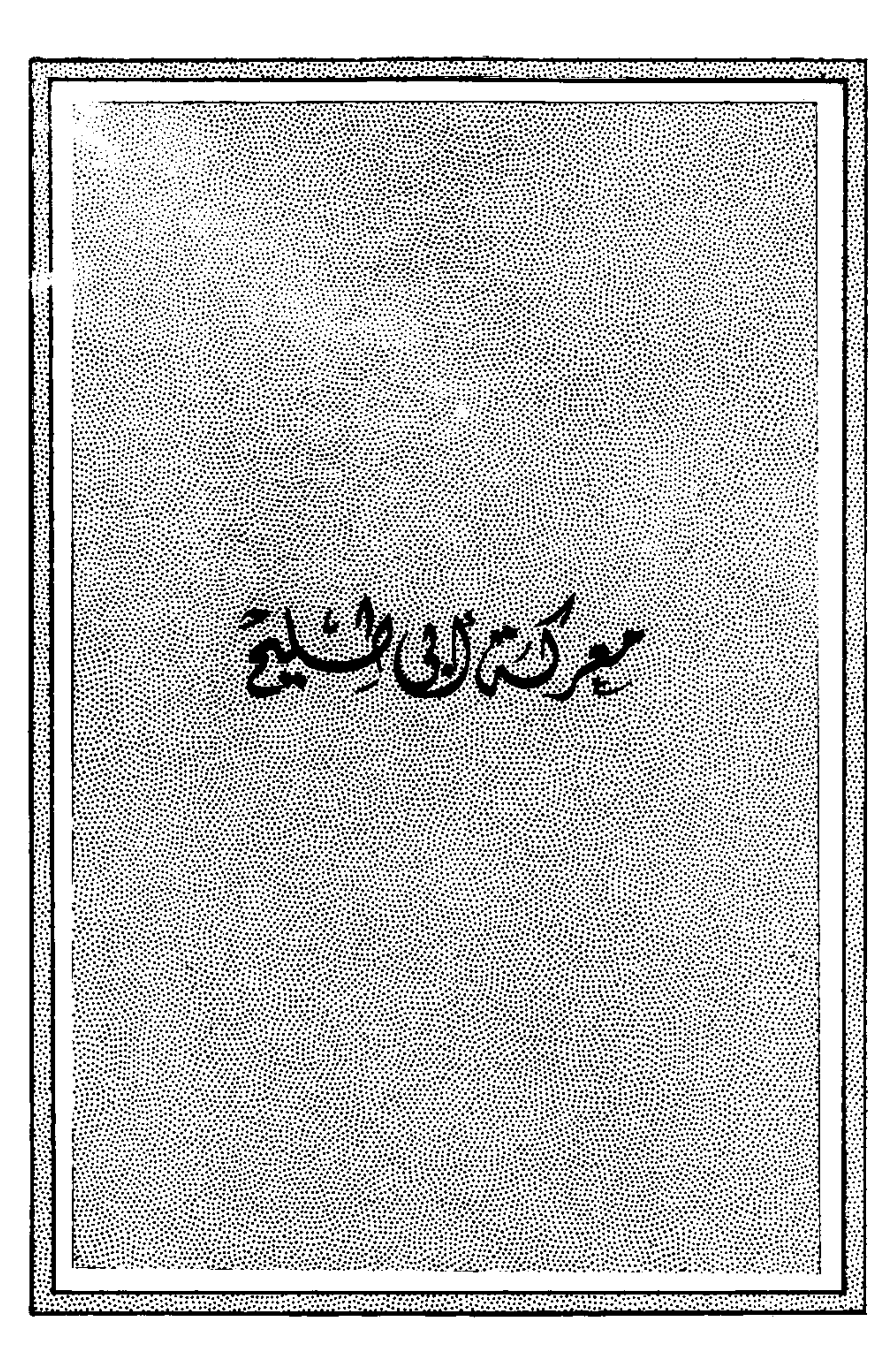
الامير عبد الماجد محمد خوجلي : مساعد للقائد ،واثناء الهجوم قاد محور الجعليين .

الامير الحاج علي ود سعد: قائد للسلاح النارى وفرسان المناوشات .

الامير احمد جفون : قاد محور الشنخاب واللحويين ،يساعده الامير عبد الله برجوب.

الامير محمد ود بلال : قاد محور دغيم .




معركة الخليج



الانجليز صباح ١٧ يناير ١٨٨٥ - استيوارت على الحصان فى منتصف الصورة ،أمام رأس حصانه بيرنبى - مدفع القاردنر يسار الصورة - لورد بيرسفود يشير بيده للذين يدفعون المدفع - الكلب جاكى فى المقدمة -

فجر السبت ١٧ يناير ١٨٨٥م

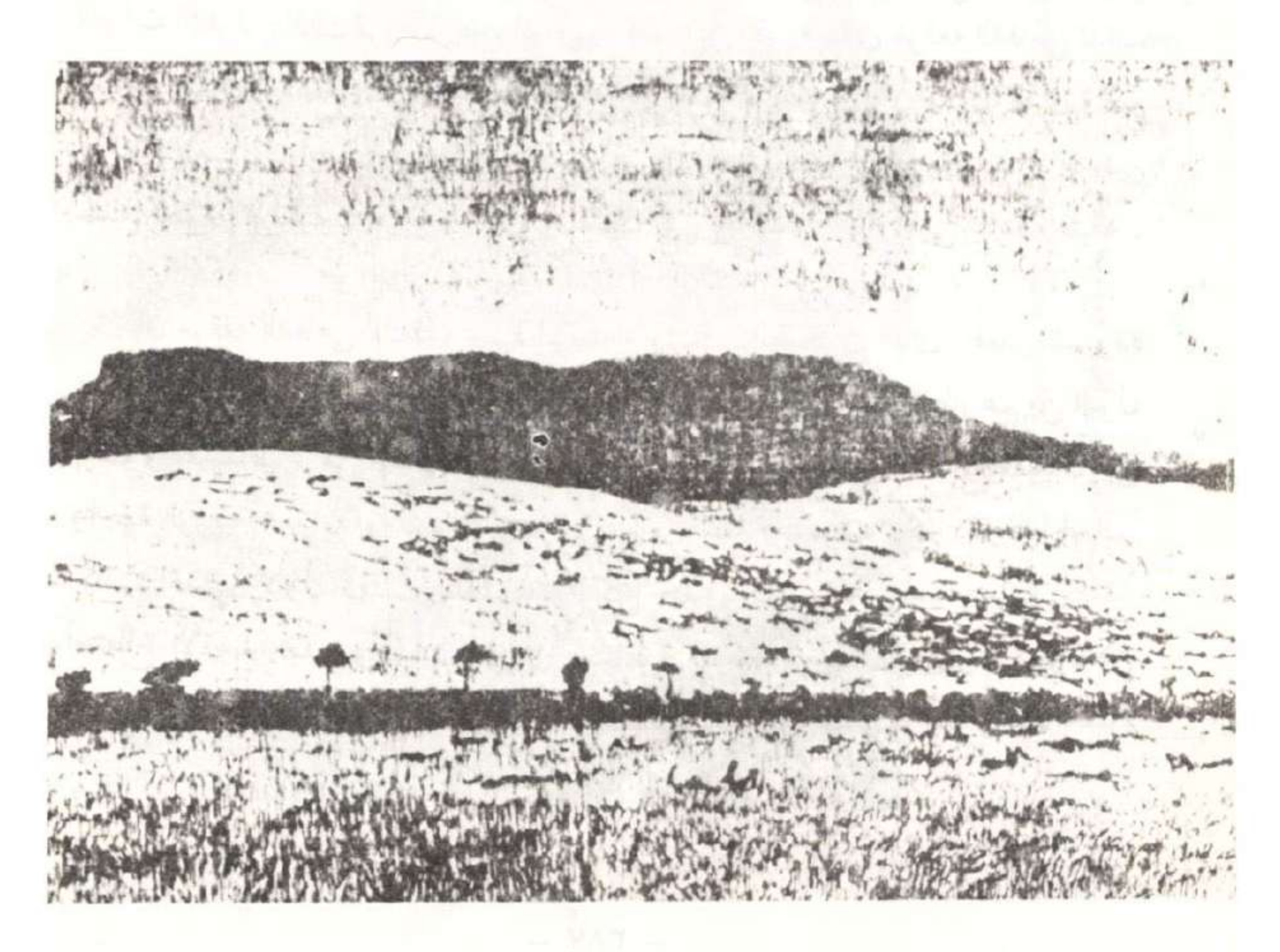
في زريبة الجيش الانجليزى

بعد صلاة الفجر كانت عمليات الضرب بالرصاص التي يوجهها الثوار الى داخل الزريبة اكثر دقه .فما كاد الجنود الانجليز يحاولون الوقوف لشد عضلاتهم التي قلصها البرد والانكماش خوفا من الرصاص ، حتى وجدوا ان الرصاص المنهمر عليهم اصبح اكثر دقة في التصويب ، وان الانصار قد اتخذوا سواتر اقرب لضربهم . شعر قائد الجيش البريطاني بالخطأ الذى ارتكبه بالامس عندما لم يهاجم فورا الفى جعلى نصفهم من العجزة والمسنين والاطفال ،الذين عدد منهم لايحمل غير عصى. اما اليوم فان العدد اكثر .عمليات ضرب الطبول تأتي من القمم ، والرصاص من مقدمة ميمنة الزريبة . شدة الرصاص والطبول اعطت سير هيربرت فكرة خاطئة عن العددية الفعلية للقوات الثائرة ،لذلك قرر الا يتحرك من زريبته ،بل يبقى فيها في موقعه الدفاعي تدعمه مدافع الميدان ومدفع القاردنر الذى وضعه على التل البيضاوى . (المكان الذى وضع به ليلة الامس) . ايضا فان بنادقه المارتيني هنرى تتميز كثيرا عن الرمنقتون ، حتى عندما تكون الرمنقتون جديدة ،اما الرمنقتون التي في ايدى الثوار فهي بنادق عتيقه .

ان موقفه الدفاعى سيعطية ميزة الاسلحه والساتر الصخرى الذى اقعد جنوده خلفه ، ويبلغ ارتفاعه ستين سنتمترا وشكل حائط الزريبة . اكلوا افطارهم من البول بيف والبقسماط ، من مخاليهم التي يعلقونها على احزمتهم .قسمت مدافع الميدان على واجهة الزريبة . نيران قوات الامير الحاج على ود سعد استمرت اكثر دقة . الجمال كانت الهدف الاول ،قتلت بالعشرات .كل جندى كان يرفع رأسه يصاب ،فقد استطاع الانصار تقديم وحدات منهم الى مسافة قريبة من الزريبة .ميجور دكسون من سلاح المخابرات (وهو واحد من ثلاثة متخصصين في الحرب البيلوجيه وكان من



زريبة الانجليز بأبى طليح يومى ١٦ وصبيحة ١٧



معترك أبى طليح

المقرر ان يذهب مع صاحبيه إلى الخرطوم) اصيب بطلق نارى في ساقه ، فجعل يتزف بشدة . ميجور (سندر لاند) ضرب في الساقين والطبيب لا يستطيع عمل شيء له .. نزف حتى مات.طلقة اخرى اصابت ميجور (قوف) وهو قائد لواء (مشاه الهجانه) ويتبع اصلا للواء السوارى السابع عشر . الطلقه التى اصابت (قوف) اصابته في فكه ففقد وعيه سريعا .ليوتنانت (لايال) من سلاح المدفعية ، اصيب في ظهره ، فاخترق المقذوف رئتيه .مدفع القاردنر اصبح في موقع حرج ،حيث الانصار يطلقون عليه النار ، وطاقمه لا يرى رجالا لضربهم .

قرر سير هيربرت اعادتهم الى الزريبة بمدفعهم السريع الطلقات .نائب قائد الطابور (بيرنبي) ركب جوادا . انه الضابط الضخم الجثه ،الثقيل الدم، المتوحش الماكر ،في رأى السياسى البريطانى (بلنت) ،(١) اصيب حصانه فمات من الرصاص او من ثقله عليه او من الاثنين معاً .

. اتموا افطارهم باللحم وشحمه ، والخبز الجاف . انهم يريدون ماء.المياه المحمولة على الجمال كانت قليلة وتركت للجرحى الذين ازدادت اعدادهم . الاموات الذين بلغوا خمسة عشر ،وضعوا خارج الزريبه (٢) .

كل ميت يغطونه ببطانية . انتظر سير هيربرت حتى قاربت الساعة التاسعة صباحا ، ولكن الانصار الذين عرفوا ما يرمى اليه ، لم يتقدموا للهجوم عليه ، واكتفوا بطلقات القناصة ، التى لو استمرت فانها عاجلا أو آجلا ستقضى على كل جمال الطابور ، وعدد ضخم من جنوده . اذا لم يقبل سير هيربرت بذلك ، فعليه ان يخرج من قوقعته.

الساعة الثامنة والنصف

حاولت الخيالة السودانية الالتفاف حول ميسرة الزريبة ، ولكن سير هيربرت

١ – غردون الخرطوم ، بلنت (١٩١١) ص ٢٣٢ .

٢ – جوليان سيمونز ص ١٩٢ .

ثلاثة مدافع ميدان



هيئـــة المربع الانجليزى عندما

غادر الزريبه فى الساعة العاشرة

صباح ١٧ يناير ١٨٨٥

استيوارت امر السوارى بقيادة « كولونيل بارو » بالتحرك في ذلك الاتجاه ، دون الهجوم على جيش الانصار . تأخر اعداد السوارى نصف ساعة بسبب النيران الساقطة عليهم . عندما خرجوا كانت الساعة التاسعة ، فساروا في خط منحرف يساراً ، ووصلوا حتى تلال حصوية مستديرة تحت الهضبة التى تشكل خط الافق . من هناك تمكنوا من رؤية خيالة الأنصار .

الساعة التاسعة

اجتمع مجلس قيادة الطابور برئاسة سير هيربرت استيوارت وقرر ان البقاء في الزريبة يعنى نهاية الطابور بالرصاص والعطش، وعليه تم القرار بتكوين مربع والتقدم نحو الآبار .

قبل أى أوامر بتشكيل الطابور ، ظهرت خيالة للثوار متجهة نحو ميمنة الزريبة. فصدرت أوامر القائد باطلاق قذيفتين عليهم . قائد طاقم المدفع الذى اطلق القذيفتين ، كان كابتن نورتون . وقعت الدانتان قريباً جداً من الخيالة ، فقفلوا راجعين .

تشكيل المربع

النيران كثيفة وقاتلة ، كما ان السودانيين يتخيرون من يطلقون عليه النار . الجمال والخيول والضباط ... وقد تعرض سير هيربرت للرصاص عدة مرات ، ولكن حالفه الحظ في النجاة .

في هذا الجو ، شكل القائد مربعا وضع مدافع الميدان الثلاثة في وسط المقدمة ، ومدفع القاردنر في وسط المؤخرة . جنبات المربع كانت تتكون من القوات الآتية :—
المقدمة : قوات لواء السكوتز ، الكولد ستريم وجزء من قوات المشاة الراكبة ، بالإضافة إلى المدفعية في النصف .

المؤخرة : جزء من السكس ، والفرقة الأولى والثانية من « القاردز بلوز » ، قوات الأسطول ، الفرقة الرابعة والخامسة من لواء « القاردز » .

الميمنة : جزء من السكس ، البحرية « والقريناديرز » .

الميسره : جزء من المشاه الراكبه ، الرماحه ٥ ، والرماحه ١٦ (مترجله)، « والرويال سكوتز قريز ».

داخل المربع : جمال الذخيرة ، جمال حمل الجرحى المزودة بسروج تحمل نقالتين لجريحين ، وفوق كل جريح شمسية ، وأخيراً جمال حمل المياه . العدد الكلى للجمال بداخل المربع ثمانمائة واربعون جملا ، يقودها العدنيون والصوماليون .

ما هو المربع الانجليزى ؟

المربع الانجليزى الذى تميز الانجليز باستعماله خلال جزء كبير من القرن التاسع عشر ، كان حقا في شكل مربع ، وهو يسمى في احيان اخرى بالقلعه . الجنود يصطفون فى هذا الشكل المتساوى الاضلاع في ثلاثة صفوف في اكثر الاحيان ، كل صف داخل الصف الذى قبله. مراكزهم في المربع ستكون بالتحام شديد حتى لاتبين ثغرة بينهم .الجميع يحمل البنادق المشرعة السناكى . المدافع توضع في اماكن متعددة من المربع . في بعض الحالات في المقدمه ، وفي حالات كثيره في الزوايا .

ان المربع تشكيل دفاعى متحرك، وله ميزة انه يستطيع الدفاع عن نفسه في الاتجاهات الاربعة بنيران مكثفة . هذه النيران الكثيفه سيكون تاثيرها ماحقا على قوات لا تملك نيرانا ، اوتملك نيراناً ضعيفة . وقد رأى الانجليز ان استعماله في السودان عمل مناسب جدا ،حيث تتوفر لـه كل اسباب النجاح .

هناك عمل مهم يجب ان يقوم به القائد خلال تحركه ،وهو التاكد من تماسك خطوط المربع ، وهذا ما يجعله بطيئا في حركته. يزيد من ثقل حركته وجود الجمال بداخله. في اوربا بالطبع ستكون بداخله البغال وهى تسبب له نفس العجز في الحركه .

المربع الانجليزى في حروب السودان

لم يكن في جيش صاحبة الجلالة البريطانية فكتوريا ، مـن يشك في فعـالية مربعهم ،واستحالة اختراقه ، الا بعد الثالث عشر من مارس ١٨٨٤ .ففى ذاك اليوم الذى يتذكره الضباط الانجليز جيدا ،استطاع قائد من الفظى وظى (الهدندوه) يدعى الامير عثمان ابوبكر دقنه ،ان يخترق مربعهم في وقعة التمنيب ، كما يخترق المتسابق مضمار المائة يارده .ولكن الشك ظل دائما يراودهم في كيفية هذا الاختراق .

ان اختراق المربع يصيبه بدمار كامل .خطة الامير عثمان دقنه كانت مبنية على مراقبة المربع اثناء تحركه ، واختيار اقرب نقطة اليه حتى لا يفقد جنوده في المسافه الحـرام التـى تفصـل بـين مـوقع بـداية الهجـوم ومـوقع الوصـول اليه . ثم انه ينتظر لحظة الخطأ في تلك التركيبه البشريه الناريه . ان الخطأ دائما وارد، وقد يحدث اثناء سير المربع وخصوصا في الاراضى الوعره .عندما يحدث هذا الخلل فان امير الشرق لن يحتاج لا كثر من ثوان قليله ليكون داخلهم .

حراسة الزريبة

قبل خروج المربع من الزريبه ، امر القائد مائتى شخص من الرويال سسكس والمشاة الراكبه وقليل من الوحدات الاخرى ،بقيادة ميجور (جم) بحراسة الزريبه .

المهندسون تركوا في حراسة اعمال الاستحكام في مقدمة ميمنة الزريبه ومعهم اداريو التعيينات. ايضا ترك بعض رجال المشاة الراكبة لحراسة المستشفى .

تحـــرك المربع

في تمام العاشرة بدأ المربع في التحرك بطريقة سير العروس السودانيه. الجو درجة حرارته ثلاثون درجة مئوية ، الهواء متوقف تماما عن الحركه، وهناك غبار عالق بالهواء يخفي الشـمس . ان المربع لم يتخذ الطريق المطروق الى ابار ابى طليح ، فقد رأى القائد ان الانصار قد اقاموا استحكامات صخريه ، ويريدون اغراءه بالدخول بجانب الوادى ، حيث وضعت في نهايته فرقة تضرب الطبول بعنف .

تحرك المربع في اتجاه الابار ، ولكن على مبعدة من الطريق المطروق . الارض صخريه . ولكنها افضل من المرور امام استحكامات وراءها قوات سودانية مستعدة للضـــرب .

خطة الأمير الحاج على ود سعد

ان تخطيط الامير الحاج على ود سعد ، هو ان يحارب في ارض من اختياره عندما يتقدم الانجليز الى الابار . فقد بنى استحكامات حجرية في ارض غير مستويه بهـــا عدة تلال ، وتبعد مائة وخمسين مترا يسار الطريق الذى يسير محاذيا لوادى ابى طليح الرملى الجاف في ذلك الوقت من العام ، والذى تحيط بجانبيه الاشجار وكميات كثيرة من حشائش الثمـــام العاليه الجافه الصفراء . خلف الحشائش والاشجار اراد وضع قوات الهجوم بالسلاح الابيض (١) .

يقول كتاب جهاد في سبيل الله) ناقلا قول الامير الحاج على ود سعد عن خطته(٢) : (انه اخذ يجوب المنطقه بحصانه ليختار بقعة مناسبة لترتيب جيشه ،فوجد أمام جيشه واديا منخفضا ، فامر اصحاب السلاح الابيض ان ينتظروا في مكانهم خلف ذلك الوادى، ويدقوا النحاس اشعارا للعدو ان جميع القوة مخيمة في ذلك المكان ، حتى

١ – الكس ماكدونالد ص ٢٣٤ .

٢ – جهاد فى سبيل الله ص ٧٣

اتت جيوش الانجليز تريد هذا الجيش المخيم في الهضبه ، باغتهم اصحاب السلاح الناری الكامنين في الوادی) ونهاية القول : ان الامير موسى رفض هذه الفكرة التی كان قد اجازها القائد العام هناك بالامس ، عبد الماجد محمد خوجلی ، وقال له الامير موسى بحزم (اننا اصحاب المهدی ، وقد بايعنا المهدی وودعناه ، ومقابلتنا له في الدار الاخرة فلا حاجه لنا بالمراصد) (١) .

ان الامير موسى ، في الحقيقه ، لم يدخل المعركه بدون خطه ، فقد دخلها بخطة اكثر واقعية من خطة الامير الحاج علی ود سعد . فخطة الامير الحاج علی كانت مبنية اساسا على ان الجيش الانجليزی سيدخل الى الابار عن طريق القوافل . وماذا إن لم يطرق هذا الطريق ؟ ثم كيف يطرق مسلكا يرى فيه استحكامات صخرية ظاهـــرة للعيان على مسافة بعيده ؟ ثم قبل هذا وبعده ، ان الجيش الانجليزی ، قبـــل ان يشق طريقه سيقوم بالاستكشاف بواسطة السواری ، وربمـــا يتعرض هـــؤلاء للكمين ، لا المربع . ان الكمين من اهم مقوماته الا يتوقعه العدو ، وهذة الخطة من اول وهلة عرفها سير هيربرت استيوارت (٢) .

خطة الأمير موسى الحلو

قرر الامير موسى محمد الحلو ان يبقى تحت منحدر صخری على بعد ثلاثمائة ياردة تقريبا من وادی ابی طليح . على ميمنتة وادی صغير عرضه ستة اقدام فقط ، وعمقه بين ثلاثة واربعة اقدام ، ويستطيع السير فيه اذا حدث وقدم الانجليز بطريق القوافل .

عندها سيلتقی بالانجليز عند نقطة التقاء هذا الوادی الصغير بوادی ابی طليح الكبير.

اذا حدث وقدم الانجليز محاذين للتـــلال الصخـــريه ، التی تشكـــل حدود المدخل اليمنی ، فانه سيكون على بعد ثمانمائة ياردة من الانجليز . مسافة طويلـــة

١ – جهاد في سبيل الله ص ٧٣

٢ – اليكس ماك دونالد ص ٢٣٤

لحملة اسلحة بيضاء يقطعـــونهـــا بأرض مكشوفه تقريبا ، في مواجهة قوة مسلحة بثلاثه مدافع ميدان ومدفع فاردنر وبنادق مارتيني هنرى .ولكن كمـــا سنرى ،فان الامير استغل خطأ تكتيكيا للوصول الى المربع . (١)

نقطة اخرى هى انه يجب ان يهاجم الانجليز في المنطقة المواجهة له مباشـــرة ، وذلك لسببين الاول هو ان الخط المستقيـــم اقرب الخطوط الى المربع ، والثانى ان المربع اذا تعدى تلك المنطقه سيكون في موقف جيد لضرب الثائرين بمدفعيته .

الاحتمالات الأخرى لخطط بديلة

كانت هناك عدة احتمالات لعدة خطط غير ما اتى به الامير موسى والامير الحاج على ،ولكنها كلها تظهر ضعفها عندما تأخذ في الاعتبار التسليح الفعلى الذى كان عليه الثوار بالمقارنه بالسلاح الذى كان لدى الانجليز ، بالاضافه الى الوضع الجغرافى للمنطقة التى اختاروها للقتال .

أعمال لا إنسانية لم يفعلها الانصار وفعلها الانجليز

ابسط الاعمال التى كان من الممكن فعلها قفل ابار ابى طليح ،والاستمرار في مناوشة الجيش الانجليزى لتأخيره اطول مده بتلك الصحراء ،مع الاستمرار في خطة قتل الجمال. هذه الخطة ليست جديدة على الثوار ، وخصوصا الامير موسى الحلو الذى رأى الثوار يقومون بها امام جيش هكس ، ولكن هنا يجب ان نتذكر ان قفل الابار الذى قام بـــه الثوار امام هكس ، كان يختلف تماما عن قفل الابـــار في ابى طليـــح . ان الابـــار التى دفنـــت امـــام هكس ، انما قفلت في طريقه فقط بعد اخلاء السكان من المنطقة التى مر بها هكس ،اما بقية المناطق فلم تقفل ابارها ، وقد استطاع العرب العليمون بالمنطقه، من اخذ احتياجاتهم من الابار التى يعرفونها تماما وتبعد عن منطقة سير جيش هكس .اما في ابى طليح فقفل الابار قد لايعنى قتل جميع الانجليز ، لان النيل على بعد

١ — الكس مافرونالد ص ٢٣٥ .

سبعة وعشرين ميلا ،ولكن الضرر الذى سيصيب عرب المنطقة وبهائمها وتجار هذا الخط التجارى بين دنقلا والخرطوم سيكون كبيرا . ان الابار لو دفنت فلا يمكن اعادة المياه اليها قبل سبعة اشهر او ثمانيه ، لو حدث ان صبت امطار كافيه . ان قبيلتى الحسانيه والسوراب ستتعرضان لخطر عظيم . ان الاميرموسى الذى عرف جيدا اهمية قفـل الابار امام الاعداء ، لم يقفل بئرا واحدة في ابى طليح ،لمعرفته بخطر ذلك على الامة السودانية والتجارة بين دنقلا والخرطوم . ان الانجليز ، عند هربهم امام امير الامراء عبدالرحمن النجومى ردموا الابار .

مراحل خطة الثوار وواجباتها

١ ــ **القوة الأولى:** تستمر جماعة الطبول في الضرب بعنف وهم في عمق وادى ابى طليح دون توقف لايهام الانجليز ان الثوار هناك .

٢ ــ **القوة الثانية:** قوة الامير الحاج على ود سعد : تستمر هذه القوة في العمل الذى بدأته منذ ليلة امس ، في اصلاء الزريبة والقوات البريطانية ،قبل الهجوم عليها ، نارا حامية دون توقف لقتل الجمال والرجال . ان هذه القوه تتكون من فرسان ومشاة حملة بنادق رمنقتون .كان يقود هذه القوه حتى الصباح الحاج على ود سعد ،ولكنه بعد ان بدأ المربع في التحرك ، تركها لتتم واجباتها وذهب للاشتراك مع الامير عبد الماجد محمد خوجلى .انها قوة جميع من بها من الجعليين.

٣ــ **القوة الثالثة :** انها قوة جعليين ايضا بقيادة الامير الصديق الحاج على الجعلى الكبوشابى . على هذه القوه التى تتكون ايضا من المشاة والفرسان حملة بنادق الرمنقتون ، انتبدأ عملها بعد تحرك القوات البريطانية من زريبتها واتجاهها نحو الابار .عليها ان تقوم باعمال القنص والمناوشة المستمرة .

يتوقف عمل هذه المجموعه عند تطور الهجوم على الانجليز . ايضا على هــذه المجموعه مراقبة السوازى ومنعها من القيام بعملية تطويق للثوار . بعد بداية تحــرك

المربع الانجليزى قامت هذه القوة بمراقبة السوارى والمشاة الراكبة بكفاءة عاليه .

٤ ـ **القوة الرابعة :** تتكون من خمسة ،محاور هجوم اقتحامى مباشر ، يشترك فيه الفرسان وحملة السلاح الابيض، وتكون مختبئه فى المنحدر الصخرى والوادى الذى الى يمينه ويصب في وادى ابى طليح

قادة المحاور

المحور الرئيسى :يكون في الوسط ويقوده الامير موسى محمد الحلو ،ويساعده الاميران ابراهيم عجب الفيه والبشير عجب الفيه. القوات من كنانه .

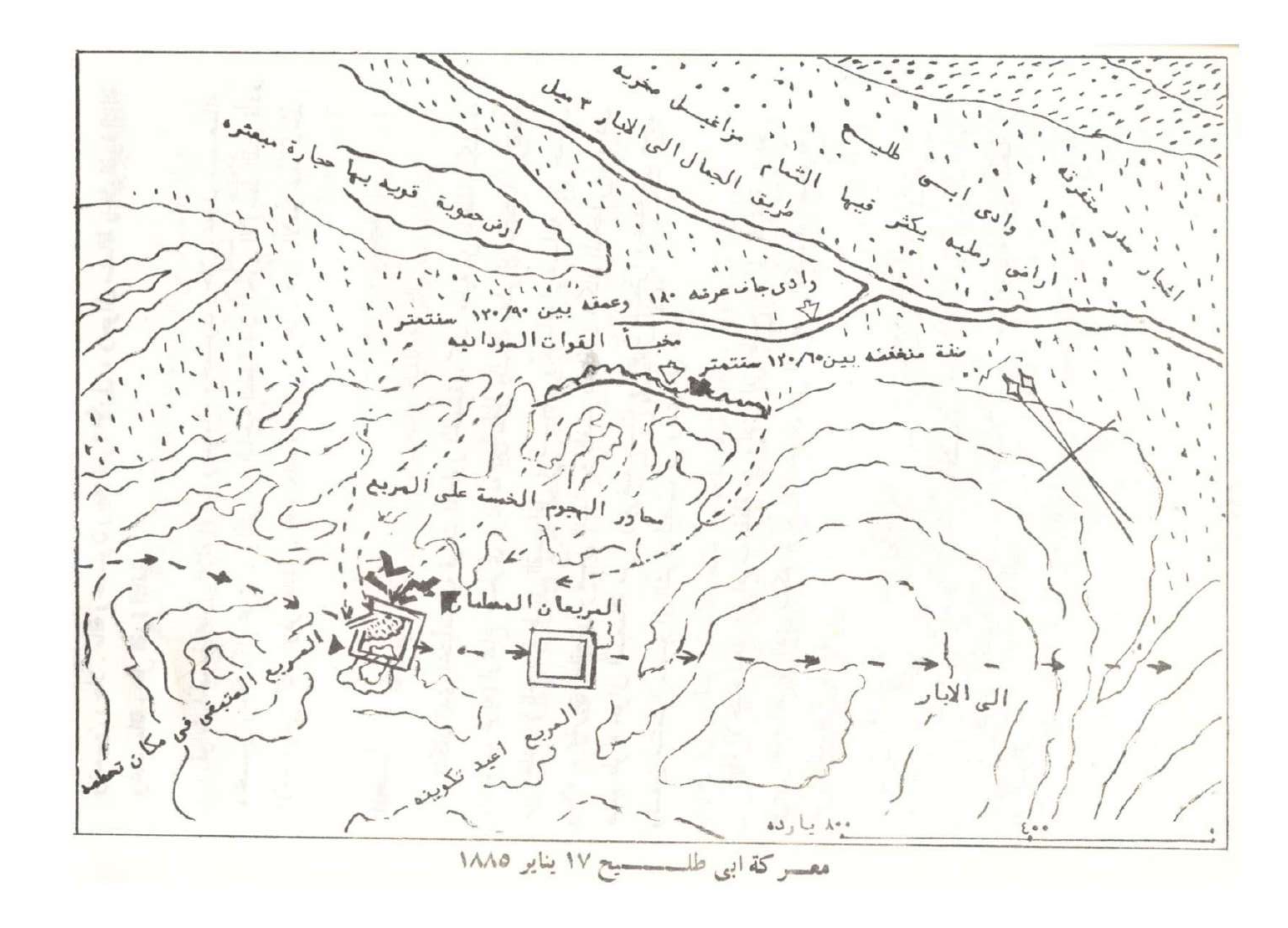
المحور الثاني هو المحور الذى يقع يمين محور الامير موسى. يقود هذا المحور الامير محمد ود بلال ،وقواته من دغيم .

المحور الثالث : يقع على نهاية يمين الامير موسى. يقود المحور الامير عبد الماجد محمد خوجلي ويساعده قائد القوات الناريه الامير الحاج على ود سعد ،بعد ان يكون قدترك قواته من الفرسان والمشاة حملة البنادق يتمون واجباتهم وحدهم . هذه القوات جعليه.
المحور الرابع : يقع يســـار الاميرموســـى ،ويقوده الاميرعبدالله برجوب ، وقواته من اللحويين

المحور الخامس: يقع اقصى يسار الامير موسى ، ويقوده الامير احمد جفون وقواته من الشنخاب .

القدرة العددية للقوى :

القوة الاولى (رجال الطبول) والثانيه (قوات ضرب الزريبه) والقوة الـــثالثة (قوات مناوشة الانجليز بعد خروجهم من الزريبه) تتكون من حوالى الف ومـــائتين



معركة ابى طليح ١٧ يناير ١٨٨٥

وخمسين رجلا . مائة وخمسون رجلا القوة الأولى ، وحوالى ستمائة رجل القوة الثالثة وخمسمائة رجل القوة الثانية .

قوات الخمسة محاور ثلاثة الاف وسبعمائه وخمسون رجلا ،بمعدل سبعمائة وخمسين رجلا لكل محور ، ولكن من الناحية الفعلية فان المحور الاوسط الذى قاده الامير موسى كان اوفر عددا . جاء بعده في كثرة الرجال محور الامير عبد الماجد .

المخبــأ

المكان الذى اختبأت فيه قوات المحاور الخمسة ،كان يغطيه من المنطقة المكشوفة (جنوب غربه) ارتفاع صخرى ارتفاعه بين ستين ومـائة وعشرين سنتمترا .وتغطيه من الخلف (ناحيـة طريق القـوافل) اشـجار وثمـام ارتفـاعه بين خمسين ومائة وعشرين سنتمترا . مـن النـاحية الغـربية لذلك المكان المنخفض ، وادى صغير طوله حوالى السبعمائة متر ، وعرضه مـائة وثمانون سنتمترا وعمقه بين ستين وتسعين سنتمترا ، يسير الى الشرق ليصب فى وادى ابي طليح .

نقطة الاختباء تبعد عن اقرب نقطة من وادى ابى طليح بحوالى ثلاثمائة ياردة . اما من ناحية الطريق الذى سلكه المربع الانجليزى على الارض المكشوفه الصخريه ، فحوالى الثمانمائة ياردة .

المسافتان كبيرتان للقيام بهجوم على قوة مسلحة حتى اسنانها ،ولـكن المسافة بين المخبأ وطريق القوافل . تغطيها الاشجار والعشب ويساعد الوادى على الاختباء اثناء التحرك اما الطريق المكشوف ،الذى سلكه فعـلا المربع ،فالمسافة بينه وبين المخبأ قليلة السواتر.

الخطة البريطانية :

١ . ترك الاحمال في الزريبة ومعها الجمال الرئيسية بحراسة قوه .

٢ . التقدم في شكل مربع بداخله جمال للمياه والذخيرة والمستشفى ،وحوله السوارى والمشاة الراكبة للاستطلاع والمناوشه .

٣ . احتلال ابار ابى طليح.

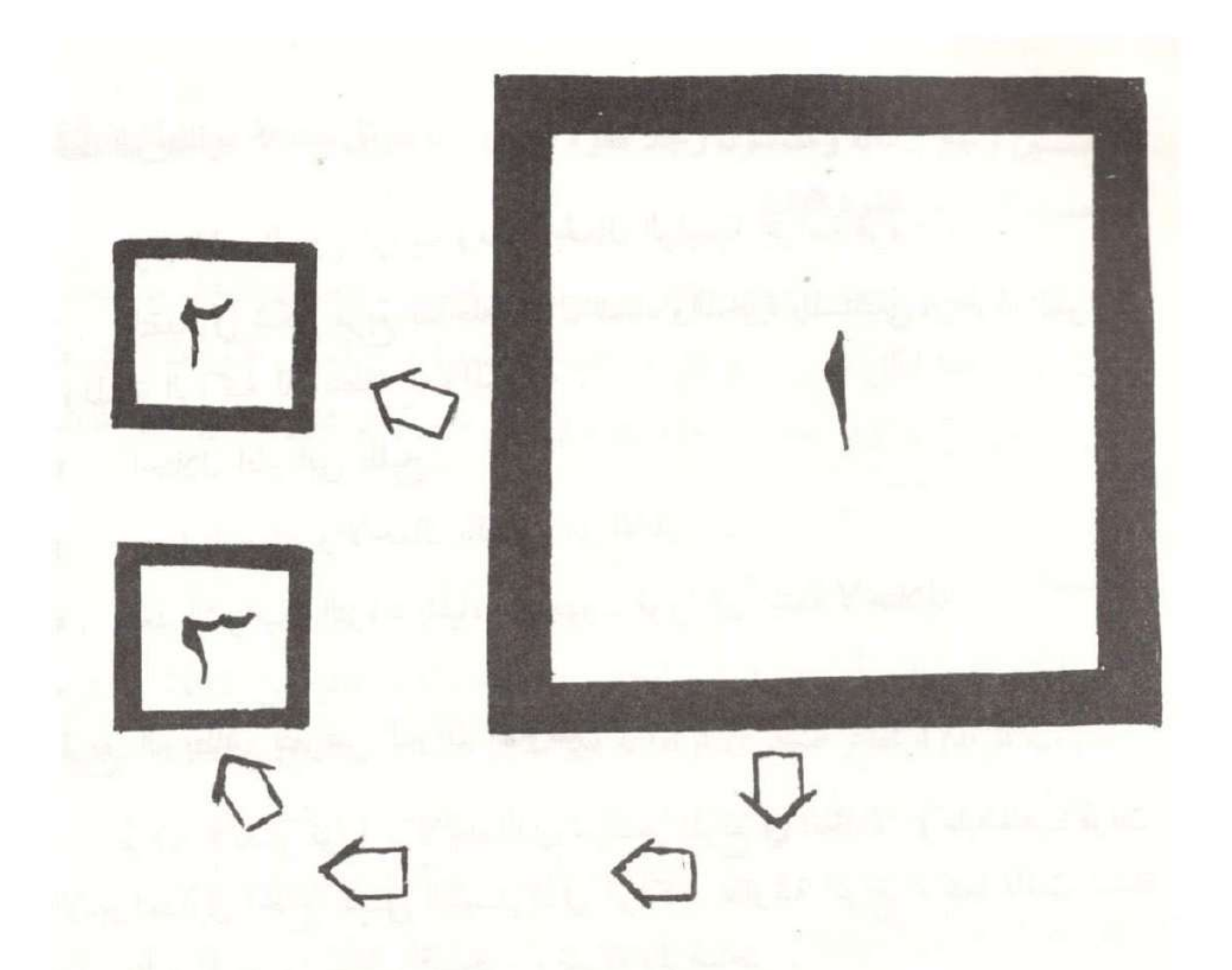
٤ . يرسل للجمال والاحمال بالقدوم الى الابار .

٥ . بعد الشراب والتزود بالمياه ،يتجهون فورا الى المتمة لاحتلالها .

المربع البريطاني يتعرض لنيران المناوشين

عرف الانصار فورا ، الاتجاه الذى سيستمر المربع في اتخاذه . وعليه قامت قوات الامير الصديق الحاج علـى الكبـوشابي الراكبة بمناوشة المربع ،كما قامت المشاة منهم بتتبع المربع من خلف الصخور وضربه بالرصاص .

التصويب كان دقيقا ،اذهل المربع المتقدم . سقط الانجليز يمنة ويسره .ضرب لورد سنت فنسنت –نائب قائد لواء الهجانه الثقيل ،. توقف المربع وامر سير هيربرت استيوارت المناوشين من قواته (السوارى والمشاة الراكبة) بابعاد الفرسان السودانيين من المربع ،وامر المدفعية بضرب القناصة بدانات السبعة ارطال. فى هذه اللحظة ضرب احد المناوشين الانجليز ،فخرج دكتور ماجيل لكى يسعفه . ضرب الجراح فى ساقه وبصعوبة اخذ الرجلان الى داخل المربع .سار المربع ولكن كان يتوقف كل لحظة واخرى لاصلاح صفوفه .الارض وعره ولا تسمح بسرعة اكبرلمربع متردد .ايضا الوقوف كان مهما لحمل الجرحى ووضعهم على حمالات الجمال،واصلاح اتجاهات المدافع الجبليه التى كانوا يدفعونها فى هـذه الارض التى لا تصلح لدفع عجلاتها .



انقسام المربع الانجليزى

عندما بدأت محاور الامير موسى فى التحرك انفطر المربع الانجليزى الى ثلاثة مربعات

١ـ بقيادة سير هيربرت استيوارت ٠

٢ بقيادة لورد بيرسفورد ومعه مدفع القاردنر

٣ـ بقيادة كولونيل بيرنبى ٠

كامبل يريد راية !!

في تلك اللحظات التي نجحت فيها قوات المشاة الراكبة والسوارى في طرد فرسان الثوار بمساعدة قذائف مدفعية الميدان ، رأى كابتن (نقيب) كامبل – الذى يتبع اصلا للـواء الفرسان الملكى الستين ، وحضر مع طابور الصحراء تابعاً للسرية (س) بلواء المشاة الراكبة – رأى مائة راية خضراء وبيضاء على المنخفض الصخرى ، أى على بعد ثمانمائة ياردة من المربع . أحد الضباط الذين اشتركوا في حـرب سواكـن قال بكل ثقة : انها رايات قبـور .

كابتن كامبل الذى كان خارج المربـع مع المشاة الراكبة قال : انه يريد رايـة منها ! ارسل جندياً لكى يستأذن له القائد لكى يسمح له بالذهاب ، ولكنه لم ينتظر رد قائده ، وانما توجه وخلفه سريته في اتجاه الوادى لاحضار الراية . تقدم ستمائة ياردة ولكنه حينها بدت له مائة راية أخرى تقريباً ، وتختلف عن الاولى فى انها متحركـه . وقبل ان يقرر ، هل لازال يريد راية ام لا ، خرجت القوات التى كانـت مختبئة خلف ضفة الوادى ، مندفعة في اتجاهه . ابدل كامبل اتجاهه مائة وثمانين درجة ، وبدأ الهرب بأقصى سرعة يملكها حصانه وخلفه قواته .

المربع ينقسم إلى ثلاثة مربعات

عندما تحرك الهجوم السوداني ، كان المربع قد ارتفعت صفوفه الامامية في ارض عالية بعض الشيء ، مما كون فتحة صغيرة امام الزاوية اليمنى التى تضم المقدمة مـع الميمنة . وقف المربع لكى تتحرك القوات من الخلف لسد الثغرة . جمال عديدة ناخت على المرتفع ورفضت الحركة .

عند ظهور الثوار في الافق ، هرب بعض قادة الجمال الذين كانوا بالخارج مـع جمال الجرحى ، الى داخـل المربع ، كما خرج منه بعض رجال لواء الهجانـة

الثقيـــل لجـــر تلك الجمال إلى داخل المربع . فتحة صغيرة حدثت في مسيرة المربع بالقرب من زاوية الميسرة مع المؤخرة ، دعت لورد بيرسفورد لكى يشق طريقه إلى القائد سير هيربرت استيوارت ليقول له شيئاً .

لا احد يعرف ما قال اللورد للقائد ، او مافهم القائد من حديث اللورد ولكن رد القائد ، الذى سمعه كثيرون هو « هذا صحيح » .

رجع لورد بيرسفورد ، وامر طاقم مدفع القاردنر — وهم من قوات الاسطول البريطـــاني — بالخروج من ميسرة المـــربع . تبعت لورد بيرسفورد قوات الفـــرقة الرابعة والسكوتز قريز والرويـــالز . كولونيـــل بيرنـــبي ، نائـــب قائـــد الطابور وبدرن اوامر كما يبدو ، اذار الفرقة الثالثة من لواء الهجانة الثقيل ، والرابعة والخامسة من لواء الدراقون قاردز ، واخرج قواتها من المربع من ميسرة المؤخرة ، جاعـــــلا من هذه القوات مربعاً ، خلـــف المربع الذى كونه لورد بيرسفورد بالقوات التى اخرجها هو أولا .

وعليه اصبحت هناك ثلاثة مربعات تشكيلها كالاتي :

المربع الأول :— اصبح المربع يتكون من القوات الاساسية التى كانت به اولا ، ناقصاً ما سحب منها للمربعين الجديدين الصغيرين . قائد المربع سير هيربرت استيوارت .

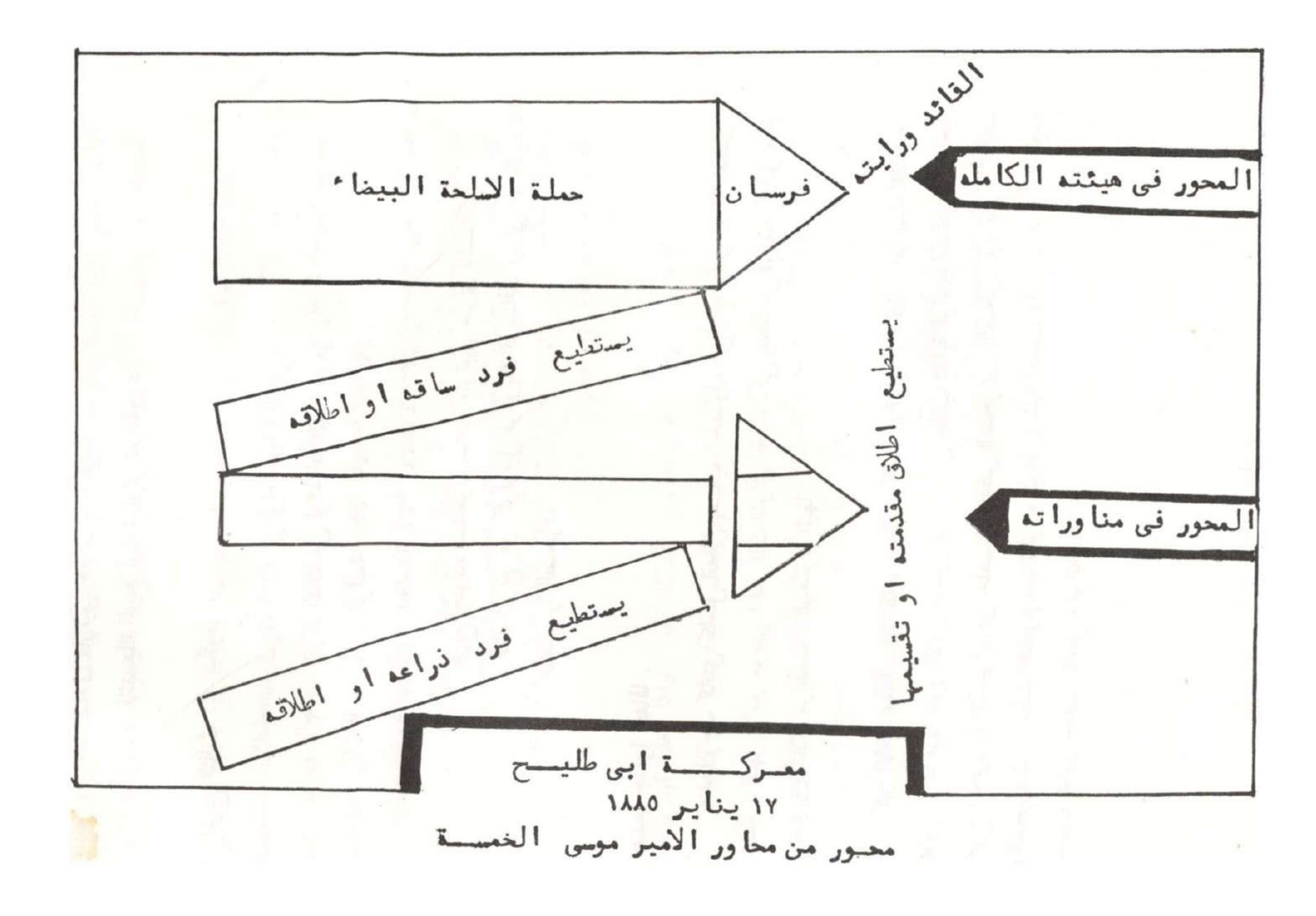
المربع الثاني :— يتكون من :

١ — قوات الاسطول الملكى البريطاني .

٢ — قوات الفرقة الرابعة من قوات لواء القاردز .

٣ — فرقة قوات الاسكوتز قريز .

٤ — فرقة الرويالز .



١٧ يناير ١٨٨٥
محور من محاور الامير موسى الخمسة

مع هذا المربع مدفع قاردنر سريع الطلقات . بقية القوات التى فيه تحمل بنادق مارتينى هنرى بسناكى .
قائد هذا المربع لوردتشارلز بيرسفورد .

المربع الثالث :- يتكون من :

١ ــ الفرقة الثالثة من لواء الهجانة الثقيل.
٢ ــ الفرقة الثالثة من لواء الدراقون قاردز .
٣ ــ ،، الرابعة ،، ،، ،، ،، .
٤ ــ ،، الخامسة ،، ،، ،، ،، .

المربع جنوده مسلحون ببنادق مارتينى هنرى بالسناكى.
قائد المربع هو كولونيل فردريك قوستاف بيرنبى ، نائب قائد طابـــور الصحراء .

عندما جاءوا خفافا .

عندما وجد كابتن كامبل انه لن يستطيع الحصول على رايه وامر قواته بالهـــرب خلفه ، انتهز الامير موسى الحلو تلك الثواني القليلة لكى يتخذ من قوات كامبل ساترا بينه وبين الثلاثة مربعات ، للوصول اليها .

كبر الامير معلناً بداية الهجوم خلف كامبل وقواته الراكبة . خرجت ثلاثـــة ، محاور ، بما فيها محور الامير موسى نفسه ، من جانب بداية الوادى الصغير ، في حين خرج المحوران الايسران من خلف المنخفض الصخرى . الصخور وبعض الاعشاب والشجيرات ، غطت الهجوم بعد تطوره بثوان ، لمدة نصف دقيقة ، ثم بدأت للعدو الخمسة محاور خلف كامبل وقواته .

كل محور كان في طابور فرق ، وله مقدمة في شكل سهم من الفرسان ، في مقدمتهم الامير يحمل رايته بنفسه (١) . . الجميع في ملابسهم البيضاء النظيفة ، واجسادهم الخفيفة ، وسرعتهم التي كانت في سرعة فرسانهم الذين يطاردون كامبل وجنوده .

هذه الثلاثة الاف و سبعمائة وخمسون حنجرة ، كانت تهلل ، بعد ان قـرأت دعاء الحرب ثلاثاً . تهليلها وتكبيرها كان في صوت هدير ميـاه شلال . الانقضاض بهـذه السرعة لم يخل باتزان صـف واحـد (٢) . التنظيـم والانضباط والسرعة والاصرار والملابس البيضـاء فـوق خلفيـة الارض السـوداء التي تحتهـم ، خلـق مـن الهجـوم تحفـة مهيبة ، قـل ان يعـاد مثلهـا في التاريـخ .
سير هيربرت استيوارت ، الذى رأى المنظر الرائع امامه ، اخذ بضع ثوان في ذهول. كان الفارق كبيرا جدا بين المحاور المتقدمة امامه ، وقـواته المليئة بالقمل ، الرثـة الممزقة الثياب ، التي تفوح منها روائح كريهة كأنهم جيش بغال ميته ، وحركتهـم الثقيلة وتعثرهم امام كل حجر .

ان الذى كتبه الاوربيون ، الذين حضروا المعركة كثير . واذا اخذنا قول واحد نقل عن كثيرين غيره ، مثل جوليان سيمونز فهو يقول صفحة ١٩٦ من كتابه :

(ان هؤلاء ليسوا حملة بنادق الرمنقتون الدقيقي التصويب ، ولكنهم المحاربون الذين اختيروا للقضاء عـلى الدخلاء ، كمـا كان الحـال مـع هكس ورجاله ، ولكن الانجليز قد ذهلوا اكثر من اى شيء آخر ، بنظامهم المحكم الذى تحركـوا به ، بسرعتهم وحسن اصطفافهم وكأنهم في استعراض عسكرى) .

---

١ – ماك دونالد ص ٢٣٦ .

٢ – كل المراجع بما فيها تقرير المعركة ، وماك دونالد ص ٢٣٧ .

عندما افاق الانجليز مما رأوا امامهم ، بدأوا يصرخون لكابتن كامبل ان ارقد على الارض ، وذلك لان كامبل وجنوده كانوا يجرون على الارض الحرام بين محاور الهجوم المتقدمة والمربعات ، الشيء الذى يمنعهم من الضرب .

الكاتب « مارلنق » يقول في كتابه صفحة ١٣٢ : (وهل يستطيع كامبل ان يفعل ذلك ، وخلفه اربعة الاف فظي وظى يحملون حراباً طولها ستة اقدام ؟!)

ان جوني كامبل لم يهتم لصراخ جنود المربعات الثلاثة ، وقال لجنوده : (لا ـ لا اجرى كالشيطان !) .

وصل كامبل وفرسانه الى المربعات ، ولكن المسافة بين المربعات وقوات الهجوم اصبحت مائتي متر فقط . كامبل فقد واحدا من جنوده فقط ، فقد احسنوا الجرى . فتحت قوات مقدمة المربع الرئيسى ومقدمة الميسرة النار على الثوار . اتجه الانصار في المحورين اللذين على ميسرة الامير موسى مع محوره ، الى اليمين ، في حين ان المحورين اللذين على يمينه ، اتجها الى اليسار .

القضاء على المربع رقم ٢

في هذه اللحظات من الهجوم ، كان المربع رقم ٢ قد اعد مدفعه القاردنر ـ سريع الطلقات ـ وبدأ قائده لورد بيرسفورد بنفسه يدير مقودة . اطلق اربعين طلقة منه على المهاجمين القادمين ، وجد ان فوهات مواسير مدفعه المتعددة تحتاج الى تخفيض. قام بتخفيض زاوية الارتفاع خمس درجات . بدأ في إدارة مقوده مرة أخرى . اطلق ثلاثين طلقة ، كان تأثيرها على قوات الامير محمد ود بلال شديدا ، ولكن ذلك لم يبدل من سرعة اندفاع قواته . استمر اللورد في إدارة المقود .... ولكن المدفع لم يعمل ... توقف ظرف في داخل احدى المواسير ، جهاز طرد الظروف الفارغة اخرج مؤخرة ظرف وبقيت ماسورة الظرف بداخل المدفع . بدأ في فك صحيفة الامداد من المدفع بمساعدة احد ضباطه البحارة ، وهو (رودس) (انه قريب مستعمر روديسيا

زمبابوى الان) ، تمكن من فك الصحيفة الحديدية الثقيلة ، ولكن الامير موسى الحلو كان قد وصله . قذف الامير إبراهيم عجـــب الفيه حربته على (رودس) فقتلـــه . لورد بيرسفورد نام على الارض تحت المدفع وتحت صحيفة الامداد الثقيلة ، بقية الانصار بمحور الامير موسى قضوا على المربع في بضع ثوان . ضرب احد الثـــوار لـــورد بيرسفورد بفأس فلم يصبه الفأس وانما خشبته (١) ، لم يتحرك اللورد ومثل ميتاً .

عندما ابتعد الانصار هرب الى داخل المربع الاول (رقم ١) ، ووصف دخوله هناك بأنه دفع الى داخل المربع بنفس طريقة الدفع التى يمكن أن تحدث عندما يشب حـــريق في مسرح ويندفع من فيه خارجين .

القضاء على المربع رقم ٣

فتح الامير البشير عجب الفيه جناح محور الامير موسى من ناحيته اليمنى وهجـــم على المربع(رقـــم ٣ ، الذى كان خلف المربع(رقم ٢) .

اضخم شخص في اهذا المربع هو قائده كولونيل بيرنبى الذى شعر بانه مقضى عليه . امسك الكولونيل برمح من رماح لواء الرماحة واراد ان يضرب بـــه الامـــير البشير عجب الفيه ، ولكن حربة الامير كانت اسرع انجازاً ، فاستقرت في حلـــق الكولونيل البريطاني. وعاجلة انصارى اخر بسيف على كتفه . اخذ هذا الهيكل البشرى الضخم وقتا قبل السقوط ميتاً . ان الحربة قد قطعت حبل وريده (وهو الوريد الـــذى يحمل الدم الى المخ ، وهو في حجم اصبع يده الاوسط) . بعد مقتل قائد المربع الثالث لم يجد الثوار مشكلة في القضاء على كل من لم يستطع الهرب من المربع .

كسر المربع رقم ١

نيران مقدمة المربع الاول وزاوية جانبه الايسر مع المقدمة ـ أى قوات الـــــوية

١ – كرامة انجلترا ص ١٩٧

(السكوتز والكولد ستريم والمشاه الراكبة) استمرت حامية عــلى المحــورين اللذين هما ايسر الامير موسى الحلو .

المحور الاخير من هذه الناحية ، والذى كان يقوده الامير احمد جفون قد تعرض لنيران المقدمة ومدافع الميدان الثلاثة . المحور الذى كان يقوده الامير عبد الله برجوب ويقع على يمين الامير احمد جفون ، تعرض لنيران حامية من بنادق المارتيني هنري وحــدها

المحوران الاخيران توقفا من التحرك على مبعدة مائتين وخمسين ياردة تقريبـــا من المربع رقم ١ .

محور الامير موسى ذراعه الايمن احتاج الى دقيقة كاملة لتنظيف مكان المربــع رقم ٣ الان فتح المحور ذراعه الايسر ، مشكلا واجهة عريضة . قبل ان يتم هــذه العمليــة تمامــاً وصــل محــور الامــير محمد بــلال وقواته لانها مرت عـــلى طريق اطول قليلا من طريق الامير موسى . ما كاد الامير محمد بلال يصل بحصانــه امام الزاوية التى تربط ميسرة المربع رقم واحد بمؤخرته ، حتى فتح محوره ذراعيــه وصدم المربع هناك بواجهة عريضة قوة الارتضام كانت من العنف ان زلزلت جميع المربع . الفرسان من المحور وجدوا انفسهم في داخل المربع . « ليوتنانت دوسون » اندفع الى ميمنة المربع انكسير لتوديع اخيه الوداع الاخير . القوات البريطانية في تلك الواجهة من المربع الأول (وهى قوات الوية الرماحه ٥ والرماحه ١٦ والرويالز والسكوتز قريز) هربت الى داخل المربع الى ان منعتها الجمال الموجودة بكثرة في داخل المربــع من الاستمرار في الجري .

عندما وصل الامير الى هنا ، وصل محور الامير عبد الماجد محمد خوجلي والامير الحاج على ود سعد الى المربع الأول فطريقة الى المربع الاساسى كان اطول الطــرق . رأى الامير عبد الماجد ما قام به زميله الامير محمد ود بلال من كسر للمربع ، فلم يشأ

أن يدخل من حيث كسر المربع ، بل اتجه الامير الجعلي والى جانبه الامير الحاج علي ود سعد ، نحو خلف المربع ..... فتح ذراعى المحور واصطدم بالمربع الاول عند نقطة قوات الفرقة الأولى والثانية للواء «القاردز بلوز» . لم يقاوم المربع الصدمة وتناثر ذلك الجانب رغم المحاولات الجادة التي بذلها الانجليز للصمود .

اصبحت في داخل المربع دغيم والقوات الجعلية وجزء من كنانه . الثوار في الداخل يقطعون الرؤوس ويطيحون بالهامات ويبقرون البطون ويعقرون الجمال ويهللون باصوات انزلت الرعب في الانجليز . ان الجثث بدأت تملأ الارض بداخل المربع . جثث الجمال البارکة اصبحت العائق الذى منع الانصار من الوصول الى حوائط المربع لدكة . ان الجمال قد عقلت قبل وصول الثوار لهم فلم تهرب وتساعد على بعثرة المربع . ان جثث تلك الجمال ملأت اوسط المربع بشكل منع الثوار من التحرك تماما . المساحات الضيقة التي كان يمكن للثوار ان يتخذوها طرقا للوصول الى بقية حيطان المربع ملئت بجثث الانجليز الموتي واجساد اخوانهم الجرحى. توقف الدخول الى المربع بسبب امتلائه تماماً . ان جثث الجمال الضخمة هى التي انقذت بقية طابور الصحراء في ذلك اليوم الحار المغبر ، ولا شيء سواها ، فهى التي منعت دخول بقية الثوار .

الانجليز يضربون اخوتهم والثوار

عندما رأى قادة مقدمة المربع ، التي لم يلحق بها الثوار لوجود جثث الجمال وغيرها ، وتأكدوا الا امل يرجى من هذا المربع ، بدأوا اطلاق النار عليه ، في وسطه حيث المعمعه . كانت المقدمة في أرض مرتفعة . ضربوا الثوار واخوتهم الانجليز ، ضربوا حصان القائد استيوارت فسقط منه ، قتلوا خادم القائد الذى كان الى جانبه يدافع عنه ، قتلوا ضابطين انجليز منهم ، ، قتلوا قادة الجمال ، قتلوا الجرحى .... قتلوا وجرحوا اعداداً لا حصر لها ولا أحد فيهم يسمع اوامر قائده . كل انجليزى كان يضرب في محاولة لكي ينجو هو بروحه .

الأمير الذى جاء ليستشهد

عمليات الضرب الانجليزى المحموم في وسط المربع التى قام بها الانجليز اخلت مساحات بداخل المربع ، في تلك اللحظة سنحت الفرصة للامير موسى الحلو الذى ودع الامام المهدى وجاء ليستشهد، كما انه وعد بادخال راية الفاروق (الراية الخضراء) في مربع الانجليز ، لكى يمسك برايته بيده اليسرى والمصحف الكريم بيده اليمنى وهو يقرأ منه ويتقدم بخطى ثابتة الى داخل المربع(١) .... وصل امام ذهول اعدائه الى نقطة في وسط المربع ووضع الراية الخضراء عالية ، فأسرع ثوار خلفه حملوا حجارة ووضعوها حول الراية لتثبيتها في ذلك المكان الصخرى . أفاق الانجليز من ذهولهم ووجهت عشرات مواسير بنادق المقدمة نحو الامير الذى وعد فصدق . سقط الامير ولم يسقط القرآن من يده ومات وهو به ممسك .

عندما رجعوا ثقالا

النيران المحمومة التى اطلقتها واجهة المربع التى كانت تطلق نيرانها من موقع مرتفع بعض الشيء وصلت اليه اثناء تحركها مع مربعها ، قد اوصلت المعركة الى نهايتها اكثر من اى عامل اخر . ان الجمال الميتة في الطريق بوسط المربع لم تمكن الثوار من تلك المقدمة التى بدأت تطلق النار . طول المعركة حتى الان عشر دقائق فقط من لحظة الالتحام . بدأ الامراء في حث قواتهم على الانسحاب وراء التل القريب على ميمنة المربع – او الى المناطق التى بها ساتر وتكون قريبة منهم . ولكن عملية الانسحاب كانت صعبة جدا . لم يسرع واحد من الثوار في اتخاذ ساتر ، بل كانوا يسيرون في احتقار للموت المنبعث من فوهات المارتينى هنرى (٢) .

---

١ – كرامة انجلترا ص ١٩٨ ، وكل المراجع الاخرى .

٢ – اوراق وزارة الحربية . ومراجع متعددة .

على بن الامير عبد الله ود سعد عمره اثنى عشر عاماً ، ضرب في بطنه بطلق ناري، سار ببطء في رصاص ممطر ، ورمى بحربته جندياً انجليزيا قبل أن يسقط (١) .

رجل اخر اصيب في ساقه وسقط على ارض المعركة ، ولكنه تناول حربته ليسددها لجندى انجليزى ، وعندما لم تصبه ووقف الجندى يحشو بندقيته ، حاول الثائر الجريح الوصول الى حربة اخرى فلم يجد ، امسك بحجر وقذفه به ، وعندما انتهى الجندى من حشو بندقيته ووجهها نحوه لضربه ، اعتدل في جلسته ينظر بهدوء الى فوهة البندقية (٢) .

بعض الذين اصيبوا في بطونهم او في اماكن لا تمنعهم الوقوف ، وقفوا في اتجاه مكة وكبروا للصلاة . عندما وجدوا شهداء على الارض كانوا في وضع صلاة .

لم يتحرك جندى انجليزى واحد ، بما فيهم قوات السوارى والمشاة الراكبة لمطاردة الانصار (٣) ، بل وقفوا مكانهم ينظرون الى اخوتهم القتلى والجرحى امامهم . امر استيوارت بتقدم بقايا المربع خمسين ياردة واعادة التشكيل . انهم يتوقعون هجوماً اخر من الثوار .

الانجليز يفقدون الانضباط

من لحظة اصطدام الامير موسى محمد الحلو بالمربعات الانجليزية في ابي طليح الى ساعة هرب طابور الصحراء امام الامير عبد الرحمن النجومى ، فقد هذا الطابور الشيىء الوحيد الذى تميزت به القوات البريطانية ... وهو الانضباط (٤) .

١-٢ — كرامة انجلترا ص ٢٠٠ .

٣ — كرامة انجلترا ص ٢٠١ .

٤ — قلايشن ص ١٤٥ .

قوات السلاح تضرب الزريبة

قوات الامير الحاج على سعد التى كانت في التل الصخرى الذى يقع على ايسر الزريبة الانجليزية ، ظلت تصلى الزريبة نيرانا حامية . لم يعرف واحد من المائتى جندى وقائدهم ميجور « جم » القصد من هذه النيران ، فقد اتخذوا مواقعهم خلف سور الزريبة الذى صنع بالحجارة لارتفاع قدمين ولم يستطيعوا التحرك من مكان ساترهم . كانوا يتوقعون هجوماً ولكنه لم يحدث . والسبب في ذلك ان القناصة كانوا يرمون الى ضرب الجمال فقط . قوات السوارى كانت تحاول منع فرسان الثوار حملة السلاح النارى من الاقتراب من الزريبة . فكلما اقترب السوارى من الثوار كان الاخيرون ينزلون من جيادهم ويطلقون عليهم الرصاص من خلف سواتر .

عندما بدأت قوات الامير موسى الانسحاب ، كانت هناك قوات سلاح نارى قريبة من مكان المعركة وخلف سواتر ، هى قوات الامير الصديق الحاج على الجعلى الكبوشابي . كان دور هذه القوات ضرب مربع الانجليز المتحرك ، ولكن التوقف عن اطلاق النار عندما يتطور الهجوم على المربع . قاموا بدورهم خير قيام وتوقفوا في الوقت المحدد . عند انسحاب قوات الامير موسى ، بدأ الامير الكبوشابي عمله من جديد في ضرب المربع ، كما ارسل للقسم الاخر الذى كان يضرب الزريبة للقدوم لحماية انسحاب قوة الامير موسى . استمروا في ضرب المربع ومنعوه من التحرك نحو الابار حتى الساعة الثالثة بعد الظهر . حينها صدرت الاوامر لهم بالتحرك الى المتمة . عندما تحركوا منسحبين كانت القوات البريطانية قد بدأت التساقط والاعياء من العطش . السنتهم انتفخت وشفاههم اسودت (١) .

الأخبار المرعبة تصل الانجليز ويفكرون في الرجوع

بعد توقف القتال تقدم نحو الجيش البريطاني اربعة رجال سود . قال اللاجئون الاربعة انهم كانوا في جيش هكس ، وبعد هزيمته الماحقة في غابة شيكان ضموا الى

١ - تقرير المعركة . كرامة انجلترا ص ٢٠٢

الجيش الانصارى مع الراية الخضراء . قالوا لهم انهم يريدون الرجوع الى مصر .

احد هؤلاء كان قصيراً يلبس ملابس الانصار المرقعة ويتحدث الايطالية بطلاقة. انه كان بالطبع في مصر قبل انضمامه الى جيش مصر بقيادة هكس ، ولكنه كان أيضاً في ايطاليا وعمل في فندق هناك في مدينة نابلس . هذا الرجل قال لهم : انكم حاربتم قوة متقدمة لقوة لم تأت من ضواحي الخرطوم بعد . وقال لهم : أن بقية القــوة التى حاربتموها موجــودة بالمتمة وتزيد عــلى ستة الاف رجل . كمــا ان الاخبار قد وصلت اليوم من المتمة (١٧ يناير ٨٥) بان الف جندى من حملة البنادق قد وصلوا قبل ساعات الى المتمة . ان هذا الرجل الذى كان بجبته المرقعة شريط اسود على حافتها ووصفوه بانه اعجوبة (انثروبيلوجية) كان دقيق الملاحظة معقول التقدير متحصلا على اخر اخبار المتمة . فالقوات التى قدمت مع الراية الخضراء وبقيت بالمتمة هى سبعة الاف جندى تقريباً ، وقبل ساعات فقط من اعطاء بيانه ، كانت قــوات النور عنقره « الجهاديه» قد وصلت الى المتمة وعددها كان الف رجل من حملة البنادق .اخبرهم الرجــال الاربعة ان الطــريق الى ابار ابى طليح اصبح مفتوحاً وربما الطريق الى النيل ايضــا . استجــوبوهم فراداً ولكنهم خرجوا بنفس النتيجة فــى انهــم حاربــوا قوة متقدمة فقط . تفشت هذه الاخبار بين الانجليز فيما يقل عن ساعة ، وتفشى معها الهلع . قرر بعضهم الرجوع ،وبعض اخر بدأ اهداء النصح بان التقدم غير مجدى .

رفعوا جرحاهم وتقدموا للآبار

تقدمت من المربع مجموعات من رجال المستشفى المتبقين لرفع الجرحى .ساعدهم على ذلك جنود مــن الالوية . كانت هناك بقيــة ميــاه تعطى للجــرحى. جمعوا ايضا الموتى فى صفوف . الاسلحة التى تكسرت من الرماح والسيوف وسروج جمالهم المقتوله ، جمعوها واوقدوا فيها النيران . بعدها بــدأ المربع الكسيح يعــرج الى الآبار بمساعدة قوات السوارى والمشاة الراكبة التى بقى القليل جدا من ركائبها .عند الابار شــربوا الميــاه المليئة بالطــين ، وذلك بعــد وصــولهم اليها فــى الخامسة مساء؟.

ثلاثمائة يذهبون إلى الزريبة لاحضار المحمولات

اول من شرب من الابار ثلاثمائة رجل هم الناجون من لواء الهجانة الثقيل ولواء المشاة الراكبة . ارسلهم استيوارت للزريبة لاحضار المحمولات حتى يتمكنوا من تناول عشائهم . بقية القوة بعد الشراب شكلوا مربعا خوفا من هجوم اخر عليهم .

استيوارت يرسل فرقة لقتل الجرحى

المسافة بين مكان المعركة والابار كانت ميلين . فى تمام الثامنة مساء ارسل سير هيربرت استيوارت فرقة لقتل الجرحى السودانيين بارض المعركة . ولتغطية العملية على جنوده وضباطه ، ادعى انهم مرسلون الى الزريبه . ذهبت الفرقة واستعملت السونكي والرصاص لقتل ما تبقى من جرحى فى ذلك الوقت من المساء . انتهت الفرقة من عملها هذا فى العاشرة مساء، حيث توجهت بعدها الى الزريبة الاولى (١) .

الليلة الباردة المزعجة

اكل الانجليز عشاءهم من اللحم المعلب والخبز الجاف ، وشربوا المياه المخلوطة بالطين ، بل اخذوا منها لشايهم الذى استمروا فى شربه منذ السادسة والنصف وحتى الثامنة مساء.

اناات جرحاهم كانت تسمع على مسافات بعيدة . وضعوا فى افواههم كميات وافرة من الخمور لكى يناموا .

قصة الاربعة جنود الذين لجأوا الى الجيش البريطانى ، وقصيرهم الذى يتحدث الايطالية بطلاقة ، بدأت تطفو الى السطح مرة اخرى . ان كل الرعب الذى مروا عليه هذا الصباح ، كان على يد قوة متقدمة فقط. حاولوا الوصول الى الجنود الاربعة

١ — محاضرة مستر برايت فى اجتماع الكويكرز بلندن . متاخر جدا ص ٢٤٥ .

للتأكد ، ولكنهم وجدوا ان قوات الاستخبارات قد قامت بعزلهم حتى لا يفشى الرعب أكثر .

عندما عقد استيوارت اجتماعا غير رسمى لقادته كان بعضهم يرى الرجـــوع الى جقدول (١) ،ولكن استيوارت الذى اراد ايقاف اى انتماء اكثر الى هذه الفكره، اظهر احتقاره لها .

قضوا بقية تلك الليلة الباردة المزعجه وقد حكمت الظلام سلطات ثلاث ، الهلع ،والبرد واانات جرحاهم .

حصاد المعركة

الشـــهداء

العدد الذى استشهد من الثوار لا احد يستطيع تحديده بدقة . فتقرير المعركة الذى كتبه استيوارت يقول : انهم قتلوا ثمانمائة ، وقد تناقلت عدة كتب هذا الرقم . ولكن احد الذين شهدوا المعركة، نفى هذه الارقام ووصفها بانها (مبالغ فيها بشكل فظيع) (٢).
ممن استشهدوا المؤكد هو استشهاد الاتية اسماؤهم :

الامير موسى محمـــد الحلـــو"٣"
الامير محمـــد ود بـــلال"٣"
الامير عبد الله برجـــوب"٤"
الامير إبراهيم عجـــب الفيه"٤"
الامام محمـــد الحلـــو"٤"
إدريـــس ود حمـــد"٤"
محمد إدريس ود حمـــد"٤"

---

١ – تقرير المخابرات ، اوراق وزارة الحربية . كرامة انجلترا ص ٢٠٣ .
٢ – بلنت ، غردون الخرطوم ص ٤٤١ – ٣ – الكردفانى ص ٣٥٤
٤ – الاسرار الالهية على ماوقع فى زمن المهدية ، وقعة ابى طليح غير مطبوع .

جباره محمـــد "١"
النـــور جباره"١"
علي بـــلال محمد "١"
محمد الاكرم "١"
سليمان ود الكقم "١"
آدم ود إبراهيم "١"
بعشـــوم احمـــد مهلة "١"
جبريل ودهاشم "١"
عـــلى ود هاشم "١"
إبراهيم ود سلوق "١"
آدم حسين "١"

قتلى طابور الصحراء "٢"

١٦ ضابطاً .
٧٧ صف ضابط وجندياً .
٣٠١ مساعد وخادم وقائد جمال
٣٩٤ مجموع القتلى

جرحى طابور الصحراء "٢"

٩ ضباط
١٠٥٠ صف ضابط وجندياً
١٠ ــ خدم وقادة جمال
١٠٦٩ المجموع

١ ــ وثيقة ام كفل .
٢ ــ يمكن الوصول الى هذه الارقام ، بحساب قوة الطابور ، ونقصان الاعداد الواردة في المراجع الاتية . قلا يشن ص ١٣٨/١٣٠ كرامة انجلترا ص ٢٠١/١٩٧ متأخر جدا على غردون ص ٢٤٣/٢٣٥/٢٣٤ ، اوراق وزارة الحربية والعدد الذى تحرك من ابي طليح .

خسائر الحيوانات ١

١٩٨٨ جملا
٥٥ حصاناً
٢٠٤٣ المجموع

اسماء ضباط طابور الصحراء الذين قتلوا

لوردات واشراف

ليوتنانت لورد بيننق : من لواء الرويال هورس قاردز .
كابتن لورد سنت فنسنت : نائب قائد لواء الهجانة الثقيل .
ميجور قوف : من لواء الدراقون رويالز الاول .

أطبـــاء.

دكتور جراح برقز .

ضباط

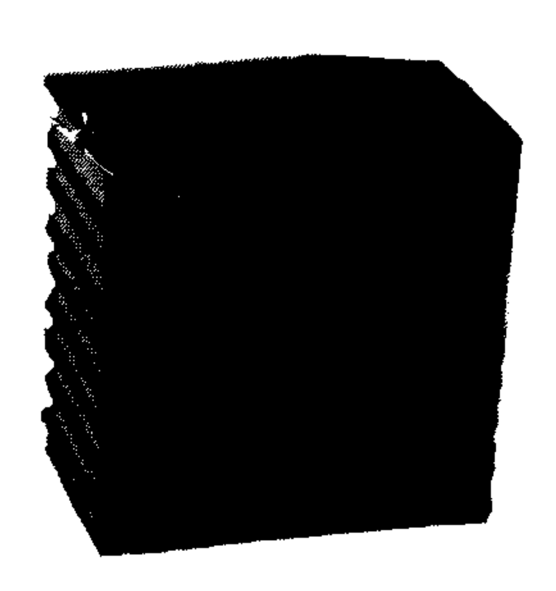
كولونيل بيرنبى : نائب قائد طابور الصحراء .
كابتن دارلى : لواء الدراقون الرابع .
ميجور اثرتون : السوارى الخامس .
ميجور كارمايكل : السوارى الخامس .

كابتن بيجوت : قائد الفرقة الرابعة من لواء المشاة الراكبة ، لواؤه الاصلى هـو لواء السوارى الحادى والعشرون . وهو اخ ليوتنانت بيجوت بالاسطول .

١- نفس المرجع السابق

ليوتنانت وولف : السكوتز قريز .
ليوتنانت لايال : من المدفعية الملكية .

اورميستون : من لواء القرادنيرز الثالث ،رتبته غير وارده .
ليوتنانت رودس : من الاسطول الملكى البريطانى .
ليوتنانت دى لايل : من الاسطول الملكى البريطانى
ضابطان من القوات الإدارية لم يرد أسماهما



الأحد ١٨ يناير ١٨٨٥م

فكرة الرجوع

اسوأ يوم احد مر على افراد الطابور حتى الان . يوم احد بهم وغم وحزن وبكاء ودون احراس .

ان اله الاغريق اطلس الذى يرفع السماء لن يستطيع ان يحمل هموم سير هيربرت استيوارت . ان قواته التي اختارها وولسلى فردا فردا ، خيارا عن خيار ، وتبعتهـا قوة من النبلاء والاشراف في حرب صليبية تواجه فيها المسيحية الاسلام ، تقف اليوم وسط صحراء ماؤها طين ، وليلها زمهرير ، ونهارها حتى في الشتاء ، للضاربين فيها شر .

على القائد سير هيربرت ان يواجه . في هذا اليوم المبارك من ايام المسيحيين ، جثثا لاحصر لها . وعليه ان يواجه اناب جرحى زادوا على الألف ، وعليه ان يواجه أيضـا قادته وجنوده ويقنعهم بان خطتهم لاحتلال المتمة ممكنة . فأكثرهم اقتنع بأن الخطـة لاتساوي الورق الذى كتبت عليه ، ناهيك عن الدماء والمال والوقت والجهد الذى بذل فيها . ان عددا كبيراً من الذين لايخشون في الحق لومة لائم . تحدثوا عن الفشل ومن الاوفق الرجوع الى جقدول . اما الذين يصمتون ولا يتحدثـون ، خـوفاً من ان تحسب عليهم كلماتهم ، فقد انتظروا ما يقوله القائد ، وسوف يتبعونه حيث مشى . ومن المؤكد ان جميعهم شكر السماء كثيرا ، ان الانصار لم يقوموا بهجوم خلال الليل(١).

دفن الموتي

في وقت مبكر من هذا اليوم ، ارسل سير هيربرت استيوارت مجموعة من الجنود لدفن الموتي. ذهبوا ودفنوهم على طريقة الجيش الانجليزى ، على عمق عشرين او ثلاثين سنتمترا . السمان منهم تخرج اجزاؤهم من القبور .

جثة بيرنبي الضخمة دفنوها وحدها على بعد عشرين مترا من المكان الذى سقط

---

١ – قلايشن ص ١٤٨ .

فية مصابا بحربة اخترقت حلقة وضربة سيف .

لورد بيننق .ولورد سنت فنسنت . دفن كل واحـــد منهما في قبر منفصل .
البقية وضعوهم في خندق كالوا عليه بعض تراب قادة الجمال. الذين ماتوا بكثرة .لم يدفنوا وأسرعوا واجعين، لتناول افطارهم مع الشاى .

اجتماع آخر لمناقشة فكرة الرجوع

عندما رجعت فرقة دفن الموتي وجدت ان القائد في اجتماع اخر مع قادته لمناقشة فكرة الرجوع التي اثارها كثير من الضباط .

عدد كبير من الضباط سأل الكاتب « الكسى ماكدونالد » هل يريد الذهاب معهم الى جقدول فكورتي ؟ انهم اقترحوا رجوع الطابور فورا . ان بعضهم يحتفظ بذكرى معركتي التاماى والتمنيب ، بشرق السودان .

ان الجملة التي قالها اللاجئون بالامس (انكم حاربتم قوة متقدمة لقوة لم تأت بعد من ضواحى الخرطوم) بدأت تحفر في عقولهم قلاعاً . في اجتماع القادة . قـــدم اقتراح بالرجوع (١) . ان القائد استطاع ان يقنعهم بوجهه نظره في التقدم بعد أن عرض عليهم تقريره الى وولسلى عن معركة الامس وطلبه منه ارسال قوات جديدة . ثم عرض عليهم أيضاً وجهة نظره في أنه لن يستطيع الرجوع لانه لايملك جمالا كافية لارجاعهم ومنقولاتهم الى جقدول (٢) .

على كل في التاسعة صباحاً ارسل تقرير المعركة الى وولسلى في كورتي .

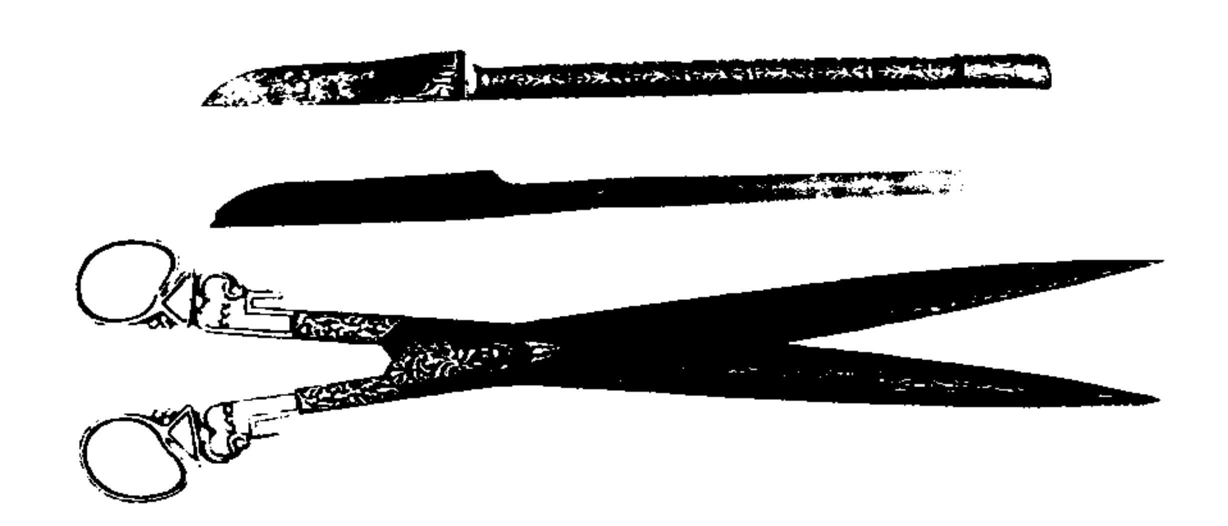
---

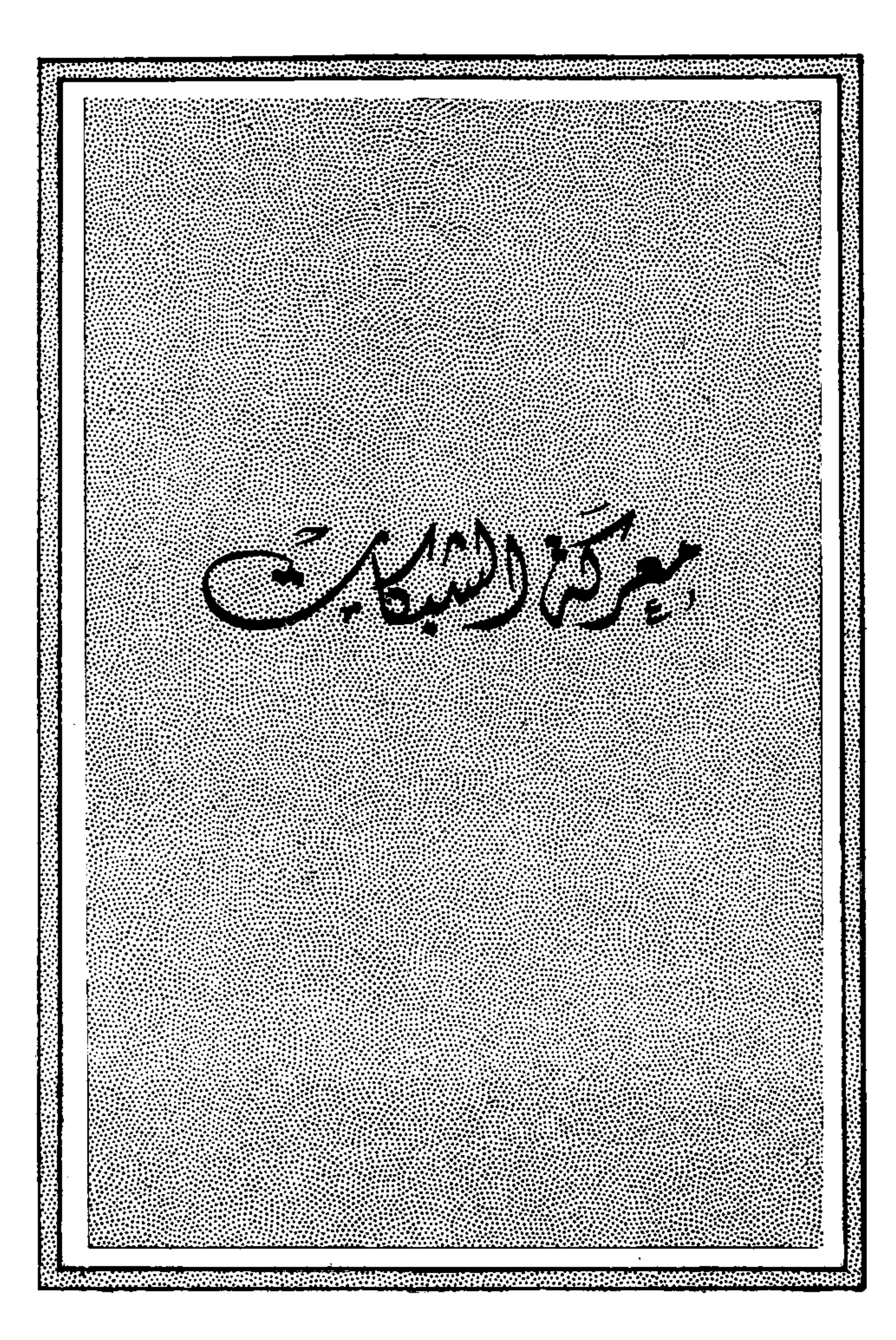
١ — متاخر جدا على غردون ص ٢٥٤ .
٢ — كرامة انجلترا ص ٢٠٣ .

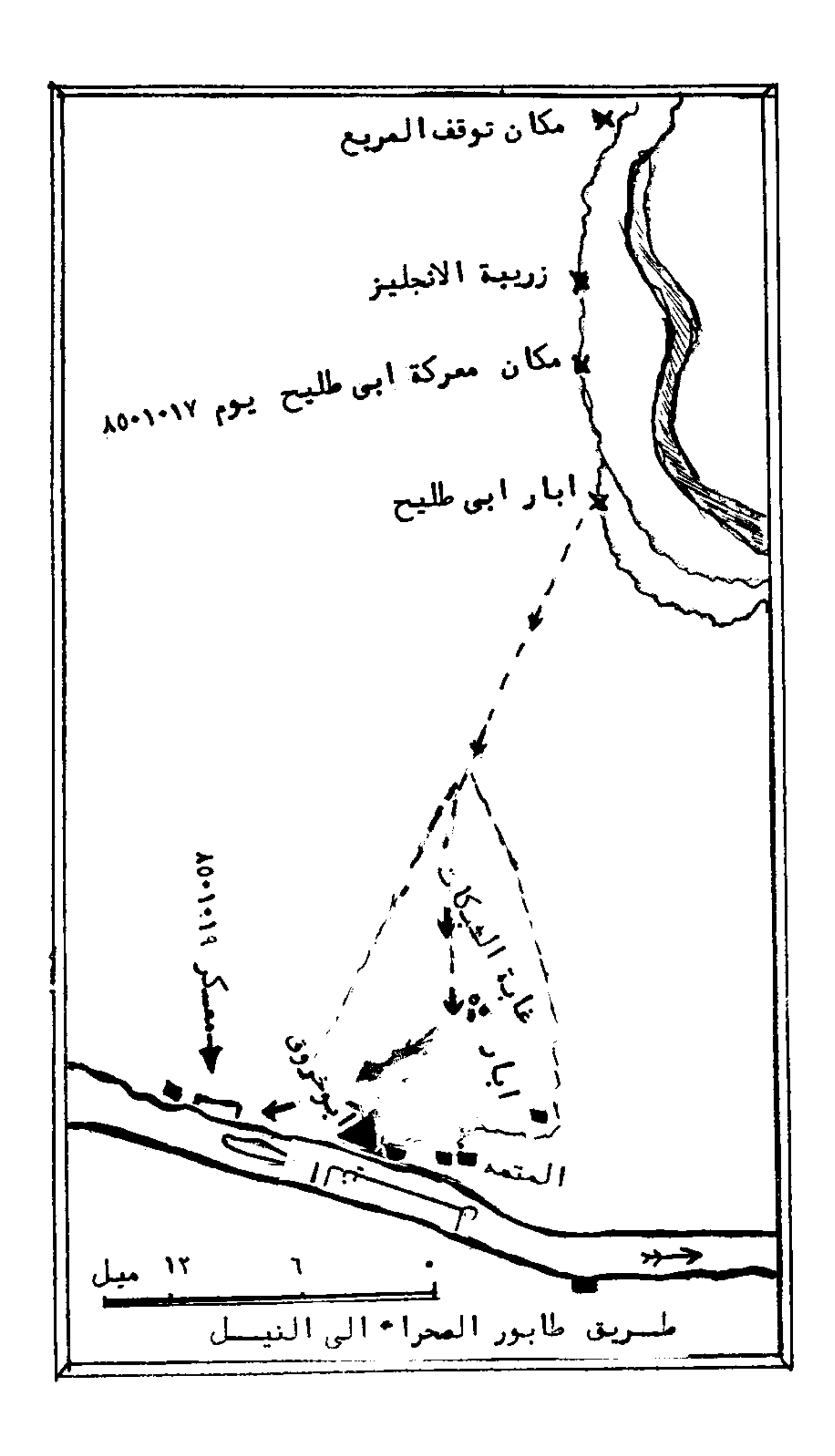
ابقاء الجرحى بابي طليح .

ان العدد الضخم من الجرحى سيجعل امر حملهم شيئاً غير ممكن ، لذلك قرروا ابقاءهم بابي طليح في حراسة مسلحة .

اقيمت للجرحى زريبة بالقرب من الآبار تحت حراسة مائة من جنود لواء السكس .




معركة الشباب



طريق طابور الصحراء الى النيل

السير خفية نحو المتمة

عصر الأحد

في الساعة الثالثة والنصف مساءً، بدأت قوات الطابور في الخروج من الابـــار مزودة بأكبر كمية من المياه تحصلوا عليها . اختار سير هيربرت السير في المساء حتى يتمكن من قطع السبعة والعشرين ميلا الى المتمة قبل ان يشعر به الثوار . لم يكن في كل الطابور من يعرف انه سيسير الليل كله .

صدرت الاوامر بأن لا يصدر من الطابور أى صوت ، بل يجب ان تصدر الأوامر مـــن القـــادة همساً .

عندما خرجوا من الابار كان الموقف مؤثراً جداً ، الجرحى بالمئات ، ومائة جندى يحرسونهم . ان الثوار لو شنوا عليهم هجوماً بسيوفهم الباترة لقضوا عليهم في لمـــح البصر . كل صديق ودع صديقه لانه يتوقع عدم الالتقاء .

طول الطابور كان ستمائة ياردة . القمر لم يكن موجودا ، ومعركة اخرى في هذا الظلام تعنى النهاية . لم يضربوا الابواق للوقوف والتحرك ، وانما تم ذلك بالكلمات .

قادة الجمال بالطابور بدأت نظرتهم تتغير بالنسبة للجيش والحياة . انهم سيقتلون بواسطة الثوار او الانجليز ،كما حدث فى حرب الامس فلماذا يبالون ؟ ناموا وهـــم على ظهور جمالهم حتى ضلت الاخيرة فى الصحراء .اخرون اطلقوا الجمـــال التى يقودونها ، وساروا بالتى يركبون عليها فقط . ضاع بهذه الطريقة قبالة المائة جمل ،مما اغضب القائد وحكم عليهم بالجلد ، فجلدوا بالسوط (١) .

---

١ – قلايشن ص ١٤٨ .

قوات استطلاع الثوار

امـــام المربع كان يســـير كابتن فيرنز وعلى ابولـــوله . بعد بداية الســـير بقليل اتهم على ابولوله بانه يقود الطابور في دائرة .لذلك استغنوا عن خدماته .

ان على ابولوله – التابع لقوات الاستطلاع الثائرة في قلب طابور الصحراء – كانت له طريقة في ارسال رسائلة الى بقية قوات الاستطلاع السودانية في المنطقة ، ولكنه كان يفعل ذلك في اوقات وقوف القوات للاكل ، فتدعى زوجته انها تعد شايا او اكلا لزوجها ولها ولطفلهما . في هذه المسيرة الليلية ، وبالطبع لم يسمح له بايقاد نار ، لذلك حاول ان يدور بالجيش البريطاني في دائرة حـــول ابى طليح ، ولكن بوصلة كابتن فيرنز اوقفت خطته (١). على طول الطريق شـــاهدوا الانصار يشعلون النيران في قمم الجبال والتلال ، وعرفوا ان الثوار يستعملون النيران في ارسال اشاراتهم. ان الانصار كانوا يستعملون الدخان نهارا ، والنيران ليـــلا لاشاراتهم . في الطريق وجدوا جريحا من ابى طليح ، استطاع ان يفلت من فرقة القتل واستمر يحبو في طريقه الى اقرب نقطة ثوار . قبضوا عليه وربطوه على جمل . عندما كان يصل الى النقاط التي يعرف ان بها ثوارا ، كان يصدر اصواتا عالية يسمعها من كان على بعد نصف ميل .

الطريق

السماء بدون قمر ، ولكن كوكب المشترى يشع كأنه شمس صغيرة . على بعد ميلين من ابار ابى طليح في الطريق الى المتمة ، سلاسل من التلال الصخريه القصيرة كان السوارى يذهبون اليها للتأكد من عدم وجود ثوار بها .

كانت مقدمة الطابور تتحرك بسرعة تزيد عن سرعة المؤخـــره ، لذلك كان عليهم ان يتوقفوا من زمن لاخر لجمع الصفوف .

---

١ – قلا يشن ص ١٤٥ .

بعض الجمال تساقطت من الالتهابات التي حدثت بظهرها . انهم وضعوا علب الصفيح وصناديق الذخيرة على ظهرها ، بشكل جعلها تصاب بجروح كبيرة . سوء الجمال وقادتها الذين بقي منهم قليل جداً ولا يظهرون أى نوع من التعاون مع الانجليز الذين قتلوهم تماماً كما قتلهم الثوار ، قاد إلى مشاكل جمة ، اضاعت كثيراً من الجمال. عندما يسقط الجمل بشكل نهائي ويصبح غير قادر على التحرك كانوا لا يستطيعون اطلاق النار عليه ، حتى لا يلفتوا النظر اليهم . عندما اقتربوا من الشبكات ، إنتشرت الجمال الجوعى لكي تأكل من الأعشاب . ان الشبكات هي المنطقة التي تقع غرب المتمة ، وهي غابات من أعشاب « الثمام » و « المحريب » ، وبعض الأشجار شبه الصحراوية . عندما وصلوا إلى منطقة ابلو الشبكات خاف استيوارت من وجود ثوار هناك ، فانزل قوات لواء (القاردز) .

وصلوا بعد ذلك الى غابة شجرية ، في داخل منطقة الشبكات ، فساروا في تشكيل « نصف اقسام »، فزاد ذلك من عدم انتظامهم واختلاطهم . خرجوا من الغابة فرحين بانهم لم يجابهوا انصارا هناك .

قطعوا حتى ذلك المكان خمسة عشر ميلا . كابتن فيرنر – الطبغرافي الوحيد – في ذلك الطابور ، لازال يقودهم . استمر بهم الى ان دخلوا غابة اكثر كثافة من الاولى . زاد اختلاط الجمال والقوات ،واسوأ من ذلك الازعاج الذى قامت به الجمال وقادتها . كان هذا الازعاج يسمع على مسافة ميل .

هرب الانجليز من طابور الصحراء

وقف الطابور لكي تراجع كل فرقة رجالها بعد خروجهم من الغابة مباشرة ، وجدوا انهم فقدوا اثنين . الاول من لواء (القاردز) هرب راجعا الى ابى طليح(١) . الثاني هو جاويش من لواء الرماحة هرب ذاهبا الى الثوار في المتمة (٢) ، ومن المعتقد انه

١+٢ – متاخر جدا ص ٢٥٦ .

ضرب فى الطريق ربما بسبب عدم حمله لعلم هدنه .

الاثنين ١٩ يناير ١٨٨٥م

عندما بدأت خيوط الفجر تشق حجب الظلام ، ارتفعت قوات سوارى ومعها كابتن فيرنر تلا .شاهدوا من هناك النيل الذى يبعد منهم اربعة اميال . رأوا المتمة . انها اكبر من القرية التى ظهرت على خريطتهم . ورأوا مدينة شندى بشرق النيل . من المتمة المحصنه رأوا الانصار يخرجون على هيئة طوابير حربية على يسارهم . ايضا هناك هضبة مليئة بالانصار على خيولهم . ان تلك الهضبة تقع على يسار الطابور الانجليزى .

خيبة الامل التى اصابتهم ان سيرهم الليلى الذى بالغــوا فى ســراه كان معروفاً بالنسبه للقوات الثائرة . وهى الان فى اتم استعداداتها لمواجهتهم .

فى المنطقة التى حولهم وجدوا اغنام المتمة ترعى .وقرب رعاتها معلقة على بعض فروع الاشجار .شربوا المياه . وبصعوبة قبضوا على راع واحد . ولكنه هرب .

القوات السودانية بالمتمة

منذ السابع عشر من يناير كانت قوات الامير موسى الحلو قد اكتمل تجمعها فى المتمه . وقد وصلت ايضا قوات الامير النور محمد عنقره المسلحة بالرمنقتون .

عند وصولهم مباشرة كانت قوات الاستطلاع تحمل اليهم اخبار الاعداء فى ابى طليح. أخبروهم ان المجابهة الاولى فى ابى طليح قد انتهت وان القوات السودانيه عائدة للمتمة. وعلية قرر الامير النور محمد عنقره عدم التقدم الى ابى طليح .وانما نسج معركته فى غابة الشبكات . طاف الامير الخبير باساليب دفاعات المدن . على المتمة وتيقن من مناعة دفاعاتها.

قوة النور محمد عنقره

ان الرايات التى اتت مع الاميرالنور محمد عنقره والرايات التى وصلت من الراية الخضراء قبل وبعد هذا الامير ، بالاضافة الى القوات التى تركت للدفاع عن المتمة بواسطة الجعليين ثم القوات التى اتت من ابى طليح ، اصبحت جميعها تحت قيادة الامير النور .

قوات الراية الخضراء قد تم الحديث عنها قبلا وكذلك الحديث عن قوات الجعليين ، وعليه بقي ان اورد القوات التى قادها الاميرالنور محمد عنقره فى معركة الشبكات .

النور محمد عنقره : قائدا . (١)

صديق الكنانى : نائبا للقائد . (١)

قادة الرايات

راية على ود قمر وكيل راية ود التويم المادح ١

راية على الهاشمى عمرابى تابع لراية الحاج خالد ١

راية الطائف ود العجوز ابن اخت الملك ادم ١

راية الحاج مرزوق راية شايقيه ١

راية حسن حسين وجماعته ٢

راية محمد العريق ٢

راية بشير الياس ٢

راية بكر جودة ٣

راية عبد القادر البشير ٣

راية البدوى ابوصفية ٣

راية الشامى هبانى ٣

---

١ - جهاد فى سبيل الله ص ٧٤/٧٣

٢ - خطاب المهدى ٢٠٤ ف ١ - دار الوثائق المركزية الخرطوم .

٣ - خطاب المهدى ٢١٧ كيمبردج .

الشبكات الأرض

الطريق الذى ينحدر من ابى طليح الى النيل ، يمر بغابة تدعى الشبكات .ان الطريق يشقها تمامـــا . طول غابة الشبكات حوالى خمسة عشر ميلا . عرضها حوالى خمسة اميال . الغـــابة فى البداية تبدأ خفيفة جدا ولا تظهر كغابة ، ولكن بعد منطقة الابار تصبح كثيفة . استعمال كلمة «غابه» استعمال مجازى ، فهى ليست غابة اشجار ، وانما هى بشكل رئيسى غابة اعشاب ثمام ومحريب ، ينمو على ارتفاع يغطى قامة الرجل ، وفى مناطق منها ، الفارس . وسط هذه الاعشاب اشجار سنط مختلفة الاحجام والكثافة . الارض تلال حصوية . الابار التى تقع شمال الطريق الى المتمة كانت وقتها ثلاث ابار . المسافة بين الابار والنيل اربعة اميال .

الطريق بعد الابار ، يسير مسافة تقل عن الميلين ثم ينقسم الى طريقين ، واحد يسير لدخول المتمه على اليسار ، والثانى يسير الى قرية ابى خروق الى اليمين .

ابو خروق قرية صغيرة قليلة المنازل .الى يمين القرية ، وعلى مسافة بضع مئات من الامتار ، مجموعة منازل اخرى تسمى ايش تابه .

ابو خروق تبعد عن النيل مئات من الامتار قليلة . القريتان تقعان خارج نطـــاق غابة الشبكات .والغابة نفسها تفصلها عن النيل اشجار سيال متفرقة .

الأمير النور محمد عنقره

ولد بطل معركة الشبكات ، النور محمد عنقرة فى عام ١٨٣٦ ، من اصل شايقى ، رغم ما قيل مـــن انه ينتمى الى الدناقله . ترعرع النور فى بيت الملك طمبل محمد حريس بارقو .

عمل النور بالجيش التركى المصرى كجندى خياله فى حدود السودان الشرقية ، تحت قيادة موسى باشاحمدى . كان عمله بشكل رئيسى الاستطلاع فى الحدود

السودانية الحبشية في خلال عام ١٨٦٢ . ترك الخدمة العسكرية المصرية وانضم إلى قوات الزبير رحمة في بحر الغزال ، حيث اصبح قائد جيشه في حملة الزبير بدارفور عام ١٨٧٤ — ١٨٧٥ .

عندما خدعت مصر الزبير وقامت باعتقاله بمصر ، خدم تحت قيادة ابنه سليمان الزبير . عندما تفرق جيش الاخير ، انضم النور بالفين من الجنود الى جيش غردون . غردون فرح بانضمامه اليه ، وعينه فى رتبة قائمقام مع درجة بك ، ثم عينه اول حاكم لمنطقة اللادو فى عام ١٨٧٧ . عندما عينه حاكما على كبكابيه بنى بها مقرا للحكومة ظل باقيا الى يومنا هذا . رقى الى رتبة اميرلاى ، وحارب السلطان هارون الذى كان يطالب بعرش الفور ، وقد قضى عليه .

فى عام ١٨٨٢ ، كان يقود حامية بارا عندما قام ثوار المهدية بمحاصرتها ، فسلم لهم فى يناير عام ١٨٨٣ .

الامام المهدى احسن استقباله وعينه اميرا ، فكان احد ثلاثة خدموا فى جيش الزبير رحمه وينضمون الى الثورة ، وهم الامير حمدان ابوعنجه والامير الزاكى طمل والامير النور محمد عنقرة .

ان قيادة الامير النور محمد عنقره للجهادية (حملة البنادق) فى غابة الشبكات ، اظهرت براعة شلت جميع مبادرات الجيش البريطانى . وظل الامير يلهو بالطابور الانجليزى زهاء الثمانى ساعات ، لا يعرفون ماذا يفعلون . حطم قيادتهم باصابة استيوارت . اما الهجوم الذى امر به بعد ظهر ذلك اليوم ، فان الانجليز الى يومنا هذا لا يعرفون الهدف منه .

ثم عندما دخل الى المتمه ليقود من بها ويبعد المحاصرين عنها ، استفاد من كل حائط وحجر بداخل المتمه وجعلها كخزينة عصية الكسر خطيرة الاقتراب . دار حولها ويلسون بكل ماأوتى من اسلحة ، فلم يجد بها منفذ جندى . ثم عندما هال عليهم

حجارته ساخرا منهم ،ناموا على الارض لا يعرفون كيف الخروج من مصيدته . ان السماء وحدها هي التي انقذتهم ساعتها وساقت اليهم خشم الموس وبواخر غردون الاربع تحمل العلم الاحمر ذا النجوم الخماسية الثلاث البيضاء والهلال .

ان الامير النور محمد عنقرة قد عمل بعد ذلك تحت قيادة الامير حمدان ابى عنجه ، وعاش حتى بلغ الرابعة والثمانين من عمره ومات فى ام درمان المباركة عام ١٩٢٠م.



معركة الشبكات

الاثنين ١٩ يناير ١٨٨٥م

٢ ربيع الثاني ١٣٠٢ هـ

الساعة السابعة صباحا

قوات السوارى عادت مسرعة لتقول لقيادتها :ان الثوار يملأون الغابه ،وانهم اطلقوا النار عليهم .

قبض السوارى على طفل واخذوه الى تل الحصى المجاور المستدير القمـة لكى يشرح لهم الطريق الى المتمة .

الساعة الثامنة صباحا

قرر السير هيربرت ان تعسكر قواته فى زريبة لتناول الافطار قبل الدخـول فى المعركة .

الارض على مسافة بين مائتين وثلاثمائة ياردة حول الزريبه مكشوفة . اختار القائد هذا المكان لمنع الهجوم المفاجئ .

صدرت الاوامر بانزال المحمولات ووضعها حول الأكمة التى نزلوا بها، وتشييد الزريبة. بدأت الهمهمة بين قوات الطابور ، فى كيف يبتنون الزريبة وهم على بعد اربعة اميال من المتمه (١) ؟ اقيمت الزريبة من صناديق البقسماط والسروج وما وجدوا من حجارة قليله . تم ذلك سريعا جداً .

الساعة الثامنة والنصف صباحا

بدأ الجنود فى تناول افطارهم بداخل الزريبه .

خارج الزريبة الانصار حملة البنادق ـ الجهادية ـ اتخذوا مواقعهم داخل الغابه

١ - قلايشن ص ١٤٩ .

على يمين الزريبة وأمامها . على يسار الزريبة الانصار في تلين ، تقف كل مجموعة على تل في تشكيل هجوم حاد المقدمة يشبه تماماً محاور هجوم الامير موسى الحلو التى رأوها في ابي طليح .

يسار طريق القوافل الذى يسير الى المتمة مجموعة اخرى بنفس التشكيل ، ومجموعة رابعة الى يسار هذه المجموعة ولكن ليست من المشاة وانما من فرسان دغيم وكنانه .

ان اي محاولة للاتجاه نحو المتمه ستجابه ثلاثة محاور هجوم مشاة يتقدمها فرسان ، ومحوراً آخر من فرسان دغيم وكنانه . ولكن قبل ان يصل الى مكان قريب من تلك المحاور ، علية ان يتخطى جهادية الامير النور الذين يقفلون الطريق امامه ويسدون ميمنته . اذا اراد الذهاب الى النهر على يمين المتمة ، فانه سيكون على مبعدة من محاور الهجوم ، عدا ، محور واحد ولكن سيكون عليه ان يتخطى الجهاديه .

مطر الرصاص الحمىء

قبل ان يتمكنوا من التهام افطارهم ، اصدر الامير النور محمد عنقرة اوامره باطلاق الرصاص على المعسكر ، مشددا على التصويب الدقيق قبل اطلاق النار ، ومذكرا ان الطلقات التى تصيب كبار الضباط اجدى من التى تصيب الجنود . كما ان الطلقة التى تقتل جملا ستمنع امداداتهم ورجوعهم . فى التاسعة الا الربع بدأت امطار الرصاص تنهمر رذاذا حمئا على طابور الصحراء الانجليزى. الضرب كان فرديا ، ولكن من الف بندقية رمنقتون فى ايدى جنود خبروهـا سنينا ويجيدون التصويب الدقيق .

الانجليز بداخل الزريبة لم يروا سودانيا بالغابه ، انما كانت تصلهم رسائلهم السريعة القاتله . الطريقة الوحيدة التى بدأوا يخمنون بها مصدر الرصاص ، هى خروج بعض الدخان من كل طلقة تنفثها الرمنقتون .ولكن هذه النقطة لم تفت القائد المحنك الامير النور . ان قواته التى كانت لا تنام خلف ساتر كان عليها ابدال موقعها

في اتجاه معاكس لاتجاه الهواء .

بدأ الانجليز في السقوط واحدا تلو الاخر . عدد كبيرمات واخر ينزف بغزارة وثالث ينتظر عاجزا .

مدفع القاردنر وضع خارج الزريبة ، ولكنه كان غير مفيد لانهـم لا يـرون مجموعات لاطلاق النار عليها من المدفع السريع الطلقات . وحتى لو تمكنوا من رؤيتهم فالمدفع فقد مسمارا يثبت احدى عجلتيه .

اصبح من الحتمي على الانجليز ان يحتلوا منطقة اعلى من مستوى الاعشـاب . تبرع ثلاثون جنديا من لواء حراس الهجانة للجرى ستين ياردة للمرتفع . عندما جروا قتل عدد كبيرمنهم . صرخ كونت قلايشن ، الشاب الكاتب الفنان ابن العظماء . . . اخذوه بسرعة الى الجراح بالمستشفى الذى كان مع رجاله يعمل وكأنه مكينة بخارية . اندفع الجراح نحو الكونت الشاب وفحصه بسرعة سائلا اياه اين الاصـابه ؟ امسك الكونت بالمكان الذى اصيب فيه .... نظر الجراح الى المكان وقال ساخرا : ما اصابك يعالج عند حائك ثياب وليس عند جراح ... ان زرارة الكونت هي التى اصيبـت فقـط ! (١)

ان قصة قلايشن تحكى الهلع الذى اصاب به الامير النور القوات البريطانية . ان الكونت عندما اصر انه قد اخترقته رصاصة ، لم يكن مع الجنود المندفعين لارتقاء المرتفع وانما كان ينام على الارض ويطلق الرصاص لحماية المندفعين جريا لا حتلال المرتفع (٢).

اصابة استيوارت قائد الطابور

القائد سير هيربرت استيوارت ارسل ياوره « ميجور رودس » الى اتجاه ، واتجه هو الى اتجاه اخر لكى يخبر قواته ان الافطار سيدوم ساعة . في اثناء حـركته تلك ،

١ - ٢ - كل المراجع ، ومنها كتاب كونت قلا يشن نفسه ص ١٥١ .

اصابته طلقة في اعلى فخذه ، اخترقت اللحم ومرت على مقربة من شريان « الفيمورال» الضخم دون ان تقطعه ، واخيرا رقدت بالقرب من السلسله الفقرية .

الاصابة خطيرة في ذلك التاريخ الذى لم توجد به مضادات حيوية . الاصابة حدثت قبل التاسعة صباحاً بدقائق (١) .

تحول القيادة لسير تشارلز ويلسون

اصابة القائد شلت الطابور . سبب هذا الشلل هو ان نائب قائد الطابور ، كولونيل بيرنبي ، قد قتل في ابي طليح . اكبر الضباط رتبة هو سير تشارلز ويلسون قائد سلاح المخابرات والقائد المرسل لكى يذهب الى غردون بالخرطوم مع ثلاثة من خبراء الحرب البيلوجية من نفس قواته وعشرين جنديا من لواء السسكس .
ان ويلسون في رتبة كولونيل بالجيش الانجليزى منذ عام ١٨٨٣ ، وعليه فقد تسلم قيادة الطابور .

الساعة التاسعة صباحاً

بين التاسعة الا ثلاث دقائق والتاسعة وعشر دقائق كان الطابور بدون قائد يقوده.
اول قرارات سير تشارلز ويلسون هي ان تصبح اصابة قائد الطابور سراً . وقد ظل الامر سرا ساعتين كاملتين .

تشاور سير تشارلز ويلسون مع الشخص الذى يليه في القيادة ، وهو الشريف كولونيل ادوارد بوسكاون ، وهو قائد لواء حراس الهجانة . بعد ذلك ذهبا سوياً الى سير هيربرت استيوارت في المستشفى الذى شيد من الصناديق والصفائح في وسط الزريبة . وجدا ان جراحة خطيرة ، ولكنه لا زال بارد الاعصاب ولم يفقد توازنه النفسى . سأل الضابطان سير هيربرت عن خط سيره ، فقال لهما : امامكما واحد من اثنين ، الأول

١ — اوراق وزارة الحربية البريطانية . الكس ماكدونالد ص ٢٧٠ .

الهجوم على المتمة ، والثاني هو التوجه إلى النيل . بالنسبة إلى الجرحى فيجب تركهم في زرائب محصنة ، كما كان الحال في ابي طليح .

ساعات في سـقر

خرجا منه للعمل على تحصين الزريبة والمستشفى وتشكيل مربع للخروج من هناك . هذه العملية احتاجت الى ست ساعات ونصف في سماء ممطرة رصاصا قاتلا . لحظة حرجـة ، عندما قامـوا بتحصين القلعة الخارجية .ان ذلك العمل كان يعني حمل صناديق ستين ياردة في هذا الجحيم القاتل . تساقط الرجال والضباط والخيول والجمال .

مقتل الصحفيين

قتل في تلك االلحظات «كاميرون» مراسل صحيفة «الاستاندرد» الذي حضر معارك الشرق . قتل عندما وقف ليتلقى صندوق « سـاردين » من خادمة . اصابته الرصاصة في قلبه .

قتل ايضا «سنت ليفر هيربرت» الذي كان يجمع بين عمله كسكرتير لسير هيربرت استيوارت الجريح وعمله كمراسل لصحيفة «المورننق بوست» .

الساعة الثانية عشرة منتصف النهار

ضرب ليوتنانت كولونيل « كرتشلي » نائب قائد لواء حراس الهجانة في ساقه ، عندما كان يتحدث الى ليوتنانت لوسون الذي كان يريد منه ايصالا بمعول اخذه منه .

الرجال قتلوا بالعشرات . الجمال الصابرة تتلقى العيار الناري فتصدر منها رجفة شديدة ، يتبعها سيل الدماء . تستمر تجتر كان شيئاً لم يحدث الى ان تفقد كمية كبيرة من الدماء ، فيبدا عنقها في السقوط .

قوات النور محمد عنقرة رأت ان تبدل لحن العزف الفردى الى عزف جماعي. بدأ الاطلاق النيراني في مجموعات . اصاب ذلك قوات المعسكر الانجليزى بالتذمر . نام الذين لم يكونوا نائمين على الارض ولا يريدون الحركه (١) .

ارسل لورد بيرسفورد رسالة الى سير تشارلز ويلسون يقول له فيها : انه اذا لم يتابع سيره فانهم سيموتون جميعا . الرسول سقط برصاصة قاتلة فورا . اخذ ليوتنانت (مونرو) رسالة اخرى من اللورد بنفس المعنى ، ولكنه اصيب بجراح قبل ان يـــوصلها الى القائد الجديد .

الساعة الثالثة والنصف عصراً

التحرك نحو النيل

اخيرا تمكن سير تشارلز ويلسون من الوصول الى قرار ومن تنفيذ هذا القرار. فقد قرر ان تبقى قوة لحماية الزريبة وخروج مربع منها ليتقدم الى النيل .

القوة التى تركها بالزريبة مع القتلى والجرحى تتكون من :

لورد تشارلز بيرسفورد : قائدا .
كولونيل بارو : نائبا .
كابتن نورتون : قائدا للمدفعية .
دور وورد : قيادة المهندسين الملكيين .
ميجور ديفسون : قيادة لواء الهجانه الثقيل (فصيلة الرماحة ١٦) .
لورد دن دونالد : مسئولا عن الجرحى نسبة لقلة من بقى حيا من قوات السلاح الطبى ويساعده جنود من لواء الهجانه الثقيل .

مجموع هذه القوة التى بقيت لحراسة زريبة الشبكات ثلاثمائة رجل . بقية القوات تشكلت خارج الزريبة في شكل مربع به ستمائة ضابط وجندى تقريباً. في اثناء تكوينهم

١ — كرامة انجلترا ص ٢١٠ .

فشـل الانجليز فى التوجه الى المتمـه

١٩ يناير ١٨٨٥

للمربع سقطـــت اعـــداد أخـــرى منهم . بعـــض المدنيين التابعين للطابور حاولوا الرجوع الى ابي طليح (١) .

في تمام الثالثة والنصف بعد الظهر بدأ المربع يتحرك ببطء في صحبة رصـــاص الامير النـــور محمد عنقرة .

حوائط المربـــع

هذا المربع الصغير المتجه شرقاً تتكون حوائطه من المواد الاتية :

المقدمـــة :قوات لواء القرادنبرز ، وقوات البحرية .

الميمنـــة : قوات لواء الكولد ستريم ، وقوات لواء الاسكوتز وجزء قليل من قوات لـــواء الهجانة الثقيل .

الميـــسرة : لـــواء المشاة الراكبـــة .

المؤخرة : جزء من لواء الهجانة الثقيل ، وقوات السسكس .

استمرار السير

امامهم والى اليسار مجموعات ضخمة من الثوار بملابسهم البيضاء على التـــلال كمجموعات سحاب ضخمة تعلوها رايات بيضاء وخضراء . ســـار المربـــع دقيقة أو دقيقتين ثم توقف لاطلاق النار في شكل مجموعات في اتجاه خروج الدخـــان ، ثم استمروا دقيقتين اخريين وتوقفوا لاطلاق النار بالطريقة السابقـــة . قطـــع المربـــع قرابة الميل بهذه الطريقة . ان نيران الامير النوراني اصبحت اكثر ضراوة وقد بقيـــت عليهم امتار قليلة قبل الوصول الى هضبة حصوية . عندما يرتقي هذا التل المكون مـــن التراب والحصى فيكون على بعد ميلين من القمة التي تقع شمال شرق التل .

---

١ - كرامة انجلترا ص ٢١١ .

فوضى وانحلال في المربع الانجليزى

الفوضى التى بدأت بالطابور الصحراوى منذ معركة ابي طليح وصلت الان مدى انحلال الضبط والربط العسكرى . عقد ويلسون ، وهو في الطريق ، مجلساً حربيا مع بوسكاون وغيره . اقترح بوسكاون ان تسير مقدمة المربع وحدها الى الامام . لقى اقتراحه رد فعل عنيف من قائد لواء المشاة الراكبة ميجور « قوف » . ان ويلسون كان يأخذ برأى الضابط الذى كان يسمعه صوته .

الساعة الرابعة وخمس واربعون دقيقة مساءاً

رأى الامير النور ان المربع الانجليزى قد يتجه بعد المضبة الحصوية مباشرة الى المتمة ، فقرر ان يجمع قوات الجهادية الحادى النظر ، الدقيقى التصويب ، ويجعلهم يتقدمون حول المضبة وتشكيل حائط بهم يكون بين المتمة والقوات البريطانية . ولكن نظرا لضيق الوقت ونظراً لان المربع الانجليزى يبعد من المضبة بمسافة قليلة فقد امر بتمثيل مسرحية تناسب هذا العدو الذى ظل يلهو به قرابة التسع ساعات .

مسرحية الهجوم التأخيرية

استدعى الامير النور عنقرة الامير الصديق الكناني وشرح له قصة وسناريو المسرحية وبعث به ليقوم بالاخراج . انطلق الامير بجواده بعيداً من موقع المربع الانجليزى ودار الى المنطقة المواجهة لقوات الامير النور وارتقى جانب المضبة الشمالى حيث تقف قوات انصارية هناك وشكل منهم محور هجوم حاد المقدمة كمحاور ابي طليح الخمسة ، المقدمة تتكون من الفرسان . كل عملية التشكيل كان يقوم بها على مسافة تزيد قليلا عن ثمانمائة متر من المربع . استمر الجميع بالمربع يشاهد ما يحدث هناك . انه هجوم في مرحلة الاعداد يحدث امام عيونهم . فرح كل انجليزى انه سوف ينتقم لاصدقائه الذين قتلوا في مهزلة هذا اليوم الطويل .

ان الارض مكشوفة بينهم وبين هذا المحور ، وخصوصاً سيكون محورا هابطا من

التل الحصوى وبالتالى سيعطيهم دروة افضل للضرب . حشيت مواسير البنادق وبـدأ التنشين على الانصار من المربع الذى توقف .

الامير الصديق وصحبه استمروا في عمليات التشكيل كأنهم جيش بهلوانـات على نغمات طبـول الحـرب تهـز التـل هـزا . يوقـف رجـل الصـف ، فيأتى اخر لتغييره . تقف الخيول فى المقدمة ولكن سرعان ما تندفع الى داخل المحور مبعثرة له . الفرسان يطلبون من زملائهم رفعهم الى خيولهم . انقضت نصف ساعة فى هذه الكوميديا فى الهواء الطلق على ضوء الشمس المنحدرة فى ثقل . فتر المشاهدون الانجليز من تأخير التشكيل فبدأوا اطلاق النار على المحور من مسافة تزيد على ثمانمائة متر ، ولكن الضرب لم يكن مؤثراً .

اشار الامير الصديق بيديه ، وفى ثوان كـان هناك محور فى انتظام ويستطيع ان يخرق سور الصين العظيم .

حسنا ، تقدم الامير بجواده الى المقدمة وبدأ التحرك ... سار بهمة ولكنه توقف بعد دقيقتين ليقدم خطبة باعلى صوته عن مربع الانجليز ووجوب اختراقه فى نقاط محـددة بـدأ يشـير اليهـا بسـيفة . تقـدم مـرة اخـرى ببـطء شـديد وكأنه يريد اصطياد طيور الكنارى . كاد ان يصـل الى نقطة التأثير لبندقية المارتينى هنرى . انه كاد ان يصل لمـدى الاربعمـائة يـاردة ... لا ليس بعد ، انـه على بعـد يقـارب الخمسمـائة يارده . ، تقدم مرة اخرى ... انها الان اربعمائة متر وليس ياردة ، طلب من حملة البنادق الرمنقتون فى محوره بضرب المربع . استمر التراشق بالنيران لا كثر من دقيقتين ... وصلت الاشارة بان قوات الامير النور محمد عنقرة الجهاديه قد انمت العبور واتخذت مواقعها الجديدة بين المتمة والجيش الانجليزى. حينها امر الامير الصديق قوات الرمنقتون بمحورة انهـاء المسرحيه بضرب مكثف يسمح لبقية المحور بالانسحاب وراء ستائر المسرح .

التقدم الى النهر

الخامسة والثلث مساءاً

تقدم المربع في الخامسة والثلث في خط مستقيم الى النهر دون اى معارضة من الثوار . المسافة ثلاثة اميال قطعوها في ساعة . مع المغيب كانوا هناك امام النهر . سمح القائد لهم بالشرب من النيل على مجموعات خوفاً من هجوم مباغت عليهم .

الجميع في صمت القبرر ، والنعاس والارهاق والتوتر كان كل شيء يتحدث في عقولهم . الهلال ابن اليومين بدأ صغيراً في السماء . اقيمت زريبة ونقاط حراسة ، وفي دقائق كان طابور الصحراء الانجليزى نائماً على نغمات الطبول الانصارية البعيدة .

ماذا حدث لزريبة الجرحي يوم ١٩ يناير ٨٥

ان الزريبة التي تركت وبها القتلى والجرحى على بعد اربعة اميال من النهر تحت قيادة لورد تشارلز بيرسفورد ، لم تواجه هجوماً مباشراً بعد مبارحة المربع للزريبة . شاهدوا فقط فرسان دغيم وكنانة يقتربون من الزريبة لاستكشاف ما حدث فيها . اسرع ليوتنانت « دولى » باطلاق دانة من مدفعه زنة سبعة ارطال ، ولكن قبل ان يتحصل على البعد الصحيح كانت قوات الفرسان قد اختفت .

قوات جهادية الامير النور عنقرة استمرت تصلى الزريبة نيرانها بعد خروج المربع منها ، الى ان تم عبورها خلف التل للجهة المقابلة . عدد الجمال التي قتلت من هذه النيران بعد خروج المربع من الزريبة كان مائة (١) ، وقد اصيب ايضاً عدد من الرجال .

حساب الربح والخسارة

الامير النور محمد عنقرة ، قائد يعرف اقتصاد الحروب الدموى . انه يريد

١ — قلا يشن ص ١٦٣ .

ان يشترى اكبر كمية من الدماء بمقذوف واحد ، ولا يريد ان يبيع دماً بأى سعــر .

ان المربع الانجليزى من ساعة خروجه من ابار ابي طليح الى ساعة تجمعه لتشكيل مربع للتقدم من زريبة غابة الشبكات فقد اربعمائة وخمسين رجلا بين قتيل وجريح ، حسابهم كالاتي :

القوات البريطانية التى تركت ابا طليح : ١٣٥٠ عــلى ١٣٥٠ جملا (١)
القوات بالزريبة غير الجرحى : ٣٠٠ (٢)
القوات التى ذهبت للنهر : ٦٠٠ (٣)
٩٠٠ ٩٠٠
المفقــودون « موتي وجرحى : ٤٥٠
اصابات خلال تشكيل المربع غير معروفة :
قتلى انجليز اثناء مسرحية الهجوم (٤) : ٣
القتلى والجرحى المعروفون حتى وصول
المربع الى النهر : ٤٥٣
عدد القتلى منهم (٥) : ١٢٢ ، البقية جرحى . المتبقى من كل طابور الصحراء ليلة الاثنين التاسع عشر من يناير ١٨٨٥ – الثاني من ربيع الثاني ١٣٠٢هـ ، هو ثمانمائة وسبعة وتسعون ضابطاً وجندياً ومساعدا .

---

١ – متأخر على غردون ص ٢٥٦ .
٢ – متأخر جدا على غردون ص ٢٧١ .
٣ – قلايشن ص ١٦٢ . ٤ – متاخر جدا على غردون ص ٢٨٤
٥ – غردون الخرطوم بيتر جونسون ص ١١٤ – النقد الثاني الذى يذكره لا يأخذ فى الاعتبار غير الانجليز المجندين .

اهـــم القتلى والجرحى

١ ــ سير هيربرت استيوارت .

٢ ــ كاميرون مراسل صحيفة الاستاندرد .

٣ ــ مينت ليفر هيربرت مراسل صحيفة المورننق بوست وسكرتير قـــائد الطابـــور سير هيربرت استيوارت .

٤ ــ ليوتنانت كولونيل كرتشلي نائـــب قائد لواء حراس الهجانة .

٥ ــ ليوتنانت مونرو ضابط بالاسطول .

شهـــداء الثوار

تقريباً انتهى اليوم بلا شهداء . ان بعض القادة الانجليز قد رأوا ثلاثة انصار يسقطون ولكن لا أحد يستطيع أن يحدد ، هل كان ذلك جزءاً من التمثيلية ام انهم سقطوا نتيجة جراح ام استشهدوا .

ان الانجليز حاولوا ان يخلقوا من المسرحية هذه ، معركة بحق وحقيق لسببـــين ، الأول هو رفع الروح المعنوية لجنودهم ، والثاني لاقناع وزارة الحربية البريطانية انهم فعلـــوا شيئاً .

حاول القادة الانجليز بعد مسرحية الهجوم ان يقنعوا قواتهم او وزارة الحربية البريطانية انهم لم يفقدوا جنوداً (١) ، ولكنهم عند مرورهم بارض المعركة في اليوم الثاني وجدوا جثث موتاهم الثلاثة (٢) الذين لم يلتفتوا لهم بالامس .

---

١ ــ متاخر جدا على غردون ص ٢٨٤

٢ ــ نفس المرجع .

الثلاثاء ٢٠ يناير ١٨٨٥

الرابعة والنصف صباحـــاً

إختيار ابي خروق

قبل شروق الشمس ضربت نوبة صحيان ، فقام الجنود من مرقدهم وهم يتوقعون هجوما لم يحدث . وجدوا بعد ارهاق اليوم الفائت ، ان مكانهم لا يوفر الحمايـــة الكافية . بحثوا في مجموعات المستوطنات المجاورة ، الخالية من السكان تماماً ، فاختاروا منازل قرية ابي خروق . دخلوا الى جميع منازل هذا المكان الذى يمكن ان نسميه قرية صغيرة فلم يجدوا بها احدا . عندما علموا ان القرية تدعى ابو خروق ،لم يعجبهم الأسم . انها تذكرهم بالمكان الذى كرهوه .. ابي طليح . لذلك قرروا تغيير الاسم الى «القبه» . ان ابا خروق تقع بين المكان الذى ناموا فيـــه والمتمـــة . القرية تقـــع في مـــوقع استراتيجى حسن على سفح تل حصوى اخـــر . منازل ابي خروق عبارة عن قطاطى مستديرة وغرف مربعة . بعض منازلها يتكون من اكثر من غرفة واحدة . من هـــذا المكان تمكن رؤية المتمة بوضوح . ان رايهم في هذه القرية الطينية الحيطان انها اكثر نظافة من كثير من القرى البريطانية ، وكل القرى التى رأوها بمصر (١) .

العودة الى زريبة الشبكات

كان عليهم ان يرجعوا الى زريبة الشبكات فورا لعدة اسباب .السبب الاول انهم لا يملكون طعاماً ويملكون ماءاً ، الثلاثمائة جندى والجرحى بالشبكات يملكون طعاماً ولا يملكون ماءاً . السبب الاخر المهم هو انهم رأوا جملين من جمالهم الحمراء السروج تتجه (٢) نحو المتمة ، فاعتقدوا ان الانصار قد هاجموا زريبة الشبكات وقضوا عليها .

قرروا الرجوع الى زريبة الشبكات لمعرفة ما حدث ... ان الثوار لو هاجموا تلك

---

١ - مع طابور الصحراء ص ١٦٦ .

٢ - كرامة انجلترا ص ٢١٤ - ٢١٣ .

الزريبة التي يحميها ثلاثمائة رجل ، لو تم الهجوم عليها ليلا ، لواجه طابور الصحراء موقفا بالغ التعقيد . ان اكلهم ومدافعهم والمحمولات المرسلة الى غـــردون الملوثة بالتايفويد ، ستكون قد ضاعت عليهم . ان وجود تلك المدافع في يد الثوار ، وفقدان هذه البقية الباقية من الطابور لغذائهم لربما قاد الى تسليمهم او هلاكهم اذا عزلهم الثوار من وابورات غردون المتواجدة في المنطقة . ان وصول (الكورند بيف) الملوث بالتايفويد سيسبب اصابات خطيرة لهم ولغيرهم من الســـودانيين ولكن هـــذا ربمـــا لايغير الحقيقة التي حدثت فعلا بوصول هذه الاغذية الى ايدى القوات الثائرة فيما بعد .

تحركت القوات الانجليزيه في تشكيل طابور يقوده سير تشارلز ويلسون ، وتركوا في ابى خروق قوة بقيادة لورد ارثر سمرست ، تتكون من جنود قليلين من لـــواء الهجانة الثقيل والسسكس . ان لورد ارثر كان عليه بهؤلاء الجنود القلائل ان يحرس الجرحى الذين قضى الجراحون الليل كله في اجراء العمليات لهم واخراج الرصاص الذى اصابهم عندما اطلقه عليهم الثوار لحماية انسحاب قوات هجـــوم المسرحيه . ان الاطباء في الصباح كانوا في حالة اعياء كمرضاهم تماما ،وفي الحقيقة منذ الليل كان بين الاطباء من اصيب باغماء من كثرة العمل. ان الطريق الى زريبة الشبكات لم يكن محفـــوفا بخطـــر كبير . رأوا بعض الثوار على مسافات بعيدة في شكل فردى فاطلقوا عليهم عدة مجموعات نارية ، وساروا في طريقهم الى الزريبة التي تبعد اربعة اميال من النهر . اخذ الطريق منهم ساعتين ونصف الساعة . عندما وصلوا استقبلهم اخوتهم بالزريبة بفرح شديد . فقد كان كل من بالزريبة يخشى هجوما على زريبتهم القليلة العدد الكثيرة المدافع والجرحى .

عندما سرقوا التايفويد

وجد سير تشارلز ويلسون ان حالة كثير من الجرحى قـــد ساءت ، ولكن سير هيربرت استيوارت ظل كما كان بالامس . الشيىء الذى حطم البقية الباقية من امـــال ويلسون هو انه وجد جميع محمولات الطابور التابعة لسلاح المخابرات ، والتي كانت قد وضعت في عهدة السلاح الطبي قد تعرضت للكسر وسرقت كل خمورها و كميـــة

من « الكورنديبف » الملوث بالتايفويد . ان كل الممتلكات هناك قد تعرضت خلال الليل لسرقات فظيعة (١) . ان القنوط والكآبة وعدم الاقتناع بانهم سيفعلون أى خطة أو عمل عسكرى ، أو حتى يخرجون من مصيدة الموت هذه ، قد قاد إلى ضياع الضبط والربط وكل القوانين العسكرية . هجموا بالليل على الخمر التى كانت مع الكورنديبف الملوث ، فشربوا منها . ثم فتحوا كثيراً من صناديق الكورنديبف واخلوا بعض العلب وفتحوها على أساس أنها تحوى لحوماً أفضل مما يأكلون يومياً وهو البول بيف . عندما وجدوا ان الفارق بين ما سرقوا وما يأكلون يوميا هو اللدرة الشامى المخلوط بالاول تركوه ، واستمروا في السكر الليل بطوله . بعضهم ، من رجال المستشفى استمر حتى الصباح في الشراب .

سرقوا ايضا محمولات سير تشارلز ويلسون الخاصه من الكاكاو واللبن المجفف والشاى المصغوط (٢) . حاول اولا اتهام العدنيين بالسرقه لكى لا يقال انهار الجيش البريطانى ، ولكنه ماذا سيفعل بالذين اكلوا اللحوم الملوثه واكثرهم من السلاح الطبى ؟ بل امامه الان واحد منهم لا يستطيع الحراك من السكر .

ان ويلسون قد فعل الشيىء الوحيد الذى يمكن فعله ، ان يعزلهم بعيدا عن الاخرين ، وقد فعل . ربطهم على اشجار بعيدة فى الشمس (٣) .

القداس الحزين

ان الموقف الذى بدأ يجابه سير تشارلز ويلسون لا اعتقد ان نابليون قد جابه اعقد منه عند رجوعه من روسيا . ان جيشه قد انهارت روحه المعنويه وهو يواجه اعداء خشن العداوة يملأون الارض حوله ، وهو مواجه بمرض سينفجر فى داخلهم لا لايبقى ولا يذر . وقبل هذا وذاك ، امامه جرحى وموتى بدأت اجسادهم فى الانتفاخ فى جو السودان الحار وزملاؤهم ثائرون لعدم وجود قسيس يصلى عليهم .

١ - كرامة انجلترا ص ٢٠٣ ، مع طابور الصحراء ص ١٦٣/١٦٥ .
٢ - ٣ انجلترا كرامة ١ ص ٢١٤ .

تصرف هذا القائد العظيم بأمساكه ببدايات الخيوط الصحيحه .بعد عزله لمـن اكلوا التايفويد ، امر لورد تشارلز بيرسفورد بالصلاة على الموتى. وقف معه اثناء الصلاة القائد وبعض ضباطه .

الدفن كان في مجموعات . فمثلا فى حفرة واحدة وضعوا اربعة عشر ضابطـا ، وفى جدث اخر وضعوا ضابط الامداد « ليما» والمرشد (جويل) ومراسل المورننق بوست الذى يسمى سنت ليقر هيربرت ، ومراسل الا ستاندرد ، كاميرون . (١)

ان البقية من الصحفيين والكتاب في الطابور لا زالت غير قليلة . هنالك لا زال حياً، الفنان الرسام ميلتون بريور والمراسلون بيرس وفيليرز وانقرام وبيرلية وماكدونالد ، والكاتبان مارلينق وقلايشن .

نتيجة لا بأس بها تكذب قول ديوك سمرست الذى قال عن مراسلى الحرب : (انهم جيش نبيل من الشهداء) .

ان كاميرون الذى دفن مع صاحبه ، كان اكثر مراسل حـربى يملك خبرة فى حروب السودان . فهذا الرجل الذى كان فى الرابعة والثلاثين من عمره قد حضـر حروب بيكر وقراهام فى الشرق ، وكانت كتاباته تعكس كثيرا من الاثارة والخيال والمبالغات .

الرجوع الى النيل

فى تمام الرابعة والنصف مساءاً تحركوا من الزريبة فى تشكيل مربع يتكون مـن المشاه الراكبة. خلف هذا المربع مربع ثان يتكون من بقية القوات والمدفعية وطواقمها. حملوا معهم الجرحى . سير هيربرت استيوارت وكذلك كرتشلى كانا محمولين فى المربع المتقدم .

---

١ – اوراق وزارة الحربية البريطانية .

لم يحملوا اللحوم الملوثة معهم

كان الغرض من حضور ويلسون في ذلك اليوم الى زريبة غابةالشبكات ان يحمل جرحاه والمأكولات كلها ويقود جنوده الى ابـــى خروق . انه فشـــل في ان يحمل المعلبات الملوثة بالتايفويد معه . صناديق كثيرة منها قد كسرت ، وتحتاج الى ايدى خبيرة في التعامل معها . ترك الصناديق هناك في حراسة جماعة سوارى وسار الى ابـــى خروق . في اليوم التالى ارسلوا لتلك المحمولات الخطيرة كابتن كاسكوان وليوتنانت استيوارت وورتلى مع جنود وجمال لاحضار تلك المحمولات الملوثه، فهما متخصصان في الحرب البيلوجيه .

سير المربعين ودفن قتلى مسرحية الهجوم

سار المربعان ببطء ، وعندما وصلوا إلى ميدان مسرحية الهجوم التى حدثت امس ، وجدوا موتاهم هناك الذين لم يأبهوا لهم امس .امر سيرتشارلز ويلسون ميجور (بو) بدفنهم (١)

لم يذهبوا الى ابي خروق

مع غياب الشمس كانوا على النيل. لم يذهبوا الى قرية ابى خروق بل الى النيل مباشرة لكى يقيموا معسكراً ومستشفى اخر هناك . (٢) الغرض بالطبع هـــو ابعاد المجموعات التى عزلت بسبب اكلها للكورند بيف من مستشفى ومعسكر ابى خروق .

---

١ – متاخر جدا على غردون ص ٢٨٤

٢ – مع طابور الهجانة ص ١٧٤ .

الاربعاء ٢١ يناير ١٨٨٥

الساعة الرابعة والنصف صباحاً

ضربت نوبة صحيأن فى الرابعة والنصف صباحاً ، فوقف كل الجنود وتناولوا افطارهم من اللحم المعلب والشاى وخرجوا من استحكاماتهم لتكوين تشكيلهم .

التشكيل الذى كونه القائد كان طابورا ثنائياً . بين الطابور الامـــامى والخلفى وضعوا مدفعين من مدافع الميدان التى لديهم (٧رطل) ، وجمال الذخيرة والماء وحمالات الجرحى .

مدفع القاردنر لم يحملوه لان الضابط الذى كان يعتقد الا احد غيره يستطيع ان يدير ذلك المدفع ، لورد بيرسفورد ، كان مصاباً بدمل بالقرب من استه ، ولم يستطيع معـــــه الو قوف .

قبل الشروق تحركت القوات غازية المتمة على بعد ميل ونصف تقريباً ، تتقدمها قوات السوارى بقيادة كولونيل بارو . مجموع الجنود والضباط الذين قادهم كانـــوا سبعمائة وخمسين رجلا (١) .

احضر السوارى اسيرا لكى يحمل خطابا الى اهل المتمة .

خطاب من القائد الانجليزى الى أهل المتمة

اخذ الاسير الخطاب مباشرة الى داخل حصون المتمة ، وقدمه الى الامير النـــور محمدعنقرة . ان الخطاب يقول (٢) :

(نحن اول فرقة من جيش جلالة الملكة جئنا لكبح جماح الاشقياء المتمردين وانقـــاذ مدينـــة الخـــرطوم ، فـــان اردتم الدخول تحت طاعتنا فعليكم امان الله وامــــان جلالة الملكة ، وعليكم ان تقابلونا جنوب البلدة ناشرى رايات الخضوع والتسليـــم ،

---

١ – اوراق وزارة الحربية البريطانية ، كرامة انجلترا ص ٢١٦ .

٢ – السودان بين يدى غردون وكتشنر ص ٢/٤٢ .

واعلموا انكم ان لم تفعلوا ذلك يحل بكم ما حل بالذين حاربناهم في ابي طليح وحينئذ تجنون ثمار ما غرسته ايديكم والسلام) .

عندما وصل الخطاب الى الامير النور عنقرة لم يهتم كثيراً لما كتب في داخل الكتاب، وانما كان كجندى مهتما بمن حمل الخطاب ، حيث استفاد منه في المعلومات التى قدمها له عن الجيش الانجليزى الذى رآه متقدما نحو المتمة .

المتمة المحصنة

عندما كانت قوات سير تشارلز ويلسون تقترب من المتمة لضربها واحتلالها صباح الاربعاء الحادي والعشرين من يناير ١٨٨٥ ، كانت مدينة المتمة الصغيرة مكونة مـــن مجموعتين سكنيتين . المجموعة الأولى في شكل مستطيل شمالى جنوبي طوله الـــف وخمسمائة متر ، ومتوسط عرضة حوالى السبعمائة متر . المجموعة الثانية تقع عــــلى مبعدة مائتى متر شمال الأولى . انها في شكل مستطيل شرقى غربي عرضة ستمائة متر وطوله ثمانمائة وخمسون مترا .

واجهة المجموعتين على النيل مستقيمة جدا . حول المجموعتين حيطان من الطين سميكة . كل مجموعة لها حيطان منفصلة . جميع الحيطان بها ثقوب (مزاغيل) لاطلاق البنادق . داخل المجموعــة الأولى الكبيرة فناء ضخم لاستعراض الجنود . الحائــط الغربي في شكل الرقم (٤) ولكنه مستمر . ان الحائط في شكل اربعات ، لابســب عوج منازل المدينة ، ولكن ليمكن حملة الاسلحة النارية من الضرب في ثلاثة اتجاهات يتوقعون هجوم الاعداء منها من ناحية الحائــط الغربي . الفاصــل بين المجمــوعتين في شكـــل الرقم واحد لصق تحته الرقم سته . اى غير مستقيم ، وبالتالى يمكن اطلاق النار على الداخل اليه من كل الجهات .

مجمل القـــول ، ان حيطان المتمة قد صنعت بدقـــة ومهارة ، لتصيب نيرانها كل من يحاول الاقتراب منها .

الاسلحة بالمتمة .

الأسلحة التي استعملها المدافعون تتكون من بنادق الرمنقتون ، ومدفع جبلي عيار ستة ارطال وضع في الركن الخارجي الشرقي الجنوبي للاستحكامات ، واقيمت لــه قلعة متينة منيعة من الطين وخندق . هناك سلاح اخر مبتكر بداخل المتمــة صنعه بحارو السواقي بها . انه المنجنيق .

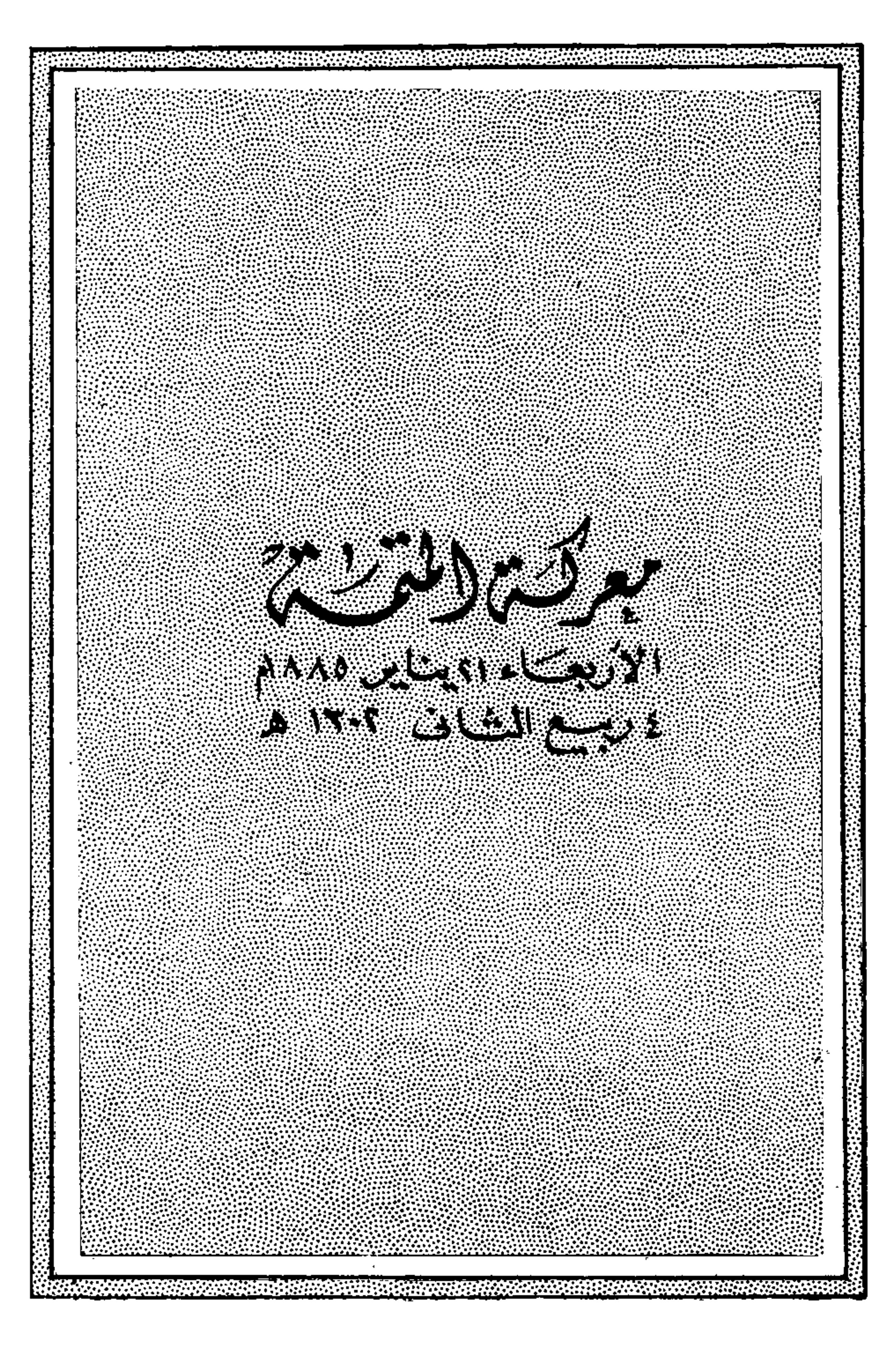
ان المنجنيق الذي صنعوه من اخشاب الاشجار التي حولهم ، كان يقذف الحجارة المستديرة الكبيره لمسافة خمسمائة متر ، ويصيب هدفه بجداره . في الواجهة الامامية وضعوا من هذه المدافع الحجريه ثلاثة – اثنين في المجموعة الكبيرة ، وواحدا في المجموعة الصغيرة من الاستحكامات .

الذي اشرف على عمليات الاستحكامات هو الامير الحاج على ود سعد فــرح ، وقام بالتنفيذ في وقت وجيز ، الجعليون من شندي والمتمه .

وفي صباح الحادي والعشرين من يناير ١٨٨٥ ، القائد بداخل المتمة كان الامير النور محمد عنقره – الضابط المتمرس الذي وجد في تحصينات المتمه عملا عسكريا رائعا ، عرف كيف يستغله الاستغلال الامثل . خارج المتمه ، وعلى التلال التي تقع غربها ، وجنوب غربها وضع القائد فرسان الجعليين ودغيم وكنانه بقيادة الامير صديق الكناني . اضاف اليهم مشاة جهادية تابعين للرايات الآتية :

١ – على ود قمر : وكيل راية ود التويم
٢ – على الهاشمي : تابع راية الحاج خالد .
٣ – الطائف ود العجوز : ابن اخت الملك ادم .
٤ – الحاج مرزوق : راية شايقية .

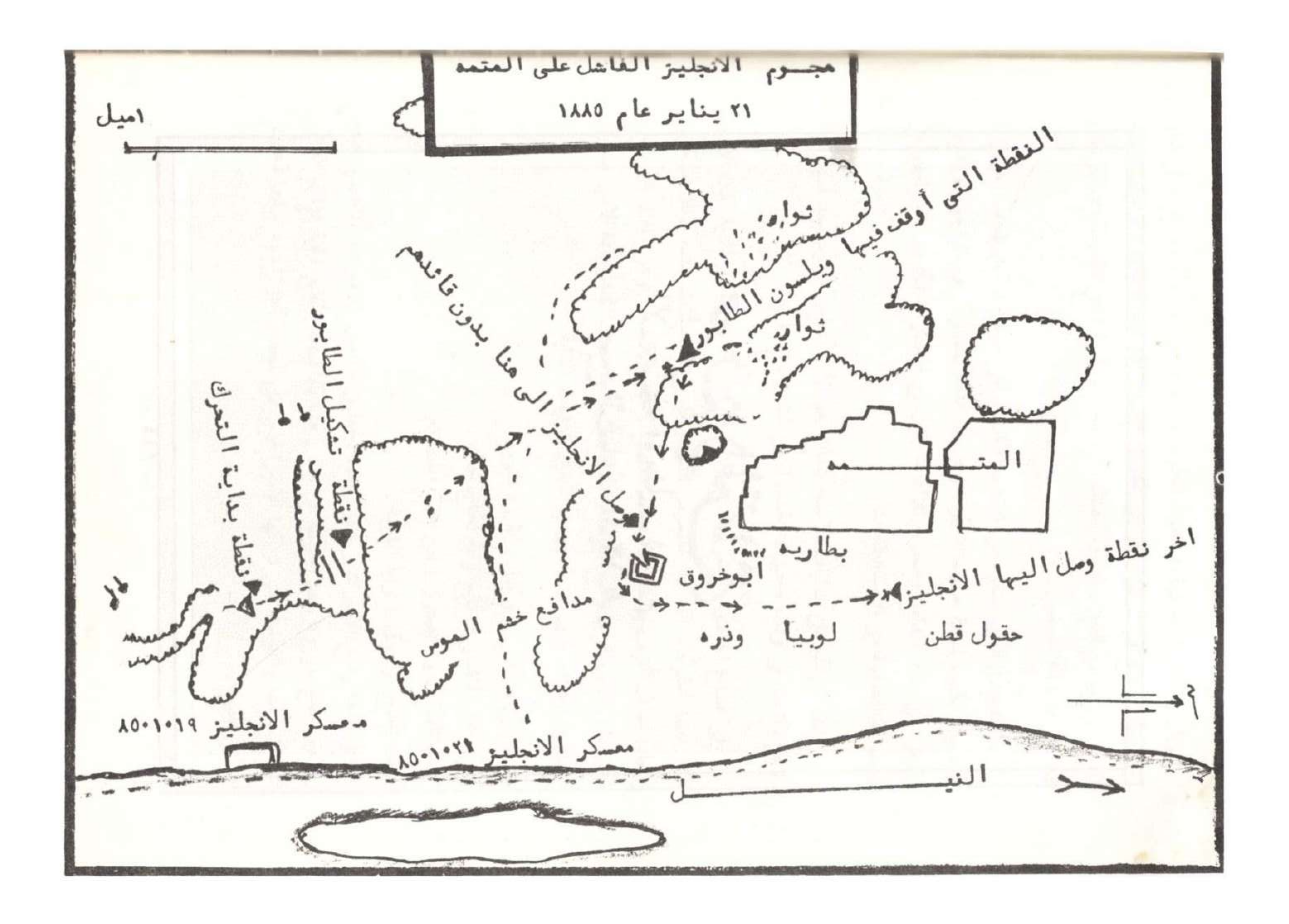
بداخل المتمة وضع الامير النور عنقرة مشاة الجعليين التابعين للامير عبد الماجــد محمد والامير الحاج على ود سعد الجريح في يده . هذا بالاضافة بالطبع لبقية قوات القائد التي اتت معه والقوات التي تركها الامير الحاج على للحفاظ على المتمه عندما ذهبوا الى ابي طليح .



معركة المتمة

الأربعاء ٢١ يناير ١٨٨٥م

٤ ربيع الثاني ١٣٠٢هـ


هجوم الانجليز الفاشل على المتمة
٢١ يناير عام ١٨٨٥
اميل
النقطة التى أوقف فيها ويلسون الطابور
ثوار
ثوار
الى هنا بدون قائدهم
وصل الانجليز
نقطة تشكيل الطابور
نقطة بداية التحرك
المتمة
بطاريه
ابوخروق
اخر نقطة وصل اليها الانجليز
حقول قطن
لوبيا
وذره
مدافع خشم الموس
معسكر الانجليز ٨٥٠١٠١٩
معسكر الانجليز ٨٥٠١٠٢٤
النيل

معركة المتمة

الاربعاء ٢١ يناير ١٨٨٥م

٤ ربيع الثاني ١٣٠٢هـ

تقدم القوات البريطانية

عندما اشرقت الشمس صبيحة الاربعاء ، كان الطابور الثنائي يسير سيراً حثيثا نحو هدفه المتمه . بدأ ويلسون التحرك من معسكر الحجز الصحي ـ المعسكر النهرى ـ بقوة قدرها سبعمائة وخمسون رجلا ، تاركا حوالى مائة وثلاثين جنديا تقريبا غير الجرحى لانهم اكلوا من الكورنديف الملوث وكان يخشى ان يصيبوا اخوتهم بتايفويد يظهر مبكرا او من الدهون التى علقت بملابسهم نتيجة اكل تلك اللحوم وهم فى حالة سكر .

اتجه القائد الانجليزى فى اتجاه شمالى غربى مسافة تقل عن الميلين ثم توقف . انه يريد ان يسير فى نفس الاتجاه الذى توقعه الامير الحاج على ود سعد فى أن ياتى به الاعداء ، فاعد لهم الحائط الذى فى شكل (اربعات) .

النقطة التى اوقف فيها ويلسون قواته كانت تقابل الزاوية الجنوبية الغربية للمتمه . تقدم القائد وحدة بجواده الى قائد السوارى الذى كان يبعد منه حوالى الثلاثمائه متر ويقوم ببعض الاستكشافات لجانب المدينه . خلال حديثه مع قائد السوارى (بارو) اقنعه الاخير بان هذا الجانب اختراقه سيكون مستحيلا ويجب البحث عن جانب اخر للهجوم على المتمه . فى اثناء هذا الحديث اكتشف القائد ان قواته قد تحركت بدون اوامر منه نحو معسكر ابى خروق الذى يقع شرق المكان الذى ترك فيه قواته . ان الذى حدث هو ان نائب قائد الطابور كولونيل بسكاون رأى رايات بين النهر والمتمه ، فاعتقد ان الانصار يريدون الهجوم على ابى خروق التى اصبح جانبها ، نتيجة خطأ التحرك الانجليزى ، معرضا لاى هجوم من جانب القوات السودانيه . بسكاون عندما تحرك بالقوات الانجليزية ابدل تشكيلها السابق الى تشكيل مربع واستمر متقدما به فى خط

محاذ لحائط المتمة الجنوبي . عندما شارف ابا خروق وجـد ان الاعلام ليست لجيش سوداني وقرر انها اجداث صالحين . بدأ يطلق الرصاص على ثلاثة سودانيين كانوا مسرعين للدخول إلى المتمة على بعد الفى ياردة !

فى هذه الاثناء حضر القائد ويلسون ولم يعترض على ما قام به نائبه ،ولم يبدل تشكيل المربع ، واستمر سائرا مع مربعه فى اتجاه واجهة المتمه الشرقيه (بين النهر والمدينه) معطيا الاميرالنور محمد عنقره واجهة عريضة امام مزاغيل قناصته الحادى النظر. ان الانجليز قد تبخرت من رؤوسهم ابسط قواعد التكتيك .استمر المربع سائرا مسافة خمسمائة متر من الحائط الشرقى فى رصاص لم يبخل به الامير النور. بطارية المتمة فى الركن الجنوبى الشرقى منها بدأت اطـلاق مدفعها ستة ارطال . الدانات لم تصب القوات الانجليزيه ، بل كانت تسقط بعيدا عنهم .ابلغ مراقبو المدفع مـن الثوار القيادة بما يحدث لدانات المدفع . استأذن الحاج على ود سعد الاميرالنور فى ان يقوم هو بحل هذا الاشكال البسيط . عندما سمح له بذلك ارسل الامير الحاج على مجموعة جعليين من حملة السيوف الى مكان المدفع وامرهم بالقضاء على الطبجية المصريين اذا استمروا عن قصد فى ابعاد دانات المدفع عن المربع الانجليزى . بوصول مجموعة الشباب حادى السيوف الى مكان المدفع ، اصبحت الدانات تضرب المربع الانجليزى بدقة منقطعة النظير .

عندما كثر الضرب على المربع الانجليزى من المدفع وبنادق الرمنقتون من خلف المزاغيل ، امر سير تشارلز ويلسون بايقاف المربع ،وضرب المدينة بالمدفعين اللذين لديه . ضرب عدة دانات كانت الدانه تخترق الحائط تاركة ثقبا فى حجمها، ولكن لا اكثر(١). شعروا ان ضرب المدافع غيرمجدى على المدينه ، فى زمن يتعـرضون فيه لنيران ذات لهب . ان المربع الانجليزى وصل الان الى مسافة ثمانمائة متر على واجهة المتمه محاولا بقدر الامكان الابتعاد من مدى النيران . لم يعرف القائد الانجليزى ماذا يفعل بعد ذلك . ان قربهم من الحيطان سيعنى نيرانا اكثر دقه واشد فاعلية . هربهم نحو النهر سيعرض

١ – اوراق وزارة الحربية ، كرامة انجلترا ص ٢١٧ .

مؤخرتهم لخطر . كما ان حقول المتمة التى كان ينمو فيها القطن واللوبيا والذرة ، قد تكون كمينا .

فعل سير تشارلز الشيئ الوحيد الذى تبقى له ،وهو ان يأمر مربعه بالنوم ارضا . وماذا بعد ذلك ؟ان النهار لا زال شابا ، فهـل القصد ان يبقوا كذلك حتى المساء للانسحاب ؟

المنجنيق الدقيق التصويب

مشكلة اخرى ظهرت الان للقوات البريطانية ، فقد لجأ الثوار بداخل المتمة الى سلاحهم السحرى . . . المنجنيق . سقطت اول دانة حجرية مستديرة عليهم فاصابت جنديا اصابة شديدة . حجر اخر اصاب جملا فقتله. حجر ثالث حطم حنك جمل .(١)

الانقاذ السماوى

بدأت الامور تزداد تعقيدا بالنسبه الى القائد البريطانى ، اذا بقى هكذا فان رجاله سيموتون رجما . رأى ان الحل الوحيد هو ان يشكل طابوراً يجـرى بـه بعيـدا عن مواجهه المتمه . قبل ان ينفذ فكرته سمع صفارات بواخر غردون الاربع ،بعد ان غرقت الخامسه (المنصورة) فى المستكاب – شمال شندى (٢). البواخر التى وصلت هى البردين والصافيه والتوفيقيه وتل حوين (٣) .

عندما وصلت البواخر ،وجدت القوات السودانية مستمرة فى رجـم الغزاه الراقدين ارضا بلا حراك . كان وجود خشم الموس بتلك البواخر احدى معجزات السماء التى نزلت لانقاذ هذا المربع الممزق الثياب الذى قاسى الموت والجرح والمرض اشكالا وانواعا .

وقف الاسطول الذى كان يقوده محمد نصحى باشا ، وفى همة انحدر الى الارض

١ – اوراق وزارة الحربية ، كرامة انجلترا ص ٢١٧ . ٢ –نفس المرجع .
٢ – شقير ص ٢٠٦ ضربها الثوار بدانة تحت مستوى الماء ، جونسون ص ١٣٠ .
٣ – كل المراجع ، اوراق وزارة الحربية ، كرامة انجلترا ص ٢١٧ .

خشم الموس بك ومعه قواته السودانية التى تبلغ مائتين واربعين جندياً ، حاملين معهم مدفعين نحاسيين زنة تسعة أرطال للدانه وبنادق الرمنقتون والسيوف ، دفعوا بالمدفعين حتى خرجوا بهما من المنطقة الزراعية ، ومن مكان خلف ابي خروق بداوا اطلاق الدانات والبنادق على واجهة المتمة ، وعلى مـــدفع الثوار لكى يجد الانجليز فرصة للانسحاب بهـــذه التغطية .

حمد سير تشارلز الله على نعمائه ، وامر جنوده بتشكيل طابور والجرى بعيدا عن المتمه . حدث هذا تماما ،ولكن واجهة طابوره كانت عريضة بشكل مكن القوات السودانيه من تكبيده اصابات عديده ! (١)

خرج الانجليز من المصيده تاركين قتلاهم . استمر ضرب المدفعين ساعة دون ان يكبد المدينه المحصنة خسارة محسوسة فى تحصيناتها او رجالهـــا . الغضب جعلهم اثناء رجوعهم يحرقون مجموعتين سكنيتين وهم فى طريقهم مع منقذيهم الى ابى خروق التى وصلوها الساعة الثانية عشرة ظهراً .

ضحايا رصاص المتمة ودانانتها

بدأت معركة الهجوم على المتمه وانتهت دون اصابات معروفة لقوات الامير النور محمد عنقره . اما القوات الانجليزيه فقد فقدت ثمانيه وتسعين قتيلا وجريحا حسابهم كالاتى :

القوات التى حاربت المتمة	٧٥٠	(٢)
القوات التى بالحجز الصحى	١٣٠	
المجموع يشكل القوات التى وصلت النهر	٨٨٠	
قوات التدعيم التى اتت مع بولر ونصحى باشا	٩١٨	(٣)
المجموع	١٧٩٨	
القوات التى هربت من الامير النجومى مع بولر	١٧٠٠	
العدد المفقود الذى يشكل جرحى.وقتلى معركة المتمه	٩٨	

١ – مذكرات مارلنق . قلايشن ص ١٧٠ .
٢ – كرامة انجلترا ص ٢١٦ . ٢ – سياتى تفصيلها فيما بعد .
٣ – سياتى تفصيلها فيما بعد .

اهم جريح في معركة المتمة

ان الانجليز تركوا اكثر جرحاهم فى ميدان المعركة لكى يموتوا من النزف والرصاص المتطاير ، ولكنهم لم يستطيعوا ان يتركوا ميجور « بو ». ان ميجور « بو » كان قبل المعركة يسير شبه عار ، لذلك اصر على ستر عورته بان لبس بذلة حمراء، بـــدل التى كانت عليه وتمزقت وكان لونها رماديا .لون بذلته الحمراء جذب اليه نظر قناص من المتمة ، اسكن طلقة فى اعلى فخذه . عندما احضر الى الجراح قام بقطع ساقه من أعلى الفخذ .

عمليات عزل صحى أخرى

بعد عودة سير تشارلز ويلسون من هجومه الخاسر على المتمه ، عقد اجتماعا حربيا مع قادته قرر فيه ان ألا يترك كل القوات فى ابى خروق. وعليه ترك هناك بقية لواء الهجانه الثقيل ومعه باقى قوات البحريه . ونظرا لقلة عددهم فانهم قاموا بتفجير بعض المنازل واقاموا باتربتها تحصينات .

بقية القوة اخذها الى النهر حيث وضعها فى مجموعات ، كل مجموعة صنعت لها استحكامات من سروج الجمال وصناديق البقسماط .

المراسلون الحربيون الذين كانوا فى معسكر هناك منفصل ،صنعوا لانفسهم خياما من قطع الاقمشة والبطاطين .

مع قادة البواخر وخطابات غردون

بعد استقرارهم فى هذه الاماكن الجديدة ، رجع سير تشارلز ويلسون الى محمد نصحى باشا وخشم الموس بك اللذين اتياه بخطابات غردون .ايضا احضرت الباخرة البردين جورنال غردون الشهير ،الذى يحمل تسجيلا لكل ما حدث له واراد قوله ، بين العاشر من سبتمبر والرابع عشر من ديسمبر ١٨٨٤ .تقول اخر كلمات غردون فى الجو رنال

(الان تذكر هذا ، اذا لم تحضر القوة التى طلبتها – وأنا لا أطلب أكثر من مائتى رجل في العشرة الايام القادمة ، فان المدينة قد تسقط ، وأنا قد فعلت كل ما في وسعى من اجل انقاذ شرف بلادنا . وداعا .انكم لا ترسلون لى معلومات رغم انكم تملكون كثيرا من المال) .

فى خطاب بتاريخ ١٤ ديسمبر يقول غردون معيدا وجهة نظره فى حدوث كارثة حول ايام عيد الميلاد : (اعتقد ان اللعبة قد انتهت ، وارسل وداعي .اننا قد نتوقع كارثة فى المدينة ، فى او بعد عشرة ايام ..)

فى خطاب اخر بنفس التاريخ يقول غردون : (انى اعتبر الموقف خطير جداً ، تقريبا لاامل فيه)

اهداء الدجاجات

فى خطاب يحمل تعليمات غردون الى قائد الطابور الصحراوى يطلب غردون من القائد ان يبعد من البواخر كل المصريين والاتراك والاكراد والشراكسه ، وان يترك السودانيين وحدهم الذين يمكن الوثوق فيهم . ويقول بالحرف الواحد (اننى اقدم لكم هذه الدجاجات هدية ، وارجو منكم عدم السماح لاى واحد منهم بالرجوع الى) (١) .

الموقف الحزين لمحمد نصحى باشا

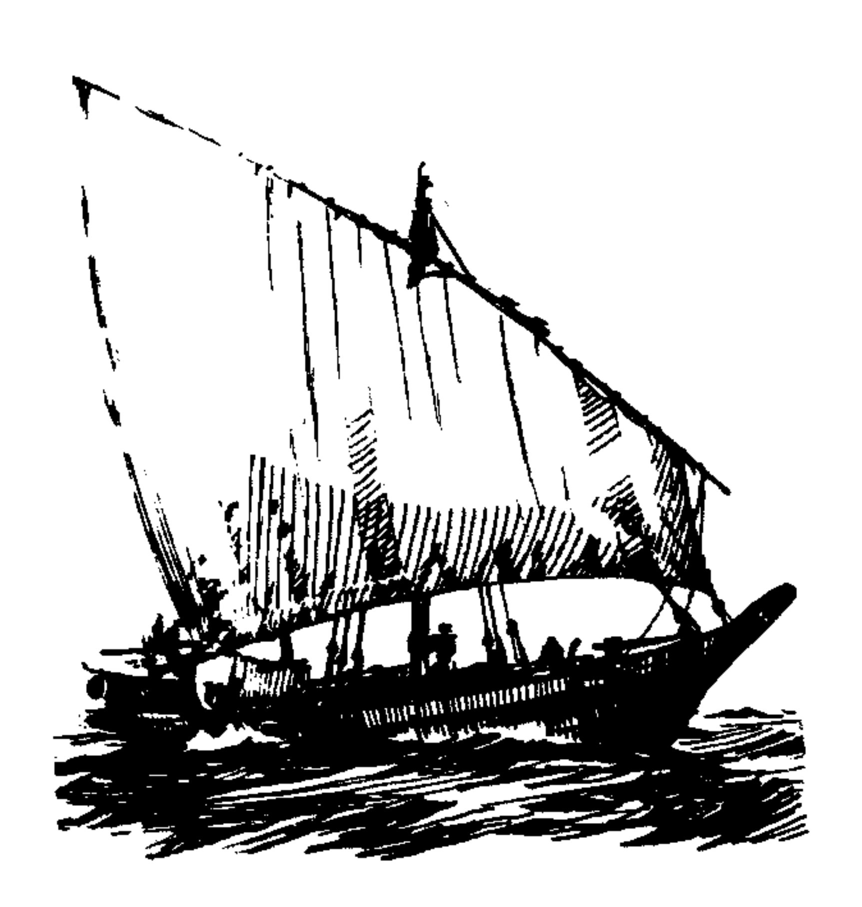
ان محمد نصحى باشا الذى كان يقود البواخر شهورا في انتظار قدوم القوات البريطانية ، لم يكن يعرف انه يحمل خطابات تسيىء اليه والى بنى جلدته كل هذه الأساءة .

ان محمد نصحى قد قضى وقته يضرب الاهالى على ضفتى النيل بمدافعه النحاسية ، وهو على بواخره المدرعة منذ الثلاثين من سبتمبر ١٨٨٤ ، عندما غادرت أول

١ – خطابات غردون – المتحف البريطانى .

بواخر – تل حوين والمنصورة والصافية – الخرطوم لانتظار الانجليز .

وخلال اربعة اشهر وواحد وعشرين يوما قضاها محمد نصحى باشا في النيل يضرب الاهـالى ويحطـم السـواقى ويحـرق المـزروعـات ، تلقى خطابات ونصائح لا حصر لها من الامـام المهدى والامراء . كـل تلك الخطابات كانت تدعـوه الى الانضمام الى الثوار وتعرض عليه كل الضمانات لسلامته وسلامة امواله واهله ، وكان في موقف يسمح له بطلب اى ضمانات اخرى بما فيها حمل جميع ممتلكاته وممتلكات من معه ومغادرة البلاد ، ولكنه رفض ذلك في ولاء شديد نحو مخدمية . اخيرا عنـدما بلغ هدفه الذى ارسله له مخدمة غردون ، اكتشـف ان هـذا المخدم لا يريد رؤيـة وجهه مـرة اخرى .



الخميس ٢٢ يناير ١٨٨٥

زيـــادة التحصينات

قضت القوات البريطانية اليوم في زيادة تحصيناتها . استمر التفجير في منازل ابي خروق لبناء قلعتين لمدفعين . ايضاً تمت زيادة التحصينات للزرائـــب التى اقاموها على النهر. انهم يأخذون الماء بواسطة مضخات من مسافة مائة متر بداخل النهر حتى لا يشربـــوا مياهاً ملوثة بالتايفويد عندما يظهر في جنودهم بالحجز الصحى الذى اقاموه لمن اكلوا من اللحم الملوث . ان زيادة التحصينات التى قاموا بها اليوم سببها المعلومات التى قدمها لهم قادة البواخر . ان خشم الموس قد ذكر لهـــم ان الامير محمد حمـــزه قـــادم اليهم مـــن الشمـــال بقوات جعلية ، والامير الشيخ مصطفى الامين ود ام حقين قادم اليهم من الجنوب ومعه ثلاثة الاف سرورابي . ان الدانات التى بقيت لهم هي ثلاثة وثمانون دانة فقط (١) .

سير تشارلز يركب البواخر

بعد الظهر ركب سير تشارلز ويلسون على الباخرة تل حوين ، وتبعته البردين والصافية . اتجهوا شمالا ، في حين ارسل السوارى جنوباً لاستكشاف القوات الثائرة القادمة نحوهم . ركب مع ويلسون ، لورد بيرسفورد محمولا على نقالة بسبب الدمل الذى يشكو منه . عند مرورهم على شندى والمتمة اطلقت عليهم دانات ، ردوا عليها بعشر دانات من مدافع النحاس التى بالبواخر. في الطريق لم يجدوا قوات ثوار ، ورجعوا في المساء . اخذوا لورد بيرسفورد مباشرة الى المستشفى ، فقد كان متألماً جدا .

حالة البواخر

كانت البواخر فى حالة قذرة . كل شيء بها كان مهمـــلا ماعدا المحركات فقد كانت فى حالة معقولة . مخازن البواخر الاماميه مليئة بالذخيرة والذرة والصوف واخشاب الحريق . فى المخزن الرئيسى النساء والاطفال واللاجئون وذخيرة اخـــرى

١ — اوراق وزارة الحربية .

وذره واسرة « عناقريب» واغنام ودجاج واسراب جرذان .

صانعات الخبز السوداني « الكسره» يعملن على طول اليوم بنيرانهن بالقرب من دانات المدافع تسعة ارطال . قمندان كل باخرة يملك صندوقا مقفلا يضع فيه المقتنيات القيمة التى استولى عليها فى عمليات القرصنه التى قاموا بها فى الاسابيع الفائتة على ضفتى النيل (١) .

لكل باخرة قمندان وقائد جنود . قمندان الباخرة تتبعه مجموعة من البحارة يحملون رتبا ضخمة مثل : رئيس البحاره ورئيس النجارين ورئيس العمال . . الخ..

المجموعة الثانية التى تتبع للقائد تتكون من الضباط الاتراك والشراكسة والاكراد، كلهم وضعوا تحت اسم واحد هو « باشبوزق » . هناك اعلان على الباخرة « تل حوين» بامضاء غردون يقول : ان رجال هذه البواخر قد ادوا عملا جليلا، وأطلب من كل انجليزى يركب هذه البواخر ان يعاملهم بلطف .



١ - جونسون ص ١٢٨ .

الجمعة ٢٣ يناير ١٨٨٥م

٦ ربيع الثاني ١٣٠٢هـ

تحطيم السواقى

قضى الانجليز ومعهم قوات غردون اليوم فى تحطيم سواقى المنطقة لاخذ اخشابها لمراجل البواخر. تم ذلك تحت حراسة مسلحة حتى لا يحدث هجوم من السكان عليهم.

احد الفنيين بقوات الاسطول البريطانى قام بعمليات اصلاح للبواخر .والجدير بالذكر ان قوات الاسطول البريطانى التى اتت مع طابور الصحراء ، لم يبق منهم ضابط واحد يقف على قدميه .سير تشارلز عين « ليوتنانت» انقرام مراسل مجلة السّتريتد لندن نيوز رئيسا عليهم .

عملية اخراج الدجاجات

عملية اخراج الدجاجات — حسب تسمية غردون — من البواخر اخذت وقتا طويلا ، وادت الى تعطيل الرحيل الى الخرطوم ظهر ذلك اليوم. ان الصدمة على محمد نصحى باشا كانت كبيرة وقاسية ، لذلك حاولوا الدخول فى مغالطات واحاديث طويلة و احتجاجات ، اخذت وقتا لترجمتها لسير تشارلز ويلسون .

وبعد عناء طويل ، اخرجوهم من البواخر ، وعين خشم الموس بك قائدا للمائتين واربعين سودانيا الذين تبقوا بها من قوات غردون —وهم نفس الافراد الذين نزلوا لانقاذ الانجليز من رصاص ودانات الامير النور محمد عنقرة امام حصـون المتمه .

ارسال قافلة « كنفوى » الى جقـدول

كان الموقف الغذائى يحتاج الى معالجة سريعة . فبعد حسابات دقيقة وجدوا ان الغذاءات الباقية تكفى حتى الثانى من فبراير ١٨٨٥ . ارسلوا قافلة الى جقدول تتكون من ثلاثمائة جندى والف جمل . حملت القافلة مـعها خطابات وتقرير المعارك الى

وولسلى بكورتي . يحوى هذا البريد خطابا مـــن سير هيربرت استيوارت الجريح الى وولسلى مؤثرا . غادرت القافلة المعسكر بعد غروب الشمس حتى لا تواجه هجوما عليها .

بعد ذهاب القافله بقى لديهم من الحيوانات اربعمائة جمل ومائة حصان .

خطاب استيوارت الذى كاد يفشى السر

يقول هذا الخطاب(١) : (عزيزى الفريق اول ، اني اشعر بالخجل من نفسى جدا انى هنا ، بدلا من ان اكون عونا لكم ، صرت عبئا بين ايديكم .لم يكن هناك سوء طالع اكثر من هذا . فبينما كنت احث جنودى على تناول ما يملأ بطونهم سقطت . انى ارجو ،وانا مقتنع ، بأننا نفذنا اوامركم . اننا لم نستول على المتمه نفسها ، ولكننا فى مكان قريب على النيل افضل منها .

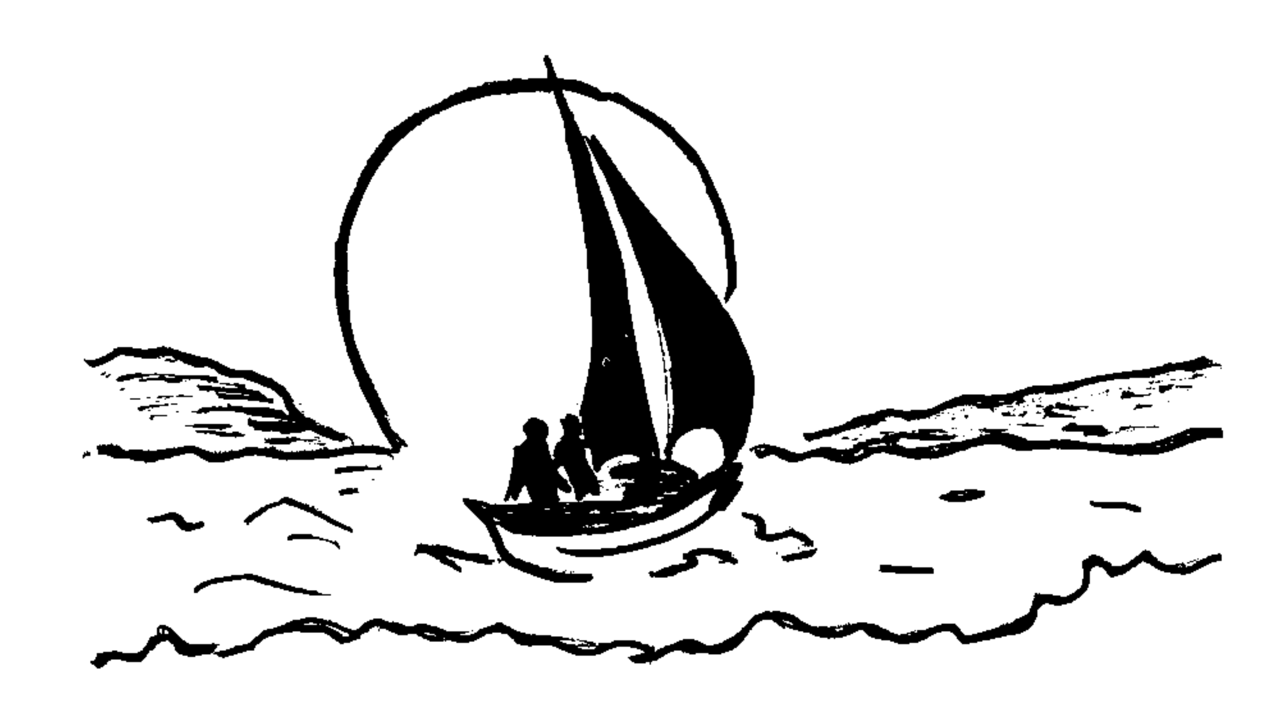
ويلسون سيذهب الى الخرطوم ،وهذا عمل جيد ، لانـــه ســياســى اكثر منه عسكرى . انى قد اخبرت بيرسفورد بالبقاء هنا لقيادة قوات البحريه ، وبسكاون لقيادة القوات الارضيه. انهما ياتيان للحديث معى عن كل شيء ، وأنا متأكد من ان كل شيء سيكون على ما يرام . انكم فقط تريدون القوات التى اقترحتموها وبعض البقالات بخط جقدول ، وايرل ببربر سوف يكمل كل شيء باتقان . كل الاطباء قالوا انى ميت وانى قد تحطمت بالصدمة التى اصابتنى بالشلل الجانبى ، ولمدة كنت مقتنعا بوجهة نظرهم ، ولكن الان ارجو ان اتمكن من ان انال شرف العمل معكم مرة اخرى) .

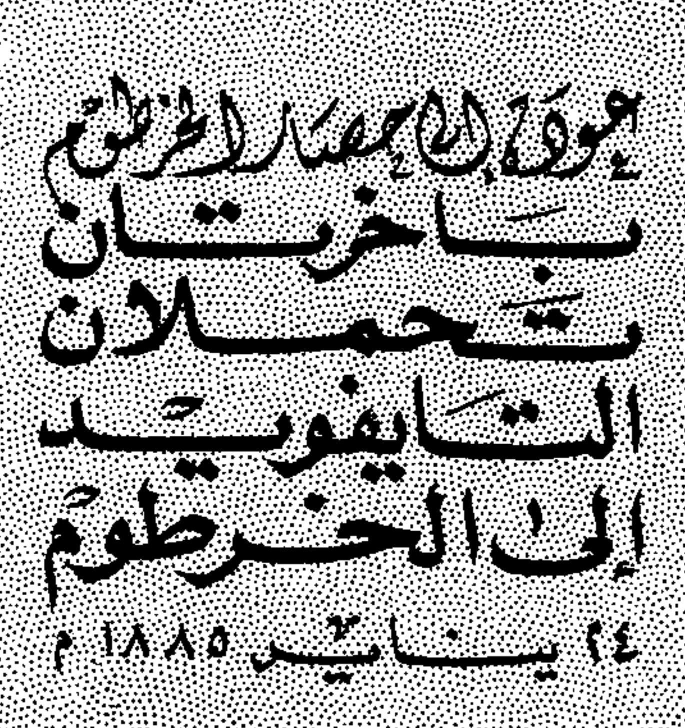
كاد اللواء سير هبربرت استيوارت الجريح ان يفشى سر الطابور كاملا عندما قال فى خطابه متحدثا عن الذاهبين للخرطوم واحمالهم (وانكم فقط تريدون القوات التى اقترحتموها وبعض البقالات بخط جقدول وايرل ببربر سوف يكمل كل شيء باتقان). انه حدد فى هذه الجملة مهمـــات طـــابور النهـــر وطابور جقدول ــ وهو طابور

١ ــ اوراق وولسلى فى « هوف » .

الصحراء . بالنسبة الى الاخير فان القوات التى اقترحها وهي العشرون جنديا من لواء سسكس ، وبعض البقالات يعنى بها علب الكورندبيف الملوث .

كعمل أخير قاموا به فى هـذا اليوم كان نقل سير هيربرت الى الباخرة « التوفيقية » لتصبــح المستشفى الذى يرقد فيه .




عودة إلى حصار الخرطوم
باخرتان تحملان التايفويد
إلى الخرطوم
٢٤ يناير ١٨٨٥م

السبت ٢٤ يناير ١٨٨٥

٧ ربيع الثاني ١٣٠٢هـ

باخرتان تتقدمان الى الخرطوم

في تمام الثامنة صباحا كانت الباخرتان البردين وتل حوين قد اكملت التجهيزات بهما . حملت الباخرتان :

١ ــ سير تشارلز ويلسون : قائدا .
٢ ــ كابتن قاسكوان .
٣ ــ ليوتنانت استيوارت ــ وورتلي
(الضابطان الاخيران من سلاح الاستخبارات ومتخصصان في الحرب البيلوجية .هناك ثالث يدعى ميجور دكسون كان من المفروض ان يذهب معهما ولكنه اصيب في ساقه .)

٤ ــ كابتن ترافورد : يقود عشرين من لواء الرويال سسكس ، ونظرا لان بذلاتهم الحمراء قد فقدت ، فقد اخذوا لهم بذلات من لواء الهجانه الثقيل ولواء الهجانة الخفيف. وضع عشرة جنود منهم في كل باخرة .

٥ ــ خشم الموس بك : مع خشم الموس مائتان واربعون جنديا قسموا على الباخرتين. عبد الحميد احمد ا(ابو رقبه) ركب تل حوين .
٦ ــ اثنين من البحريه الملكيه ، واحد فني والثاني مساعد اول .
٧ ــ اضيفت مركب الى جانب الباخره « تل حوين» تحمل بعض اكياس ذرة ومعها صناديق اللحوم الملوثه بجراثيم التايفويد والمعلبة .وقد وضعت بالمركب بعيدة عن الباخره، نظرا للكسر الذى حدث في بعض العلب ــاثناء عمليات السرقة التى تعرضت لها هذه الصناديق في زريبة الشبكات ــ وسال منها دهن على العلب السليمة ، مما يشكل خطرا ماحقا على كل من يقوم بلمسها بدون عناية كافية .

وجد القائد انه من المفروض ان يقول شيئاً للصحفيين عن سبب وضع اغذية فـــي المركب غير الأغذية التي بداخل الوابورين . قال لهم : انها اغذية لمساعدة المدينة الجائعة ! لم يسأل صحفي واحد ، وماذا تفعل اغذية مركب في مدينة جائعة شارفت المـــوت أو ماتت فعلا حسب خطابات غردون ؟

منع المراسلين من الذهـــاب الى الخرطوم

لم يسمح لاى مراسل حـــربي بالذهاب الى الخرطوم في احدى الباخرتين . ان الخطاب الذى ارسل الى غردون مع سير تشارلز ويلسون ظل سراً وكان من المقرر الا ينشر اى رد يرسل به غردون (١) .

ان امر المنع في الحقيقة قد صدر من لورد وولسلي في كورتي قبل تحركهم من هناك ، وعليه لم يقد عدم ادخالهم الى الباخرتين الى اعتراض. ان وولسلي قد اصـــدر امر المنع هذا مع جملة اوامره للقائد المتوجه الى الخرطوم ، وكانت تتلخص في الاتى :

١ — ويلسون يقود المجموعة الى الخرطوم .

٢ — ثلاثة ضباط من المخابرات يذهبون الى الخرطوم وحددت اسماؤهم ، وهـــم « دكسون وقاسكوان واستيوأرت وورتلي» .

٣ — عند الوصول الى الخرطوم يمكن تسيير العشرين جنديا من لواء السسكس فـى شوارع الخرطوم لكي يعرف السكان ان الانكليز قريبون . اما اذا كان بالمدينه مرض فلا تنزل هذه القوات الى المدينة .

٤ — لا يبيت فرد في المدينة غير ضباط الاستخبارات ، ويرجع البقية فورا حاملين رد غردون .

٥ — خطاب وولسلي الى غردون ورد غردون عليه سيبقيان سرا .

١ — ماكدونالد ص ٣١٠ .

٦ ـ لا يسمح بذهاب صحفى الى الخرطوم .

خوف إدارة الجيش من ان يفشى الصحفيون سر الحرب البيلوجية التى يقومون بها ، كان كبيراً لاسباب عسكرية وسياسية .

حمى التايفويد تتفشى في المعزولين

ان الذين عزلوا بكورنتينة العزل الصحى بالزريبة التى اقيمت لهم بالقرب من النهر ، كانوا الذين سكروا وتناولوا العلب الملوثة في ليلة ١٩ يناير ١٨٨٥م .

مرت حتى الان على حادثتهم مائة ساعة تقريباً من مساء ١٩ يناير وحتى صباح ٢٤ يناير . أن الحمى بدأت تظهر عليهم (١) . انها احدى العلامات المميزة ، بعد هذه المدة القصيرة ، لهذا المرض الخبيث في اجساد هلكها الارهاق الطويل والعناء .

مرض التايفويد

حمى التايفويد هى التهاب حاد من علاماته حمى مستمرة ، واتساع الطوحال وفي عدد من الحالات ظهور ما يسمى بالبثور الوردية . السبب هو باكتيريا «السالمونيلا» التيفودية ـ لها قرون استشعار ، سالبة الجرام ، عصوية ، تموت سريعاً بالغلى ، وتقاوم التجفيف والتجميد ، وقد تتمكن من العيش في الماء عدة أيام . تتكاثر بحرية في الالبان ومنتجاتها كما تفعل في الاصداف والمحار الذى يعيش في الماء .

طريق الاصابة هو الفم . وصول المرض الى الانسان يكون بطريق مباشر وغير مباشر .

الاوعية الحاملة للمرض هى الالبان ، والاسماك المحارية ، واللحوم المعلبة مثل الكورندبيف (٢) ، والايسكريم ، والسمن النباتي ، والخضروات الطازجة كالكرفس

١ ـ كرامة انجلترا ص ٢٢٢ .
٢ ـ كتاب برايس الطبى ـ طبعة ١٢ ص ٤٤/٩٣ .

والجرجير . الغبار لا يحمل المرض . فترة حضانة المرض – في العادة – بين عشرة ايام واسبوعين – ولكنها في حالات متعددة تقل عن ثلاثة ايام ، وتزيد الى ثلاثة اسابيع . ان قوة استتباب المرض يتوقف على نوعية الجرثومة ومقاومة المريض لها .

هذا المرض بعد دخوله المعده ، تتوجه جراثيمه الى الغـدد الليمفاوية ، حيث تتكاثر ، ومن هناك تتجه الى الدورة الدموية ومنها يتم الهجوم على الكبد والطحال الخ .

ان المرض يتسبب فى اصابة الامعاء والمصارين وانسـداد الاوعية الدموية ، وموت الخلايا وتكون قروح بها . التسمم من المرض يصيب مناطق اخرى مثل الكليتين . اطول مدة للموت من المرض ، ثلاثة اسابيع ، وقد يحدث الموت فى عدة ايام .

التايفويد كسلاح بيلوجى

اسباب استعمال هذا المرض فى الحرب البيلوجيه عدة منها :

١ – انتشار المرض فى المناطق التى لا يوجد بها صرف صحى ،سريع وخطير .

٢ – المرض يمكن حمله فى علب لحم « الكورندبيف» لمسافات بعيدة وطويلة دون ان يتأثر او يزول .

٣ – التايفويد يمكن ان يحدث وباءاً فى اى منطقة من العالم ولكن تاثيره شديد فى المناطق المدارية الحاره .

٤ – الامكنة المثاليه لبث المرض ، هى التجمعات الكثيفة فى المناطق القريبة من الماء والتى لا تملك اساليب صرف صحى جيدة .

٥ – المرض سريع الانتشار ، واذا لم يقتل المصاب سريعا ، فانه يتركه فى حالة اعياء شديدة حتى الموت ، وفى حالات قليلة ينجو .

٦ – المرض هذا يصيب كل الاعمار دون استثناء ، ولكنه يقل بعض الشيىء فى الاطفال والعجائز ويكون ماحقا فى الاعمار بين خمس سنوات واربعين . نسبته بين الرجال

اكثر من نسبته بين النساء . انه ضار فى اعمار المقاتلين .

لكل هذه العوامل فالتايفويد مرض مثالى للحرب البيلوجيه .

الهجان ذو العين السحرية

عين الامير الحاج على ود سعد هجانا فى الثلاثينات من عمره ، يمتلىء نشـاطاً وحيوية لمراقبة تحرك الباخرتين « البردين وتل حوين» صبيحة ذلك السبت ـ الرابع والعشرين من يناير ، لكى يتحقق من انهما تنويان الذهاب الى الخرطوم ، او فقط مهاجمة الاهالى على الضفتين ، ثم الرجوع الى المتمة .

راقب الهجان الباخرتين حتى منتصف النهار . انهما تقفان دائما لكسر سواقى اكثر ، ووضع اخشابها على الباخرتين لوقودهما . عندما تيقن ان الاتجاه هو الخرطوم ، ترك المراقبة لقوات الاسـتطلاع السودانية المسئولة عن ذلك ، وانطلق حسب اوامر الامير الحاج على ود سعد، قاطعا المسافة إلى ديم أبى سعد فى زمن قياسى . لم يتوقف الا لتغيير هجينه باخر فى النقاط التى على الطريق .

بريطانيا التى اصدرت قرار مقتل غردون

المعلومات التى ادلى بها الهجان الى الامام المهدى ، كانت القرار البريطانى لكى يحرر الثوار الخرطوم عنوة ، وما تبع ذلك من مقتل غردون .

ان القرار السابق الذى تم الاتفاق عليه بين الامام المهدى وقادته ، هـو القرار المنطقى الوحيد الذى يمكن اتخاذه .وهو ان تحرير الخرطوم ، اذا دعت الظروف ان يكون عنوة ،فيجب ان يحدث قبل ان يجبر الانصار على مجابهة جيشين فى وقت واحد . ان قرار الانجليز بالوصول الى الخرطوم ، كان القرار النهائى بالهجوم على غردون وعدم الانتظار املا فى ان يجبر الجوع المدينة على التسليم .

ان هذه النظرية ستكون صحيحة حتى ولو استطاع الانجليز الوصول إلى الخرطوم فى أى يوم سابق لتاريخ وصولهم منذ ان وصل الامير عبـــد الرحمن النجومى إلى قرية الفرقان أول سبتمبر ١٨٨٤م .

الانذار الاخير من المهدى (١)

فى يوم الاحد الثامن من ربيع الثانى ١٣٠٢هـ ــ ٢٥ يناير ١٨٨٥م ــ كان غردون وكثير من اهالى الخرطوم يقرأون فى انذار الامام المهدى الى غردون واهل المدينة. يقول هذا الانذار :

(بسم الله الرحمن الرحيم ــ الحمد لله الوالى الكريم ، والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم. وبعد فمن العبد المفتقر الى الله محمد المهدى بن عبدالله الى غردون باشة الخرطوم.

اما بعد ، فان النصائح تتابعت اليك ولم تلق لها بالا ، والدلائل ترادفت عليك ولم تزدك الا ضلالا ، وكثرة المواعظ باللين لم تفدك الانفورا واستكبارا . لان الحق يغشى صدور المؤمنين ولا يزد الظالمين الا خسارا . وقد ورد الينا جوابك الذى قصدت به خداع الاهالى بان نجدة الانجليز متوجهة عليك على ثلاثة فرق لتنصرك. وجوابك هذا يدل على كثرة شفقتك وشدة مضايقتك. فاذا تمسكت من الخداع بحبال العنكبوت وخشيت ان تموت ، فلابد لك ايها الكافر ان تموت . وهذه المواعيد التى تدلس بها من العام الماضى على اهل الخرطوم وتوعدهم بحضور الانجليز فلم يزدهم وعدك الا كثرة الغموم . فالان لما ضاق بك الحال ، وادركك النكال ، صرت من داخـــل حفـــرتك التى سجنك الله بها تدنس على من هو فى بر السلامة متحوف بمزيد الكرامه ، متمكن من اخبار الركبان الواردة من اطراف البلدان . اترى صحيح الجناح ، مطلوق السراح محتاج الى اخبار من هو مثلك فى بحر لجى يغشاه موج من فوق موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض ، اذا اخرج يده لم يكد يراها .

١ ــ مصدر : ١٩٥ اثار ــ ١٠٢ جبرى ، دار الوثائق المركزية الخرطوم .
مخطـــوط يوسف ميخائيل ص ١٩٥

فاعلم ياعدو الله ان الاخبار الحقيقية معنا لامعك ، ولم يصل الينا مـــن الاخبار ما فيه لمهجتك انتعاش ولا لشوكتك انتقاش . بل لامفر لك من القتل بايادينا أو الموت بقلة المعاش .

ولكن لاعجب منك من انكار المهدى لانك لم تؤمن برسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، بل العجب من علماء السوء المقتدين بك ، «الذى» اضلهم الله على علمهم ، وختم على سمعهم وقلبهم ، وجعل على بصرهم غشاوة اذا رضوا بك اماما ، واتخـــذوك استاذا ، وصاروا يستفتحون على المؤمنين ، ويطلبون النصرة للمشركين كأنهم لم يسمعوا قوله تعالى (ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وان تنتهوا فهو خير لكم ، وان تعـــودوا نعـــد، ولن تغنى عنكم فئتكم شيئا ولو كثرت وان الله مع المؤمنين).

اما علمتم يا علماء السوء ان من خرج من الجماعة فقد انسل من الدين انسلال الشعرة من العجين ، فكيف رضيتم بذلك واتخذتم النصارى اولياء ، ولاشك عندكم فـــى كفرهم . وان كنتم لحبكم الرئاسة ومخالطتكم للظلماء على شك فى هذا الامام ، فهل شككتم برسالته عليه افضل الصلاة والسلام ، حيث اقتديتم بأعدائه الكفرة اللئام ، وجعلتموهم اولياءكم دون اهل الاسلام ،وصرتم تتمنون نصرتهم ، وتسألون الله دولتهم . اما سمعتم قوله تعالى يا أيها الذين امنوا (لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كان اباءهم واخوانهم وعشيرتهم اولئك كتب فى قلوبهم الايمان) (١).

فانظروا لانفسكم بعد هذه النصوص ، هل تجدونها معدومة من اهل الايمان ؟ ومن العجب تخويفكم للناس بالانجليز وزعمكم ان الانصار تنحاهم اراجيفكم . كلا

١ - الآية هى ٢٢ من ســـورة المجادلة الخطأ ورد فى مخطوط يوسف ميخائيل الذى أخذت عنه دار الوثائق المركزية بالخرطوم . مخطوط يوسف ميخائيل بمتحف الخليفـــة بأمدرمان . صحيح الآية (لا تجـــد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون مـــن حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم ، أولئك كتب فى قلوبهم الايمان)

والله لو اتى عدد الرمل من الانجليز وغيرهم ما زادوا الانصار الا ايمانا وثباتا فى الحصار حتى يذيقكم الله النكال والبوار. فاعتبروا بامثالكم ان كنتم من اولى الابصار . ولقد كان اهل قفرة الابيض يتشوقون الى النجدة تشوق الظمآن الى الماء ويتكاتبون بالتشجيع والخداع اكثر منكم . ومع ذلك قد سمعتم ما صاروا اليه ، وما استقر حالهم عليه . فان رضيتم بحالتهم فاستعدوا لها ، وان قرعتم باب التوبة فعسى ان يفتح لكم ،والسلام على من اتبع الهدى) .

تنظيم الهجـــوم

قضى الامام المهدى بقية يوم الاحد الخامس والعشرين من يناير ١٨٨٥ فى اصدار اوامر تنفيذ هجوم تحرير عاصمة السودان . استدعى الامير عبد الرحمن النجومى ومن معه من الامراء الى ديم ابى سعد. لم يتخذ الامام وامراؤه قرارا جديدا ، فالقرار قد اتخذ منذ وقت طويل ،فى ان الانجليز هم الذين سيحددون يوم الهجوم باقترابهم من العاصمه . اما الانصـــار ، اذا لــم يقتــرب الانجليــز مــن العــاصمه فانهـــم سينتظـــرون حتـــى يـــوم تســليم غـــردون . عندمـــا حضـــر الامير عبـــد الرحمـــن النجـــومى وقـــادته والخلفاء ،عرض الامـــام المهدى اخر تقارير وصلته عن الباخرتين القادمتين الى الخرطوم تحملان جنودا . تباحث الامام معهم فى تنفيذ الهجوم لتحرير الخرطوم ، فكاد الفرح ان يأخذ الامراء بجناحيه ،واستبشروا خيرا (١) .

خطة التحرير يبدأ تنفيذ نقطتها الاولى

ان الخطة الكاملة للهجوم سوف ياتى الحديث عنها فيما بعد، ولكن النقطة الاولى منها كان يجب ان يبدأ تنفيذها عقب اجتماع الامام المهدى مع الخلفاء والامراء مباشرة.

لذلك عندما انفض ذلك الاجتماع فى حوالى الثالثة ظهرا من يوم الاحد ٢٥يناير

١ – الكردفانى ص ٣٤٨ .

١٨٨٥م ، تم اصدار الامر إلى الامير حمدان ابى عنجه بقصف الخرطوم والسيطرة التامة على مدخل الخرطوم النيلى ببطاريات مدفعيته .

كان من المفروض ان يتناول الامير حمدان غداءه مع من حضـــر الاجتمـــاع ، ولكنهم عندما اتى الغداء وبحثوا عنه لم يجدوه ، وبعد قليل سمعوا دانات بطارياته فى عزفها القوى الذى لم ينقطع من ذلك العصر وحتى صباح الغد (١) .

عَلى كل قد تذكر الامير حمدان ، ظهر الاثنين ، انه لم يتناول شيئا منذ صباح الامس .

الثورة التى لم ينم العشب تحت قدميها

ان السعادة التى كان يشعر بها ثوار المهديه ، عندما توكل اليهم مهمات ، كانت تفوق كل سعادة . ان الامام المهدى عرف الطرق المثلى لعدم كبح جماح الزخم الثورى فاندفع بسيل ثورته كطوفان نـــوح . وعندما كانت الظروف تجبره للتريث حفاظا على الارواح من الهلاك ، كان يحرك قواته لاعمال شتى ،ادارية وعسكرية ودينية . انه لم يترك العشب ينمو قط تحت اقدام ثواره .

الامام يعبر النيل لوعظ الانصار (٢)

بعد صلاة المغرب من يوم الاحد ٢٥ يناير ١٨٨٥م ، عبر الامـــام المهدى ومعه الخليفة عبدالله التعايشى والخليفة على محمـــد الحـــلو والخليفه شـــريف ، بالمراكب النيل الابيض ونزلوا عند شجرة محو بك (الشجرة حاليا) حيث استقبلهم امير الامراء عبد الرحمن النجومى وقادته ، بينهم ايضا قائدا الحصار بضفة النيل الازرق اليمنى الامير عبد الله جباره والامير ابوبكر عامر .

---

١ – ابراهيم فوزى ص ١/٣٩٨ .

٢ – الكردفانى ص ٣٤٨ .

وعظهم الإمام المهدى فى أمر اقتحام الخرطوم وتحريرها . كان الجميع يبكى وهو يسمع الخطبة البليغة (١) .

ان جميع الثوار هناك لم يكن بينهم من يرى تأخير الهجوم دقيقة واحده. كان الجميع يريد دك معبد الطاغوت منذ شـــهور خلت ، وكان الامـــام المهدى يتعامل مع ثواره وامرائه كالجياد العربية عليه ان يمسك باعنتها على الدوام .

ان خطاب المهدى كان فى انذارهم وتحذيرهم . وقال لهم : ان الهجوم يجب ان يكون جهادا خالصا لوجه الله ، حتى لا تشوب الاستشهاد شائبة .

اربعة لا يقتلـــون (٢)

ذكر الامام المهدى ان اربعة يجـــب ألا يقتلوا وهم : غردون ، والفكى الامين الضرير ، والشيخ حسين المجدى (٣) ، والشيخ محمد السقا .

عـــاد الامام المهدى الى ديم ابى سعد فى حوالى الواحدة صباح الاثنين ومعه الخليفه عبد الله التعايشى والخليفه على محمد الحلو . تخلف الخليفه شريف هناك مع قائد رايته الامير النجـــومى .

---

١ – الكردفانى ص ٣٤٩ .

٢ – مذكرات الشيخ بابكر بدرى ص ١/٢٨ .

٣ – الشيخ حسين المجيدى هو ناظر المدرسة الاميرية والمدرس بمسجد المدينة .

بين السادس والتاسع عشر من يناير

انعدام الاغذية

لم يجد غردون شيئا يقدمه لجنوده ابتداءاً من الثلاثاء السادس من يناير ١٨٨٥ . جمع قادته تحت رئاسة احمد بك جلاب – الذى اخرجه من الاعتقال فى الثالث من نوفمبر – لتدبير غذاء .

انقسم الاجتماع الى لجنتين ، امرتا بالبحث عن اغذية فى المدينة من الذره والابقار والغنم والقمح والتمر وغيرها . نجحت اللجنتان فى الحصول على ثلاثة وستين اردبا من الذره، وبعض الماشية الهزيلة . قــدر ســعر رأس الغنم بثلاثين ريالا مجيديا ، والبقر بثلاثمائة ريال ، وقد سلم اصحابها صكوكا بذلك . والجدير بالذكر ان اوراق البون قد رفض السكان قبولها فى التعامل او حتى فى الايصالات فى هذه المرحله .

طلبوا من الطبيب ان يفتيهم فى مسألة اكل الصمغ العربى ، فأفتى بصحة اكله. جمع الصمغ وقسم مع بقية ما جمعوا ، على الجنود ، ليفى بحاجتهم حتى العاشر من يناير .بحث موضوع الاكل لما بعد العاشر من يناير ، وتقرر قطع قلب اشجار النخل وخلطها بقليل من الذرة لصنع خبز . عندما أكل الجنود هذا الخبز وجدوا انه لا يعطى طاقه . اعلن غردون ان جميع العسكريين والمدنيين سوف ينالون مرتب شهرين عند قدوم الانجليز .

اكل الناس الكلاب والحمير والبغال والقطط . كيلة الذرة بلغت مائة ريــال ، ولكن لا احد يجدها .خرجت النساء يحملن حليهن الــذهبية والفضية فى ايديهن ، ليقايضن بها قليلا من الذرة .

اذا تمكن احد من اصطياد سمكة فى المساء ، فانه يستطيع بيعها فى الصباح بخمسين ريالا .

انهارت صحة الاهالى والجنود ، ولم يعد الجندى قادراً على حمل سلاحه . بعض الجنود النظاميين والشايقيه هربوا إلى الامام المهدى (١) .

جمع غردون قادته واحضر بعض المال ذاكرا لهم ، انه سوف يدفع للجنود مرتب نصف شهر ، معتقدا ان هذا سوف يوقف هربهم الى الامام المهدى . الشيىء الذى غاب عن غردون هو ان المال فى حد ذاته ليس غذاءاً .

الاهالى الذين لم يهتم غردون كثيرا بهم فى هذه المرحله، كانوا يأتون باجسامهم الهزيله وعيونهم الغائرة يشكون سوء حالهم ، ولكن غردون كان يرفع يديه الى السماء قائلا : ان الله هو الذى يستطيع ان يزيل كربتهم ، فيتركونه باكين .عاد غـــردون الى وعوده الماليه التى بلغت مرتب احد عشر شهرا ونصف الشهر . كما وعدهم بانه سيعطيهم مرتب شهر عن كل يوم يتأخر فيه الانجليز بعد الرابـــع والعشرين مـــن يناير ١٨٨٥ ، بضمان من الحكومة البريطانية. فى يوم الاثنين التاسع عشر من يناير ١٨٨٥ ، كان بين الهاربين الى معسكر الثوار من جنود غردون، السنجك عمر ابراهيم.

ان امير الامراء عبد الرحمن النجومى استقبله استقبالا خاصا ،لانه كان خبيرا بنقطة مهمة يحتاج اليها امير الامراء فى خطته التى اعدها اعدادا جيدا فى رأسه ، وهو ينتظر اوامر الامام المهدى بتحرير الخرطوم .

يوميات محمد نصحى باشا ص ٢١٩ .

اخر اسبوع للحكم التركي بالعاصمة - الخرطوم

من الثلاثاء ٢٠ يناير الى فجر الاثنين ٢٦ يناير ١٨٨٥م

القذائف التي اصابتهم بالذعر

في ضحى الثلاثاء العشرين من يناير ، وصل الى ديم ابي سعد ، هجان يحمل انباء معركة ابي طليح . قرأ الامام المهدى التقرير وتعرف على دقائق المعركة والحسائر التي اصيب بها الانجليز في أول مواجهة . ان خطة الامام المهدى هي تحطيم خطوط امدادهم وتحركهم ... الجمال ، قد قتل جزء كبير منها ، كما اصيب الطابور بخسائر فادحة . تيقن الامام المهدى بعدها أن القوة التي يخطط لارسالها لانهاء مهمة الامير موسى ، ستكون قادرة على القيام بمهمتها ببساطة شديدة . شمل التقرير ايضاً وصفـا دقيقاً للاستحكامات التي اقيمت بالمتمة ، وان الانجليز لن يستطيعوا الاستيلاء عليها . امر المهدى باطلاق مائة دانة ودانه احتفالا بهذا النصر .

استشهاد عدد كبير من الثوار وقادتهم قاد الى بكاء ذويهم في معسـكر ابي سعـد ، ولكنهم تذكروا سريعاً ان الشهداء لايبكون ، فكفوا عن البكاء .

الدانات التي اطلقت فرحة بما حاق بالانجليز في ابي طليح ، كان مفعولها شديـدا على قوات غردون في خط الاستحكام ، وعلى سكان المدينة الجائعة . ان المدينـة لم يبق فيها من يصدق غردون وقصصه التي كان يملؤها بالمبالغات عن قوات بـلاده التي ستصل ، كما قال لهم ، في أى لحظة .

شوارع الموتى

الموتي بالجوع ملأوا شوارع الخرطوم ، وروائح التخثر النتنة تزكم الانـوف وتنذر بالوباء في داخل المدينة المحاصرة . عرض غردون عشرين قرشاً على كل من يدفن ميتاً ، ولكن ذلك لم يفد كثيرا ، لان طاقة الدافن كادت تستوى مع طاقـاقة

المدفون . زد على ذلك فالمال لم يعد يأتي بالغذاء .

اكلوا جمار (بضم الجيم وتشديد الميم) النخل والصمغ . ان الصمغ يصيبهم بالاسهال ويدخلهم في اشكال صحي اخر ، وهو فقدان السوائل .

هـــرب الاغاريق الذى لم يتم

قام غردون باعداد اخر باخرة لديه « الاسماعيلية » بالبقسماط والمأكولات ، وجمع الاغاريق الذين كانوا بالخرطوم وقال لهم سرا : ان عليهم الذهاب بالباخـــرة الى دكتور امين باشا بالجنوب . لم يستحسنوا الفكرة في التوجه جنوباً ، فدعاهـــــم للذهاب شمالا فقبلوا . اعلن غردون بعد ذلك ان الاغاريق نسبة الى انهم مـــن جزر كثيرة ويعرفون السفن ، فان عليهم ان يركبوا الباخرة الاسماعيلية ويحرسوا المدينة من ناحية النيل الازرق والابيض .

بعد ذلك فرض حظر تجول يبدأ في التاسعة مساءاً . كان قصده من ذلك ان يمكن الاغاريق من الاتيان بزوجاتهم واولادهم الى الباخرة بعد التاسعة . لم يحدد يوما بعينه للسفر ، ولكنهم سيختارون ليلة قبل هجوم الثوار على الخرطوم ، الذى اصبح جلياً لهم ، انه وشيك .

اجتماع الاوربيين بالخرطوم

في يوم الاربعاء ٢١ يناير ١٨٨٥ اجتمع الاوربيون في منزل قنصل اليونان نيكولا ليونتيدس . حضر الاجتماع قناصل الدول الاوربية الباقون ورعاياهم ، لبحث موضوع هربهم . كانوا مسلحين جميعاً ، ورأوا ان تركهم لغردون ، بعد هربهـــم بالباخرة ، ليس مقبولا . لذلك قرروا ان يحملوه بالقوة الى الباخرة . ترك الموضـــوع لابراهيم فوزى باشا لكى يدبر المؤامرة مع حراس القصر لاخذ غردون بالاكـــراه ساعة رحيلهم .

ضرب الاجتماع موعدا للرحيل ، وهو يوم السبت ٢٤ يناير ١٨٨٥ .

حكومتك لن تفديك ولو بدراهم قليلة

غردون كان يريد الاوربيين ان يتركوا البلاد ومعهم إبراهيم فوزى باشا . رغبة غردون هذه لها عدة اسباب ، اهمها انه لا يريدهم بالخرطوم ساعة حضور القوات البريطانية . ان غردون كان مقتنعاً انها على وشك الوصول اليه . ويعرف ان القوات القادمة اليه ، ليست قوات لتحارب الانصار ، وانما هى قوات تحمل مرضا ليست هناك وقاية منه . ان وولسلى امر بعدم مبيت العشرين جندياً من لواء مسكس بالخرطوم كأمر نهائى ، وتحت ظروف معينة يمكن انزالهم وتسييرهم في الخرطوم وارجاعهم مباشرة الى الباخرتين . ان الذى كان يخشاه وولسلى على جنوده هو وباء الجدرى الذى يعرف ان غردون كان ينشره . ومع ان جنوده مطعمين ضده الا أن الابتعاد خير من التجربة . غردون الان يخاف على الاوربيين من الوباء الجديد الذى سوف ينتشر بعد مدة قصيرة من احضار الانجليز له ، لذلك لم يرد ان يتعرض له الاوربيون اذا حدث خطأ ودخل الوباء الى داخل المدينة بعد نشره خارجها . ثم اذا حدث ولم يصل الانجليز ، فهناك خطر الهجوم السوداني عليهم . ان غردون الذى لم يسمع بقتل المهدى للقادة الاوربيين من قبل ، لم يتوقع ان يقتل هو ، بل سيترك كما ترك سلاطين ولبتون ، الى أن تقدم بلادهم فدية لهم . انه اعتقد في ذلك رغم خطاب المهدى الذى حاول فيه ابعاد هذه الفكرة من رأسه .

اما ابراهيم فوزى فلا امل فى ان تفديه بلاده بدارهم قليله . لذلك عندما اجتمع غردون بصديقه واركان حربه ومدير الخرطوم ابراهيم فوزى باشا ، قال له (١) : (انه لمحبتى اياك ،واعترافى بخدمتك التى اديتها لى ارى ان اكافئك بالنجاة مما وقعت انا فيه ، ولذا انتدبك لمرافقة الاوربيين والقناصل لانى عالم بأنى اذا اصبحت اسيرا فى ايدى هؤلاء الاشقياء ،فلا تتركنى حكومة جلالة الملكه ،وانها تقدم القناطير المقنطرة من الذهب فداءً لى ، وانا اتمنى لك النجاة من صميم فؤادى يا عزيزى فوزى لانك اذا وقعت اسيرا فى يدهم لا تفديك حكومتك ولو بدراهم) .

١ — السودان بين يدى غردون وكتشنر ص ١/٣٩٥ .

ليلة الاحــد الاخــير

خلال يوم الاحد وليلته اصبح جليا ان الانصار بحركتهم الكثيفة، وعبور عدد كبير منهم الى معسكر النجومى ، انما يعنى انهم قرروا سحق حكم طاغوت جثم على صدر هذه الامه ليلة طولها ثلاثة وستون عاما ككابوس رهيب .
غردون وقادته عرفوا انهم سيجابهون الهجوم سريعا .

فى المساء ماطل قنصل اليونان نيكولا ليونتيدس فى الذهاب الى الباخره ، هو ومن معه ، بحجة ان خطر الهجوم غير وارد .

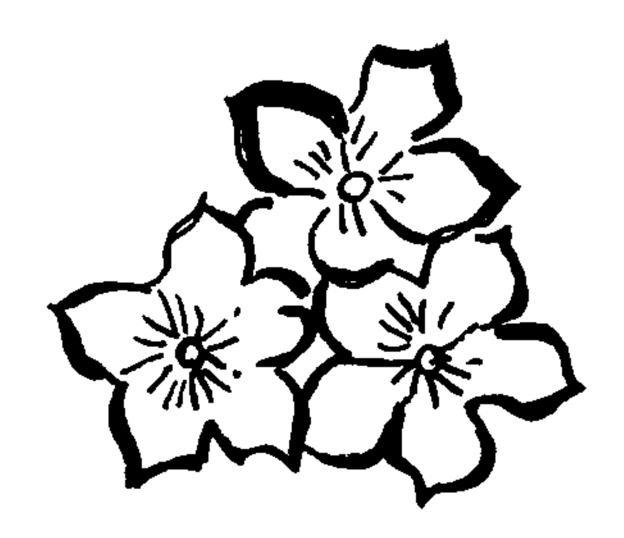
ان الاوربيين الذين اغلبهم من الاغاريق ،قد عرفوا ان الهجوم سيحدث ولكن تركهم الخرطوم التى اثروا فيها ورجوعهم الى فاقة الماضى فى شوارع الاسكندرية واثينا ، امر غير مقبول لديهم ،ولذلك فضلوا البقاء .ان الامام المهدى قد عرف بانه لايظلم الناس ورحيم المعامله ، لماذا اذن الذهاب ؟ سيعملون تجارا فى الحكومة السودانية القادمة — فقط على اصحاب الخمارات ان يبدلوا تجارتهم الى تجارة اخرى مشروعه.

عندما حمل ابراهيم فوزى الى غردون رفض الاغاريق للهرب ،قال له : دعهم .
خرج غردون مع ابراهيم فوزى للطواف على الخندق . استمرت عملية التفتيش هذه اربع ســاعــات كامله . كان الجنود لا يتحركون لتحية غردون لانهم فى حالة جــوع وفقدان طاقه . لم يهتم الجنود لقول غردون : ان الانجليز قادمون .

قبل العاشرة مساءاً قال غردون لا براهيم فوزى باشا (انى موقن بوقوع الحادث الاخير على هذه المدينة فى هذه الليلة) .

عندما ودع غردون ابراهيم فوزى —على غير عادته — سار معه حتى السلم .كانت الالعاب الناريه لازالت تطلق لتسكين روع الناس .وكانت قد سبقتها فرقة الموسيقى بالالحان التى انهتها بالسلام العثمانى ،يلعب لاخر مرة بالسودان .

في العاشرة مساءاً عندما ذهب ابراهيم فوزى الى المحافظة، وجد كل فرد هناك يعرف ان الهجوم سيحدث . دون ذلك فى يوميات المحافظة فى الساعة الحادية عشرة قبل منتصف الليل .



القيادة العسكرية والسياسية في الخرطوم

ليلة ٢٥ يناير ١٨٨٥

الســـودان مستعمرة بريطانية

ان غردون لم يكن حكمدار عموم السودان فى ليلة الخامس والعشرين من يناير ١٨٨٥ ، وانما كان حكمدار السودان فقط وتحت امرة لورد وولسلى وايفلين بيرنق ، بموجب فيرمــان سبتمبر الذى وصل الى غــردون بعد شهرين على ظهر البردين فى يوم ٢٥ نوفمبر ١٨٨٤ . ان هذا الفيرمان الذى وصل من الخديو توفيق ، قد وضــع القيادة السياسية والعسكرية العليا فى يدى وولسلى وبيرنق .

ان لورد قرانفيل وزير خارجية بريطانيا قد اصر على ان تؤخذ القيادة العليا من يد غردون – الذى عينه الخديو – وبالتالى بعد احتلال وولسلى لشمال السودان ، لم يعد من الممكن ان يتلقى لورد وولسلى اوامره من غردون ، الذى حسب فيرمان الخديو الاول ، فهو حكمدار عموم السودان ، وبالتالى كل من بداخله تحت سلطته المستمدة من سلطة الخديو . ولكن السودان الان فى طريقه ليكون تحت سلطة ملكة بريطانيــا وجيشها من الناحية الفعليه .

ان فيرمان سبتمبر كان يعنى تحويل المستعمرة السودانية من مستعمرة تركية مصرية الى مستعمرة بريطانيه .

ان الفيرمان يقول(١) (مرة اخرى تحت هذه الظروف يصبح مهما ان يعدل الفيرمان الذى اعطيناه لكم ، وعليه تكون سلطاتكم الان قد حصرت فى ان تكون حكمدارا على السودان ، بمافى ذلك الخرطوم وسنار وبربر وما يجاورها) .

ان الخديو توفيق الذى اعطى هذه السلطة الى بيرنق وولسلى ، لن يستطيع اخــذها

١ – يوميات محمد نصحى ص ٢/١٩٠ ، كرامة انجلترا ص ٢٢٤ .

منهما لسبب بسيط ، هو ان الرجلين ليسا من موظفى الخديو . وبذلك اصبح السودان منذ سبتمبر ١٨٨٤ مستعمرة بريطانية .وعليه تصبح القيادة السياسية والعسكرية فـى الخرطوم على النحو التالى :

١ ــ غردون باشا : حكمدار السودان ،وقائد الحاميات التى لم يتم احتلالها بواسطة القوات البريطانيه .

٢ ــ ابراهيم باشا فوزى : رئيس اركان حرب الحكمدارية ، ومحافظ الخرطوم

٣ ــ فرج باشا الزينى : قمندان الحاميه .

٤ ــ بخيت بك بطراكى : قائد قوات الخندق مـن بوابة برى الى حدود حامية الكلاكله .

٥ ــ حسن بك البهنساوى : قائد قوات الخندق من حامية الكلاكله الى النيل الابيض.

القوات التابعة لبخيت حسب ترتيبها من بوابة برى الى بوابة الكلاكله :

الكتيبة الثالثه من اللواء السودانى ــبقيادة احمد افندى دسوقى .

٢ اردى باشبوزق ــ بقيادة احمد افندى حمايا .

الكتيبة الثانيه للواء السودانى ــ بقيادة محمد افندى عثمان .

٩ اردى باشبوزق ــ بقيادة سرور بك بهجت .

الكتيبة الاولى من اللواء السودانى ــ بقيادة على افندى صقر .

٣ اردى باشبوزق شايقيه ــ بقيادة سناجكهم .

القوات التابعة لحسن بك البهنساوى ، حسب ترتيبها من بوابة الكلاكله وحتى النيل الابيض :

الكتيبة الاولى من اللواء الخامس ــ بقيادة فرج بك على ، وابراهيم بك صالح . سبب قيادة شخصين لكتيبة واحده ، هو ان القائد الحقيقى لتلك الكتيبة وهو سيد امين يرقد جريحا .

١٠ اردى شايقيه متطوعين وباشبوزق - بقيـادة عثمـان حشـمت .

الكتيبة الاولى من اللواء الخامس ، على خط النيل الابيض- بقيادة يوسف افندى عفت.



منظـار غردون

الاستحكامات

الخنــدق

الخندق يحيط بالخرطوم من الناحية الجنوبية والشرقية ،بين ضفة النيل الازرق اليسرى وضفة النيل الابيض اليمنى ، ويسير في خط نصف دائره تقريبا . في ليلة الخامس والعشرين من يناير ١٨٨٥ كان طول الخندق سبعة الاف واربعمائة ياردة ، منها خمسمائة ياردة تقريبا كانت مليئة بالاوحال والطين ولم يتم اصلاحها منذ رجوع النيل عنها . ان النيل الابيض عند فيضانه حطم من الخندق حوالى الف وخمسمائة ياردة ، تم اصلاح الثلثين .عمق الخندق ثمانية اقدام ، وعرضه ثمانية عشر قدما في السطح وعشرة اقدام في القاع .

البريــت الرهيب

البربيت او الحائط الذى بنى من تراب الخندق يمثل عملا حربيا اسطوريا .لا يقوم الحائط من الارض بشكل رأسى ، وانما يتخذ شكلا في انحدار هرم بزاويـة قدرها ستون درجة تقريبا .عندما ينتهى الانحدار في قمة الحائط تكون قاعدة المثلث اصبحت ثلاثة اقدام . الخط الرأسى للمثلث (الارتفـاع) خمسـة اقـدام . بعـد شـكل المثلـث هـذا يستمر الحائـط بنفس الارتفـاع مسـافة اربعة عشر قدما ،ثم ينخفض قدمين ويستمر في عرضه اربعة عشر قدما اخرى ،ثم يبدأ في الانحدار الى ان يصل الارض بعد سبعة عشر قدما ونصف القدم . اى بكلمات اخرى ، ان عرض هذا الحائط وما به من طوابى ومبانى للجنود لوقايتهم من البرد (١) والمطر والرصاص والدانـات ، يصـبح ثمانية واربعين قدما ، اى ما يقارب الخمسة عشر مترا . جميع مواجهة الحائط حفرت فيها المزاغيل للضرب .

الضريسة

كرة صغيره من الحديد ثبتت فيها اربع قطع (سيخ) من الحديد حادة النهايات .

اوهروالدر ص ١٥٠ .

استحكامات الخرطوم

٢٥ يناير ١٨٨٥

١٨ قدم

١٤ قدم

١٤ قدم

البربيت: الارتفاع عند الخندق ٥ قدم

الفاصل بين الخندق والبربيت ٣ قدم

الخندق: العرض الاسفل ١٠ قدم، الاعلى ١٨ قدم والعمق ٨ قدم

الاوتاد الموصلة بالحبال

الضريسة

الداينامايت: كل برميل يزن ٢٨ رطلا من البارود، وقد وضعت تحت سطح الارض على بعد الف يارد من الخندق

عندمـــا تلقى هذه القطع الحديديه على الارض ويمشي عليها ثائر فانها تخترق قدمه وتغرز في لحمه .وقد اسماها السودانيون الضريسه لأنها تشبه هذا النبات الشوكي ، وان كانت اكثرمنه حجما وخطرا. صممها المهندس عباس افندى رسمى . وضع معها الزجاج المكسور .

الاوتـــاد

امام الخندق وضع الاوتاد الخشبيه وربطها بحبال لتمنع الاســـراع باكتســـاح الاستحكامات .

الداينمايت

وضع غردون الداينمايت على بعد الف يارده تقريبا من الخندق ، في صفائح الماء التي تركها جنرال هكس بضفة النيل الابيض . يحوى اللغم ثمانية وسبعين رطلا من البارود ، ينفجر بنظام مجموعات بين ثمانية وعشرة، عندما يطأ فرد واحداً منها . وضع الداينمايت ايضـــاً في الاماكن الضعيفة ، في حلة حمد ، وخوجلي ، وعلى بعد ثلاثمائة ياردة من قصر راسخ ، وفي ام درمان امام الحاميه وبخور ابى عنجه وجزيرة توتي .

الزوارق المتفجرة

وضع هذه الزوارق (مراكب) عند ضفة النيل الازرق اليسرى المجاورة لبوابة برى .انها مليئه بالمتفجرات ، وربطها بسلك لاشعالها . نفس هذا النوع من الزوارق وضعه بضفة النيل الابيض اليمنى ،عند بداية الخندق الذى جرفه الفيضـــان .

الطـــوابي

في كل باب من الابواب بالاستحكامات اقام طابية قوية وبها مدفع .وقد شمل ذلك بوابة برى والمسلميه والكلاكله. بالقرب من الخندق المحطم وضع مدفعا سريع الطلقات ماركة متراليوز .

طابية المقرن

انها اقوى طابية فى استحكامات الخرطوم . اقيمت لكى تواجه اى محاولة يقوم بها الثوار للهجوم على الخرطوم من ناحية النيل .ان الثوار يملكون ثــلاث بواخر ، اثنتان ببربر ، والثالثة بديم ابى سعد تعمل فى نقل الذرة من الجزيرة الى المعسكر .

ان طابية المقرن تملك مدفعين فى مكان يمكن منه ضرب اى قوات تعبر النيل الابيض عند حامية ام درمان او النيل الازرق عند الحلفايا وقصر راسخ ،كما انهـــا تحمى جزيرة توتى .

طابية تــوتي

هذه الطابية التى كانت محاطة بكميات ضخمة من المتفجرات لكى لا يقترب منها ثوار الشيخ العبيد ود بدر ،كانت مع طابية المقرن تجعل من المستحيل مرور بواخر معادية لغردون على النيل الازرق . ولكن ابناء الشيخ العبيد ود بدر بعد حصولهم على مدفع كروب عشرين رطلا ، نصب فى القبه ، شلوا هذه الطابية التى اصبحت فى مدى نيرانهم .

الأبواب

الابواب كلها من الحديد السميك القوى . ركائزها بنيت مـــن الطوب الاحمر والجير والرمـــل .

باب برى: كان بابا صغيرا من الحديد، وقد قفل بعد بداية الحصار .

باب المسلميه : كان اكبر الابواب. بابها الحديدى يرفع بواسطة رافعات .هذا الباب كانت تخرج منه الجيوش .

باب الكلاكله : كان بابا لدخول تجار الخضروات والالبان وبقية المأكولات..

نقاط المراقبة

أقيمت على البربيت نقاط المراقبه على طـول السور . ان هذه النقاط تكشف للمراقبين بها كل تحركات الثوار فى المنطقة المقابلة لهم .

الأسلحة

تتكون مدفعية غردون من تشكيلة مدافع : مدافع متراليوز ،مدافع نور دنفلت، مدافع كروب ، مدافع جبليه، بنادق رمنقتـون ، سيوف سنج للبنادق وسيوف مغربية عادية .

القوات الثائرة .

فى الناحية المقابلة للخندق قـوات امير الامراء عبد الرحمن النجومى تغطـى المنطقة من الشجرة وحتى برى . الجانب المجاور لبرى تحت قيـادة الامير الحاج محمد عثمان أبى قرجه . من ناحية الغرب فان قوات الامام المهدى تغطى جميع واجهـة الخرطوم خلف النهر وهى تشكل قوات حمدان ابى عنجه ورايتى الخليفة عـبد الله والخليفة على الحلو . من ناحية شمال الخرطوم وشمالهـا الشرقى (بحرى) قـوات الشيخ العبيد تغطى جميع المواجهة من حلة خوجلى وحتى مواجهة برى بالضفة الثانية .

مدفعية الانصار .

في أمدرمان .

جنوب معسكر حمدان ابى عنجة بطارية مدفعية بها مدفع واحد نوردنفلت وثلاثة مدافع جبلية . فى معسكره بطاريتان بهما خمسة مدافع جبلية .

في الخرطوم بحرى .:

ثلاث بطاريات ، واحدة فى القبة ، واحدة جنوب شرقها ، وثالثة جنوب المنطقة

الصناعية الحالية – مكان اللاسلكى .

في الخرطوم .

فى الشجرة بطارية مدفعية بها مدفع كروب وأربعة مدافع جبلية . وفى بــرى بطارية بها مدفعان جبليان .



معركة تحرير عاصمة السودان الموحد

الأثنين ٢٦ يناير ١٨٨٥ م

٩ ربيع الثاني ١٣٠٢ هـ

معركة تحرير عاصمة الســودان الموحد

بقية يوم الاحد ٢٥ يناير ١٨٨٥م

الخطة مراحلها وادوارها

المرحلة الاولى

هذه المرحلة من الخطة قد بدأ التنفيذ فيها بعد ظهر الأحد الخامس والعشرين مــن يناير ـ الثامن من ربيع الثانى ١٣٠٢هـ بفتح بطاريات المدفعية ، وقد كانت ادوارهــا كالآتى :ـ

بطارية الشجرة

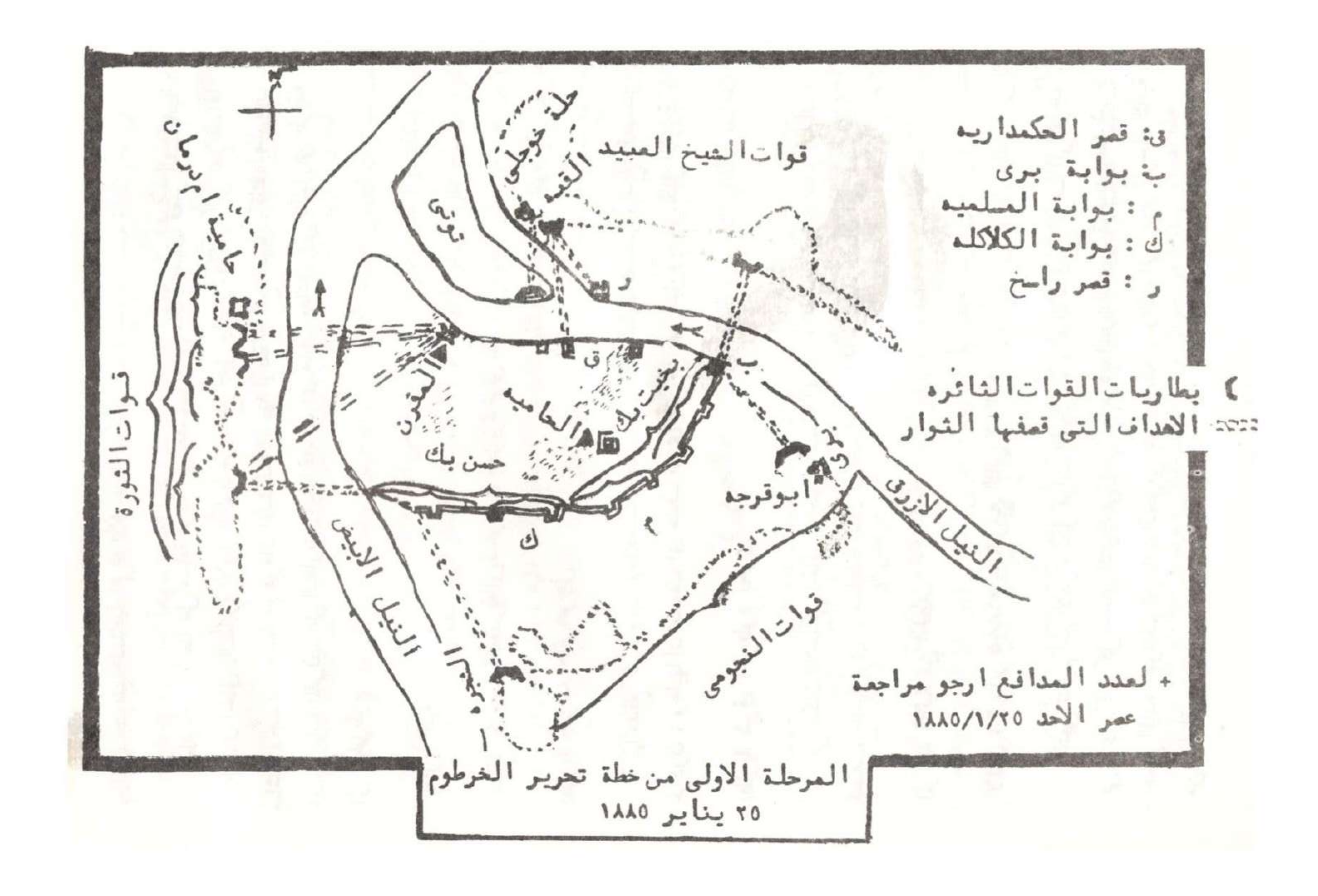
مدفع واحد كروب وأربعة مدافع جبلية ، قصفت الثغرة التى على استحكامات النيل الابيض ـ نهاية الخندق .

بطارية برى .

مدفعان جبليان صبا جللهما على حامية برى ـ بداية الاستحكامات . هذا القصف فجر المراكب القريبة من الخندق على ضفة النيل الأزرق اليسرى .

بطارية جنوب ام درمان .

هذه البطارية التى تتكون من مدفع نوردنفلت وثلاثة مدافع جبلية ، وضعت فى استحكام جنوب المستشفى العسكرى الحالى ، قامت بقصف الثغرة مساعدة لمدفعيــة النجومى بالشجرة . تفجرت من قصفها المراكب التى كان غردون قد وضعها عــلى ضفة النيل الابيض بالقرب من الثغرة مليئة بالديناميت . ضرب ايضاً الطريق الــذى يسير مع الضفة إلى الثغرة لكى تتفجر أى عبوات ناسفة قد تكون به .



المرحلة الاولى من خطة تحرير الخرطوم
٢٥ يناير ١٨٨٥

بطاريتا جنوب حـــامية ام درمان

بطاريتان وضعتا على مسافة قريبة من بعضهما ، فى مكان خلف قصر الشـــباب والاطفال الحالى .البطارية الاولى تتكون من مدفع جبلى واحد ،والثانيه التى تقع شمالها مباشرة وجنوب حامية ام درمان المستسلمه ، بها اربعة مدافع جبليه. كلتا البطاريتين قصفتا طابية المقرن . على البطاريتين ايضا قصف اى هدف معادى يأتى بالنيل فى طريقه الى الخرطوم .

بطارية القبه

مدفع كروب قصف بطارية غردون بجزيرة توتى .

بطارية جنوب حلة خوجلى

بها مدفع كـــروب ومدفعـــان جبليـــان ، قصفـــت قصـــر راسخ وقصـــر غردون ، وعليها ان تقصف اى هدف نهرى يأتى من نهر النيل ويدخل النيل الازرق .

بطارية شرق الخرطوم بحرى

فى مكان اللاسلكى الحالى ـ جنوب المنطقة الصناعية الحالية، بها مدفعان جبليان ، قصفت حامية برى ، مساعدة بذلك مدفعية الامير الحاج محمد عثمان ابى قـــرجه .

المرحله الثانية من الخطه

الاثنين ٢٦ يناير ١٨٨٥م ـ ٩ ربيع الثانى ١٣٠٢هـ

انتهى تنظيم امير الامراء لكل قوات الشجره ، واتم الاتفاق مع قوات ابى قرجه فى برى . كان كل جندى اشترك فى المعركه يعرف الدور الذى سيقوم به ،فقد شرح جميع القادة لجنودهم تعليمات النجومى بشأن الخطه . والان اتى دور المرحله الثانية من الخطة .

في تمام الثالثة مـــن صباح الاثنين توقفت البطاريات التي قصفت الثغرة وبــوابة برى وقصر الحكمدارية وحامية المقرن . بتوقف هذا القصف يبدأ الهجــوم بمحاوره الثلاثة وهي كالآتي :ـ

المحور الاول ومهماته (القائد الامير ابوقرجه)

المحور الاول يتكون من حملة الاسلحة الناريه بقيادة الامير ابى قرجه، تتقدمهم مجموعة ثيران لتفجير الالغام المتبقية امام بوابة برى، وتستمر هذه القوات في اطلاق نيران بنادقها والتكبير باصوات عالية ابتداءاً من الساعه الثالثه صباحا . هذا المحور لا يقوم بهجوم فعلى على بوابة برى الا اذا تفجرت الالغام التى امامه وتلقى اشارة من الامير عبد الرحمن النجومى ، بان يقتحم الباب . المحـــور فى شكل ســـهم غير عريض الواجهة. اذا حدث وتلقى اشارة بالاقتحام ، فان عليه ، بعد الاختّراق ، ان يسير مع السور من الداخل منظفا له من الاعداء حتى بوابة المسلمية .كان كثير من الجنود بالمحور يحملون الاسرة وحزم سيقان الذره لوضعها على الخندق . قوة المحور خمسة عشر الف مقاتل .

المحـــور الثاني التضليلي (القائد امير الامراء النجومى) .

مشابه تماماً للمحور الأول ولكن قواته من الفرسان بقيادة الامير عبد الرحمـــن النجومى . اتجاهه سيكون نحـــو بوابة المسلمية . يتقدم المحور دافعاً امامه مجموعة ثيران لتفجير الالغام . وكالمحور الأول فى شكل سهم غير عريض الواجهة ، ولايقترب من نيران الاستحكامات ، ولكنه سيكون فى أقرب نقطة ممكنة من الخندق فى تمام الثالثة صباحاً . دور المحور ليس هجومياً كما أوهم النجومى اعداءه. فهو يبدأ الهجوم بتقدم الثيران واطلاق الرصاص غير المجـــدى لاقـــناع محمد ابراهيم الذى يقـــود قوات الباشبوزق خلف الخندق بانه يريد اختّراق بوابة المسلمية . قوة المحور الفا فارس .

المحـــور الثالث ومهماته (القائد الامير محمد ودنوباوى) .

هذا المحور يتكون من حوالى اربعين الف مقاتل يأتون من معسكر الشجرة بدون

أى صوت على ضفة النيل الأبيض اليمنى . ستشكل غابة السنط هناك – المواجهة للثغرة ، غطاءً جيداً لتحركهم . المواجهة هنا عريضة مع ان مقدمة المحور حادة وتتكون من حملة البنادق . بقية القوات تحمل السيوف والرماح .

عدد كبير من جنود هذا المحور كان يحمل اسرة (عناقريب) وحزم قصب الذرة الجاف لوضعه على الخندق .

هذا المحور بعد اختراقه للخندق ، ينقسم إلى قسمين . القسم الأول يسير خلف البربيت منظفاً اياه من قوات العدو . القسم الثانى يتجه إلى داخل المدينة ، ولكن قبل دخوله المدينة عليه ان ينقسم إلى قسمين أيضاً . القسم الذى يحمل اسلحة نارية يتجه إلى بطارية المقرن من الخلف . والجدير بالذكر ان حملة الاسلحة النارية هؤلاء كانوا عند دخول الثغرة يشكلون مقدمة المحور . القسم الثانى يدخل المدينة لاحتلال مخزن البارود بمبانى الكنيسة الكاثوليكية (١)، (وهى مبانى مديرية الخرطوم الحالية) ، بعدها يتجه إلى القصر لاحتلاله . (القصر الحالى بنى على اساسات قصر الحكمدارية القديم) . ايضاً من مهام المحور الثالث ، بعد اجتيازه للثغرة ، ان يقوم باكبر قدر من التكبير والتهليل واطلاق الرصاص ، لكى تفهم قوات الاعداء بكل الاستحكامات ان الثوار بداخل المدينة ، وانهم سيأخذونهم من الخلف .

اشارة التحرك لهذا المحور إلى داخل الثغرة تحدث بسماعهم لطلقات رصاص خاصة من محور امير الامراء النجومى .

القسم الذى سينشق من المحور للسير خلف البربيت والقضاء على جنوده عددهم حوالى الثلاثين ألف مقاتل . القسم الثانى الذى سيذهب إلى حامية المقرن لاخذها من الخلف حوالى الخمسمائة من حملة الاسلحة النارية ، والجزء الاخير الذى يتوجه إلى الكنيسة فالقصر عددهم يقارب التسعة الاف وخمسمائة مقاتل .

---

١ – اجر غردون مبانى الكنيسة بالف وخمسائة قرش فى الشهر لتكون مخزناً للسلاح ، بعد أن هرب القسسة وتركوا بهما الشماس دومينكو بوليناري لرعاية حديقتها الواسعة .

القســم الاول مــن المحور ، الذى سينظف الاستحكامات ، سيستمر فى ذلك الى ان يلتقــى بقــوات الامير ابى قرجة ، وإذا حدث ولم تدخل قوات ابى قــرجة فعليه الاستمرار فى عمليات التنظيف حتى نهاية الحصون عند بوابة برى . عند الإنتهاء مــن تنظيف الحصون يمكن التوجه الى داخل المدينة لمســاعدة القوات التى سبقتهم لاحتلال الكنيسة والقصر وأى جيوب أخرى للمقاومة .



الاثنين ٢٦ يناير ١٨٨٥م – ٩ ربيع الثانى ١٣٠٢هـ

الســـاعة الواحده والنصف صباحاً

اصدر أمير الامراء عبد الرحمن النجومى امرا لقـــوات المحور الثالث بالتحرك من قرية الكلاكلة وتتوقف فى غابة السنط الى ان تسمع طلقات الرصاص عـــلى الاستحكامات من محوره ، بعدها تنطلق لتؤدى دورها . بعد ان غادرت القوات كلها المعسكر ، سائرة على ضفة النيل الابيض اليمنى ، رجع النجومى الى قوات فرسانه فى الثانية صـــباحـــا ، وبـــدأ معهم رحلته نحـــو بوابة المسلمية .

اشـــارة من الامير النجومـــى حركت قوات ابى قرجة من قرية برى نحو استحكامات بوابة برى . عندها كان الامير النجومى قد قطع نصف المسافة التى يريد قطعها نحو بوابة المسلمية فتوقف عن التقدم . المدافع لازالت مستمرة فى قصفها . اتت اشارة من الامير ابى قرجة انه وصل الى النقطة المتفق عليها خارج مدى نيران بوابـــة برى فتوقف عن التقدم .

الساعة الثالثة صباحاً

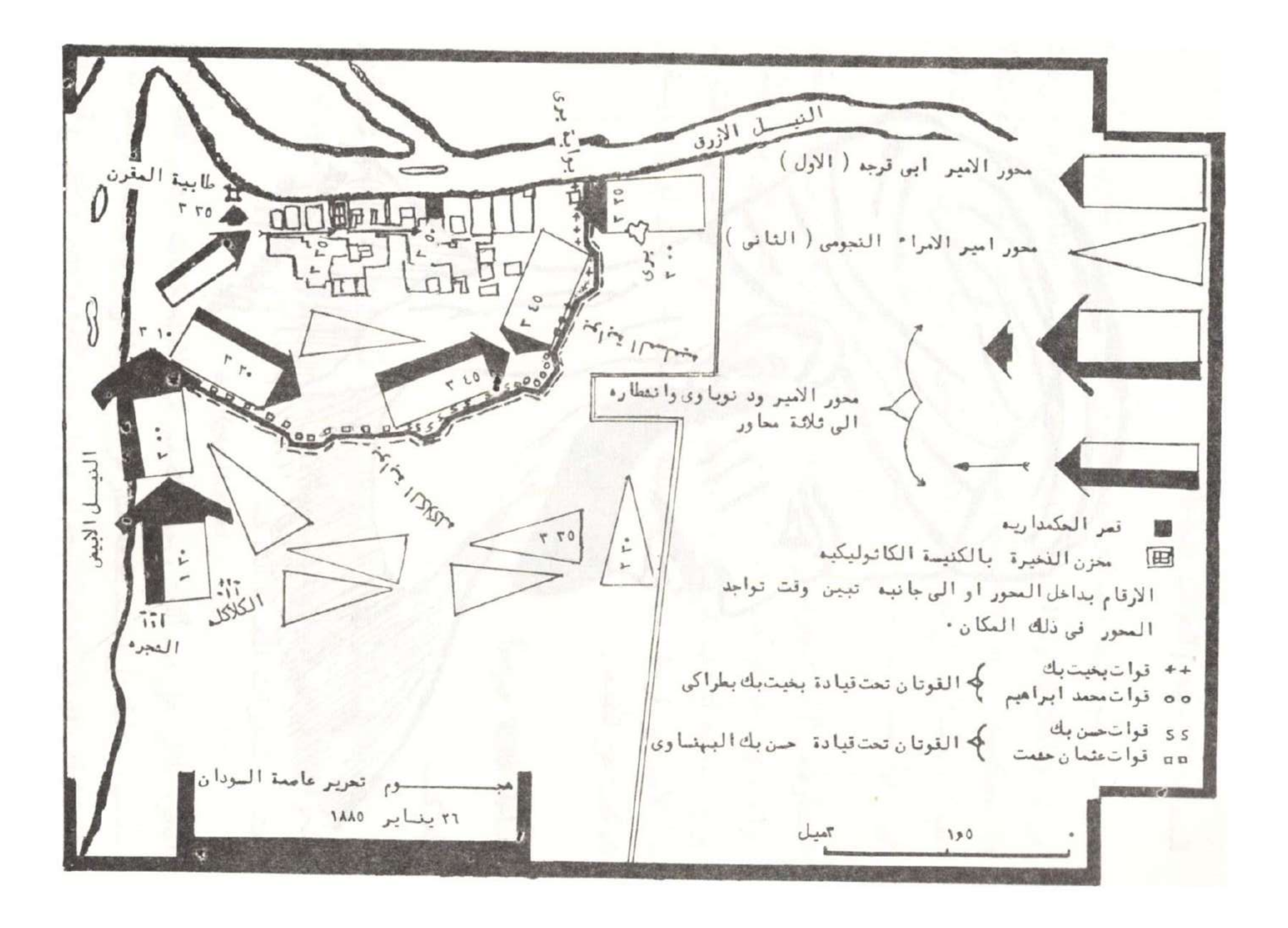
المعركـــة

انها الثالثة صباحا فقد توقفت البطاريات من قصف الثغرة وبوابة برى والقصر . المحور الاول على بعد الف وخمسمائة متر من بوابة برى ويختفى تماما وراء اشجار العشر والشجيرات المتفرقة الشوكية .

المحور الثانى على بعد ألفين وخمسمائة متر من الاستحكامات ويظهر تماما للاعداء. المحـــور الثالث على بعـــد بضعة امتار من الثغرة وداخل الغابة بكامله ولايشعر به عدو. عندما توقف قصف المدفعية الموجه الى بوابة برى والثغرة والقصر واخيرا توقف قصف حـــامية المقرن ، بدأ النجومى ومحـــوره الثانى اطـــلاق الرصاص غير المجدى على



عبدالرحمن النجومي



النيل الأزرق
النيل الأبيض
بوابة برى
طابية المقرن
بوابة المسلمية
بوابة الكلاكلة
الكلاكلة
الحجره
محور الامير ابى قرجه (الاول)
محور امير الامراء النجومى (الثانى)
محور الامير ود نوباوى وانقطاره
الى ثلاثة محاور
قصر الحكمداريه
محزن الذخيرة بالكنيسة الكاثوليكيه
الارقام بداخل المحور او الى جانبه تبين وقت تواجد
المحور فى ذلك المكان .
++ قوات بخيت بك
oo قوات محمد ابراهيم
القوتان تحت قيادة بخيت بك بطراكى
ss قوات حسن بك
▫▫ قوات عثمان حقمت
القوتان تحت قيادة حسن بك البهنساوى
هجوم تحرير عاصمة السودان
٢٦ يناير ١٨٨٥
٣ميل
١٫٥
٣٢٥
٣١٠
٣٢٠
٣٤٥
٣٣٥
٣٢٠
٣٠٠
٣٠٠
٣٢٠

بوابة المسلمية ، دافعـا امامه الثيران . التحرك الذى بدأه كـان بطيئا ولكنه مكتمل وفى اتجاه البوابة تماما . رعـاة الثيران طردوهـا بسرعة نحـو البوابة التى بدأت ترد على النيران بالمثـل وتطلق الصـواريخ لاخافة الثيران . بعض الالغـام تتفجر ، وقوات النجومى التى تبلغ حـوالى الالفى فـارس تقـرأ دعـاء الحرب . التهليل والتكبير منهم يملأ سماء الخرطوم. نيران كل الاستحكامات وجهت نحو النجومى لضرب تقـدمه .

المحور الثالث يجتاح الحصون

عند السـاعة الثالثة وخمس دقائق ، والنيران المتبادلة على اشدها من الحصون ومحور النجومى الثانى ، اطلق امير الامراء الرصاص المتفق عليه ، فتحركـت قوات المحـور الثالث كالسيل من داخل الغابة مخترقة الثغرة .

الساعة الثالثة وعشر دقائق كانت مقدمة المحور الثالث ـ حاملة البنادق ـ تعبر الثغرة دون ان تشعر بوجـود خندق محطم هناك . مع قائد المحور الامير محمد ودنوبـاوى شخصان من استخبارات الثورة السودانية هما : عمر ابراهيم وكان ضابطا فى جيش غـردون ، وبدوى الدنقلاوى وكان كيالا فى الشونة بالخرطوم . كلاهما يعرف كل متر من الثغرة وكانا قد فرا الى معسكر المهدى قبل مدة ومعهما ثالث هو العطـا محمد الدود ، ولكن الاخير ارسل مع السروراب الى السبلوقة . موجات الهجوم التى دخلت الى الخندق المحطم بعد المقدمـة صفوفها اعرض . المجموعات التى كانت على الجانب الايسر من المحور وجدت كميات طين كثير ، ولكنها استطاعت اجتيازه بفقدان شخصين سقطا بين ارجل المندفعين .

بعـد الدخـول مباشرة بدأ هذا المحور فى التهليل واطلاق النار بشكل يصم الاذان. أول قوات من المدافعين قابلوها كانت بطارية مدفـع متر اليوز واحد أطلقت السبع والثلاثين طلقة من مواسير المدفع التى بنفس عدد الطلقات . خرجت الطلقات جميعا فى ارتفاع يزيد عن ارتفاع رؤوس المهاجمين . لم ينتظر طاقم المدفع حتى لحشـوه

مرة أخرى ، وانما هربوا الى خيمة دخلوها ثم فكوا قائمها بقصد او بدون قصد ، فسقطت فيهم(١). لحق بهم الانصار فقتلوهم، ثم بدأ انفصال المحور. القسم الاول الرئيسي بقيادة الامير محمد ودنوباوى استمر سائرا على الحصون لتنظيفها ، والقسم الثانى استمر حتى شارف منازل المدينة ، فانفصل عنه حملة البنادق وتوجهوا الى طابية المقرن لاخذها من الخلف . الطابية أطلقت النار على المهاجمين ، ولكن عدم استواء الارض ووجود بعض الاشجار فى المنطقة ، ساعد على عدم حدوث اصابات كثيرة بين المهاجمين .

العدد المتبقى من المحور الثالث (تسعة الاف وخمسمائة مقاتل) اتجهوا نحو مخزن السلاح بالكنيسة وقصر الحكمدارية .

الساعة الان هى الثالثة والثلث والكل يجرى بسرعة عالية فى نظام محكم .

احتلال مخزن الذخيرة .

الطريق كان يمر بواجهة الكنيسة الجنوبية ، وجدوا هناك حارسا واحدا فقتلوه . وجد قائد القسم ان احتلال المخازن أمر هين ، فترك هناك مجموعة صغيرة لتؤمن احتلال المخازن ، واستمرت بقية القوات فى اندفاعها نحو القصر .

فى تلك اللحظات فتح باب الكنيسة الشماس دومينكو بوليناري فرأى الحراب الطويلة ، فاوصد الباب وانطلق الى غرفة بداخل الحديقة بها اعشاب جافة اختفى تحتها فى الركن البعيد من الباب . بعض عمال الحديقة حذوا حذوه ، ولكنهم غيروا رأيهم فى هذا النوع من الاختباء وخرجوا الى الحديقة مرة أخرى .

قفز الانصار عبر السور فوجدوا ان حراس مخازن السلاح بالكنيسة قد هربوا. قضوا على كل من وجدوه من خدم الكنيسة امامهم . دخلوا الى غرفة العشب الجاف

---

١ – مذكرات الشيخ بابكر بدرى ص ١/٩٢ .

ولكنهم لم يلاحظـوا وجود الشماس تحت العشب . اعتبروا ان تنظيف المنطقة مـن الاعداء قد انتهى ، فقسموا انفسهم على الحراسة . البقية وقفت عنـد باب الكنيسـة بالقرب من قطية السيدة حليمة التي كانت هناك تحرس باب الكنيسة «ولقطيتها» شباك يفتح بداخل فناء الكنيسـة (١) .

احتلال القصر

استمرت القوات التابعة للمحور الثالث في اندفاعها الى ان وصلـت القـصر في تمام الرابعة الا عشر دقائق . تسلق الانصار حيطان القصر العـالية ودخلوا الى داخل الحديقة . في الخارج كانت تقف الباخرة الاسماعلية على مياه النيل الازرق .

المحور الاول يجتاح الحصون الشرقية

في السـاعة الثالثة وخمس دقائق كانت كل اهتمامات بخيت بك بطـراكي قـائد خط الاستحكام الشرقي – ومحمد ابراهيم – قائد بوابة المسلمية– منصبة حول هجوم أمير الامراء النجومي الذى يتطـور امـام عيونهم . الكل اعتقد انه المحور الوحيد الذى سيحاول اختراق الحصون . كل الجلبة والتكبير والتهليل وقراءة دعـاء الحرب ثلاثا ، والنيران والرصاص والديناميت الـذى فجرته النيران ، كلها شواهد حية ان الهجوم قد بدأ فعلا على بوابة المسلمية . في الساعة الثالثة وعشر دقائق صباحا كانت قـيادة كـل القطـاع تقريبا على بوابة المسـلمية . بعـد ثوان فقط سمع تهليل الانصار بداخل الحصون الغربية ، ومدفع المتر اليوز بدأ العمل وسكت . كـل من بتلك الحصون سمع التهليل يأتي من الغرب مع طلقات الرصاص . بوابة بـرى سمعت كل هذا في ذلك الصباح البارد الكثيف الهواء. عـندها اطلق امير الامراء النجـومي اشـارته ببداية هجوم محور ابى قرجة على بوابة برى . اندفعت النيران وتطـاير بعضها دمـا ولحما وعظما من المتفجرات التي لم يفجرها القصف .تقدم الامير الحاج محمد عثمان ابوقرجة بقوته التي تقدر بخمسة عشر ألف مقاتل . القـى جنوده الأسرة والاعشاب الجافة على الخندق وتعدوه الى الباب الصغير الذى ماكادوا

١ – اوهر والدر ص ١٣٨ .

يدفعونه حتى انهار بدعائمه . اجتازوا الحائط فلم يجدوا شخصا من الفرقة السودانية الثالثة التى كان يقـــودها احمد افندى دسوقى . حتى دخولهم الى البربيت لم يجابهوا فيه مقاومة تذكر . تم الاجتياح فى حوالى الثالثة وخمس وعشرين دقيقة . ســـاروا بداخـــل البربيت ينظفونه من الاعداء وهم يتسابقون . فى الساعة الثالثة وخمـــس واربعين دقيقة التقت مقدمتهم بمقدمة المحور الثالث عند محطة السكة حديد الحالية .

المحور الثانى .

امير الامـــراء النجومى عندما أصدر أمره فى الثالثة وعشر دقائق لابى قـــرجة باجتياح بوابة برى ، كان لازال واقفا يزيد من الاستعداد لهجومه المرتقب على بوابة المسلمية . كـــان ينادى قادته ويوجه فيهم بادوارهم فى الهجوم . فى الثالثة والنصف ظهـــر لـــه ولقوات غردون فى بوابة المسلمية التى تجمع فيها بخيت بك بطراكـــى وسرور بهجت وفرح الزينى ، ان الانصار قد اجتاحوا بوابة برى والثغرة وانهـــم ســـيأخذونهم من الخلف . بدأت قوات الاستحكامات الهرب نحـــو المدينة . شعر النجومى ان هذه القـــوات ستلتقى بالقسم الذى سينفصل من محوره الثالث ويتجـــه نحو مخزن الســـلاح والقصر ، فاندفع بجـــواده ناحية اليسار وخلفه فرسانه . تبـــع الفرســـان أميرهم الذى انطلق كريح عاتية وقفز بحصانه فوق طين الثغرة ، ثم اتجـــه يمينا متابعا للبربيت . بعد الثالثة وخمس وثلاثين دقيقة بقليل كان خلف قسم محوره الثالث المـــناط به تنظيف الحصون . من هناك وجـــه قواته بتدعيم الاقسام الـــتى دخلت الى داخل المدينة .

بوابة المسلمية

عندمـــا رأى القـــادة الذين تجمعوا امام بوابة المسلمية ، ان اعصار النجومـــى قد انداح غـــربا ، وبدت لهم الخطة جلية ، وان القوات الثائرة الان بشرق الخرطوم وغربه وان لافائدة من المقاومة ، حاولوا فتح البوابة للخروج بها هاربين من الموت. لم يجـــدوا جنودا لمســـاعدتهم فى تحريك رافعة الباب الحديدى الضخم ، فجروا ركائزه فسقط مقفلا على الارض (١) .

١ — اوهر والد ص ١٥٠

هرب القادة ومعهم قائد الحاميه فرج باشا الزيني والقائمقام سرور بهجت فـــي ملابس جنود (١).

هنا قتل الثوار حوالى المائه والخمسين من الهاربين .

مقتل غردون

جنرال غردون لم ينم تلك الليله، فقد ظل في ملابس نومه يراقب الموقف . كل الذي كان يكرس نظره فيه ،هو هجوم النجومي على بوابة المسلمية . واغلب الظن انه اعتبره هجوما فاشلا. اما عندما سمع الرصاص من ناحية الثغره ، فقد اقتنع بان المقاومه وصلت الى نهايتها ، وانه فقد عمل عام كامل منذ السادس والعشرين من يناير عام ١٨٨٤- يـــوم غــادر محطة بولاق الدكرور في طريقه الى السودان للاحتفاظ به كمستعمرة لبلاده ولضرب الاسلام فيه .

دخل غردون الى غرفة ملابسه حيث لبس كسوة الشرف الصغرى (التي هـــي ملابسه اليومية) وتقلد سيفه ولبس طربوشا وضع تحته كوفية حريريه .

عندما تسلقت قوات الامير محمد ود نوباوى الحيطان وفتحت الباب من الداخل لدخول الثوار الى القصر ، رأى من نافذة غرفته كل شيء . خـــرج غـــردون آمرا حرس القصر بعدم المقاومة ، فاى نـــزاع مســـلح ســـيقود الى قتـــل الجميع بما فيهم نفسه . ان كل الذى كان يتوقعه غردون هو ان يؤسر ،ويؤخذ الى المهدى الذى سيقوم بمقايضته (٢) ، او يتركه في معسكره كما حدث لغيره من الاوربيين مثل سلاطين ولبتون واوهـــر والدر . ان الاوربيين الذين قتلـــوا مثل هكس قد قتلوا في معركة ولم يموتوا مسلمين . وهذا هو الذى يريده الان ،ان يستسلم .

خرج الى المنطقة التي يريد منها النزول عبر الدرج سائلا :(اين محمد احمد ؟) ولكن مرسال حامل راية الامير ميرغني سوار الذهب (٣) قدر الموقف خطأ وتصور ان

---

١ – ابراهيم فوزى ص ١/٤٠١ .

٢ – ابراهيم فوزى ص ١/٣٩٥ .

٣ – اوراق السيد على المهدى .

غردون يريد اطلاق النار عليهم ، فتلقاه بطلق نارى اسقطه على الدرج .

عندما تحققوا ان المصاب هو غردون ، قام عبدالقادر كوكو – قاضى سرية حموده – بقطع راسه (١) ، واخذوه فيما بعد بالباخرة الاسماعيلية الى المهدى الذى غضب لقتله .

ان الباخره الاسماعيلية كانت خارج القصر ومرجلها يغلى .ان قائد الباخرة كان يتوقع ان يأتى اليه الاغريق حاملين معهم غردون للهرب بهم . عندما لم يحضر الاغريق ولا غردون ودخل الثوار الى القصر ، قاد الباخرة الى منتصف النهر وبدأ يراقب الموقف. عند خروج الثوار من القصر برأس غردون دعــوه الى الحضـــور ولكنه رفض . اعطوه امان الله ونبيه ومهديه بانه لن يمس بسوء فعاد الى الضفة حيث حمل بالباخرة رأس غردون الى المهدى . جثة غردون بقيت بالقصر لثانى يوم حيث القيت فى بئر . عملية الهجوم على القصر كلفت الثوار شهيدا واحدا (٢).

سراى الشرق (قصر راسخ)

قائد محطة الشرق وتوفي عبد الله بك العبد هجمت عليه قوات الشيخ العبيد . حاول المقاومة ، ولكن كثيرا من جنوده قتلوا سريعاً ، والبقية هربوا عن طريق النيل الى امدرمان حيث استسلموا.

شهداء وقتلى

جانـــب الثوار

ان شهداء الثورة المهدية في تحرير الخرطوم كانوا عددا قليلا .
اكبر عدد قيل انه استشهد في معركة تحرير الخرطوم ذكره سلاطين عندما قـــدرهم

١ – اوراق السيد على المهدى .

٢ – اوراق الشيخ المضوى بالقاهرة ص ١٩٤ من كتاب « المهدية والسودان » «لوينقيت » .

بانهم بين ثمانين ومائة (ص ١٩٧ النار والسيف – نسخة عالم الكتب) ، واصغر عدد هو الذى ذكره الكردفاني وهو عشرة (ص ٣٥١ – سعادة المستهدى بسيرة الامـــام المهدى) . والذى لا شك فيه ان الثورة لم يستشهد لهـــا قائد في هجوم التحرير .

جانـــب غردون

ان عدد القتلى من جانب غردون تحددهم المراجع الاوروبية بأنهم عشرة الاف . هذا الرقم مبالغ فيه رغم كثرة القتلى . فالشيء المتفق عليه ان ثلث جيش غـــردون لم يصب بسوء وهو الفرقة السودانية الأولى والثانية والثالثة .. وعليه فالقتـــل كان اكثر في الفرقة المصرية الأولى والثانية وفي فرق الباشبوزق .

بين سكان الخرطوم الاجانـــب قتلت اعداد أيضاً ، وبشكل رئيسى من المتطوعين في الجيش وفي فرق العسس التى كانت تجوب شـــوارع المديـــنة ، امـــا العســـس بالمحافظة فلم يصـــب منهم أحد بما فيهم المحافظ . ان الشخصيات التى كانت معروفة وقتلت اهمهم :–

١ – جنرال غـــردون باشـــا .
٢ – الشيخ حسين المجدى – ناظر المدرسة الاميرية والمدرس بالمسجد .
٣ – الشيخ فايد ، شيخ السجادة الاحمدية .
٤ – الشيخ موسى ، مفتى المحاكم الشرعيـــة .
٥ – الشيخ محمد حتيك ، قاضى القضاة .
٦ – نيكولا ليونتيدس ، قنصل اليونان .
٧ – مارتن هنسل ، قنصل النمسا .
٨ – مستر آسر ، قنصل امريكا .
٩ – مولاتا اسكندر ، نجار ، اكتسب شهرته بانه كان يسكن مع القنصل النمسوى . قتل مع كلبه وببغائه .
١٠ – مستر كلاين ، ترزى نمساوى .

١١ ـ مستر كلاين الابن الاكبر ، وهو ابن الترزي النمساوي ، وقد كان في الثامنة عشرة من عمره ، توأماً لبنت بقيت . زوجة الترزي ، كاترينا نوبللي ـ وهي ايطالية من البندقية ـ وبقية اطفالها لم يصابوا بأذى . وهم البنت التوأم في الثامنة عشرة من عمرها ، وطفل في الخامسة ورضيع .

١٢ ـ صهر دكتور جورجز . دكتور جورجز نفسه كان قد قتل في شيكان ، وبنته تزوجها اغريقي .

١٣ ـ فتح الله جهامي ، سوري متزوج من بنت تاجر فرنسي .

١٤ ـ ـ ٢٠ ـ سبعة اغريق كان قد اخذهم جورج كالامانتينو ـ الذي اسلم في الابيض والتي مع الامام المهدي وكان قوي المكانة لديه ـ انه اخذ الاغاريق السبعة لحمايتهم في منزل اغريقي اخر يدعي منولي ، ولكنهم في الطريق قتلوا ما عدا جورج كالامانتينو .

٢١ ـ ابوبكر الجركوك ـ عضو محكمة الاستئناف وتاجر مواشي .

٢٢ ـ عصمت بك ـ مدير التلغراف .

٢٣ ـ محمد بك القباني ـ قائد المدفعية .

٢٤ ـ موسى باشا شوقي ـ مامور سابق للضبطية .

٢٥ ـ أخ قنصل أمريكا

اهم الذين تبقوا من الاجانب

١ ـ إبراهيم باشا فوزي : رئيس اركان حرب غردون ومحافظ الخرطوم .

٢ ـ فرج باشا الزيني : قائد الحامية ، وقد حوكم في قضية تآمره على قتل السعيد باشا الجميعابي وحسن باشا إبراهيم . اعدم .

٣ ـ حسن بك البهنساوي : قائد الدفاع الغربي ، هرب الى مصر حيث قدم الى محكمة بتهمة التآمر مع الانصار ولكن المحكمة برأته .

٤ ـ سرور بك بهجت : قائد فرق باشبوزق ، حوكم مع فرج الزيني بنفس التهمة واعدم .

٥ ــ إبراهيم البردين : تاجر ثــرى .

٦ ــ محمد صالح البغدادى : تاجر ثرى عراقى .

٧ ــ ارملة مصطفى تيرانس : شركسية ورثــت زوجها الثرى ، وكانت معجبــة بغردون فحملت اليه بدر المال بالحمير .

٨ ــ إبراهيم خليل باخوس : قبطى مصرى صاحــب حدائق وعقارات واموال .



بقية السبت ٢٤ يناير ١٨٨٥م

جلدوا من انقذوهم بالسوط

عندما تحركت الباخرتان — البردين وتل حوين — بقيادة سير تشارلز ويلسون نحو الخرطوم ، اصبح في ابي خروق قائد القوات النيلية لورد بيرسفورد ، وبوسكاون اصبح قائدا لبقية القوات الارضية . استمرت الباخرتان في سيرهما دون مجابهة خطيرة . كانوا يقفون لكسر السواقي واخذ اخشابها . وجدوا مدفعاً مهجورا ، ولكنهم عندما اقتربوا منه واجهوا نيران قناصة شديدة .

استمروا مرة أخرى وتوقفوا لجمع الاخشاب . عندما نزلت قوات خشم الموس اطلقت النار على بعض الرعاة ، فسقط جمل ، اسرعوا اليه وبدأوا في سلخه واخذ لحمه . لم ير الانجليز سلخ الجمال قبل ذلك فقبضوا على بعض الجنود وجلدوهم بالسوط .

استمرت الرحلة ، بقوات السكس تجلس على أعلى غرفة من كل باخرة خوفاً من تمرد القوات التابعة لخشم الموس .

مع خشم الموس

في صالون البردين كان يجلس خشم الموس — قمندان الباخرة — . انه كان رجلا في الخمسين ، قصيراً ، يبعث على الاحترام ، ذا ملامح عادية . كان يجلس معه في صالون الباخرة الكابتن قاسكوان يتحادثان بواسطة مترجم .

في الباخرة تل حوين لم يكن هناك مترجم ، فاى اوامر اراد الانجليز اعطاءها لقادة الباخرة ، كانت تتم بعربية استيوارت وورتلى المكسرة التى تعلمها في سلاح الاستخبارات .

في المساء جاء استيوارت وورتلى وكابتن ترافورد من تل حوين ، لتناول

العشاء مع خشم الموس . جلس الجميع على ارض الصالون وتناولوا العشاء من صحن ضخم ، وهم يراقبون سباق الجرذان في الغرفة. عند هبوط المساء اوقفوا الباخرة بالقرب من قوز البسابير .

الاحد ٢٥ يناير ١٨٨٥

جنـــوح البردين

كان اليوم كسابقه ، يقفون لتكسير السواقي والمنازل واخذ اخشابها ، ويطلقون النار على الرعاة واهل القرى الذين يقتّربون من النهر .

في الساعة الرابعة والنصف وصلوا الى الشلال السادس. تل حوين تسير في المقدمة وتتبعها البردين ولكن لم تكن في خط واحد خلفها . اصر ويلسون على متابعة السير في الشلال ، فاصطدمت البردين بصخرة وجنحت على رأس الشلال ، قبل دخولهم المياه الواسعة . الساعة حينها السادسة مساءاً . اجروا محاولات استمرت ست ساعات لتخليص الباخرة ، ولكنها فشلت . ناموا هناك حتّى الصباح .

الاثنين ٢٦ يناير ١٨٨٥ .

ســاعة التحرير كانوا بالشلال السادس .

عندما كانت قوات النجومي قد انتهت من اقتحام الخرطوم ، وتحريـسرها وقتل غـــردون ، كانت قـــوات ويلسون فى الشلال السادس تنـــزل محمولاتّها وذخيرتّها من الباخرة البردين . بعد تخفيف الحمولة ، قاموا بجرها بالحبال الى ان تحررت مـــن الصخرة . وجـــدوا انها لم تصب ، فوضعوا المحمولات والذخيرة مرة أخـــرى ، واستمروا فى رحلتهم الى أعلى النهر . بعد مسافة قصيرة جنحت الباخرة البردين مرة أخرى على حرف رملى . عند المساء عاودوا السير ، بعد تخليصها ، ولكنهم كـــانوا قد قطعوا ثلاثة أميال خلال كل اليوم .

عودة إلى طلائع الصحراء

قتال مع السراب

الثلاثاء ٢٧ يناير ١٨٨٥

اخبار مزعجه ونيران السروراب .

في ذلك الصباح المنعش الجـو كانوا بنهاية الشلال السادس في مضيق السبلوقه الـذى تشرف عليه هضاب جبلية من الناحيتين . في الظهر صرخ فيهم رجل بالضفة الغربية للنيل ان الخرطوم قـد تحررت وقتل غردون . قام المترجم بتفسير مـاقال القـروى لهم من مكانه البعيد . ولكن خشم الموس ، دون اهتمام قال لهم ، هـذا ماظللت اسمعه عدة أشهر . انها الطريقة التي يتخذها الثوار لازعاجنا . . . صدقـوا حـديث خشم الموس .

توقفوا في قـوز نفيسه عند مدخل مضيق السبلوقة الجنوبي ، ولكن نيران القـناصة انصبت فيهم بكثافة من التلال المجـاورة التي يحتلها السروراب . استأنفوا السـير ولكن القناصة استمروا في السير معهم وضربهم . في الساعة الثانية ظهرا أصبحـت النيران اكثر كثافة واستمرت كذلك حتى المسـاء . بعد غروب الشمس توقفـوا في التمانيات للمبيت ، وتحصلوا على أخشاب هناك .

الاربعـاء ٢٨ يناير ١٨٨٥

الامـل الذى اقتـرب

اسـتأنفوا السـير مبكرا في السادسة صباحا في نشـاط وروح عـالية . انهم سيلتقون بغردون اليوم . هذه الرحلة القاسية مـن لندن الى مشارف الخرطوم سوف يحققون أول أهدافها اليوم بالوصول الى غردون وتسليمه المحمولات الخطيرة الملوثة بالتايفريد ، الذى سيقضى به على جموع الثوار دون ان يطلق قذيفـة واحدة.

كل شخص من الطبجية أوقف امام مدفعه لانهم يتوقعون نيرانا من حامية امدرمـان التي يعرفون ان الانصار قد استولوا عليها . حسب التوجيهات ، البردين تسير في

المقدمة ، وتتبعها تل حوين في خط واحد خلفها . استيوارت وورتلي يحمل مرائي شمسية ارتقى سقف باخرته في محاولة لارسال اشارات هيليوغراف الى غردون .
في الساعة السابعة والنصف اشار عليهم المواطنون من جبل ام مرح ان الخرطوم قد حررت. في الساعة الحادية عشرة صباحا شاهدوا الخرطوم من بعيد . استمروا في السير. قروى من الضفة الغربية للنيل نادى ركاب الباخرتين بان الخرطوم حررت. بعدها انهال الرصاص عليهم من قرية الفكي هاشم . خرج ويلسون الى اعلى البردين وتبعه خشم الموس . تسلق الاول كرسيا والثاني ركن الباخرة . ان الحلفايا امامهم الان ، وعدد من البواخر الكبيرة راس بها . كان رأى خشم الموس انها بواخر غردون، ولكن بعد دقائق فتحت البواخر نيران مدافعها وبنادقها على الباخرتين . انهال الرصاص على دروع الباخرتين كالصقيع . اما الدانات فلم تصب الباخرتين . عندما ابتعدوا عن الحلفايا شعروا بسعادة غامرة انهم نجوا .

الان يستطيع ويلسون رؤية السراى . . .

حمدان ابو عنجه وكل السكان في مواجهة الباخرتين .

عندما اقتربت الباخرتان من امدرمان كان السكان كلهم يعرفون خبرهما. الامام المهدى عين الامير حمدان اباعنجة لمواجهة الباخرتين بمدافعه بالقرب من حامية امدرمان . أيضا أصبحت بطارية المقرن وتوتى تحت قيادته . ببطارية المقرن مدفعان ، وبامدرمان بالقرب من حامية غردون السابقة بطاريتان ، واحدة بها مدفع جبلي واحد والثانية التى شمالها بها أربعة مدافع جبلية . هناك بطارية أخرى أصبحت تحت قيادة حمدان موقعها بالجزء الشمالى من جزيرة توتى . امطر حمدان مياه المقرن نيراناً حامية بداناته . على ضفتى النيل اندفع جميع السكان – نساءاً ورجالا – لمنع نزول الاعداء . النساء كن يحملن الهراوات لضرب الغزاة لو حاولوا الاقتراب من الضفة . الجنود يحملون البنادق ويطلقون امطارهم الحمئة . توقفت الباخرتان تماما . . ان التقدم سيكون نهاية الباخرتين . اقتنع ويلسون ان التقدم غير

ممكن ، وان انطلاق بطارية المقرن عليهم يعني ان المدينة قد تحررت . سقف السراى الذى حجبته الاشجار لم يظهر عليه العلم الاحمر ذو الهلال والثلاث نجوم البيضـــاء. كل البواخر قد ربطت بامدرمان على ضفة النيل الغربية .

امر سير تشارلز ويلسون الباخرتين بالدوران والرجوع . انها بداية رحلة الاحزان التى اثقلته بهموم بقية حياته . الساعة الان الثالثة واربعون دقيقة من عصر الثامن والعشرين من يناير ١٨٨٥.

رحلة الاحزان .

عندمـــا اصدر سير تشارلز ويلســـون اوامره فى الثالثة واربعين دقيقة بالتوجه شمالا ، كانت تل حـــوين تواجه مشكلة فى الاستدارة ، فهى مصابة بدانة وانغرس جزء من مقدمتها فى رمل قليل . ولكن بعد دوران البردين استطاعت تل حـــوين ان تخلص نفسها وتلحق صاحبتها .

النيران تضاعفت بهرب الباخرتين ، ولكن عندما شارفت الساعة الرابعة مساءاً كانوا خارج نطـــاق نيران الثوار .

التمـــرد الصامت

رحلة الرجـــوع اختلفت عن رحلة القدوم بالنسبة للانجليز وقوات خشم الموس بالباخرتين . ان الانجليز يحملون أثقال الخيبة والفشـــل الذى منوا به . اما جنود غردون سابقا فان مشاكلهم متعددة . أولى هذه المشاكل ، علائلاتهم التى تركها بعضهم فى الخرطوم . ثانياً ، شعر كل واحد منهم ان الثورة السودانية على حق ، وانها هـــى الاقوى ، وان كل ماسمعوه ضدها لم يكن الا تضليلا استعمارياً . ثالثـــاً ، ان مخدمهم قد مـــات ، فمع من يعملون الان ؟ رابعاً ، ان الانجليز الذين فى ابى خروق كانوا هم أصحاب الفضل فى انقاذهم ،عندما وجدوهم امام حصون المتمة نائمين عـــلى الارض ونيران المتمة تنهال عليهم جحيما ونكالا ، وحجارتها رجما. هل هـــؤلاء

قـــادرون ، لو ارادوا ، على ضرب هذه الثورة التى اجتاحت البلاد كسيل العـــرم؟ ان كـــل الدلائل تشير الى انهم ليســـوا بمستطيعين حـــتى ولو اتوا بمثل اعدادهم مددا. واخيرا ، الانجليز الذين تركوهم فى ابى خروق - احياء ومرضى وجرحى وموتى ، ورأوهم فى الباخرتين لايبعثون على الاحترام. انهم قطيع قذر الثياب ، نتن الرائحة، لايتحدث الا سبابا ، ولاينتج الاقملا من مزارع جسمه الخصبة .

كانت كل هذه الاســـباب أكثر مما يقنع رجلا بالتمرد ، اذا ضمن انه لن يقـــتل أو يســـجن اذا انضم الى الجانب الاخر .

بدأ التمرد صامتا ، فالكل يفكر فيما حدث لاهله ، وفى حسابات المعادلة غير الصعبة. ان خطابات جميع الامراء والاصدقاء التى وصلت الى خشم الموس ومحمد نصحـــى كانت تضمن سلامتهم وارواحهم ومالهم ، وكل الذى سمعوه عن المهدى لم يشككهم فى وعـــده وكلمته .

الهجـــان ذو الرايه البيضاء .

عندما كانت نيران الحلفايا تنهال على الباخرتين ، رأوا هجانا على الضفة الغربية يحمل علما ابيض ويشير عليهم بالوقوف . وعلى مايبدو ان الهجان كان يعرف سلفا انهم لن يقفوا له ، لذلك كان مســـتعدا لرحلة اطول . كان يحمل معه ماءاً وتمرا .

الهجان كان رجلا صبورا طيبا قوى الايمان ، وعلى استعداد لمتابعتهم لحدود السودان. ان الرجل هو الفكى عبد الرحمن الدنقلاوى ، ويحمل خطابا من الامام المهدى الى ركاب الباخـــرتين من الانجليز والشايقية واتباعهم .

رحلة بقية يوم الاربعاء ٢٨ يناير ١٨٨٥

اســـتمرت الباخرتان ، رغم كثرة المصابين مـــن الجنود فى التقدم بهمة. ان ويلسون لايملك طبيباً فى الباخرتين ، وبالتالى لن يسجل ولن يهتم كثيرا بمن اصيب ، بل مشكلته الان بوادر التمرد . ان جنود خشم الموس جميعا يتحركون بثقل ولايهتمون

للاوامر التي تصرف لهم . عندما غابت الشمس كانوا عند جزيرة صغيرة جنوب جبل الرويان باثنى عشر ميلا . قبل ان يناموا هناك ارسلوا احد الشايقية لاستطلاع اخبار الخرطوم . عاد وقال لهم ان الاهالى يقولون ان الخرطوم قد تم تحريرها وان غردون قد قتل .

يوم الخميس ٢٩ يناير ١٨٨٥

اصـــابة تـــل حـــوين

فى الصباح الباكـــر كان عليهم اطعام الجرحى واصلاح الثقوب التى فى جسمى الباخرتين . ايضا جوارف المياه (البدالات) فى عجلات التحريك مصابة . قامـــوا بقفل الثقوب واصـــلاح الجوارف واطعـــام الجـــرحى والتحرك شمالا . بعـــد ساعة ونصف جنحت البردين على رمل ولكنها خلصت دون عناء . فى الساعة الثانية عشرة والنصف من بعد الظهر وصلوا الى مدخل الشلال . قرروا ان يقودوا باخرة واحدة بملاحى الباخرتين حتى مرحلة محددة ، بعدها يعودون بكل الملاحين لتحريك الباخرة الثانية . قال لهم ملاحو الباخرتين ، ان ذلك غير ممكن . ان النيل قد انخفـــض كثيرا منذ الامس ، وهاتين الباخرتين لاتستطيعان عبور الشـــلال لعمق غاطسهما . ان ما قاله الملاحون كان صحيحا فى ان النيل انخفض يوم ٢٨ يناير فى ابى خـــروق بثلاثة اقدام ، وربما كان انخفاضه هناك أكثر ، ولم يصل بعد الى ابى خروق . هـــذا القول بالنسبة للانجليز أو غيرهم لن يكون حجة مقبولة وهم فى هذا الوضع الخطير . لم يستطع الانجليز استعمال التهديد معهم ، فهم أوفر عـــددا منهـــم اذا اضفنا الى الملاحين قوات خشم الموس . لذلك رجع الانجليز الى وساطة قائدهم واغراء المال . قالوا لكل قبطان انه سيعطى مائة جنيه ونصفها لكل ريس اذا وصلـــت الباخرتـــان سليمتين الى ابى خروق . قاموا بالقاء أكثر جوالات الذرة التى يحملونها لاكل الجنود فى النهر .

خرج ملاحو البردين وركبوا مع ملاحى تل حوين واخذوها الى النقطة المعينة مـــن الشـــلال . عادوا الى الثانية واخذوها حتى مربط الاولى. فى قدم الشلال العلوى منطقة

مكشوفة واسعة المــياه . بدأ كل شيء وردى السطح .

فى الرابعة والنصف مساءاً كانوا يسيرون باقصى سرعة للباخرتين . اصطدمت تل حوين تحت سطح الماء بصخرة فى مواجهة جبل الرويان ، شقت اسفلها شقا لاعلاج له . انهالت المياه الى جوفها بعنف .

عندما اوقفت الباخرة الثانية الى جانب جزيرة صغيرة ، وارسل زورق لمساعدة الباخرة المحطمة ، كان قاسكوان قد قام بما يجب ان يقوم به فى باخرته الغرقى . اخرج سريعا المدفعين المحمولين بالباخرة وبقية المحمولات الى المركب الذى كان مربوطا بالباخرة. عندما جــاء كابتن ترافورد وليوتنانت استيوارت وورتلى ، حملوا معه الجــرحى الى الباخرة الثانية وصحبهم الاصحاء من ركاب تل حوين . انهم فقدوا كل ذخيرة المدافع ، واكثر ذخيرة البنادق . بقية اليوم لم يجابهوا فيه الا نيران قناصة قليل. قرروا قضاء الليل بالجزيرة التى وقفت عندها البردين .

وصول الهجــان ذى الرايه البيضاء .

قبل الغروب بقليل وصل الهجان ذو الراية البيضاء ، الفكى عبد الرحمن الدنقلاوى الى الضفة الغربية من النيل ، وحمله مركب لبعض الاهالى من الضفة الى الباخرة بردين. عندما وصل الى الباخرة كانت الارض ليلا . استأذن الشيخ لدخول الباخرة ، فسمح له سير تشارلز ويلسون بالدخول ومعه قادة المركب الذى أوصله .

ان الفكى عبد الرحمن رجل تكسوه لحية بيضاء ، سمح الطلعة ، بشوش ودود هادىء، حيا سير تشارلز الذى كان متوتر الاعصاب . امر سير تشارلز قوات الرويال سسكس لتعمير بنادقها والمدافع . ان القائد الانجليزى كان يخشى ان يحضر ثوار اخرون الى الباخرة . أخذ سير تشارلز الخطاب من الشيــخ وبدأ بعض الضباط بمساعدته فى فهم ماكتب فى الخطاب بالعربية التى لايعرفها .

هرع فى هذا الوقت جميع جنود غردون السابقين وغيرهم من الملاحين وقادتهــم

للتحادث مع الشيخ ابان فترة ترجمة الخطاب . جلس الشيخ معهم يحادثهم عما حدث ومـــا سيحدث وضمانات المهدى لارواحهم واموالهم اذا سلموا . كان تأثير حديثه عليهم مقنعا ، فبدأوا التسلل والهرب من الباخرة الى المهدى .

خطاب الامام المهدى الى ركاب الباخرتين

يقول معنى خطاب الامام المهدى الى (الانجليز والشايقية ومن معهم بالوابورين)(١) (سلم تسلم ، ولا أطيل فى تحذيركم ، لاتعصى فتقعد حسيراً ، وقد يلهمكم الله طريق الصواب . واعلموا ان حاميات الخرطوم وما جاورها من حصون قد حطمها الله ، بقدرته وقوته التى لايقـــدر عليها أحد ، على ايدينا . وبمشيئة الله صار كل شيء تحت ايدينا . انكم اصبحتم كوريقة تحت قبضتنا ، فنعرض عليكم أحد اثنين ، لو سلمتم ومنعتم سفك دمائكم ودماء مخلوقات الله التى تحت قيادتكم فبها ونعمت . ان أمان الله ورسوله وضمانى سيكون لكم . وان كنتم لاتصدقون ماقلته لكم واردتم التأكد مـــن حقيقة مقتل الخرطوم ، فارسلوا رسولامنكم ليرى حقيقة مانقول ، ولرسولكم امان الله ورسوله الى ان يأتينا ويرى ويرجع تحت حراسة منا ، لكى يرى ويخشى الله . ان الله يقول : (الاية) . « فشل وينقيت فى ترجمتها »

انه معروض عليكم الخيار بين القتال والتسليم لارادة الله والعـــودة إليه . ولولا رأفتى عليكم ، لما كاتبتكم هكذا . فلو اذعنتم عند تلقيكم لخطابى هذا فلا تخشـــوا شيئاً ، لانه لن يحدث شيء لكم بعد اعطائكم امان الله ورسوله . ولو رفضتم ستذوقون العذاب فى رفضكم لطريق الله ، ولعذاب الاخرة أشد . انه مـــن المعروف ان النصر للمؤمنين كما وعد الله فى كتابه العزيـــز . لاتضللوا بثقتكـــم فى بواخـــركم وغيرها وتتأخروا فى اتخاذ القرار حتى لاتبوءوا بالخسران ، واسرعوا إلى خيركم قبـــل فصل

١ – هذا معنى الخطاب فقط ، والسبب فى ذلك انى لم أجـد الخطاب الأصل ووجـدت ترجمة لــه فأخذته منها ، ص ١٧٩ – المهدية والســودان لوينقيت) . وعليه لا يمكن الا اعتداد بالكلمات ولكن المعنى لا غبار عليه . تاريخ الخطاب كتب بالسنة على الختم فقط . ولكن التاريخ الطبيعى هو ٢٨ يناير ١٨٨٥ – ١١ ربيع الثانى ١٣٠٢هـ .

جناحكم . ان كثرة التدبير لن تهدى من اضله الله ، ولن تجد بعد الله حاكماً .

فيما ذكر الكفاية لمـــن هداه الله) .

راى خشم الموس في كسب الوقـــت

رداً على خطاب الامام المهدى استقر رأى ويلسون ان يكتب خشم الموس رداً إلى الامام المهدى يكسبون به وقتاً ، ولايكون ملزماً لويلسون . الذى تركهم يرجعون إلى هذه الحيلة ، هو خوفهم من مضيق الشلال والسروراب الذين بود الحبشى .

رد خشم الموس كان يقول انهم لن يسلموا الا بعد ان يتم ضمان من يحملهم بسلام. ولو أرسل لهم الامام المهدى من يضمن لهم السلامة ، فانه ــ أى خشم الموس ــ سوف يسلم الانجليز والباخرة الباقية إلى الفكى المصطفى بود الحبشى .

أخذ الفكى عبد الرحمن الدنقلاوى الرد ورجع ، ولكن بقيت كلماته مؤثرة على كل مـــن لم يهرب بعد .

الجمعة ٣٠ يناير ١٨٨٥م .

مؤامرات واكاذيب .

فى الصباح بدأت البردين التحرك فى السادسة صباحاً والمركب خلفها . مرت على الجنادل المختلفة دون اشكال . في مضيق السبلوقة لم يجدوا قوة معادية . ولكن الرياح العاتية التى كانت تهـــب منذ الصباح ، جرفت الباخرة إلى مياه ضحلة . احتاج خروج الباخرة إلى وقت طويل . واصلوا السير حتى المساء .

مشكلة ظهرت عندما توقفوا ، وهى ان عبد الحميد بك أحمد بدأ يعد في مؤامرة لاغراق الباخرة . حمل النبأ جاسوس رشاه سير تشارلز ويلسون لكى يأتيه باخبار مـــن بالباخرة . لم يستطع ويلسون ان يواجه عبد الحميد ، ولكن رأى ان يقـــوم خشم الموس باقناعه بعدم تنفيذ خطته .

بالاضافة إلى تدخل خشم الموس ، فان الانجليز عــن طريق جاسوسهم الذهبي ، وزعوا اكذوبة بين رجال الباخـــرة تقول : ان الانجليز احتلوا المتمة ، وان قواتهم تتدفق الان عبر صحراء بيوضة للتدعيم .

نجحت الاكذوبة إلى حد ، فقد واصـــل الشايقية ومن معهم العمل بهمة واطاعة للاوامــر .

السبت ٣١ يناير ١٨٨٥م .

فقدان البردين .

بدأ الابحار في السادسة صباحاً كالعادة ، واستمروا دون اشــكال حتى العاشرة صباحاً . إذا استطاعوا الخروج من المنطقة التي تشبه القفاز امام ود الحبشي ، فانهــم لن يجابهــوا مشكلة بعدها حتى ابى خروق . النيل عند ود الحبشي به على ضفته اليمنى ست جزر لها ضفاف رملية متقاربة . المكان الخالى الذى يمكن ان تعبره الباخـــرة هو ابهام القفاز . ولكن على الضفة اليسرى للنـــيل السروراب وقوتهم التي تبلغ ثلاثة الاف رجل .

وضعوا اخشاباً كافية على الباخرة لكي يشعلوا بمرجلها نيراناً قوية ، تعطيها بخاراً لدفع شديد ولايحتاجــون للتوقف قريباً مـــن المضيق . ان الخطر يمكن تلافيه بعـــد اندفاع ساعة واحدة بسرعة البردين التي تبلغ ستة اميال في الساعة . في تمـــام الثالثة والنصف كانوا على بعد خمسة اميال تقريباً مـــن بطارية ود الحبشي . الاخشاب التي لديهم تكفيهم لساعة بعد عبور تلك المنطقة .

اندفعت الباخرة بسرعتها القصوى ، سارت على قناة يسار جزيرة المرنات . انه مكان معقد بعض الشيء . فالجزيرة عرضها الذى تقتطعه من مجرى النيل ثلاثة ارباع الميل ، وطولها ميلان ، والمسافة المتبقية من مجرى النهر ايسر الجزيرة عرضها ثلاثمائة ياردة ، وهى كافية لعبور أكثر من باخرة لولا وجود جزيرتين صغيرتين يجب تفاديهما.

السرعة الان هي القصوى – ستة اميال في الساعة . الكل ينظر إلى الافق البعيد حيث بطارية السروراب .

صوت مرعب أوقف النظرات البعيدة ووجهها تحت اقدامهم . ان البردين اصطدمت بصخرة حادة تحت سطح الماء ثم انزلقت منها . كل محاولة لايقاف تدفق المياه إلى احشائها فشلت .

ليلة السبت .

طلب الاغاثه .

امر ويلسون بتوجيه الباخرة إلى جرف رملي يخرج من جزيرة تبعد عن المرنات خمسين ياردة قبل ان تثقلها المياه وتغرق في النيل . ان جزيرة المرنات الضخمة التي إلى يمين الجزيرة الصغيرة ، مليئة بالاشجار والاعشاب الطويلة في الجزء الشمالي منها . بالجزيرة هذه أيضاً منازل قليلة يسكنها مزارعون . ان المسافة بين المكان الذي يقفون فيه ونهاية جزيرة المرنات الضخمة ، من الناحية الشمالية ثلاثة ارباع الميل . بعدها يكون النيل كاشفاً حتى بطارية ود الحبشي .

فكر ويلسون في ان يسير على ضفة النيل اليمنى حتى قبل شندي بقليل حيث يرسل إلى ابي خروق من هناك ، لاحضار زورق أو باخرة لعبورهم . عندما عرف جنود خشم الموس ان عليهم ان يحملوا الجرحى والمعلبات التي كانت مرسلة إلى غردون، رفضوا الفكرة .

انزلت المحمولات إلى الجزيرة الصغيرة وكذلك المدافع والذخيرة . ذهب كابتن قاسكوان إلى جزيرة المرنات لاختيار مكان لزريبة . في السادسة وخمس واربعين دقيقة تحرك ليوتنانت استيوارت وورتلي في زورق الباخرة ومعه اربعة انجليز واربعة من جنود خشم الموس في طريقه إلى ابي خروق لطلب النجدة . واحد من

الانجليز بالزورق كان خير اشارات . تم اختيار السابعة إلا الربع بالضبط لتحرك الزورق ، لان الشمس ستكون قد غابت وسيمر زورقهم على بطارية السروراب قبل ارتفاع القمر .

استعملوا المجاديف لمدى نصف ميل فقط ، بعد ذلك تركوا الزورق لدفع الموج فى مسيرته الطويلة شمالا .

عندما اقتربوا من البطارية سمعوا السروراب يتحدثون عن النقطة السوداء على النهر . ارتفع القمر قبل ان يبتعدوا عن معسكر الفكى المصطفى ود الفكى الامين . تحقق السروراب ان هؤلاء اعداء فاسرعوا إلى بنادقهم . تأكد ركاب الزورق ان اختباءهم لم يعد سراً فلا داعى للاستمرار فيه . امسكوا مجاديفهم وبدأوا يجرفون الماء جرفاً . انقذتهم جزيرة التفوا حولها عندما انهال الرصاص عليهم مطراً . اتجهوا إلى يمين الجزيرة العالية الاشجار فكونت لهم حماية إلى ان خرجوا من مدى رصاص البنادق . ولكن عندما التفتوا إلى ايسرهم وجدوا ان بعض السروراب على جمال يتبعونهم بدون بنادق .

فى مكان الباخرة المصابة زارهم شايقى واخبرهم ان الزورق قد نجا وتوجه شمالا ، وان الخرطوم قد تم تحريرها وقتل غردون .

نام سير تشارلز ويلسون فى جزيرة المرنات ، وترك اغلبية القوات بالقرب من الباخرة بالجزيرة الصغيرة .

الاحد الاول من فبراير ١٨٨٥م .

ماذا حدث فى معسكر أبى خروق ؟

فى الساعة الثالثة من صباح الاحد كان ليوتنانت استيوارت وورتلى يوقف زورقه على ضفة النيل اليسرى عند ابى خروق . قضوا الليل فى تجديف محموم مسافة

اربعين ميلا . ووصلوا إلى هناك فى حالة ارهاق شديد .

وجد استيوارت وورتلى ان قائد المعسكر ليوتنانت كولونيل « مقدم » بسكاون فى المستشـــفى ، والذى حل محله مقـــدم اخر هو ليوتنانت كولونيل م . ويلســـون من لواء (الاسكوتز قاردز) . اخبرهم بمـــا حـدث ، فبدأوا اعداد النجدة على الباخرة الصافية . ان لورد تشارلز بيرسفورد قد ازال الجراح الدمل الذى اصيب به وشفى تماماً ، واصبح يصدر الأوامر لقـــواته النيلية ويمهرها بامضائه كسردار للطابور ، ويأمر بجمع العلف والمأكولات ونهب الاسرة من المنازل الخاوية واطلاق المدافع على المتمة .

النجدة .

اعدت الباخرة الصافية بقوات واسلحة تجعلها قادرة على مواجهة مدفعى ود الحبشى . غادرت الباخرة اباخروق فى الساعة الثانية بعد ظهر الاحد الأول من فبراير ١٨٨٥م ، وتشكيل قواتها كان كالاتى :—

القائد : لورد تشارلز بيرسفورد .

القـــوة :

١ — سبعون جندياً من الاسطول البريطانى بقيادة ليوتنانت « فان كو — نت » ، وصلوا حديثاً من جقدول .

٢ — عشرون جندياً وضابطاً تم اختيارهم من قوات لواء المشاه الراكبة

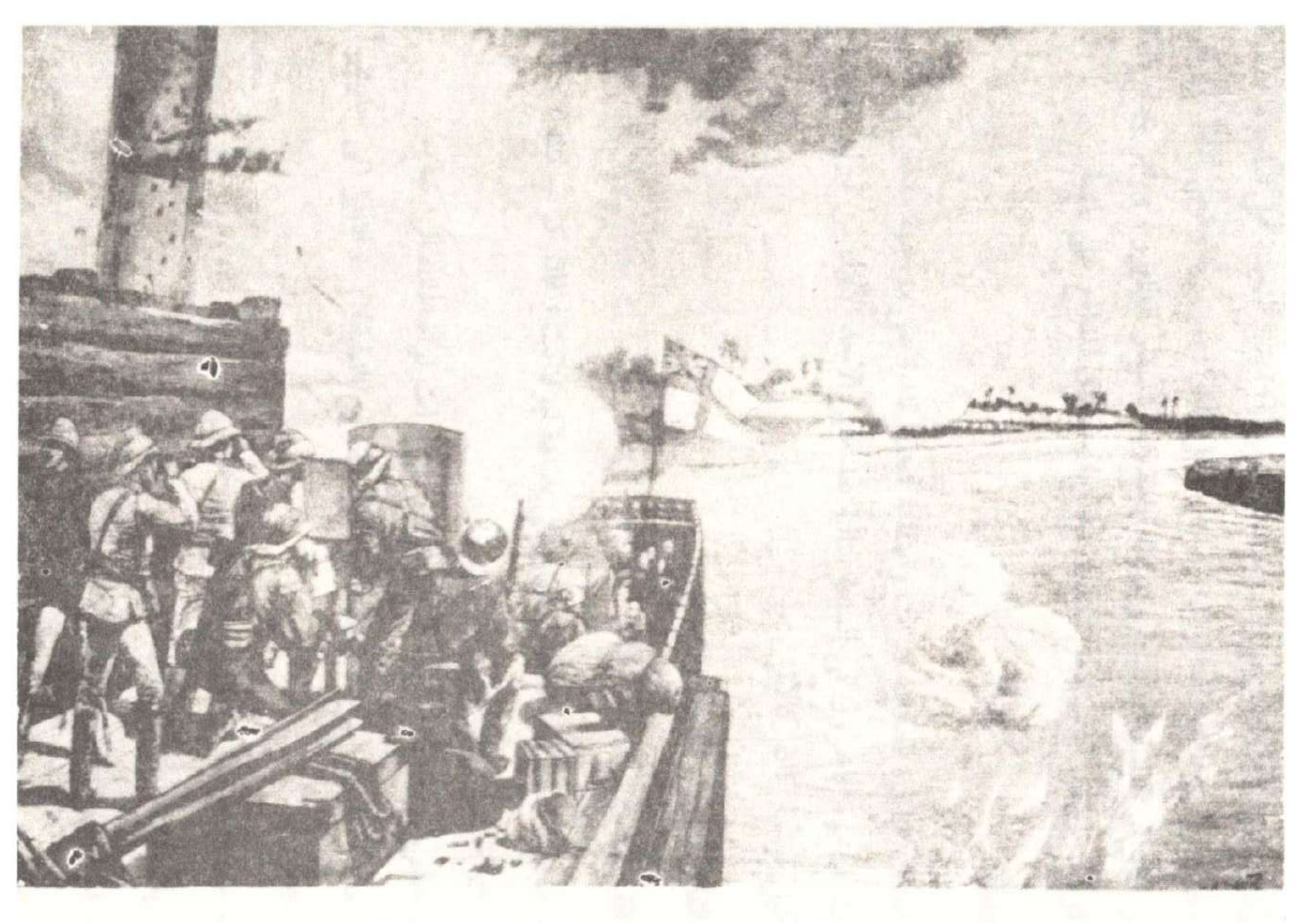
٣ — مدفعا قاردنر سريعا الطلقات (مائة طلقة فى الدقيقة) ، الثانى اتى حديثـــاً من جقدول .

٤ — مدفعان اربعة ارطال من مدافع البواخـــر .

٥ — يصحبهم أيضاً لوتنانت استيوارت وورتلى .

٦ — فنيون من الاسطول الملكى البريطانى .

٧ — مستر « بن — باو » كبير المهندسين البحريين .



لورد بيرسفورد يسار الثلاثة طبجية وهو على ظهر الصافية يتبادل اطلاق النار مع السرواب .

الاعتقال .

من المعلومات التي ادلى بها ليوتنانت استيوارت وورتلي في أبي خروق ان الباخرة تل حوين وبردين قد حطمتا نتيجة تمرد الملاحين من رجال خشم الموس . لذلك بعد تحرك الصافية امر لورد تشارلز بيرسفورد باعتقال ريس الباخرة ، وربط يديه على عمود ووضعوا إلى جانبه ضابطاً يحمل مسدساً يطلقه عليه إذا خانهم وتحطمت الباخرة . أما إذا لم يخنهم ، ولم تتحطم الباخرة بصخرة تحت الماء أو تجنح على مرقد رملي – ذهاباً وايابا – فانهم سيعطونه جائزة .

الرحلة الى ود الحبشي .

خلال رحلة لورد تشارلز بيرسفورد لبقية يوم الاحد الأول من فبراير لم تحدث أي حادثة ، وكذلك الحال يوم الاثنين . في بداية يوم الثلاثاء الثالث من فبراير وفي تمام السابعة صباحاً ، شاهدوا ود الحبشي واستحكاماتها ، والباخرة البردين جانحة خلفها . الخطة الان التي رسمها لورد تشارلز بيرسفورد هي ان يتقدم بسرعة بنيران كثيفة من مدافعه وبنادقه ، تمنع عمل طاقم بطارية ود الحبشي وحملة البنادق هناك من رفع رؤوسهم لاطلاق النار عليهم .

المواجهة

الساعة الان السابعة والنصف صباحا من اليوم الثالث من فبراير عام ١٨٨٥ ، الباخرة الصافية على بعد ألف ومائتي ياردة من استحكامات مدفعية ود الحبشي . بدأ لورد تشارلز بيرسفورد اطلاق مدفعي الاربعة ارطال على الاستحكامات بسرعة شديدة . ان الدانات صغيرة الحجم ولكن حشوها سريع . تسير الدانة في مسار نصف دائري قبل ان تصل الى هدفها . عندما وصل الى مسافة ثمانمائة ياردة من بطارية السروراب ردت البطارية على نيران الباخرة . المياه على يسار الباخرة ضحلة ، فأصبح على لورد تشارلز ان يخترق الممر المائي على بعد ثمانين ياردة فقط من الضفة الغربية . استمرت النيران كثيفة بين الجانبين . عندما بدأ مدفعا

القـــاردنر فى الانطـــلاق على بعد اربعمائة متر من البطارية ، استطاع الســـر/وراب اصابة احد رجال طاقمـــى المـــدفعين وهو برتبة صف ضابط . أيضا استطاعـــوا اسكان طلقة فى ساق ضابط الاســـطول ليوتنانت « فـان كـو – نـت ». ان مـــدفعى السروراب لم يتمكنا من ضبط المـــدى الصحيح الا بعد ان تعـــدت الباخرة المندفعة البطارية وأصبحت على بعـــد مائتى متر منها . زاوية الضرب مـــن داخل الباخـــرة أصبحت ضيقة جـــدا مما مكن الســـروراب من ضبط المدى وارسال دانة اصابـــت المرجـــل بها . انفجـــر المرجل مصيبا كل من كان بمكان التشغيل ، بالبخار الحار الـــذى سلخ اجســـادهم بشكل من الافضل عـــدم وصفه . رجل واحد من خبراء هذه الالات لم يصب، وهو المهندس مستر « بن – باو » . البدالات لازالت دائرة من جراء سرعة الاندفاع . اتجه بيرسفورد نحو الضفة اليمنى للنيل (الشرقية)، فتوقفت الباخـــرة فى منتصف مجرى نهر النيل تقريبا وعلى بعد خمسمائة ياردة من بطـــارية ود الحبشى . استمر السروراب فى اطلاق مدفعى البطارية على الباخـــرة المعطلـــة .

قطـــع جنود الباخـــرة مؤخرة مدفع اربعة ارطال لكى يتيح لهم انتاج قذيفة أكثر ارتفاعـــا . أيضا قطعوا جزءاً من حصن المدفع بالباخرة . بعدها تمكنوا مـــن تشغيل مـــدفع واحد . ولكن نظرا لوضع الباخـــرة الان فان نيران مدافع الجانبين غـــير مثمرة . استمر القصف بين الجانبين من الساعة الســـابعة والنصف صباحا حـــتى الغروب . قبل منتصف النهار اشترك مدفع من مدافع سير تشارلز ويلسون وضعـــه بالضفة الشرقية فى اطلاق نيرانه على السروراب لشغلهم عن ضرب الباخرة الصافية ، ليتمكن المهندس من اصلاح المرجل .

قبل الغروب خاف لـــورد تشارلز بيرسفورد ان يقوم السروراب بنقل المدفعين – خلال الليل – الى مكـــان أكثر مناسبة لضرب الباخرة . لذلك انزل زوارق النجـــاة الاربعة بالباخرة لكى يفهم السروراب انه يريد الهـــرب بها ليلا . أيضا أوقـــف كل حركة بالباخرة .

عملية اصلاح المرجل .

فى الســـاعة الحادية عشرة صباحا قلت حـــرارة المرجل قليلا ولكنها لازالت

غير محتملة . حاول مستر « بن - باو » صب المياه الباردة على المرجل لانزال حرارته ، ولكن الحرارة لازالت عالية .

حملوا طفلا لخادمة تعمل بالباخرة لكى يدخل الى المرجل لتثبيت براغى حتى يتمكن المهندس من ربطها بالخارج . لم يحتمل الطفل الحرارة فجعل يصرخ . اخرجوه واغروه بالمال ثم دهنوا جسده بالشحم وادخلوه مرة أخرى . اخذت عملية الاصلاح حتى السابعة مساءاً ، والطفل فى داخل المرجل الحار . وضعوا على المرجل قطعة (صاج) لم تكن من السمك الذى يتحمل بخاره ، فثبتوها بقطبان ربطت فوق الصاج .

فى العاشرة مساءاً وضعت الاخشاب جاهزة للاشعال . توقف القذف المتبادل فى المساء بعد يوم كامل منه . ان الباخرة الصافية اطلقت فى ذلك اليوم خمس آلاف واربعمائة طلقة مدفع قاردنر ، ومائة وست وعشرين دانة مدفع أربعة أرطال ، وألفين ومائة وخمسين طلقة بندقية مارتينى هنرى .

ماذا حدث لركاب البردين .

الاثنين ٢ فبراير ١٨٨٥ ؟

الزائر وهرب عبد الحميد بك .

فى هذا اليوم ذهب الشيخ المصطفى الفكى الامين لزيارة سير تشارلز ويلسون ، واقناعه بالتسليم . استقبل الاخير الشيخ بجزيرة المرنات فى الزريبة التى اقامها هناك وانزل بها مدافعه .

حضر المقابلة خشم الموس بك وعبد الحميد بك احمد . قال الشيخ لسير تشارلز ويلسون عبر مترجم : ان تسليمه سيحقن دمهم ، وساق له الضمانات لعدم المساس بهم وبارواحهم وممتلكاتهم الخاصة .

وبينما سير تشارلز كان يحاول كسب الزمـــن لكى لايتعـــرض لهجوم يقضى على مجموعـــته ، كـــان عبد الحميد بك قد انســـحب فعلا ولجـــأ الى السروراب (١). مـــع عبد الحمـــيد لجـــأ أيضا جميع بحـــارته وعدد كبير مـــن الجنود .

مـــاذا فعل سير تشارلز يوم الثلاثاء ٨٥/٢/٣

تســـلق بعض جنوده شـــجرة عالية ورأوا فى الصباح الصافية تشتبك مـــع السروراب وتتبادل معهم اطـــلاق النار .

حطمـــوا الزريبة التى بنوها بجزيرة المـــرنات وحملوا المنقولات والمدافع والذخيرة الى الضفة الشـــرقية للنيل .

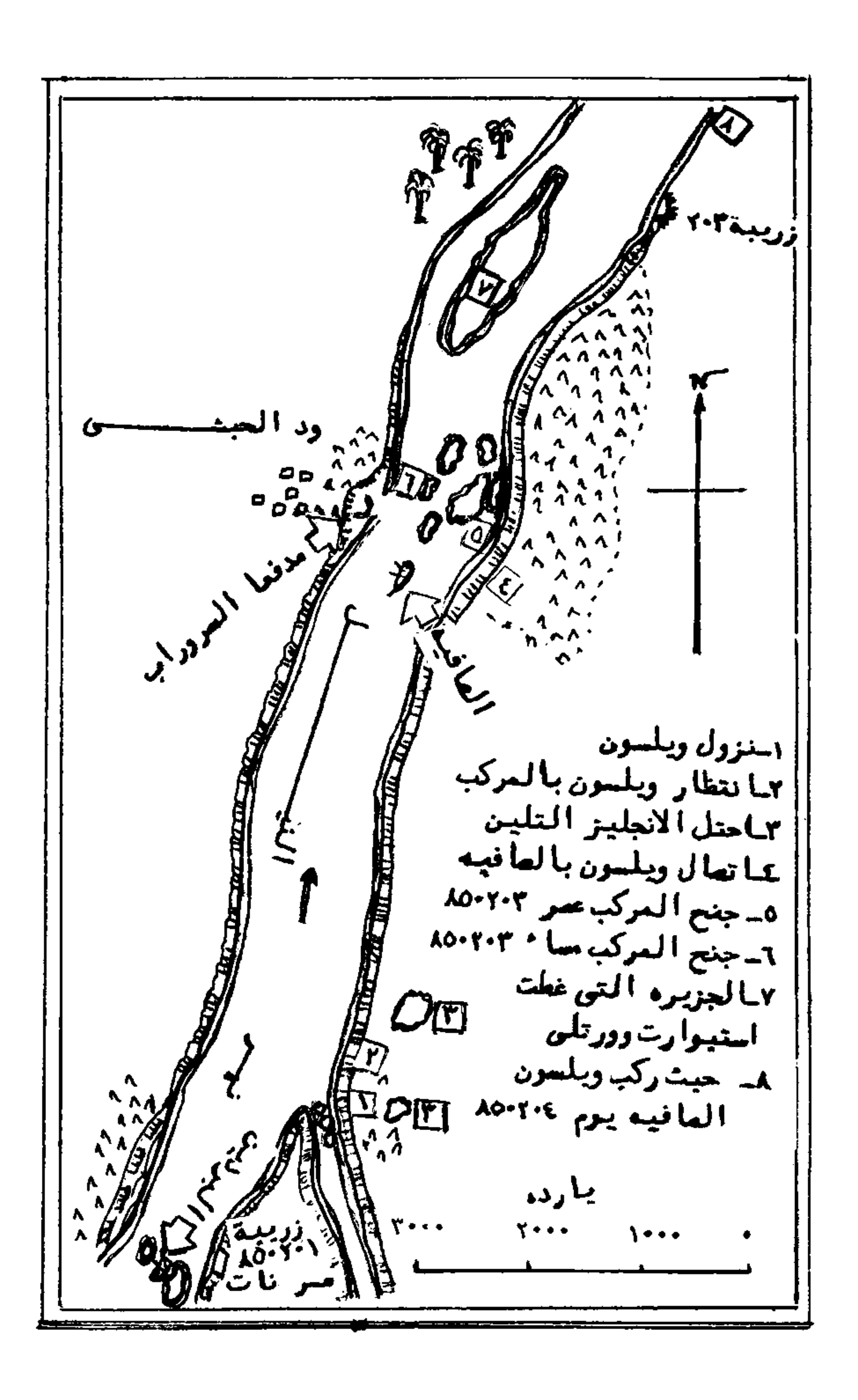
عندمـــا رأى ويلســـون ان الصافية قـــد اصيبت ، أرسل كابتن ترافورد بالضفـــة الشرقية لكى يحاول الاتصال بالباخـــرة هيليوغرافيا . أرســـل أيضا ويلسون كابتن قاســـكوان لاحتلال تلين فى الضفة الشـــرقية .

وضع ويلسون الجرحى فى مركب صناديق معلبات الكورنديف الملوث بالتايفويد ، بعـــد تغطية الصناديق بالاعشاب وانزال الذرة التى كانت محمولة للخرطوم . القيت الـــذرة فى وســـط النهر . قـــاد المركب كابتن قاسكوان – ضابط المخـــابرات والمتخصص فى الحـــرب البيلوجية . تقدم قاسكوان بالنهر وويلســـون وقواته بالضفة الشرقية . قبل الوصول الى الباخرة فى الســـاعة العاشرة والربع جنح المركب فى رمل.

وجـــد كابتن قاســـكوان ان الاتصـــال الهيليوغـــرافى مـــع الباخـــرة غير مثمر لعـــدم معرفة من بالباخـــرة بالاشارات . تبرع قاســـكوان بالذهاب الى الباخـــرة. عندمـــا وصلها عرف انها ســـوف تصلح فى المســـاء وطلب منهم لورد بيرسفورد ان يستعملوا مدفعا لضرب بطارية السروراب لشغلهم عن ضرب الباخرة . كما طلب منهم ان تتقدم قواتهم بالضفة الشرقية للنيل لمنطقة بعد بطارية ود الحبشى ،حتى يتمكن

---

١ – وينقيت – المهدية والسودان ص ١٨٥/١٨٤ .



زريبة ٢٠٣
ود الحبشى
مدفعا العروراب
العافيه
١ـ نزول ويلسون
٢ـ انتظار ويلسون بالمركب
٣ـ احتل الانجليز التلين
٤ـ اتصال ويلسون بالعافيه
٥ـ جنح المركب عصر ٨٥٠٢٠٢
٦ـ جنح المركب مساء ٨٥٠٢٠٣
٧ـ الجزيره التى غطت استيوارت وورتلى
٨ـ حيث ركب ويلسون العافيه يوم ٨٥٠٢٠٤
زريبة ٨٥٠٢٠١
عمر نات
يارده
٣٠٠٠ ٢٠٠٠ ١٠٠٠ ٠

مــن اخذهم مــن هــناك فى الصباح .

تحــرك ليوتنانت ترافورد والقــوات وبنوا زريبة على بعــد ميلين وخمسمائة ياردة من مكــان الباخرة . أمــا سير تشــارلز ويلســون فقد نصب مدفعا من مدافع البردين وبمســاعدة طبجية أطلــق الدانــات غير المثمرة على السروراب . استمر ضربه هذا من الساعة الحادية عشرة صباحا وحتى نزول الشمس . حينها عطل المدفع الذى انتهت داناته والقوا به فى النهر .

تقــدم سير تشارلز ويلسون وطبجيته حيث ناموا على بعد سبعمائة ياردة بعد معسكر ترافــورد .

مــركب الجرحى وعلب الكورنديف انزل منها الجرحى الذين يستطيعون السير ، فتمكنت مــن التخلص من الرمل وتقدمت محاولة اختراق منطقة مضيق ود الحبشى ، بالســير خلف الجزر الكثيرة الرمــل والصخور . جنحت المركب هناك فى المساء على بعــد اربعمائة ياردة من البطارية ولكن يغطيها ساتر الجزر .

الاربعاء الرابع من فبراير ١٨٨٥ .

الهرب صباحــاً .

فى الســاعة الخامسة صباحا أمــر لورد تشارلز بيرسفورد باشعال موقد المرجل ولكن بكل حذر حتى لايتطاير الشرر فيكشف حيلته .

بــدأت الظلمة تنقشــع وتأكد السروراب ان الباخرة لم تهجر ، فاستأنفوا اطلاق النار عليها . قبل ان تتمكــن بطاريتهم مــن ضبط المدى الصحيح للباخرة تقدمت الصافية مســافة مائتى ياردة ثم اســتدارت شمالا بسرعة محركها القصوى وهــى تطلق داناتها وطلقاتها على المدفعين لحين عبورها الاستحكامات .

ومــع ضوء الصبح القليل ، كانت الباخرة تبعد اربعمائة ياردة شمال البطارية . وقف

لـــورد تشارلز بيرسفورد بباخرته خلف الجزر الصخرية وارسل ليوتنانت كيبل في زورق ومعه عـــدد مـــن رجال الاسطول لمســاعدة زورق الجرحى وقـــائده كـــابتن قاسكوان . انزلوا الجرحى الى الارض فطفا المـــركب ثم رفعوهم مـــرة ثانية تحت نيران السروراب. توجهوا سائرين بين الجزر الى الباخرة التي حملتهـــم وتقدمت لتحمل القـــوات من الزريبة التي اقاموها بالامس . تقدموا مرة ثانية وتوقفوا لكـــى يحملوا سير تشـــارلز ويلسون ومن معه من النقطة المتقدمة . السير مع اتجـــاه الموج أوصلهم الى ابى خروق في تمام الخامسة وخمس واربعين دقيقة من مساء نفس اليوم .

الخميس الخامس من فبراير ١٨٨٥ .

في ابى خروق .

أصبح ســـير تشـــارلز ويلسون – قائد طابور الصحراء – بابى خروق . وجد بعض تعديلات تمت أثناء غيابه . فقد عـــادت القافلة التي ارسلها الى جقدول واحضرت غذاءات ومدفعـــين جبليـــين ومدفعـــين ماركة قـــاردنر . (الباخـــرة الصـــافية اخذت مدفع قاردنر مع المـــدفع القاردنر الاول الذى اشترك في حرب ابىطليح) . أيضا احضرت تلك القافلة ثمانية صناديق ذخيرة مـــارتينى هنرى وجدوها في أرض معركة ابى طليح . ارسلت تلك القافلـــة مرة أخرى حاملة مرضى التايفويد لخطورتهم وترك الجرحى بما فيهم سير هيربرت استيوارت . صحب القافلة اربعمائة جـــندى الى جقـــدول .

وجـــد ويلســـون ان منقذه – لورد تشارلز بيرسفورد – قبل ان يذهب إليه بالباخرة الصافية ، قـــد اسمى نفسه سردارا ، وقـــام بعدة حملات بباخرته على أهالى ضفتى النيل لنهـــب المـــواشى والاسرة وحرق المنازل ، في الاماكن التي لايوجد بهـــا سكان كثيرون . وقد كتب أيضا انذارا الى هؤلاء السكان القلائل بتاريخ الثامـــن والعشرين مـــن يناير ١٨٨٥ ، يقـــول فيه (١) :

١ – شقير ص ٨٧٦ .

(نكتب إليكـــم هـــذا الانذار لكي لايفوتكم العلم اننا – نحن القسم الاول مـــن الجيوش الانجليزية الزاحفة على الخـــرطوم – لمعاقبة العصاة الاشقياء ، فاذا اتيتم الينا مسلمين خـــاضعين قبلناكم وأهلنا بكم ودفعنا لكم أثمان ما نأخذه من مـــواشيكم ومحصولاتكم . لكن اذا رأينا مـــنكم مادل على اصراركم على عدم التسليم عاملناكم معاملة الاعـــداء ، وسلبنا جميع مـــواشيكم ، واحرقنا منازلكم وسواقيكم وكل ما ملكته أيديكم . أمـــا انتم أنفسكم فتلاقـــون مالاقى الذين تجرأوا على قتالنا فـــى أبي طليح والمتمة . ومن اراد المجيىء منكم الى الجنرال الانجليزى للمفاوضة معه بشأن مـــن الشئون ، فليأت حاملا راية بيضاء ماشيا وحده على شاطيىء النيل فيدخـــل بلا مـــعارضة ويحمى من كـــل خطر والسلام) .

لم يتلـــق لـــورد بيرسفورد ردا ولاحامل رأية بيضاء ، ولكنه كان يسمع التهليل والفـــرح والزغـــاريد، وعلم انها بخصوص اخـــبار الخرطوم .
لـــم يذهب سير تشـــارلز ويلسون الى سير هيربرت استيوارت الجريح بالمستشفى خجـــلا مـــن التحدث معه عما حـــدث في الخرطوم ، الا في آخر لحظة قـــبل سفره الى كورتي لكي يحدث لـــورد وولسلي بكل الاخبار ويتلقى تعليمات جديدة منه.

الخميس الخامس من فبراير ٨٥ بجقدول .

في جقدول ســـير ردفرز بولـــر موجود من الثاني من فبراير حائر ماذا يفعل ؟ انه ينتظر اوامر جديدة مـــن لـــورد وولسلي . انه جـــاء الى جقدول بعد ان عينه وولســـلي قائدا جـــديدا لطابور الصحراء ، بعد ان سمع فى صباح الثامن والعشرين من يناير من كابتن « بيجوت » (الذى وصل إليه حامـــلا اخبار معركتي الشبكات والمتمة) ان ســـير هيربرت استيوارت جريح . حينها عين رئيس اركان حربه بولر قائداً لطابـــور الصحراء ، على ان يعـــود سير تشارلز ويلسون الى كورتي . مكان بولـــر الذى خلى ، عين فيه ايفلين وود .

أخـــذ بولـــر معه ياورين ، واحـــدا ارستقراطيا جدا وهـــو لورد فـــردريك فيتزجيرالد ، واخـــر عاميا هو كتشنر . بعد أيـــام تبعته كتيبة من لـــواء الرويال

ايرش ، وسبقته قوات بقيادة « ماك كالمونت » إلى جقدول وتتكون من ستين جندياً من الهجانة الخفيفة وسبعين جندياً من لواء الاسطول، واربعمائة جمل مؤجر .التعليمات التى صرفها لورد وولسلى إلى بولر هى :

١ . الا يجرح نفسه لانه محتاج إليه .

٢ . أن يزيل الثوار من المتمة .

٣ . التعاون مع طابور النهر .

٤ . جمع الذرة .

وبهذه التعليمات توجه بولر من كورتى الى جقدول فى طريقه الى ابى خروق . ولكن « لورد كوكرين » الذى التقى به هناك وقد كان فى طريقه الى كورتى ليبلغ وولسلى باحداث الخرطوم وتحطم باخرتى سير تشارلز ويلسون ، اخبره بما يحمل من اخبار ، فقرر ان يبقى فى جقدول حتى تصله أوامر جديدة من وولسلى بعد أن يستمع الى لورد كوكرين .

يوم الخميس الخامس من فبراير فى كورتى .

أعطى لورد وولسلى آخر صندوقين من السيجار الذى لديه إلى قرنفل ، مقسما أنه لن يدخن سيجارا ثانية ، حدادا على مقتل غردون والهزائم والفشل الذى لحق بقواته . ان أعصابه التى كانت متوترة خلال بداية الأسبوع لعدم وجود أخبار ، أصبحت محطمة بعد أن وصلت الأخبار مع كابتن بيجوت يوم ٨٥/١/٢٨ عن إصابة استيوارت وفشل إحتلال المتمة ، وأخبار لورد كوكرين الذى وصله مساء ٨٥/٢/٣ — عن مقتل غردون وتحرير الخرطوم وتحطم الباخرتين . حينها لم يعرف بعد هل الصافية إستطاعت إنقاذ سير تشارلز ومن معه أم لا ؟

ان لورد وولسلى أصبح أكثر حيرة من بولر فى جقدول . على كل أرسل الخبر الى لندن بالتلغراف عن طريق مصر ، وسينتظر تعليمات حكومته .

الخميس ٥ فبراير ١٨٨٥ فى بريطانيا .

السيدة القصيرة الرقيقة التى تقسم شعرها الى قسمين متساويين فى وسط رأسها ، وتنزله الى الجانبين ، ثم تعقله خلف عنقها ، كانت تتشح السواد . الفستان

الطويل وغطاء الرأس ومعطف البرد . كانت فى السادسة والستين من عمرها ، فقد ولدت عام ١٨١٩م .

عيناها الحادتان ، باهتتان بفعل السنين المتقدمة بها . مشيتها لاتعكس عمرها المديد ولاعملها الذى قضت فيه حتى تلك اللحظة ثمانية واربعين عاما. اندفعت كقاطرة بخارية من مسكنها بحنطور تقوده بنفسها الى كوخ يبعد من هناك اربعمائة متر فقط . الجليد الابيض يبدو ناصعا على جانبى الشارع ولكنه بدأ يتحجر .

نزلت من عربة الحنطور ، وجذبت مطرقة الباب الحديدية . جاءت خادمة الكوخ الذى يقع بجزيرة « وايت » ، فى هذا الوقت المبكر جدا من صباح الخامس من فبراير عام ١٨٨٥ ، وفتحت الباب . رأت الخادمة المرأة الملتفحة السواد وتشبه سيدات الطبقة الوسطى المسنات فى بريطانيا . قبل ان تقول الخادمة كلمة واحدة ، دفعتها السيدة المسرعة دون ان تنظر اليها . بداخل المنزل دفعت باب غرفة الاستقبال لتجد هناك سيدة فى عقدها الخامس هى « ميرى » وبنتيها ، فهتفت بهن « متأخر جدا . . . ضاعت الخرطوم وقتل غردون » ! قامت النساء الثلاث اللائى كن يتناولن افطار الصباح المبكر ، احتراما للقادمة دون حراسة .

ان المرأة تلك لم تكن غير الملكة فكتوريا التى اعتلت عرش بريطانيا منذ عام ١٨٣٧ . والمسكن الذى أتت منه لم يكن غير قصر « اوزبورن » فى جزيرة « وايت ». أما الكوخ ونساء الكوخ الثلاث فهن « ميرى بونسنبى » زوجة سكرتيرها وعاشقها الخاص – سير هنرى بونسنبى ، وبنتاه – الكبرى « بيتى » واسمها الكامل « البيرتا بونسنبى » وكانت فى العشرين من عمرها ، والتى تصغرها « ماقز » واسمها الكامل « ماجدولين بونسنبى » . قالت الملكة الشاحبة الغاضبة لميرى الاخبار التى وصلت إلى « هوايت هول» ذاك الصباح من وولسلى . وكما ذكرت فكتوريا فيما بعد فى جورنالها انها قالت لميرى. (انه مخيف ان الحكومة وحدها الملامة لرفضها ان ترسل حملة الابعد ان اصبح الوقت متأخراً جداً) .

ان نفس الرأى هو الذى كتبته الملكة لوزرائها دون التمسك باللياقة الدستورية ، ودون ان ترسل ذلك بالشفره . ارسلت رأيها في تلغراف عادى إلى قلادستون رئيس الوزراء وهارتنقتون وزير الحربية وقرانفيل وزير الخارجية . قالت لهم الملكة (هذه الانباء من الخرطوم مرعبة ، وان نفكر في ان كل ذلك كان يمكن استبعاده ، وان ارواحاً كثيرة كان يمكن انقاذها بتحرك اسرع ، لشيء مخيف) .

على كل ، « ميرى» لم تسمع كثيراً من ملكتها الغاضبة ، بل اشارت إلى البنتين بالذهاب إلى غرفتيهما ، ثم تبعتهماعندما رأت « هنرى » ينزل الدرج من غرفته .. وتركن الملكة تلقى بذراعيها على كتف سكرتيرها الناضج الوسيم ، ليخفف من ضربات قلبها المسرعة .

الملكة فكتوريا تفضح سر حكومتها .

ان الملكة فكتوريا بثورتها تلك لم تهتم لاى شخص فى حكومتها . تسرب الخبر فى نفس اليوم من القصر إلى الصحف ، فنشرته صحيفة « الديلى تلغراف » و « الديلى كرونيكل » فبدأت الضجة التى شملت نوادى « الوست اند » والبرلمان ومجلس الوزراء والكنائس . وحتى بعد مرور قرن ، لازالت الحادثة جاثمة على عقل كل بريطانى . انفعال الملكة لم يسيء فقط إلى قلادستون – رئيس الوزراء اللبرالى الذى كانت تكرهه – ولا إلى وزير حربيتها الذى قالت له (ان الجيش جيشى وسأكتب لمن اشاء من ضباطى دون وسيط) ، ولكن وصل إلى حد كشف سر احتفظت به الحكومة البريطانية بشأن استعمار السودان . وحتى بعد ان كتبته الملكة ، ابتعد اكثر الكتاب عنه ولم ينشره الصحفيون .

ان سر الحكومة كان الوعد الذى قطعته الحكومة البريطانية يوم ارسلت غردون إلى الخرطوم ، بانها سوف تؤيده عسكرياً . ان غردون ذهب إلى هناك لكى يقدم إلى الاطماع البريطانية مستعمرة أخرى . وإذا حدث وجابه مشكلة فان بريطانيا تعد بتأييده .

قد جاء هذا الوعد السرى فى الخطاب الذى ارسلته الملكة فكتوريا إلى اخت غردون « اوغستا » فى ١٧ فبراير ١٨٨٥م (١) . يقول الخطاب الذى انقله كاملا :

---

١ – جورنال فكتوريا . غردون الخرطوم ، ويلفرد سكاون بلنت ص ٥٣٢/٥٣٣ .

(صاحبة الجلالة الملكة فكتوريا إلى الآنسة غردون . أوزبورن فى ١٧ فبرابر ١٨٨٥م.

عزيزتى الانســـة غردون ،

كيف اكتب إليك . أو كيف احاول ان اعبر عما اشعر به ! . ان افكر فى اخيك العزيز النبيل البطل ، الذى خدم بلاده وملكته بصدق وبطولة وتضحية بنفسه ، بشكل يعتبر مثلا للعالم ، ولم ينقذ . الا تنفذ الوعود بالتأييد ، والذى ظللت اصر عليه وباستمرار على من طلبوا منه ان يذهب ، لشىء بالنسبة لى حزين لايمكن التعبير عنه ! .

حقيقة ان ذلك قد تسبب فى مرضى ! . ان قلبى ليدمى لك اخته ، التى مرت على قلق كثير بشأنه ، والتى احبت اخاها العزيز بقدر ما استحق لان يكون .

انكم طيبون وصادقون ، واتجهتم نحو ايمان قوى سيقوى من عزيمتك الان ، فى وقت لم يظهر فيه بعد برهان موت اخيك الحقيقى . ولكنى لست فى شك من حدوثه .

فى يوم من الأيام ارجو ان اراك مرة أخرى لاتحدث إليك عن كل ما لا استطيع التعبير عنه .

ابنتى -« بياترس » التى شعرت بنفس ما أشعر به ، طلبت منى ان اعبر عن عواطفها العميقة إليك .

انى اسمع تعابير كثيرة من الاسف والمؤاساة من الخارج . من ابنتى الكبرى ولية العرش (١) ، ومن ابن عمى ملك بلجيكا احر المشاعر .

ارجو ان تعبرى لاخواتك الاخريات واخيك الاكبر ، عن مشاعرى الصادقـــة . وما اشعر به بقوة ، ان عاراً قد ترك على بريطانيا بسبب مصير اخيك القاسى ، بيـــد انه بطولى .

عزيزتى ابداً الآنسة غردون . مخلصتكم ومشاطرتكم

فــكتوريـــا

---

١ – ابنتها الكبرى تدعى «فيكى» اختصار «فكتوريا» كأسم امها وقد أصبح زوجها – فردريك الثالث – قيصرا على المانيا لمدة قصيرة ، ولكن ابن فكى «وليام» ، أصبح وليام الثانى قيصر المانيا.

المهدى يرسل بطل الخرطوم ، حسب الخطه لدحر الانجليز .

استمر الامام المهدى فى تنفيذ خطته دون خطأ واحد . انه حطم وسائل النقل عند الانجليز « الجمال » واصابهم اصابات مروعة ، وقتل قائد طابور النهر ، أما قائـــد طابور الصحراء فهو جريح جرحاً لاشفاء بعده . كولنيل بيرنبى – نائب قائد طابور الصحراء قد قتل فى أبى طليح . ثلة من أهم ضباط الطابورين – الصحراوى والنهرى– قتلوا . أما المتمة التى ارادوا احتلالها واخلاءها من سكانهـــا ، فانها تقف شامخــة وجيش صاحبة الجلالة لايستطيع الاقتراب منها .

حالة الجنود الانجليز اصبحت مزرية إلى الحد الذى ليس من السهل ان نجد له مثيلا فى تاريخ الجيش البريطانى . انحـــل الضبط والربط تماماً (١) . غشيهم المرض الذى زرعوه بايديهم فى انفسهم ، وكثر جرحاهم إلى الحـــد الذى لم يمر فيه يوم الا وهم امام قبور يدفنون فيها موتاهم .

عمل جليل قام به الاطباء ، هو انهم بعد ارسالهم لكل من مرض بالتايفويد ، قد خلصوا ابا خروق من مصـــدر العدوى البشرى . المرضى بالتايفويد الذين ارسلوا مع القافلة الثانية ، لم يصل منهم واحد إلى كورتى .

حالة الجنود من ناحية الملابس كانت سيئة . ملابسهم اصبحت خرقاً نتنه ، اقدام كثير منهم حفيت . أما اغذيتهم ، فرغم قدوم قافلة ، والثانية فى طريقها إليهم ، إلا انهـــم جوعى يختطف لهم لورد بيرسفورد ابقار واغنام الاهالى الذين يضربهم بمدافع باخرتيه وينهب بهائمهم (٢) .

الان حررت الخرطـــوم ووصلت خطة الامام المهـــدى إلى نقطة ارسال بطـــل الخرطوم – امير الامراء عبد الرحمن النجومى – لحصد هذه الرؤوس التى اينعت . فى ليـــلة الأربعاء ، الحـــادى عشر مـــن فبراير ١٨٨٥م (٢٤ ربيع الثانى ١٣٠٢هـ) كانت القوات التى اعدها الامـــام المهدى للمهمة الاخيرة ضد الانجليز قد اكتملت فى

١ – تقرير بولر الى وولسلى . كرامة انجلترا ص ٢٦٠ .

٢ – جوليان سيموز ص ٢٦١ .

قرية النوفلاب بمنطقة السروراب . سار معهـــم الامام المهدى الطريق إلى هناك . زار قبر والده ، وقبر الشيخ عبد المحمود ابى شيبة المشهور (١) .

جيش امير الامراء النجومى الى الانجليز .

جيش الامير عبد الرحمن النجومى كان يتكون مـــن عشرين الفـــاً مـــن المشـــاه وعشرة الاف من الفرسان من راية الخليفة شريف « بوارق خليفة الكرار » . البوارق التى اشتركت فى هذه القوة هى (٢) :

١ – راية الامير الحاج محمد عثمان أبى قرجة .

٢ – راية الامير مكين النور .

٣ – راية الامير عبد الحليم مســـاعد .

٤ – راية الأمير عبد القادر ام مريوم .

٥ – راية الأمير موسى محمد العبيد بـــدر .

٦ – راية الأمير شـــايب أحمد .

٧ – راية الأمير أحمد محمد خير .

٨ – راية الأمير الحســـن عثمان .

٩ – راية الأمير ميرغنى محمد سوار الذهب .

١٠ – راية الأمير النور عبد الله الكنزى .

١١ – راية الأمير ابراهيم محمد المحيسى .

١٢ – راية الأمير عبد الله حمد النيل .

١٣ – راية الأمير ســـعيد نصر .

١٤ – راية الامير مصطفى سراج الدين ارباوى .

١٥ – راية الأمير محمد عمر وكيل راية أحمد شرفى .

١٦ – راية الأمير عوض السيد وكيل راية محمـــود .

وثلة ضخمة من النقباء والانصار .

---

١ – جهاد فى سبيل الله ص ٧٦ .

٢ – خطاب المهدى رقم ٨٠٠ بتاريخ ٩/١٨ ، وخطاب المهدى ١٤ مهدية ٣/١/ت بتاريخ ٢٠ شعبان ١٣٠٢ – يحذف من الخطابين القادة الذين كانوا بالمتمة حينها .

الخميس ١٢ فبراير ١٨٨٥ .

فجر التحرك .

في فجر الخميس الثاني عشر من فبراير ١٨٨٥م (الخامس والعشرين من ربيع الثاني ١٣٠٢هـ) جرد الامام المهدي سيفه وكبر ثلاثاً واقتلع راية ود النجومي وهرول بها خطوات ليسلمها إلى قائدها ، وتلى قوله تعالى (ورد الله الذين كفروا بغيظهم ، لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال) (١) .

جد الأمير النجومي السير ، فوصلت مقدمة قواته إلى المتمة يوم الأحد الخامس عشر من فبراير ١٨٨٥ (٢٨ ربيع الثاني ١٣٠٢هـ) .

المهدي ينذر ضباط وعساكر الحمله الانجليزية (٢) .

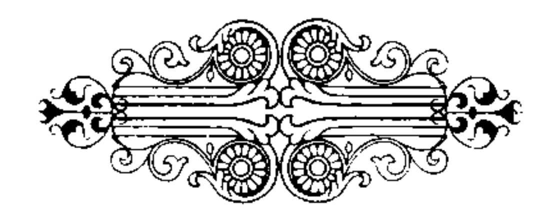
في يوم ١٦ فبراير ١٨٨٥م (٢٩ ربيع الثاني ١٣٠٢هـ) كتب الامام المهدي انذاراً إلى ضباط وعساكر الحملة الانجليزية يقول :

(انكم إذا تدبرتم بعقولكم وتفرستم في قدرة خالقكم وعجزكم عن مقاومته ، علمتم ان مخالفته شنيعة ، ولاينبغي لكم إلا امتثال أمره واجتناب نهيه ، والهروب منه إليه . وقد اظهرنا للدعاية إلى حماه والدخول في ساحة كرمه وعطاياه . فهيا إلى ذلك واغتنموا سعادتكم قبل المهالك وسلموا تسلموا ، واسلموا يؤتكم الله اجركم مرتين ، ولاتعرضوا فتكونوا كمن قبلكم كراشد ويوسف حسن الشلالي وعلاء الدين وهكس وغردون . لانا انذرناهم مراراً ودعوناهم فما زادهم ذلك إلا فراراً ، فذاقوا عذاب الخزي في الدنيا ولعذاب الاخرة أخزى . والسعيد من اتعظ بغيره . وهذا انذار لكم ، فاذا بلغكم واردتم الفوز العظيم والنعيم الدائم المقيم فلبوا إجابة دعوتنا إلى الله وبادروا بالتوبة قبل تعذرها عليكم .

١ – جهاد في سبيل الله ص ٧٦ .

٢ – ٨٩ اثار ، ٢٦٩ انذارات ب ، ٧٩ جبرى ، دار الوثائق المركزية الخرطوم .

وقد توجهت إليكم جنود الله ولاطاقة لكم بمحاربتها ، ولكن من باب الشفقة عليكم امرناهم الا يحاربوكم إلا بعد وصول هذا لكم وتحقق الاباء منكم عن الاجابة ولايؤذوكم ولايتعرضوا عليكم فى شىء من حقوقكم الخاصة إذا سلمتم ماعدى حق الميرى والاسلحة والجباخين . فان سلمتم فعليكم امان الله ورسوله وامان العبد لله وتكونوا من ضمن انصارنا . وليس قصدنا استعباد أحد ولا إرادة جاه ولاملك فى الدنيا ، ولارغبة لنا فى حياتها ولا فى لذاتها الفانية ، بل انما قصدنا الدلالة إلى الله كما امرنا الله ورسوله بذلك . وإلاإذا خالفتم فلانقبل منكم صرفاً ولاعدلا ، وسترون مايحل بكم . واصغوا باذانكم الواعية لما أقول ان كانت لكم عقول ، فان الله تعالى قد أظهرنى رحمة لمن اطاعه باتباعى ، ونقمة على من عصاه بمخالفتى ، وايدنى منه بالنصر والظفر ، وامدنى بهمم رسله وانبيائه وملائكته واوليائه فلا يقدر على محاربتى الثقلان ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً . ولو شئت لقبض الله سلاحكم بحيث ان اصحابى يقتلونكم ولايقتلون ، ولكنى أخذت ، بتوفيق الله تعالى ، الشهادة لهم فى سبيل الله اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه رضوان الله عليهم . فاياكم والغزور فان جند الله غالب . وفى هذا كفاية لاهل العناية . والسلام) .



قرار مجلس الوزراء البريطاني باحتلال السودان .

في اليوم السادس من فبراير ١٨٨٥م اجتمع مجلس الوزراء البريطاني برئاسة قلادستون ، في جلسة غلب عليها الصمت اكثر من الكلام ، وتقرر بناء على توصية وزير الحربية البريطاني ، ان يعطى وولسلي كرتاً ابيض ليفعل مايراه مناسباً بشأن احتلال الخرطوم أو السودان أو جزء منه ، وسحق المهدي واخماد ثورته (١) .

بولر يتحرك من جقدول الى إبي خروق .

قرار مجلس الوزراء بعد اتخاذه مباشرة ارسل تلغرافياً إلى وولسلي حيث ارسل تعليماته إلى ردفرز بولر بجقدول للاستمرار في رحلته إلى أبي خروق والقيام بالآتي :

١ — احتلال المتمة .
٢ — التعاون مع طابور النهر لاحتلال بربر .

ان بولر الذي كان قد وصل إلى جقدول يوم ١٨٨٥/٢/٢م ، وبقي بها اربعة أيام في انتظار التعليمات الجديدة ، تحرك إلى أبي خروق ماراً على أبي طليح مشياً على الاقدام . وصل إلى أبي خروق يوم الأربعاء الحادي عشر من فبراير ١٨٨٥م .
جاءت مع بولر الامدادات الجديدة، وتتكون من :—

١ — لواء الرويال ايرش الثامن عشر (كتيبة ، ٦ فرق) .
٢ — سبعين جندياً وضابطاً وفنياً ومهندساً من الاسطول البريطاني .
٣ — ستين جندياً من لواء الهجانة الخفيف (وصلوا بعده بيومين) .
٤ — قوات مصرية .
٥ — رجال مخابرات بقيادة كتشنر . تركوا واحداً من هذه القوات بجقدول هو الجاسوس نعوم شقير . تركوه هناك مع شيخ من دنقلا لكي يكاتبا عرب الصحراء .

---

١ — مضابط مجلس الوزراء البريطاني يوم ٨٥/٢/٦ . كرامة انجلترا ص ٢٤٥ . شقير ص ٨٧٥ .

٦ – امدادات الأسلحة شملت مدفعين جبليين ومدفع قاردنر وبنادق مارتيني هنرى وذخيرة لكل الاسلحة.

ماذا فعل بولر في أبي خروق .

وصول بولر إلى أبى خروق اصلح من الاحوال النفسية للجنود هناك قليلا. ولكن بان جلياً لبولر ، ان بقايا جيش الصحراء والامدادات التى احضرت له لن تستطيع ان تأخذ شبراً من المتمة .

لم يطل المقام ببولر اكثر من اربع وعشرين ساعة حتى جاءته قوات الاستخبارات بنبأ تحرك قوات امير الامراء عبد الرحمن النجومى مـن بقعة المهدى فى طريقها إلى ارض السروراب حيث تتجمع هناك وتتجه نحوه .

لم تكن المعادلة صعبة ، لذلك لم يرسل رسولا إلى وولسلى ليستأذنه الرجوع ، ولو فعل لما بقى من جيشه من يحمل النبأ إلى وولسلى . قرر فوراً نقل الجرحى إلى جقدول ، بعد سماعه لخبر جيش النجومى مباشرة يوم ٨٥/٢/١٢ . جميع من كان بالمستشفى من الجرحى بما فيهم سير هيربرت استيوارت . أما المرضى فقد نقلوا قبلا . مع الجرحى ارسل بياناً مفصلا عن الاحـوال إلى وولسـلى . عدد الجرحى ، مـائة وعشرون، مات منهم خمسة واربعون دفنوا فـى أبى خـروق . العدد الذى ارسـل خمسـة وسبعون .

تقدمت قافلة الجرحى ، وبعد خروجهم من المتمة بتسعة أميال ، قام بعض الاعراب الذين بالصحراء ، بمهاجمة القافلة وقتل عدد منهم ، ولكن انقذهم السبعون جنديـاً من لواء الهجانة الخفيف الذين كانوا فى طريقهم من جقدول لتعزيز قـوات أبى خروق. فى اليوم الثانى وصلوا إلى أبى طليح بصحبة السبعين جندياً . عدد الاصابات التى حدثت لهم من هجوم اعراب الصحراء بلغت احدى عشرة اصابة (١) ، بين قتيل وجريح . قبل دخولهم إلى مستشفى ابى طليح مروا على قبر عرفوا انه قبر كابتن لـورد سـنت فنسنت

---

١ – قلايشن ٣١٨ .

نائب قائد لواء الهجانة الثقيل . مسكين لورد سنت فنسنت قتل بدون قسيس يصلى على جنازته . عندما ذهب جده إلى حرب ووترلو عام ١٨١٥م ، أخذت جدته ببروكسل تقيم الحفلات اللائقة بالضباط العظام الـذين سيحاربون نابليون . بفستانها الحرير الاخضر ، ورأسها الذى خف وزنه بفعل الشراب ، كانت تراقص ديوك ويلنقتـون وعيناها لاتسقطان عن ياوره النبيل الوسيم .

أما هنا فى أبى طليح بصحراء بيوضة ، فالحفلات التى تقام هى امام القبور الضحلة التى يحفرونها كل يوم لقتلاهم القذرى الثياب المتعفنى الجروح والأجساد .

المهم ارتاحت القافلة يوماً فى أبى طليح وفى اليوم التالى توجهت إلى جقدول تحت حراسة القوات التى اتت معها أصلا من أبى خروق بعد ان رجعت قوات التعزيزات التى ساعدتهم فى الخلاص من اعراب الصحراء .

مـوت سير هيربرت استيوارت .

تقدمت قافلة الجرحى ، يحملهم رجال محمد نصحى باشا الذين اسماهم غردون – قتيل الخرطـوم – بالدجاجات . انهـم يتكونون من مصريين وشراكسة واتـراك واكراد واغاريق وتتبعهم بعض القوات الانجليزية . فـى الطريق إلى جقدول شـعر سير هيربرت استيوارت يوم ١٧ فبراير ١٨٨٥م ، انه لن يعيش طويلا ، فأملى على ضابط رسالة إلى قائده وولسلى .

يقول سير هيربرت فى رسالته التى تعكس كثيراً من نبـل الخلق والحب لقائده :

(إنى فخور بالعمل معكم ، وكل الذى اطلبه ان تذكروا لزوجتى انكم راضون عما قمت به . كما اطلب منكم زيارة ابنى من زمـن لاخر) ويقـول فى نهـاية خطابه (ارجو ان توصلوا سلامى إلى زوجتكم واخبارها انى متأكد مـن ان المنازل سوف تدر ربحـاً فى النهاية) .

تلك المنازل التى اشتراها هو باسم زوجة وولسلى – لويزا – لكى تتاجر فيهـا باصلاحها وتركيب شبكة كهربائية بها وبيعها ! . بعد ساعتين من كتابة خطابه توفـى

القائد . اخذ نعشه إلى ابار جقدول حيث دفن هناك .

بـــولر يعد للهرب من أبي خروق .

قضى بولر يوم ١٣ فبراير في الاعداد للهرب من أبي خـــروق بقـــواته . جمـــع الاشياء التي لايحتاجون إليها في هـــربهم ، وضـــع بها ثقوباً والقاها في النهر . اغـــرق الباخرة الصافية والباخرة التوفيقية . أيضاً عطل والقى في النهر ستة مدافع جاءت مع الوابورات مصنوعة من « البراس » داناتها زنة اربعة ارطال .

بولر يضع اللحم الملوث بالتايفويد للثوار .

إن بولر ترك بالمستشفى النهرى بابى خروق صناديق علـــب الكورندبيف الملوث بالتايفويد بعد عـودتها مـن رحلة الخرطوم . عـدد هـذه العلب كان عشرين الف علبة زنة العلبة رطل انجليزى . للتمويه وضع معها ثلاثة الاف رطل من البقسماط ، وألفـــاً ومائة رطل من الشاى ، وتسعمائة علبة زنة واحد رطل للعلبة من لحم الخنزير المعلب(١) الذى لايغشاه تلوث مرضى . العلب الاخيرة وضعت لانهم يعرفون ان المسلمين يمنعهم دينهم من أكل لحم الخنزير ، ولكنهم سيأكلونه لانهم لن يستطيعوا قراءة علبه .

السبت ١٤ فبراير ١٨٨٥م .

الجيش الانجليزى يهـــرب .

فى صباح ذلك اليوم المعتدل الحرارة ــ السبت الرابع عشر من فبراير ١٨٨٥م ــ وفى جو غائم بسحاب عال ، تحرك بولر وجيشه الانجليزى الذى بلغ بـــعد التعزيزات الفاً وسبعمائة جندى ، هارباً من وجه الامير عبد الرحمن النجـــومى . هرب دون انْ يحـــدث صوتاً ، تاركاً جميع خيامه فى مكانها وبداخلها قناديل الكيروسين موقـــدة وبعض تماثيل من الخشب البست ملابس جنود انجليز ووضعت فى نقاط الحراسة .هناك بعض التماثيل ربطوا فى اقدامها كلاباً كانت قد استأنستهم فى أبى خروق . عنـــدما

١ — قلا يشن ٢١٣

تتحرك الكــلاب فان التماثيل تتحــرك بعض الشيء . هربوا من أبى خروق جميعاً سائرين على ارجلهم ماعدا قلة مــن السوارى الذين كانــوا يركبون خيولهم القصيرة. تبعهم أيضاً كلبهم « جاكى » .

قوات الثوار تعرف هرب الانجليز

عرف الثوار فى المتمة هرب الانجليز سريعاً ، فارسلوا فرساناً لمعرفة اتجــاههم . عندما لحق الفرسان بمؤخرتهم وجدوا انهــم يتجهون إلى أبى طليح ، فارسلوا واحداً منهم إلى المتمة لابلاغ الامير النور عنقره ، واستمروا فى مراقبتهم من بعد .

مقدمة قوات بطل الخرطوم تطارد الانجليز الهاربين .

مقدمة قوات امير الأمراء النجومى وصلت المتمة يوم الأحد ١٥ فبراير ١٨٨٥ ، فاعلمها الأمير النور محمد عنقره بهــرب الانجليز ، ارسل الأمير النجومى مجموعــة فرسان للحاق بهم ومناوشتهم حتى تصل قواته إلى هناك . لحقت طائفــة الفرسان تلك بالجيش الانجليزى فى أبى طليح يوم ١٦ فبراير ١٨٨٥م (الاثنين) . فنزلت على اكمة مقابلة للابار، وشرعت تطلق النار عليهم طوال الليل. ارسل بولر فى ذلك اليوم جزءاً من جيشه إلى جقدول يتكون من بقية قوات محمد نصحى باشــا وقــوات لواء الهجانة الثقيل ولواء القاردز . فى صباح اليوم التالى – الثلاثاء ١٧ فبراير ١٨٨٥م ، خرج بولر لضرب مجموعة الفرسان التى ازعجتهم باطلاق النار عليهم طوال الليل ، ولكن ماكاد يخرج حتى رجع يحمل اربعة ضباط وثلاثة جنود قتلى ، وبلغ عدد جرحاه خلال ضرب الليل ومعركة الصباح ثلاثة وعشرين جريحاً (١) . عدد الجمال التى قتلــت مــائة جمل (٢) .

استمر بولر فى أبى طليح حتى يوم الأحد ٢٢ فبراير ١٨٨٥م ، فى انتظار جمال تأتيهم من جقدول ، لانه اصبح من غير الممكن تحركهم . ان جرحاهم الجدد ارتفــع

١ – شقير ٨٧٧ . تقرير بولر الى وولسلى .

٢ – تقرير بولر الى وولسلى . كرامة انجلترا ص ٣٦٣ .

عددهم بالإضافة إلى الأسلحة – المدافع – والذخيرة . استمرت المناوشات معهم طيلة مدة بقائهم .

في يوم الأحد الثاني والعشرين من فبراير ، عندما كان قائد صلاتهم يقف لقراءة الصلاة ، كاد ان يصاب ثلاث مرات بالرصاص . حتى بولر خلال تلك الفترة ، اصابته في كتفه قذيفة مرتدة من حجر .

في يوم الأحد المذكور وصلتهم قافلة جمال تضم سبعمائه واثنين وثمانين جملا.

دفن الانجليز ابار ابى طليح وهربوا .

الاثنين ٢٣ فبراير ١٨٨٥م.

إن وصول جمال الامس كان سعداً جديداً تمن به السماء على جيش الانجليز . تماماً كما حدث في المتمة يوم ان انقذتهم البواخر ، انقذتهم اليوم الجمال . بعد ان اصبحت قوات الأمير النجومى على بعد يوم منهم . في يوم الاثنين ٢٣ فبراير ١٨٨٥ ، قبل الفجر ، ترك بولر خيام مستشفى أبى طليح كما هى وبداخلها القناديل الموقدة وهرب في طريقه إلى جقدول .

شيء واحد لم ينس بولر ان يأمر به قبل هربه من أبى طليح ، وهو دفن الابار بناءاً على وجهة نظر ضابطى المخابرات كتشنر وفيرنر . دفنوا الابار الكبيرة أولا ، ولكن قبل هربهم مباشرة دفنوا الابار الصغيرة (١) . هذا العمل قوات الأمير موسى محمد الحلو قد رفضت ان تقوم به ، مؤيدة بذلك وجهة نظر الامير الحاج على ود سعد الذى رأى ان دفن الابار ليس عملا عسكرياً في بيوضة ، لانه يصيب سكان الصحراء الذين هم اوفر عدداً من قوات الجانبين .

النجومى في أبي طليح وقواته تطارد الانجليز

في ظهر يوم الاثنين الثالث والعشرين من فبراير ١٨٨٥م وصل الامير عبد الرحمن

١ – جوليان سيمونز ص ٢٦٥ .

النجومى إلى آبار أبى طليح حيث أمر بفتح الابار التى لن تكتسب مياه تذكر الا بعد الخريف القادم .

أيضاً ارسل الامير النجومى مجموعة فرسان خلف الجيش الانجليزى . لحقت الفرسان بهم وأطلقت النيران على مؤخرتهم . قتل الفرسان من قافلة جيش بولر اربعمائة وخمسة وستين جملا (١) . وعدداً من الرجال ، ولم يحاول الجنرال الانجليزى ان يتوقف ليدافع عن نفسه . عندما حفيت اقدامهم من السير السريع قطعوا خرق ملابسهم وربطوها على اقدامهم ، وعندما بليت الاخيرة قطعوا مؤخرة بنادقهم الخشبية وربطوها بخرق على اقدامهم (٢) .

الشريف ابن الكرام « ميجور قوف » قائد لواء مشاة الهجانة ، الذى اختير للاشتراك فى حملة النيل ومنها ذهب مع طابور الصحراء وهو أصلا من لواء السوارى ١٧ ، اصيب بلوثة عقلية . ابعدوه من قيادة لوائه وربطوه على ناقة .

عندما وصلوا إلى جقدول استقبلهم رئيس اركان حرب حملة النيل جنرال وود ، ظهر السادس والعشرين من فبراير ١٨٨٥م ، فكانوا كجنود عصاة خرجوا من يوم بعث عظيم .

الانجليز يخلون جقدول

تقرير بولر الذى وصل إلى ولسلى فى كورتى فى الثامن عشر من فبراير ، جعله ، بعد تفكير طويل ، يصدر امر اخلاء جقدول يوم ٢٧ فبراير ١٨٨٥م .

بعد اصدار الأمر تحركت القوات البريطانية من جقدول إلى كورتى ، تاركة جنرال وود ولفتنانت وينقيت — اركان حربه — هناك لاخلاء النقاط . الطريق بين جقدول وكورتى قطعوه وهم سكارى . ففى جقدول وجدوا كمية من « الشمبانيا والبورت » كانت فى طريقها للجرحى فى أبى خروق ، فتقاسموها وحملوها معهم

١ — جوليان سيموز ص ٢٦٣ ، العدد الكلى الذى اخذهم ٧٨٢ جملا ، ثم نفس المرجع ، العدد الذى وصل جقدول ٣١٧ جملا ص ٢٦٥ .

٢ — جوليان سيموز ص ٢٦٥ .

لشربها في الطريق . المسئول الذى قسم هذه الزجاجات بقيت لديه قنينتان زائدتان . . شربهما في جلسة قصيرة ، وقام يجرجر ساقيه إلى كورتي .

صناديق المربي والمخلـل التى وصلتهم في اليوم الأول من مارس لم يتركوهما وإنما حملوها معهم (١) .

كوستيلو يصاب بالتايفود

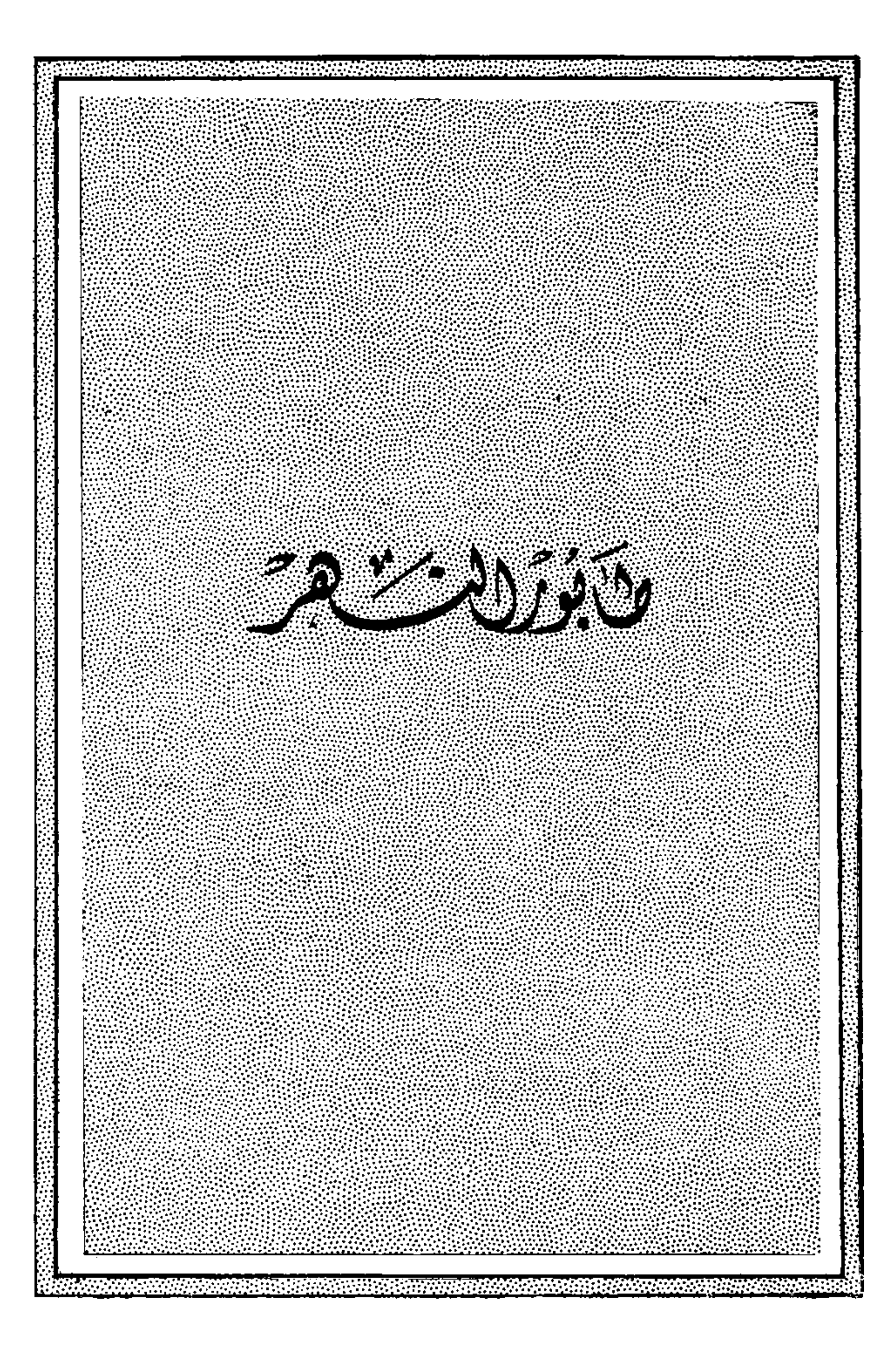
حادثة مزعجة حدثت فى ابار ابى حلفا .ليست من السكر ، ولكن من المرض اللعين الذى اعتقدوا انهم عزلوه من الطابور ... انه مرض التايفويد . ظهر مرة اخرى بينهم عندما مات هناك به ليوتنات « هـ . كوستيللو » التابع للواء الرماحه الخامس ، وجاء مع الفرقه التى اختيرت لتنضم الى لـواء الهجانه الثقيل .

اخـلاء النقاط

جنرال وود ولفتنانـت وينقيـت رجعا الى كـورتى يوم ١٤ مارس ١٨٨٥ . لحقت بهما قـوات النقاط يوم ١٦ مارس ١٨٨٥ .

---

١ - مع سلاح الهجانة ص ٢٤١ .


مَأثورُ النَّثرِ

لم يكن طابور النهر مفاجأة للقادة كما كان طابـور الصحراء . كلهم كان يعرف انهم احضروا تسعمائة زورق وبواخر لاستعمالها فى الوصـول إلى الخرطـوم أو إلى بربر على الأقـل .

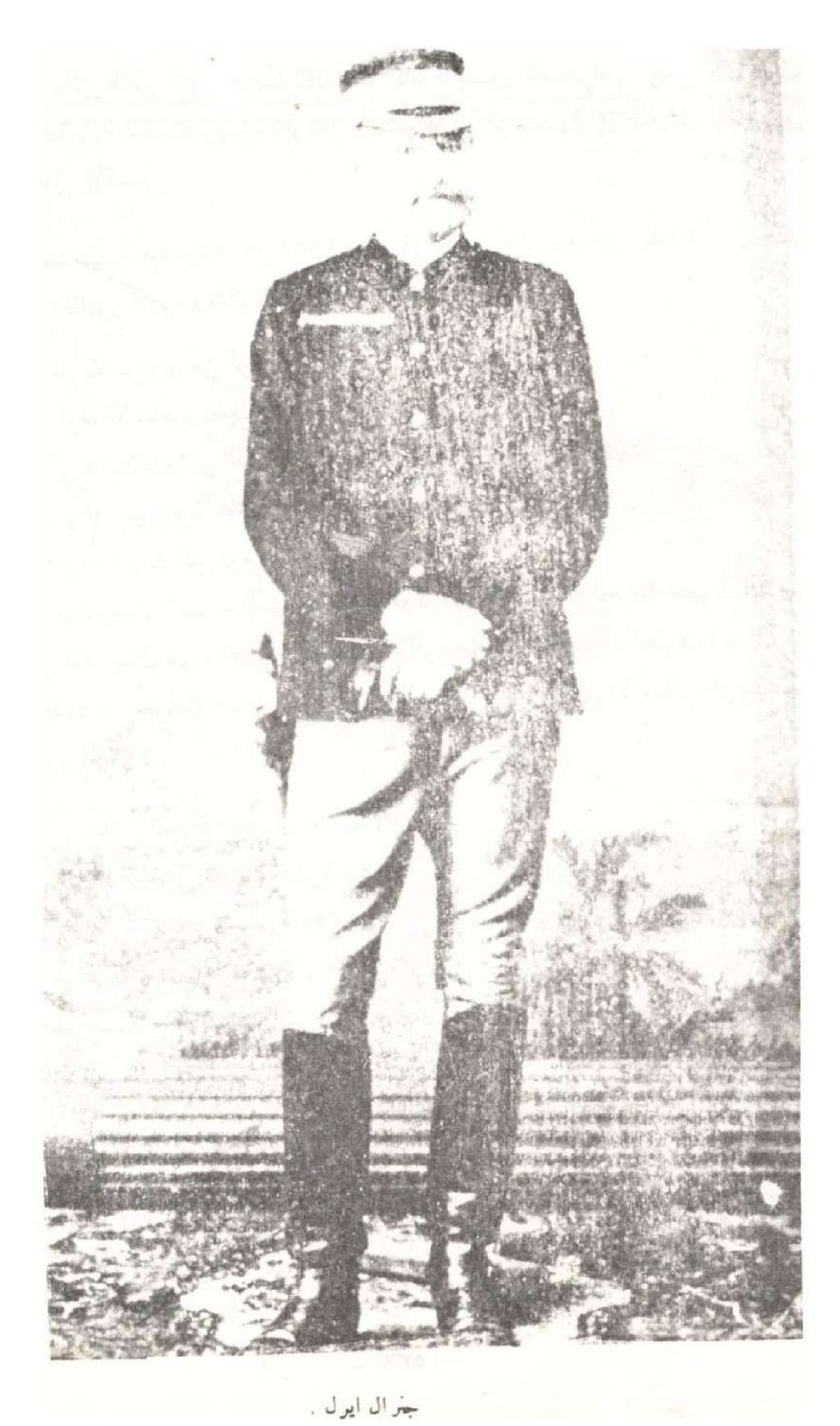
بعد سهرة عيد ميلاد عام ١٨٨٤، اصبح الصبح ليعلن وولسلى ايضا تكوين جيش يسمى «طابور النهر» ويتكون من القوات الاتيه :-

١ . سرية سوارى من لواء السوارى التاسع عشر (١) .
٢ . لواء الاستافوردشير (١) .
٣ . لواء البلاك وتش الذى يسمى ايضاً رويال هاى لاندرز (١) .
٤ . لواء القوردون هاى لاندرز (١) .
٥ . لواء ديوك كورنوول للمشاة الخفيفة (١) .
٦ . لواء وست كنت - الذى كان عليه اولا ان يكون نقاطا لحراسة خطوط الترحيل، ولكن عند ابدال مهمة الطابور الى مهمة طابور طائر -اى بدون خطوط اتصال -تم الاستغناء عن حراسة النقاط ، وبدأت الاستفادة من اللواء فى الاعمال الحربية مع الطابور (٢) .

٧ - سلاح الهجانة المصرى الجديد (٣) .
٨ - فرقة الترحيل الحادية عشرة (٤) .
٩ - فرقة سلاح اشارة (٥) .
١٠ - فرقة امدادات (٥) .
١١ - سلاح الاستخبارات (٥) .

---

١ - اوراق وزارة الحربية . السودان المصرى ص ١٧ .
٢ - براكنبرى ص ٥٦ .
٣ - كل المراجع بما فيها تقرير وولسلى وتقرير براكنبرى . طابور النهر ص ٢٧ .
٤ - كل المراجع طابـو النهر . ص ٢٧ .
٥ - السودان المصرى ص ١٧ .



جنرال ايرل .

١٢ ـ مستشفى (١) .
١٣ ـ ٣٨٠ رحالة من كندا (٢) .
١٤ ـ ٣٠٠ بحارة زنوج (٣) .
١٥ ـ مستشفى بيطرى (٤) .
١٦ ـ بطارية مدفعية مصرية (٥) .
١٧ ـ ٤٠٠ جندى يشكلون قوات مدير دنقلا (٦) .
١٨ ـ قادة الجمال (٧) .

القيـــادة .

القائد : الجنرال ايرل .
نائب القائد : ميجور جنرال هنرى براكنبرى .
كبير الجراحين : جنرال أو ماك نيل .
مساعد الامدادات : كابتن بويد .

من هـــم قادة طابور النهر ؟

ميجور جنرال وليام ايرل .

ولد فى نفس العام الذى ولد فيه وولسلى وغردون عام ١٨٣٣م . عند اعداد حملة النيل كان وليام ايرل فى الحادية والخمسين من عمره وقائداً لحامية الاسكندرية .

لورد كيمبردج ـ قائد الجيش البريطاني ـ كان يريده ان يقـــود القـــوات إلى دنقلا ، ولكن وولسلى كان متردداً فى ان يترك جيشـــاً فى يد ميجور جنرال غـــير معروف وغير مشهور . وكان وولسلى يراه كقائد طابور استعراض .

---

١ ـ السـودان المصرى ص ١٧ .
٢ ـ طابور النهـر ص ٢٧ .
٣ـ٤ السـودان المصرى ص ١٧ .
٥ـ طابور النهـر ص ٢٧ .
٦+٧ـ نفس المرجع السابق .

وولسلي عندما قال لك ذلك كان يفكر في صديقه جنرال بولر ، الذي كان معروفاً لكل جندي في الجيش البريطاني .

ايرل قد برهن على انه ضابط دقيق العمل وصبور . ان توهم ايرل لمناوشة كربكان بانها معركة كبيرة ، أمر لايتعارض مع الاعلام العسكري البريطاني الذي فعل ذلك في عده اماكن من العالم . أما انه ضابط متردد ، فهذا شاركه فيه كل القادة الانجليز في حروبهم في السودان ، من قراهام وهو يقف امام عثمان دقنه في خور القعوب إلى كتشنر وهو يقف في النخيلة أمام الأمير محمود ود أحمد ، ويرسل إلى المندوب السامي البريطاني في مصر يسأله ماذا يفعل .

ان وولسلي عينه قائداً لطابور النهر عندما قال له جنرال وود : ان ايرل لايصلح إلا لرتبة « سيرجنت ميجور » (صول) .

كولونيل هنري براكنبري .

كان في السابعة والأربعين من عمره ، وأفضل ضابط ، في جيله ، في التنظيم والإدارة . استفاد منه وولسلي في هذا الجانب من مؤهلاته وعينه في القاهرة مساعداً لرئيس الأركان وقائد الامدادات .

في طابور النهر اصبح نائب قائد الطابور . التقى هنري براكنبري بوولسلي عندما استقال الأول من عمل عسكري أوكل إليه في ايرلندا ، وشكى لوولسلي بانه لم يدع اطلاقاً للعمل في لجنة عسكرية . ومنذ ذلك الحين بقي تحت مظلة وولسلي .

شخصيته لم تكن محبوبة بين القوات . فهو يبتعد عن الاخرين وغير ودود. انه اصفر اللون ، دميم الخلقة ، وقد ظل وولسلي يوجه إليه سخريته وحبه .

بخصوص سخريته به ، فما أكثر ما كتب وولسلي إلى زوجته لويزا عنه . مثل

واحد عـلى خطابات وولسـلى إلى زوجته ، خطابـه بتاريخ ٢٢ ديسمبر ١٨٨٤ ، يقول لها : (براك – يعني براكنبرى – صوته كل يوم يصبح أكثر ضخامة ، ومؤخرته أكثر تربيعاً ، وعضلات سـاقيه أكـثر سمكـاً ، وشـعره أقل كثافة ، وبطنـه اكثر اتساعاً ، ولونه اكثر صفرة) .

انه أفضل منظم في الجيش البريطاني . برهن عـلى ذلك فى السودان ، وبشكل أوضح فى جنوب أفريقيا بعد خمسة عشر عاماً .

قال وولسـلى لزوجته بانه سوف يعينه نائباً له فى أى حرب يقودها فى المستقبل، لانه اطول مكانة من أى رجل اخر فى الحملة . رقى على عمله فى الحملة إلى رتبـة ميجور جنرال « لواء » .

ليوتنانت كولونيل سير وليام بتلر .

كان هذا المقدم الايرلندى فى السادسة والأربعين من عمره عندما قدم مع حملة النيل إلى السودان .. انه حالم ، رومانسى ، خلاق ، غامض ، وإذا تحدث اكثر مـن الكلام . انه احد شاذى التصرف من مجموعة ضخمة من هؤلاء فى حملة النيل .

التقى بوولسلى وعمل معه كشافاً فى حملة النهر الاحمر بكندا .

عندما اشتد النزاع بين وولسلى وقادة الاسطول البريطاني بخصوص أى الطـرق تسلك الحملة إلى داخل السـودان ؟ كتب مقالة يؤيد فيها وولسلى ويسخر من الاسطول ومـن كوماندور « هاميل » قال بتلر فى ذلك المقال (انى لم أر النيل فوق القاهرة وضواحيها ، ولكن المياه هى المياه ، والصخور هى الصخور ، لو كانت فى امريكا أو أفريقيا) . كافـأه وولسلى بان تركه يختار الزوارق التى اشتريت للحملة ، وقام بتجربتها فى حوض بناء السفن فى « بورتسموث » .

فى مصر اثار زوبعة بان الاسطول البريطاني يؤخر فى عـملية شحن الزوارق إلى مصر .

عينه وولسلى فى مصر قائداً لمجموعه الزوارق حتى تصل إلى كورتى . فى كـــورتى ذهب مع طابور النهر قائداً للسوارى .

كان بتلر كثير الحســـد ، فقد غضب لترقية سير هيربرت استيوارت إلى رتبة بريقادير جنرال (عميد) وهو جريح بابى خروق . وكان أيضاً يحسد أبناء اللوردات الذين لم يركبوا معه الزوارق المتعبة . كتـــب وولسلى إلى زوجته اخيراً عنه ، بانه رجل صعب الشخصية ، رغم انه يملك قدرات طبيعية فائقة . وقال لها : انه ســـوف يسقطه من قائمة المقربين إليه .

بداية التحرك الى ابي دوم .

فى يوم الأربعاء الثامـــن والعشرين مـــن ديسمبر ١٨٨٤م بارحت أول قوات فى طابور النهر المعسكر الجميل فى كورتى إلى أبى دوم . هذه القوات كانت كتيبة مـــن لواء الاستافوردشير وعددها ٥٤٥ جندياً وضابطاً ، ركبت خمسين زورقاً واتجهت تتسلق النهر فى اتجاه أبى حمد (١) .

سرية السوارى تقدم نصفها بجانب ضفة النهـــر اليسرى لاستطلاع الطريق بقيادة « ايلمر » .

فى يوم الخميس التاسع والعشرين من ديسمبر ، ركب الباخرة « ملك » قائـــد اركان حرب الطابور ـــ نائب القائد ـــ ميجور جنرال هنرى براكنبرى . صحـــب براكنبرى ، من الاستخبارات ميجور « سليد » ومن الأشارة كابتن « بيومونت» ، ومساعد الامدادات كابتن « بويد » . وصلوا إلى أبى دوم فى صباح اليوم التالى .

أول مشكلة مع نائـــب مدير دنقلا .

عند وصولهم إلى أبى دوم وجدوا مشادة كلامية تنتظرهم مع نائب مدير دنقلا

١ – براكنبرى ص ٧ .

جـــودت بك الذى يصحبهم مع قوات مديريته . ، ان قائد الاستخبارات كولونيل « كولفيل» قد سبق الجميع إلى هناك لشراء جمال وقمح، ليس لطابوره وانما لطابور الصحراء . عندما وقفت الباخرة « ملك » كان كولونيل كولفيل يقف وحوله جمــال يحاول شراءها . المشكلة التى حدثت كانت بسبب رفض جودت بك شراء قمح لهــم . فهو يرى ان المنطقة لاتملك كميات كبيرة من القمح ، كما انه لاتوجــد مطاحن كبيرة فى المنطقة لطحن كميات تكفى جيشاً .ان الأهالى يستعماون المطاحــن المنزلية لطحــن قمحهم . كل مديرية دنقلا كانت بها مطحنتان بحجارة كبيرة من النوع الذى يصلح لهذه الكميات .

هددوا جودت بك بانهم سوف يشكونه لوولسلى ، ولكنه رد بعــدم اهتمام بانه ليس نائباً لوولسلى !

رفض أيضاً نائب المدير احضار قمح لهم من شونة المديرية على ضفة النيل اليمنى . فى النهـــاية حملوا على احضـــار القمح بانفسهم من الشـــونه بواسطة زوارق قوات الاستافوردز .

اتصل براكنبرى بنائـــب حملة النيـــل « بـــولر » فى كورتى تلغرافياً لكـــى يسمح له بطرد جودت بك ، وتعيين محمد ود كنيش بدلا منه، ولكن بولر قال له: انك تأخذ الحكومة بيديك .

براكنبرى يعطى جبة تشريفه لشيخ من استخبارات الثوار .

باسم القائد العام لحملة النيل قدم براكنبرى جبة تشريفة ومرتب واحد جنيه فـــى اليوم للشيخ سعيد حسن . وكل هـــذه النفحة بسبب ضمان ولاء الشيخ وأهله سكان جزيرة العامرى وملك السوراب . الشيـــخ سعيد حسن من ابكار الثورة المهدية ، وقد حارب قوات مدير دنقلا . لكى يتمكن الشيخ من الاتصال بهم ، ادعى ان سليمـــان

ودقمر عندما دعاه إلى الحضور إلى ارضه لم يقبل . لم يكتشف براكنبرى ان الشيخ يتجسس عليهم إلا بعد ان امرت بريطانيا بارجاع جيشها .

المعسكر الذى أقيم للقوات ، كان على بعد ميل واحد شمال ابى دوم (١) .

الطريق الى بلال .

ذهب اللواء براكنبرى ومعه بعض قادته على ظهور الجمال إلى بلال لاستكشاف الطريق . المسافة بين أبى دوم وبلال ثمانية اميال . ان الثمانية اميال هذه عامرة بتاريخ هذه الأمة العريق . فهناك مروى على ضفة النيل اليسرى . باهراماتها الحجرية التى يصل ارتفاعها حوالى ستين قدماً . بضفة النيل اليمنى جبل البركل – مقر الملك «تهراقه» الذى اثارته اخبار الثورة فى الدلتا عام ٧٢٠ قبل الميلاد فغزا مصر واستولى عليها مدينة بعد الأخرى ، إلى ان استولى على ممفيس وهيليوبولس ، وأصبح سيد مصر .

قرروا ان يستقبلوا رأس السنة الجديدة أمام حضارة السودان القديمة هذه .

عشاؤهم ضم إلى جانب الوجبة الرئيسية ، لحم الدجاج والبيض واليقطين (القرع) وعصيدة من الخوخ وبطيخ أرض الشايقية الذى شغفوا به . جرفوا هذا العشاء إلى داخل بطونهم ، بكاسات من شمبانيا فرنسية ووسكى اسكتلندى . الشمبانيا ، قبل فتحها وضعوها فى ماء بارد ، أما الاسكتلندى فوضعوه فى ماء مغلى ختمت به الوجبة .

وصلت قوات السوارى والاستافوردز إلى بلال ولكنهم لم يبقوا بها ، استمر السوارى فى سيرهم محاذين للنيل لاختيار موقع لمعسكر فى الحماداب .

الكاشف (٢) محمد ود كنيش اراد تكريمهم فقدم لهم خبز قمح « قراصة » وعليه عسل ، وبطيخاً ولبناً حليباً ولبن زبادى (روب) . سكان المنطقة باعوا للجنود تمراً وحليباً .

---

١ – براكنبرى ص ١٦ .

٢ – هذا لقب يعطى لرجل يعمل فى الحكومة فى وظيفة مشابهة لوظيفة عمده ، وله سلطات محدودة وبعض جنود .

هذه الحفاوة التي قوبلوا بها في بلال بارض الشايقية لم تكن خافية عـلى قوات استطلاع الامير محمد الخير في بربر . فقد هجم الشيخ محمد الزين بناءاً على أوامر محمد الخير عبد الله خوجلي ، عـلى جمال يملكها الكاشف محـمد ود كنيش في « الكوا » واستولى على مائة جمل . ان الكوا – التي بالشمالية – تقع على بعـد ثلاثين ميلا في الطريق بين الدقيات وبربر . الشيخ محمد الزين هو القائد الذي أوكل إليه الامير محمد الخير عبد الله خوجلي ابعاد السكان وممتلكاتهم من طريق الجيش الانجليزي .

الطريق الى الحماداب .

الطريق بين بلال والحماداب صخرى وبه مجموعات تلال حجرية كثيرة . النيل الذى سارت عليه زوارقهم ، أيضاً هناك مليء بالجنادل والصخور ولكنها ليست خطيرة .

الموقف بالنسبة لهم اصبح أكثر صعوبة بعد ان بدأوا يخلفون وراءهم ارض الشايقية. أمـامهم اعداؤهـم المنـاصير والرباطـاب وإلى يمينهم الشيخ محمد الزين (الذى اسموه الهمباتي) (قاطع طريق) . ان الشيخ محمد الزين كان حينها في الكوا عـلى الصحراء وقد تسلم تعزيزات من الأمير محمد الخير عبد الله خوجلي . من يمين النيـل جاءتهم الاخبار بان الجبب المرقعة بدأت تظهر أمام جزيرة الأولى . تحركوا في الثالث من يناير من بلال ووصلوا في نفس اليوم إلى الحماداب . أول زورق وصل إلى هناك كان في الساعة الواحدة بعد الظهر . سبب تأخيره ان الشيخ عمر – شيخ قريـة اللدويم هناك – الذى عينه الانجليز دليلا لهم على النهر ، لم يقدهم بالطريق الصحيح فتسبب في تعطيلهم فخلعوه .

كاجراء أصبح مهماً طلب براكنبرى مـن القيادة في كورتي ، ارسال تعزيزات سوارى لاستكشاف الأراضي المجاورة . كما امر قوات نائب المدير التي كانت حتى تلك الفترة على ضفة النيل اليسـرى ، ان تعبر النهر إلى الضفة المقابلة لحماية مسـيرة قواتهم القادمة بحراً من كورتي .

فى اليوم التالى – الرابع من يناير – ذهب براكنبرى لاستطلاع نهرى فى المنطقة التى امامهم . على بعد ميل من الحماداب وجد موقعاً دفاعياً ممتازاً . أما على بعد خمسة أميال فوجد جبل « كولقيلى » فتسلقه . من قمة الجبل استطاع براكنبرى وقيادته ان يروا ثلاثة أميال على النهر ، ورأوا زوارقهم البيضاء تغالب الصخور المتناثرة على النهر بين الحماداب وجزيرة الأولى . شيء اخر كانت مشاهدته سهلة ، وهو ان الأرض على ضفتى النيل العظيم اصبحت عديمة الخضرة تتكاثر فيها الصخور والأرض الحجرية .

وثمة شيء آخر مهم ، وهو ان المناطق ، بعد الحماداب ، قد هجرها أهلها تماماً . ليس هناك أى اثر للحياة الانسانية أو الحيوانية . سكان هذه المنطقة قد استبشروا خيراً منذ ان قرعت طبول الثورة المهدية ضد الحكم التركى المصرى . حاربوا قوات مدير دنقلا مصطفى ياور ، وقتلوا مساعد غردون استيوارت وجماعته ، وامتنعوا عن دفع الضرائب .

وصول قائد الطابور .

بعد ظهر الرابع من يناير وصل قادماً من كورتى قائد الطابور – جنرال ايرل – ويصحبه ياوره ليوتنانت « سنت اوباين » . تسلم قيادة جيشه من الميجور جنرال هنرى براكنبرى .

أوامر : اسلوب التحرك .

القوات النهرية .

اصدر قائد الطابور أوامر الخطة الخاصة بالتحرك فى أول يوم وصل فيه ، وقد كانت كالاتى بالنسبة إلى القوات التى ستتخذ النيل سبيلا :–

١ – لواء الاستافوردشير .

٢ – البلاك وتش .

٣ ـ القوردون هاى لاندرز .

٤ ـ لواء كورنوول للمشاة الخفيفة .

٥ ـ (جزء من لواء وست كنت) على ان يوضع فى نقاط لحماية خط الإمدادات .

٦ ـ جزء من الاستخبارات .

قوات الضفة اليمنى للنيل .

قوات مديرية دنقلا سوف تذهب بالضفة اليمنى للنيل ومعها قائدها البكباشى أحمد أفندى سليمان ، ويرافقه جودت بك وكيل المدير ، وضابط المخابرات الانجليزى كولونيل كولفيل (١) .

قوات الضفة اليسرى للنيل .

هذه القوات تحمى الزوارق من الضفة اليسرى للنيل وتتكون من :

١ ـ قوات السوارى .

٢ ـ الطوبجية .

٣ ـ سلاح الهجانة المصرى .

٤ ـ جمال النقل .

٥ ـ قادة الجمال .

٦ ـ فرقة الترحيل الحادية عشرة .

٧ ـ فرقة سلاح الإشارة .

٨ ـ جزء من الاستخبارات .

٩ ـ قيادة « ايرل » .

---

١ ـ شقير ٨٧٩ .

الأوامر العسكرية للخطة .

١ — لايتحرك الطابور من الحماداب إلا بعد اكتمال كل قوته هناك (١) .أيضاً على القائد ان يقلل من استطلاعات قواته ، لان الاهالى يعتبرون رجوع قوات الاستطلاع هزيمة (٢) .

٢ — ضرب قتلة كولونيل استيوارت ، واحتلال ارض المناصير ، وتعيين جودت بك — نائب مدير دنقلا — مديراً عليها (٣) .

٣ — قوات مديرية دنقلا ستتحرك مع الطابور بالشكل الذى يراه قائد الطابور النهرى.

٤ — عدم ترك أى عدو خلفهم أو على ميسرة أو ميمنة الطابور .

٥ — عندما يصل الطابور إلى أبى حمد يجمع قواته هناك . بعد وصوله باربعة أيام سوف يصل إليه جيش من كورسكو بقيادة ميجور « رندل » ومعه كمية كبيرة من الغذاءات (٤) . عندما تجتمع لديهم مؤونة مائة يوم لكل الجنود يتقدمون إلى بربر .

٦ — احتلال بربر والاتصال بطابور الصحراء لتنسيق تقدمهم إلى المتمة .

٧ — سوف يحمل طابور النهر لطابور الصحراء خمسة وسبعين الف غذاء (تعيين)(٥).

الأوامر السياسية .

١ — كل القبائل تعتبر صديقة ماعدا المناصير . المناصير سوف يعتبرون اصدقاءاً لو قدموا قتلة استيوارت ومن معه (٦) .

٢ — يخبر قائد الطابور شيوخ القبائل بان السياسة البريطانية ، فى المقام الأول ،

١+٢ — تلغرافات الطابور ، اوراق وزارة الحربية بتاريخ ٠٨٥/١/٤ ٣ — شقير ص ٨٧٩ .

٤ — براكنبرى ص ٢٨ . هذه القوات من العبابدة ، عددهم اربعة الاف ، جندوا اصلا لضرب محاصرى بربر . حررت بربر قبل وصولهم ، فتركوا فى كورسكو فى حالة استعداد بجمالهم لعبور الصحراء .

٥ —٦طابور النهر ص ٢٩ .

هى احلال السلام والهدوء بالبـــلاد . يعد ذلك انشاء حكومة أهلية مقبـــــولة للناس (١) .

٣ — يخبر قائد الطابـــور الشـــيوخ ان الحكومة البريطانية لاتريد ان تتدخـــل فى ممتلكات الناس أو حقوقهم (٢) .

٤ — كل الافراد الذين يريدون الاذعان — ماعدا المناصير — سوف يتقبلون ويعفى عنهم لو قدموا ولاءهم فوراً . ولكن استمرارهم فى الثورة سيقود إلى العقاب الذى يستحقونه (٣) .

٥ — تكتب خطابات بهذا المعنى إلى كل شيوخ القبائل فى القرى التى يصلون إليها.

٦ — يكتب اعلان فى القرى باعطاء جائزة لكل من يأتيهم بالشيخ سليمان ود النعمان والفـــكى ود عتمـــان . هـــذا الاعـــلان سوف ينشر عندما يتأكـــدون ان الشيخين قد هربا فعلا (٤) .

خط التلغراف .

خط التلغراف حتى الرابع من يناير ١٨٨٥م ، كان ينتهى فى أبى دوم ، التى تبعد تسعة عشر ميلا مـــن الحماداب . جميع الرسائل التى كانت تصل إلى هناك تأخذهـــا الجمال إلى الحماداب والعكس . ولكن الاسلاك التلغرافية متواجدة على الأرض فـــى أماكن متعددة مثل مروى ، وفى طريقهم إلى الحماداب . ثم هناك خط تلغراف بربر الذى يمـــر بصحراء بيوضة والذى عطله الثوار . هذه الاسلاك من الممكن الاستفادة منها فى خط تلغراف يتبع الجيش. ليوتنانت « استيوارت » قائد قوات الاشارة بدأ فى تركيب اعمدة الامداد لهذا الخط . طلب من الأهالى قطع الاشجار وامداده بما يصلح منها كأعمدة .

١+٢+٣ — طابور النهر ص ٢٩ .

٤ — طابور النهر ص ٣٠ .

معسكر الحماداب .

حياة المعسكر فـي الحماداب كانت حياة سهلة . فالقـوات تصـل بالنهر وبالضفة اليسرى للنيل باستمرار . بقية قـوات السوارى ، التى كانوا يطالبون بهـا للتعرف على موقف الشيخ محمد الزين بالصحراء ، قد وصلت فى اليوم الخامس مـن يناير ٨٥ بقيادة ميجور فلود.

السادس من يناير اتاهم بغبار شديد ، ولكنه أيضاً اتاهم بمجموعات من الأهالى ، حضرت لتبيع لهم الالبان والتمر وخبز « القراصة » . ان بعض هؤلاء الباعة قد تبعوهم حتى كربكان ، حيث قتل المناصير ثلاثة منهم(١) . شىء واحد كان يسبب لهم ازعاجاً شديداً ، وهو الاستخبارات المضادة . ان المعلومات التى كانت تصلهم عـن موقف قوات الثورة تعطى اشارات تصيبهم بقلـق شديد . ثم بعد وقت يتم التأكد بان تلك المعلومات لم تكن صحيحة . يتعاملون مع أحد الشيوخ عـلى ان يعاونهم فى التحرك أو جمع المعلومات ، ولكن فيما بعد يظهر ان هذا الشيخ تابـع لجهـاز مخابرات الثـورة السودانية .

اين مكان الثوار ؟ وماهى عدديتهم ؟ ومايريدون فعله ؟ كلها أسئلة كانوا يريدون لها اجابة ، ولكن هذه الاجابة لم يتحصلوا عليها قط . لذلك سير طابور النهـر كان يغشاه التردد الذى قاد إلى تأخير الطابـور مدة طويلة .



١ — مذكرات براكنبرى ليوم ٦ يناير ١٨٨٥ .

قوات الثورة الســـودانية

الأمير محمد الخير عبد الله خوجلى ببربر ، كانت عيادته كخلية نحل تعمل بجـــد ونشاط ، وقد عين امراء وضم إليهم قوات لكى تقـــوم باعماله الحربية المختلفة فى مديريته الواسعه .

ثم ان محمد الخير هو الذى قام بتكوين قوة الجعليين بقيادة الأمير عبد الماجد محمد خوجلى لمواجهة طابـــور الصحراء مع اخوتهم فى المتمة . بالنسبة إلى طابور النهـــر فان حربه قد تقرر الا تكون قبل وصوله إلى بربر ، حيث تبعد خطوط امداده ويرهقه السفر .

ان تأخير قتال طابور النهر تفرضه أهمية جمع قوات كافية فى بربر من المناطـــق المجاورة . وعنـــدما يتم تحرير الخرطوم فان الامام المهدى سيرسل القوة الرئيسية التى خطط لها لمقابلة جيش حملة النيل . وهى بقيادة امير الامراء عبد الرحمن النجومى .

عمل امير الامراء محمد الخير عبد الله خوجلى

عمل الأمير محمد الخير ينقســـم إلى شقين :

الأول : تجميع أهالى المنطقة فى بربر لتكوين قوة تستطيع مقابلة هذا الجيش الكبير الجيد التسليح والمعدات . ان عملية التجميع هنا تعنى ابعاد الأهالى الموالين للثورة عن طريق طابور النهر حتى لايتعرض الأهالى لضرب الغزاة لهم . وفى نفس الوقت يجـــد العدو ارضا حرقت من أى امدادات غذائية .

الثانى : القيـــام بكل عمليات الاســـتخبارات ، ومعرفة قـــوة وتحرك وأعـــمال الطـابورين – فى صحـراء بيوضة وعلى نهر النيل ، ثم ابلاغ الإمام المهدى فى ديم أبى سعد بكل التحركات .

الامام المهدى والأمير محمد الخير

دقة العمل الذى قام به امير الأمراء محمد الخير – معلم المهدى وحاكم بربر ، ومن معه من الأمـــراء والنقباء والانصـــار ، ظهرت فى صحة القرارات التى اتخذتها قيادة الإمام المهدى بالنسبة إلى قوات حملة النيل بقيادة وولسلى ، ودقة توقيتها .

ثم ان هذا العمل الكبير كان يتم فى جو مـــن الاخلاص وسمو الروح والتفانى . ان الإمام المهدى قد كان راضياً رضاءاً تاماً من عمل اميره على مديرية بربر . ففى خطابه بتاريخ ١٢ ربيع الأول ١٣٠٢هـ إلى الامير محمد الخير يقول الإمام المهدى(١) :

(بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، لقد وردت لطرفنا خطاباتكم المؤرخة ٢٩ صفر سنة تاريخه وكل ما دونتموه فيها علم ، وجزاكم الله عن دينه وعنا أفضل الجزاء وانتم حريون بجميعما ذكرتمـــوه ، ولاننا ندعو الله تعالى بزيادة التوفيق والهداية إلى أقوم الطريق ، وما اجريتموه مـــن تأمير اخيـــنا الحسن ســـعد وموسى ابى حجل وغيرهم هو عين المقصود ، وسددكم الله للصواب . ثم وجواب العملاء المحاصرين بجهات شندى والمتمة قد وصل لطرفنا وشكرنا صنيعكم ودعونا لهم بكل خير وقـــد حررنا لهم الجميع بصفة منشور ، فحمدناهم فيه ودعونا لهم وحثثناهم على تقوى الله واتفاق الكلمة مع بعضهم البعض ، وان يكونوا كرجل واحد ، ومافعلوه من التشمير إلا بواسطة تذكيركم لهم وارشادهم فجزاكم الله عن دينه افضل الجزاء) .

قائد حرق الطريق امام طابور النهر

ان امير الأمراء محمد الخير قد وجه الأمير موسى أبا حجل – ابن شيخ الرباطاب محمد مالك أبى حجل – لحرق الأرض أمـــام قوات « ايرل » وارســـال السكان إلى بربر . أيضاً طلب منه القيام بعمليات الاستطلاع وتقديم تقارير يوميه عـــن تقـــدم

١ – كتاب الصادر – دار الوثائق المركزية الخرطوم .

الطابور . أيضاً امره ان تكون رئاسة قيادته فى « بيرتى » ولايدخل مع الجيش الغازى فى مواجهة . يساعد الأمير موسى عدة قادة مثل الشيخ محمد الزين ، الذى كان يشرف على ترحيل حيوانات الاهالى للرعى فى الصحراء بعيداً عن خطوط الطابور ، ويمنع أى امدادات له من ناحية صحراء ميسرة النيل ، ومراقبة عدم خروج قوات منه لعبور صحراء بيوضة لمهاجمة بربر .

اعمال الشيخ محمد الزين ازعجت الطابور . فهو فى موقف يسمح له بالهجوم على نقاط امداد الطابور . الخوف من هذا الهجوم ، هو الذى قاد طابور النهر الانجليزى لكى يصبح طابوراً طائراً – أى طابوراً ليست له خطوط امداد . عدم وجود خطوط امداد واتصال لجيش بهذا الحجم ، وبدأ يدخل إلى ارض معادية ، قد يشكل خطراً جسيماً عليه . أيضاً ماهو الضمان لوصول قوات « رندل » من كورسكو إلى أبى حمد ، دون ان تتعرض لهجوم من الثوار فى الطريق الصحراوى ؟ كل هذا حمل « ايرل » لاتخاذ قرار بحرب الشيخ محمد الزين .

ان الذين جندهم الامير موسى أبوحجل للعمل فى قوات الاستطلاع والحصر ، كانوا من المناصير والرباطاب ، فهم بلا استثناء مع الثورة . أيضاً جند عدداً كبيراً من شيوخ القبائل الأخرى . وهذا ماجعل قيادة ايرل تتخبط فى معلومات لا حد لها ، وأكثرها اخبار غير صحيحة امدهم بها ثوار حسبوهم اصدقاءاً .

فى يوم ١٣ يناير ١٨٨٥م مثلا ، وفى الساعة الواحدة وخمس واربعين دقيقة ، قدم الشيخ عمر – شيخ قرية الدويم (دويم الشمالية) تقريراً لكولفيل يقول (انى شاهدت قوة قدرها الف رجل مسلحين بالبنادق فى قرية بلال – أى خلفهم – وقد جاءت من بربر عن طريق ابار « باك » وبئر « سانى » والكوا ، وانهم يملكون ذخائر كثيرة ، وينوون مهاجمة المعسكر غداً صباحاً (١) .

---

١ – براكنبرى ص ٣٣ .

هذا الخبر الذى ســبب ازعاجاً وقلقاً لكل المعسكر لم تكن فيه ذرة من الصحة . ولكنه ادى الغرض المقصود منه وهو التأخير فى تقدمهم وازعاجهم .

معلوماتهم عن الشيخ محمد الزين

المعلومات التى استطاعوا جمعها عـــن الشيخ محمـــد الزين ، وقاموا بتمحيصها استخلصوا منها الآتى :—

١ — الشيخ الزين فى منطقة الكوا ، ومعه عدد كبير من الجمال والابقار التابعـــة للمناصير . الكوا على بعد ثمانية وعشرين ميلا (٧ ساعات) .

٢ — هذه البهائم ترد إلى ابار باك وسانى — الابار الاخيرة عـــلى بعـــد ثمانية اميال (ساعتين) .

٣ . ان الشيخ الزين لم يتلق دعما عسكريا كبيرا قدره الف جندى من بربر كما سمعوا اولا ، وانما تلقى دعما قدره خمسون محاربا فقط .

٤ . مراعيهم على جبل كاتيت على بعد ميلين من بئر سانى .

على اساس هذه المعلومات اصدر ايرل اوامره الاتية : —

خطة الهجوم على الشيخ محمد الزين

١ . ميجور « فلود» يقود ستين من السوارى الانجليز ،وتسعين من الهجانه المصريين ، الى ابار الكوا ، ولو وجـــد الظروف مناسبة يتقدم الى ابار باك وابار ســـانى ،لكى يفاجىء الاعراب ويأخذهم اسرى ويحرق قراهم ويستولى على جمالهم وابقارهم .

٢ . علية ان يضرب قوة الزين دون ان يقاد لخوض معركة كبيرة .

٣ . هذه العمليه لن يعرف بها احد فى المعسكر غير القـــائد جنرال ايرل ومساعده «براكنبرى» «وميجور» «فلود» وميجور «سليد» من المخابرات .

٤ . ميجور «سليد» يذهب مع المجموعة .

٥ . على ميجور «سليد» اعداد دليل يقودهم فى الصحراء .

تحرك القوة لضرب الشيخ محمد الزين

فى صباح يوم الاحد الثامن عشر من يناير ١٨٨٥ ، اقيم طابور خارج المعسكر لمناورات تدريبية تضليلية ، اشترك فيها سلاح المهندسين والسوارى والهجانة .

بعد أن استعرض الجنرال ايرل المهندسين وقام بتفتيشهم ، سمح لهم بالتفرق . صدرت الاوامر للتسعين هجانا والستين فارسا بالتقدم الى داخل الصحراء ، ولكن دون توقف على طريق الدقيات بربر .

سار ميجور «فلود» حتى منتصف الليل حيث نام على بعد ثمانية اميال من الكوا .

الاثنين ١٩ يناير ١٨٨٥

بدأوا التحرك فى الساعة الرابعة صباحا حتى وصلوا الى «خور الكوا» وهو منخفض ارضى مزروع . وجدوا اثار تحرك قريب ، ولكن المياه الموجودة فى المنطقة قليلة لسقاء خيولهم . المسافة التى قطعوها حتى الآن خمسة وثلاثين ميلا .

استمر ميجور فلود وجنوده فى السير على ذلك المنخفض ثلاثة اميال اخرى ، ولكن التشكيلات الصخريه ، التى امام القائد ، ذكرته بالمعلومات التى وردت اليهم من حروب الامير عثمان دقنه فى شرق السودان. تلك المعلومات كانت تقول : ان الانصار يخرجون من وراء الشجيرات والاحجار كالشياطين ويهجمون كما تهجم النمور الجوعى .اخرج ميجور فلود مذكرته وقرأ مرة ثانية تعليمات قائده . ان تعليماته تقول « لو امكن » . نظر الى الارض التى حوله وكتب فى مذكرته :

١ . الارض صخرية تمنع سير الخيول .
٢ . المياه قليلة .

وعليه حرق مظلتين من القش « راكوبتين» للرعـــاة هناك ، وحمل كمية ضئيلة

من الذرة وجدها ، وعاد بسرعة مضاعفة إلى الحماداب . وصلهـــا فى مساء نفس اليوم ١٩ يناير ١٨٨٥م .(١)

دليلهم كان مهدويا

بعد وصولهم ، فى اليوم الثانى لم يجدوا الدليل الذى اخــذوه معهم . انه احــد الثوار وكان قد استطاع ارسال سر تحرك هذه القوه الى الشيخ محمد الزين ! (٢)

الاسبوع الاخير فى الحماداب

امدادات اخرى

بدأت القيادة فى كورتى تضيق بتأخير جنرال ايرل فى التحرك ، بعد ان اكتمل له كل شىء . بولر رئيس اركان حرب حملة النيل ارسل برقية الى طابور النهر ، تاريخها ١٧ يناير ١٨٨٥ يقول فيها : (الجمال التى ستصلكم مع كابتن « لى » لن املك ناقة واحده لكم بعدها .)

وصلت هذه الجمال الى الحماداب يوم ٢٣ يناير ٨٥، تحمل مؤناً . فى يوم ٢٠ يناير ابرقوهم ان الباخرة « نصيف الخير » سوف تصل اليهم حاملة كل احتياجاتهم . وجاء فى البرقية : (ان هذه الباخرة هى اخر ما يصلكم من امدادات وعليكم بالتحرك السريع .)

كولونيل بتلر

وصل فى العشرين من يناير الى الحماداب كولونيل بتلر ،وطلب منه جنرال ايرل ان يقوم بقيادة القوات التى عــلى ضفة النيل اليسرى – السوارى والهجانه – ويقوم بالاستطلاعات لحماية الزوارق والطابور على ضفتى النيل . وبناءاً على طلبه ضموا الى

١ – تقرير فلود الذى ارسل مع تقرير ايرل الى وولسلى . براكنبرى ص ٣٧ .
٢ – براكنبرى ص ٣٧/٣٨/٣٩/٤٠ .

قواته اثنين من اصدقائه هما ميجور مارتن من المدفعية الملكية، وليوتنانت «بيرى» من لواء « اللايف قاردز». هذا بالاضافة الى قائد الهجانه ميجور « ماريوت» .

كولونيل آلاين

وصل الى الحماداب يوم ٢١ يناير ١٨٨٥ ، مع مجموعة من الرحالة الكنديين . اوكل اليه جنرال ايرل توجيه التقدم النهرى ، ويساعده فى ذلك كابتن « اورده» من لواء « الرايفل» وكابتن لورد افون مور من لواء «هامشير» وليوتنانت «بيل» من الكتيبة الثانيه للواء «اللايف قاردز» وكلهم يملكون خبرة طويلة فى عمل الزوارق .

الجيش المتردد

حياة الجيش البريطانى ومن معه فى معسكر الحماداب كانت تتسم بالتردد والتأخير والمماطلة مع القيادة فى كورتى . فالاحتياجات الغذائية والعسكرية ، التى جمعها جنرال ايرل ، كانت مبالغا فيها. رغم ذلك لم يتحرك فى رحلته القصيرة هذه الى ابى حمد. ان جميع الشائعات والاخبار التى تصلهم من المنطقة تدور كلها حول الخطر الماحق الذى سيلاقونه يوم هجوم الثوار عليهم . وهذه الاخبار كانت تتسق مع ما وصلهم من اخبار الجيوش التى ازيلت من الوجود ، والمقاتلين الشرسين الذين يقاتلون وهم جرحى على الارض .

المؤن الغذائية التى لدى الطابور

ان الاغذية التى وصلتهم حتى الان تكفى لكل قواتهم لمائة يوم كامله. وهى تشمل البقسماط الذى احضر من مصر بالاضافة الى الذى صنع فى اربعة مخابز بكورتى بالمعسكر ،تخبز فى اليوم الواحد الفين واربعمائة قطعة من خبز «التوست» الكبير .ايضا تشمل اغذيتهم اللحوم البريطانية المعلبة والسكر والشاى والتبغ والملح والفلفل وبسكويت الشاى والخضروات المعلبه وطحين الشوفان . وللجرحى ، بالاضافه الى ما سبق ،

الالبان المجففة والشمبانيا والكنياك وعصير الليمون .

انهم ظلوا هناك يطالبون بكميات اكبر من كورتى ومن كورسكو لكى تصلهم الاخيرة فى ابى حمد .

فى الحماداب نفسها كانوا لايحتاجون إلى الاغذية التى لديهم ، بل كانت هناك نساء يعددن لهم «القراصة» ويملكون قطيع ابقار يذبحون منه ، ومبلغ عشرة الاف جنيه مع المحاسب «ميجور ماكاى» لصرفها على مشترواتهم من المنطقة .

بالاضافة إلى اكل القوات الانجليزية ، فقد اعدوا أكل القوات المصرية والجمال والخيول . ان القوات المصرية قد قبلت ان يعطى كل جندى منهم رطلا من اللحم ورطلا من الدقيق وخمسة مليمات يومياً ليشترى بها مايحتاجه من خضروات أوتمر . قادة الجمال العدنيون قبلوا التنازل عن السكر والملح والشاى والقهوة لكى تترك هذه المواد للقوات البريطانية ! الخيول التى اخذت من القوات المصرية عند حلفا ، قد اعد لها اكلها بمقدار عشرة ارطال من الذرة يومياً ، مع مايتيسر من الكلأ فى الطريق . وهذا يعنى الفاً وخمسمائة رطل ذرة يومياً ، تحملها خمسة جمال بمعدل ثلاثمائة رطل توضع على ظهر كل بعير .

قوات الهجانة والمدفعية لها وسائل نقل لحمل مؤونة ستة أيام ، بمعدل ثمانية ارطال ذرة يومياً للجمل .

بالاضافة إلى الخيول وجمال الهجانة المصرية ، هناك جمال الفرقة الحادية عشرة التى تملك ثلاثمائة وخمسين بعيراً تنقل بها هذه الأغذية ، وتحمل أيضاً محمولات متعددة للضباط والإداريين ، وبعض علب الماء التى احضرت لكى يحملوا عليها الماء إذا تقدموا بالصحراء .

بالطبع جميع محمولات الأغذية للقـوات الانجليزية كانت تحمل على الـزوارق .
كل زورق كان يحمل اثنى عشر جندياً بجميع معداتهم واغذيتهم لمدة مائة يوم .

بعض البلل الذى اصاب بعض جوالات السكر والملح وصناديق الشاى ، وفقدان بعضها نتيجة لسرقتها بمصر(١)،قاد إلى احتجاجات وتقارير لاحصر لها، وتقرر ان يكون نصيب الجندى الانجليزى فى اليوم من هـذه المواد التى نقصت ، أوقية ونصـفاً مـن السكر – أى بنقصان أوقية – كما سيعطى ربع أوقية ملح أيام الذبيح. بالطبع الشاى يغلى لكل الجنود سوياً . بقية استحقاقات الجندى من اللحوم والبقسماط والبسكويت والفلفل والتبغ ستظل كما كانت بدون نقصان .

محمولات اخرى للمستشفى

ان ماجمعه هذا الطابور فى الحماداب كان مذهلا . انه يحوى اشياء لاتخطـر على بال . انه يشمل طحانات البن ، وصنابير الجعه وعـلاقات اللحوم ومـكائيل لقياس المشروبات ووسائد فاخرة وعشرين خيمة احتفالات ضخمة ، معدة اعداداً ملكيـاً ، اتوا بها لتشكل المستشفى . ان ذلك المستشفى ، بعد التخفيضات الضخمة التى اجريت عليه ، احتاج إلى تسعة زوارق لحمله .

امدوا كل كتيبة بثمان نقالات ، وفى حالة اصابة القـوات التى تذهب على ضفة النيل اليسرى – سوارى وهجانة ومدفعية – فسوف يحملون فى الزوارق .
اسرة المستشفى بلغت مائتى سرير .

اصدر جنرال ايرل امراً بالغاء جميع الأوامـر الإدارية البريطانية الخاصة بادخال واخراج الجرحى والقتلى من المستشفى(٢). وكانت هذه هى الخطوة الأولى نحو تزوير

١ – براكنبرى ص ٤٦ .
٢ – طابور النهر ص ٥١ .

ارقام القتلى والجرحى فى أى معركة يقابلونها .

الطابور سيكون طائرا

فى يوم ١٥ يناير ١٨٨٥م جاءتهم تعليمات من وولسلى بان الطابور سيكون طائراً، أى انه لن يملك نقاط امداد على الطريق . وهذا يعنى انهم سيأخذون معهم مرضاهم وجرحاهم بدلا من ارجاعهم إلى كورتى . السبب فى ذلك هو خطورة القوات الثائرة الموجودة فى الصحراء على نقاط الإمداد وخطوط الاتصال . وهذا يعنى ان عليهم الحصول على أى امدادات غذائية يريدونها فى الطريق بالشراء أو القوة إلى ان يصلوا إلى أبى حمد .

خط التلغراف

وصل إلى الحماداب من كورتى قاطعاً مسافة اربعين ميلا .

الحالة الصحية لعرائس النهر

هؤلاء الجنود الذين اختيرت كل زرارة فى ملابسهم بدقة فائقة ، ونزلوا فى ميناء الاسكندرية كعرائس من المتوسط ولجت النيل ، اصبحت حالتهم على مياه النهر وضفافه بالسودان ، مزرية جداً . ملابسهم اصبحت قذرة وممزقة ، ولم تغسل منذ ان لبست لاول مرة . القمل كان يملأ رؤوسهم وسراويلهم وزوارقهم(١). روائحهم النتنة كانت تشم على بعد مائة متر . لم يستحم واحد من هؤلاء الجنود أو الضباط الذين يسيرون فوق اكبر الانهار التى حطها الله على هذا الكوكب . بعضهم اصيب بالقروح من عمليات الحك المستمرة فى جسده .

١ – كل المراجع ، منها ، كرامة انجلترا ص ٢٥٣ .

جيش عرائس النهر هذا اصبح شبيهاً بجيش من الشحاذين القذرين .الشيء الوحيد الذى كان يميزه عن جيوش الشحاذين ، انه مسلح حتى النخاع باحدث الأسلحة .

اوامر جنرال ايرل

اخيراً بدأ جنرال ايرل يصدر الأوامر التى ستحكم التحرك ، أول هـــذه الأوامر كان كالآتى :

١ ــ على قـوات مديرية دنقلا عبور النهر إلى الضفة اليمنى للنيل ومعها كولونيل كولفيل من المخابرات . تم العبور فى ثلاثة أيام هى (٢٣/٢٢/٢١ يناير ١٨٨٥). صرفوا لكل جندى مائة وعشرين طلقة . بالاضافة إلى ذلك فهم يملكون مدفعاً نحاسياً كانوا يطلقونه فى المساء .

٢ ــ على الطابور ان يتبع اسلوباً حـدده فى منشوره بالاستعداد دائماً للتشكيل فى مربع . وعليه فكل القـــوات يجـــب ان تكون قريبة من بعضها للقـــيام بهذه المناورات . حوى المنشور أيضاً طريقة سير الزوارق ووقوفها . أيضاً صدرت فى المنشـــور تعليمات للسلاح الطبى .

٣ ــ بعد ضرب المناصير فان قوات مديرية دنقلا سوف تحتل ارض المناصير .

اخبار معركة ابى طليح

وصلتهم فى الثالث والعشرين من يناير برقية تحدثهـــم عـــن موقعة أبى طليح . كانت مقتضبة وتقول : (استيوارت قابل مجابهة حامية ، وان مربعه قد تم اختراقه ، وانه سيواصل تحركه) .

نصيحة ابرق بهـــا قائد اركان حملة النيل ــ بولر ــ ابرق بها إليهم تقول (ان الاعراب يهجمون دون تردد وبسرعة شديدة وانصحكم بعدم مقابلتهم الا وانتم فى مربع) .

سأل بولر ايرل أيضاً عن ميعاد وصوله إلى أبي حمــد . رد عليه ، بانه ســوف يتحرك غداً ٢٤ يناير ١٨٨٥م ، ولكن الباقي يتوقف على ظروف الأرض والعدو .

التحرك من الحماداب الى كاب العبد

٢٤يناير ١٨٨٥

فى تمام الســابعة صباحاً من الرابع والعشرين من يناير ، خرجت قوات السوارى متقدمة الطابور على ضفة النيل اليسرى ومعهم نصف الهجانة . فى العاشرة صباحاً تحركت طليعة زوارق النهر . فقد تحركت فرقتان مــن لواء الاستافوردشير بقيادة كولونيل « الاين » . تبعهم بعد ذلك لواء البلاك وتش . لواء القوردون هاى لاندرز تأخر هناك .

فى الحادية عشرة صباحاً ارسلوا برقية إلى وولسلى يخبرونه انهم تحركوا ، وان حالــة جميع الرجال طيبة .

عندما حمل قائد الأركــان بولر خبر البرقية إلى قائده وولسلى فى كورتى ، رد عليه وولسلى الذى حطمته حوادث أبى طليح وهده تأخير ايرل .... تهانى الحارة ! .

ان هذه القــوات المتقدمة كانت تسير كما تسير العروس السودانية فى رقصــة عرسها ، فحتى السابعة والنصف مساء الرابع والعشرين من يناير لم تصل كل الزوارق الى جزيرة الأولى التى تبعد عن الحماداب مسافة ثمانية اميال فقط . قــوات المدير على الضفة اليمنى للنيل وصلت فقط إلى مشرع العبيد،وبدأت تتلقى اشارات هيليوغرافية من القوات الانجليزية بالنهر . قوات الهجانة والسوارى والمدفعية وقوافل الترحيل وصلت فى اليوم الخامس والعشرين من يناير إلى الكابينات التى تبعد عن كابور بثلاثة أميال .

وجد براكنبرى على هذه الضفة ، قلعة قديمــة تستطيع ايواء خمسمائة جندى .

كولونيل بتلر ، الذىخرج للاســتطلاع ، عاد يخبرهم ان المنطقة خالية والميــاه جيدة بالنسبة لسير الزوارق حتى كاب العبد .

قــوات مديرية دنقلا قضت اليوم فى حــرق القرى التى تمر عليها وهى خاليــة

لتذكر أهلها بدفع الضرائب .   قضوا يومهم فى مشاكســة كولفيل . التحرك فى شلال ادرمه كان صعباً ، فمياهه كشلال سمنه حيث المياه بين الجنادل تكتسب سرعة عاليه رهيبة . قاموا هناك بحمل الأسلحة والذخائر ثلاثة ارباع ميل ، فى حين ربطوا كل ثلاثة زوارق بحبال وقاموا بجرها .

القيادة وقوات بتلر كانت تواجه اخباراً كثيرة متناقضة . فمنذ أول يوم لتحركهم اتاهم جواسيس لهم يخبرونهم ان قرية « برتى » (بكسر الباء ، وتقع على الضفة اليسرى للنيل ، وهى أول قرية فى دار المناصير) بهـا الفان وخمسمائة ثائر يقودهم عبد الماجد أبو الكيلك وسليمان ود قمر وموسى أبو حجل،ويريدون الهجوم عليهم بعد ان تغيب الزوارق فى جنادل كاب العبد ومابعدها ، وسيكون الهجوم صباحاً .

٢٥ يناير ١٨٨٥

فى يوم الاحد ٢٥ يناير اخذ كولونيل كولفيل افضل جمال لدى قوات مديرية دنقلا التى تسير على قدميها وبعض ضباطها يركبون حميرا ، وسار بصحبة عشره مـن جنود المديرية هذه بالضفة اليمنى للنيل «من شبيبيت الى حوش الجروف» التى تقابل برتى بالضفة المقابلة . عندما عاد قال ان القرية تقـع على منحدر معتدل على مجموعة تلال صخريه ليست عاليه وتصل الى النهر . وقال : ان معسكرهم هناك يحوى اكثر مـن الف ثائر ، ولكنه رأى ثلاث خيام فقط وحوالى ثلاثمائة ثائر على رأس التلال لمراقبة جيشهم . وجـد ايضا ان سواقى تلك الضفة «اليسرى» تعمل ، بعكس الضفة التى يسير عليها وهى خالية من الزرع والضرع .

الاثنين ٢٦ يناير ١٨٨٥

اهم شيىء حدث اليوم انهم تسلموا تلغرافا من كولونيل رندل فى كورسكو يعطيهم تفصيلات عن الثوار ، استقاها من شيوخ القبائل بان الانصار فى برتى لن يقل عددهم عن عشرة الاف رجل ، ويريدون الحرب فورا .

الثلاثاء ٢٧ يناير ١٨٨٥

في صباح السابع والعشرين من يناير كان كولفيل ومعه قوات مديرية دنقلا يحمون جناح الزوارق الايسر، ويرسلون اشارات الهيليوغراف باستمرار للقيادة.

الاربعاء ٢٨ يناير ١٨٨٥

قوات لواء الكورنوول عبرت شلال ادرمه الذى بدأته امس ،ووصلت حتى قدم كاب العبد. هذا المكان هو نفس النقطة التى نامت فيها القوات التى سبقتهم .القوات الراكبة وصلت الى شلال الرهامى ، فلم تجد اثرا لثائر .

الخميس ٢٩ يناير ١٨٨٥

ست فرق من قوات لواء البلاك وتش وصلت الى قرية وراق واحتلت مكانا كاشفا فيها .

حسب اوامر الجنرال ايرل فان القوات الراكبة بالضفة اليسرى للنيل تتقدم حتى مشارف قرية بيرتي لاحضار اخبار .

جاسوس لكولفيل قال له: ان دعما جاء من بربر اوصل عدد الثوار في برتي الى خمسة الاف . ذعر كولفيل وطلب من قوات مديرية دنقلا عبور النهر للضفة اليسرى . لم يكن نائب المدير ابلها فيذهب الى هناك لخوض معركة مع الانصار . رفض نائب المدير متعللا بان العبور سيسبب لقواته ارهاقا ،بالاضافه الى انه لن يجد مكانا كاشفا تسير عليه قواته في الضفة اليسرى للنيل .

اصدر الجنرال ايرل اوامره الى قوات القوردون هاى لاندرز ، التى ما زالت في الحماداب بالتقدم فورا. ارسل لهم ضباط زوارق من الذين عبروا الشلالات مرتين ، لمساعدتهم .

في المساء عاد بتلر وقال انه عاد من منطقة تبعد ميلا واحداً من برتي ، ورأى هناك انصاراً في طابور طوله بين ٧٠٠ / ٨٠٠ ياردة . ضابط المخابرات « سليد »قال انه ارتقى جبلا ووجد ان عدد الانصار الفان ويريدون الهجوم .

الضابط « ماريوت» قائد الهجانه المصرية قال انه تتبع الوديان ورأى ثلاثة معسكرات للانصار ، ولكنهم طاردوه وقتلوا جملا من جماله ، ولكنه نجا .

في الليل ايقظ الضباط براكنبرى ، عندما وجدوا انصاريا يلبس جبة مرقعة قد اقترب من السوارى وهرب ، فاعتقدوا ان الهجوم اصبح وشيكا .لم يناموا .

الجمعة ٣٠ يناير ١٨٨٥

في الفجر قام السوارى باستطلاع في المنطقة وقبضوا على الانصارى الذى سهدهم حضوره ليلة الامس . قال الرجل : انه من جنود بربر الذين بعد ان هزمهم الثوار ضموا الى جيش المهديه . وقال لهم : انه اتى مع ابى الكيلك الى برتي وكان مسئولا عن نقاط المراقبه بواسطة جنود مسلحين بالبنادق . وقال انه اتى في الليلة الماضية هاربا من مركزه ، راكبا جواد الامير موسى ابى حجل وحاملا بندقيته وذخيرته .

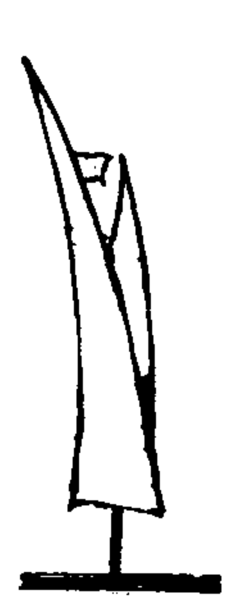
ثم عن القوات قال انها تتكون من خمسة الاف من المناصير ، واربعة الاف من الرباطاب وستة الاف من البشاريين واهل بربر . وقال لهم ايضا زيادة في الايضاح : انهم يملكون ثلاثمائة بندقية فقط .

السبت ٣١ يناير ١٨٨٥

استطلعوا الطريق الى برتي عن طريق واد الى يسار النيل يمر بالصحراء وتأكدوا من ان برتي خالية !

تسلموا اليوم رسالة من وكيل مدير مديرية دنقلا - بالضفة اليمنى للنيل يقول فيها: ان الشيخ عمر ودقمر قد وصل اليه امس وطلب منه وعدا بالا يمس الانجليز المناصير او ابن اخيه سليمان النعمان ود قمر ، وفي مقابل ذلك سيقوم الشـيخ عمر ود قمر باحضار قبيلة المناصير لهم . وقال نائب المدير جودت بك في رسالته : انه وعـدهم بالايمس المناصير لو استسلموا . ثم يضيف (ولكنها خـدعه فقط ، فبعد قدومهم اليكم ،تستطيعون ان تفعلوا بهم ما شئتم)(١)،ولم ينس نائب المدير المصرى ان يطالب بحقه في الجائزة التى اعدت لمن يأتيهم بسليمان النعمان ود قمر والفكي ود عثمان .

١ - طابور النهر ص ١٠٢ .



قيادة الانصار في برتي

برتي القرية

قرية برتي هي قرية متوسطة الحجم تقع على حدود مديريتي بربر ودنقلا وتتبع للاولى. سكانها المناصير يزرعون ارضها الخضراء ، فتبدو كواحة في صحراء .ان الارض قبلها ليست صالحه للزراعة ،فهي صخريه او صحراء. المزروعات التي كانت نامية بالقرية عند قدوم الانجليز كانت القمـــح والشعير ، بالاضافه الى النخيل الذى برز عرجونه لذلك الموسم .

منازلها القليله طينيه جيدة البنيان وسقفت بالاخشاب .

قرية برتي هي احدى اربع قرى رئيسية بارض المناصير .وهى برتي ،السلامات ، الهبة التي تسمى الان ام دويمه ، والسليمانيه التي تسمى الان ام سفايه .

قوة الامير محمد خير المتقدمة

الامير محمد الخير عبدالله خوجلي كون قوة متقدمة من اهل المنطقة من المناصير والرباطاب والشايقيه الموالين للثورة . عدد هذه القوة الف رجل (١).

اهداف القوة المتقدمة

اعمال القوة المتقدمة حددها الامير محمد الخير عبدالله خوجلي في النقاط الاتيه:

١ . تفريغ المنطقة التي يسير عليها الجيش الغازى من السكان ومن حيواناتهم .

٢ . حرق المنطقة امام الجيش الانجليزى حتى لا يجد اغذية لهم. حبوب القرى تدفن في مطامير بالصحراء. الحيوانات ترحل الى الابار الصحراوية حيث يوجد الماء والكلأ . هذه الابار في أبيعقيلي وساني وباك. وقد عين الشيخ محمد الزين لكي يقوم بحماية

---

١ - شقير ص ٨٨٠ .

الحيوانات من أى هجوم يقوم به الانجليز . وقد صدق تصور الأمير محمد الخير عندما حاول الانجليز الهجوم على تلك الحيوانات .

٣ . مراقبة تحرك طابور النهر فى خطوطه الثلاثة بالضفتين والنيل، وابلاغ ذلك الى القيادة فى بربر يوميا . فقد كان هناك احتمال لخروج قوة من الجيش تعبر صحراء بيوضه عن طريق ابى عقيلى الى بربر مباشرة دون الدوران مع النيل عبر ابى حمد .

٤ . يحظر على هذه القوة المتقدمة الدخول فى حرب مع الجيش الغازى ،بل عليها التقهقر كلما تقدم الطابور الانجليزى .

٥ . اثارة اكبر قدر من البلبلة فى صفوف الجيش المتقدم بايصال معلومات خاطئة عن موقف القوات الثائرة ومقاصدها .

تسليح القوة

كانت كل القوة تحمل حرابا وسيوفا، ما عدا مائة واربعين رجلا يحملون بنادق رمنقتون قديمة (١) .

الذخيره التى كانت لديهم كانت قليلة ، وارتكبوا خطأ جسيما عندما حدث سوء فهم فيمن سيحمل الالف طلقه التى كانت ببرتى ، فتركت هناك ساعة انسحابهم (٢) . حملة الاسلحة تم الاتفاق ان يكونوا اخر مجموعة تنسحب من القوه حين تقدم الانجليز . وعليهم ايضا يقع اكبر عبء فى ان يقوموا باقرب استطلاع ممكن من طابور النهر .

---

١ – تقرير معركة كربكان ، اوراق وزارة الحربية . طابور النهر ص ١٨٦ .

٢ – طابور النهر ص ١١٥ .

قبل وصول الامير عبد الماجد نصر الدين ابى الكيلك من بربر الى السلامات ومنها الى برتى ، كان القائد هو الامير موسى محمد مالك ابا حجل ،يساعده الامير سليمان النعمان ود قمر. ويساعد الاميرين شيوخ كثيرون منهم الشيخ عبد الماجد،والشيخ محمد الزين الذى اشرف على الصحراء – يسار النيل – والشيخ سليمان ود قمر – عم سليمان النعمان ، والشيخ عبد الرحمن التركى الشايقى. وقد قام الشيخان الاخيران ومعهما الشيخ محمد الحاج والشيخ احمد الامام والشيخ دقر شاوى محمد ابو حجل باكثر عمليات التجسس المضاد ، وضللوا الجيش البريطانى بمعلومات خاطئه تملأ مجلدات . بل ومعهما الشيخ ابو بكر ود قمر واخر يدعى الشيخ عمر (وهو من اقرباء الامير سليمان النعمان) قامـا بوضع نفسيهما داخل قيـادة الجنرال ايرل . ضللا الجنرال بانهما ليسا على وفاق مع الأمير سليمان ود قمر وانهما لم يشاركا فى قتل ركـاب الباخـرة عباس(١). وقد استطاع الشيخان بهذا الاسلوب الحصول على معلومات قيمة هرباها إلى قائد القوة المتقدمة ، الذى بدوره ارسلها إلى امير الامراء محمد الخير فى بربر .

ارسل الأمير محمد الخير الأمير عبد الماجد نصر الدين ابا الكيلك لقيادة القـوة المتقدمة . تحرك مع الأمير من بربر ، على ود حسن وحامد الكيلك ومائتا جندى .

أهم رجال القـوة المتقدمة

الامير موسى ابو حجل

الأمير موسى هو ابن زعيم الرباطاب محمد مالك أبى حجل ، الذى كان معاوناً للادارة فى دنقـلا ، ثم انضم إلى الثورة المهدية واصبح اب الشهداء الثلاثة .

موسى استشهد فى كربكان ، ومحمد فى توشكى عام ١٨٨٩م ، وعمر فى أبى

١ – اوراق وزارة الحربية . براكنبرى ص ١٠٢ .

حمد عـــام ١٨٩٧م . أما الأمير موسى فقد رشحه أمير الأمراء محمد الخير عبـــد الله خوجلي للامارة ، وتمت موافقة الإمام المهدى على ذلك فى يوم ١٨٨٤/١١/٢٤م (١)

الامير سليمان النعمان ود قمر

انه ابن شيخ المناصير الشيخ النعمان الذى استشهد فى معركة الدبة يوم ١٨٨٤/٦/٢٩ ، وهو يحارب قوة بقيادة جودت بك نائب مدير دنقلا . وقد ثار سليمان وثأر لابيه بقتل كولونيل استيوارت وقنصلى فرنسا وبريطانيا ومن معهما من ركاب الباخرة عباس . والان من مهام الطابور الانجليزى الرئيسية قتله ثأراً لضحاياهم وفشلوا فى الوصول إليه. وعندما ارسل الانجليز فيما بعد صالح حسين خليفة لقتله،انتقم له الامير عثمان ازرق بالهجوم على صالح حسين خليفه فى المورات وقتله مع رجال حاميته هناك .

الشيخ عبد الرحمن التركى

انه شيخ ينتمى إلى قبيلة الشايقية ، وقد انضم إلى الثورة المهدية وحارب فى الدبة وكورتى بجيش كونه وحـــده ، وكان يرابط فى شـــلال ادرمه ، ثم توجه إلى دار الرباطاب ومعه مائة رجل . انه احد ثوار المهدية الأقوياء .

الامير عبد الماجد ابو الكيلك

الأمير عبد الماجـــد نصر الدين أبو الكيلك جعلى مـــن الميرفاب ، وابن اخر ملك لبربر . كان معاوناً للادارة فى حكومة حسين باشا خليفة حاكم بربر ، ولكنه انضـــم إلى الثوار واصبح أميراً مهدوياً .

---

١ - المصدر : ١٨٨/ف ٢ ، دار الوثائق المركزية الخرطوم .

وصول الامير عبد الماجد

عند وصول الأمير عبد الماجد إلى برتي وجد ان عمليات الترحيل التي قام بها الأمير موسى أبو حجل تسير بدقة ولكنها تأخذ وقتاً طويلا . في يوم ٢٩ يناير اصدر الأمير عبد الماجد امراً باخلاء برتي . تخرج القوات حاملة الأسلحة البيضاء في المساء وتتبعها صباح الجمعة (٣٠ يناير) قوات الأسلحة النارية .

في مساء التاسع والعشرين من يناير ضرب الانصار النحاس الليل كله لايهام الانجليز بان الانصار يريدون الهجوم عليهم ، فبقي الانجليز خلف استحكامات الليل كله بدلا من خطتهم القديمة بمهاجمة برتي من ناحية الصحراء (١) .

في صباح اليوم التالي الجمعة نفذ حملة الاسلحة النارية ،وعددهم مائة واربعون ، الانسحاب (٢) .

الطابور الانجليزي المتردد في برتي الخالية

قضى ايرل وقواته يوم السبت الحادي والثلاثين من يناير والأحد والاثنين والثلاثاء في التردد والخوف من قرية برتي الخالية . في يوم الثلاثاء الثالث من فبراير ١٨٨٥م احتلت قوات مديرية دنقلا منطقة حوش الجروف المقابلة لبرتي ، وعندها اعلموا رئاسة الطابور ان القرية خالية تماماً .

في يوم الأربعاء الرابع من فبراير وعند الضحى ، دخلت القوات البريطانية إلى برتي(٣) . وجدوا القرية خالية تماماً من السكان،ففحصوا مساكنها مسكناً مسكناً .

---

١ – طابور النهر ص ١٠٢ .
٢ – شقير ص ٨٨٠ .
٣ – اوراق وزارة الحربية . كرامة انجلترا ص ٢٥٤ .

وجدوا في منزل الأمير سليمان النعمان ود قـمر بعض الكتب الانجليزية والفرنسيـة و « باروميتر » مكسـور الواجهة كان استيوارت اشتراه قبل ساعة من تركة محطة « تشيرنق كروس » في لندن قبل مغادرته لها مع غردون .

بحثوا عن مطامير الغلال فلم يجدوا شيئاً ، الا بعض غلة في الجزيرة التابعة لقرية وكميات تافهة منها بالمنازل .

وجدوا أيضاً قدوراً للأكل وبعض عصى والالف طلقة التي نسيها الثوار . اقيـم ماوجدوه لوحان بهما آيات قرانية .

ذهبوا إلى مكان صلى فيه الانصار ، فقدروا ان عددهم كـان بين الف والف ومائتين ، وقد كان التقدير صحيحاً .

اعلان بالقبض على سليمان وود عثمان

في برتي ، بعد مناقـشات حـادة ، مع نائب مدير دنقلا جـودت بك ، قبل الأخير بنشر اعلان للقبض على الأمير سليمان النعمان ود قمر والفقيه الشيخ ود عثمان وهو شيخ ضرير .

ان الاعلان لايشترط ان يكونا حيين أو ميتين لنيل الجائزة الكبيرة . اعتراضـ جودت بك كان مبنياً على انه ، حسب قوله ، كاد ان يقبض عليهما . ولايريد احداً ان ينال الجائزة المالية غيره .

جمع جنرال ايرل مجموعة من الذين يأتون إلى معسكره بحجة انهم هاربون مـن الانصار ، وسلمهم الاعلان لاخذه إلى الخطوط الأمامية . أخذ الرجال الاعلان واتجهوا إلى الأمير سليمان وسلموه أياه مع كل المعلومات التي يحتاج إليها عن طابور النهر .

استمر الانجليز في تجميع قواتهم في المنطقة وتلقى اخبار الثوار . احتلوا القلعـة

القديمة التى على ميسرة النيل لانهـــم كانوا يتوقعون هجوماً مباغتاً من ناحية الصحراء . دعموا قوات القلعة هذه بقـــوات من قوات النهر .

عندما حطم الانجليز برتى

فى الرابع من فبراير أوصل ضابط استخبارات تعليمات من جنرال ايرل لفرقتين من لواء البلاك وتش وللمهندسين الملكيين بتحطيم كل شىء فى قرية برتى .

تحطيم السواقى

لتحطيم السواقى لم يجدوا مشلكة . فاشعال النار فى حبل الدلاء « القواديس » يكفى لحرق الساقية باجمعها . ان الحبل عندما يشتعل يشعل عجلة الدلاء . تستمر النيران من العجلة إلى العمود الخشبى إلى عجلتى التروس الافقية والرأسية وعمود ربطهما . وهذا يكفى لاحالة الساقية إلى كوم رماد .

تحطيم المنازل

لتحطيم المنازل لم يجابهـــوا مشكلة كبيرة رغم قوة منازل برتى . انهم يملكـــون مادة فعالة لتحطيم منازل القرية فى زمن قياسى . المادة هى قطن البارود وهو مادة تختلف عن مادة البارود التى نقلها الأوربيون من كتاب لرجل يدعى عبد الله فى عام الـــف ومائتين للميلاد . وقد كان هذا البارود القديم عبارة عن نترات البوتاسيوم والفحـــم والكبريت . أما قطن البارود الـــذى كان مادة حديثة حينها ، فهو قطن بحق تمـــت معالجته بطريقة بسيطة فى خليط من حامض النتريك وحامض الكبريت المبرد ليصبح « سيليلوز ترينى تريت ».

ان القطن المعالج بهذه الطريقة . تكون تيلته كالقطن العادى ولكنها جافة . يـــتم غسلها بالماء وتترك لحين استعمالها .

ان الانجليز استعملوا مفجر الزئبق لتفجير القطن هذا . بهذه الطريقة فان التفجير يحدث في جزء من عشرة اجزاء من الثانية الواحدة . وهكذا حطموا منازل قرية برتي.

تحطيم النخيل

القضاء على النخيل سبب لهم مشكلة كبيرة . المعاول التي كانت لديهم لاتصلح لهذه المهمة . الالات الوحيـــدة التي يملكونها لمعالجة هذه الشجرة الشرقية كانت الفؤوس . ولكن بعد استعمالهم لها ، وجدوا ان هذه الاشجار الليفية تبلى فؤوسهم بسرعة ولاتقطع شجرة ولاتبقى ظهراً .

اتوا بلواء الكورنوول لمساعدتهم ، واستمعوا إلى رأى أكبر خبراء العالم فى قطع الاشجار ، فهم يسيرون معهم . ان هؤلاء الخبراء هم الرحالة الكنديون الذين اتوا من النهر الأحمر بكندا حيث عملوا فى قطع الاشجار الكندية العالية . استمعوا إلى ارائهم. ربطوا حبالا على النخلة وقطعوا جزءاً من ساقها كما يحدث فى كندا ، ثم بدأت عملية جر النخلة بالحبل لكى تسقط . مالت النخلة خمساً واربعين درجة ، ثم استقامت ملقية بعشرات منهم بعيداً! ! . اهتدوا إلى طريقة أخرى للخلاص من تلك الأشجار . وضعوا اعشاباً كثيرة تحتها ثم أوقدوا فيها النار . احترقت اعداد من اشجار النخل ، ولكنهم لم ينتظروا ليروها تنمو مرة أخرى .جملة ماتمكنوا منه كان مائتين وثمانين شجرة(١) .

خبر الكارثة الذى ودوا الا يسمعوه
الخميس الخامس من فبراير ١٨٨٥

وبينما هــم يحطمون برتي ، وبتلر يستطلع الضــفة اليسرى للنيل ، وكــولفيل فى الضفة اليمنى منه والاين فى النيل نفسه ، ويستقبلون الجواسيس الذين جلهم مــن استخبارات الثوار ، وبينما هم يحققون مع جودت بك فى كيف ضلله سليمان ود قمر وهرب ، تلقوا رسالة بالشفرة من كورتي . هذه الرسالة وصلت بالخط التلغرافى حتى الحماداب واتمت الرحلة بهجين .

---

١ – تقرير ايرل ، اوراق وزارة الحربية . طابور النهر ص ١٢٦ .

فك الشفرة ايرل وبراكنبرى فاذا هي قد كتبت مساء الأمس وتقـــرأ :ـ (٤ فبراير الساعة الثامنة وخمسون دقيقة مساءاً . أمرت بواسطة لورد وولسلى ان اعلمكم بانه لاسفه الشديد ينهى اليكم ان الخرطوم قد وجدها ويلسون فى أيدى العدو . ويلسون فى عودته تحطمت باخرته ، ولكن باخرة أخرى ذهبت إليه . لايبدو انه يواجه خطراً . عليكم بالتوقف حتى اشعار اخر . وود) .

ايرل يتوقف

اصدر جنرال ايرل أوامره بالتوقف فى الثلاث جبهات . قوات القوردون هـــاى لاندرز ، التى كان من المفروض ان تصل إلى برتى ، ارسل إليها رسلا لاخبارهـــا بالبقاء فى غمره . خبر تلغراف الشفرة ظل سراً فى رأس ايرل وبراكنبرى . بتلـــر الذى عاد فى المساء ، ولم يكن يعرف شيئاً عن أوامر التوقف ، أتاهم بخبرين .

الأول انه ذهب مع طفل ليريهم الطريق إلى الشقوق (تنطق الشكوك) . ان الطفل قال له ان الشقوق قريبة جداً « فركة كعب » ولكنه قضى كل اليوم فى قطع ستة اميال أوصله عندها إلى جبل كربكان فارتقاه ، وهناك اشار إليه الطفل بمنطقة الشقوق التى تبعد ميلين من كربكان .

الخبر الثانى ان قـــوات الهجانة المصرية قامت بهجـــوم على قـوة انصار ـ حسب ادعائها ـ وقبضت على اسير وجمال واغنام . عند التحقيق فى الامر ظهر ان الهجانـــة المصريين هاجموا رعاة فى واد صحراوى (١) .

الجمعة السادس من فبراير

اخبر براكنبرى كولونيل بتلر بفحوى التلغراف بناء على أوامـــر ايرل . بعدها

---

١ ـ طابور النهر ص ١٢٩ .

ذهب بتلر إلى غمره ، حيث اقنع جنود القوردون هاى لاندرز بغسل ملابسهم لأول مرة منذ ان لبسوها . بعد ان غسلوها طالبهم برتقها ، فهى لاتصلح للمظهر الاخلاقى . كولفيل على الضفة اليمنى للنيل اتى بصورة صادقة لاستطلاع دقيق قام به .

ذهب كولفيل على جانب النيل ذاك حتى مكان مقابل للشقوق. وجد الانصار يتقدمون من الشقوق إلى جبل كربكان،وان عددهم يقل عن الف وان حملة الأسلحة النارية بينهم مائة وخمسون . (١)

السبت السابع من فبراير ١٨٨٥

قضوا هذا السبت فى جمع الغنيمة التى وجدوها فى جزيرة «عشيشى» ، وهى مطمورة ذرة .

الأحد الثامن من فبراير ١٨٨٥

استمر الجنرال ايرل فى مطالباته القديمة بامدادات أكثر . ان الامدادات التى يطالب بها هى للقوات التى تسير على جانبى النيل ، فقوات الزوارق – وهى القوة الرئيسية – تحمل مأكولاتها على زوارقها لمدة مائة يوم . القوات التى يسحب الجنرال غذاءها هى (٢٩٦٦ رجلا)(٢) . انه ارسل تلغرافاً إلى وولسلى يقول فيه : انه يملك ذرة لمائة واربعين حصاناً ، ولكنه لايملك غذاءاً لخمسمائة وثمانين جملا .

الحيوانات بالطبع قد احضروها الى مزروعات قرية برتى ، وحتى اليوم كادت تقضى على كل شىء .

١ – مخابرات يوم ٨٥/٢/٦ – اوراق وزارة الحربية . طابور النهر ١٣٣ .
٢ – اوراق براكنبرى وكتابه ص ١٣٤ .

أضاف جنرال ايرل فى برقيته : (ان الزوارق مليئة بالقمل الذى يدخـل الى ملابس كـل الجنود وكثير من الضباط) .

ان الجنرال الانجليزى قـد لوى عنق حقيقة فى طب البيئة . وبالقطع بيانه سيكون أكثر دقة لوقال : « ان القمل يدخل الى الزوارق من ملابس كل الجنود وكثير مـن الضباط » !!

اوامر بتقدم الطابور

تلقـى اليوم الاحـد الثامن من فبراير جنرال ايرل برقية مـن لـورد وولسلى تاريخها السـابع من فبراير تقول : (لـورد وولسلى اتصل بالحكومة بخصـوص العمليات الاخرى ومستقبلها ، ويرجـو منكم التقدم الى ابى حمد ، والبقاء هـناك لحين تعليمات أخرى) (١) .

جـنرال ايرل لم يسـتغرب لوجود عمليات حربية أخرى بعد مقتل غـردون الذى حضروا لانقاذه ـ حسب مانشر . انه يعرف انهم اتوا لاحتلال السـودان وتصرف على هـذا النحو مـن البداية . بل انه قد عين أمس جودت بك حاكما على أرض المناصير ، التى لم تكن له عليها سلطة لانها تابعة لمديرية بربر .

الـذى شغل بـال جنرال ايرل هو الاسـباب التى جعلت لـورد وولسلى يعطى قـيادة الاركان لجنرال وود ، ويظهر ذلك جليا فى التلغرافات .
مـاذا حـدث لبولر ؟ لم يعرف بعد .
بعـد تلقيه للبرقية التى تأمره بالتقدم ، اصدر تعليماته الى كل قواته بالتحرك .
قـوات القـوردون هـاى لاندرز تتقـدم بالضفة اليسرى للنيل حـتى برتـى.
لـواء الاستافوردز تغطيها القوات الراكبة تتقدم من القلعة الى نقطة يحددهـا كولونيل

١ ـ تلغرافات طابور النهر ، اوراق وزارة الحربية .

بتلر . لــواء البلاك وتش ولواء الكورنوول يتقدمان غداً بعد وصول اللــواء الأخير إلى القلعة .

قــوات مــدير دنقــلا عليها ان تعبر النيل للضفة اليسرى لاحــتلال بــرتــي. بعــد صلاة الاحــد بالقلعة قــاد كولونيل بتلر كل التقدم . سارت قوات السوارى مستطلعة جــانب النهر الايسر ، لــواء الاستافوردشير يسير فى المقدمة بالنيل الى الشــلال . أمر كولونيل بتلر ان يصنع كولونيل « اير » زريبة فى جزيرة « دولكه » . فى الســاعة الثانية والنصف مــن بعد ظهر الاحد ، رأى كشافو السوارى الثوار فى قمم صخرية من التى مــروا عليها فى الخامــس مــن فبراير وهم مقســمون الى مجموعــات .

اتخــذوا ســاترا وبدأوا اطــلاق النار عليهم ، فانســحب الثوار مــن الطرق . زوارق الاســتطلاع توقفت أيضا واطلقت بنادقهــا على قــوات استطلاع الثوار فى قمم صخور مطلة على النــهر . قدر بتلر عــدد الانصــار الذين ظهروا لهــم بمائتين (١) ، ولكن الذين ردوا على نارهم كانوا عشرة فقط .

ارســلوا مدفعين الى جزيرة دولكه حيث الانصــار يقفون فى مــدى المدافــع مــن تلك الجزيرة .

الاثنين التاسع من فبراير ١٨٨٥

فى تمــام السادسة والنصف صباحا ذهب جنرال ايرل لاستطلاع المــوقــف بنفسه . فى الساعة الحادية عشرة صباحا عبرت قوات مديرية دنقلا النهر لمعسكر مقابل لمعسكرهم بالضفة اليمنى للنهر .

---

١ — تقرير بتلر ، اوراق وزارة الحربية . براكنبرى ص ١٣٦ .

كربكان الارض

ان القمم التى وجـدوا بهـا الثوار هى قمم كربكان . كـربكـان تقـع على ميسـرة نهر النيل ، وتقابلها جزيرة بالنيل تدعـى جزيرة كربكـان وعلى مسافة منها ، داخـل النيل ، جزيرة كبيرة تسمى دولكه . المنطقة كلها صخرية وبهـا مجموعات من الصخور العالية فى شكل تلال . فى خط رأسى مـع النيل تقف أربعة تـلال صخرية ارتفاعها يتراوح بين ثمانين ومائة وعشرين قدمـا . اثنان من هذه التلال يمـر بينهما الطريق الى السلامات .

فى خـط مـواز للتلال الى الخلف ، سلسلة جبلية طولها ستمائة ياردة ، وإرتفـاعها ثلاثمائة قدم . زاوية سقوط السـلسلة الجبلية الى الارض زاوية قائمة تقريبا ، ممـا يجعـل تسلقها ، فى ظـروف قتالية أمرا صعبا . فى قمة السلسلة صخور رخـام بيضاء حـادة كاسنان نمر أفريقى .

هـذه القمـة ، وما جـاورها من قمم التلال الصخرية الاربعة ، من الحدة بشكل لايمكن قـوات كبيرة من البقاء فيها .

معسكر الانصار فى الشقوق (تنطق الشكوك)

بعـد أن اكملت القوة الانصارية المتقدمـة سحب المناصير من قرية بـرتى ، تراجعـوا الى منطقة الشقوق ، حيث ارسلوا مجموعات لايصال النسـاء والاطفال عبر الصحراء الى بربر ، وبعض أخر الى السـلامات ليأخذوا طريقهم الى بـربر مـع بقية عائلاتهم هناك .

رئاسة الثوار بقيت فى معسـكر فى نهاية منطقة الشقوق الجبلية (١) . فى يوم الجمعة السـادس من فبراير ١٨٨٥ ارسل الامير عبد الماجـد نصر الدين أبو الكيلك مـائة

---

١ – براكنبرى ص ١١٠/١١٤ .

واربعين رجلا من حملة بنادق الرمنقتون ، للقيام باستطلاعات قريبة مـن الاعـداء وفى النهاية ، عند تقدم الانجليز ، ان يتقهقروا الى كربكـان لاحتلالهـا (١) .

ان البنادق التى كـانت لـدى هذه القوة كانت قديمـة جدا . فعندما استولى عليها قائد الطـابور البريطانى فيما بعد ، القى منها مائة فى النيل لانها لاتصلح للعمـل وابقى اربعين (٢) .

مهمات القوة

حـدد الامير أبو الكيلك مهمات هذه القوة فى الاتى :-

١ . استطلاع تصرفات طابور النهر وابلاغها الى قيادة القوة المتقدمة فى الشقوق .

٢ . الانسحاب امام العدو حتى جبال كربكان ، وتأخير العـدو هناك حتى يتم اخـلاء قرية السلامات من سكانها وممتلكاتها . فنظرا لكبر القرية فـان عملية الاخلاء اخذت وقتا طويلا. ان اخلاء تلك القرية قد انتهى يوم الخميس الثانى عشر من فبراير ١٨٨٥ (٣) ، وذلك باخـذ جـزء منهم الى ارض الرباطاب والجزء الاخر الى الصحراء فى طريقهم الى بربر .

قوة الاستطلاع والتأخير الثائرة فى كربكان

اختار الامـير عبد الماجد نصر الدين أبو الكيلك ، الامـير موسى ابا حجـل قـائدا لقوة الاستطلاع والتأخير هذه .

تقـدم الامير موسى حتى مسـافة قريبة من برتى ، وجعل يتراجع أمـام تقـدم الطابـور الانجليزى الى أن وصل الى جبال كربكـان .

١ - اورق وزارة الحربية . طابور النهر ص ١٧٤ .

٢ - براكنبرى ص ١٨٦ .

هـــناك قســـم جنوده الى قسمين متســـاويين . القسم الاول وقدره سبعون رجـــلا من الرباطاب والمناصير أخذه الى السلسلة الجبلية ، ونظـــرا لقلتهم فقد وضعهم فى جانب السلسلة المقابـــل للنيل والمشرف على الطـــريق الى السلامات . بقية القوة وهى أيضا سبعون رجـــلا من الرباطاب والمناصير ارســـلهم الى تلال كربكـــان الاربعة بالتقسيم التالى .

التـــل الاول المجاور للنيل وضع به خمسة وعشرين رجلا .
الـــتل الثانى من ناحية النيل وضع به خمسة عشر رجلا .
الـــتل الثالث وضع به خمسة عشر رجلا .
الـــتل الاخير المجاور للسلسلة وضع به خمسة عشر رجلا .

فى يوم الاحـــد الثامـــن من فبراير ١٨٨٥ ، ارسلت غذاءات الى القوة فى كربكان مـــن القيادة فى الشقوق . شملت الغذاءات للمائة وواحد واربعين رجلا (بما فيهم الامير موسى) مأكولات المنطقة من القمح والتمر ، ومأكولات لحميرهم وخـــيل بعضهم التى أوقفت شرق السلسلة الجبلية ، لتسهيل رجوعهم فى آخر لحظة ممكنة .

احضرت الامداد الغذائى قوة من حملة السيوف والرمـــاح ، ومعها شـــيوخهم ، الشيخ على حسين – ابن عم الامير عبد الماجد ، والشيخ حامد نصرالدين ابو الكيلك – أخ الامير عبد المـــاجد – ، والشيخ عبد الماجد مـــن المناصير .

بعـــد ان تسلق هؤلاء الرجـــال الجبال هذه لايصال الغذاءات وتشجيع المـــرابطين ورؤية القـــوات الانجليزية المتقدمة ، رجعوا فى نفس اليوم الى المعسكر الرئيسى فى الشـــقوق . ان بقاءهم غير مفيد ، لانهم من حملة الاسلحة البيضاء ، وهذه القوات ترابط على ارتفاعات لاتصلح معها هذه الاسلحة لضرب عدو تحتهم بمسافات طويلة. فى اليوم التالى – الاثنين التاسع من فبراير ١٨٨٥ ، اتت امدادات أخرى من الأغذية ورجعت المجموعة التى اتت بها .

اختيارات جنرال ايرل فى كربكان

في يوم الاثنين التاسع من فبراير ١٨٨٥ ، قـــام جنرال ايرل بالاستطلاع بنفسه نسبة الى المعلومات المتضاربة والمعلومات المضللة التى ترد اليه من كل فـــج .

رأى ايرل بعينيه الانصـــار الذين يحتلـــون التلال الصخرية المقابلـــة للنيل وفى السلسلة الجبلية . قـــدر القوات التى بهـــذه المناطق بانها بين ثلاثمائة واربعمائة رجل . ورأى ان هـــذه المنطقة لاتتحمل رجالا كثيرين ، ولكـــن ربما كانوا مختبئين خلف هذه التلال .

وعليه قـــرر الجنرال الانجليزى ان هناك أربعة احتمالات للهجوم وهى :

١ . ان يقـــوم بهجوم مباشر على التلال الصخرية بمساعدة المـــدفعية فى جزيرة دولكه . ولكن هذا سيكلف ارواحا كثيرة ، كما ان الثوار يمكنهم الانسحاب الى الشقوق .

٢ . التقدم بالوادى الذى بين السلسلة والتلال الاربعة ، وفى هذه الحـــالة قـــد يقوم الثوار بالانسحاب خوفا من التطويق .

٣ . الهجوم المباشر على السلسلة الجبلية ، وبعد ارتقائها يمكن ضـــرب التـــلال الاربعة من ارتفاعها العالى . بعد اطلاق النار عليهم من السلسلة ، يمكن تغطية قوات ترتقى التلال الاربعة .

٤ . التحرك خلف السلسلة الجبلية مختبئين عند ســـيرهم بالصخور ، للهجـــوم من الخلف على السلسلة والتلال .

الاختيار

فى تمام الرابعة ارسل جنرال ايرل كولونيل بتلر لاستطلاع طريق الهجوم الرابع .

قـــام بتلر بالمهمة ، وعندمـــا عـــاد قـــال الجنرال ان هـناك طريقا يأخـذهم الى واد خلف السلسلة دون ان يراهم الثوار ، والوادى يدور حول السلسلة ، ويمكن السير فيه لتطـــويق الانصار .

وقـــال (وطالمـــا كان العدو قليلا فيمكن الهجوم عليهم صباحا (١)) . حتى المساء كـــان الجنرال قد أعـــد كل مايلزم لمعركة الغد من جنود ومستشفى ميدان وأسلحة. انه ســيقوم بالهجوم حسب الاختيار الرابع .

الاعـــــداد

أعـــدت على طـــول الليل القوات الاتية :ـ

١ . لـــواء الاستافوردشير .

٢ . لـــواء البلاك وتش وهو الذى يسمى بالرويال هاى لاندرز .

٣ . ســـلاح الهجانة المصرى .

٤ . طـــواقم مدفعية .

٥ . باخـــرة حربية « مونارك » وتسمى فى حالات أخرى باسمها العربى «ملك» .

وضعوا بالباخرة مدفع قاتلنق وطاقم من مدفعية سلاح البحرية الملكى البريطاني.

٦ . قسمان لمســـتشفى ميدان .

٧ . السوارى يقودهم كولونيل بتلر .

العتـــاد والقادة

١ . مـــدفع قاتلنق .

---

١ - براكنبرى ص ١٤١ .

٢ . ٢ مدفع ميدان ٧ رطل بطبجيه مصريين .
٣ . بنادق مارتيني هنرى .
٤ . كل مدفع يتبعه جملان محملان بالذخيرة – يعنى مائة دانة لكل مدفع ميدان.
٥ . كل جندى يحمل ستين طلقة .
٦ . ذخيرة احتياطى ، لكل كتيبة جملان أى أربعة الاف وثمانمائة طلقة .
٧ . القادة ، وقادة الكتائب ، وضباط الاجنحة ونواب القادة يكونون راكبين.
٨ . لكل كتيبة ثمان نقالات يحملها ستة عشر رجلا مع أربعة أخرين احتياطى.
٩ . كل مستشفى ميدان يتبعه جملان .
١٠ . جملان يحملان مياه الشرب للجرحى يكونان تابعين للسلاح الطبى .
١١ . جملان يحملان مـــاءاً للجرحى أيضا ولكن يسيران مع المشاه .
١٢ . يذهـــب مع القائد :–

أ . ميجور جنرال براكنبرى .
ب. ميجور بويل .
ج. ميجور سليد .
د . كابتن بيومونت .
هـ . ليوتنانت سنت اوباين (ياوره) .

١٣ . كولونيل « الاين » يقود فرقتين مـــن لواء الاستافوردشير مـــع مـــدفعين لاحتلال ارض عالية بين الزريبة والتلال الاربعة .

١٤ . مدفع القاتلنق بالباخرة « ملك » سيكون تحت قيادة كولونيل « ايـــدن » .
١٥ . باخرة الامـــداد الاخرى « نصيف الخير » ستكون بالقرب من الباخرة ملك.

قوات عربية اشتركت

اعـــداد القـــوات شمل مصريين وسورى . المصريـــون يتبعون لسلاح الهجانة

المصرى الـــذى قام بدور فى المعركـــة وكذلك يتبعون للطبجية المصريين الذين كانوا مع الطـــابور . السورى كان واحدا وهو الطبيب ، دكتور خليل أفندى خيرالله ، فقد كان يعمل بالجيش المصرى واتبع لحملة النيل، وبعد كورتى اتبع لطابور النهر (١).
الضباط المصريون الذين دخلوا فى هذا الاعداد هم :

١ . يوزباشـــى حسن أفندى رضوان .
٢ . مـــلازم ثانى محمد أفندى محمود .
٣ . مـــلازم أول أحمد أفندى حافظ .
٤ . يوزباشى محمد أفندى حامد .

الجنود المصريون الذين اشتركوا فى هذا الاعداد :ـ

١ . خمسون طبجيا مصريا من مجموع مائة وخمسين ، معهم مدفعان من مجموع ستة مدافع . اشتركوا تحت قيادة كولونيل الاين .

٢ . سلاح الهجانة المصرى ،انه أول لواء كونه الانجليز بعد حل جيش عرابى. اضيف الى لواء الهجانة ثمانية عشر فارسا مصريا (٢) . الهجانة والفرسان المصريون اشتركوا فى أحداث كربكان ولكن دورهم كان ثانويا ولم يرد الثوار على نيرانهم ، لانها كانت غير مؤثرة فيهم . فدور الهجانـــة والفرســـان كان لحراسة واجهة السلسلة .

أيضا لم يرد الانصار على الطبجية المصريين ومدفعيهم ، لان دورهم كان لتضليل الانصار لكي لايلتفتوا الى قوات التطويق ، وضربهم كان غير مؤثر .

خطة الهجوم

خطة الهجوم على قوات الثوار على جبال كربكان كانت تتكون من عدة محاور :

١+٢ – شقير ص ٨٨١و٨٨٦ .

١ . المحـــور الاول : في ناحية النهر ، كـــولونيل ايدن يبدأ في قصف قمم التلال الاربعة ، وأي عدو اخر على النهر . يبدأ هذا القصف بعـــد ان يكون كولـــونيل ايدن وميجور « ساندوتش » قد وضعا فرقة من لواء البـــلاك وتش في زريبة الطابور التي تبعد من التلال الصخرية بحوالى كيلومتر . ويجب ان يتأكدا من ان الحيوانات قد وضعت في مكان منخفض من ضفة النيل اليســـرى تحت حراسة الزوارق البريطانية التي ستكون محملة بكل محمولاتها الاصلية . قصف كولونيل ايدن سيكون بمدفع القاتلنق الموجود بالباخرة تَملك.

٢ . المحـــور الثاني : فرقة من لـــواء الاستافوردشير ، مـــع فرقتين من لـــواء البلاك وتش ، مـــع مدفعي ميدان –٧ رطل– والخمسين طبجيا مـــصريا ، بقيادة كولونيل « آلاين » يحتلـــون مكانا عاليا يبعد من الزريبة باربعمائـــة ياردة ويقصفون التلال الاربعة . يبدأ القصف في الساعة السابعة صباحا .

٣ . المحـــور الثالث : قوات الهجانة المصرية وفرسانها التابعـــون لها سيكونون في واجهة السلسلة الجبلية ، وعلى أقل بعد منها يكون به ساتر ، ليمنعوا أي تقدم يقـــوم به الانصار ، لو ارادوا النزول من السلسلة في ذلك الاتجاه .

٤ . المحـــور الرابع : هذا المحور الرئيســـى ، وهو محور تطويق . يقود المحور جنرال ايرل وقيادته . قواته تتكـــون من :–

٦ فرق من لواء الاستافوردشير .

٦ فرق من لواء البلاك وتش .

جمال نقل ذخيرة احتياطي وجمال مستشفى ونقالات وضعت بين فرق اللواءين ١-- سرية سوارى تحت قيادة بتلر تتقدمهم وتكون بينهم والجبال .

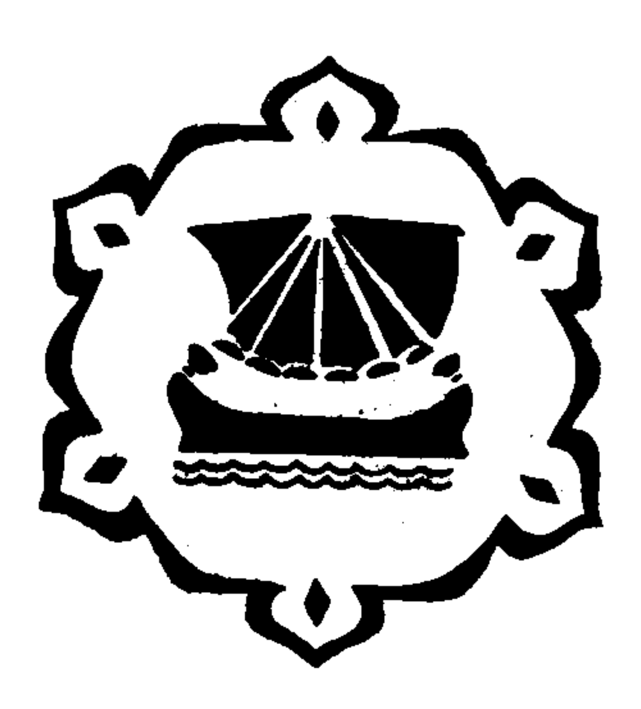
الحكومة البريطانية تكشف مهمة حملة النيل

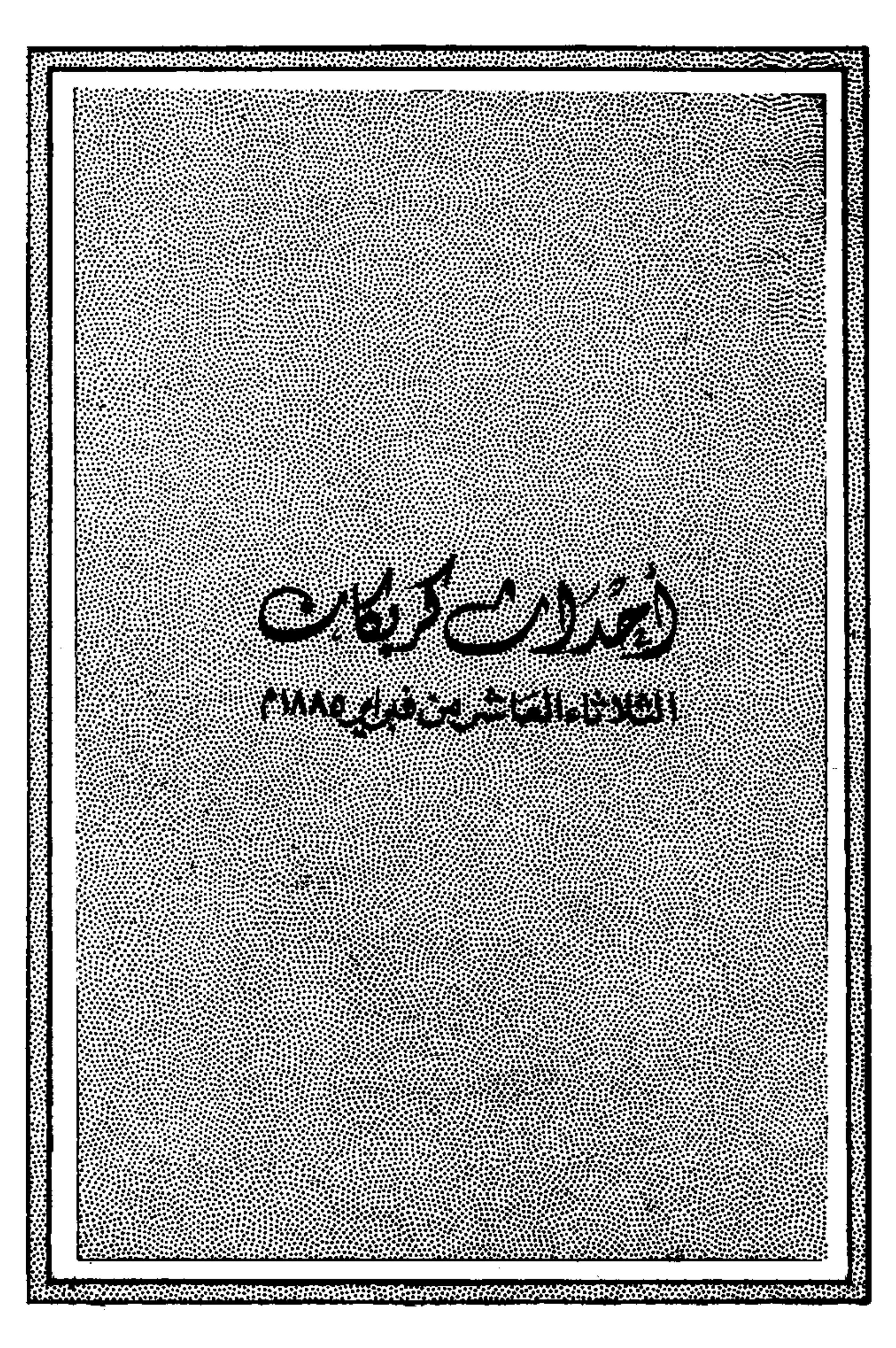
في الساعة الثالثة من مساء الاثنين التاسع من فبراير ١٨٨٥ ، وصلت الى الجنرال

ايرل البرقـية التالـية من وولسـلى بكورتى : (الساعة التاسعة صباح الثامن مـن فبراير . قـررت الحكومة ان قـوة المهدى فى الخرطـوم يجب ان تسقط. وهـذا أكثر الظن ، يعنى بقـاء كل القوات حتى الشتاء القادم فى السـودان . قوة كبيرة من كل الاسـلحة سوف تتوجه الى سواكن فى أسرع فرصة ، لسحق عثمان دقنة . عليكم الاستيلاء على بربر . بولـر سوف يحتل المتمة الان . دعنى أعـرف مسـبقا الوقـت الذى تحسبونه للوصـول الى بربر لكى تتعاون معكم قـوة بولر . اللورد وولسلى(١)) .

بعد وصول البرقية بساعتين وخمس واربعين دقيـقة ، وصل خطـاب طويل من لورد وولسلى ، كتب بالشفرة وتاريخه ، الساعة الثانية ظهـر السابع من فبراير . قـام براكنبرى بحـل رموزه لساعات طويلة من الليل . انه يرد على الاسئلة الـتى رفعها جنرال ايرل الى لـورد وولسلى ، والاخير رفعها الى حكومـته ، والان قد ردت بريطانيا عليها . انها كلها اسئلة تتعلق بنية الحكومة البريطانية . وقد أوضـح التلغراف السابق هذه النية .

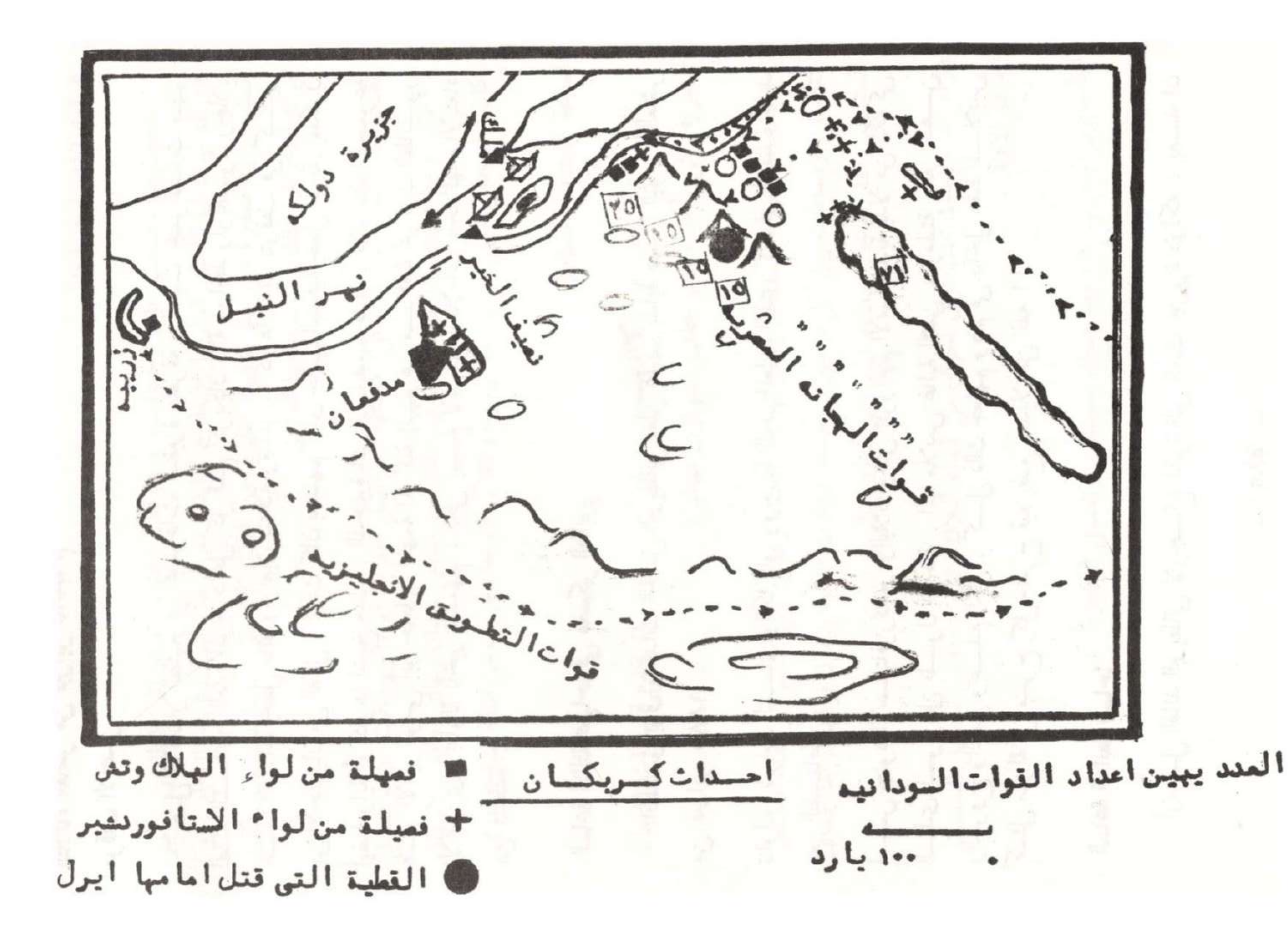
١ – طابور النهر ص ١٤٩ .





أحداث كريكات

الثلاثاء العاشر من فبراير ١٨٨٥م


جزيرة دولكة
نهر النيل
زريبة
مدفعان
قوات التطويق الانجليزيه
٣٥
١٥
٢٥
١٥
٧١
احداث كـريكـان
العدد يبين اعداد القوات السودانيه
١٠٠ يارد
فصيلة من لواء الهلاك وتش
فصيلة من لواء الاستافورنشير
القطية التى قتل امامها ايرل

احـــداث كربكان

الثلاثاء العاشر من فبراير ١٨٨٥م

موقف الانصار

صلى الانصار الصبح فى مجموعات صغيرة متفرقة . ذهبت مجموعـــات منهم لصنع الشـــاى . العدد الموجود على كل قمم كربكان مائة وواحد واربعـــون رجلا. هـــذا العـــدد يحمل مائة واربعين بندقية رمنقتون أكثرها قديم يتوقف فى كـــثير من الأحـــيان من العمل ، لذلك كان بعضهم ، الى جانب البندقية يحمل حربة. يملكون أيضا راية أوكلوها لشيخ مسن . الذخيرة التى فى ايديهم قليلة . قائد هذه المجموعة هـــو الامير موسى أبو حجل . المهمة الموكلة إليهم هى مـــراقبة تحركات الطابـــور الانجليزى ومحاولة تأخير تقدمهم ، لكى يسمح لاهـــل السلامات بأخلائها والإبتعاد من المنطقة .

الساعة الثالثة صباحا فى معسكر الطابور

انطلـــق بوق وحدات الجيش البريطانى يعلن عليهم بداية هـــذا اليوم ، العاشر من فبراير ١٨٨٥ .

تناولـوا شراب الشـــاى والكاكاو ووجـبة اللحم المعلب الـذى كان فى حالـــة تجمد مع البقسماط .

لـــبس جنود الاســـتافوردشير والبلاك وتش تنوراتهم الاسكتلندية بدلا من الكاكى الـــذى لبسوه على طـــول الرحلة . انها ملابس غالية الثمن ، ومليئة ببقع الدهـــن والشروخ والقمل وعـــدم الكى . كـــل ذلك جعلهم وهم فى داخل هذه المـــلابس كممثلى مهزلة فى مسرح كل متفرج فيه يضع منديلا على انفه !!

الساعة الرابعة صباحا

أرســـل القائد البريطانى لارجـــاع القوة التى نامت بجزيرة دولكه ، بعـــد ان

قـــتل الثوار منهم واحدا باصابته بطلق نارى من جزيرة خلفها .

الساعة الخامسة صباحا

الجمـــال وضعت عليها احمالهـــا ، ووقف الجنود لاستعراض الطابور . أمر جنرال ايرل ليوتنانت كولونيل (مقدم) ايدن مع فرقة واحـــدة من البلاك وتش بصنع زريبة صغيرة على بعد كيلومتر تقريبا من التلال الاربعة . أيضا ســـتكون تحت امرته الباخرة « ملك » ومـــدفعها القاتلنق .

القـــوات البحرية وضعت فى أمكنتها . أرسل جنرال ايرل ليوتنانت كولونيـــل « آلاين » مع فرقتين من لواء الاستافوردشير مع مدفعى ميدان ومائتى دانة ، لارتقاء مكان عال بعض الشيىء ، يتوسط الزريبة والتلال الاربعة وقريب من ضفة النيل اليسرى.

الساعة السادسة صباحا

الســـوارى تقف فى مكان مسطح من الأرض ، وبـــدأ تقدم قـــوات الهجانة المصرية لكى تأخذ مكانها خلف السوارى مباشرة .

يمين الهجانة وقفت ســـت فرق من قوات الاستافوردشير على طـــوابير تقدم بنصف كتائب ، ومسافات بين كل فرقتين . حـملة النقالات الطبية يتبعون فرقهم . أما جمال المستشفى ونقل الذخائر والمياه فهى تسير خلف الفرق الست .

وراء كـــل ذلك ست فرق أخرى من لـواء البلاك وتش ، بنفس تشكيل الســـت الفرق الاولى .

الطـــابور اليسارى تقاد معه جمال المستشفى ونقـــل الذخيرة .

منع المراسل الحربى

فى تمـــام السادسة وخمس واربعين دقيقة أرســـل جنرال ايرل نائبه براكنبرى لكى يحمل الى المراسل الحربى الوحيد الذى صحب الطابور وحضر مـــع قـــوات القوردون هـــاى لاندرز ، وهو ليس انجليزيا ، قراره (بانه نظرا الى الحاجة الى الاقتصاد فى كـــل الغذاءات للانسان والحيوان ، ونســـبة الى ان كل الـــزوارق وحاجتنا إليها فى حـــمل المرضى ، فاننا لن نسمح لاى مراسلين مـــدنيين لصحبة الطابور (١)) . عرف المراسل ان الجنرال يريد اختلاق معركة ضخمة .

الساعة السابعة صباحا

بـــدأت دانات مـــدفعى الميدان تقصف التلال الأربعة وأيضا السلسلة الجبلية . قـــوات الطابور بـــدأت تحركها بقيادة كولونيل بتلر ، متخذة طـــريقا شبه دائرى لتطـــويق السلسلة الجبلية والاربعة تلال . الاتجـــاه فى الميل الاول كـــان على أرض صلبة ، بعدها وصلوا الى واد رملى جعل المشى بطيئا ومـــرهقا .

الساعة الثامنة صباحا

اتجهت قـــوات الهجانة الى مواجهة السلسلة الجبلية وتوقفت خلف ســـواتر صخرية على بعد مائة وعشرين يـــاردة من قدم السلسلة .

فى الثامـــنة والنصف توقفـــوا لاصـــلاح خطوط الطابـــور ، وتلقى تقرير مـــن اســـتطلاع قامت به الســـوارى . حتى هـــذه اللحظة فان قـــوات الامير مـــوسى ابى حجل لم تر هـــذا التقدم لتطويقها . ان ايرل استطاع ان يسير فى طريق لايبين الســـائر فيه للرائى من السلسلة الجبلية أو التلال الاربعة . السبب فى ذلك بالطبع كثرة

---

١ — براكنبرى ص ١٥٤ .

التشكيلات الصخـــرية فى المنطقة . ان الامير موسى لم يرد على نيران فـــرقــتى الاستافوردشير والمدفعين اللذين على بعد ستمائة ياردة تقريبا منه . ان نيرانهم كانت غير مؤثرة عليه فى موقعه ذاك خلف الصخور .

عندما عـــادت قـــوات الاستطلاع بقيادة بتلر ، قـــال قائدها للجنرال الانجليزى (ان الانصار عـــددهم بين المائتين والثلاثمائة (١)). وفى استطلاع أخر بعد دقائق قـــال للقائد (ان الانصار ينسحبون) (٢) .

الساعة التاسعة صباحا

وصلـــوا النهاية الشرقية للسلسلة ، استداروا حـولها فى زاوية حادة الى اليســـار . فى الســـاعة التاسعة والربع رأى الامير موسى أبو حجل تقدمهم لاول مرة، ففتح عليهم نيران بنادقه . أول دفعة رصاص اسقطت ثلاثة جنود انجليز . أمر ايرل كـــل الطـــابور باتخاذ ساتر .

الساعة العاشرة صباحا

من مخبئه خلف الصخور ارسل ايرل فرقة مـــن لـــواء الاستافوردشير لاحتلال هضبة ليست عالية امامه ، وأمر فرقة أخرى من نفس اللواء لكى تتبعثر خلف الصخور التى الى يســـار الهضبة . عندمـــا اتخذوا مـــراكزهم بـــدأوا اطـــلاق النار عـــلى الانصار فى السلسلة حتى يخفضوا رؤوسهم ، ويمكنوا جنرال ايرل من التقدم مـــع قواته . اختفى الانصـــار خلف الصخور ، فتقدم ايرل وقوته مائتين وسبعين مترا تقريبا ، حـــيث وجد واديا به هضبة صخرية . وضع هـناك فرقة أخرى مـن لواء

١+٢ – براكنبرى ص ١٥٦ .

الاستافوردشير لكى تطلق النار على السلسلة . تبادل النيران أصبح عنيفا .

الساعة الحادية عشرة صباحا

أرســل جنرال ايرل كولونيل « ايبر » مع فرقتين من لوائه – الاستافوردشير – لكــى يتسلق السلسلة الجبلية من كتفها الغربى .

واجــه كولونيل ابر نيرانا حــامية وهو يتسلق الى ثلث الطريق حيث وجد ساترا جزئيا فــوضع عليه قــواته التى فقدت الكثير . استمر ضرب الانصار فى السلسلة على الفرقتين حــتى الساعة الواحدة وعشر دقائق . وقد قتل هــنا قائد الفــرقتين كولونيــل « ابر » وهــو أيضا قــائد لواء الاستافوردشير ، ضرب بطلقة استقرت فى قلبه . ايضا أصيب ضابطــان هما كابتن « هورس برا » وليوتنانت « كولبورن ». خســائرهم فى الجنود كانت عالــية جــدا ، وذخيرتهم كادت ان تنفد . بقــى لكل جندى اربع طلقات احتفظ بها .

وصلت فرقتان مــن لواء البلاك وتش كان قد ارسلهما جنرال ايرل الى هضبة تقابل التلال الاربعة منذ العاشرة والنصف . من ارتفاعهم ذاك استطاعوا رؤية النيل على بعد خمسمائة متر تقريبا . رأوا أيضا ان الانصار ينسحبون من هناك الى النيل حــيث يعبرونه سباحة رغم وجود الباخرة ملك ومدفعها .

فــى تلك اللحظــات كان الامير موسى ابوحجل يأمر كل جندى انتهت ذخــيرته بالنزول من السلسلة فى ناحــية النيل وبعد الوصول إليه ، السباحة الى الضفة الثانية . انزل تسعة رجــال انتهت ذخيرتهم واستمر يقاتل مع من يملك ذخيرة .

القــوات الانجليزية مستمرة فى تطويقها ، وقوات الامير مــوسى تصطاد بما تبقى لهــا من رصاص فى هذه القوات .

مـــدفعا الميدان ومـــدفع القاتلنق بالباخرة توقفت عن الضرب خوفا من اصابة جنود الطـــابور الذين طوقوا الجانب المقابل لهم .

لاكمـــال تطويق القوة الثائرة لكي لاتنسحب ارسل جنرال ايرل فرقتين من لـــواء البلاك وتش الى ضفة النيل لحراستها ، واطلاق النار على التلال الاربعة التي امـــامها . أصـــبح جليا ان المقاومـــة الوحيدة تأتي مـــن قمة السلسلة الرخامية عند الركـــن المقابل للتلال الاربعة ومن التلال المذكورة فقط . الســـبب في ذلك ان ايرل كـــان كلمـــا تقـــدم نحو النهر ، سحب الفرق التي كـــان يضعها لكي تقوم بعملـــيات التغطية لتقدمه .

هـــذا التقدم ســـاعد كثيرا الامير موسى – الـــذى جف معين قواته تقريبا مـــن الذخيرة ، في ان يتقدم الى طـــرف السلسلة المقابل للتلال الاربعة ، لكي يتقاسم رجاله الذخيرة المتبقية عند اخوانهم هناك . ان الامير اقتنع بان قوات الهجانة المصرية لـــن تحـــاول ارتقاء السلسلة ، لذلك لم يضع ذخيرته في ضربهم .

الفـــرق التي بقيت لـــدى جنرال ايرل الان ثلاث فرق استافوردشير وأربع فرق من لواء البلاك وتش . ارســـل الاربع الفرق الاخيرة لكي تتجه يســـارا وتسير نحو التلال الاربعـــة . نيران الانصار كانت حامية فمنعتهم من التقدم . وهنا وجـــــد جنرال ايرل نفسه ملزما بتغطية تقدمهم .

فـــي تمـــام الحادية عشرة والنصف ارسل فرقتين من لـــواء الاستافـــوردشـــير لارتقـــاء تل على بعد ثمانمائة يـــاردة من التلال الاربعة لضربها مـــن هناك ممايتيح تغطية لتقدم فرق البلاك وتش الاربع ، نحو انصار التلال . تمكنوا بهذه الطريقة مـــن السير بين مجموعات صخرية الى ان أصبحوا على بعد اربعمائة ياردة من الانصار ، فأصبحت الارض مكشوفة والرصاص القادم من الثوار جيد التصويب . ان قلـــة الذخيرة حملتهم على الضرب الدقيق .

ابرل ارســل الفرقة الباقية له من لــواء الاستافوردشير الى النيل ، حيث هناك فرقتان مــن لــواء البلاك وتش ارسلهما قبلا . بهــذا التدعيم الجديد للقوة التى على ضفة النيل ، طلب منهم التقدم لاحتلال التل الاول المقابل لهم.

قــامت فرقة الاستافوردشير بضرب التل الاول المقابل لهــا لتمكن فرقتى البلاك وتش مــن ارتقاء التل . استمر تبادل اطــلاق النار بين قــوات التل وفرقة التغطية الى ان نفدت ذخيرة الثوار .

الساعة الثانية عشرة منتصف النهار

عندما ارتقت الفرقتان من لواء البلاك وتش التل الاول بقيادة كولونيل «قرين» ، القى الثوار بنادقهــم التى فقدت الذخيرة ، واندفعوا نحوهم بايديهم وبقليل مــن الحراب التى كانت لديهم . قام الجنود الانجليز بضربهم بالرصاص . سبعة كــانوا لايحملون حرابا امرهم اخوتهم بالنزول الى النيل وعبوره ، وقد نجحوا فى ذلك .

بوصول فــرقتى البلاك وتش الى قمة التل الاول ، بدأوا ضرب التلين المجاورين. الانصار فى التلين أيضا ذخيرتهم نفدت أو اشرفت على النفاد .

قــام الانجليز الــذين بالتل الاول بتغطية تقــدم الاربع الفرق من لواء البلاك وتش لارتقاء التل الثانى والثالث على مــوسيقى القرب .

عبروا المنطقة الكاشفة وارتقــوا التلين ثم التل الاخير بمقاومة يدوية من الثوار الذين فقدوا ذخيرتهم . حــاربوا جميعا بايديهم او بما تيسر لهم من حراب الى اخر رجل فى تلك التلال الثلاثة ما عدا رجلين بقيت لهما طلقة واحدة اقسما الا تضيع هدرا .



معركة كربكان ـ القطية التي على يسار الصورة هي التي ضرب منها جنرال ايرل .

الساعة الثانية عشرة والنصف ظهرا

الانصار يقتلون الجنرال البريطاني الخامس

قيادة الجنرال ايرل وصلت في الثانية عشرة والنصف الى الطريق الذى يقود الى الشقوق ، ويقع بين التل الثاني والثالث . الاربع الفرق من لواء البلاك وتش على قمتي التلين للقضاء على جيوب المقاومة .

ايرل وقيادته تفصلهم من الارض شبه المكشوفة صخرة ضخمة . الى جانب الطريق الذى يسيرون عليه « قطية » مبنية من الحجر صغيرة ، وسقفت باعشاب القمح. تقدم جنرال ايرل ووراءه رئيس اركان حربه ميجور جنرال براكنبرى وياوره وكبير جراحيه ورقيب وعشرة جنود . كانوا على بعد ثلاثين مترا من القطية ولكن خلف الصخرة الكبيرة . في داخل القطية انصاريان وبندقيتان وطلقة واحدة . الثائران يفكران ويتصرفان بثقة تامة . رسما الخطة للاستفادة القصوى من المقذوف الوحيد الذى بقى لهما . بدآ يراقبان الموقف من نافذة القطية الصغيرة .

لفتت القطية نظر الجنرال ايرل ، فاراد التوجه اليها . العشرة الجنود التابعون للواء البلاك وتش ، الذين كانوا يفصلون بين الجنرال والقطية استمروا في التقدم امامه . اتجه الجنرال ايرل نحو القطية ، ولكن قبل ان يتقدم خطوتين رفع رقيب البلاك وتش صوته إليه قائلا : (سيدى ، هناك عدد كبير من الرجال في تلك القطية ، وقد ضربوا واحدا من رجالنا قبل قليل) .

امر الجنرال بحرق السقف . قال جندى : ولكن قد تكون بالقطية ذخائر . اطلقوا عدة أعيرة نارية على القطية عبر بابها المفتوح ، ولكن لم ينفجر شيء . قال الرقيب لاحد جنوده : تقدم من الخلف لاشعال النار في السقف . بعد دقيقة واحدة كان السقف مشتعلا . استمرت النيران تدمر عشب السقف الجاف . اتت النيران على ثلث السقف . اندفع احد الانصاريين خارج القطية مبديا الرعب من النيران

التى فوق قمة القطية . كان لايحمـل سلاحا ، للملك لم يطلقوا عليه النار ، وانمـا تلقـوه بعشر سنج ، القته فى بحـر من دمائه . استمرت النيران فى السقف الى ان قضت عليه . سقط السقف مشتعلا بداخل القطية . . . . . . لم يحدث شيء. اقتنع الجنرال ان القطية لاتأوى ثوارا ولاتحفظ ذخيرة فتقدم . . أصبح على بعد عشرين مترا . . على بعـد خمسة عشر مترا . . على بعـد عشرة امتار . . على بعد تسـعة امـتار والساعة الان الثانية عشرة وخمس واربعون دقيقة من بعد ظهر العاشر مـن فبراير عام ١٨٨٥ ، حـدث انفجار مقذوف من بندقية رمنقتون قديمة متآكلة المؤخرة الخشبية . مـرت خمس ثوان قبل ان يلاحظ الطبيب ونائب القائد والياور شـيئا . سقط الجنرال ايرل وبدأت الدمـاء تخرج من رأسه بغزارة .. بعد خمـس دقائق كان قائد طابور النهر قد فقد الحياة امـام نائبه ميجور جنرال براكنبرى ويـاوره ليوتنانت سنت اوباين وكبير جراحيه ميجور هارفى ورقيب وعشرة جنود ، مـن مقذوف انطلق الى رأسه من نافذة القطية(١). الثائر الذى أطلق الرصاصة كانت النيران قد اتت على جزء كبير من جسمه قبل ان تصبح الظروف مواتية له لاطلاق رصاصته. حضروا لرؤية من اطلق الرصاص ، لم يجدوا احدا ، بل الشهيد قد أصبح كومة فحم ! ! انه الجنرال البريطـانى الخامـس الـذى يصاب اصابة قاتلة فى حرب بريطانيا مع الثورة المهدية السودانية .

ميجور جنرال براكنبرى يتسلم القيادة

آلـت القيادة الى ميجور جنرال (لـواء) براكنبرى . لم يضع زمـنا فـى النواح على قائده ، وانمـا حـاول التصرف وكأن شيئا لم يحدث ، لكى لايؤثـر على الـروح المعنوية لقـواته . ان الضباط والجنود بدأوا يشعرون بالالم ، ان مجموعة اعـراب قليلة كهذه ، قتلت قائدهم جنرال ايرل ، وقائد لواء الاستافوردشير

---

١ – اوراق وزارة الحربية . طابور النهر ص ١٦٢ .

كـــولونيل (عقـــيد) اير ، وكولونيل لـــواء البلاك وتش كوفنى ، وكوكبة أخرى من خيرة رجالهم . ان الشعور لم يكن الغضب بقدر ماكان الاخفاق . فلو ان مجموعة صغيرة كهذه فعلت هـــذا ، فماذا ستفعل فيهم الجيوش التى سيلاقونها فى المستقبل القريب ؟ ان ماسمعوه عن هؤلاء العـــرب المتعصبين الشرسين ، بدأ حقيقة تتراءى امام عيونهم تماما .

وضع اللـــواء براكنبرى فرقتين من لواء البلاك وتش على الهضبتين اللتين قتل ايرل بينهما لحراستهما . انتدب كولونيل « بيل » الذى الت إليه قيادة لـواء الاستافوردشير وطلب منه ان يجمع بقية فرق لوائه ، لكى يعالج الخطأ التكتيكى الذى ارتكبه الجنرال ايرل بارســـال فرقتين لتســـلق كتف جبل دون غطاء . ان قـــوات كولونيل اير (فرقتين) التى فقدت قائدها وجرح لهـــا رائد ومـــلازم وفقدت كثيرا من جنودها، لازالت مختبئة وراء صخور من الساعة الحـــادية عشرة والربع ولايملك الجندى بهـــا أكثر من اربع طلقات تبقت له فاحتفظ بهـــا .

اخـــذ كولـــونيل « بيل » بقية فرقـــة الاربع ، وجعـــل يغطى تقدمه بنيران فرقتين ويقـــدم فرقتين الى ان وصل الى قـــوات كولونيل اير فمدهم بذخيرة ، وجعـــل يرتقـــى الجبل بنفس الطريقة . ســـاعده على أسلوبه ذاك انتهاء ذخيرة الامير موسى ابى حجل ورجاله فى أعلى مقدمة السلسلة . عندما وصلـــوا الى القمة دخلوا معهـــم فى عـــراك يدوى الى ان استشهد الامير ومن معه .

الساعة الواحدة بعد الظهر

كولـــونيل بتلر قضى اليوم مع السوارى فى المنطقة القريبة من النهر ، بحجـــة انه يطـــارد الثوار الذين يحاولـــون عبور النهر . فى الواحدة والنصف وجـــد مدخل ممر الشقوق ، ولكن الثوار الذين كانوا لايزالون يقاتلون فوق السلسلة ولديهم بعض ذخائر ، اطلقوا عليه عـــدة طلقات عندما اقترب من المدخـــل الذى به زريبة صغيرة

فيها بعض حمير وخيل اتوا بهـــا واعلام . لم يتوقف بتلر ليرد على النار ، وانمـــا أسرع الى القائد يطلب منه ان يأمـــر قوات الهجانة المصرية بالقدوم لاخذ الحيوانات ، ولكن براكنبرى رأى ان الموضــــوع تافه فلم يرسل الهجانة .

الهجانة المصرية بقـــيادة ميجور مــــاريوت ظلت فى مكانها فى مقابلة السلسلة مـــن الصباح وحتى الواحدة تقريبا . فى لحظات المعركة الاخيرة وأثناء القتال اليدوى بين الامير موسى ورجاله والكولونيل بيل ولــــواء الاستافوردشير ، ارتقى الهضبة جندى مصرى واحد على جانبهم الايمـــن (١) .

فى حوالى الساعة الثانية من بعد الظهر توقف القتال الذى استمر سبع ساعات كاملة.

قتلى وشـــهداء

قتلى الطابـــور

١ . جنرال ايرل. (٢) .
٢ . كولونيل اير (٢) .
٣ . كولونيل كوفنى (٣) .
٤ . تسعة جنود (٣) .
٥ . ٣٦ مرافقاً وجندى مستشفى (٤) .

---

١ — طابور النهر ص ١٦٥ .
٢-٤ اوراق وزارة الحربية البريطانية . تقرير المعركة .

جـــرحى

١ ـ اربعة ضباط بينهم لورد كابتن ايفون مور (١) .
٢ ـ اربعة واربعون جنديا (١) .

عــدد كبير مـن الجرحى الذين جـراحهم غير خطيرة لم يتركوا بالمستشفى لقلــة الممرضين ، الذين فقدوا منهم كثيرا .

شـــهداء

١ ـ الامير موسى ابوحجل .
٢ ـ مائة وخمسة وعشرون شهيدا (٢) .

المســـــاء الحزين

انتهت المعركة ، وجمع الجرحى والقتلى مـــن طابور النهر .كـــان عدد ضحاياهم كبيرا بالنسبة الى القـــوة التى حاربوها . رجال المستشفى نقص عـددهم بشكل كبير لانهـــم تعرضوا لملتقى نيران (٣) . كان على القائد ان يرسل رجالا اخرين لمساعدة المستشفى فى اداء العمليات الجراحية وجمع الجرحى والمـــوتى ، وقـــد فعل (٤) . قـــدموا للجـــرحى المنعشـــات وكذلك شـــراب الكنياك والشمبانيا لتسكين الالام.

---

١ ـ حسابات الطابور . اوراق وزارة الحربية .
٢ ـ هذا هو العدد الذى قام قائد الطابور بعده بنفسه ، براكنبرى ص ١٧٠ .
٣+٤ ـ طابور النهر ص ١٦٧ .

كــل القتلى الانجليز من الطــابور – من غير القادة – دفنوا على ضفة النهر فى خندق واحد عمقه اربعون سنتيمترا . غير الانجليز من المساعدين دفنوا فــى خندق اخــر بالقرب منهم .

فى المســاء حملوا الثلاثة القادة :–

١ . جنرال ايرل .
٢ . عقيد اير .
٣ . عقيد كوفنى .

حملــوا الى مكان تحت النخلة الوحيدة المــوجودة فى المنطقة ، ودفنوا هــناك بمراسيم دفــن كاملة . اطلقت المدافع قذائفها ووضعوا فى ثلاثة اجــداث عميقة . عندمــا مــات بعد يومين كابتن لورد « ايفــون مــور » دفنوه معهم .

التقرير الملفق الى وولسلى

بعد عمليات الدفن رجع اللــواء براكنبرى ليكتب تقريره الى لــورد وولسلى . كتب عــدة صيغ لهــذا التقرير ، لانه كان يريد صيغة يقنع بها لورد وولسلى ان مافقدوه فى الاحداث التى خاضوها ، يساوى النصر الذى تحصلوا عليه .

كتب كــل الارقام التى اتى بها الجواسيس واتت بها قــوات السوارى وقــوات نائب مــدير دنقلا . ولكنه كان يعرف ان وولسلى ليس ابلها ، بل هو رئيس اركان حرب جيش صاحبة الجلالة البريطانية .

استقر رأيه ان يكتب له تقريرا يشمل كل هذه البيانات المتضاربة ، ويشفعها فى النهاية باستنتاجه الذى جاء كالاتى :

في هذا الوقت فاني قد درســت ان التقارير التي تأتي من الأهالى ، يمكــن تقسيمها إلى قسمين :

١ – جواسيس يقولون لنا الاشياء التي يعتقدون اننا نريد سماعها .
٢ – الجواسيس الذين يدعــون انهم هــاربون ، ويرمون الى ارهابنا أو العكس. فما أكثر ماسمعنا بان القبائل فزعة ، وان جنود المهدى يهربون منه ، وان قبيلة رفضت ان تحارب معه ، وان العدو لن يحارب بل سيأتي الى صفوفــنا عندما نتقدم) (١) .

كــان براكنبرى بنقطته الاولى يتحــدث عن نائب مدير دنقلا جــودت بك وقائد جيشــه البكباشي احــمد أفندى سليمان . فقــد قال الاول له عندما رأى الخســائر الفادحــة : انك حاربت ثلاثة الاف رجــل وقتلت ثمانمــائة . وكــان براكنبرى قد عد موتى الثوار بنفسه . بالنسبة الى النقطة الثانية كان يشير الى اخبار سليمان ودقمر والتركي وعشرات التابعين لقوات استطلاع امير امــراء بربر محمد الخير ، الذين ادخلوا الطابور في دوامة لاتتوقف عن التضليل .

تقرير الى الامام المهدى

الرجــال الذين ارجعهم الامير موسى ابو حجل لنفاد ذخيرتهم ، ورجــال مراقبة النقاط ، رفعــوا تقاريرهم عن احداث اليوم الى الامير عبد الماجــد ابى الكيلك الــذى بدوره رفعها الى الامير محمد الخير . اخيرا كتب امير مديرية بربر تقريره الى الامــام المهدى . ان هذا التقرير الذى كتبه الامير محمد الخير يظهر ذكره فــى الخطاب الذى كتبه الامام المهدى الى الامير عبد الرحمن النجومى – بطل الخرطوم –

١ – تقرير براكنبرى إلى وولسلى . طابور النهر ص ١٧٧ .

بتاريخ ١٢ جمادى الأولى ١٣٠٢هـ الموافق ٢٨ فبراير ١٨٨٥ (١) . يقول الإمام فى هـــذا الخطاب :

(والان ورد لطرفنا خطاب من حبيب الطرفين محمد الخير يخبرنا فيه بان اعداء الله حضر منهم جانب بجهة وادى قمـــر ، والبعض حاضر بطريق كورسكو الى ابى حمد وبأنه حصلت مناوشة مابين انصار الدين بوادى قمر والاعداء ، وطلب ارسال جبخانة له على وجه الفور حيث ان الجبخانة الذى (التى) كانت عندهم تفرقت على الانصار بالجبهات) .

غنائم كربكان

١ – قليل من حمير وحصان أو حصانان . لم يهتم براكنبرى بها ولا بالـــرايات التى كانت معها ولم يحملها الى معسكره (٢) .

٢ – مائة واربعـــون بندقية يقول عنها قائد الطابور : (ان البنادق التى استولينا عليها فى العملية كانت مائة واربعين بندقية ، اكثرها محطم رمى فى وسط النهر ، ولكن اربعين بندقية احتفظنا بها لنسلح بها الرجال الغير المسلحين اذا دعت الضرورة (٣)) .

الاربعاء ١١ فبراير ١٨٨٥

قـــوات المخابرات فى الطابور قضت صباح الاربعاء تبحث فى جيوب الثوار عـــن الوثائق . فى جيب الامير موسى وجدوا خطابا لم يعيروه كثير اهتمام. لذلك عندما رجـــع ميجور سليد الى المعسكر ، أول رجل مصرى من الضباط التقى به اعطاه

١ – المصدر : ٢١٦ ف ٣ . مرشد دكتور ابى سليم رقم ٦٤٩ ، دار الوثائق المركزية – الخرطوم .

٢ – براكنبرى ص ١٦٤ .

٣ – براكنبرى ص ١٨٦ .

الخطاب لقراءته . قرأ المصرى الخطاب الذى يقول فيه امير الامراء محمــد الخــير الى صديقه محمد أبى الكيلك (ان الخرطوم قد تم الاستيلاء عليها فى ربع ساعة وقتل غــردون).

اخــذ ميجور ســليد الخطاب مع بقية مــاوجد الى قائده اللواء براكنبرى الــذى لم يهتم به كثيرا .

الــذى لم يخطر على بالهم ان الضابط المصرى اندفــع مصابا بلوثة مما سمع ، واخـبر زملاءه الذين أوصلوا الخبر الى بقية القوات الانجليزية (١) .

عندمــا جــاء ميعاد الغــداء كان كل المعسكر فى هلع شديد ، فقد حدث هــذا بعد يوم واحد من قتال مع مائة وواحد واربعين ثائرا استمر سبع ساعات رأوا فيها موتاً ورجــزا .

بعــد الغــداء أسرع المترجم المصرى الى ميجور سليد يســأله عندما رآه يخــرج من مركز القيادة :

— هل سنستمر ســائرين الى الخرطوم ؟
— أخشى ان هذا ما سيحدث .
قــال المصرى : ولكن لمــاذا ؟
رد سليد قائد المخابرات : لان الارض كما ترى هنا صخرية ولايمكــن دفــن كل الطــابور فيها !

عندمــا شعر براكنبرى ان الهلع بلــغ درجــة عالية ، قضى بقية اليوم فى اصدار تعليمات بالتحرك غدا لكل الوحدات . اسرعوا يعدون أجهزتهم ويحملون جمالهــم وزوارقهم .

٢ — نفس المصدر ص ١٧٨ .

الخميس ١٢ فبراير ١٨٨٥

في الصباح تلقــوا برقية من القائد لــورد وولسلى ، تاريخها التاسع من فبراير ٨٥ ، تقول : (ان الحكومــة البريطانية قد قررت اننا سوف نبقى فى الســودان لحين تحطيم قــوة المهدى . اذا لم نتمكن من ذلك قبل فترة الصيف ، فعلينا ان ننتظر حتى الخريف . ان « بولر » بارح جقــدول يوم ٢/٧ الى القبة (ابى خروق) وسوف يستولى على المتمة عند وصول لــواء الرويال ايرش الى القبة) . ان وولسلى يريد أن يعرف متى سيصل براكنبرى الى ابى حمد ؟

التحـــــرك

تحركت أولا قــوات لواء الكورنوول التى كانت قد وصلت مؤخرا الى معسكر كربكان ، تحركت بزوارقها عبر شلالات تواجه واديا عريضا يتجه الى ابى عقيلى . انه وادى الارقــو . لواء الاستافوردشير أيضا على زوارقه عسكر فى كربكان ، ولكن ثلاث فرق منه وصلت الى وادى الارقو . لواء البلاك وتش تقدم خطــوات بعد كربكان . لــواء القوردون هاى لاندرز وصل الى معسكر القيادة فى مكـــان مقابل لجزيرة دولكه .

فى المســاء بدأ القــائد فى رسم خططه . انه ربمــا وصل الى بربر يوم ٢٨ فبراير أو على الاقــل سيكون قريبا منها ، ومعه قــوات « رندل » التى ستلتقى به فى ابى حمــد . فــاذا كان لايستطيع ان يصل الى بربر فى هــذا التاريخ فيجب ان يكتب الى قائده . ولكن كيف سيتأكد وحوله هذا النوع الشرس من الثوار ؟

ترك التفكــير فى متى ســيصل الى هناك ، وبدأ يفكر فى القــوة التى سيتركهـــا فى أبى حمد . حسب الخطة فانه سيترك هــناك ثلاثمائة جندى . انه لن يترك هــناك ثلاثمائة جندى وانمــا مائتين فقط ، وذلك لانه فقد فى كربكـــان الفارق تقــريبا بين العــددين .

ان الشـــلالات صعبة الســـير ولايمكن تحريك أكثر مـــن فرقة واحـــدة في وقت واحـــد . أمـــا اذا وجـــد العـــدو فى منطقة الشقوق فانه لن يجد ترابا لدفن موتاه! قضى الليل كله فى حسابات لم يســـتطع ان يحســـم فيها شيئا . ولكن موقفه بالنسبة لقائده فى كورتى ، هو انه لن يستطيع ان يحدد الان متى سيصل .

وعلى كل فاليوم بطـــوله كان كئيبا . ان ثلاثة من جرحاه ، من لواء الاستافوردشير قـــد ماتوا اليوم .

الجمعة ١٣ فبراير ١٨٨٥

تقدم . موت . اخبار الخرطوم

يوم أكثر كآبة مـــن أمس . بدأ اليوم بمـــوت لورد . هـــذا اللورد هو كابتن لـــورد « ايفون مور » . اخذت جثته ودفنت مع القـــادة الثلاثة تحت النخلة بكربكان . القـــوات تحـــاول التقدم ، ولكن أكبر مســـافة قطعوها كانت خمسة أميال الى معسكر الشـــقوق قطعتها قوات الكورنوولز . أمـــا بقية القـــوات فبصعوبة وصلت إلى مركـــز الطابـــور الجديد فى وادى الارقو . الاستطلاعات لم تظهر وجود عدو فى النهر أو البر .

بريد القيادة يحـــوى اخبار وصول سير تشارلز ويلســـون وليوتنانت اســـتيوارت وورتلى الى كـــورتى لتقديم تقرير الى وولســـلى عن رحلتهم (هما وبعض القوات) الى مشارف الخرطوم .

رســـائل وكالـــة رويتر للأنباء وصلت أيضا مع البريد . انهـــا تتحدث عن مقتل غـــردون وفقدانهم للخرطوم ، كحقيقة لاجدال عليها . لـــذا شعر براكنبرى أن جنوده يجـــب ان يعـــرفوا الحقيقة التى ارســـلت إليه بتاريخ الخامـــس مـــن فبراير ١٨٨٥ .

كتب منشــورا طويــلا ، حتى يضع في داخله رواح الخرطــوم عنهم في أقــل كلمــات ممكنة . تحدث في المنشور عن « بيرسفورد » اللورد الذى ادى معركــة وصفها بانها ذكية ضد أربعة مدافع (يعني مدافع الســرور اب بود الحبشي ، والعدد الصحيح مدفعان) في ود الحبشي . وختّم المنشور بقوله (ومفهوم ان قــصد حكومة صاحبة الجلالة تحطيم قوة المهدى في الســودان ، وان هناك قوة مــن كل الاسلحة تتقــدم الى سواكن لكى تحطم عثمان دقنة . ان لــورد وولسلى من المحتمــل ان يشترك مــع الجنرال بولر (يعني طابور الصحراء) ويتعــاون مع الطابور (يعني طابور النهر) في احتلال بربر) .

السبت ١٤ فبراير ١٨٨٥

الشقوق

قضوا اليوم كله في مناقشــة الجواسيس وكل مــن يجدونه في أى مكان. خوفهم بالطبع من وجــود قوات ثائرة على ممــر الشقوق . أنها ارض جبلية بها ممر ضيق . وجــود اعــداء بهذا الممر سيجعل التقدم عمــلا انتحاريا . ان النهر أيضا خطير وخصوصا اذا نصبت مــدافع كروب هناك . لم تكن لديهم قــوات ســوارى كبيرة لكى تقــوم بتطويق منطقة الشقوق قبل عبورها . ان سرية السوارى الوحيدة التى لدى الطابور لاتكفى لهــذا العمل .

لماذا لم يحارب الامير محمد الخير في الشقوق ؟

الاجــابة على هــذا السؤال الذى يفرض نفسه ، ليست صعبة . ان الشــقوق لهــا ميزة ان الممر مــن الممكن التحكم فيه ، ولكنها تملك عــدة نقائص . اولها ان عــدوا يسيطر على النيل بزوارقه وباخرتيه ، سيجعل الحصول على الماء شــيئا مســتحيلا . فأرض الشقوق ليس بها مــاء ابار . ثانيا ، على محمد الخير ان يعــبر الصحراء قبل ان يصل الى الشقوق ، وقد تستغل قوات رندل بكورسكو الفرصة لعبور

صحراء العتمور ، والاستيلاء على ابى حمد ، وربما بربر أيضا . ان رحلتها من كورسكو الى ابى حمد تحتاج الى اربعة أيام فقط . ثالثا ، اذا حاول متابعة النيل من بربر الى ابى حمد ، ومنها الى الشقوق ، مارا بدار الرباطاب ودار المناصير فان قرى المنطقة لاتستطيع ان تمد جيشا كبيرا بقوته ، وسيجدون مشكلة نقل كبيرة. رابعا ، صحيح ان طابور النهر سيلقى امدادات عسكرية وغذائية فى ابى حمد تأتيه من كورسكو،وهذا امر كان معروفاً لديه ولدى الامام المهدى(١)، ولكنه هو أيضا سيتلقى مددا . ولكى أكون أكثر دقة ، فانه لن يتلقى مددا ، وانما سيحضر من الخرطوم الجيش المنوط به مقابلة جميع قوات ولسلى وهزيمتها . ذلك الجيش بقيادة بطل الخرطوم أمير الامراء عبد الرحمن النجومى . وقد ودعه الامام المهدى قبل يومين (الخميس ١٢ فبراير ١٨٨٥ – ٢٥ ربيع الاخر ١٣٠٢) عند الضحى بالقرب من النوفلاب (٢) .

الاحد ١٥ فبراير ١٨٨٥

كولونيل بتلر فى السلامات

اقتنع قائد السوارى كولونيل بتلر ان قرية السلامات خالية تماما منذ الثانى عشر من فبراير ، وان الطريق خال من الثوار. تقدم مع سريته مسافة العشرة الأميال التى تفصل بين رئاسة الطابور وقرية السلامات . وصل إليها فى الواحدة والنصف بعد الظهر .

السلامات

كانت قرية متطورة فريدة الشكل ، حسنة المنازل ، طولها حوالى ميلين ونصف ولكنها ليست عريضة ، ترقد على صفحة النيل اليسرى .

١ – ٢١٦ ف ٣ – دار الوثائق المركزية الخرطوم .

٢ – خطاب من احمد سليمان إلى المهدى ، مصدر : احمد سليمان ، دار الوثائق المركزية – الخرطوم .

ان السلامات أكبر قرية فى دار المناصير ، وبها منازل قـادة القبيلة . منازلها بنيت أحسن بناء ، ودارت حولها الفرندات ذات الاعمدة المنمقة ، وسقفت منازلها بالاخشاب الاوربية . أبواب غرفها الخشبية ، حسنة النحت والزخرفة . هناك عدد من المنازل تحيط بها حدائق منزلية . أحد هذه المنازل ، منزل الشيخ أبو بكر ودقمر . ان بحديقته شجرة برتقال هى الوحيدة فى كل المنطقة بعد دنقلا .

أكبر منزل بالقرية منزل زعيمها الامير سليمان النعمان ودقمر . ان المنزل يتكون من عدة أجزاء ، بكل جزء فناء وعدة غرف . أيضا هناك منزل عمة سليمان ، وهو منزل انيق جدا .

زراعة القرية ، وما جاورها من جزر ، فى الشتاء تتكون من القمح والشعير بالإضافة إلى أشجار النخل .

زراعة موسم الشتاء في وقت وصول كولونيل بتلر إليها ، قد بقى على حصادها قرابة الشهرين . النخل بدأ عرجونه فى الظهور ولكنه سيحتاج إلى عدة أشهر لتلقى إنتاجه .
عمليات الرى فى القرية بالسواقى ، ماعدا بعض المناطق التى يطمرها الفيضان .

جزيرة شرى (بكسر الشين)

عند إستطلاع بتلر للسلامات ، جاءه رجل من جزيرة تقابل السلامات وتدعى شرى ، مليئة بخضرة مزروعات الشتاء من القمح والشعير . هذا الرجل قاله له : انها جزيرة مليئة بالسكان . شعر الكولونيل البريطانى ان هذا الرجل يتصرف بنفس الطريقة التى يتخيلها لطريقة تصرف الذين قتلوا استيوارت ومن معه .
قال الرجل له : انى سوف أذهب وآتيك بأهل الجزيرة ، فهم يريدون القدوم إليك .

برقية من قائد الطابور الى وولسلى

ان لـــورد وولسلى مصر على معرفة الوقت الذى سيصل فيه هـــذا الطابور الى ابى حمـــد . لذلك قضى براكنبرى الليل يكتب فى برقية يحـــاول ان يقول فيهـــا شيئا لقائده ودون ان يكون قوله ملزما له . خرجت البرقية التى ستقطع أكبر رحلتها على بعير كالاتى (ان الطـــريق بعد الشقوق أفضل ، وربمـــا تمكنا من الوصول الى ابى حمـــد فى عشرة أيام ، ولكن جميع القوات لن تتجمـــع هناك قبل أسبوعين لو ســـار كل شىء كما نراه) .

الاثنين ١٦ فبراير ١٨٨٥

خـــطاب الى أهل جزيرة شرى

هـــذا اليوم قضوه فى تحريك قواتهم إلى الامـــام وفى كتابة خطاب الى أهل جزيرة شـــرى . ان مضمون الخطاب يقول : انهم لن يحطموا مزروعات أو سواقى أو نخيل أو منازل من يأتيهم مسلما ، ولكنهم لن يسامحوا قتلة استيوارت ، وانهـــم سوف يدفعون مبلغا كبيرا مـــن المـــال لمن يأتيهم بســـليمان النعمان ودقمر أو الفكى ود عتمان (عثمان) .

الثلاثـاء ١٧ فبراير ١٨٨٥

يوم دخـــلوا السلامات وشـرى

فى تمـــام الســـاعة التاسعة صباحا ، دخلت قـــوات السوارى بقيادة كولونيل بتلر الى قرية الســـلامات محتلة لها . فى نفس الوقت ـ أى التاسعة ـ وصلت فرقتان مـــن لواء الكورنوول بالزوارق الى جزيرة شرى معلنة احتلالهـــا . اعلان الاحتلال تم بواسطة منادين مصريين . دخـــل المنادون المصريون الى الجزيرة وهـــم يصيحون بكل قـــوة صوتهم : (يا أهل الجزيرة ، ان الجيش البريطانى العظيم قد احـــتل

جزيرتكم شرى ، وكل من لايسلم إلى القائد العظيم لايلوم إلا نفسه) .... استمرت المناداة ... ولكن لم يكن بالجزيرة انسان أو حيوان يسمع ... ولقد كانت الجزيرة كالسلامات خالية تماماً .

توالى وصول القوات الى السلامات والجزيرة على طول اليوم ، بعد أن أخرهم غرق زورق كانت تقوده قوة مختلطة من لواءى الاستافوردشير والقوردونز .

الرئاسة تحركت الى السلامات . وصلت أيضا باخرة الاسطول « ملك » . المنزل الذى اختير لكى يكون مقر القيادة ، هو منزل عمة الامير سليمان النعمان ودقمر ، فهو منزل انيق تحيط به حديقة وارفة .

يوم بدأوا في تحطيم السلامات وشرى

لا زال اليوم هو السابع عشر من فبراير ١٨٨٥ . ولكن الساعة هى الثانية بعد الظهر ، فقد قضوا الخمس الساعات الماضية – منذ التاسعة صباحا – فى تحديد المنازل والممتلكات والبحث عن مخلفات كولونيل استيوارت وجماعته .

فى منزل سليمان النعمان ودقمر الكبير الرائع ، وجدوا بطاقات زيارة باسم استيوارت . بعضها اثار دم . أيضا وجدوا بقايا أوراق فرنسية لمسيو هيربن وأخرى لمستر باور . أيضا وجدوا بعض الصناديق الفارغة التى كانت بها أوراق لركاب الباخرة عباس . فى جزيرة شيرى وجدوا بعض المخلفات التافهة .

فى الثانية بعد الظهر أمرت جميع القوات التى وصلت الى السلامات ماعدا الديدبانات ، بالاصطفاف للتفتيش حاملين الفؤوس والمعاول والسواطير والكواريك وقطن البارود .

بدأ التحطيم بمنزل الامير سليمان النعمان . أحرقوا السقف والابواب الخشبية أولا ، ثم بقطن البارود يفجرون الحيطان .

الاربعاء ١٨ فبراير ١٨٨٥

تتمة مهمة الخراب

لم تكن ثلاث ساعات بالامس كافية لتحطيم قرية مثل السلامات وجزيرة شرى الواسعة . استأنفوا هذه المهمة فى الصباح . ان بحث الأمس اسفر عن وجود تمر وقمح بجزيرة شرى ، فتسابقت الزوارق لحمله .

عندما انتهى اليوم كانت منازل القرية والجزيرة أكواماً من تراب وبقايا فحم . السواقى حرقت تماما . أشجار النخيل بعضها حرق وبعضها قطع . كل تلك الزخارف والاخشاب المنحوتة قد انتهت من السلامات لكى لاتعود إليها حتى يومنا هذا. تركوا من منازل السلامات منزلين ، منزل القيادة ، ومنزل ابى بكر ودقمر (١) ، بشجرة برتقاله التى كانت مزهرة .

فى مساء اليوم اعلنت حالة استعداد تامة ، لان احد الجواسيس قال لهم : ان عددا ضخما من الاعراب يحملون بنادق قليلة وحرابا كثيرة ويسوقون بهائما يريدون الهجوم عليكم . لم يتمكن السوارى من الخروج فى المساء للاستطلاع .

الخميس ١٩ فبراير ١٨٨٥

الوصول الى السليمانية

فى الصباح ذهبوا لاستطلاع هذه القوة التى منعتهم النوم أمس رغم الارهاق الذى أصابهم من عملية التحطيم .

لم يجدوا شيئا ، فقد رأى الجاسوس ان يمنعهم النوم .
يوم الخميس هذا كان منتجا بالنسبة لهم ، فقد قطعوا تسعة أميال ووصلوا حتى السليمانية (تسمى اليوم ام سفايه) .

---

١ — تقرير براكنبرى . طابور النهر ص ٢٠٤، ٢٠٧ .

بعـــد استطلاعات دامت عدة ساعـــات وتأكدوا من خلوها من السكان ، دخلتها في تمـــام الخامسة مساءاً قوات لواء الكورنوول ولواء القوردون هاى لاندرز .

قـــوات المراقبة السودانية

الذى أزعـــج كولونيل بتلر ومن بعده قائده ، هو قوات الانصار التى كانت تظهر لهـــم من جانب النهر الاخر على جيادهم ويصرخون ويشيرون بـــايديهـــم متوعـــدين . هذه الظاهرة كانت موجـــودة قبل كربكان ، ثم بدأت مرة أخرى من الســـلامات . الذى أشاع الذعـــر فيهم هو انهم بعد أن رأوا قرى المناصـــير خـــاوية اعتبروا أن الثوار فى حالة انهيار بعد أحـــداث كربكان ، ولكن وجـــود هذه المجموعات المتابعة لهم لمراقبتهم ، تعنى أن هناك مخططا دقيقا يحاك لهم ويحتاج الى معلومات دقيقة عن كل تحركاتهم ومكان تواجدهم فى كل لحظة من لحظـــات اليوم . هناك ظاهرة أخرى وهى أن قوات الاستطلاع هذه تقوم بعملها هذا وهـــى تتفجر نشاطا واستفزازا . نفس الظاهرة كانت موجودة قبل كربكان .

أن هـــذه الظاهرة تمتلىء بهـــا تقارير المعارك البريطانية فى الســـودان وتشكـــل الاختلاف بين المقاتل الســـودانى والجندى البريطانى .

فبعـــد كل معركة ، حتى ولو كانت كمناوشة كربكان ، نجـــد القائد الانجليزى يصـــل الى اســـتنتاج أن الســـودانى لن يحاربهم مرة ثانية . حدث هذا فى تقـــرير كربكـــان وتقرير معركة التيب والتمانيب وتوفرك . وفى كل تلك المعارك لايكـــاد القائد البريطانى يكتب تقريره ، حتى يقابل مجابهة أكثر عنفا وشراسة ! !

الجيش البريطانى كان بعكس المقاتلين السودانيين ، اذا تعرض لصدمة ضخمة مثل أبى طليح ، فان روحه المعنوية تنهار ، وينحل الضبط والربط فى صفوفهم .

أخـــبار سليمان النعمان ودقمر

حضر رجـــل الى السليمانية فقبضوا عليه لاستخلاص أخبار منه . قال لهـــم ان

سليمان النعمان ودقمسر قد حضر الى السليمانية يوم ١٦ فبراير ، وفى اليوم التالى أخذ جميع السكان وكان عددهم اربعمائة ، وأخذ معه الفقيه ودعثمان. أيضا أخذ المواشى ومحتويات المنازل . اسروا قادما من أبى حمد قال لهم : انه كان بابى حمد يوم ١٤ فبراير ، وترك بها الفين من العبابدة ، وألفا من البشاريين وبعض الرباطاب. لم يثق براكنبرى فى كل ما قيل . ولكن تهديدات قوات المراقبة من ناحية ضفة النيل اليمنى ظلت مسيطرة على تفكيره . انها توحى بمقاومة شرسة ، وخصوصا ان الخرطوم تحررت وهذا سيزيد من تأييد السكان للثورة . أن أخطر شىء يقابله سيكون تأييد العبابدة للثورة ، وكذلك الامر بالنسبة الى البشاريين . أن هذا لو حدث فسيحطم تقدم قوة رندل القادمة من كورسكو .

الجمعة ٢٠ فبراير ١٨٨٥

التقدم الى القناويت

فى صباح الجمعة تقدموا الى المكان الذى يسمى الان القناويت ، وشاهدوا بنظارات الميدان ضفة النهر اليمنى وقرية الهبة حيث تم القضاء على الباخرة عباس ومن بها . رأوا الباخرة عباس مجندلة على الصخر .

صراخ قوات المراقبة وتهديداتهم وتوعدهم لازال يأخذ كثيرا من انتباههم .

العبور الى الهبه (تسمى اليوم ام دويعه)

فى الساعة الحادية عشرة صباحا بدأت عمليات العبور الى الضفة اليمنى للنيل . الالوية البريطانية بالطبع كانت تسير بالزوارق ولاتجد مشقة فى النزول باى ضفة على النيل، ولكن الذى يحتاج الى عبور هو سلاح الهجانة المصرى والمدفعية وسلاح الامدادات بجماله والسوارى بخيولهم وأيضا الفرسان المصريون التابعون للهجانة . أخذت عملية العبور ثلاث عشرة ساعة ونصفاً . بدأ العبور فى الحادية عشرة صباحا وتوقف فى الخامسة مساءاً ، ثم بدأ فى السابعة مساءاً وانتهى فى الثانية والنصف صباحا .

ان عرض النهـــر فى تلك المنطقه ، وفى ذلك الوقـــت مـــن العام كان اربعمـــائة متر . نقلـــوا سبعمائة وثمانين جملا وحصانا ومعداتهم وأثقالهم وقادتهم وستة مدافع. فقدهـــم فى عمليات العبور كـــان قليلا . ثلاثة جمال مـــاتت بالاختناق أثناء العبور بالحبال التى ربطت بها ، وثلاثة ماتت بالصرع . أيضا مـــات حمـــار ارهـــاقا .

مـع الباخـــرة عباس

بعـــد أن بدأت عمليات العبور ، وتوفرت الحماية على ضفة النيل اليمنى ، عبر القائد براكنبرى النيل الى الهـــبه واتجه مباشرة الى الباخرة عباس . وجدها أكـــبر مما كان يتوقـــع . كما انه وجد انها أصيبت بعـــدة دانات قبل جنوحها ، وقد وقتها دروعهـــا التى وضعها غـــردون على جانبيها . انها دروع من الحديد الذى سمكه بوصة كاملة .

ان المكـــان الـــذى اصطدمت فيه الباخرة ، عند نزول النيل ، تبرز صخوره كانياب القـــدر . ان النيل يجرى هناك فى قناة عـــرضها ثلاثمائة متر يسار الجزيرة الصخرية التى ارتـطمت بها الباخرة . أما عندما يكون النيل مرتفعا فكـــل شىء تحت ســـطح مياهه يصبح غيبا ، لايسبر غوره الا من عرف المنطقة .

ان الباخـــرة تقف على الصخرة التى ارتـطمت بها باسفل حيزومها ، على ارتفاع ستة عشـــر قدمـــا من مستوى النيل .

ان عباس عندمـــا زارهـــا براكنبرى ، أصبحـــت قطعة حـــديد فقط ، بعد ان صـــادر الاهالى كل شىء بداخلها .

الســـبت ٢١ فبراير ١٨٨٥
عندما حطموا الهبه

بدأ اليوم بأوامـــر من القائد بتحطيم الهبه بمعرفـــة قـــوات الاســـتخبارات .

بـــدأ التحطيم بمنزل الشيخ الفقيه ودعثمان . كانوا كلما وقفـــوا أمام منزل يقومون بفحص كـــل شيء فيه أولا . يبحثون عن الاوراق والكتب ، ثم إذا وجـــدوا أي أرض رخـــوة يقومون بحفرهـــا . عندما يتأكدون ان المنزل خاو من أي اسرار ، يخلعون سقفه وأبوابه فيحرقونها ثم ينسفون المنزل . حـــرقوا أيضا السواقي وقطعوا وحـــرقوا النخل . خيولهم وجمالهم تكفلت بالقضاء على المزروعات .

خـــلال ذلك كانت القوات النهرية تتكامل فى جزيرة الكون الصخرية المقابلة للهبه . أمـــا القائد فقد قضى اليوم مـــع ضباطه فى دراســـة متأنية لشخصية المقاتل السودانى . الغرض بالطبع التعـــرف على نقاط ضعفه للتعامـــل معه . أمامهم معلومـــات لابأس بها من معارك التيب والتاماى وأبى طليح . وقد انتهت مناقشاتهم فى هذا المـــوضوع الى الاتى :

ان القـــوات الســـودانية لاتملك انضباط الطابور الموجـــود فى الجيش الانجلـــيزى. انهم يختلفـــون عـــن الجندى الانجليزى فى انهم يستطيعون أكـــل أى شيء . إن قليلا مـــن الذرة والمـــاء تكفيه ، ولا يشترط أكل لحم وخضر وبقسماط وشـــاى وملح وفلفل . ثم انه لايشرب خمرا ولايحتاج الى تبغ . وبالتالى فهو لايشعر بالكآبة إذا منع من الخمر والتدخين كمـــا هـــو الحـــال بالنسبة الى قـــواته الان .

بعـــض الفروق الشاسعة الأخرى ، أن السودانى هو أول من دخل المربع الانجليزى ، فالموت ليس بعامل توقيف لاندفاعه الشرس نحوهم . سمة أخرى ، انه يقاتل مستقلا عـــن أية قيادة وهو بداخـــل المعمعه . ثم يقاتل وهو مصاب بعدة أعيرة ناريـــة وغير نارية .

مـــن كل هذا ومن خبرتهم فى كربكان ، وصل الجميع الى قناعة بصحة تعليمـــات القيادة فى كورتى ، بعدم مقابلة الانصار الا وقواتهم فى تشكيل مربع .

وعلى هذه الدراسة أصدر براكنبرى أوامره بان تكون الألوية النيلية وقواته الراكبة قريبة جداً من بعضها ، ماعدا السوارى الذين سيكونون فى المقدمة (١)

الاحد ٢٢ فبراير ١٨٨٥

التقدم الى الكاب

فى تمام السادسة وخمس واربعين دقيقة بدأوا التحرك نحو الكاب . الميلان الاولان من النهر كان دفق المياه بهما سريعا ولكن بعد ذلك سير المياه هادىء . ومع ان قوات الاستطلاع تقدمت اثنى عشر ميلا على تلك الضفة اليمنى للنيل (التى تسمى الشرقية وهذا خطأ جغرافى) ، الا أن الطابور عسكر فى قرية الكاب . أى أن تسيارهم كان خمسة أميال فقط . قرية الكاب هذه كانت قرية صغيرة جدا ، ولها زراعة قليلة . الاسباب التى حملتهم على التوقف هناك هى ان القرية بها قلعة ، وتقابلها على ميسرة النيل قلعة مشابهة كالقلعتين اللتين وجدوهما فى الكابينات (تسمى الان الكبنة) قبل قرية برتى .
الأرض التى أمام الاستحكامات صحراوية وكاشفة .

رسول الى الشيخ الزين

رجل دخل الى معسكر الانجليز قبل أحداث كربكان ، مدعيا انه يطلب حماية الجيش البريطانى . بعد تحقيق مع الرجل ، استطاعوا إكتشاف أمره . انه تابع لقوة الشيخ محمد الزين ، وقد ارسله لمعرفة اخبار الطابور .

حكم عليه ايرل بالاعدام شنقا ، ولكن بعد يوم إكتشف ان أسلوب الغرب المتوحش الامريكى ، قد لايكون مقبولا من ضباطه .

منذ الامس استقر رأى قائد الطابور براكنبرى على الاستفادة من هذا الجاسوس

---

١ - براكنبرى فصل ١٤ .

الذى رأى كربكــان وهو سجين لــديهم ، وكذلك رأى تحطيم قرى المناصـــير . تركه يرى كل قـــواته وكثرتها واسلحتها وكذلك قطـــن البارود الشـــديد التفجير . بعد ذلك فى هذا اليوم الثانى والعشرين من فبراير قـــام باطـــلاق سراحه ، لكـــى يذهب إلى الشيخ محمد الزين ويخبره بما رأى ويخشى سطوته (١) .

الاثنين ٢٣ فبراير ١٨٨٥

الوصول الى الحـــويلة

ســـارت زوارقهم فى خطين متوازيين ، كـــل خط قريب من احدى ضفتى النيل ، الى أن وصلوا الى الحويلة ، القرية الصغيرة التى تشكل نهاية أرض المناصير . انهـــا لم تكن قرية بالمعنى المفهوم ، بل مكان استراحة للاعراب الذين يردون النيل .

كنفوى الصحراء هدده بعض رجـــال استطلاع الثورة السودانية . ولكن الهجـــوم لم يتحقق ، فاستمروا الى أن وصلوا الحويلة . مشكلة رئيسية بدأت تطل برأسها ، وهى مشكلة ارســـال خطابـــات الى نقطة التلغراف فى الحماداب . أن رسلهم يعودون بعد ان يأخـــذ منهم الانصار تلك الرسائل . ارسلوا ولـــدا الى ابى حمد لكى يأتيـــهم باخبارها بعد ان نقطعت اخبار كـــورتى . عـــاد الطفل بعد أن قطع عشرة أمـــيال وقال لهم ، ان الانصار قبضوا عليه وارجعوه . وقال : انه علم انه لايوجد انصـــار فى الضفة اليمنى للنيل ، ولكن فى اليسرى وعند صخرة فى « الشامخية » ، عدد ضخم من المناصير والرباطاب والجعليين معهم الامير سليمان النعمان ودقمر وشيوخ اخرون يحتلون الصخرة ويريدون مواجهة الطابور .

نـــام القـــائد بعـــد أن قـــرأ تقريرا مـــن قائد السلاح الطبى يقول فيه :
(ان الحالة الصحية للطابور ، هى اجود حالة صحية لقيها طابور بريطانى قبل ذلك)(٢).

١ — براكنبرى ص ٢٤٤ .

٢ — طابور النهر ص ٢٤٤ .

الثلاثـاء ٢٤ فبرايـر ١٨٨٥
البرقية السـارة

نام الجنود حتى الخامسة والنصف من صباح اليوم الثلاثاء . بعد مراسيم شرب الشـاى والكاكاو وأكل اللحم المعلب والبقسماط ، بدأوا التحرك . مركز القيادة على مسـافة من ضفة النيل على الصحراء . بدأ الديدبانات في الشعور بالقلق مـن اندفاع هجان نحوهم . ولكن الهجان توقف على مسافة ، طالبا السماح له بالتقدم . عندما تم له ذلك ، اخرج برقية وقال : انها للقائد ويريد تسليمها له بيده . لماذا؟ قال لانه وعـد مبلغ خمسين جنيها لو اوصلها ، تسـلم له فى نقطة الاستلام .

بعـد ان فكت شفرة البرقية كانت تقرأ كالاتى : (كورتى ٢٠ فبراير . بولر أخلى القبة . قواته متجهة الى جقدول مـع كل المرضى والجرحى . انه لازال باقيا فـى أبى طليح مع ألف وخمسمائة رجل . العدو بدأ يطلق النار على معسكره هناك . قتل وجرح عـدد من رجاله . انه ينتظر جمالا لكى يتراجع الى جقدول ، الشىء الذى أتمنى ان يتمكن من أن يقوم به غدا - الحادى والعشرين منه . ولكن نظرا لحـالة ضعف جماله ، فان على رجاله السير على أقدامهم . أنى تركت أى أمل فى الذهـاب الى بربر قبل أن تبدأ حملة الخريف . وعليه فانك لن تذهب الى أبى حمد . يمـكن بعـد أن تحرق وتحطم كل شىء فى النواحى التى قتل فيها استيوارت، ان تسحب كل قواتك الى ابى دوم بالقرب من مروى . احضر معك قوات المدير .

ارجـو ان تعبر للقوات عن تقدير لـورد وولسلى لسلوكهم الشجاع فى الحـرب وعلى روحهم العسكرية التى أظهروها فى تخطى الصعاب التى شكلها النيل . بعـد أن تنتهـى من المناصير على قتلهم اسـتيوارت ، فليس الغرض أن تقوم باى عمليات عسكرية حتى زوال الصيف. سترسل لكم تعليمات أخرى عندما تصلون الى ابى دوم. حتى تحتل الشـقوق ويعبرها كل الجنود ، من الافضل أن تترك هذا التلغراف سرا

عندك وعند بتلر . بالطبع إذا كنت فى مواجهة عــدو عند تلقى هذه البرقية فيجب ان تهزمه قبل رجوعك . إذا حدث ولم تتلقوا هذه البرقية حتى وصولكم إلى أبى حمد أو على أبوابها ، وان احتلالها هو مسألة دخولها دون مقاومة ، فيجب ان تقف هناك وترسل معلومات لى بذلك فوراً ، حتى ارسل قافلة كورسكو ، التى لا أريد تحريكها إلا فى موقف كهذا .

بالطــبع من هذا البعد ليس من السهل ان أعطيك أوامر ايجابية ، ولكن لورد وولسلى لــه الثقة فى تصرفاتكم العسكرية (١)) .

(ودد ، رئيس الاركان) .

إن هــذه البرقــية بالنسبة الى براكنبرى كانت تساوى الملايين وليس خمسين جنيها فقط . دفع القائد المبلغ للهجان مــع « البقشيش » ! !

اوامــر براكنبرى برجــوع الطابور

أخــذ الميجور جنرال دقيقة واحــدة للتفكير ، انتهى بعدها الى انه لن يعــود الى الضفة اليسرى من النيل ، لانه سيجابه منطقة الشقوق والثوار الذين تأكد له وجودهم بتلك الضفة . أمر نائبه باعلان الاتى على القوات :ـ

(ان الميجور جنرال يعلن الى القــوات انه بعد دخولكم للزوارق ، تسلم تلغرافــا مــن لــورد وولسلى يذكر فيه انه بعد أن عاقبتم المناصير على قتلهم كولــونيل استيوارت ، فليس الغرض بعــد ذلك أن يتخذ أى عمــل عسكرى حتى زوال فصــل الصيف . وطالمــا وصلنا الى أخر منطقة المناصير ، والحقنا بهــم بقــدر الامكان العقاب ، فان القــوات ستعود الان عبر أرض المناصير الى برتى (٢)).

١ ــ ٢ أوراق وزارة الحربية . براكنبرى ص ٢٤٨ .

الرجـوع الى كـورتى احـمد

لـم يسأل ضابط واحـد سؤالا ، بل حـول الكنديون الذين يقـودهم كولونيل دنســون الاتجاه . أصبح لـواء الاستافوردشير فى المقدمة ، بعـد ذلك لـواء البلاك وتش ، يليه لـواء الكورنوول ، وفى النهاية لـواء القـوردونز .

الاربعـاء ٢٥ فبراير ١٨٨٥

عـادوا لتخريب الهبه

وصلوا الى الهبة سريعا ، فالروح المعنوية ارتفعت ، والنيل فى اتجـاه انحداره يسـاعد على الاسراع . ففى صباح الخامس والعشرين بالهبة صدرت إليهم أوامـر تجـويد تحطيم قرية الهبة وتحطيم جزيرة الكون .

راجعـوا كـل عملية تحطـيم وتخـريب وقطـع وحرق قـاموا بهما قبلا . لم يجـدوا كثيرا منها فى احتياج الى خدمات أكثر .

الخميس ٢٦ فبراير ١٨٨٥

قتل ركاب المراكب بالنـهر

تحـركوا فى يوم الخميس فلم يجدوا شيئا أمامهم غير مراكب بعض الاهـالى على النيل . اطلقوا عليهم الرصاص فقتلوهم (١) .

الجمعة ٢٧ فبراير ١٨٨٥

قوات النهر وقـوات الهجانة تحاولان السير معا . قوات السوارى استطلعت المنطقة حتى كربكان فلم تجد ثائرا .

---

١ - براكنبرى ص ٢٥٨ .

السبت ٢٨ فبراير ١٨٨٥

لماذا رجعتم ؟

وصلوا الى كربكان حيث تركوا جودت بك نائب مدير دنقلا وقواته. لم يكن نائب المدير موجودا ، ولكن قائد قواته البكباشى أحمد أفندى سليمان كان مصرا على سؤال بدأ يردده بيله شديد . بدأ يقول لهم : جودت بك ذهب الى الكوا وسيعود ، ولكن لماذا رجعتم ؟ لم يرد عليه ضابط ، ولكن جنديا من البلاك وتش ، قال له . بدارجته الاسكتلندية : أوه . . . سيدى . . . يجب أن أكون فى الكنيسة فى الوقت المحدد !

من خلفه أكمل الحديث أخر : اننا لن نترك عروسه تنتظر . . . انتركها ؟
رد عدد كبير : . . . بالطبع لا !
امروا قوات مديرية دنقلا بالرجوع معهم . واعادوا الى هذه القوات ضابط الاستخبارات الانجليزى « كولفيل » .

الاربعاء ٤ مارس ١٨٨٥

موت اربعة

الاول والثانى والثالث من مارس لم يكن فيهم جديد غير التحرك والنشاط والاندفاع مع تيار النيل . القوات البرية أيضا لم تجابه مشاكل فى التقدم . فى يوم الاربعاء الرابع من مارس غرق زورق به ثلاثة جرحى ، ومات جريح فى زورق اخر .

الخميس ٥ مارس ١٨٨٥

العبور

وصلوا الى مروى بضفة النيل اليمنى وبدأوا العبور الى ضفة النيل الثانية .

الجمعة ٦ مارس ١٨٨٥

التفتيش الاخير لطابور النهر

هذا اليوم كان مغبرا قبيحا ، فقد بدأ بعاصفة ترابية استمرت اليوم بطوله. في هذا اليوم عرض ميجور « كالبورن » خريطة تضمنها كتابة فيما بعد ، وقد رسم عليها كل الجزر والقرى والتلال والوديان التى مروا عليها على مسافة المائة والاربعين ميلا تقريبا التى قطعوها ذهابا ، ومثلها ايابا .

فى تمام الخامسة مساءاً وقف طابور النهر لاخر مرة لكى يقوم قائده بتفتيشه . حاول براكنبرى - أثناء التفتيش - أن يتصرف بطريقة تختلف عن طريقة تصرفه التى تشبه أسلوب تعامل موظفى البريد والبرق . حاول أن يكون حارا وشاكرا ومقدرا للتعاون الذى ابداه جنوده فى تلك الأيام العصيبة القاسية الكوالح .
ودع القائد أيضا الرحالة الكنديين الذين سينتهى تعاقدهم مع الجيش الانجليزى فى التاسع من مارس ، وأكثرهم لايريد تجديد عقده ، فالستة الأشهر السابقة قد ذاقوا فيها الامرين .

السبت ٧ مارس ١٨٨٥

رفت نائب المدير . اشاعات تلحق بهم

بابى دوم سلم خطاب الى وكيل مدير دنقلا جودت بك يقول فيه وولسلى إليه (سلم مهامك الى عزالدين بك واعتبر نفسك مرفوتا (١)).

الإشاعات التى ترسلها قوات استخبارات الثوار بدأت تلاحقهم الى هنالك . ان الجواميس أتوا إليهم ذاكرين : ان جيوشا ضخمة يقودها عبد الماجد ابو الكيلك وسليمان ود النعمان قد وصلت الى برتى ، وأن جيشا أخر بقيادة الامير محمد الخير فى طريقه الى الهبة .

---

١ - طابور النهر ص ٢٨٩ .

الاحـــد ٨ مـــارس ١٨٨٥

حـــل طـــابور النهر

وصل الى معسكر كـــورتى اليوم الطابور . توجـــه الميجور جنرال الى قائده لـــورد وولســـلى لتقديم تقايره ، بعدها اعتبر طابور النهر محلولا .

قضى طابور النهر فى التحرك ذهابا وإيابا سبعين يوما ، قطع فيها مـــائة واربعـــين ميلا تقريبا بالنهر والبر ذهابا ، ومثلها إيابا .

رحلة الذهـــاب أخذت منه سبعة وخمسين يوما ، ورحلة الإياب ثلاثة عشر يوما فقط . حـــارب الطابور قـــوة استطلاع فى كربكان ، وفقد قائده الجنرال ايرل وثلاثة من قادته الكبار ولورداً ومائة تقريبا بين قتيل وجريح من كل الرتب .

كـــل الذى استطاع الطابور تحقيقه هو تحطيم القرى والسواقى والنخيل والمزروعات بارض المناصير

هـــدف الطابور الرئيسى فى احتلال بربر والتقدم الى شندى لم يتحقق ، ولا حتى قتل من قتلوا استيوارت .

كان تسليم براكنبرى للـــورد وولسلى التقرير ، امرا حزينا مقيتا داكـــنا مـــغبرا كالثلاثة الايام الفائتة .



معسكرات القوات التي اندحرت

بعـد وصـول قـوات طابور النهر الى كورتى فى اليوم الثامـن من مارس ١٨٨٥ . إكتملت جميع قـوات وولسلى فى معسكره الجميل بكورتى ، محققـة أكبر خيبة منى بها فى حياته . وحسب ماقاله فى السنوات اللاحقة ، فان حملة النيل كانت النقطة التى بعدها بدأ كل شيء يسير ضده .

أسـكن وولسـلى قـواته المندحـرة بين الشلال الثالث والرابع ، ليوقف تفشـى مـرض التايفويد بشكل يقضى على كل جنوده . أسكنهم فى الحفير ودنقلا وابى قس والكرد والدبة والحتانى وامبقول وكورتى وابى دوم (١) .

القـوات المصرية التى أغلبها عمل فى الترحيل واستطاعت أن تمـد وولسـلى فى كـورتى يوميا بخمسة عشر طنا مـن المـواد الحربية والغذائية ، بقيت فى منطقتها بين الشلال الأول والثالث ، فى أسـوان وكورسكو وحلفا وحمال وعكاشة ودال ومفركة وكوشة وعبرى وأبى صارى ودلقو وخيبر وأبى فاطمة(٢) .

أن الجيش المصرى الـذى كـان جسمه الاعظم بعيدا عـن القتال ، فقد القليل فى هذه الفترة . أما الجيش الانجليزى الذى دخل الى السودان أربعة عشر ألف رجل(٣) ، فقد أصبح الان ستة الاف وثمانمائة وخمسة وعشرين جنديا (٤) ، بسبب القتل الذى لحقهم بسيوف الانصار وحرابهم وبنادقهم ومدافعهم ، وبسبب المرض الذى أطلقوه فى أنفسهم نتيجة سكرهم وسرقتهم للمأكولات فى غابة الشبكات ، وبسبب غرق

١+٢ – شقير ص ٨٨٤ . اوراق وزارة الحربية .
٣ – السـودان المصرى ص ١٦ .
٤ – شقير ص ٨٨٥ .

زوارقهم ، وبسبب هرب بعضهم بما فيهم كولونيل استانلى كلارك قائد لواء الهجانة الخفيف الذى أعتبر الحرب فى السودان أكثر مما يحتمل .

لـــورد وولسلى يزاول عمله حكمدارا عاما للســــودان

غـــردون الذى أصبح بموجب فيرمــــان سبتمبر ١٨٨٤ الذى أصـــدره الخديو توفيق ، حكمدارا للســـودان تحت سلطة بيرنق وولسلى ، مـــوته وضع على كاهل الاخيرين تعيين خلف له أو مزاولة عمله . لـــورد وولسلى اختار الاخيره . أول قرار فى مزاولة عمله كحكمدار عـــام للسودان هو رفته لنائب مدير دنقلا جوردت بك

وتعيين خلف له . بعد ذلك قرر رفت مدير دنقلا مصطفى ياور وطرده من السودان لمصر . ان مصطفى ياور القـــوى الولاء للحكم التركى المصرى فى السودان، قـــد سبب لهم مشاكل متعددة ، ولم يقدم معلومات أو معونات تذكر لهم فى مجال شراء الجمال أو تأجيرها وامدادهم بالمأكولات ، كمـــا انه أوعز الى جـــودت بك الذى رافق طابور النهر ، بتقديم أقل معاونة ممكنة .

اســـتمر وولسلى فى عمليات الرفت والتعيين الى أن حمل على الهرب من الســودان ، فكانت جملة تعييناته(١) من بقايا ملوك المنطقة قبل الاحتلال التركى المصرى :—
الملك طمبل حاكما على أرقو ودنقلة .
محمد ودكنيش الشايقى حاكما على مروى .
سعيد فرح من بقايا الفونج حاكما على الدبة .
الشيخ محجوب كبير المرغنية فى السكوت حاكما على السكوت والمحس .

---

١ — شقير ص ٨٨٩ .

سلطته العسكرية

ان السلطة العسكرية التي كانت لدى لورد وولسلي هي انه قائد حملة النيل، ولكن بصفته الان المسئول الاول (هو وبيرنق) أي حكمدار عام السودان، فمن باب اولى كل عمل عسكري يجب أن يكون تحت أمرته. وعليه فقد قررت الحكومة البريطانية بعد سماعها بمقتل غرودن وقرارها بضرب الامام المهدي، ارسال جيش ضخم إلى سواكن ليؤمن رمي الخط الحديدي من سواكن إلى بربر، لادخال قوات بريطانية بقيادة قراهام، وتتلقى جميع أوامرها من لورد وولسلي في كورتي.

لورد وولسلي يقوم بالتزوير

قام لورد وولسلي بعملية أخرى اعتبرها مناسبة له كحكمدار عام للسودان من الناحية الادارية والعسكرية. قام اللورد الانجليزي ونائب القائد العام لجيش صاحبة الجلالة البريطانية بتزوير ختم الامام المهدي واختام قادته (١). وكان يرمي الى وضع الادارة الجديدة في الخرطوم في زوبعة ادارية، بارسال خطابات مزورة باختام الامراء الى الامام المهدي والعكس. كتب وولسلي الى زوجته «لويزا» بخصوص هذه الاختام قبل أن تسمع بها من غيره من الضباط. فقال لها (كل شيء جائز في الحرب)!

لندن الثائرة توقع عقد خط حديدي

الموجة العارمة اجتاحت بريطانيا بسبب الفشل في السودان ومقتل غردون. ان الصدمة اصابت الملكة ومجلس الوزراء والبرلمان والكنائس والنوادي السياسية. بدأت تتكون مؤسسات لتمجيد غردون قتيل الخرطوم.

---

١ – كرامة انجلترا ص ٢٦٧، اوراق وولسلي.

رصدت ميزانية ضخمـــة لحرب السـودان تبلغ اربعة ملايين ونصـف المليون جنيه استرليني من مجمل المـــال الذى خصص لوزارة الحربية البريطانية وقدره أحد عشر مليون جنيه(١) . هذا المبلغ الذى خصص لاحتلال السودان كان يكفى لاحتلال قارة .

أيضـــا وقعت الحكومـة البريطانية عقدا مـــع شـركة « لوكاس انـد ايرد » لبناء خط حديدى بين سواكن وبربر ليمكن الامبراطورية البريطانية من ارسال قوات كبيرة لاحتلال بربر. بعد بربر يمكن الاستمرار بالخط الحديدى أو ركوب البواخر جنوبا.

بالطبع فان الشركة لن تستطيع ان تمد الخط الا بحماية عسكرية ضخمة تقوم بهـــا الحكومة البريطانية ... وهذا عين ما فعلته .

قائمة طلبات وولسـلى

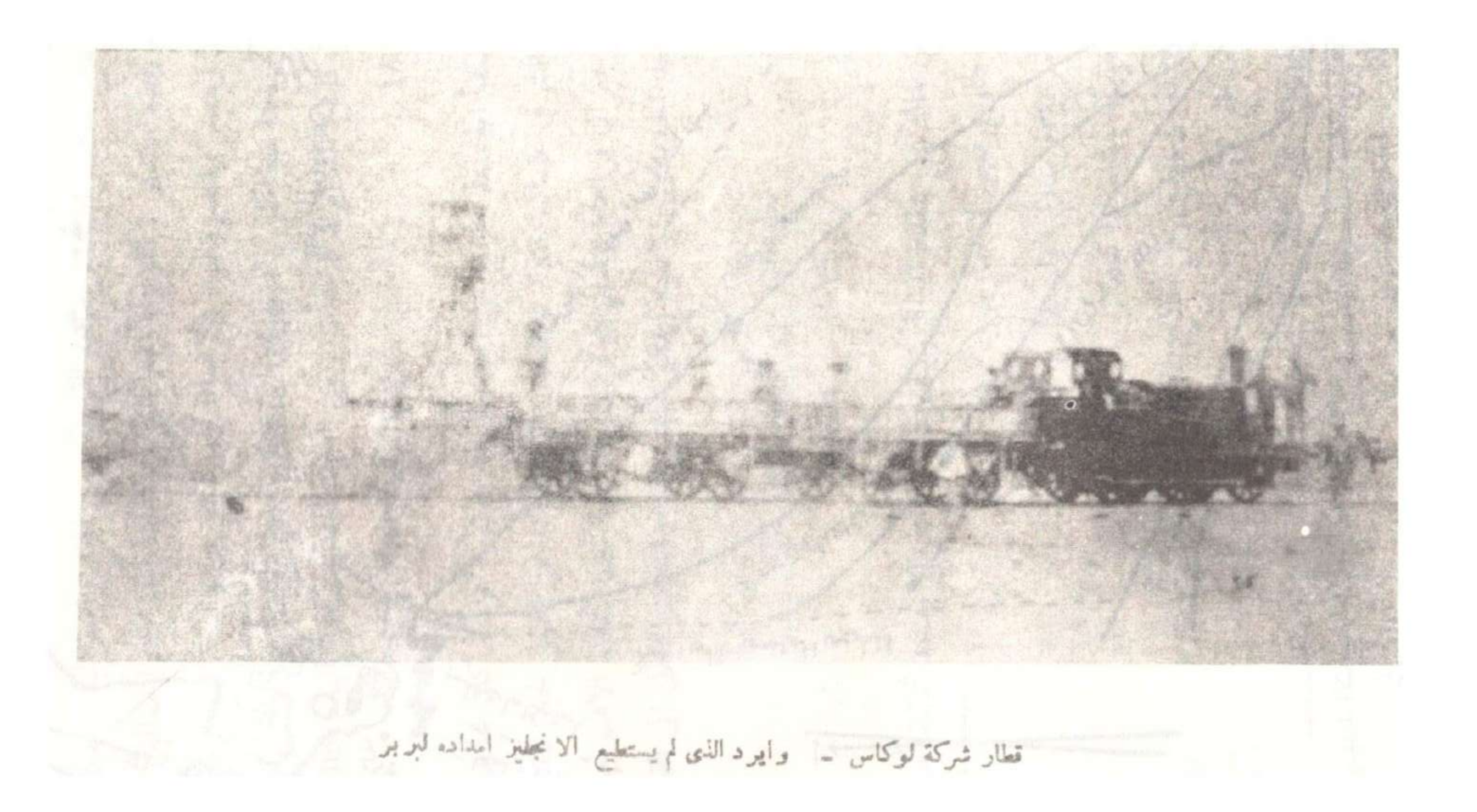
بالإضافة الى الجيش الضخم الذى تعد فيه بريطانيا لغزو السودان من الشرق، كانت لوولسلى قائمة ضخمة من المعدات العسكرية والغذائية يطالب بها . أولها زيادة خـــط حلفا ليصل إلى خمسين ميلا ، حتى يتم التخلص من المنطقة الصعبة من الشلال الثانى. ثانيا ، امداده بثلاثمائة زورق اخر من نوع الزوارق التى اشترى منها لحـــملته تلك تسعمائة زورق . ثالثا ، امداده باحدى عشرة باخرة ، حمولة الباخرة بين ثلاثين وخمسين طنا . ان قائمة اللورد طويلة جدا وتشمل أيضا الجمال .

١ - محاضر مجلس العموم البريطانى . سيمونز ص ٢٦٨

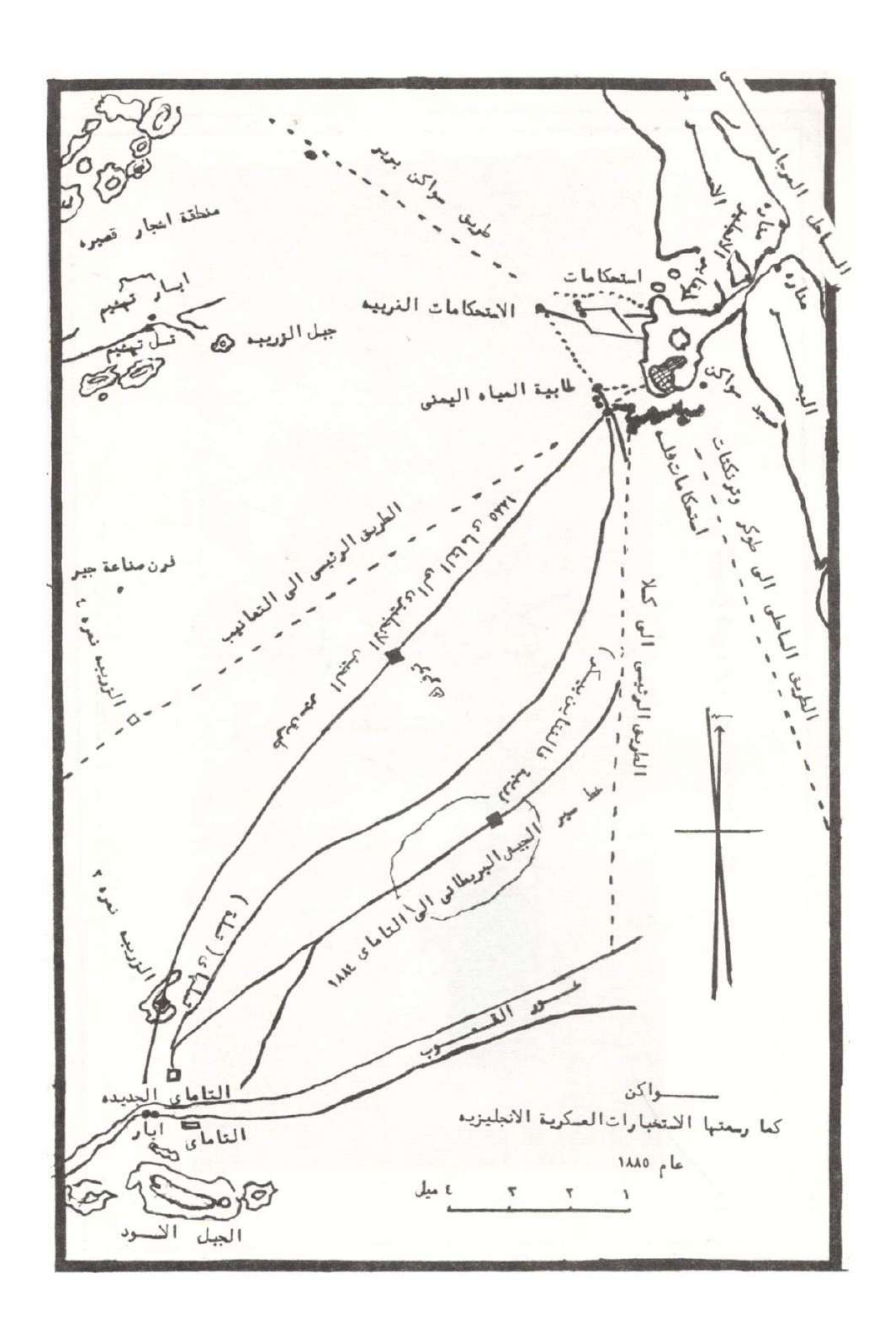
عودة إلى الحروب الشرقية

معركة تفرك

«زريبة ماكنيل»



قطار شركة لوكاس - وايرد الذى لم يستطيع الانجليز امداده لبربر



منطقة اشجار قصيره
ابار تهيهيم
تل تهيهيم
جبل الزريبه
طريق سواكن بربر
استحكامات
الاستحكامات الغربيه
طابية المياه اليمنى
الساحل
البحر
سواكن
الطريق الرئيسى الى التعاتيب
فرن صناعة جير
الطريق الرئيسى الى كسلا
الطريق الساحلى الى طوكر وترنكتات
الجيش البريطانى الى التاماى ١٨٨٤
طريق القرب
التاماى الجديده
التاماى
ابار
الجبل الاسود
سواكن
كما رسمتها الاستخبارات العسكرية الانجليزيه
عام ١٨٨٥
١ ٢ ٣ ٤ ميل

غزو السودان من سواكن بواسطة قراهام

استمرت عمليات نزول القوات البريطانية بميناء سواكن . جاء جيش جنرال قراهام من المستعمرات البريطانية القريبة ومن الهند واستراليا . عدد الجنود بلغ ثلاثة عشر ألف جندى . القوات المساعدة ، كقادة الجمال والحمالين الذين أتوا من الهند وعدن ومصر والصومال ، بالاضافة الى الاداريين والبحارة بسفن النقل ، والقوات التى تقوم بحراسة سواكن والمهندسين ، جعل العدد يزيد على ثلاثين ألف رجل .
(شركة لوكاس اند ايرد) بدأت رمى الخط الحديدى فى اليوم الثالث عشر من مارس ١٨٨٥ .

عندما بدأ الخط يخرج من استحكامات سواكن ، كان عليهم أن يواجهوا امير امراء الشرق عثمان دقنة . توقف المهندسون عن العمل لحين تأمين المنطقة . وعليه قرر جنرال قراهام ارسال قوة تنشىء زريبة تحمل ثمانية الاف جمل تقوم بنقل معدات الخط الحديدى . وعليه اصدر نائب القائد المنشور التالى الى القوات (١) .

تعليمات من القيادة بسواكن

٢١ مارس ١٨٨٥

سير ج. ماك نيل يتقدم الى الزريبة رقم « ٢ » على بعد ثمانية أميال فى طريق التاماى عند طلوع فجر ٢٢ مارس .

القوة : سرية فرسان انجليزية .
سرية مشاة راكبة .
فرقة مهندسين من سلاح المهندسين الملكيين .
مدافع قاردنر .
لواء البيركشير .

---

١ - اوراق وزارة الحربية . قالووى ص ٢٠ .

قــوات بحــرية .
٣ كتائب مشاة محلية (يعنى هندية) .
١ فرقة من لواء مادراس سابرز (هندية) .

خيام لنوم الليل ســوف تكــون تحت مســئولية « الشروبشير » . كل المحمـولات الثقيلة ترسل الى مخازن القاعدة .
الالــوية تحمــل ثلاثين طلقة ذخيرة لــواء « أى ذخيرة احتياطى » وطعام يــوم واحــد . الاهتمام يعطى لمــلء زجاجات المــاء . عربات جر المــاء تتابع الطابور.
القــوة تعسكر على بعد ثمانية أميال وتكون الزريبة رقم « ٢ » .
الفرســان .
المشــاه .
مــدافع القاردنر .
٢ كتيبة انجليزية .
١ كتيبة هندية .
١ فرقة مهندسين ملكيين .
يتقدمــون لصنع زريبة لهــا مساحة داخلية تكفى لكل جمالنا (وهى ثمانية الاف جمل) وتكون لهــا زريبتان فى ركنين منها لحمايتها . عند اكمال الزريبة فان كــل حيوانات النقل والمــاء فى الاوعية ترسل راجعة فى حماية المشاة الراكبة والكتيبة الهندية . القــوة تتوقف عند الميل الخامس وتكون زريبة . هــذه القوة تتكون من كتيبتى مشاة هندية ، وفرقة « مادراس سابرز » . هـذه المجموعة ستصنع زريبة تحمل كتيبة فى ركن منها زريبة أخرى لتحمل فرقة .
هذه الزريبة ســتقوم بحراستها كتيبة المشاة الهندية والمادراس سابرز التى تعــود من الزريبة رقم ٢ .
الكتيبتان الاخــريان مــن المشاة الهنود مــع النقل والفرسان والمشاة الراكبة سوف تعود الى المعسكر (سواكن) .
قــوات الامدادات لهــا أوامر بارسال طعام ثلاثة أيام الى الزريبة رقم ٢ ، ومياه

للحامية ، واكبر كمية من الاغذية والمياه لكل القوة إذا أمكن ذلك . المياه سوف توضع تحت رقابة حراس وتصرف بالتموين .
مياه الحامية لايشرف عليها الا رجال الحامية .
الالوية يحمل كل جندى منها سبعين طلقة ، وثلاثون تحمل كفائض لواء . قوات المهمات ستحمل خمسين طلقة لكل بندقية .
تفاصيل المرضى من البيركشير والبحرية توضع من لواء الشروبشير .

ج . قريفز
رئيس اركان حرب
٨٥/٣/٢١

تعديلات : فى صباح يوم التحرك حدث تعديل طفيف ، هو ان المشاة الراكبة سحبت ، وهى قوة تتكون من المتطوعين من الوية مختلفة ، أخذوا مكان الوية الرايفل بحسب النظام القديم ، ويختلفون عنهم فى انهم أصبحوا راكبين بعد أن كانوا مشاة . التعديل الثانى هو ان الزريبة الصغيرة سوف تصنع قبل الوصول الى الزريبة الكبيرة رقم ٢ .
عند وصول تلك القوة ، بعد التعزيزات التى ارسلت إليها قبل المعركة ،أصبحت كالاتى : (١) .
١ . سرية من فرسان لواء الرماحة الخامس .
٢ سرية من فرسان لواء السوارى العشرين، زيد عددها بعشرة فرسان .
٣ . اربعة طواقم مدفعية قاردنر من لواء البحرية الملكى .
٤ . لواء البيركشير رقم ٦٥٠ .
٥ . فرقة مهندسين ملكيين .
٦ . سرية فرسان من لواء البنغال التاسع .

١ – اليومية الحربية لقوات سواكن ص ٣٣٣ – قالو وى ص ٨٦ .

٧ . سرية فرسان من لواء البنغال الخامس عشر .
٨ . لواء مشاة البنغال الاهلى السابع عشر .
٩ . لواء مشاة بومبى الاهلى الثامن والعشرين .
١٠ . لواء مادراس سابرز ومابنرز .

اتباع انجليز

حوالى ثلاثمائة من خدم الضباط والعاملين بالنقل .

قادة الجمـــال

سبعمائة من الهند وعدن والصومال ومصر .

جمـــال

ألف جمل .

خيول

ستمائة .

بغـــال

حوالى الثلاثمائة .

الاحد ٢٢ مارس ١٨٨٥

استعرض القائد العام ، سير جيرالد قراهام القوات التى قضت كل الليل فـــى الاعـــداد بضوء السفن البحرية . استعرضها فى بداية رحلتها لصنع زريبتين وتحمل مـــؤنا ضخمة لتوضع فى الزريبة الثانية ، فتكون مخزن امداد للسكة حديد ومركز حماية فى تقدم سير العمل .

عملية الاســـتعراض تمت فى وقت مبكر . اشـــرقت الشمس فى ذلك اليوم بسواكن فى تمـــام الساعة السادسة واربع عشرة دقيقة . أحـــدث سير جيرالد تغييرا طفيفا فى ســـير الحملة ليكون الى الجنوب الغربى بعد أن كان الى الجنوب مباشرة .
ذكـــرهم جراهـــام أن الحامية التى يبنونها (الزريبة رقم ٢) ستضرب التمـــانيب والتامـــاى حسب الظروف .

التشكيل

تتكـــون هذه القـــوة التى تتقدم لصنع زريبتين من مربعين وعربة تلغراف ميدان ، تتقدمهم قوات فرسان الرماحة .

المربع الاول

شكل المربع الاول كالاتى :-
الواجهة تتكون من فرقتين انجليزيتين مـــع قائد الحملة سير جون كارستير ماك نيل . فى المقدمـــة وخلـف الواجـــهة ، الكتيبة الاولى من لواء البيركشير بقيـــادة كولونيل (هاى شى) . مشاة البحرية الملكية الخفيفة تحت قيادة ليوتنانت كولونيل (أوزارد) شكلت المؤخرة بنفس طريقة تشكيل المقدمة .

المهندسون الملكيون تحت قيادة ليوتنانت كولونيل « ليتش » وضعهم قراهام ، بعكس تخطيط ماك نيل ، فى مواجهة الجناحين . بداخل المربع اربعة مدافع قاردنر ، السريعة الطلقات الحديثة ، كل واحد تجره أربعة بغال ، مع عربات (كالعربات الامـــريكية التى تظهر فى أفلام الكابوى) تحمل الذخيرة . هذه المدافع تحت قيادة كابتن «دوم فيل». فى داخل المربع أيضا سرية من مدفعية البحرية الملكية ، تحت قيادة ليوتنانت هيربرت سليسور .

ايضا يضم المربع من الداخل عربات لحمل ذخيرة احتياطى الالوية ، وعربات المياه، بالاضافة الى اثنتى عشرة عربة أخرى تحمل معدات مختلفة لقوات المهندسين الملكيين.

المربع الثانى الهندى

المربع الثانى كـــان أكبر من الاول ويسير خلف الاول وعلى يمينه قليلا . بعد المربع الاول من الثانى يتراوح حســـب وعورة الطريق ، بين ربع ميل ونصف ميل . يقود المربع البريقادير جنرال (عميد) هدسون .

كتيبة « سيخ لوديانا » أو مايسمى الكتيبة ١٥ بقيادة كولونيل « جيـــوار هنســـى » شكلت المقدمة وجزءاً من الجناحين. قـــوات لواء مشاة بومبي الأهلي بقيادة «ف .س . سنقل تون » شكلت بقية الميمنة وجزءاً من المؤخرة .

لـــواء مشاة البنغال السابع عشر احتل الميسرة وجزءاً من المؤخرة . ولنظرا لغـــياب كولونيل اللواء ، فقد قاده ميجور « ج. م. فون بيفرهاوت ».

المؤخـــرة تكونت من الاحتياطـــى المكـــون من فرقة المادراس سابرز الهندية، تحت قيادة « وى كـــايسون» ، وهـــو من المهندسين الملكيين .

فى داخـــل المربع خمسمائة وثمانون جملا ، تحمل شباكا وضعت بداخلها أوعـــية المـــياه . بقية الجمال كانت تحمل محمولات حربية وهندسية .

أوعية المياه

أوعية المياه التى كانت لدى القوات البريطانية ، كانت مصنوعة مـــن ثلاث مواد ، بعضها من الحديد (المقلفن) ، وبعضها من الأخشاب وثالث من المطاط .

مقاســـاتهـــا كانت ، ثمانية جـــالونات ، عشرة جالونات واثنى عشر جالونا ونصفاً .

الأوعـــية المصنوعـــة من الأخشاب كانوا لايفضلونها لانها تبدل طعم الماء. الأوعية المطاطية كانت هندية وسيئة القفل . أوعية الحديد المقلفن (ضد الصدأ) كانت تأتيهم من انجلترا ومصر . الانجليزية كانت جيدة ، أما المصرية فقد كانت مغشوشة– اقفالها ولحامها سيىء ولاتحفظ المـــاء .

أوعـــية المـــياه هذه كانت تحمل على جمال بوضعها فى شباك . عند وصولهم الى نقاط بقائهم فانهم يضعون المـــاء فى خزانات تسع اربعة وستين جالونا ، وتحملـــها فى العادة عربات يجرها بغلان .

عربة تلغراف الميدان

الى يســـار المربعين ، عربة تلغراف ميدان تجرهـــا البغال بقيادة ميجور « تيرنر » هذه العـــربة تلقى على الارض سلك تلغراف وتقوم بوضع قليل من الرمل علـــيه .

على طول الطريق يستطيع هذا الجيش التحادث مباشرة مع قيادته في سواكن . طريقة وضع السلك وعمل الجهاز كان مبسطا جدا رغم حداثة نظام عربات تلغراف الميدان .

هذه العربة التي تجرها الخيول ، فوق عجلاتها الاربع ، مقصورة مغطاة بالأقمشة الثقيلة ، يثبتها هيكل مستطيل ومستدير السقف . في منتصف العربة عجلة ضخمة من السلك الثنائي الخط الرقيق المغطى بالورق والقماش لعزل السلكين . امام نقطة انحدار السلك الى الأرض سكين محراث تشق الأرض لعمق بوصتين فقط . السلك ينزل عبر ماسورة حتى الشق . بعد هذه الماسورة مجرفة تقوم بتغطية السلك بالتراب الذى خرج أولا من الشق .

ان هذا النظام البدائي لرمي سلك ، كان فعالا في المناطق الرملية والترابية . في داخل العربة قسم مخزونات الاسلاك وقسم الارسال . قسم الارسال به الجهاز المعروف باقسام التلغراف التقليدى ، ومولد كهرباء يدار بواسطة عجلة يدوية ،لامداد الجهاز بالطاقة .

قادة الجمال والحمالون

قادة الجمال والحمالون كانوا من عدن ومن الهندوس ومن مسلمي « السند » و « لاهور » وبقاع أخرى من البنجاب ومن الدلتا بمصر بعاداتهم وملابسهم المختلفة . اختيروا جميعا من الاقوياء الذين يتمكنون من القيام بالاعمال الشاقة وفي ظروف صعبة . العدد الكلي للجمال التي ذهبت مع المربعين الفان .

الطريق

الطريق من سواكن الى كسلا كان أهم الطرق في السودان ، طوله مائتان وثمانون ميلا ، أي انه اطول من الطريق الذى سيسلكه خط السكة الحديد الذى يريدون انشاءه بين سواكن وبربر ، وطوله مائتان وخمسة واربعون ميلا .

طـريق سـواكن – كسلا الذى سيمر هذا الجيش بجانبه الى مسافة قـصيرة هى ثمانية أميال حسب الاوامر ، مقسم الى اثنتى عشرة محطة تلغرافية ، وبكل محطة مصدر مياه . إن هذه النقاط تقسم الطريق الى مسيرة اثنى عشر يوما .

الطـريق الـذى سيسلكه الجيش هـو طريق التاماى ، الذى سيذهب مع طريق كسلا مسـافة ستة أميال ، ثم يتجه يمينا . بعـد ارتفاع متدرج لمدى يقل عن ثلاثة أميال ، يصل الفرد الى زريبة تسمى زريبة جنرال بيكر ، كان قد صنعها قبل مدة من هزيمته. التاماى تقع على بعد ستة أميال ونصف تقريبا من تلك الزريبة .

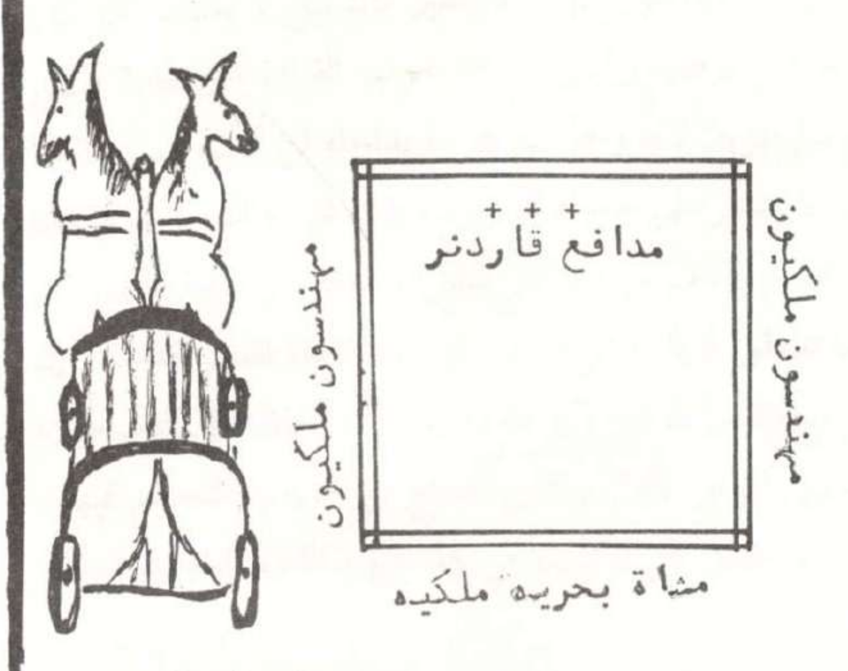
الاسلحه

١ . بنادق مارتينى هنرى مزودة بسونكى طويل .
٢ . بنادق « سنايدرز » مزودة بسونكى طويل .
٣ . أربعة مدافع قاردنر سريعة الطلقات – تطلق مائة طلقة فى الدقيقة .
٤ . سيوف طويلة للضباط .
٥ . مسدسات متعددة المواسير للضباط .

الملابس

١ . بذلات انجليزية ، ولكن القماش من الكاكى .
٢ . اوفرولات بحرية انجليزية .
٣ . بذلات انجليزية ولكن من الكاكى ، ومعها سراويل قصيرة ورباط سـاق لقوات الرماحه .

بقية الاحذية وغطاء الرأس والاحزمة لم تتغير عما كانت عليه فى بقية الحملات السابقة التى قام بها الانجليز بالسودان .



عربة تلغراف الميدان
بقيادة ميجور تيرنر

سيخ لوديانا ١٥

مشاة البنغال ٢٨

حيوانات الاحمال

مشاة البنغال ١٢

مدراس سابرز

المربعان اثناء سيرهما الى تفرك بقيادة ماك نيل

التحرك

بدأت الحملة في التحرك . القائد سير جون كارستير ماك نيل ، بعـــد أن كان بداخـــل المربع الاول بناءاً على توصية رئيس اركان حرب القيادة البريطانية فـــى ســـواكن ، الا انه خرج من المربع لانه وجد ان القيادة بداخله لن تمكنه مـــن قيادة المربعين . خرج معه ياوره الارستقراطى جدا « لـــورد ويلت شير » الذى أصبح فيما بعد « مركيز وين شستر » . بعد ابتعادهم من سواكن بقليل ، دخلوا الى منطقة شجيرات سنط ، بدأت تتكاثر كلما تعمقوا فيها ، الى أن وصلوا الى منطقة المـــرتفعات . إن وجـــود هذه الاشجار المزعجة لسير مربعات بريطانية يجب أن تحافظ على التحامها ، كان امرا خطيرا . فالمسافة بين المربع الاول والثانى أصبح من الصعب التحكم فيها . كما أن الشوك أصاب الجنود وخلخل من ترتيبهم فى هذا اليوم الذى كاد يتوقـــف فيه الهواء تماما .

قـــوات الرماحة المحمولة على خيولها ، كانت تتقدمهم وتأتيهم باخبار الارض التى حولهم ومن بها . بدأت هذه القوات تشير الى وجود اعراب فى المنطقة .
جـــاسوس اتـــاهم وقال لهم : ان الامير عثمان دقنة فى المنطقة ، ويعرف انكم متعسكرون على بعد ثمانية أميال من سواكن ، وقد نصب لكم كمينا هناك .

قوات استخبارات الثوره القادره

إن الاعراب الذين كانوا بالمنطقة ، كانوا من قوات استخبارات الامير عثمان دقنة. هـــذه القوات كان عملها لايتوقف على مدار الساعة فى الحروب والسلام . ان الامير عثمان دقنة كـــان رجلا لايريد أن يعرف قـــوة اعدائه فقط ، بل كان على استعداد للجلوس كل اليوم دون أن يأكل أو يشرب، أو حتى يتحرك ، لكى يســـمع قـــوات استطلاعه تحدثه عن أى معلومات جمعوها ، حتى ولو كانت عن أحذية اعـــدائه الجديدة . إن معلوماته عن أدق تصرفات اعداء البلاد كانت مذهلة ، فى زمن كان عـــدوه لايعرف عنه عشر معشار مايعرفه هو عنه .

الملع يقود الى توقف المربعين

أن الجاسوس الذى وفد الى جون كارستير ماك نيل حاملا اخبار وجــود الأمير عثمان دقنة بالمنطقة ومايعد له ، قد اقنع هذا القائد بالايصل إلى نهاية الخطة المرسومة لسيره . فحسب أوامره ، عليه أن يسير لمسافة ثمانية أميال . ولكنه الان عرف انــه إذا وصل الى هناك سيجد الامير عثمان دقنة وكمينه .

فى تمــام العــاشرة وثلاثين دقيقة أبرق الى قــائده فى سواكن قراهــام ، بان حال الجمال فى المربع الثانى أصبح خطيرا جدا ويريد التوقف .
رد عليه قــراهــام بتعليمات جــديدة ، تبدل كل التعليمات القديمة وهــى كالاتى :
١ . يتوقف عند الميل السادس ، ويقيم زريبة هناك فى مكان يدعى توفــرك ، ان استطاع .
٢ . لايصنع زريبة فى الميل الخامس ، كما كانت تنص التعليمات .

زريبة ماك نيل الشهيرة بتوفرك

أوقــف القائد المربعين حسب الاوامر الجديدة على بعد ستة أميال من سواكن فى منطقة تسمى توفرك ، معطيا أوامره بصنع زريبة ضخمة تسع فى المستقبل محمولات ثمانية ألاف جمل . انها مربعة وضلعها مائة وعشرون ياردة .
هــذه الــزريبة ستصنع فى زاويتها الشمالية الشرقية ، زريبة أخرى مربعــة ضلعها خمس وسبعون ياردة .
نفــس الزريبة الثانية ستصنع واحــدة مثلها فى الزاوية الجنوبية الغربية من الزريبة الام ، فقط ضلعها سيكون خمسًا وستين ياردة. الزريبتان اللتان على الزاويتين ستكونان للجنود ، والزريبة الرئيسية للمحمولات .
وكاجــراء احتياطى لحماية الزرائب الثلاث ، سيكملون هــذا التشكيل الهندسى ليصبح مربعا ضخما ضلعه مائتان وستون ياردة ، تقع بين زاويته الشمالية الشرقية ، وزاويته الجنوبية الغربية ، سلسلة الثلاث الزرائب .

الزريبة الشمالية الشرقية قام بتشييدها رجال لواء مشاه البحرية الخفيف .
الزريبة الجنوبية الغربية ، شيدّها كتيبة لواء البير كشير رقم ٦٥٠ .
واجهة الثلاث الزرائب الغربية ، وضعوا عليها قوات السيخ . الواجهة الشمالية للثلاث زرائب وضعوا عليها فصيلتين من لــواء مشاة البنغال الاهلى السابع عشر . الى يسارهم لواء مشاة بومبى الثامن والعشرون .

فى الواجهــة الجـنوبية المقابلة للثلاث الزرائب ، وضعــوا ست فصائل من لــواء مشاة البنغال السابع عشر .

الجمال بعد تفــريغ حمولتها فى الزريبة الرئيسية ، التى فى منتصف هذا المعسكر ، والتى لم تكتمل بعد ، تذهب الى مربط فى شرق المعسكر على بعــد مائة وثلاثين ياردة تقريبا من مكان انزال حمولتها .

القــصد مــن هــذا أن تكون الجمال جاهزة للتوجه الفورى الى سواكن . شمال مربط الجمال المؤقت هذا وضعت نصف كتيبة من قوات لواء البركشير رقم ٦٥٠ .
كثافــة الاشــجار القصيرة التى طولها يقل عن مترّين ونصف ، فى الجانب الشمالى من المعسكر ، جعلت القائد يعزز لواء مشاة بومبى الاهلى الثامن والعشرين بفصيلتين من لــواء البنغال ، حتى تزيدا من طول الضلع بجعله لصف دائرى هناك .

امــام واجهات هذا المعسكر ، وضع القائد نقاط ديدبانات . كل نقطة بها أربعة رجال او خمسة ، وضعوا على بعد مائة وخمسين ياردة من الواجهات .

امــام الــديدبانات بنصف مــيل ، وضع القائد قوات فرسان الرماحة (اللــواء الخامس) بطريقة فرسان جنوب روسيا « الكوساك» المشهورين . حيث يقفون فــى نقاط ، بكل نقطة اربعة فرسان واحد منهم يكون متقدما والثلاثة الفرسان يكونون احتياطيا . نفس التشكيل وضعه القائد من فرسان الرماحة بين الديدبانات والزريبة .

قوات سوارى اضافيه

في تمـــام الساعة الواحدة ظهرا وصل ميجور فـــرانك قريفز ، مرسلا مـــن الجنرال قراهام ومعه سرية سوارى بها مائة فارس من لـــواء السوارى العشرين .

أبلـــغ الميجـــور قائد المعسكر ، ان قراهام ارسله ليكون فى المنطقة التى بين الزريبة وسواكن لمراقبة أى هجوم يقوم به الثوار على زريبته .

ســـأل ماك نيل قائد السوارى ، عن الطريق ، وهل هناك ثوار به أم لا ، فرد عليه ميجور قريفز : ان هناك مجموعات ضالة من الاعراب وليس هناك أى خطر على زريبته.

سير العمل بالزريبه

الساعة الثانيه ظهر ٢٢ مارس ٨٥

استمر العمل بالزريبة بهمة ونشاط. ففى تمام الساعة الثانية ظهرا اكتمل جـــزء كبير من حيطان الزريبة ، صنع من أكياس الرمل .

المهندســـون الملكيون وقوات المـــادراس ســـابرز يقطعون الشجيرات لاتمام الزريبة . فرق انزال الاحمال وادارة المياه ، مستمرة فى عملها . بقايا انجليز طلب منهم جمع أسلحتهم ، وإقامة حراسة عليها . بطارية مدفعين من مدافع القاردنر ، تحت قـــيادة ليوتنانت سيمور وبحارة من الاسطول ، وضعا فى مركز لهما فى زريبة قـــوات البركشير (الجنوبية الغربية) .

التلغراف

الاتصال بسواكن عن طريق التلغراف مستمر دون توقف .

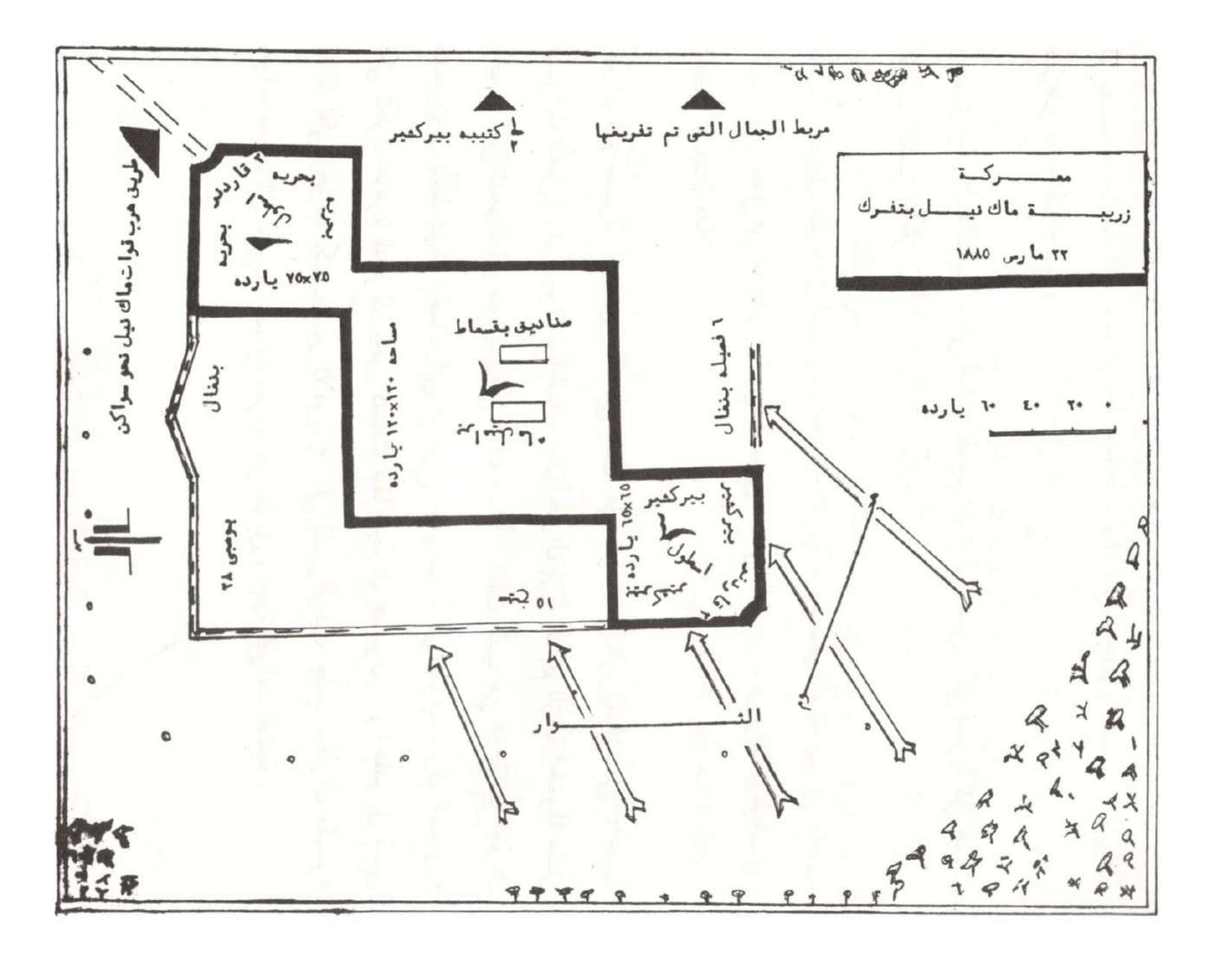
الساعة الثانية والنصف ظهراً

كولونيل « هـاى شى » ذهب الى ماك نيل ذاكرا له أن لواءه « البير كشير ٥٠،» لم يصب طعاما منذ السـاعة الرابعة صباحا ، وقد اثرت عليهم الشمس ، ويطلب صرف غذاء لهم ومـاء .

وافـق الجنرال ماك نيل ، على أساس تقسيم اللواء الى قسمين كل قسم يأكل تحـت حراسة القسم الآخر .

ذهـب نصف اللواء الى الـزريبة الجنوبية الغربية ، ووضعوا أسلحتهم فى داخلها. كاد ينتهى العمل فى هذه الزريبة من حـفرتى مدفعى القاردنر ، وجوالات الرمـل . احضر المدفعان فعلا .

جنرال سيرجـون كارستير ماك نيل يقف على جواده فى الزريبة الوسطى ، حيث قـوات النقل تنزل محمولات الجمال . ان الجنرال يريد أن يتم انزال الحمولة مـن الجمال لكى تتحرك الى سواكن قبل الثالثة مساءاً . لذلك طلب من البريقادير جنرال هدسون أن تأخذ قواته الجمال التى تم افراغ حمولتها ، الى جنوب شرق الـزريبة لكى تكون جاهزة للتحرك. اخر كلمات قالها للجنرال هدسون : (احضر لى فـى الثالثة لكى اخبرك بكيف تسير الامور) . فى نفس الوقت جذب الجنرال مقـود جواده متجها الى الزريبة الجنوبية الغربية عن طريق واجهة القوات الهندية .


معركة
زريبة ماك نيل بتفرك
٢٢ مارس ١٨٨٥
مريط الجمال التى تم تفريغها
كتيبه بيركشير
بحريه
بحريه
٧٥×٧٥ يارده
صناديق بقسماط
ساحه ١٢٠×١٢٠ يارده
بنغال
بومبى ٢٨
٥١ سيخ
بيركشير
٦٥×٦٥ يارده
الاسطول
١ فصيله بنغال
٠ ٢٠ ٤٠ ٦٠ يارده
الثوار
طريق حرب قوات ماك نيل نحو سواكن

عندما غضب الله على الانجليز !

الساعة الثانية والثنان وخمسون دقيقة

الاحد الثاني والعشرون من مارس ١٨٨٥

إن رجــزا من السماء قد وقع على اقوام عــدة فى التاريخ المكتوب والتاريخ الثيولوجى . فقد اخذ الله فرعون وجنوده فنبذهم فى اليم (سورة القصص– آية٢٩) ، ثم قوم نوح انزل عليهم الطوفان (سـورة العنكبوت آية ١٣) ، وقرى قصمت لظلمها (سورة الانبياء – آية ١٠) ، اما فى التاريخ المكتوب فان كوارث الفيضانات والرياح والزلازل تعج بها نشرات الاخبار قبل كتب التاريخ .

ان الله غضب على الانجليز فى زريبة ماك نيل بتوفرك فى الساعة الثانية والدقيقة الثانية والخمسين من مساء الثانى والعشرين من مارس عام ١٨٨٥ ، ولم يرسل لهـــم طوفانا ولاريحاً صرصراً عاتية ، وانما ارسل إليهـــم امير امـراء الشرق عثمان دقنة ورجـــاله الطوال الشعر !!

عندما وصل سير جون كارستير ماك نيل الى الزريبة الجنوبية الغربية (رقم ٣) (ارجو مراجعة خريطة الزرائب) ، رأى أحد فرســان الرماحة يندفع إليه كالسهم وخلفه اخرون يشيرون كالبكم الى سحابة التّراب التى اندفعت الى السماء من ارجل «الفـظى وظى»،ولدتّهم الشجيرات التى كانت تبعد بين ثمانين ومائة وعشرين ياردة قطعوها الى داخل الزريبة فى حوالى عشر ثوان فقط (١) .

قوات الثورة

القوات التى ظهرت للانجليز الان ، كانت مختبئة تحت الشجيرات الصحراوية هى :–

القـــائد : امير امراء الشرق عثمان ابوبكر دقنة .

١ – غردون الخرطوم – جونسون ص ٦٣ .

الجنود ألفا هدندوى من الرجال والاطفال (١) والنساء (٢) . ان الاطفال اخترقوا الزريبة مع ابائهم ، أما النساء فبقين خلف الأشجار ، وحارين الهاربين .

الأسلحة: سيوف ورماح وخناجر .

الملابس : سراويل طويلة ، ويغطون صدورهم واعجازهم بقطع قماش طولها أربعة أمتار ونصف . عند الهجوم تركوا قطع القماش هذه فبانت صدورهم ممسحة بالدهن ، ويلبسون احجبة متعددة .

تشكيل الهجوم

إن الهجوم اتخذ نفس تشكيل الاختباء ، فكل مجموعة كانت مختبئة تحت شجرة أو منخفض ، اندفعت كما هى ، ولكن فى وقت واحد تقريبا ، مشكلين واجهة غطت الجانب الجنوبى للزريبة باكمله ونصف الواجهة الغربية لها . وقد استطاع الثوار الدخول الى المعسكر بكل عرض المواجهة . أكثر القوات دخلت من الناحية الجنوبية.

معركة توفرك (زريبة ماك نيل)

العشر الثوانى التى قضتها قوات عثمان دقنة فى قطع المسافة بين مناطق اختبائهم والزريبة ، لم يتعرضوا فيها لنيران الاعداء لسببين . الاول هو ان قوات الرماحة — التى كانت بعدهم — عندما شعرت بهم اسرعت راجعة قبل أن تعزل من الزريبة ، فأصبحت أمامهم . أيضا الديدبانات الذين كانوا يقفون للحراسة هربوا ، فشكلوا غطاء جيدا امامهم . هذا بالاضافة الى أن الزريبة التى لم يتوقع جنودها هجوما ، لم يعطهم الامير عثمان دقنة وقتا لتشكيل دفاع . فمنذ لحظة دعاء الحرب الى دخول الزريبة كان عشر ثوان فقط !

قبل أن يصلوا الى الزريبة سبب هرب رجال الرماحة الانجليز مندفعين بخيولهم، ارتباكا فى داخل الزريبة . انهم لم يقفوا بداخلها ، وانما اتجهوا مباشرة الى

١ — معركة توفرك ص ٨٦ صحيفة التايمز بتاريخ ١٨٨٥/٣/٢٥ .
٢ — صحيفة التايمز بتاريخ ١٨٨٥/٣/٢٥ .

الطريق المقابل وهو الطريق الى سواكن. ترك المهندسون الملكيون معداتهم وهربوا(١).

تبع فرسان الرماحـة والمهندسين فى الهرب ، لواء مشـاة البنغال الهندى السابع عشر (٢) ، الذى كان يقف فى الواجهة الجنوبية. الان الثوار يندفعون مهللين ،مكبرين بأصوات تطرد شياطين السمـاوات السبع . السيوف البيض البواتر تلمع وتراقص بحركات أيديهم التى لاتهدأ .

حاول لـواء البير كشير – الذى كان فى الزريبة الجنوبية الغربية (رقم ٣) ، وقوات السيخ – غرب المعسكر – الدفاع ، ولكن ذلك لم يكن ممكنا . أن صدمة دخـول قوات عثمان دقنة كانت كأعصار « دونا » لايبقى ولايذر . اتجه بـعض الثوار الى الجمال ليستغلوها فى اثارة أكبر قدر من الاضطراب بالمعسكر .

حاول القائد جمع بعض جنود البنغال للوقوف ، ولكنه فشل ، فالمجموعة التى أوقفها بدأت تطلق النار فى السماء ولاتنظر الى الثوار ، ثم ولوا هاربين مرة أخرى .

دخل الانصار الى الزريبة الجنوبية الغربية (رقم ٣) حيث مدفعا القاردنر ، وقتلوا ليوتنانت سيمور وبحارته الذين كانوا يعدون مدفعهم . كابتن « دوم فيل » برهـن على انه من أبطال العدو واستطاع النجاة باعجوبة ! قتلوا أيضا كابتن « روميـلى » وليوتنانت «نيومان» ،ثم اتجهوا الى الزريبة (رقم ٢) الوسطى. عندما دخلوها ، تمكن القائد ماك نيل من تحريك ماتبقى من قوات لواء البير كشير للوقوف فى الجانب الجنوبى من الزريبة بمساعدة قوات بنغالية قليلة استطاع ضابط المخابرات « كابتن بيرسـى هنرى نويل ليك » جمعهم .

الثوار الذين استمروا فى الدخول من تلك الجهة الجنوبية أصبح عددهم قليلا – فرادى – وتعرضوا لنيرانهم . الاعـداد التى اتجهت الى الجمال جاءت دافعة لها ، محطمة بها الزريبة الوسطى (رقم ٢) والشمالية الشرقية (رقم ١) .

---

١ – غردون الخرطوم . جونسون ص ٦٤ ٢ – قالو وى ص ٦٨ .

الجمال التى اصاب الانصار جلها ، بدأت تجرى والدماء تغطيها وتملأ الارض التى تسـير عليها . ومن تحت كل جمل ، فى الوقت المناسب ، يخرج هدندوى ليضرب فريسته . قادة الجمال من الهنود والمصريين والعدنيين والصوماليين ، كانوا الكباش التى لقيت مصرعها سريعا . كل العدد تقريبا الذى لم يهرب قتل .

إن الجمال التى اندفع الثوار خلفها قد حطمت كل دفاعات المعسكر ، وبسرعة لاتوصف كانوا كجبل الجليد ينهار بالصراخ فيحطم كل شيء تحته . لم يبق هناك دفـاع يقـف الانجليز أو الهنود خلفه . واستمر الهدندوة فى عقر الحيوانات وذبح قادتها وقتل الجنود . من الزريبة (رقم ٢ الوسطى) اتجهوا الى الزريبة (رقم ١).

كولونيل «وى» الذى شاهد الموقف ، وقد اختبأ خلف ساتر قال(١) : (إن كل شيء كما يبدو جاء فى وقت واحد ، جمال النقل بكل أشكالها ، وعربات المياه ، وبغال الذخيرة ، ومشاة اللواء ١٧ والمادراس سابرز ، وحملة المرضى ، وقوات النقل ، والفرسان والعرب يحاربون وسطهم . كل هذه الأشياء مرت الى جانبى واتجهت الى خارج الزريبة من الناحية المقابلة ، حاملين معهم عددا من رجال البحرية وبعض الضباط الذين تجمعوا فيما بعد وعـادوا) .

قبل ان يصل سيل الجمال وخلفه الثوار الى الزريبة الشمالية الشرقية (رقم ١)– التى بها قوات البحرية ، وصلت إليهم كتيبة مـن لواء البيركشير هربا من مكانها الاول على الضلع الشرقى من المعسكر وشمال مربط الجمال . حاولت الزريبة هذه اطلاق مدفع قاردنر . وقد تم لهم ذلك . تمكن ليوتنانت « الفرد باجت » من اطلاق اربعمائة طلقة منه ، ولكنها اصابت الجمـال التى كان الثوار يدفعون بها امامهم . عندما وصلت هذه الجمال الى تلك الزريبة ،فر من بها بطريق سواكن الذى يقع على ركنهم الشمالى الشرقى مباشرة .

---

١ – توفرك ص ٧٣

عندما خرجت جميع الجمال والثوار من تلك الزريبة ، اصبح الباقي من ضباطهم قليلا ، يجمعون حولهم مجموعة جنود فى شكل شراذم متفرقة . هؤلاء الضباط هم : كولونيل نويل فيتزمبتون وى الذى كان مختبئا ، وميجور الستون ، وكابتن كتشينق ، وكابتن باين ، وكابتن وودز ، واخيرا كابتن بريدج ، نائب قائد لواء البحرية .

المجموعات التى استطاع القائد جمعها من لواء البيركشير بمساعدة ضابط مخابراته « كابتن بيرسى هنرى نويل ليك » بدأت اطلاق النار من الضلع الجنوبى للمعسكر بكثافة على الثوار الذين كانوا قد انتهوا من اجتياح الزريبة الشمالية الشرقية (رقم ١) وخرجوا منها .

انجليزى يتحصل على راية

كابتن « توماس ف . دنسكومب بريدج » الشجاع ، عندما أخذ الثوار جواده ، أخذ حصان كولونيل « اوزارد » واستدعى بعض رجال البحرية للذهاب معه لشيخ يحمل رأية ويقف وحده محاولا جمع انصار اليه . تبعه ثلاثة من البحرية بصعوبة ، ولكنهم عندما اقتربوا من الشيخ هربوا . رجع واحد منهم ، هو الجندى « بيلى » وتقدما الى ان وصلا الى الشيخ الذى اندفع نحوهما ، ولكن « كابتن توماس » اطلق عليه نار مسدسه فاصابه . أخذ « بيلى » الراية ورفعها لضابطه . وقد تمت ترقية هذا الضابط فيما بعد الى رتبة ميجور لاخذه تلك الراية من حاملها الوحيد ! (١)

ياور القائد وولد ثائر

فى بداية الهجوم على الزريبة الجنوبية الغربية (رقم ٣) التى كان بها لواء البيركشير ، القى ثائر بولد فى داخل الزريبة الشوكية ، بعد ان وضع فراءاً (فروة) فوق الشوك . عندما قفز الشيخ ، كان ياور قائد الحامية ، وهو ليوتنانت شريف

١ - معركة توفرك ص ٧٧ .

الان د. تشارتيريز ، قد اندفع بسيفه ليقتل الطفل الذى مازال على الارض ولم يقف بعد لرفع سيفه . عاجل الشيخ الذى قفز الى داخـل الزريبة الياور بحربة على يـده اليمنى ، مزقت أعصاب يده وبدأ ينزف بعنف (١) .

عندما افتقده القائد ، أرسل إليه ياوره الثانى « لورد ويلت شـير » فوجـد الى جانبه الضابط الهندى « سبدار قور ديت سينق » من فرقة السيخ الرابعة ، يضمـد جروحه .

عندما رفع الله غضبه

الرصاص الذى انهمر من القوات البريطـانية – البيركشير والسيخ – من الضلع الجنوبى للمعسكر ، جعل الثوار يختبئون بين الجمال فى اندفاعها الى الخارج ، لذلك لم يكن الضرب مؤثرا . بل إن تأثير تلك النيران على القوات الهندية التى وقفت فى الواجهة الشمالية كان أشد واعنف (٢) . الجمـال هربت فى كل الاتجـاهات . الان بالنسبة الى الثوار العودة الى المعسكر لاتمام قتل من به سيكون امرا خطيرا ، لان الثوار لـن يجدوا ساترا يحتمون به لحين الوصول الى العدو .

وعليه تلاشى القتال تدريجيا ، الى أن أعلن عازف البوق ايقاف اطلاق النار فى تمام الثالثة واثنتى عشرة دقيقة . عشرون دقيقة من غضب الله على الانجليز . لبس فيها المجاهدون أجنحة عزائيل ، وانقضوا على المعسكر الحديث التكوين ، فاصلوه كما قال التوراة (سـفر اشعيا ١/٥) « الموت المشتعل بوقود من النار » .

عندما انقشع مثار النقع بدأت الصورة واضحة لهذا الغضب الذى استمر ثلث ساعة . ان المنظر الكريه بداخل الزريبة أصبح واضحا . جميع المعسكر قـد لف فى ثوب من الدمـاء ، عليه جثث المذبوحين والمبقورين ومايزيد على ألف جثة جمل داخل الزريبة . أنات مئات الجرحى ، يعكسها هواء تلك الارض الحـارة .

١ – معركة توفرك صا ٨٦ .

٢ – غردون الخرطوم – جونسون ص ٦٩ .

المـدافع والبنادق والسـيوف والرماح والفؤوس والشوك وأكياس الرمل وملابس الجنود الصرعى والجرحى ، مغطاة بطبقة سميكة من الدماء التي بدأت في التأكسـد والسواد .

ان منظر المعسكر لايبدو كأرض معركة انفضت ، وانما كأرض غشيتها ريح صرصر عاتية وكيلت ذرات هوائها من سجيل .

القوات التي هربت

بعض القوات التي هربت قتل النســاء بعضها في الغابة ــ اذا صحت تسـميتها بغابة ــ ، والبعض هرب بعدة طرق الى سواكن . هناك مجموعات أخرى اتخـذت الاشجار ساترا لها الى أن يأتي الليل . اما الجزء الـذى هرب بالطريق المطروق الى سواكن ، فقد التقى بميجور فرانك فريفز ، الذى كـان على بعد ميلين من المعسكر في حراسته التي كلف بها ، لكى يكون بين سواكن والزريبة . بين الهاربين الـذين وصلوا اليه ، سرية لواء البنغال التاسع ، التي عددها مائة وخمسون فارسا بقـيادة ليوتنانت بيتون ، وقادة جمال ، ومشاة من الالوية الهندية وقوات بريطانية وعـدد من الجمال(١) .

عندما التقى بهم ميجـور فرانك فريفز ، كان الثوار يطاردونهم مطاردة وصفها الميجور بأنها حـامية . الذين يطاردونهم من الثوار ، ماكانوا إلا خمسة عشر ثائرا فقط(٢) . جمع ميجور فريفز القـوات الهاربة وضمها الى فرسانه الذين يبلغ عددهم مائة ثم انزلهم من خيولهم للنوم على الارض واطلاق النار على الثوار . ثم ركب مرة أخرى وتقدم مسافة ثلاثمائة ياردة في اتجاه الثوار ، وبدأ يطلق مجموعات عليهم . نام الثوار على الارض وكأنهم جرحى وقتلى ، ولكن عند اقتراب الاعداء منهم قفزوا وضربوهم بالرماح والسيوف . استطاع الكولونيل تفادى المـوت باعجوبة ، عندما

١ – معركة توفرك ص ٧٨و٧٩ .

٢ – معركة توفرك ص ٧٩ .

هجم عليه انصارى ولكن الشاويش « موبس » الذى كان يسير الى جانبه قد أصيب .

امر اخيرا الكولونيل قريفز ، ليوتنانت « بيتون » ان يحمل قتلاه وجرحاه الذين بلغ عددهم عشرين ، الى سواكن(١)، وتوجه هو الى الزريبة فوصلها فى الرابعة مساءاً .

الحصاد

فى العشرين دقيقة التى حدثت فيها وقعة توفرك التى تسمى أيضا وقعة زريبة ماك نيل ، فقد الجيش البريطاني هناك جزءاً كبيراً من قواته . فقواته ، حسب الويتها وكتائبها وسراياها ، سقطت لها الاعداد التالية قتلى وجرحى :

١ .	سرية لواء الرماحة الخامس	٦	ضابط وجندى
٢ .	سرية لواء السوارى العشرين	١	صف ضابط
٣ .	فرقة المهندسين الملكيين	١٩	ضابط وجندى
٤ .	طواقم المدفعية	٦	ضابط وجندى
٥ .	لواء الكولد ستريم جاء منه ضابط واحد	١	ضابط
٦ .	لواء البير كشير ٦٥٠	٥٧	ضابط وجندى
٧ .	لواء مشاة البحرية الخفيف	٢٤	ضابط وجندى
٨ .	كتيبة السيخ ١٥	٢٠	ضابط وجندى
٩ .	لواء مشاة البنغال الاهلى ١٧	٦٥	ضابط وجندى
١٠ .	لواء مشاة بومبى الاهلى ٢٨	١٨	ضابط وجندى
١١ .	المادراس سابرز والماينرز	٣٢	ضابط وجندى
١٢ .	اتباع انجليز	١٧٤	رجل
١٣ .	اتباع هنود ومصريون وعدنيون وصوماليون	٦٥٠	رجل
	المجمـــــوع	١٠٧٣	ضابط وصف وجندى وتابع

٣ — معركة توفرك ص ٨٠ .

أهم الضباط الذين قتلوا

ميجور فون بيفرهاوت — من لواء البنغال ١٧ .
كابتن روميلي — من المهندسين الملكيين .
ليوتنانت نيومان — من المهندسين الملكيين .
ليوتنانت سوينتون — من لواء البير كشير .
ليوتنانت ريتشاردسون — من لواء الرماحة الخامس .
ليوتنانت سيمور — البحرية الملكية .

أهم الضباط الذين جرحوا

ليوتنانت شريف أ. د. تشارتيريز — ياور القائد والوحيد الذى جاء من لواء الكولد ستريم .

كابتن ويلكسون — من المهندسين الملكيين .
ليوتنانت درورى — من لواء البنغال ١٧ .
ليوتنانت جامدار لوكان باندى — لواء البنغال ١٧ .
ليوتنانت ادواردز — لواء بومبى ٢٨ .
ليوتنانت تومسون — لواء بومبى ٢٨ .
ليوتنانت جامدار فينيق مورثى — مادراس سابرز .

الحيوانات

إن المعسكر عندما انتهت المعركة ، لم يبق به حيوان واحد الا ميتا . فى المناطق المجاورة كان هناك الهاربون بخيولهم والجمال التى اتجهت الى كل فج ، مصابة وغير مصابة . بعضها من الطبيعى أن يكون قد سقط فى الطريق من جراحه أو اتجــه نحو سواكن كغيرها من الاتجاهات المتاحة لهذه الحيوانات . إن ما استطاع الانجــليز استرداده من جمالهم فى طريق سواكن كان حوالى المائتى جمل . البقية من الجمال

التى كانت الفا وثمانمائة جمل ، أما قتلت فى المعسكر أو سقطت من جراحها فى الطريق أو اتجهت نحو التاماى والتمنيب ، حيث استولى عليها الانصار . نفس المصير قـابل البغال ، فان ما استطاع الانجليز استرداده كان ثلاثين بغلا من ثلاثمائة .

حظهم فى الخيول كان أفضل ، فقوات الرماحة لم تشارك فى القتال وكـذلك فرسان الهنود فقد هربوا . قوات السوارى التى كانت فى الطريق بين سواكن وزريبة ماك نيل ، اشتركت فى إشتباك مع خمسة عشر ثائرا ولم تفقد كثيرا من خيولها المائة أو خيول الهنود الذين اشتركوا معهم .

الخيول التى طردت أو قتلت فى داخل الزريبة كانت لقادة الالوية وبعض الضباط الكبار ، وهذه لم تزد عن خمسين فرساً ، من مجموع ستمائة .

عندما قتلت الهدندويات ابن العظام

من الذين قتلتهم الهدندويات اللائى كن خلف الشجيرات القصيرة ، التى يمكن أن نسميها غابة مجازا ، ثلاثة جنود فرسان وضابط فارس كان معهم برتبة ليوتنانت . مقتل هذا الضابط الفارس اثار كثيرا من الغيظ فى نفوس القادة الانجليز فى سواكن وفى الصحافة البريطانية ، وقاد بعد أيام الى عمليات انتقامية ضد المرأة السودانية .

ان هذا الضابط هو ليوتنانت جيمز بيرنارد ريتشاردسون ، أكبر ابناء ديفـد ريتشاردسون الثرى الذى يعتبر من علية الاسكتلنديين . ان جيمز بيرنارد (وهذا اسمه الاول) قد ولد فى قصر «هارتفيلدهاوس» فى خليج ريفى « دمبارتون » باسكتلندا . فى الثامن من يونيو عام ١٨٦٠ . أخذ بالطبع الى مدرسة « هارو » ، وفى عام ١٨٧٩ دخل كلية اكسفورد الجامعية . تخرج بنجاح فى فبراير عام ١٨٨٢ ، حيث دخل الكلية الحربية فى «ســاندهيرست». أظهر نجاحا ملحوظا فى تلك الكلية فى المبارزة بالسيف،وفى اطلاق نار مسدسه. انه يستطيع ان يطلق نيران مسدسه الخماسى الماسورة، بطريقة الكابويات الامريكيين المشهورين .

فى العاشر من مارس عام ١٨٨٣ التحق بلواء الرماحة الخامس . استطاع الذهاب الى روسيا لتجويد لغته الروسية . وهناك التقى بآنسة رائعة الحسن مـــن بيت حسب ونسب ، تزوج بها بعد حب قوى سريع .

أخذ ليوتنانت جيمز بيرنارد ريتشارسون مع لوائه الرماحة الخامس بعيدا عـــن قصره وعز عائلته ، وصدر عروسه ، الى مجاهل بعيدة فى حرب صليبية عله ينـــال وسامـــا يضاف الى عز عائلته . وكغيره من فرسان لوائه ، نزل فى سواكن الحارة الرطبة التى لايستطيع أن ينال فيها قطرة ماء الا ببطاقة تموين . وكغيره أيضا ، ذهب مع السرية التى أخذت من لوائه لتصاحب القوة التى تقدمت الى توفرك صباح الاحد الثانى والعشرين من مارس عام ١٨٨٥ .

قائد السرية كان يدعى كابتن «هـ. ل. جونز » ــ احد الضباط الذين أخذوا من مناطق تعج بالبطالة والفاقة . عندما تقدمت قـــوات ماك نيل ذلك الصباح، كانت سرية الرماحة هذه فى المقدمة تستكشف الطريق . وبعد فترة من التقدم ، أرسل كابتن جونز ، ليوتنانت بيرنارد جيمز رتشاردسون فى مهمة دورية يسار خط التقدم ، وارسل معه ثلاثة جنود فرسان .

ذهب الاربعة ، ولكنهم التقوا بثوار فاصيبت خيولهم . رجعوا الى سواكـــن حيث استبدلوها بخيول أخرى ، واتجهوا نحو خط سير قواتهم .

عندما أصبحوا على بعد ميل تقريبا من زريبة مـــاك نيل ، كانت الساعة الثالثة مساءاً وقد بدأ القتال منـــذ دقائق بالزريبة . رأت النساء الفرسان الاربعـــة القادمين فانتظرتهم خلف الشجيرات فى كمين أحسن نصبه ، وامسكت كل هدندوية منهـــن برمح تجيد قذفه . وما كاد الرجال الاربعة يصلون حتى انهالت الرماح عليهم كمطـــر قاتل . لم ينج من الاربعة واحد . قتلوا جميعا وفى لحظـــات .

عندما تأكـــد للقيادة فى سواكن فى اليوم التالى لخروجه من سواكن مع جنوده الثلاثة فقدانه ، اصيبوا بصدمة كبيرة وبدأوا عملية بحـــث دقيقة لكل المنطقة مـــن

سواكن وحتى توفرك . فتشوا كل شجرة وقلبوا كل حجر . وجدوا صفارته الفضية في مكان الكمين وبها صدمة رمح واثار دماء . أخذوا الصفارة وارسلت الى عائلته في اسكتلندة ، مع وعد بالاستمرار في البحث عنه ، والثأر له ان كان قد قتل. هذا الوعد كان من قائد قوات سواكن وقائد الحملة جنرال قراهام . . وقد فعل .

العائلة في اسكتلندة احتفظت بالصفارة المصابة بالحربة المليئة بالدماء ، كاحدى موروثات العائلة ، وصبت الصحافة البريطانية جام غضبها على نساء السودان (١) !

حادث مؤسف حدث بعد ستة أسابيع من مقتل جيمز بيرنارد ، هو موت زوجته الروسية الجميلة حزنا عليه .

فقيد عائلة الاسونتونز

قتيل أخر للجيش البريطاني اثار غيظ القيادة والصحافة في لندن . ذلك هو ليوتنانت جورج شولتو سوينتون ، الذي يبلغ من العمر ثلاثة وعشرين عاما .

هذا الضابط الذي لم يكن في ذكاء أوعلم قتيل النساء رتشاردسون ، ولكنه تخرج من كلية « ساندهيرست» الحربية ، وانضم الى لواء أهله الاسكتلندى «البيركشير ٦٥٠ » في عام ١٨٨٢ . ان والده هو ميجور وليام بنتنك سوينتون، سليل عائلة اسكتلندية قديمة بضواحي مقاطعة « بيرفك» على الحدود بين اسكتلندا وانجلترا وتسمى عائلته الشهيرة ،باسم المنطقة نفسها . انهم يسمون بعائلة الاسونتونز بمنطقة اسونتون .

هذا الضابط الشاب كان مسئولا عن الترحيل . خرج ليوتنانت جورج من زريبته رقم (٣) بحثا عن حصانه القصير . ان الثوار قد دفعوا به لاثارة الاضطراب في المعسكر أثناء الهجوم . مر جورج بالقرب من جريح كان يرقد على الارض . قام

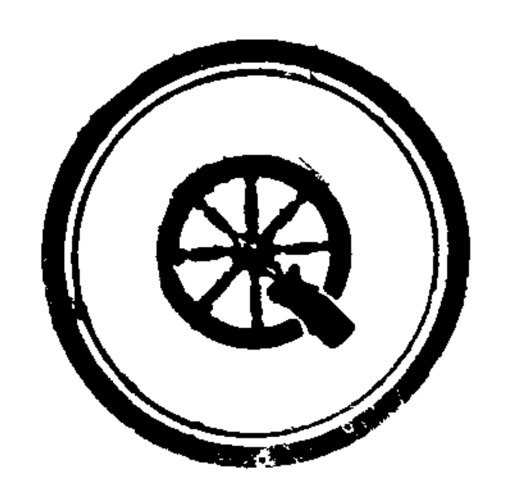
١ — جريدة التايمز ٢٥ مارس ١٨٨٥ .

الاخير بقذفه بحربة اسقطته قتيلا. وهى نفس الطريقة التى قتل بها ميجور فون بيفرهاوت الالمـــانى الاجـــداد .

ثائره تقطع خط التلغراف

عربة التلغراف التى كانت تجرها البغال ، قد اوقفت بالزريبة رقم (١) ، تابعـــة لسلاح البحرية . ابعدت منها البغال بعد وقوفها واستمرت فى إتصالها بسواكن طوال فترة المعركة ، وتوقفت حين هرب مهندسوها وضابطها ميجور تيرنر . تم هربهم عند وصول الهجوم الى الزريبة رقم (١) ، ولكن العربة عادت للبث مرة أخرى بعـــــد الثالثة والنصف مع عودة الميجور ، عبر تلك الاسلاك التى رمتها العربة أثناء رحلتها من سواكن الى زريبة ماك نيل . أى أن السلك الذى يربطها بسواكن طوله ستة أميال.

ان الشمس قد غربت بسواكن فى ذلك اليوم — الاحد الثانى والعشرين من مارس عام ١٨٨٥ — فى تمـــام الساعة السادسة ودقيقة واحـــدة . بعد صلاة المغرب . قامت السيدات اللائى مع القوات الثائرة المحاصرة للزريبة ، لاعداد الطعام . سيدة منهن عندما وضعت اثافى قدرها ، لاحظت وجـــود السلك . جذبت السلك ، فوجدت انه يتجه الى زريبة الاعـــداء . أخذت فأسا وانهالت عليه فقطعته فى الساعة السادسة واربعين دقيقة . عندما تنبه الثوار لمـــا فعلت السيدة وللسلك ، نبشوه على مسافة اربعة أميال صنعت النساء منه زينة لاعناقهن ، فزادتهن القا وثورة .



شهداء الانصار

ليس هناك مصدر موثوق به أو محايد لتحديد عــدد شهداء الثوار فى هذه المعركة أن كل الارقام التى وردت الى وزارة الحــربية البريطانية كانت ترمى الى المبالغــة في خسائر الانصار والتقليل من شأن ماحدث (١). ولكن بريطانيا لم تقبل بتقرير جنرال قراهــام الذى كتبه لوزارة الحربية يوم ٢٣ مارس ١٨٨٥ . جنرال وولسلى حمــل على الذهــاب – بعــد أكثر من شهر – لكتابة تقرير عما حدث .

الكتاب الانجليز الذين كتبوا عن المعركة ، اتخذوا تقرير قراهــام دليلا لهم. ولكن نسبة لعدم وجود مصادر أخرى بهذا الشأن فانى أورد أرقام شهداء الثوار حســب ماكتب الانجليز ، وهذه الارقام هى :–

١ . استشهد أمير كان يحمل راية (٢) .
٢ . استشهد ثمانية ثوار امام الزريبة رقم (٣) «٣» .
٣ . استشهد مائتان برصاص قوات البيركشير شرق الزريبة (٤) .
٤ . استشهد اربعون خارج الزريبة فى مناوشات مع الفرسان (٥) .

المجموع مائتان وتسعة واربعون شهيدا .

معركة توفرك لها مابعدها

ان بريطانيا لم تقبل بتقرير قــراهام عن المعركة . حاولت الحكومة البريطــانية تغطية المــوقف ، ولكن الاصوات الثائرة فى بريطانيا كانت أقوى . فــى النهاية

١ – جونسون ص ٧٠ لي
٢ – قالو وى ص ٧٦ .
٣ – قالو وى ص ٧٤ .
٤ – قالو وى ص ٧٥ .
٥ قالو وى ص ٨٠ .

حملت تلك الاصوات قائد القوات البريطانية العام الى السودان لورد وولسلى للحضور مع لورد بيرسفورد لكتابة تقرير عما حدث .

زارا مكان المعركة ، فكتب لورد بيرسفورد يقول (١) « سحابة سوداء من الطيور الجارحة والنسور ، تحلق بكسل وعدم اكتراث فى مجاهل روابى لا لـون لها . الرمال كيلت بخفة على اجساد القتلى . معرض للرؤوس الفاقدة الجلد ، والجذوع المبتورة والايادى المضمومة . أجساد الجمال ملأتها الطيور الجوارح آكلة اللحوم .

فى وهـج الشمس المنعكس على التراب الساخن الهواء ، يحمل رائحة التخثر المرعبة » .

ان كل هذا الوصف كان عن القتلى الانجليز وجمالهم خارج الزريبة أما الموتى بداخلها فقد دفنوا .

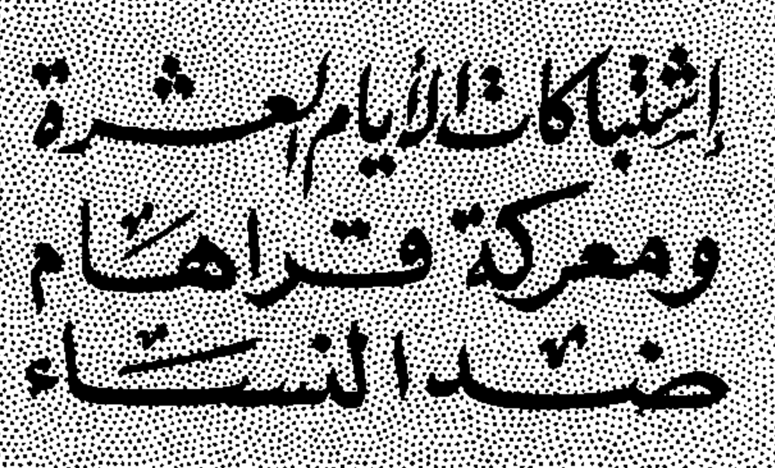
معركة توفرك قد اعيدت فى الصحافة البريطانية ، وفى مجلس العموم البريطانى وفى صالات الاكل العسكرية .

ان لواء المهندسين ، الذى من السخرية أن جنرال قراهـام ينتمى اليه ، كتب ميجور « وايت ورث بورتر » فى سجل اللواء التاريخى عن هذه المعركة بالنسـبة الى اللواء (انها كارثة) (٢) .

ان البرلمـان البريطانى لم ينس الكارثة ، ولم ينس كارثة مقتل غردون وهزائم حملة النيل ، وبدأ صبره ينفد حيال حكومة قلادستون . أما سير جون كارسـتير ماك نيل نفسه ، فرغم محاولة جنرال قراهام لحمايته ، فقد أحيل الى المعاش ، فقام جنرال قراهام بتعيينه مسئولا عن الخيول الملكية .

---

١ — جونسون ص ٦٩ .   ٢ — سجل لواء المهندسين الملكيين .


اشتباكات الأيام العشرة
ومعركة قراهام
ضد النساء

اشتباكات الايام العشره

ان جنرال قراهـــام قد اثبت فى تقريره عن معركة توفرك الذى كتبه فى الثالث والعشرين من مارس ١٨٨٥ ، ان الامير عثمان دقنة لن يجرؤ على منازلة قواتـــه مـــرة أخرى .

الامير عثمان دقنه كان له رأى يختلف عن رأى الجنرال الانجليزى . فقبل أن يقرأ موظفو وزارة الحربية البريطانية تقرير قراهـــام الذى أرسل الى بريطانيا ، ومنها الى ولسلى ، كان الامير عثمان دقنة يهاجم قوات قراهام على بعد ثلاثة أميال من سواكن.

الثلاثاء ٢٤ مارس ١٨٨٥ (١)

فى يوم الثلاثاء الرابع والعشرين من مارس ارسل قراهـــام قافلة الى زريبة ماك نيل تحمل ثمانية الاف جالون ماء ، على ١٨ عربة ، و ٤٢٥ جملا و٧٨ حصاناً ، وتحرسها الالـــوية الهندية (السيخ ومشاة بومبى ومشاة البنغال). عند وصولهم لنقطة على بعد ثلاثة أميال من سواكن ، هاجمتهم قوات عثمان دقنة ، ولم يتمكنوا من التحرك الا عندما وصلهم لواءان هما لواء البحرية رلواء الكولد ستريم .

تحركوا بعد ان فقدوا ١١٧ جملا ، وتسعة وعشرين قتيلا رجريحا ، بينهم ثلاثة ضباط هم :

١ . كابتن دال رامبل — من لواء السكوتز قاردز .
٢ . ليوتنانت ماك لور كان — من مشاة البحرية الملكية الخفيفة .
٣ . ليوتنانت مارشانت — من مشاة البحرية الملكية الخفيفة .

الاربعاء ٢٥ مارس ١٨٨٥ (٢)

ارسل قراهـــام قافلة نقل تضم خمسمائة جمـــل وسبع عربات وثلاثة الاف واربعمائة وثمانين جالون ماء بحراسة :

١+٢ – اليومية الحربية لا حداث الجيش بسواكن بلاغ رقم ٣٣٦ , ٣٣٧

٢٢٢٨ جندياً ، ٤٨ ضابطاً ، ٨ خيول ، ١٣٩ جملا ، ٢٨ بغلا و١٥٣ تابعاً. وفرقة بالونات للارتفاع واستكشاف الطريق . إن اسلوب البالونات الحديث هـذا ساعدهم فى تلك الرحلة على استكشاف المنطقة واختيار الطريق الخالى من الثوار .

الخميس ٢٦ مارس ١٨٨٥ (١)

تقدمت قافلة ضخمة بها : ٩٤ ضابطاً ، ٣٥٨٠ جندياً ، ٣٤١ حصاناً وسبعة بغال فى شكل مربع ضخم فى داخله ٥٨٠ جملا ، منها ٤٨٠ جملا تحمل تسعة الآف جالون مـاء .

خرجوا فى الساعة السادسة وخمس وعشرين دقيقة صباحا ، يتقدمهم فرسان من لواء الرماحة الخامس ولواء السوارى العشرين .

فى التاسعة وعشر دقائق تعرضوا لنيران الثوار ولم يتمكنوا من التحـرك . استعملوا مـدفعين لطرد الذين يطلقون عليهم النار فلم ينجحوا . فى الساعة التاسعة واربعين دقيقة هجم على ركنهم الايمن ثلاثون ثائرا ، فاصابوهم إصابات خطيرة ، ولم يتمكنوا من اختراق المربع .

توقف المربع تماما حتى الثانية عشرة الا الربع عندمـا تمكنوا من الإتصال بجنرال مـاك نيل فى زريبته بواسطة جهاز كابتن « كاردو » الذى يرسل به اشـارات بواسطة الذبذبات الصوتية . طلبوا من ماك نيل قوات لكشف الطريق امامهم ، فلحق بهم وهو يقود لـواء حراس الكولد ستريم فـى الثانية عشـرة ظهرا .
رجعوا بعد افراغ محمولاتهم الى سواكن فى السادسة مساءاً .

السبت ٢٨ مارس ١٨٨٥ (٢)

قافلة أخرى من سواكن الى زريبة ماك نيل تحمل ستة عشر ألف جالـون ماء.

١ – اليومية الحربية لاحداث الجيش بسواكن ، بلاغ رقم ١/٣٣٧

٢ – اليومية الحربية لأحداث الجيش بسواكن بلاغ رقم ٣٣٨،٣٣٩ .

فى ثلاثة وثلاثين عربة وثمانمائة جمل ويحـــرسها :

١٢١ ضابطاً ، ٤٢٠٩ جنود وصف ضباط ، ومدفعان تمكنوا من الوصول الى توفرك بمناوشات قليلة فى هذا اليوم الغائم الذى بدأ مليئا بالضباب ولكـــن الرياح الشمالية الشرقية ازالته .

الاثنين ٣٠ مارس ١٨٨٥ (١)

ذهبت قافلة تحت قيادة بريقادير جنرال (عميد) هدسون الى زريبة مـــاك نيل فى الساعة السادسة وخمس وثلاثين دقيقة صباحا حاملة ثمانية عشر ألف جالون ماء ، فى ثلاث وعشرين عربة وتسعمائة جمل ويحرسها مدفعان وأربعة ألاف واربعمائة واربعـــة وثلاثون جنديا ومائة وثلاثون ضابطاً .

إن القـــوة التى تحرس قوافـــل المياه تزداد كل يوم بسبب مايتعرضون له من مناوشات من الثوار .

قوات الامير عثمان دقنه تتجمع

نظرا للزيادة فى القوات المتابعة للقوافل فان الامـــير عثمان دقنه بدأ تجميع قواته لضرب زريبة ماك نيل ضربة قاضية . شعر ماك نيل بما يجرى حوله ، فأرسل استغاثة فى صباح الاربعاء الاول من أبريل ١٨٨٥ .

وعليه لم يجد قراهـــام حلا غير أن يحاول قواته مرة أخرى فى مواجهة هـــذا الامير الذى اصـــبح ذكر اسمه يرسل الرعب فى أجساد جميع جنرالات الامبراطورية البريطانية . قل ان خرجت صحيفة أوربية ولم تتحدث عما فعله فى القوات الانجليزية.

قضى قراهام كل يوم الاربعاء فى اعداد قواته ، وفى صباح الخميس كانت جاهزة للتحرك .

١ – اليومية الحربية لأحداث الجيش بسواكن بلاغ رقم ٣٣٩,٣٣٨ .

الخميس ٢ ابريل ١٨٨٥

في تمام الساعة الرابعة والنصف صباحا ، كانت قافلة نقل المياه والقوات جاهزة للتحرك . القافلة التى اعدت لنقل الماء تتكون من ثلاث وثلاثين عربة وستمائة وثمانية وعشرين جملا ومائة وخمسة عشر بغلا ، وتحمل اثنين وعشرين ألف جالون ماء .

القوات التى سارت مع القافلة بقيادة – الجنرال قراهام كانت كالاتى :

القيادة	٤٠ ضابطاً	٥٠ جندياً يركبون	٥٢ حصانا
الوية القاردز	٧٩ ضابطاً	١٩٤٥ جندياً يركبون	٢٦ حصانا
الوية القاردز رقم ٢	٦٦ ضابطاً	١٧١٥ جندياً يركبون	٢٣ حصانا
مهندسون ملكيون	٥ ضباط	١٤٣ جندياً يركبون	١١ حصانا
مدفعية فرسان وملكية	٢٤ ضابطاً	٣٢٤ جندياً يركبون	١٥٤ حصانا
لواء فرسان	٣١ ضابطاً	٧٤٣ جندياً يركبون	٧٧٣ حصانا
الوية هندية	٢٥ ضابطاً	١٥٨٥ جندياً يركبون	٢٤ حصانا
مستشفى	١٦ ضابطاً	١٦٤ جندياً يركبون	٢٢ حصانا
فصيلة بالون	ضابطان	١٥ جندياً يركبون	١٠ حصين
امدادات ونقل	١٦ ضابطاً	٢٠٠ جندى يركبون	١٦ حصانا

اتباع تسعمائة سبعة وثمانون رجلا .

المجموع : ٣٠٤ ضباط .

٦٨٨٤ جنديا وصف ضابط .

١١١١ حصانا .

٩٨٧ تابعا .

المجموع الكلى للرجال : ثمانية الاف ومائة وخمسة وسبعون ضابطا وجنديـــا وصف ضابط وتابعاً (١) .

١ – اوراق وزارة الحربية . شقير ص ٨٩٣ . قالو وى ٣٤٨ .

سارت هذه القوات فى مستطيل ضخم حتى وصلت الى زريبة مـــالك نيل دون معارضة فى تمام الثامنة وخمس وعشرين دقيقة ، قطعت خلال رحلتها قـــرابة الستة أميال .

التقدم الى تسلهاى بكل القوه

فى تمام العاشرة تماما تشكلت هذه القوات المكونة من القوات التى أتت مـــع جنرال قراهـــام هذا الصباح وقوات زريبة ماك نيل . أصبح العدد الكلى لهذه القوة المتجه الى تل تسلهاى كالاتى ، بعد ترك قوات قليلة لحراسة الزريبة :

١ . ١٣٠٠٠ جندى وضابط وصف ضابط من القوات الانجليزية والهندية .
٢ . ٩٨٧ تابعا من العدنيين والصوماليين والهنود والمصريين .
٣ . ١٦٦١ حصانا .
٤ . ٣٣ عربة نقل مياه .
٥ . ٦٢٨ جملا .
٦ . ١١٥ بغلا .

الفرسان يستطلعون فى مقدمة واجنحه هذا المربع الضخم الذى شكل منه قراهام قواته . خط سير المربع هو ١٥٨ درجة فى اتجاه تل تسلهاى ، الذى يبعد سبعة أميال من زريبة ماك نيل . بهذه الاتجاه تفادى القائد الانجليزى الغابة التى امامه .

البالون الصريع

فى تمام الساعة الثانية عشرة وخمسين دقيقة اتى المربع الى مكان به أشجار وأرض وعرة . أمر باطلاق سلاحه الجديد الحديث الذى شحن له من « وول وتش » الى سواكن لكى يستعمله فى حربه مع الامير عثمان دقنة . أن قراهـــام قد استعملـــت قواته بالـــونا من هذه البالونات يوم الاربعاء الخامس والعشرين من مارس بنجـــاح كبير . الجو صحو ، والشمس فى كبد السماء تكشف الارض لمسافات بعيدة. أن فرقة

البالونات التى تتــبع هذه القــوات تتكون من ضابطين وخــمسة عشر صف ضابط وجندى ، كلهم نالوا تدريبا طويلا على استعمال هذه البالونات . البالونات ومعداتها كانت محمولة على عشرة خيول .

نفخ البالون الذى كان يركب في سلته ضابط وجندى. ارتقى البالون الهواء ببطء . الامــير عثمان دقنة الذى كان قد سمع خبر بالون الاربعاء الخامس والعشرين مــن من مارس ٨٥ ، عرف هدفه ، وامر ثواره باطلاق النار عليه لو رأوه مرة أخرى .

عندما وصل البالون الى ارتفاع يقل عن مائة متر ، وصلته رسالة الثوار الخمــسة من بنادق المارتينى هنرى والرمنقتون التى زود بها الامير عثمان دقنة قوات مــراقبة المربع الانجليزى المختبئة على طول الطريق . فى ثوان تفجر البالون ونزل فى شكــل قطعتين وسلة تحمل جثتين .

شعر قراهام بألم شديد لانفجار بالونه وقال لاحد ضباط البحرية الذين كانوا الى جانبه : « انه انفجر بفعل الرياح ؟! رد عليه الضابط البحرى . . . . اى . . اى سير ! ! ارسل قراهــام لواء الشروبشير الى تل يحتله ، ويطلق منه مدافعه على مصدر نــيران الانصار .

استمر التراشق بين نقطة مراقبة الثوار التى فجرت البالون ، وقوات قراهــام ومدفعيته ، الى أن بارح الخمسة ثوار مكمنهم الى مكمن اخر .

دفـن قراهــام ضابطا وجنديا قتلا من لــواء « ايست سرى » وقتيلى فرقة البالونات ، وحمل جنديين جرحا من لواء البيركشير .

وصل قراهــام الى تل تسلهاى على مقربة من التاماى الجديدة والقديمة فى تمــام الرابعة والنصف من مساء نفس اليوم الثانى من أبريل عام ١٨٨٥ . لم يهاجم ، الامير عثمان دقنة أو التاماى الجديدة القريبة منه ، ولكنه زرب زريبة بجانب تل تســلهاى ونام بهامع قواته .

الاستقبال في المساء عند تل تسلهاى

عندما جاء المساء كان هناك مايمكن أن نسميه بعمل تقليدى عند قوات المهدية ، وهو اســتقبال اعــدائهم بنيران حــامية وطبول تهز الارض طوال الليل . حدث هذا في شيكان وفي أبي طليح وفي غيرهما . وعليه اصدر امير امراء الشرق عثمان دقنة أوامره لمجموعة من قواته الخفيفة الخطى ، بحصار التل من جانبين واطلاق النار عليهم طــوال الليل .

بدأ انهيال الرصاص على زريبة تسلهاى بعــد صلاة العشاء مباشرة ، واســتمر حتى الصباح دون انقطاع ، يصحبه ضرب مستمر من مسافات بعيدة على الطبول .

أصبح النوم مستحيلا بالنسبة للاربعة عشر ألف جندى وتابع بزريبة تسلهاى. إن الرد على عــدو يضرب ليلا من مكامن ويقفز كالضفاضع مــن مكان الى اخــر يعتبر إحدى المستحيلات .

الإصابات بين جنود قراهــام تزداد باستمرار . اغلب الجــنود اختبأوا وراء الجمال والعربات والصناديق . ان الجمال في حــد ذاتها هدف رئيسى للثوار . إن قتل حيوانات المــواصلات ، قبل الجندى ظلــت عمــلا تكتيكيا اصيلا في كــل معــارك الامــير عثمان دقنة . أيضا في معارك أمــير الشرق هذه بمنطقة ســواكن كان له اهتمام خاص باوعية وخزانات حفظ المــاء .

عندما لم يتوقف الرصاص . لجــأ جنرال قراهام الى الوسيلة الوحيدة المتاحــة له ، وهى فتح نيران جميع مدافعه في ضرب عشوائى فى الاتجاهات التى يسمعون منها دوى الرصاص . استمرت بنادق الثوار دون توقف الى بداية الفجر . بعد الفجر انسحبوا الى معسكر قائدهم على التلال خلف التاماى القديمة . وجد الانجليز وقتا للنوم بين الفجر والساعة السابعة والنصف صباحا .

الجمعة الثالث من ابريل

تم التقدم فى تشكيل خطين من ارباع طابور باللواء . اللواء الثانى فى المقدمــة ويتجه الى الجنوب الغربى . الوية القاردز فى المؤخرة . (ارجو مراجعة رسم التشكيل). بدأ التقدم فى تمــام الساعة الثامنة وخمس واربعين دقيقة . تبادل المشاة الراكبون النار مع الثوار . فى تمام التاسعة وصلوا الى التاماى الجديدة القريبة من مكان تحركهم . إن الارض غير مستقيمة هنا . المناطق المنخفضة هنا يسمونها التاماى الجديدة . ، بها منازل (قطاطى) عديدة . انها خالية ، ولكن كل شيء يدل على انها كانت مسكونة حــتى وقت قريب . ارســل قراهام قوات راكبة لتفتيش المنازل . استمروا فى السير لمدة عشرين دقيقة أخرى ، حتى وصلت مقدمة تشكيلهم الى ضفة « خور القعوب » الذى يقع جنوب التاماى الجديدة وشمال التاماى القديمة . المسافة الى الخور ليست طويلة تستحق عشرين دقيقة لقطعها ، ولكن ســوء الارض وخــوف قراهــام مــن هجوم مباغت يقوم به أمير امراء الشرق ، جعله يسير ببطء جدا ، وحوله فى كل الاتجاهات فرسان المشاة الراكبة يستطلعون الطريق .

اطلاق النار مازال مستمرا بين المشاة الراكبة وفرسان الثوار الذين قدر عددهم بمائتين . عندما توقف جنرال قراهام على شفة الخور القريبة من التامــاى الجديدة ، ازدادت جسارة فرسان الانصار بالاقتراب من الجيش الانجليزى وفتح بنادقهــــم الرمنقتون والمــارتينى هنرى عليهم .

فى الساعة العاشرة وعشر دقائق تقدم جنرال قراهــام قاطعا الخور الى ضفته الثانية ، بالمقدمة والجنــاحين فقط ، تاركا تشكيل الطوابير الاربعة العميقة لاســلحة القاردز ، فى مكانها .

بعد احتلالهــم لضفة الخور الجنوبية ، فتحوا نيرانهم عــلى مجموعات ثــوار متفرقة رأوها على مسافات بعيدة .

أرسل جنرال قراهـــام قوات « السابرز » للبحث عن الابار . تقدمت هـذه المجموعة الى عمق الخور ، على مسافة قريبة ، وعادت ذاكرة ان الابار غير موجودة وربمـــا قفلت .



مدفعية الخيالة الملكيه
البيركشير
البحريه
لواء الاوستر
لواء الكولد ستريم
لواء الاسكتز قاردز
لواء القرنا ديرز
التشكيل الاول
التشكيل الثانى
تشكيل قوات قراهام

معركة قراهام ضد النساء

انتقام الانجليز من النساء لمقتل رتشاردسون

عندما قرر الجنرال قراهام الهجوم على النساء

في تمـــام العاشرة والنصف من صباح الثالث من أبريل عام ١٨٨٥ ايقن جنرال قراهـــام أن فرســـان الثوار الذين يناوشـــونه ولايصطـــدمون به ، بل ينســـحبون الى الخلف ، انما يريدون بذلك جره الى ميدان حرب خلف الخور . انه كمين اخـــر لامير امراء الشرق .

وقف قراهـــام عشرين دقيقة يفكر فيما سيفعله . ان موضوع التقدم خطـــوة واحـــدة بعد ضفة الخور الجـــنوبية لن يقـــوم به ولن يفكر فيه . ان الامير عثمان دقنة رجل لايوثق به في الحروب ، وقد يخرج من أى جهة ، وفى أى لحظة ويقوم بهجوم كأعصار يحطم الاخضر والجاف في دقائق . إن وزارة الحربية البريطانية لن تقبل هزيمة أخرى لقوات قراهـــام . ان نقد المندوب السامى البريطانى بمصر « بيرنق » له ، والذى كتبه فى الحادى والعشرين من مارس عام ١٨٨٥ لسكرتير الملكة وعشيقها بونسنبى (١) ، قد وصله تلغرافيا . وعل بونسنبى قد سرب النقد الى قراهام حتى يثيره ليقوم بعمل بطولى ضد الامير عثمان دقنة .

ما أكثر مايشعر الانسان بالرثاء لهؤلاء القادة الانجليز الذين احضروا لحـــرب السودان . قد كانوا بلا استثناء من الشجعان ، الابطال ، الدقيقى التنظيم والضبـــط والربط ، والاخلاص لبلادهم التى امدتهم بكل شىء من المدفع الى التبغ ، والتفانى من اجـــل مليكتهم التى احبوها واحبتهم بشكل قل أن يوجـــد له مثيل فى التاريخ .

هؤلاء القادة يأتون الى السودان الحار الجاف ، مع أفضل جنود ضبطا وربطا فى ذلك القرن ، ويحملون أفضل الالات الحربية وأحدثها ، وفى دقائق تنهار حصونهم وتحطم أسلحتهم بواسطة حملة سيوف ورماح فاقوهم جرأة وشجاعة وعقلا وقيادة(٢)

---

١ — غردون الخرطوم — جونسون ص ٦٠و٦٢ .

٢ — كل المراجع بلا استثناء ، منها جونسون ص ٧٠ .

ويبقى على القائد – لو نجا من الموت – أن يكتب على الورق مالم يحدث فى ميدان المعركة (١) .

قطع حبل تفكير القائد قراهام عما سيقوله لجنوده عن رجوعه دون مصادمة الامير عثمان دقنة الذى جعل من موضوع انشاء خط حديدى بين سواكن وبربر ، امرا دونه خرط القتاد . قطع حبل تفكيره وصول مجموعة قواته الراكبة التى ارسلها لتفتيش منازل التاماى الجديدة . قال قائد المجموعة : انه وجد سرجين من سروج ليوتنانت رتشاردسون والفرسان الثلاثة الذين كانوا معه (٢) ، فى منزل من منازل التاماى (الجديدة) . كما انه ذكر ان قافلة نساء واطفال من البدو وبهائمهم قد وصلت الى هناك وربما كان ازواجهن مع عثمان دقنة .

وجد جنرال قراهام ضالته فى الهجوم على التاماى الجديدة الخالية والنساء والاطفال الذين حضروا الى هناك ، انتقاما لقتل النساء لليوتنانت رتشاردسون وانسحابا من موقفه الحرج ذاك .

الهجوم على النساء والاطفال

فى الساعة العاشرة وثلاثين دقيقة سحب القائد المشاة وشكلهم فى خطوط قتالية ، بحماية من مدفعية الخياله على الجناحين .

أخذ التشكيل حوالى عشر دقائق ، بعدها تقدمت القوة نحو التاماى الجديدة .

فى تمام الحادية عشرة تماما كانت قوة المشاة على مرتفع يشرف على التاماى الجديدة . مدفعية الفرسان وضعت على يمين القوة . ثم بدأت المدافع الاربعة فى اطلاق داناتها ، وما يقارب الفى بندقية ترسل حممها على النساء والاطفال والمنازل هناك .

١ – بلنت ص ٥٨،٥٥ ٤٤١ .

٢ – قالو وى ص ٥٨،٥٥ .

استمر القصف واطلاق النار واشتعال النيران ساعة وربع الساعة . ففى الثانية عشرة والربع اصدر القائد – جنرال قراهام – امره بايقاف اطلاق النار ، والرجوع بكل قـــوته الى تسلهاى .

فى الثانية عشرة والنصف كانوا فى زريبة الامس بتسلهاى . تناول الجنود غداءهم هناك ، وفى الثانية وعشرين دقيقة بدأوا الرحلة الى زريبة ماك نيل التى وصلوها فى الخامسة واربعين دقيقة .

شهداء وقتلى

ان معركة قراهام ضد النساء والاطفال البدو ، كانت معركة ناجحة اذ لم يخسر فيها جنودا ، واستطاع بنيرانه ان يقود الى استشهاد مائة وخمسين امرأة وطفلا وقتل البهائم (١) .

أما خسائره هو ذاك الصباح من نيران فرسان الثوار ، فقد كانت جنديا واحـــدا قتيلا وجرح ضابط واربعة عشر جنديا بالاضافة الى تابع (٢) .

انتصار قراهام على النساء والاطفال فى البرلمان البريطانى

تأخر اطلاق سراح اخبار انتصار جنرال قراهام على النساء والاطفال بواسطة وزارة الحربية البريطانية حتى مساء السادس من مايو ، حيث نشر فى السابع من مايو ١٨٨٥ بالصحافة باحرف كبيرة(٣) . قال السياسى الكاتب « ويلفرد سكاون بلنت» عن تلك المعركة (٤) : (انها قضية سيئة ، اسوأ ماحدث حتى الان ، لانهم احاطوا بمعسكر بدو بنسائه وأطفاله وبهائمه ، واطلقوا النار عليهم . قتلوا مـــائة وخمسين منهم ، وكان غرضهم قتل الجميع) .

١ – بلنت ص ٤٢٨ . ٢ – قالو وى ص ٣٤٢ .
٣ – التايمز ، الستريتد لندن نيوز بتاريخ ٨٥/٥/٧
٤ – بلنت ، غردون الخرطوم ص ٤٢٨ .

في اليوم التالى — الثامن من مايو ١٨٨٥ ، كتب النائب البرلمـــانى « مورلى » مذكرة يقول فيها انه سيعيد موضوع انتصار قراهام على النساء والاطفال في السودان الليلة .

قرار انسحاب القوات البريطانيه من السودان

في يوم الاثنين الحادى عشر من مايو ١٨٨٥ ، قرأ وزير الحربية البريطانية مـــن ورقة مكتوبة ، امام مجلس العموم البريطانى ، انهم سوف يخرجون من الســـودان بعدتهم وعتادهم فى أول ارتفاع للنيل ، وانهم سوف يتركون موضوع سكة حديد سواكن /بربر ، وكل شيء ماعدا سواكن التى اعتقد انها تركية (١) !!

عين كتشنر الذى كان يعمل بالمخابرات تحت قيادة سير تشارلز ويلسون ، حاكما على سواكن .

خروج الانجليز من شرق السودان ماعدا سواكن

قضى قراهام ليلة الجمعة بزريبة ماك نيل ، وفى صباح السبت الرابع من أبريل عام ١٨٨٥ ، غادر الزريبة فى التاسعة صباحا ووصل الى سواكن فى الثانية عـــشرة والثلث . ترك بزريبة ماك نيل لواء مشاة أهالى بومبى الثامن والعشرين ، وفصيلة من البحرية الملكية مع مدفعى قاردنر .

فى يوم الاثنين السادس من ابريل ١٨٨٥ ، اخليت زريبة ماك نيل فى الساعة الواحدة بعد الظهر . عادت إليها قوة فى يوم الجمعة الاول من مايو ١٨٨٥ ، وقامت بحرقها ، ورجعت الى سواكن باخر فصل من قصة سكة حديد سواكن / بربر .

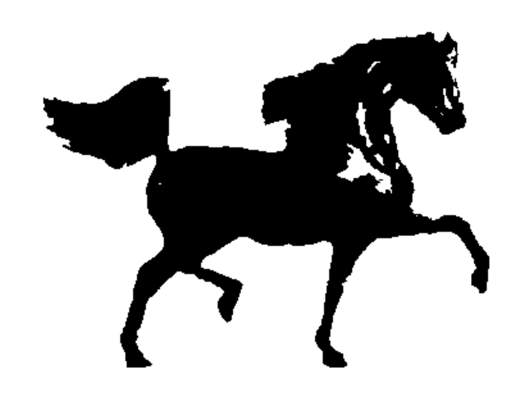
فى السابع عشر من مايو عام ١٨٨٥ عاد جنرال قراهـــام الى مصر ، وتبعته قوته تحمل مرارة الهزيمة .

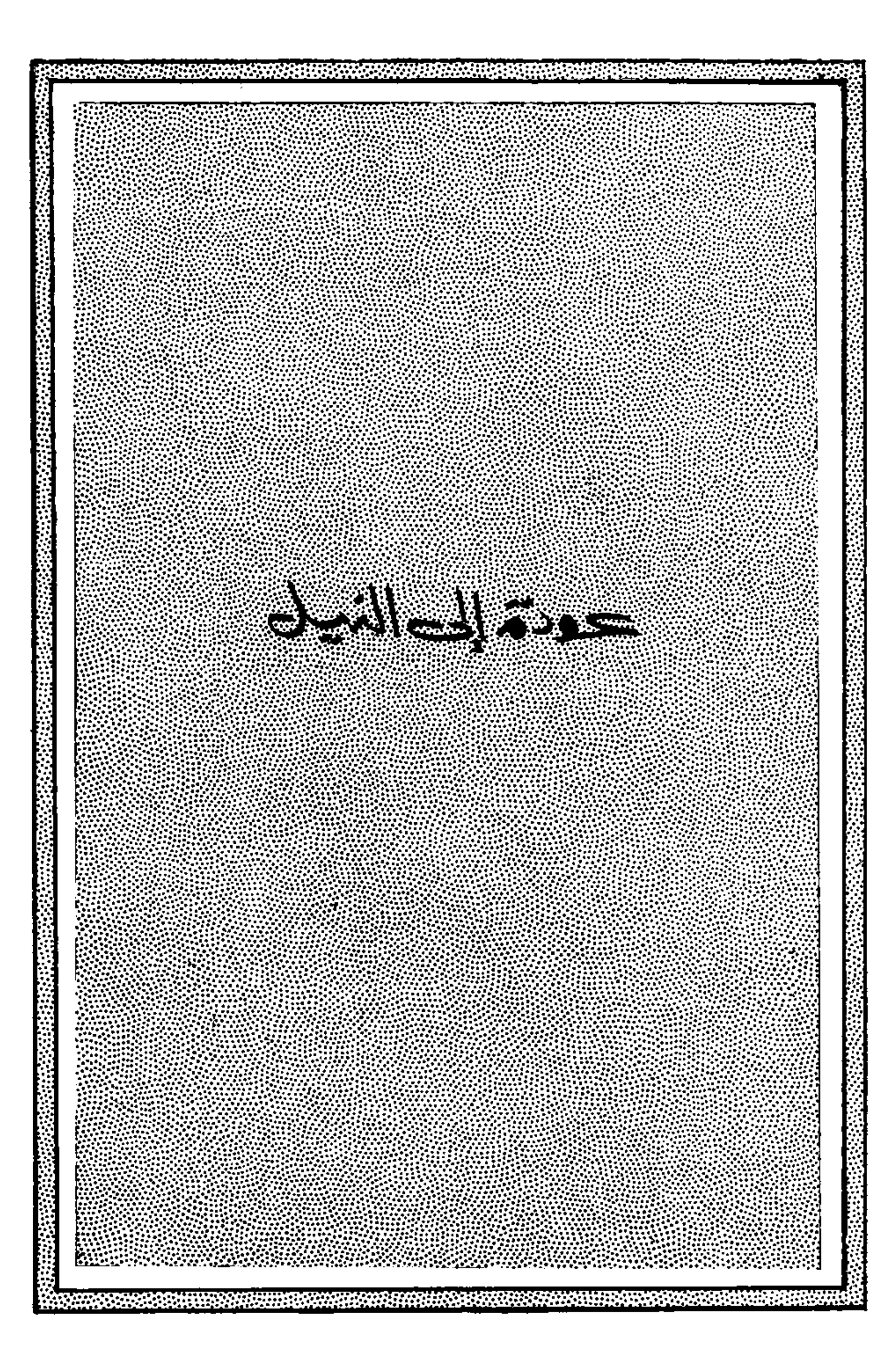
---

١ — بيان وزارة الحربية لمجلس العموم ، اوراق وزارة الحربية ، وقائع مجلس العموم ١٨٨٥/٥/١١.

وبهذا يكون الامير عثمان دقنة قد فرض سيطرة السودان على ارضه المحررة في شرق السودان ماعدا سواكن التى بقيت بها القوات البريطانية .

ان خط السكة الحديد الذى بدأ العمل فيه في الثالث عشر من مارس ١٨٨٥، ووصل في الثلاثين من أبريل ١٨٨٥ الى « اوتاوا » على بعد ثمانية عشر ميلا من سواكن ، لم تستطع بريطانيا أن تزيده شبرا واحدا . اخيرا فكت القضبان واخذوها معهم .




عودة إلى النيل

المرض يصيب جيش النجومى بالمتمة

ان قوات امير الامراء عبد الرحمن النجومى التى وصلت الى المتمة قد وجدت المأكولات التى تركها الانجليز لهم بمعسكر النيل بابى خروق (بالمستشفى النهرى) ، ونظرا لصعوبة الامدادات ، وقلة الذرة التى واجهت قوات النجومى ، فقد أكل بعض الانصار معلبات « الكورندبيف » الملوث ، وغيره مما ترك الانجليز . ان قوات النجومى لم تواجه قلة الزاد ومرض التايفويد السريع الانتشار فقط ، وانما أيضا جاءت الى المتمة تحمل جرثومة الجدرى التى القاها عليها غردون .

كتب الامير النجومى للامام المهدى عن هرب الانجليز ، وعما حدث لقواته. رد عليه الامام المهدى بخطاب إليه والى قواته ، تاريخه ١٢ جمادى الاولى ١٣٠٢ (٢٨ فبراير ١٨٨٥ (١))

(بعد ابلاغكم جزيل السلام .

نعرفكم بان جوابكم المتضمن تحقق هروب الانقليز من ابى طليح لجهة دنقلا وارسالكم لحبيب الطرفين محمد الخير سبعين صندوق جبخانة بما فيها لزوم المدافع وغير ذلك مما احتوى عليه الى اخره ، وقد وصلنا وصحبته كل من جواب الحبيب النور محمد عنقرة والحبيب ميرغنى محمد سوار الذهب واطلعنا على مافى الجميع وشكرنا صنيعهم فى ارسالكم للحبيب محمد الخير المقدار الذى اوضحتموه بخطابكم.

وهذا ، كلما يطلب الحبيب شيئا من الجبخانة فعجلوا له به حيث أن المقصود التواطؤ على مصلحته والتعاون على جهاد الاعداء الكافرين . واقيموا الان بالمتمة واستنشقوا الاخبار من جهات الكفرة يوميا وفيدونا بها ، وكونوا ملاحقين لجهة محمد الخير واسعفوه بالجبخانة كلما يطلب . وكافة الانصار الذين بمعيتكم فيكونوا مقيمين معكم بالمتمة .

---

١ — فيوضات ٦٤٨ ، ميكروفلم ١٥,٣,١٠ ، دار الوثائق المركزية ، الخرطوم .

اما أمر الغنائم التى وجدتموها بتلك الجهة فقد تحرر لكم فى شأنه من خليفة الصديق مافيه الكفاية ، فاعلموا بموجبه واصبروا على البأساء والضراء ، فان سنة الله فى عباده المجاهدين ان يبتليهم بالبلايا ليعظم لهـم عنده المزايا ان صبروا ووكلوا الامر إليه . قـال جل من قائل « ولنبلونكم بشىء من الخوف والجـوع ونقص من الامـوال والانفس والثمرات ، وبشر الصابرين الذين إذا اصابتهم مصيبة قـالوا انا لله وإنا إليه راجعون » الاية .

واحب لكم ايها الاحباب أن تكونوا من عباد الله الصابرين المبشرين من حضرة قدسية بالدرجات العالية ، كأصحاب نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، فانهـم كانوا يصيبهم من الجوع والظمأ والكد والتعب ما يلجئهم الى أكل خبط الشجر وغيره من النباتات الارضية ، ومع ذلك يصبروا حامدين شاكرين طلبا لمـا عند الله من النعيم الابدى الدائم . فاصبروا ايها الاحباب فيما أصابكم كما صبروا ، وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون . ثم نخبركم بانا قد عينا جيشا من انصار الدين للتوجه لسنار وفى رأسه الحبيب محمد ولد عبد الكريم ، والحبيب أحمد المكاشفى ، وصاروا على جناح التوجه ، وانشاء الله عن قريب يصير فتح الفتح بعون الله ويفوز دين الله بالنصر. بارك الله فيكم وسدد امركم وجعلكم من أهل صفوته الطالبين لمـا عنده بصـادق اليقين والسلام) .

المهدى يوجه بأسر او قتل وولسلى

ان صلة صـالح حسين خليفة العبادى باهله بمصر وتحـركهم المستمر بين مصـر والسـودان ، جعله ملما باخبار القاهـرة ، فقد كتب الى الامير محمد الخير يخبره باهمية وولسلى عند اهله وقواته . ارسل الامير محمد الخيرخطاب صالح الى المهدى ، الذى كتب بدوره الى الامير عبد الرحمن النجومى يحرضه على اسر أو قتل وولسلى . يقول خطاب المهدى الموجه الى النجومى وقادته بتاريخ الخامس من جمادى الآخره ١٣٠٢ (٨٥/٣/٢٣) (١)

١ — ٥ صادر ١ — ٢١٣ : ف ٣ ، دار الوثائق المركزية ، الخرطوم .

(نوجهكم انتم معشر السرية التى توجهت اخرا تحت رئاسة عبد الرحمن النجومى ومحمد عثمان أبى قرجة لجهات دنقلا لعلكم تظفرون باعداء الله الانقليز ومـــن انضم إليهم من الطغاة الذين سعوا فى الأرض فســاداً ، فتوجهوا على بركـــة الله وشـمروا فى نصرة دين الله ، وجدوا المسير بمجرد ورود خطابى هذا إليكم بحيث لايكن لكم عائق سوى مسافة الطريق المعلومة اذ انه ورد لنا خطاباً من صالح حسين خليفـــة كان ارسله إلى الحبيب محمد الخير ذاكراً له فيه ، ريس هذه الجردة ــ خذلها الله تعالى ــ ذو شهرة عظيمة فى قومه ، ومتى صار الاستحصال عليه بالاسر أو القتل يحصل لمـــا بعده من اعداء الله الغيظ والندم الشديد والكيد الذى ماعليه مزيد . وذكر عـــدة أوجه ترغب فى توجهكم إلى مصادمة هؤلاء المخذولين .) .

لورد وولسلى مع زوجته بالقاهره

زوجة وولســـلى « لويزا » عرفت تفشى مرض التايفويد بين القوات البريطانية بالســـودان والاخبار الجديدة باهتمام المهدى بأسر أو قتل زوجها ، وصلت سريعا الى القاهرة طالبة من زوجها الحضور الى هناك ، حيث يستطيع أن يقود جيشه عـــلى النيل وفى شرق السودان من القاهرة بشكل أفضل .

فى الحادى عشر من أبريل عام ١٨٨٥ ، كان وولســـلى معها فى القاهرة ، وقد صحب معه فى رحلته ضابطا مصرياً كان يحبه ويحتقره . كان يحبه لانه عندما كـــان معه فى مركز قيادته فى كورتى ، كان يقـــوم بعمل « كائل ثناء » (مطيباتى) ، ففى كل مرة يصاب فيها القائد الانجليزى بصدمة لمـــا يحدث لجنوده وقادته ، يطيب هذا الضابط من خاطره ، ويذكره بانه سينتصر حتما . اما لمـــاذا يحتقره ، فهو لنفـــس السبب ، لانه ضابط خدمات شفهية ، ويكره الخدمات الميدانية . هذا الضابط يدعى زهراب باشا ، أصبح فيما بعد وكيلا لنظارة الحربية نتيجة رضاء وولســـلى عليه ، وقد منت عليه الملكة فكتوريا بناءاًعلى توصية وولسلى أيضا ، بنيشان القديسين جـــورج وميخائيل مع لقب « سير » .

التلغراف الذى اثار وولسلى

لم يدم استمتاع وولسل وعقيلته في القاهرة أكثر من يومين . ان الجو كـــان مناسبا لهـــا هناك . انها تستطيع ان تلبس الفساتين القطنية الخفيفة ، وتزور الإهرامات والاثار والاسواق الشعبية ، وتبعد نساء الضباط الخليعات من الاقتراب من زوجها ، وتقضى شهر عسل اخـــر معه . ان وولســـلى الذى راته بالقاهرة كان قد تغير فى الشهور الماضية القليلة كثيرا جـــدا . فتلك الشهور قد اصـــابته بالهم والغم وطـول الانتظار وتلقى الاخبار المزعجة السيئة فى كورتى .

تلغراف اتى الى وولســـلى في الثالث عشر من ابريل من وزير الحربية البريطانية يقول له بان عـــلاقة انجلترا بروسيا ليست جيدة ، وتطالبه بالرجوع وترك استرجاع السودان ــ الذى حدد له الخريف القادم ــ وطالبه التلغراف بان يتخذ أفضل الطـــرق لارجاع القوات الى مصر .

ان السبب الذى ساقته بريطانيا لانسحابها من السودان ، هو هجوم روســـيا على افغانستان فى الثلاثين من مارس عام ١٨٨٥ ، واحتلال « بندجة » . وعليه قالت الحكومة البريطانية : انهـــا فى هذه الظروف التى قد تقود الى حرب بوقوفها مـــع حليفتها افغانستان ضد روســـيا ، فانها لن تترك جيشا ضخما فى شمال الســـودان وشرقه . وولسلى الذى كان يعرف ان هذه ادعاءات غير صحيحة ،فعشرات افغانستان، دعك من بندجة ، لن تحرك بريطانيا للذهـــاب فورا قبل اقناع الشعب البريطانى ، لحرب ضد روسيا فى افغانستان البعيدة . انه عرف السبب الحقيقى لسحب قواته من السودان . ان الفشل الذى لقيتة قـواته فى شمال السودان وشرقه ، والمرضـــ الذى اطلقوه فى أنفسهم وفى ابى خروق بعد رحيلهم منها ، ووصول قوات امير الامراء عبد الرحمن النجومى ، والمطالب الضخمة التى تقدم بها واعتمد لهـــا مبلغ اربعـــة ملايين ونصف المليون من الجنيهات فى ساعات الاثارة بعد مقتل غردون من مجمـــل

المـــال الذى خصص لوزارة الحربية وقدره احـــد عشر مليون جنيه (١) ، كلهـــا اجتمعت وساعدت اعداءه فى المطالبة برجوعه .

ان موت غـردون ، وهزيمة توفرك ، ومقتل اكبر القادة ، وفشـــل الاستيلاء على المتمة ، ظلت تقرع كالاجراس فى رأس كل الوزراء ، والصحافة والشـــعب البريطانى .

رأى وولســـلى ان يتقدم باستقالته ، ولكن لويزا التى كانت تعرف أن زوجهـا هو ابن ضابط فقير ، وقد خدمته الظروف لكفاءته العسكرية لكى يترقى بدرجـــة لم تحـــدث فى قصص « جـــولس فيرن » الاسطورية ، قالت له عندما قال لها انه يزمع الاستقاله . . . عزيزى قارنت . . . لاتكن احمقا ! !

لم يصبح قارنت وولسلى احمقا ، حتى بعد ان رأى قضية بندجة تحل بالتحكيم بعد أيام فقط . اما قرار رجوع القوات فبقى كما هو . بل ان مجلس العموم البريطانى قد وافق على الانسحاب فى جلسة الحادى والعشرين من أبريل عام ١٨٨٥ (٢) .

وولسلى فى سواكن

فى نهاية ابريل ذهب وولسلى الى سواكن ، حيث زار مع لورد تشارلز بيرسفورد ، موقع زريبة ماك نيل بتوفرك ، واثار الهزيمة التى منيت بها قواته .

وولسلى يصدر امر الانسحاب

بعد عودة وولسلى من سواكن الى مصر ، اصدر امره فى الحادى عشر من مايو

١ - اوراق وزارة الحربية .

٢ - مضابط مجلس العموم البريطانى بتاريخ ١٨٨٥/٤/٢١ .

لكل قواته بالانسحاب الى مصر .

القوات الانجليزيه تحاول ابتزاز المهدى

بعد استقرار القوات البريطانية فى نقاطها المختلفة ، قام سلاح الاستخبارات باعتقال اقارب الامام المهدى فى دنقلا ، وهم(١) محمد عبد القادر ، وحاج شرفى وشرفى ساتى على ، ومحمد ابراهيم ، واحمد النجيب ، وحاج شريف محمود ، وعبد القادر عبد الكريم . بعد اعتقالهم طلبوا منهم ارسال خطاب استغاثة الى الامام المهدى يطلبون منه ايصال الاوربيين والاقباط الذين فى معسكره الى الانجليز ، حتى يطلق الاخيرون سراحهم . تاريخ الخطاب ١٥ رجب ١٣٠٢هـ . كتب اقارب المهدى الخطاب الى الامام نتيجة التعذيب الذى تلقوه على يد قوات الاستخبارات البريطانية بقيادة سير تشارلز ويلسون الذى عاد باعجوبة من رحلة الخرطوم .

رد الامام المهدى

وصل الخطاب الى الامام المهدى فى امدرمان ، وورد عليه يوم ١١ شعبان ١٣٠٢ (٢٧ مايو ١٨٨٥)، قال الامام المهدى الى محمد عبدالقادر وحاج شرفى محمد نور (٢):
(هذا وليكن فى علمكم ان جوابكم المحرر بتاريخ ١٥ رجب ١٣٠٢ قد وصلنى وفهمت جميع ما احتوى عليه من مكر اعداء الله بكم ، ورهنكم فى القسيسين والفرنج والاقباط الذين بطرفنا ، واعلامكم بعدم التفريج عنكم الا ان يحضروا بطرفكم الى اخر مافيه . وقد فعلوا بكم ما هو اقل من جزائكم ، فانا قد دعوناكم الى اجابة دعوتنا مرارا ، فلم تعتنوا بقولنا ، وقد آثرتم الكفر على الاسلام ، ورضيتم برمى أنفسكم فى الدرك الاسفل ، وما فعلتم معنا على حسب المأمول فيكم . واما من خصوص القسيسين والاقباط والفرنج الذين معنا ، فحيث انهم انابوا الى الله وخرجوا

---

١ - الكردفانى ص ٣٥٨ .

٢ - المصدر : ٢٠ مختلفة ٢٠٣٠ اثار . ٣٠٢ انذارات ، دار الوثائق - الخرطوم .

من ظلمة الكفر إلى نور الإيمـــان ، وصاروا بذلك من أعز احبابنا واصحابنا ، فهم أعز علينا منكم الان ، ولانختار لهم الكفر بعد ان انعم الله عليهم بالإسلام .

وانهم الان أقرب الى منكم ، ولهم على الولاية دونكم لو كنتم مؤمنين بـــى ، فضلا عن عدم تحقق ايمانكم .)

المرض يزداد في جيش النجومي

ازداد مرض الجدرى والتايفويد فى جيش النجومى ، فكتب الى الامام المهـــدى عن المرض . ان السودانيين فى الثورة المهدية وحتى بعد انتقال الامام المهدى الى الرفيق الاعلى بمرض التايفويد ، لم يفرقوا بين الجدرى والتايفويد. الاوربيون المـــوجودون بالسودان مثل سلاطين واوهر والدر وغيره كانوا يخلطون بين الامراض . فمـــثلا سلاطين خلط بين الدسنتاريا والتايفوس عندما مات الجاسوس (أوليفر بان). اماعندما انتقل الامام المهدى فاسمى ما اصيب به بانه « مرض (١) » .

اوهـــر والدر كان كالســـودانيين يخلط بين التايفويد والجدرى ويسميهما بالجدرى وفى حالات اخرى « مرض » .

رد الامام المهدى على خطاب النجومى بخطاب تاريخه ٢٣ رجـــب ١٣٠٢هـ (٩ مايو ١٨٨٥(يقول فيه (٢) :

(ياصفيى ، فى الجدرى وحلوله بالاخوان فهذا من علامات الاجتبا والقبول فعليهم بالرضى بذلك والصبر لحلاوة الاجر لاسيما وقد وردت البشرى من ســـيد البشر صلى الله عليه وسلم بان من مات بالجدرى يصير ملحوقا بالشهداء والمكرمين وكفى بذلك كرامة لمـــن مات منهم . ومجاميع وصيتى لكم وصية الله التى هى التقوى والسلام .).

---

١ – النار والسيف ص ٢١٣ .

٢ – صادر ١ ، ٦٧ . ف ٣ ، ٦ منقولة – دار الوثائق المركزية ، الخرطوم .

أوهروالدر ينقل راى الناس

ان قصة وضع الانجليز لجرثومة المرض بابى خروق ، كانت شيئا عرفه كل الناس بالبلاد . وصف هذا الشعور اوهروالدر ،القسيس الحاقد صاحب كتاب (عشر سنوات سجنا فى معسكر المهدى) صفحة (١٥٤/١٥٥) فقال (عندما انسحب الانجليز من القبة تركوا خلفهم كمية من المأكولات المحفوظة واللحم المعلب .والدراويش على الرغم من اقتناعهم بانها تحوى لحم خنزير ، وهو حرام عليهم ، ولكنهم كانوا جوعى الى الحد الذى جعلهم يأكلون كل تلك الاشياء تقريباً التى وجدوها ، وقيل انه بعد ذلك فورا اصابهم الجدرى ، والذى اثار فكره ان الانجليز قد خلطوا طعامهم بجراثيم المرض وهذا قد اقتنعوا به وصرحوا به .)

انذار الى القوات البريطانيه

فى الثامن من يونيو ١٨٨٥ (١١ شعبان ١٣٠٢هـ) كتب الامام المهدى انذارا الى وكيل وولسلى « براكنبرى » وكافة عساكرة يطالبهم بالتسليم ويحدثهم عن رأيه فى عملية ابتزازهم باعتقال أهله . يقول هذا الانذار (١) :

(اعلموا ان الله تعالى قادر قاهر لايخاف شيء فى الارض ولافى السماء ، واذا اراد شيئا قال له كن فيكون . وهو مالك الملك ذو الجلال والاكرام . ولما اظهرنى لتأييد دين الاسلام ايدنى بملائكته وجنه واوليائه ، ويقذف الرعب فى قلوب اعدائى ووعدنى بالنصر عليهم وبملك جميع الاراضى،ولا يثبت لقتالى انس ولا جن.

وقد كنت قبل ذلك رجلا ضعيفا فايدنى الله من عنده واظهر أمرى وأهلك من كذبنى من اعداء الله الترك وغيرهم . ولايخفى عليكم ماحصل على جرداتهم التى اعدوها بالاسلحة والجباخين ووجهوها لقتالى ، من القتل والاسر والاحراق بالنار لمن قتل بسيفى وقد رأيتم امتلاكى لحصونهم بالسودان . وتحققتم ماصار إليه أمرى من القوة بالله والمنعة ، ولازال يزداد الى أن يتكامل لى ملك الارض باذن الله تعالى .

---

١ — المصدر : ٢٧ منقولة . ١٠ صادر ، دار الوثائق المركزية الخرطوم .

وحيث فهمتم ذلك فانيبوا إلى الله ياعباد الله واجيبوا داعيه . واسلموا تسلموا يؤتكم الله اجركم مرتين .

و « يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولانشرك به شيئا ، ولايتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله » . فانكم ان اسلمتم وانبتم الى ربكم تكونوا من اخواننا فى الله ، لكم مالنا ، وعليكم ما علينا ، ونحفظ دماءكم وأموالكم وعروضكم وتنالوا من الله يوم القيامة — الذى لاريب فيه — كل خير تؤملوه . فان هذه الدنيا لابد زوالها ، وانما الدار ، الاخرة .

فهلموا إليها فإنها دار القرار ، ومسكن الاخيار . وآن ضربتم عن نصحنا هذا صفحا ، وبقيتم على اختيار كفركم ، فأعلموا انه يحل بكم من النكال والوبال ماحل بمن قبلكم كهكس وغردون ، ولن يغن عنكم عددكم من الله شيئا ، وستعلمون غدا من الكذاب .

هذا وليكن بعلمكم انه قد ورد لنا خطاب من الجماعة الذين اسرتموهم فى شأن القسيسين والافرنج والاقباط يلتمسون فيه ارسالهم إليكم لكى تفرجوا عنهم . وما ذلك الا من باب حيلكم ومخادعاتكم التى لاتجدى نفعا . وحيث ان هؤلاء الجماعة الذين معنا هنا قد انابوا الى الله ودخلوا فى دين الاسلام ، فقد صاروا اكرم على واعز عندنا من الجماعة الذين معكم واسرتموهم ولانرضى لهم الرجوع ليد الكفر بعد الاسلام . كما انهم لايرضون ذلك . ولايمكن ارسالهم إليكم ولو قطعتم الذين بطرفكم اربا اربا . وجميع ما اجريتموه عليهم فهو أقل من جزائهم ، وانتم وهم اسوة عندنا ولافرق فيما بينكم . ولابد من وقوعكم الجميع فى قبضتنا باذن الله ، وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله وان تنيبوا إليه وتسلموا . وهذا انذارى إليكم والسلام على من اتبع الهدى .)

وصول انذار المهدى الى الانجليز

وصل خطاب الامام المهدى الى الانجليز ومعهم اسراهم فى « عنكش » جنوب

حلفا . وقد حوى الانذار اعترافا من الاوربيين والاقباط الذين كانوا فى امدرمان بأنهم أسلموا ولايريدون العودة مع الجيش البريطانى (١) . رد المهدى ابطل خــدعة الابتزاز فاطلقوهم .

سقوط حكومة قلادستون

الفشل الذى قابل السياسة والجيش البريطانى فى السودان قاد الى استقالة ثلاثة وزراء من حكومة الاحرار . ان مقتل غردون وهزيمة الجيش البريطانى فى شــمال السودان وشرقه ، بالاضافة الى قانون الاعــفاءات وقضية ايرلندا ، كلها اجتمعت لتفكك شمل حكومة قلادستون . أول فرصة سنحت لاسقاط الحكومة كان فى يونيو عام ١٨٨٥ ، عندما قدمت الحكومة للبرلمان زيادة ضئيلة جدا على ضرائب العقارات والجعه (البيرة) .

استقالت الحكومة ، وكــون لــورد سالسبرى حكومة جديدة .

اخــلاء دنقلا

تجمعت كل القوات بدنقلا واستمر الاخلاء دون توقف. ولكن عند سقــوط حكومة قلادستون كانت أكثر القــوات جنوب دنقلا تخلى مواقعها . ارسل وولسلى تلغرافا يوقف به الاخلاء لحين اعلان سياسة الحكومة الجديدة فى بريطانيا .

حكومة سالسبرى قد اتفقت مع رأى قلادستون القديم ، بان استعمار السودان يحتاج الى استعدادات تشابه استعدادات حرب ووترلو. ان سالسبرى لم يرد أن تواجه حكومته سيف المهدية كما واجهته حكومة قلادستون الساقطة . لم يغير سالسبرى شيئا فى سياسة الاخلاء ، فارسلت وزارة الحربية تلغرافا الى وولسلى ، لاتطالبه فقط بالاخلاء ، وانما أيضا أن يحضر هو الى لندن فورا .

---

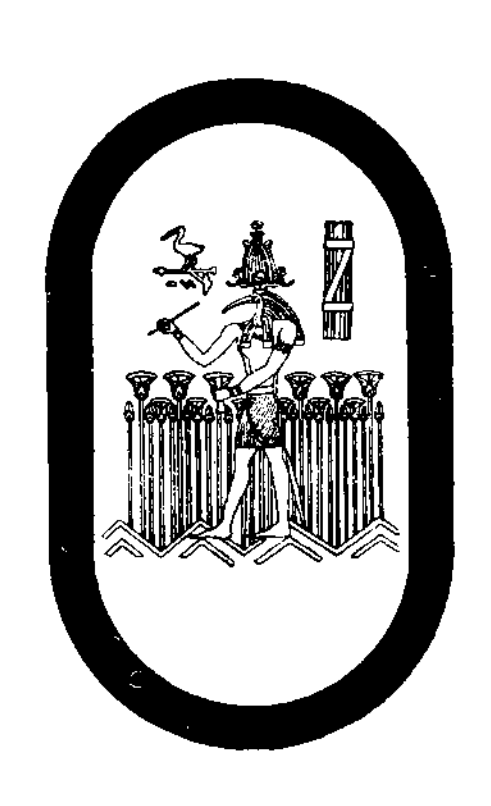
١ — الكردفانى ص ٣٥٩ .

ارسل وولسلي ، أوامره إلى براكنبرى الذى أصبح القائـــد فى دنقلا ، للاستمرار فى الاخلاء .

اخـــر جنـــدى خرج مـــن دنقـــلا فى الخامـــس عشر مـــن يونيو عام ١٨٨٥ .

وصلوا الى كوشة فى الحادى والعشرين من يونيو . عين (قرنفل) قمندانا على الجيش فى الحدود برتبة ميجور جنرال مؤقت . جنرال (دورمر) الذى كان قمندانا على العساكر فى دنقلا امر ضابط المخابرات ميجور « تيرنر » باخلاء الاجانب الذين كانوا بدنقلا ، وعددهم تسعة ألاف واربعمائة اجنبى من جنسيات مختلفة .

فى دنقلا ايضا ، كانت هناك حامية مصرية بها خمسمائة وسبعة من الجنـــود النظاميين المصريين ، وستمائة وثلاثة وسبعون من الباشبوزق ، بالاضافة الى موظفى المديرية المصريين وعددهم خمسون، غادروا البلاد مع القوات البريطانية والمصرية . وهكذا انتهى اخر كابوس للحكم التركى المصرى البريطانى للبلاد حينها .



المراجـــع الاسـاسـية

* — الاعمال الكاملة للامام المهدى ، دكتور محمد ابراهيم ابوسليم(لم يطبع بعد).
* — منشورات المهدية ، الدكتور محمد ابراهيم ابوسليم (١٩٦٩) .
* — جهاد فى سبيل الله (اوراق السيد على المهدى) ، عبدالله محمد احمد حسن .
* — مجموعة كتب الصادر ، دار الوثائق المركزية الخرطوم .
* — مجموعة احمد سليمان ، دار الوثائق المركزية الخرطوم .
* — مجموعة حمـــدان ، دار الوثائق المركزية الخرطوم .
* — السجلات والارشيف ، جيوش المهدية ، دار الوثائق المركزية الخرطوم .
* — مجموعة الكايرنت ، دار الوثائق المركزية الخرطوم
* — مجموعة النجومـــى ، دار الوثائق المركزية الخرطوم .
* — مجموعة عثمان دقنة ، دار الوثائق المركزية الخرطوم .
* — مخطوطة كاتب الشونة . أحمد بن الحاج أبو على . (١٨٣٤) .
* — حصار وسقوط الخرطوم ، ميمونة ميرغنى حمزه (١٩٧٢) .
* — الموسوعة العسكرية ، المؤسسة العربية ، (١٩٧٧) .
* — السودان بين يدى غردون وكتشنر ، ابراهيم فوزى (١٣١٩)هـ .
* — الفداء فى دفع الافتراء ، محمد ابراهيم .
* — دفتر وقائع عثمان دقنة ، جامعة الخرطوم .
* — جغرافيا وتاريخ السودان ، نعوم شقير (١٩٦٧) .
* — تحفة النظار فى غرائب الامصار وعجائب الاسفار ، محمد بن عبدالله محمد ابراهيم اللواتى — ابن بطوطة — (١٩٣٤).
* — الاسرار الالهية على ماوقع فى زمن المهدية ، محمد ادم (غير مطبوع مـــن مكتبة السيد على يعقوب الحلو) .

* — وثائق الشيخ يعقوب الحلو ، مكتبة السيد على يعقوب الحلو .
* — السيف، والنار سلاطين ، طبعة عالم الكتب (١٩٧٨) .
* — سعادة المستهدى بسيرة الامام المهدى، اسماعيل عبد القادر الكـــردفانى تحقيق الدكتور محمد ابراهيم ابى سليم .
* — الاصول الفكرية لحركة المهدى السودانى ودعوته . دكتور عبد الودود ابراهيم شلبى (دار المعارف).
* — تاريخ السودان الحديث ، ضرار صالح ضرار .
* — ازاهير الرياض ، الشيخ عبد المحمود نور الدايم (١٩٥٤) .
* — السودان والثورة المهدية ، الجزء الاول والثانى ، مكى شبيكة(١٩٧٨/١٩٧٩)
* — المهدية فى السودان ، ترجمة د. جميل عبيد .
* — كررى ، عصمت زلفو (١٩٧٨)
* — شيكان ، عصمت زلفو (١٩٧٦) .
* — تاريخ الخرطوم ، دكتور محمد ابراهيم ابو سليم (١٩٧٩) .
* — مذكرات الشيخ بابكر بدرى ، الجزء الاول والثانى .



* England's Pride, J. Symons. H.H. London. 1965.
* The Egyptian Sudan it's Loss and Recovery. Alford and Sword .
* Gordon of Khartoum. Turnbull, B. B. and S. IIa, Folkeston.
* Battle of Tofrek, W. Galloway, W. H. Allen and Co. 13, Waterloo Place.
* The River Column, H. Brakenbury (1885).
* Gordon of Khartoum , P. Johnson, P. S. Wellingborough 1985.
* Too Late for Gordon and Khartoum, A. Mc. Donald, London J. Murry (1885) (1887).
* With the Camel Corps up the Nile, Count Gleichen (1888).
* Gordon at Khartoum, W. S. Blunt (1911).
* Osman Digna , H. C. Jackson, Methuen Co. (1926).
* Ten Years Captivity in the Mahdi's Camp, Father Ohrwalder, S. Low, Marson and Co. (1892).
* War Office Records and Papers.
* A Prisoner of the Khalifa, Ch. Neufelt, Chapman (1899)
* Wolseley Papers, At Hove.
* Gordon Papers at the British Museum. (Gordon).
* Thomas Cook and Co. Archives.
* Admiral Lord C. Beresford Memoirs (2 Vols. , 1914).
* The Campaign of The Cataracts Sir W. Butler (1887).
* History of the Sudan Campaign, H.E. colvile (2 vols. 1889).
* Modern Egypt, Earl of Cromer (2 vols. 1908) .
* Letters to his sister, General C.G. Gordon (1888 and 1897).
* Last Words With Gordon, Major- General Sir G. Graham (1887).
* Life of Lord Wolseley, Maurice and Arthur (1924).
* Letters of Lord and Lady Wolseley (1922).
* Life of Redvers Buller (2 vols. 1923).
* Sudan Notes and Records 1930 - 1936 .
* Letters of Queen Victoria- G.E. Buckle 2nd series, 3 vols. (1928).
* Life of Major- General Sir C. W. Wilson (1909).

Mahdiism and the Sudan, Wingate (1891).
* Nile, Budge, 12 th. edition (1970).
* The Catholic Church in the Sudan, Fr. A. Galli (1980).
* All news papers and magazines of the period- 1.1. 1884 to 1.6.1885 were consulted. Special attention was given to the issues of : Pall Mall Gazette, Times, Illustrated London News, Standard, Punch, Army and Navy Gazette, Vanity Fair, and Morning Post.
* A Biographical Dict. of the Sudan, R. Hill.
* Victoria's Wars- Beckett 1974.
* My life in four Continents- Chaille - Long (1912).
* The White nile, A. Moorehead (1960).
* Martyr and Misfit- A. Nutting (1966).
* Henry Ponsonby - A. Ponsonby (1942).
* History of the corps of the Royal Engineers, (1889).
* The Sudan Campaigns, (1881 - 1889) R. Wilkinson (1980).
* The Waning of the Middle Ages, J. Huizinga (1955).
* Lovers On The Nile, R. Hall.
* Blue Nile, Alan Moorehead, (1962).
* Siege and Fall of Khartoum . M. Nushi Pasha Vol, 1 & 2 .
* History of the war in the Peninsula, Major General sir W.F.P. Napier - Six Vol.

محتـــويات الكـــتاب

